

العدد ١٨ - مايو ١٩٥٩

السنة الثانية (



نهضة افريقية

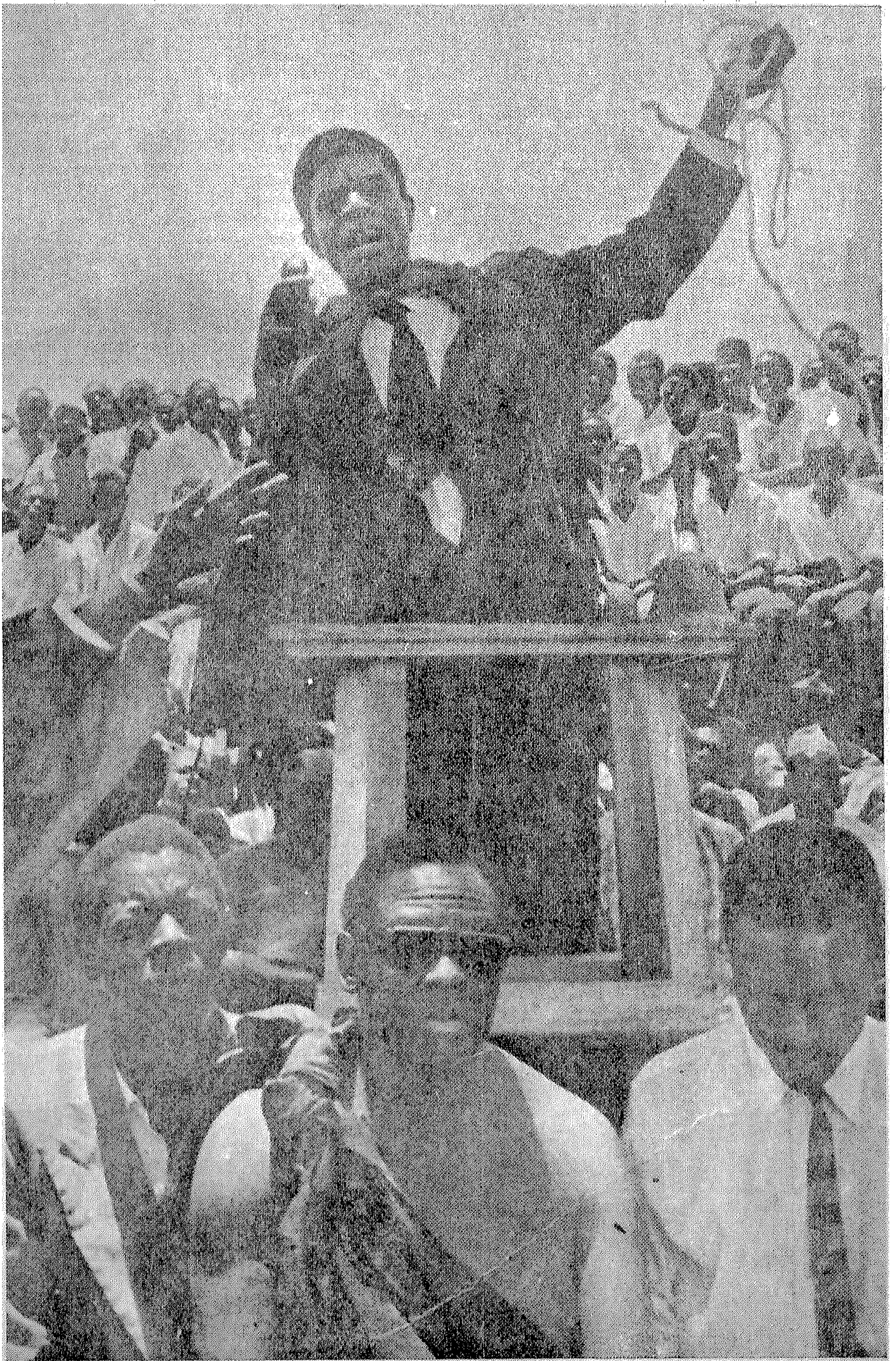
في هذا العدد

- * الرئيس يتحدث عن افريقية
- * معارك القومية في افريقية الغربية
- * التوسع الايطالي في افريقية
- * الاستعمار الاقتصادي في اوغندا
- * العروبة في شرق افريقية
- * نقد الكتب

الشمس

—

٢



الاحتجاج في أوعندة على انجلترا

نهضة افريقيا

تهدف هذه المجلة الى :

- ١ - تنمية الوعي القومى الافريقى .
- ٢ - التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .
- ٣ - نشر البحوث الخاصة والعامه التى تهم كل افريقى فى مجاله الحيوى

وللمشتركين الحق فى :

- ١ - الحصول على المجلة بانتظام وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض .
- ٢ - الافادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الامكان .

● ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .
● ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها ..

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة افريقية

٥ شارع احمد حشمت - الزمالك
بالقاهرة

تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨

الاقليم المصرى
بالجمهورية العربية المتحدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى

دار اخبار اليوم للتوزيع :
٧ شارع لصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا :

لمصر والسودان ٣ قرشا

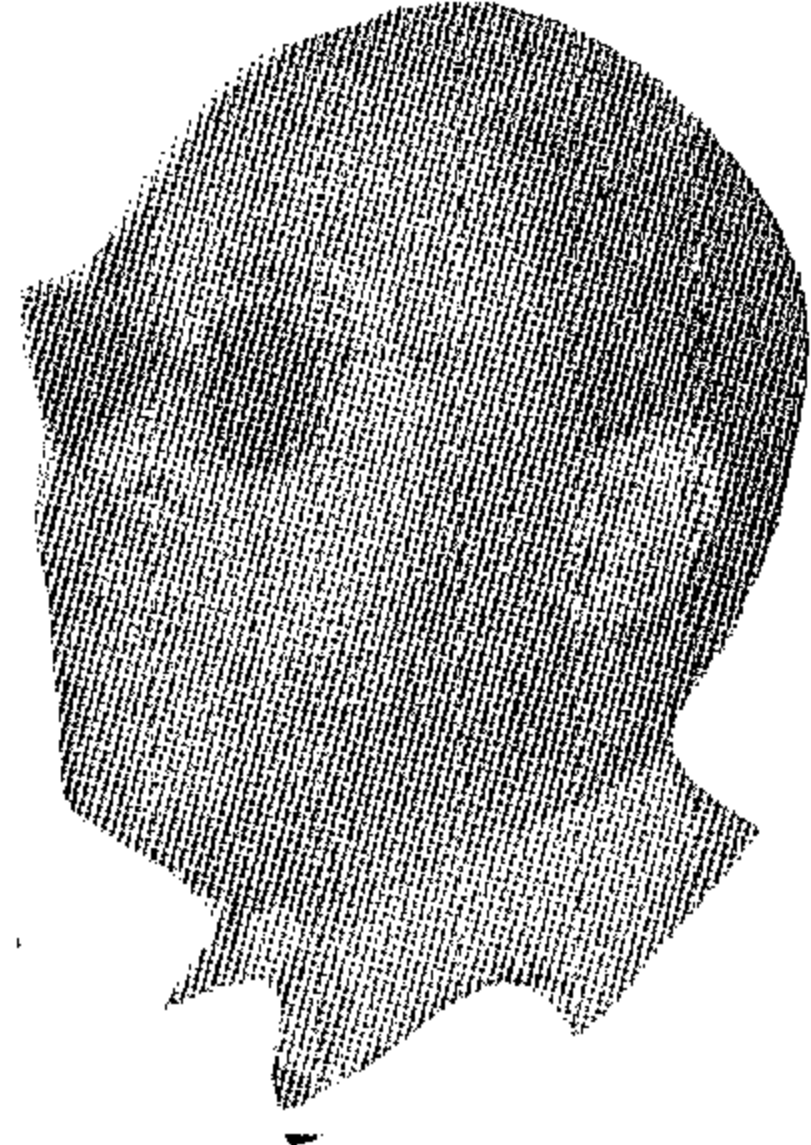
ثمن العدد ٣ قروش



نهضة افريقية
مجلة شهرية
للتقافة الافريقية

رئيس التحرير
محمد عبد العزيز اعني

فكرة ..



.. والآن قد أتى دور دولة افريقية أخرى لتتحرر . فجميع الدلائل تؤكد اليوم في ((أوغندا)) أن هذه الدولة تسير بخطى ثابتة في طريق الاستقلال ، وأن هذه الأرض المشهورة بالخصب ، والمراعى ، والتجيرات . ستعود إلى أهلها بعد تسعة وستين عاماً من الاحتكار ، واهدار كرامة الإنسان .

فقد بدأ هذا الاستعمار على يد ((ف. ج. لوجارد)) الذي شارك في خدمة مصر ، وعمل مع ((صهويل بيكر)) ثم انفصل عن هذه الخدمة ، وعمل على تكوين الشركة البريطانية لشرق افريقية ، وعن طريق هذه الشركة توغل الاستعمار في قلب البلاد ، وظل يجمع الحركات التحررية التي كانت أهمها ثورة ١٩٤٥ ، ١٩٥٣ ، ثم أخيراً ثورة ١٩٥٥ التي أرغمت الانجليز على عودة الملك ((امتيسه)) إلى البلاد بعد أن كان قد نفى عنها !

واليوم يعود الشعور الوطني محتتماً على تلك القرارات التي أعلنها الحاكم العام بحل الحركة الوطنية ، ومعاقبة كل من يشتغل في السياسة بشدة .

ولكن خطى التحرر تتجمع فيها من الشرق الكيني ، والغرب الكونغو ، والشمال السوداني ، والجنوب التنجانيقي . ومن هنا يحمل الاصرار كل ملامح القارة وتتلاقى في انضمة كل قوى افريقية .

ان فجرا جميلا يطل على القارة اليوم من سماء هذا البلد المكافح من سماء أوغندا

عبد بدوى

محتويات العدد

صفحة	
	معارك القومية في افريقية الغربية :
٣	للاستاذ محمد عبد العزيز اسحق
٦	الرئيس يتحدث عن افريقية :
	الاستعمار الاقتصادي في أوغندا
٨	للدكتور عبد العزيز كامل
	العروبة في شرق افريقية : للدكتور
١٨	ابراهيم احمد العدوى
٢١	اقتصاد غينيا :
	التوسع الايطالي في شرق افريقية :
٢٧	للدكتور جلال يحيى
٣٣	نقد الكتب : للأستاذ عبده بدوى
٤٠	من مظاهر الاحتجاج بأوغندا
٤٢	دكتور أجرى : للأستاذ فؤاد دوازة
٤٦	قبيلة « الجاز » الافريقية
	المرافة والسحر : للدكتور
٥٠	عبد العزيز الرفاعي
	الروح الافريقية في الموسيقى :
٥٤	للاستاذ حلمي شعراوى
	طبيعة الحركة التحررية في افريقية
٦٠	للاستاذ عبد الواحد ابراهيم حسن
٦٥	قبيلة « فرانت » في غانة
٦٩	دور الزنوج في ثورة كوبا

معارك القومية

في افريقية الغربية

بفلم: الأستاذ محمد عبد العزيز اسحق

وظلت أمريكا متمثلة في شركة ((فايرستون)) محتفظة برأس جسر، متمثلة في ليبيريا، وهي تترقب الاحداث، وتحاول توجيهها لمصلحتها، ما استطاعت الى ذلك سبيلا.

وفي أواخر العام الماضي، كان ((إزماء المبادأة)) في يد غانا، فقد كانت هي أوفر المستعمرات السابقة حظاً من مقومات الاستقلال، وكان الجو مهياً أمامها، لكي ترفع راية القومية، وراية الاتحاد مع الاقطار المجاورة في وقت واحد، وعندما أفلتت غينيا من براثن ((المجتمع الفرنسي)) سارعت غانا، فمدت إليها يد المعونة وعروض الاتحاد، وظهر حينئذ مشروع اتحاد دول غرب افريقية الذي ناهضته ليبيريا، وتوجست منه خيفة، وحاربت به فرنسا، وتحفظت أزاءه، تمهيداً لاجتذابه برمته إليها.

وتوالت الاحداث، وانبعث الجديد من التيارات، فانعقد مؤتمر أكرا للشعوب الافريقية، وعلى الرغم من ظهور الفوارق الواضحة في المؤتمرين ممثلي ((الاقاليم الفرنسية)) وممثلي ((الاقاليم البريطانية)) في أسلوب التفكير والتعبير، إلا أن دعوة ((الاتحاد)) قد صادفت تجاوباً تاماً بين الجميع، ولم تمض فترة قصيرة على انفضاض المؤتمر حتى تكون ((اتحاد مالي)) زغم سخط فرنسا، ليربط بين السنغال والسودان الفرنسي، وداهومى، والفولتا العليا، وترك الباب مفتوحاً لمن يريد الانضمام اليه.

في بقاع مترامية الاطراف من هذه القارة، تمتد من دكاكر على المحيط الاطلسي، وتنسبط على ضفاف أنهار السنغال، والفولتا والنيجر، وتحيط ببحيرة تشاد، ثم تنعطف الى الجنوب فتضم الكاميرون، وتلتقي مرة ثانية بالمحيط، في تلك البقاع تندفع الآن تيارات ودوامات سياسية بعضها صادر من الارض الطيبة، أرض افريقية، وبعضها الآخر وارد في حقائب الاستعمار.. من وراء البحار.

فقد بلغ ((المد القومي)) الافريقي احدى مراحل التاريخ باضطراب فرنسا للاعتراف بالشخصية الافريقية.. والسماح لمستعمراتها السابقة بأن تتسمى ((جمهوريات))، وأن تتمتع بنصيب من الحكم الذاتي، على أن تظل في نطاق ما يسمى ((بالمجتمع الفرنسي)). ومعنى ذلك أن تترك تلك الجمهوريات شئون الدفاع، والشئون الخارجية، والشئون المالية في يد فرنسا، أي أن تترك في يد فرنسا أهم مقومات الاستقلال، وان فازت، أي المستعمرات، باقرار شخصيتها الذاتية وكيانها القومي.

وكانت بريطانيا قد سارعت - قبل ذلك - وتحت ضغط الحركات الوطنية، فصاغت لبعض مستعمراتها المهمة اطاراً من الحكم الذاتي، وعندما زاد الضغط وسعت من ذلك الاطار، بحيث يبدو استقلالاً تاماً ((في نطاق الكومنولث)).

ولئن كان هذا « الاتحاد » لا يهدف الى الانفصال عن فرنسا ، أو الى الحصول على مقومات جديدة للاستقلال . . فانه كان ، في حد ذاته ، خطوة عملية من شأنها أن تمهد بطبيعتها لتحقيق تلك الاهداف .

وقد صاحب « حركة مالي » وسايرها تيار آخر لا يقل عنها أهمية وخطورة ، تيار عمالي نقابي ، تجلى في اجتماع ممثلي نقابات العمال في أفريقية الغربية ، في مدينة « كوناكري » عاصمة غينيا وانتخابهم الزعيم « سيكوتوري » رئيسا عاما لتلك النقابات .

وكانت هذه ، فيما يبدو ، قاصمة الظهر بالنسبة لفرنسا ، فقد ألفت بثقلها كله ، لتحطيم « اتحاد مالي » وناصرها في ذلك بعض زعماء « ساحل العاج » الذين ضغطوا بدورهم على أضعف نقطة في الاتحاد ، وهي جمهورية الفولتا العليا ، فهددوها - وهي تقع الى الداخل منهم ولا سواحل لها ولا موانئ على المحيط - أن يمنعوا مرور صادراتها ، عن طريق ساحل العاج الى الاسواق الخارجية . . وخرجت الفولتا العليا من « اتحاد مالي » . .

وفي الوقت عينه تحرك الدكتور انكروما صوب الشرق ، فذهب الى نيجيريا ، وطاف بأقاليمها الثلاثة الكبرى داعيا الى « اتحاد غرب أفريقية » ، وقد صادفت دعوته استجابة ، زادها هو تفاؤلا حينما صرخ قائلا : منذ اليوم يمكنكم أن تعتبروا غانا ونيجيريا شيئا واحدا . ولكن الامر لم يكن في الواقع بهذا اليسر ، فان نيجيريا لن تملك ، قبل أواخر العام القادم ، وهو الموعد المحدد لاستقلالها ، أن تقرر الاتحاد مع أية دولة مجاورة ، بل ان عليها تبعية تنتظرها ، هي أن تجرب تجربة الاتحاد في داخل أراضيها ، وفي نطاق اقاليمها الثلاثة ، وبين شعوبها المتنوعة الاصول

واللغات والديانات ، والتي يزيد تعدادها على خمسة وثلاثين مليونا . . .

ولقد وجد الدكتور انكروما في طريقه دعوة اتحادية جديدة ، قد لا يراها متسقة تمام الاتساق مع اتجاهاته وتصوراتها الخاصة ، تلك هي الدعوة الليبرية لتكوين « اتحاد أفريقي عام » يضم الدول المستقلة ، والتي هي على وشك الاستقلال ، ويرعى مصالح الافريقيين جميعا من النواحي الثقافية والاجتماعية والاقتصادية . . .

وان الافق القريب اينطوى على تيارات جديدة غير منظورة ، فان مؤتمر أكرا للشعوب الافريقية لم تبلور نتائجه بعد ، ولم تتكون الاجهزة والتنظيمات التي أوصى بتكوينها ، وقد اجتمعت احدى الهيئات المتفرعة عنه ، وهي اللجنة التوجيهية ، منذ أسابيع في مدينة كوناكري ، ولم يكن الاجتماع ، فيما يظهر ، مثمرا . وان على هذه اللجنة أن تجتمع من جديد ، وأن تمهد لعقد الدورة القادمة للمؤتمر في شهر ديسمبر القادم .

وفي الوقت الذي تأخر فيه « اتحاد مالي » خطوة ، تقدم الاتحاد بين غانا وغينيا بضع خطوات ، فقد وضعت أسس دستور « كونفدرالي » يرمى الى توحيد مصالح الدولتين ، والتقريب بين شعبيهما ، وتنسيق سياستهما الخارجية ، وهو يحتفظ في الوقت نفسه لكل منهما بالشخصية الدولية ، وبالتمثيل الخارجي ، وعضويتها في الامم المتحدة . .

واذا كان لا يبدو الآن احتمال تطورات سريعة تخطف البصر في نطاق المستعمرات البريطانية في افريقية الغربية ، فان فرنسا تتوقع الكثير ، وخاصة بعد أن تدخل الكاميرون وتوجولاند الميدان بعد استقلالهما في العام القادم .

والذي يلاحظ اليوم في افريقية الغربية الفرنسية أن الضغط الشعبي

يتزايد يوما بعد يوم ، على الزعماء الذين سبق أن نصحوا شعوبهم بقبول « دستور ديجول » والقناعة بجمهورية رمزية داخل المجتمع الفرنسي ..

ويتجلى هذا الضغط في كثرة تبديل الحكام الموالين لفرنسا ، وفي الخطط والمناورات المضادة « لاتحاد مالي » وللحركة النقابية التي يرفع رايتها « سيكوتورى » ...

وموطن الخطر على الاستعمار الفرنسي ، في الوقت الحاضر ، أن دستور ديجول يمنح « الجمهورية الافريقية » حق الانسحاب من المجتمع الفرنسي ..

نعم ، انها ، من الوجهة الواقعية ، لا « تستطيع » أن تنسحب ، وتقف على أقدامها ، فقد عمد الاستعمار ، على مدى الاجيال ، الى أن يفكك اقتصادها ، ويحرمها التعليم ، والخبرة الفنية والادارية ، فضلا عن القوة العسكرية ، وجعلها تعتمد في كل ذلك حتى اليوم ، اعتمادا تاما ، على « الدولة الام » فرنسا . وقد وضحت خطورة « المجازفة » بالخروج من المجتمع الفرنسي ، عندما رفضت غينيا دستور ديجول ، وأعلنت استقلالها ، وصاح « سيكوتورى » صيحته المشهورة : « العزة مع الفقر ، ولا الفنى مع العبودية » . فقد قررت فرنسا أن « تنسحب » من غينيا لتهدمها ، وكان معنى الانسحاب أن تكف فرنسا يدها عن ادارة مرافق الاقليم ، وكانت - أى المرافق - كلها في أيدي الفنيين الفرنسيين ، كما قررت فرنسا أن تسحب من غينيا المعلمين والاطباء ، ورجال الشرطة وحفظه الامن ، وأن تمتنع عن تقديم الاعانة المالية التى كانت تدفع غينيا منها رواتب الموظفين ... بل انها قررت أن تسحب من غينيا الادوات المدرسية والآلات الزراعية ، اذ كانت كلها ملكا لفرنسا .

وقد استطاعت غينيا أن تدفع عن نفسها هول الكارثة بما عقسده من قروض ، وما استعانت به من دول صديقة ، وما اتخذته من تدابير حاسمة ، لمواجهة الطوارئ ، وتحطيم الحصار الاقتصادي ، الذى حاطتها به فرنسا ، وتمكن « سيكوتورى » أن يجبر فرنسا فى النهاية على أن تخطب وده ، وأن تمتنع عن سحب ما هددت بسحبه من قبل ، وأن تأذن للجمهورية الافريقية المنضوية تحت اشرافها فى أن تتعامل واياها ..

هذا الخطر اذن ، خطر الاحتذاء حذو غينيا ، ما يزال قائما فى وجه فرنسا ، ولسوف يزيد منه نهوض المستعمرات البريطانية المجاورة من كوتها ، فان افريقية الغربية تمثل فى الواقع منطقة واحدة مترامية الاطراف ، لا يفصل بين أجزائها حاجز طبيعي واحد ، ولم تقو الحدود السياسية التى رسمها المستعمرون على الخرائط ، وقسموا بها تلك المنطقة الى شرائح ، يسهل التهامها ، لم تقو تلك الحدود على الفصل بين الشعوب بعضها وبعض ، وانك لترى اليوم جماعات من شعب « الهوسية » النيجرى تجوس أسواق أكرا ، عاصمة غانا ، بصنعها ذلك الشعب الفنان . وقد تحدثنا من قبل عن شعب « الزبرمه » الذى يقطن توجولاند ، ومع ذلك تجد أفرادها فى أنحاء داهومى وغانا وساحل العاج ، وقد تخصصوا فى تجارة « القطاى » وهم الذين يحملون السلع الصغيرة الى أدغال افريقية الغربية . وقد ثبت بتجربة السنوات القليلة الماضية أن ضغط الشعوب فى تلك المنطقة كان أقوى من التيارات الاستعمارية المتنوعة ، ومن عملاء الاستعمار ، ومن « الزعماء المعتدلين » الذين ينعطفون مع اتجاه النفوذ والمصلحة الشخصية ، ذات اليمين وذات اليسار ...

الرئيس يتحدث عن افريقية

في الحديث الذي ادى به السيد الرئيس للصحفي
الامريكي ((جون كنيدي)) صاحب ورئيس تحرير
جريدة ((ارجيوس ليدر)) تحدث الرئيس بصدق
وحب عن افريقية .

وانه ليسعد مجلة نهضة افريقية ان تنقل لقرائها

جواب الرئيس وسؤال الصحفي .

س - لقد باعت تشيكوسلوفاكيا
اخيرا اسلحة الى غينيا . فهل تظنون
ان هذه العملية ستفتح أبواب افريقية
امام الشيوعية لكي تتسلل اليها .

ج - ان الذي يستورد السلاح من
بلد لا يستورد المبادئ معه .

ان السلاح نتيجة حاجة مادية
محددة اليه تقتضيها ظروف عابرة .

اما المبادئ فهي نتيجة تيارات أبعد
عمقا من مقتضيات الظروف العابرة .

وبالنسبة لظروف غينيا في شراء
السلاح من تشيكوسلوفاكيا ، فان
الامر ليس على الاطلاق بالصورة التي
تتخيلونها ، ولعلكم تذكرون ان غينيا
بعد ان قررت الخروج من دائرة
النفوذ الفرنسي لتصبح جمهورية
مستقلة كانت في حاجة ماسة الى

السلاح لصون أمنها الداخلي . ان
فرنسا بعد ان انسحبت من غينيا -
بارادة شعب غينيا - سحبت معها

مرة واحدة كل الخبراء الذين كان
الاحتلال يركز في أيديهم وخدمهم ادارة



الرئيس جمال عبد الناصر

شئون غينيا . وبعد الاستقلال لم يعد في غينيا الا أقل من مائتي شخص من الفنيين من أهلها يمكن الاعتماد عليهم في ادارة شئون تلك البلاد الواسعة وكانت هناك ضرورة حماية الامن الداخلي بعد الاستقلال . وكان هدف رئيس حكومة غينيا سيكوتوري أن يسلم جيشا من ألفي رجل فقط ذلك أنه لم يجد في بلاده بعد الانسحاب الفرنسيين مدفعا رشاشا واحدا . ولذلك تذكر سيكوتوري، طلب السلاح من الولايات المتحدة أول ما طلب، وكان يطلب السلاح ولا يطلب النفوذ الأمريكي . ولكن أمريكا رفضت بسبب عدم رغبتها في اغضاب حليفتها فرنسا فلجأ سيكوتوري الى تشيكوسلوفاكيا يطلب السلاح ولا يطلب أي نفوذ أجنبي .

مررنا بالتجربة قبل غيرنا

وانى أستطيع أن أفهم تماما موقف رئيس غينيا . فلقد مرت قبله بنفس التجربة حين تعرضت بلاده لاحتكار السلاح وواجهت في نفس الوقت أخطار

التهديد العدواني الاسرائيلي . هذا فيما يتعلق بالسلاح . أما فيما يتعلق بالمبادئ فان شعوب افريقية وآسيا تواجهها اليوم مشكلة التنمية الاقتصادية . ان شعوبها تريد أن تعوض حرمانها الطويل بأن تتيح لأفرادها أن يعيشوا على مستوى أفراد الشعوب التي سبقتها في مجالات التنمية . ولقد قلت لك ان العالم الآن صغير ، وأن العزلة فيه مستحيلة ولكي تستطيع أن تتصور ذلك فان أبرز ما يصوره أن الملايين من أفراد الشعوب في افريقية وآسيا أصبحوا اليوم عن طريق أجهزة الراديو في قراهم النائية يستطيعون أن يتابعوا مجالات التقدم في كل أنحاء العالم .

انهم يعرفون الكثير مثلا عن مستوى الحياة في الولايات المتحدة الأمريكية وأظن أن من حقهم - من غير ما حسد أو ضغينة على الشعب الأمريكي - أن يتمنوا لانفسهم مستوى مماثلا من الحياة وأن يعملوا لذلك وأن يجهدوا فكرهم في البحث عن أفضل الطرق للوصول الى هذه النتيجة .

وهكذا يضع السيد الرئيس ايدينا على الحقيقة،
ويكشف عن صور الاستعمار ، ويوضح لنا
تلك الروابط القوية بين جميع اجزاء القارة ، ومن
خلال كل هذا نلمح الحب ، والتقدير لكل امجاد القارة

انه الفجر ، والمستقبل

فجر القارة العظيم

ومستقبلها المجيد !

ع . ب

جوانب من الاستعمار الاقتصادي في أوغندة ..

للدكتور عبد العزيز كامل

عصاه السحرية هذا كله فحولته الى
استقرار وتقدم !!

وكان - ولا زال - من الممكن أن
تصل أوغندة وأى قطر افريقى تحت
النفوذ الاستعمارى ، الى مستوى كريم
من الحياة بالتطور الطبيعى ، دون فقد
الاستقلال والسيادة ، بل لعل هذه
الاقطار تكون أقدر على سرعة السير
واجتياز العقبات اذا تركت وشأنها ،
متحررة من قيود الاستعمار التى
وجهت اقتصادها وجهات معينة تخضع
أساسا لصالح الدولة المستعمرة .
واذا كان هناك بعض فوائد عادت على
المواطنين الافريقيين من وراء ذلك ،
فقد جاءت تابعة لصالح المستعمر
لا مقصودة لذاتها .

وقبل أن نعرض بعض جوانب
الاستعمار الاقتصادى فى أوغندة
كنموذج لما يقوم به الاستعمار فى القارة
يحسن أن نذكر كلمة عنها .

الارض والسكان :

فمساحة أوغندة ٩٣٩٨١ ميل
مربعاً منها ١٣٦١٠ أميال مربعة
مسطحة مائية ، وهى مربعة الشكل
تقريباً . وأقصى طولها من الشرق الى
الغرب نحو ٣٥٠ ميلاً ومن الشمال الى
الجنوب نحو ٤٠٠ ميل . وتقع أوغندة
فى هضبة شرق افريقية على جانبى خط
الاستواء وان كان امتدادها شماليه أكبر
وتطل بجهة بحيرية على الجزء الشمالى
والشمالى الغربى من بحيرة فكتوريا .
وتشاركها فى البحيرة كينيا وتنجانيقيا

قد يقال ان البريطانيين أسدواخيرا
كثيرا الى أوغندة بحكمهم الاستعمارى
فهم قد أخرجوهم من ظلمات افريقية
الى نور الحضارة الحديثة . . ومدوا
الخط الحديدى الذى يربط أوغندة
بالمحيط الهندى والعالم الخارجى ،
واستطاعوا بهذا أن ينتزعوها من
سباتها القديم ، وعبدوا الطرق حتى
استطاع السكان أن يصلوا فى يسر الى
أماكن لم يكونوا بالغياها الا بشق
الانفس ، وأدخلوا زراعة القطن حتى
أصبح عماد الثروة هناك ، ووضعوا
بذلك فى أيدي المواطنين مفاتيح الثروة
وبالمال الذى وصل الى أيديهم من زراعة
القطن ، زادت قوتهم الشرائسية ،
فاستطاعوا الحصول على ما يشتهون ،
وانتشرت الحوانيت فى أوغندة تعرض
منتجاتها على الزراع . . وتجمع فى هذه
الحوانيت من انتاج العالم شئ كثير . .
فلماذا يلومون بريطانيا على استعمارها
أوغندا بعد هذا ؟

ويغالى الكتاب الاستعماريون فى
تصوير جوانب الحياة العنيفة عند
الشعوب الافريقية ، والمذابح التى
كانت تقوم بين القبائل ، والعسف
الذى كانت تلقاه الشعوب من حكامها
وكيف كانت تعبت الاوبئة والامراض
بالبشر والثروة الحيوانية عبثاً منكراً
مرهفا تهتز معه أصول الحياة الافريقية
وتتعرض لذبذبات عنيفة من المجاعات
والفقر تتحول بها القرى الى مقابر ،
وحصيلة العمر من الجهد الى قبض
الريح . . فلما جاء الاستعمار مست

والى الغرب من أوغنده يمتد الكنفو البلجيكي ويشتركان فى بحيرتى ادورد والبرت . أما بحيرة كيوجا فتقع كلها فى اوغنده . ومن هذه البحيرات تتكون منابع النيل العليا الاستوائية التى تنحدر شمالا الى السودان .

وأوغندا تقع فى الجزء الذى يطلق عليه أحيانا اسم « سقف افريقية » حيث تنحدر مياه الامطار شمالا الى البحر المتوسط وشرقا الى المحيط الهندى وغربا الى المحيط الاطلسى . ومتوسط الارتفاع يزيد قليلا عن ألف متر ، وتهبط المنسوبات الى أقل من ذلك فى الاجزاء الاخمدودية ، وترتفع فى الاجزاء الجبلية ومن أهمها جبل ألجن فى شمال شرق بحيرة فكتوريا ورونزورى فى الغرب بين بحيرتى ادورد والبرت وتمتاز أوغنده نسبيا بجودة تربتها وانتظام مطرها مما جعلها أغنى أقطار شرق افريقية فى الاستغلال الزراعى القائم فعلا والمنتظر . وبسبب ظروف الارتفاع أصبحت الغابات الاستوائية فيها محدودة على حين نجدها واسعة الانتشار فى حوض الكنفو المجاور . وهذه الغابات تحل محلها مناطق زعرية واسعة سمحت باستقرار بشرى وانتظام فى الحياة أدى الى قيام وحدات سياسية قديمة من أهمها مملكة بوغنده ولا يزال لها وضعها الادارى المتميز فى داخل أوغنده .

ويبلغ عدد السكان نحو ١٠/٤ مليون ، أغلبهم من الافريقيين ، وهناك نحو ٥٠ ألفا من الآسيويين يعمل معظمهم فى التجارة ويحترف بعضهم حليج القطن والزراعة . أما الاوروبيون فعدددهم أقل من عشرة آلاف ولهذا لا نجد فى أوغندا حاجزا لونيا خطرا كما نجد فى كينيا ووسط وجنوب افريقية .

ويرجع توغل النفوذ البريطانى فى هضبة شرق افريقية ونباع النيل الاستوائية الى أواخر القرن التاسع

عشر . وفى عام ١٨٩٠ م عقدت بريطانيا اتفاقية مع ألمانيا يقتسمان بها النفوذ فى الاقليم ، وعلى أساس هذه الاتفاقية دخلت كينيا وأوغندا فى النطاق البريطانى على حين دخلت تنجانيقا فى النطاق الالمانى وكانت وقتئذ تسمى شرق افريقية الالمانية وتقدم لوجارد - القائد البريطانى - الى أوغندا لدعم مركز شركة شرق افريقية البريطانية التى مهدت لاحتلال هذه الاجزاء كما مهدت شركة الهند الشرقية لاحتلال شبه القارة الهندية من قبل . وبعد مراحل من الصراع بين الارساليات التبشيرية واضطراب الامور فى المنطقة ، وضعت بريطانيا يدها لتحل محل الشركة وأعلنت حمايتها فى عام ١٨٩٤ على مملكة موانجا - ملك بوغنده - ومدت نفوذها عام ١٨٩٦ حتى وصل الى معظم الاراضى التى تكون الآن محمية أوغنده . ونفت الحكومة البريطانية الملك موانجا الى سيسيل وظل هناك حتى توفى عام ١٩٠٣ وخلفه على عرش بوغنده ولده داودى شوا وهو والد الكابكا - الملك - الحالى لبوغنده .

تأثير البيئة الجغرافية على مشكلة حيازة

الارض :

وعندما وطئت أقدام المستعمرين أوغنده تطلعت أنظارهم الى الاستيلاء على الاراضى الزراعية . هذه الارض التى قامت عليها ممالك مستقرة مثل بوغنده ويونيورو والتى ترتبط بها أساطير السكان عن مملكة كبيرة كانت تضم هذه الممالك جميعا ، يردونها الى خمسة قرون . وألهبت كتابات الرحالة - مثل ستانلى - خيال المستعمرين فأروا فى أوغنده الفردوس المفقود الذى سيفيض عليهم بالخيرات

وامتدت الانظار الطامعة الى أوغنده كما امتدت الى كينيا . والارض بالنسبة الى الافريقى كل شىء فى حياته . وقد

اهتم علماء الانثروبولوجيا الذين درسوا هذه الاقطار بتوضيح الرباط الروحي الذى يربط الافريقى بالارض التى يعيش فوقها والتى يعتقد أن أرواح أجداده تأوى اليها ، وزعماء القبائل الافريقية يستمدون سلطانهم فى الواقع من صلتهم بالارض : فهم يدافعون عنها وقت الحرب ويحلون مشكلاتها وقت السلم . ومن الناحية العملية لازالت الارض المورد الرئيسى للحياة عند الافريقى ، وبدونها يجد نفسه مضطرا الى الالتحاق بجموع العمال المهاجرين الى العمل فى المزارع الجديدة أو المناجم . وبهذا يدع الافريقى موطن قبيلته فى رحلة تطول أو تقصر ويتعرض لتغير أساسى فى نظام حياته .

وهناك ناحية أخرى لها أهميتها فى نظرة الافريقى الى الارض واختلافها عن نظرة الاوربى المستعمر ، فالاوربى ينظر الى الارض باعتبارها مكانا يعيش فوقه بعض أفراد المجتمع . . مكانا يتكون من مجموعة من الوحدات الطبيعية . . وللأفراد فى هذا المكان ، « حقوق فردية » يشغلون بها الارض ويستخدمونها ويتصرفون فيها . أما بالنسبة الى الافريقى - بعامة - فالفهم الغالب هو الفهم الجمعى لا الفردى . والتقاليد الافريقية تعطى الفرد وأسرته حق حيازة الارض مادام يستغلها ، ولكن اذا توقف هذا الاستغلال فانها تعود الى المجتمع ومن الممكن أن يستغلها أفراد آخرون .

هذا هو الاطار العام الذى يمكن أن نراه فى شرق افريقية ، وحيث تزداد الخصوبة ويتكاثر السكان تقوى الصلة بالارض وتصبح أكثر فردية . وفى أوغنده كان هناك نظامان لحيازة الارض يرتبطان بالنظم الاجتماعية السائدة ، ففى أوغنده سيادة تمثلها جماعات الهيمبا ، وتمتاز هذه الجماعات بأنها أشدتأثرا بالدماء الحامية المهاجرة من الشمال ، ويمكن أن نجد هذه السيادة فى أوغنده من حدود رواندا

فى الغرب الى بوسوغا فى الشرق . والهيما رعاة فى الاصل ، وحرفة الرعى تستلزم قوة وشدة بأس . وفى أوغنده تتكرر هذه الظاهرة كثيرا : جماعات من أصل رعوى تمارس نوعا من السيادة على جماعات البانتو الزراعية المستقرة ، وتتمثل هذه السيادة فى أن يقدم الزراع ضرائب فى صورة خدمات أو غلات فى مقابل أن يحميهم الهيمبا ويدافعوا عنهم ويمكنوهم من زراعة الارض ، فهذا النظام اذن نوع من التعاقد يلتزم فيه كل من الطرفين بتبعية خاصة تناسب وضعه الاجتماعى وحرفته .

وكان هناك نظام آخر عند القبائل النيلية فى الاجزاء الشمالية من أوغنده حيث انتهت الزعامة الى أسر خاصة أصبحت تتوارث قيادة القبيلة . وهذا النظام الوراثى اعتراف من بقية القبيلة بأن الأسرة الحاكمة أقدر على سياسة أمور القبيلة ورعاية مصالحها . والزعيم عند القبائل النيلية هو الذى يتولى توزيع الارض . أى أن الفرد لم يكن مرتبطا بقطعة « معينة » من الارض وان كانت القبيلة مرتبطة بمساحة تستغلها وفى اتفاقية أوغنده التى عقدت فى عام ١٩٠٠ بين زعماء أوغنده الذين تولوا المفاوضة مع بريطانيا ، أخذت بريطانيا بعين الاعتبار ما قال به الزعماء من حقوق فى الارض . وأطلق على الارض التى سجلتها الحكومة البريطانية للزعماء اسم « أرض الميلو » واعتبرت كل أرض بوغنده خلاف أرض الميلو تابعة للتاج أو بعبارة أخرى ملك الحكومة المركزية . .

وليس هذا مجال متابعة مشكلة حيازة الارض فى بوغنده بخاصة وأوغنده بعامة ، ولعلى أعرض له فى مقالات قريبة . وانما هناك سؤال يكاد يفرض نفسه علينا فرضا :

ما الذى دعا بريطانيا الى هذا الموقف فى أوغنده بينما امتدت مخالفتها فى عنف تنتزع الارض من أصحابها فى

كينيا وتلقى بهم في معازل ضيقة يزدحمون فيها بلا شفقة ، ثم يندفعون منها تحت ضغط الجوع والحاجة ليعملوا في أرض المستعمرين ومصانعهم ومناجمهم ؟ لماذا خلقت بريطانيا في كينيا ماسمته بالمرتفعات البيضاء حيث ترتفع الأرض ويعتدل الاقليم وتتوفر البيئة المناسبة للاستقرار الاوربي ؟ وكيف رضيت بريطانيا أن تدع الأرض لاهلها في أوغنده يزرعون فيها ويحيون بينما اندفعت كالا عصار المدمر في كينيا الذي أتى على كثير من القبائل فأرهقها من أمرها عسرا ؟

وقبل الإجابة على هذا السؤال نستطيع أن نربط في أوغنده بين اختلاف نظم الحياة واختلاف الظروف المناخية . فحيث يغزر المطر وتساعد ظروف البيئة الطبيعية على الاستقرار ظهرت نظم حياة تمثل هذا الاستقرار ويقوى فيها - نسبيا - ارتباط ساكن الأرض بها . وفي الأجزاء الشمالية التي يسكنها النيليون كان هناك ارتباط عام بين القبيلة والأرض ولم يكن هناك ارتباط خاص بين الساكن وقطعة معينة فيها .

مرض النوم :

أما العامل الذي أثر على اتجاه الاستعمار الاقتصادي في أوغنده نحو مشكلة الأرض ، فلم يكن رحمة في قلوب المستعمرين ولا احتراماً لأوضاع قائمة وإنما كان « مرض النوم »

ففي كثير من جهات افريقية المدارية قامت الأمراض بأدوار خطيرة في مشكلة حياة الأرض وتكوين الجاليات الاستعمارية ، ففي غرب افريقية مثلاً

حيث تنتشر الملاريا ، يصرخ الزعيم ازيكوي بقوله : « ان البعوضة أعظم أصدقاء الشعب النيجيري » ذلك لأنها صرفت أنظار المستعمرين عن الاستيطان ففنعوا بالاستغلال الاقتصادي .

وفي عام ١٩٠٠ م أثبت البحث وجود

حالات في مستشفى منجو - في أوغنده - شخصها الاطباء بأنها مرض النوم . وسرعان ما انتشر المرض بصورة وبائية وقبل أن تتمكن السلطات القائمة من ضبطه ، استطاع أن يقضى على ربع مليون من السكان ، وزاد من تعقيد المشكلة حاجة المسئولين الى معلومات محددة واضحة عن سبب انتشار المرض ومصدره ، وحتى الآن لا زالت طريقة انتشار المرض ومصدره غامضتين الى حد كبير ، ولم يكن من المنتظر وقتئذ دخول المرض أوغنده ولا انتشاره فيها ، وأحدث هذا تأثيراً نفسياً عميقاً عند المستعمرين صرفهم عن فكرة الاستيطان وقنعوا بالاستغلال الاقتصادي الذي يستغلون فيه اليد العاملة المحلية ، وتطلبت مقاومة المرض إخلاء المناطق الموبوءة من سكانها على اعتبار أن ذباب تسي نسي - الذي ينقل مرض النوم - لا يستطيع أن يبتعد عن مورد الماء أكثر من ميلين ، وطبق مبدأ الإخلاء على مساحات واسعة من شواطئ بحيرة فكتوريا وجزائرها وبدأ هذا من عام ١٩٠٧ م ، وتحول الزراع الى مناطق مما أطلق عليه أرض التاج ، وتوسعت الإدارة في عملية الإخلاء فطبقتها على جزائر في بحيرة البورت وعلى الأراضي المجاورة للنيل ومنابعه . ومع أن هذه السياسة أدت الى نتائج سريعة فإن الانتشار المفاجيء لمرض النوم كون عقدة عند المستعمرين ظلت قائمة في نفوسهم . ولم تبدأ الإدارة في استغلال الأرض التي كانت موبوءة إلا بعد عام ١٩٢٠ ، أي بعد أن استقرت نظم الحياة وأصبح من الصعب اجراء تعديل جوهري فيها .

ويمكن أن تضيف الى السبب السابق الجوهري عاملاً آخر . . هو الظروف التاريخية لمالك البانتو المزارعين حول البحيرات النيلية . . فالمستعمرون وجدوا أمامهم أوضاعاً فيها الكثير من الاستقرار ، ووجدوا أمامهم في الوقت

نفسه مرضاً أخذاً في الانتشار ،
فحاولوا أن يبقوا على الاوضاع
السياسية القائمة ويتجنبوا الاستيطان
ويستطيعوا في الوقت نفسه أويحاولوا
على الأقل تطويع بعض الزعامات المحلية
حتى تخدم الاهداف الاقتصادية الجديدة
التحول الى زراعة القطن :

ويرتبط تحول أوغنده الى زراعة
القطن ارتباطاً مباشراً بالاستعمار
البريطاني وأسلوبه في توجيه
اقتصاديات الاقطار التي تقع تحت
سيطرته .

ويمكن أن نرجع بقصة القطن في
أوغنده الى علاقات بريطانيا بالدول
المنتجة لهذه المادة الخام الضرورية
لصناعة النسيج فيها ، فقد كان من
نتائج الحرب الاهلية في الولايات
المتحدة في العقد السابع من القرن
الماضي أن نقص انتاج القطن الأمريكي
الى درجة كبيرة ، ولم يستطع الانتاج
الامريكي بعد الحرب أن يستجيب
للمطالب العالمية وقتئذ ، على حين أخذ
استهلاكها للقطن في الزيادة مع توسع
صناعتها المحلية ، مما قلل المعروض
من القطن الأمريكي للبيع في السوق
العالمية ، وارتفعت أسعاره في أواخر
القرن التاسع عشر الى درجة جعلت
النساجين الاوربيين يحسون بكثير من
القلق ، وأنهم في يوم قد يقعون تحت
سيطرة النفوذ الاقتصادي الأمريكي

وبدأ النساجون في أوربا يتخذون
خطوات مشتركة لفتح حقول جديدة
لزراعة القطن ، وتكونت في كل من
ألمانيا وبريطانيا هيئة خاصة لانتاج
القطن والتوسع فيه ، وقامت الهيئات
- البريطانية والالمانية - بجهود
مشتركة مثمرة في هذه السبيل
وعقد في مايو ١٩٠٤ اجتماع دولي
ضم المشتغلين بالصناعات القطنية
اتفقوا فيه على ضرورة الكفاح المشترك
من أجل التوسع في زراعة القطن .

وفي السنوات التي سبقت عام
١٩٠٤ نستطيع أن نقرأ الكثير مما
كتبه الرحالة وقادة الاستعمار « كستانلي
و « لوجارد » عن امكانيات زراعة القطن في
أوغنده ومدى حثهم الرأسماليين
البريطانيين ، على توظيف أموالهم
هناك . . ومحاولة ضغطهم على
الادارة المحلية والحكومة البريطانية
ولكن أنظار البريطانيين في أوغنده
اتجهت أول الامر الى غلات أخرى غير
القطن . . كانوا يريدون الربح السريع
والجهد القليل . . والقطن يحتاج أولاً
الى جهود طويلة وتجارب ومحطات
وادارة لها تكاليفها وتبعاتها وتعرضها
للنجاح والفشل . .

وشاهدت أوغنده تسابقاً بين
عشرات الهيئات الاوربية والافراد في
العقد الاول من القرن العشرين ،
هدفه استغلال موارد الغابات وبخاصة
المطاط دون نظر الى المحافظة على
الاشجار ، ولكن انتشار مرض النوم
واصرار الحكومة على شروط خاصة
للاستغلال خفف من حدة هذا التسابق
وكان الارتفاع المفاجيء لاسعار
المطاط في أوائل القرن العشرين سبباً
في حماس كبير بين رجال الاعمال
البريطانيين ، الذين شاهدوا الارباح
العالية توزعها الشركات على المساهمين
في مزارع المطاط في سيلان والمضايق
وأرادت بريطانيا أن تنشئ مزارع
مطاط بقدر ما تستطيع ، ودخل رأس
المال البريطاني شرق افريقية الالمانية
- تنجانيقا فيما بعد -

واستطاع البريطانيون أن يستولوا
فيها على عدد كبير من المزارع ،
وتوسعوا في هذا الى درجة أخافت
الالمان ، وظهر في شرق افريقية نوع
من التخصص في الانتاج ، قلت فيه
أهمية أوغنده وفي انتاج المطاط ،
وحاول المستعمرون بعد هذا التوسع
استغلال بعض موارد الغابات

الآخري كآلياف البردى وقشى اليرافيا ولكن هذه التجارب والمحاولات خفت حدتها شيئا فشيئا ، وأخلت مكانها للقطن الذى أخذ طريقه ليصبح فيما بعد ، المحور الرئيسى الذى يدور حوله الاقتصاد الاوغندى ، وان كانت هناك الى جواره غلات أقل أهمية كالبن والطباق والشاي .

وقد عشر الرواد السابقون فى القرن التاسع عشر مثل سبيك وجرانت على القطن ناميا فى أوغندا ، وأحضر صمويل بيكر معه بعض بذور القطن المصرى التى زرعت فى ماسيندس وبوريتور شرق بحيرة ألبرت ، ولكن هذه المصادر لم تكن السبب المباشر للتطور الاقتصادى الذى حدث فى القرن العشرين .

وعندما اتجهت بريطانيا فى أوائل هذا القرن لانتاج القطن وفى أوغندا استوردت عام ١٩٠٣ أصنافا من مصر : الاشمونى والعباسى والعفيفى ، وبدأت تجربتها فى ابريل ومايو عام ١٩٠٤ ، كما أجرت فى الوقت نفسه تجارب على أصناف أخرى من أهمها « الأمريكان آبلاند » ، وبرهنت هذه التجارب على ملائمة النوع الأمريكى لاوغندا ، وكانت التجارب الأولى فى بوغندا وبونيور ويوسوغا وأنكومي ، ونظمت إدارة المحمية نفسها مع الهيئة البريطانية لمنتجى القطن التى صدر بها مرسوم ملكى عام ١٩٠٤

والتي تولت التوسع فى انتاج القطن فى الامبراطورية البريطانية . وتولت هذه الهيئة أمر انشاء محطة التجارب الأولى لانتاج القطن فى شرق افريقية .

وفى عام ١٩٠٧ اتخذ الحاكم العام هسلث بل قرارا هاما بعد استشارة المعنيين بانتاج القطن من المستعمرين البريطانيين . فقد برهنت التجارب عمليا على أن صنف الأمريكان آبلاند

هو الملائم لأوغندا ، وان خلط الاصناف يؤدي الى انتاج قطن من رتبة غير معترف بها فى السوق الدولية ، وقرر « بل » أنه حالما ينتهى موسم الزراعة ينبغى أن يقتلع من الارض ويحرق كل صنف ماعدا الأمريكان آبلاند ، وينبغى أيضا اتلاف جميع البذور المحلية فى المحالج ، وتحل محلها البذور المعتمدة التى تنتجها المزارع التجريبية التى أنشأتها الإدارة فى عدة مراكز ، وصدر فى مارس ١٩٠٨ قانون قطن أوغندا ، ويعطى الحاكم العام الحق فى اتخاذ القوانين للمحافظة على القطن فى المحمية ورفع مستواه .

واستطاعت إدارة المحمية عمليا - عام ١٩٠٧ أن تجعل القطن فى رأس قائمة الصادرات ، وحل محل العاج والجلود المدبوغة وغير المدبوغة . . . التى كانت من قبل تكون معظم تجارة أوغندا الخارجية .

وكان الانتاج ضئيلا أول الامر . كان نحو ٩ أطنان فى موسم ١٩٠٥/٤ ، وارتفع الى ٧١٦ فى موسم ١٩٠٨/٧ ووصل فى موسم ١٠ / ١٩١١ الى ٢٥٠٠ طن ، وتوالى ارتفاعه حتى وصل الى ذروة قدرها ٤١٨ ألف بالة فى موسم ١٩٣٨/٧ . ويمكن أن نقدر معدل الانتاج فى الوقت الحاضر بنحو ٤٠٠ ألف بالة تزرع فيما يزيد عن ١ ١/٢ مليون فدان .

ويتأثر المحصول تأثرا مباشرا بالتغيرات المفاجئة ، فإذا تأخر المطر بدأ السكان بزراعة الغلات الغذائية ، ولهذا قد تتأخر زراعة القطن الى ما بعد سقوط الامطار المناسبة . وقد نقص انتاج القطن فى فترة الحرب وما بعدها لحاجة القوات المحاربة الى الغلات الغذائية ، ووضع سياسة توسعية على حساب مساحة القطن .

وكان تصدير القطن أول الامر عن طريق المحالج مباشرة أو السماسرة، ولكن منذ قيام الحرب العالمية الثانية تولت الادارة البريطانية أمر تسويق المحصول ، واستطاعت أن تحصل بهذا على قدر كبير من الارباح صرفت جانباً منها للزراع واحتفظت بالشطر الأكبر تحت اسم مشروعات التنمية وتثبيت أسعار القطن .

مشكلات المواصلات

وكانت المواصلات من أهم العقبات التي صادفت الادارة الاستعمارية في تحويل أوغندة الى حقل ينتج القطن لصالح الغزاليين البريطانيين ، فاذا أمكن نقل القطن الى كمبالا وجنجا على بحيرة فكتوريا ، أصبح من الممكن - بعد هذا - نقله بأقل مشقة عبر البحيرة الى ثغر كيسومو ومنها بالسكة الحديدية الى ممبسة على شاطئ المحيط الهندي ، ولكن القطن كان - ولا يزال - زراعة يقوم بها المواطنون في حقولهم الصغيرة المنتشرة في أوغندة، وتتراوح مساحة هذه الحقول بين $\frac{1}{4}$ ، ٥ أفدنة ، ولم يكن الزراع راغبين في أن يحملوا انتاجهم على رؤوسهم في رحلة قد تطول عن يومين من دورهم . وأنفقت الادارة الاستعمارية أموالاً باهظة على انشاء الطرق ، واتخذت سياسة محددة ترمي الى انشاء شبكة من الطرق تربط بها المراكز الادارية والتجارية بالعاصمة واشتدت الحكومة في حمل الاهالى على زراعة القطن ، ولم تستطع الطرق أن تستجيب للضغوط الشديدة عليها ، فتحوّلت بعض الطرق الى مسالك غير صالحة لخدمة السيارات ، وأصبحت الكبارى - عبر المستنقعات - كمصائد الموت للسائقين وكثر ضحايا الانحناءات الحادة ، وتلال النمل الأبيض التي تخفيها الحشائش وسط الطرق . ولم يقف خيال الادارة الاستعمارية

عند هذا الحد . بل ان هسلت بل يجمع به التخيل بعيداً . فقد أراد أن يوفر طريقة رخيصة وسهلة للاتصال بين شرق افريقية وأوغندة والسودان عن طريق بحيرة كيوجا والنيل وامكان ربط المحيط الهندي بالبحر المتوسط دون حاجة الى العبور في قناة السويس !؟ .

هذا الطريق البديل كان له في عقل هسلت بل - فائدة عسكرية أخرى . ولكنه صرف النظر عن هذا الامر . واكتفت الادارة وقتئذ بالخط الحديدي الذي يربط أوغندة بالمحيط الهندي وأمكن بعد هذا مده ليصل الى كمبالا ويتفرع من الخط القديم عند بلدة ناكورو في كينيا ويمر بالمديرية الشرقية في أوغندة . وتم فتح هذا الخط رسمياً في أول يناير ١٩١٢ .

وكلف المفتشون في المناطق التي يمر فيها الخط الجديد بحمل المزارعين على انتاج القطن وبذلت الادارة جهوداً متواصلة في تعبيد الطرق ، ولكنها كانت دائماً متخلفة عن التوسع في الزراعة ، وحتى الخط الحديدي الذي كان يعتبر المنفذ الرئيسي لتجارة القطن أصبحت خدماته غير كافية لقلة عرباته وقاطراته .

كان المفتشون يضغطون على الزراع ويحولونهم الى زراعة القطن ، والمشترون من ناحية أخرى يرون رؤوس أموالهم معطلة ، حتى ان بعض القطن استغرق ستة أشهر ليصل من أوغندة الى انجلترا ، وبدأت الادارة تخشى أن ينكص المزارعون عن الانتاج ، وبدأت مهاجمة ادارة السكة الحديدية بأنها توظف هـواة غير مدربين في الوظائف الحيوية التي تصل بين أوغندة والعالم الخارجي ، وتدخلت بريطانيا في الامر واتخذت خطوات لتوفير

الاعماق المناسبة في ميناء كلنديني وهي نهاية خط كينيا - أوغندة ، واهتمت كذلك بتعبيد الطرق وأنشأت ميناء لكمبالا أطلقت عليه اسم بورت بل ، وبذلت جهودا في الملاحة البحرية وبخاصة بحيرة فكتوريا .

بعض نتائج السياسة القطنية :

يذكر مكرجي في كتابه « مشكلة أوغندة » . . ان القطن وهو انتاج افريقى بحث كانت مساحته في موسم ١٩٥١ - وهو موسم درسه مكرجي بكثير من التفصيل - تمثل ٨٤ ٪ من الغلات الغذائية . أما البن والطباق ، وهما أساسا غلات افريقية - فكانت تمثل ١٣ ٪ والغلات النقدية الاخرى كالمطاط والشاي والسكر والسيسل - وهي غلات غير افريقية الاصل - فتمثل ٣ ٪ فقط .

وهذه النقطة تستدعي منا كثيرا من الانتباه ، فكثيرا ما يقول البريطانيون ان أهم ما قدموه لاوغندة واقتصادها هو زراعة القطن ، مع ان هذا الوضع كما بدا من الدراسة السابقة -أملته مصالح الاستعمار الاقتصاد البريطاني من أول الامر ، وكان التوسع فيه على حساب مساحة الغلات الغذائية التي تكون عصب الحياة الفعلى في أوغندة؛ فمن قبيل الحرب العالمية الثانية كانت تتراوح مساحة الارض المزروعة في أوغندة بين ٧،٦ ملايين فدان يشغل القطن وحده منها نحو ١ ١/٢ مليون فدان ، وفي عام ١٩٤٦ قدرت مصلحة الزراعة في أوغندة ، انه على حين بلغت قيمة الانتاج الكلى للغلات التي ينتجها الافريقيون بوسائلهم البدائية والاوربيون والآسيويون بوسائلهم الأكثر تقدما ما يقرب من ٧ و ٩ ملايين من الجنيهات ، فان القطن الذي أنتجه الافريقيون وبذور القطن تبلغ قيمتها

وحدها ٤٢ ر ٤ مليون جنيه أو نحو ٥٣ ر ٥ في المائة من كل قيمة الغلات . وأظهرت الدراسة الشاملة التي أجرتها بريطانيا لاقتصاديات شرق افريقية عام ١٩٥١ ان أغلبية السكان في أوغندة يعملون في الارض كزراع ، وانهم ينتجون الغلات الغذائية والنقدية وان بيع القطن هو المورد الرئيسى للايراد ، وان كانت هناك بعض الغلات الاخرى ، أخذت أهميتها أخيرا تنزايد وان هناك فائضا ضئيلا من الغلات الغذائية يمكن عرضه للبيع .

وعلى هذا أصبح الاقتصاد الاوغندى يقوم مع غلة تعتمد أساسا على التصدير الى الخارج . والادارة الاستعمارية هي التي تتولى الاشراف على الزراعة وتحديد البذور ، ثم تستولى على المحصول ، وتتولى تسويقه ونقله الى الساحل ، ثم نقلته الى مناطق غزله ونسجه ، وتتولى بعد هذا استيراد المنسوج لبيعه للسكان الذين يتعرضون لذبذبات وتقلبات أسعار القطن العالمية وهكذا استطاع الاستعمار أن يشد أوغندة الى عربته ، مما يجعل أوغندة في حاجة الى كفاح كبير تستطيع أن تتحرر به أولا من سيطرة بريطانيا على القطن ومن سيطرة القطن على الاقتصاد الاوغندى .

الكهرباء والتعدين :

يطلق على القطن في أوغندة الذهب الابيض ، كما يطلق على الكهرباء الفحم الابيض . ومن أوائل القرن العشرين فكر هسلت بل في توليد الكهرباء من مساقط ريبيون التي تقع عند مخرج النيل من بحيرة فكتوريا . كان هذا في عام ١٩٠٦ ورأى ان هذا هو السبيل الوحيد الى تصنيع أوغندة ، واتجهت أنظار العالم الى هذا الاقتراح بعد زيارة ونستون تشرشل لاوغندة بوصفه نائب السكرتير

البرلمانى للمستعمرات فى عام ١٩٠٧، ولكن هذه الفكرة لم تر طريقها الى عالم الحقيقة الا بعد نصف قرن تقريبا ،

ففى عام ١٩٤٧ دعى سير شارلي ومنتليك ليقدم تقريره . عن اقامة سد لتوليد الكهرباء من النيل قرب مساقط أوين ، ووضع هذا التقرير، وأوصى بانشاء « لجنة كهرباء أوغندة ، التى أشرفت على المشروع من وقت انشائه فى عام ١٩٤٨ :

ويقع السد على ١ ١/٢ ميل أسفل مخرج النيل من فكتوريا ، وسوق تغمر مياه الخزان عند ارتفاعها مساقط ريبون . والنهر فى هذه الاجزاء يجرى بين ضفاف شديدة الانحدار ترتفع على جانبيه نحو أربعين مترا ، وصخور القاع - تتخللها تكوينات صلبة أعطت أساسا ثابتا لعملية السد، ويبلغ الارتفاع الكلى للسد ٨٥ قدما وطوله ٢٧٢٥ قدما ، ويمكن تقدير حوض الخزان بنحو ٢٦ ألف ميل مربع تمتد فى بحيرة فكتوريا نفسها ، وسيرتفع سطح البحيرة بما يتراوح بين ٤ و ١/٢ قدم ، فوق أعلى منسوب حالى وان كان هذا سيحدث فى مدى عشرين عاما .

وقد تم افتتاح السد والمحطة الكهربائية فى ابريل ١٩٥٤ ، وأقصى قوته ١٥٠ ألف كيلو وات ساعة تولدها عشرة تربينات قوة كل منها ١٥ ألف كيلو وات ساعة . وعند افتتاح المحطة كانت تعمل وحدتان من الوحدات العشر والتخطيط على أن يتم تشغيل الوحدات الثمانى الباقية على مرحلتين .

ويكفى أن نذكر أن ما كانت تحتاج اليه أوغندة عام ١٩٥٣ - السابق لافتتاح السد والمحطة الكهربائية - ١٣ ألف كيلو وات ساعة ، وهو حمل يمكن توليده من وحدة واحدة .

وترتبط بخزان أوين مشروعات تنمية صناعية كبيرة فى أوغندة ، فمن المنتظر ان تصبح جنجا - قرب مخرج النيل من فكتوريا - مركزا صناعيا هاما . وبها فى الوقت الحاضر مصنع طباق وعصارات زيت ومحاليج قطن وصوامع لحزن الغلال احتياطا للمجاعات ، وقد اشتدت الحاجة الى التخزين بعد التحول الى زراعة القطن والغلة النسبية لمساحة الارض المخصصة للغلات الغذائية ، الا أن أهم مستهلك للتيار الكهربائى فى التخطيط

الصناعى هناك ، هو مصنع لصهر النحاس الذى يستخرج من مناجم كيلمبي فى جبال رونزورى - فى غرب أوغندة - وهذه الصناعة ستكون حجز الزاوية فى تصنيع جنجا وسترتبط بها صناعات كيميائية أخرى . وقد ارتفع عدد سكان جنجا من نحو ثلاثة آلاف فى عام ١٩٣٠ الى ما يقرب من تسعة آلاف عام ١٩٤٨ ، وكانوا فى عام ١٩٥١ نحو ٢١ ألفا ، وتخطيط المدينة موضوع على أساس حد أقصى للسكان قدره ٨٠ ألفا .

وستتمثل الشبكة الكهربائية الى المناطق الصناعية الجديدة فى رونزورى فى الغرب وفى تورورو فى الشرق حيث أمكن العثور على مناجم بها معادن ثمينة جنوب غرب جبل الجون منها البيروكلور وله أهمية استراتيجية فى صناعة المحركات النفثائية ، وهو مصدر هام للفوسفات . وتقوم بدراسة هذا الركاز بعثات تمولها الحكومة والهيئات الاقتصادية الخاصة . وقد استطاع مصنع الاسمنت فى تورورو أن يوفر ١/٣ الاسمنت الذى استخدم فى انشاء السد ، وأن يمد السوق المحلية بما تحتاج اليه من هذه المادة وهناك اتجاه يرمى الى مد الشبكة الكهربائية الى القسم الغربى من

الآسيويين باعتبار أنهم يسيطرون الى حد كبير على صناعة حلج القطن وكثير من الاعمال التجارية .. وحدث صراع في أوغنده بين الأفريقيين والآسيويين . ولكن الخطر الحقيقي أكبر من هذا وأضخم .. فهو يكمن في النفوذ الاستعماري الذي صنع هذا الاقتصاد الجديد .. وبالرغم من فوائده التي يعود بعضها على الأفريقيين فإن مفاتيح لاتزال بين الإدارة الاستعمارية، وعن طريقها يتدفق الخبراء وتأتي رؤوس الاموال من وراء انبحار لتعمل في موارد الثروات المعدنية الجديدة . ان أوغنده في حاجة الى اقتصاد متوازن لا تسيطر عليه غلة واحدة ، ولا يسيطر عليه مستعمر دخيل .. وتطور الحوادث في افريقية يضعف من نفوذ الاستعمار يوما بعد يوم . فهو في قارتنا الآن لا يكسب أي أرض جديدة ، بل لا يستطيع المحافظة على ماتحت يده من أرض ، وظلاله الباهتة آخذة في انقراض مع ارتفاع شمس الحرية الافريقية .

بعض المراجع :

Hailey (1957), An African Survey.

Ingham (1958), The Making of Modern Uganda.

Mac Master (April 1955). Some effects of the Owen Falls Scheme, Uganda, Geography, Vol 40, part 2, pp. 123 - 126.

Matheson & Bovill (1950), East African Agriculture.

Mukherjee (1956), The Problem of Uganda.

Thomas & Scott (1949), Uganda.

Tóthill (1940), Agriculture in Uganda.

كينيا والى خدمة نيروبي - عاصمة كينيا - . ويمكن القول بأن كل قوة الكهرباء المولدة يمكن استهلاكها في أعمال التوسع في التعدين وما يرتبط به من توسع مديني . ومما تجدر الإشارة اليه أيضا أن أوغنده في عام ١٩٥٦ مدت الخط الحديدي غربا حتى وصل الى كاسسي في منطقته رونزوري لخدمة مناجم النحاس فيها .

ولم يكن من المستطاع - قانونا - انشاء السد دون موافقة الجمهورية العربية المتحدة بنص اتفاقية ١٩٢٩ ومع ان تأثير الخزان محدود على زيادة المياه الممكن وصولها الى السودان واقليم مصر ، الا أن ضبط النهر عند منبعه سيساعد على انشاء الاعمال التالية في مشروعات النيل . وتدفع مصر القيمة الاضافية لرفع السد مترا واحدا حتى يمكن توفير مياه اضافية في البحيرة ، وتعويض الاوغنده مقابل تخفيض القوة الكهربائية المولدة كما انها تتحمل أيضا نفقات تعويض من يسكنون أي أرض سيغمرها الماء من شواطئ البحيرة نتيجة تنفيذ المشروع ، وفيما عدا هذا لا تساهم مصر في نفقات السد .

ولاشك في أن هذه التنمية الاقتصادية في أوغنده تكون مصدر خير كبير لو كانت تسيطر عليها أيد افريقية .. ولكن يبدو من العرض السابق أن خطوط المواصلات الجديدة تخدم أساسا أهداف التعدين كما خدمت الخطوط السابقة أهداف زراعة القطن ، وأن تحكم الادارة الاستعمارية في لتعدين لا يقل قوة عن تحكمها في السيطرة على القطن .

وقد بدأ الأفريقيون في أوغنده يحسون هذا الضغط الاقتصادي ، وحاولت الادارة الاستعمارية تحويل الطاقة الافريقية الى صراع مع

العروبة .. في شرق أفريقيا

للدكتور ابراهيم أحمد العدوى

السلع ، وتساعد على خلق مراكز العمران يجتمع حولها السكان المحليون ، فيرجع الى أولئك التجار العرب الذين وفدوا من اليمن اختيار الموقع الذي عرف باسم زنجبار ، والذي صار مركزا يصل الساحل الشرقي بهضبة البحيرات في قلب القارة الأفريقية .

ثم زادت تلك الاتصالات التجارية والعمرانية بين الساحل الشرقي لأفريقية وبلاد اليمن بعد ظهور الاسلام وتأسيس الدولة الإسلامية الكبرى ، ذلك أن العرب انتقلوا الى الساحل الأفريقي ليس لأعمال التجارة فحسب ، وإنما لنشر الدين الإسلامي كذلك ، ومن ثم ظهرت قواعد عربية أخرى كثيرة في مقدشو وممبسة وكلوة ، وانتشرت في أرجاء كثيرة في أقصى جنوب الساحل الشرقي حتى سفالة ، واتصف مؤسسو تلك القواعد الأفريقية بالأصل العريق ، والتمسك بالتقى والصلاح ، اذ ينتسب معظمهم الى بيت علي بن أبي طالب ، الذي اتخذ من بلاد اليمن مقرا لدعوته الى الخلافة ، ونشر حركته في سائر الاقطار الإسلامية .

ولم تلبث مظاهر العمران وأسباب الحضارة أن بدأت تسود تلك القواعد العربية الأفريقية ، وكذلك سائر الجهات الأفريقية المحيطة بها ، ذلك أن العرب المسلمين لم يقتصروا على الاشتغال بالتجارة ، وإنما أدى اتصالهم بالسكان المحليين وأخذوا يلقنونهم تعاليم الاسلام، مع اشتغالهم

أشرقت شمس العروبة منذ عصر مبكر على شرق أفريقيا ، وغدت بدفئها بضع قواعد كبرى ، صارت بدورها مراكز اشعاع للحضارة العربية في قارة أفريقيا ، ومساعدة أهلها على السير في ركب التقدم وخدمة الإنسانية . وكان للموقع الجغرافي أثر كبير في جعل الساحل الشرقي لأفريقية أحد الابواب الرئيسية الذي وصل القارة الأفريقية بالينبوع الاول للعروبة وأهلها ، اذ يقترب هذا الساحل الشرقي من بلاد اليمن مهد الحضارة العريقة التي عرفها العرب قبل الاسلام ، وقامت بينهما علاقات وثيقة رائدها المنفعة المتبادلة وخدمة الحضارة العالمية . فاشتهرت بلاد اليمن في العصر الجاهلي برواج متاجرها ونشاط أهلها في نقل متاجر البلاد القريبة منها والبعيدة كذلك ، بحيث صارت تتحكم في الميزان التجاري العالمي في تلك العصور القديمة .

ووصل تجار عرب اليمن قبل الاسلام الى الساحل الشرقي لأفريقية، يحملون منتجاته من المساج والذهب وغيرهما من السلع ، وذلك في مقابل ما يعطونه للسكان المحليين من صادرات الشرق الأقصى من التوابل والعطور ، وصناعات الشرق الأدنى من الاقمشة وأنواع الثياب المتعددة . غير أن عرب اليمن لم يقتصروا على القيام بالوساطة في نقل المتاجر فحسب ، وإنما دأبوا بفطرتهم السليمة على اختيار قواعد على الساحل الشرقي تصلح لتخزين

بأعمال أخرى مما تقتضيه حاجات الاستقرار ، فاشتغل العرب بالزراعة ، وعلّموا تلك الحرقة لجيرانهم من أهل البلاد ، مما كسب تلك الجهات الأفريقية نضرة وجمالا ، ففرس العرب هناك أشجار الكوكو ، وعددا لا يحصى من الأشجار التي جلبوها من بلاد اليمن ، وغير ذلك من الأشجار التي أعجب بها التجار في الشرق الأقصى مثل المانجو والرمان والأترج ، كما أدخلوا زراعة قصب السكر والقطن واسمسم الهندي والبهارات والارز ، وذلك فضلا عن حيوانات جديدة جلبوها لتنمية الثروة الحيوانية في تلك الجهات الأفريقية .

وكانت مقدشو عنوانا على هذا التطور الجديد الذي أدخله العرب على أفريقية الشرقية ، التي تعتبر الآن عاصمة الصومال الإيطالي في مطالع العصر الحديث ، فقد امتزج العرب بالسكان الأصليين ، وصاروا قوة سياسية لها أهميتها في العمل لخدمة تلك البلاد ، والدفاع عنها ضد أية أخطار تستهدف لها من الخارج . وفي النصف الثاني من القرن الثالث عشر أسس أبو بكر بن فخر الدين سلطنة وراثية في مقدشو بمساعدة أقوى العشائر العربية الصومالية ، وهي عشائر المقرى ، التي تربط نسبها بقحطان . وفي سنة ١٣٣١ م زار الرحالة العربي المغربي ابن بطوطة الساحل الشرقي لأفريقية ، وخلف لنا أوصافا دقيقة ورائعة عن ازدهار قواعد العروبة فيه ، والروابط الوثيقة التي قامت بين تلك الجهات الأفريقية وغيرها من أرجاء العالم العربي سواء في ميدان التجارة أو العلم .

ووصف ابن بطوطة مقدشو بأنها مدينة متناهية في الكبر ، وأهلها لهم جمال كثيرة ينحرون منها . وكان سلطانها في ذلك الوقت هو أبو بكر ابن الشيخ عمر ، وهو من أسرة فخر

الدين الذي أسس تلك السلطنة ، ويعرف إلى جانب لغة الأهل المحليين اللسان العربي . ولما سرت في مقدشو أنباء وصول ابن بطوطة هرع لاستقباله نيابة عن السلطان القاضي ابن البرهان الذي كان من أصل مسرى ، مما يكشف عن قوة الروابط العربية بين أفريقية الشرقية ومركز العروبة في مصر كذلك ، ثم أشاد ابن بطوطة أيضا بالصلوات التجارية بين تلك الجهات ومصر بذكر انتشار المنسوجات والملابس المصرية بين أهاليها ، ذلك أن سلطان مقدشو بعث لابن بطوطة بكسوة كانت عبارة عن فوطه خز يشدها الإنسان في وسطه عوض السراويل لأنهم كانوا لا يعرفونها وكذلك « دراعة من المقطع المصري معلمة وفرجية من القديسي المبطن وعمامة مصرية معلمة » وحرص سلطان مقدشو على دعوة ابن بطوطة للخروج معه في صلاة الجمعة والترحيب به باللغة العربية حيث يقول له : « قدمت خير مقدم وشرفت بلادنا وأنستنا » .

ووصف ابن بطوطة كذلك مظاهر العمران التي سادت سائر القواعد العربية الأخرى بالساحل الشرقي لأفريقية ، وكثرة تردد كبار الشخصيات العربية من بلاد العرب على تلك القواعد ، فبعد انتهاء زيارته لمقدشو سار متوجها إلى مدينة كلوة ، التي ينسب تأسيسها إلى أحد أحفاد علي بن أبي طالب ويدعى زيدا . وقال عن كلوة أنها مدينة عظيمة ساحلية ، ومن أعظم المدن وأتقنها عمارة وكلها بالحشب ، وهي على اتصال بمدينة سفالة التي تعتبر مخزنا للتبر . وشاهد ابن بطوطة عند سلطان كلوة بعض الشرفاء العرب الذين قصدوا إليه من العراق والحجاز ، وعدد منهم بعض الأسماء الكبرى ، وأشاد بترحيب السلطان لهم ، ورعايته لغيرهم من عامة العرب الذين وفدوا على دياره من بلاد اليمن .

وظل تيار العروبة يتدفق على شرق افريقية ، ويربطه بسائر الحركات سواء أكانت دينية أم ثقافية مما تمتلئ به أرجاء العالم كله ، فانتشرت الطرق الصوفية التي عرفتها البلاد العربية في شرق افريقية ، وفيها الطريقة القادرية التي ينتمى اليها أهالي الصومال وهي تنتسب الى عبدالقادر الجيلاني ، وتميزت تلك الطائفة بأنها من أقدم الطرق الصوفية التي دخلت شرق افريقية وأكثرها ثقافة وتمدنا . فاشتهر أفرادها بالاشتغال بمهنة التدريس ونشر نور الثقافة العربية بين أهالي الصومال . وانتشرت الى جانب القادرية طائفة الاحمدية نسبة الى الزعيم الصوفي احمد بن ادريس الذي توفي بالعسير في النصف الاول من القرن التاسع عشر ، والصالحية ، وهم فرع نشأ أخيراً من الاحمدية ، أسسها محمد صالح ، الذي أقام بمكة .

وكان لانتشار الطوائف الصوفية والتنافس فيما بينها على نشر تعاليمها أثر كبير في قيام نهضة ثقافية عربية في شرق افريقية ، تركزت بصفة خاصة في بلاد الصومال ، فألف علماء الصومال باللغة العربية كتباً ورسائل ونظموا القصائد باللغة العربية ، وأكثرها في المسائل الصوفية . ومن تلك الرسائل المجموعة التي جمعها الشيخ عبد الله بن يوسف أحد أهالي شيخخال ، وطبعها في القاهرة وعنوانها « نصر المؤمنين على المردة الملحدين » . ومن القصائد العربية الديوان الذي جمعه قاسم بن محيي الدين أحد أهالي براوة لعدة من شعراء الصومال ، وفي هذا الديوان قصيدتان من نظم الشيخ ادريس محمد البراوي وقد عثر على مخطوط في براوة يشتمل على همزية البوصيري مترجمة الى الشعر السواحلي مما يدل على انتشار الآراء والثقافة العربية الى سائر السكان .

وقد استرعى نظر الاوربيين معالم تلك الحضارة العربية التي انبعثت من القواعد العربية الكبرى على الساحل الشرقي لافريقية ، وأشادوا بآثارها في تلك البلاد من الناحية الاجتماعية والثقافية . وقد وصفها أحد العلماء الامان الذين درسوا مناطق شرق افريقية في مطالع الاستعمار الاوروبي بقوله : « ان أهالي البلاد اختلطوا بالعرب منذ الف سنة ، وصورهم جميلة وتقاطيعهم لطيفة ، وهم أهل نظافة ينظفون أسنانهم ويغتسلون دائماً ، ولا يستعملون الوشم مثل الزنوج . . ومن عاداتهم لبس البياض ، ويجعلون على رؤوسهم كمة بيضاء ان لم يلبسوا الطربوش الاحمر ، ونساءؤهم يأتزن بشيء اسمه (الشقة) يغطي الجسم ، ويجعلون على الاكتاف شيئاً اسمه (كسونو) . . وعند السكان أدب وكياسة ، ومن صفاتهم حسن المعاشرة وقرب اللفة ، وسرعة العاطفة ، والبر بالأهل والحنو على الاولاد ، وهم يحبون السكنى بعضهم بقرب بعض ، ومنزلهم في غاية النظافة ، بل الشوارع التي بين بيوتهم نظيفة ، ويبنون بيوتهم صفوفاً ، ويغرسون أمامها صنوفاً من الاشجار الكبيرة مثل الكوكو . وبالأجمال فتلك الامة من بين الامم الموصوفة بالوداعة ، وأهلها عندهم ميل عظيم الى الطرب ، ويحبون الزفن والغناء ، ويعزفون بالطبول والطناير ، ويقضون أوقاتهم بالسرور . وهذا الوصف الاوروبي الفياض يدل بوضوح على أن ما يتحلى به أهل شرق افريقية من خصال ، إنما هي خصال العروبة الحققة ، وأنهم شعب جدير بأن يتبوا مكانة عالية بين مجموعة الامم العالمية المتحضرة . وكشف سكان شرق افريقية وعلى رأسهم أهالي الصومال عن تأصل روح العروبة فيهم ، وما تتسم به من عشق للحرية واستماتة في الدفاع عنها في قيام حركات كثيرة

ومتصلة ضد الاستعمار الاوروبى على اختلاف أنواعه ، والذي بدأت طلائعه في زحف البرتغاليين أولا ، ثم الفرنسيين والانجليز والامان والايطاليين على تلك الجهات الافريقية ، فحملت قواعد العروبة بشرق افريقية لواء الدفاع عن حرية هذه البقاع من القارة الافريقية ضد البرتغاليين مدى مائة وخمسين عاما . ولم يكلل هذا الجهاد العربى الافريقى بالنجاح ، لان الاستعمار الاوروبى قد تكثف في مطالع العصور الحديثة على شل حركة العالم العربى كله ، ومنع التعاون بين سائر أفراد أهله .

ولكن تيار العروبة لا يعرف الركود فظلت الاتصالات العربية قائمة بين شرق افريقية وغيرها من أرجاء العالم العربى ، كما شد من أزر الحركات التحررية فى شرق افريقية انتشار الوعي العربى ، والعمل على توثيق أواصر الروابط مع الامة العربية الناهضة . واتخذ الوعي العربى الافريقى الحديث مظهرا يمكن أن نسميه « حركة التعريب » ، وقوامها الاعتزاز بالاصل العربى ، لانه الرباط الذى يجمع بين سائر أبناء الامة العربية وتجلت « حركة التعريب » فى الاساطير التى رواها السكان ، ولا سيما أهل الصومال ، عن أنهم من نسل عقيل بن أبى طالب عم النبى الكريم ، أى أنهم امتداد للدوحة الهاشمية ، أكرم دوحات

العرب . وأعلن عن حركة التعريب الجديدة بشرق افريقية محمد بن عبد الله الملقب بمهدى الصومال (١٨٦٠ - ١٩٢٠ م) . فهو ينتمى الى قبيلة صومالية ، امتزجت بأصول عربية ، وصار يحلو له أن يلقب نفسه بالهاشمى أى يريد العودة الى الاصل العربى الذى يضم كل السلالة العربية ، وامتدادها فى سائر العالم العربى . وقد رسم هذا الزعيم العربى الافريقى خطة لخلق وحدة بين جيرانه ممن تجمعهم رابطة النسب والدين ، حيث قال ان أعز أمانيه : أن يفرش سجادة صلاة على هذا البحر لتؤلف بين المسلمين وتوآخى بينهم ، ولم يكن هذا البحر الا الوسيلة التى ربطت منذ القدم بين اليمن وشرق افريقية . وقد اجتمع حول مهدي الصومال خلق كثير ، وأخذ يشن حربا على المستعمرين الاوروبيين الذين احتلوا بلاده ، ولكن الانجليز الذين انفردوا بالسيطرة على شرق افريقية ضيقوا عليه الخناق شأنهم فى وأد كل حركة تحرر فى العالم العربى ، ولكن لا بد من انتصار العروبة ، وعندئذ يتحقق المثل العربى القديم الذى يقول ان أية حركة تقوم فى شرق افريقية لا بد أن يهتز لها قلب تلك القارة ، أو كما عبر العرب أنفسهم عن ذلك المثل بقولهم : « عندما تزمز في زنبار ترقص كل افريقية الى البحيرات الكبرى » .



في غرف أفريقية ، الا أن سيكوتوري
أسرع في ذلك الوقت ، وأعلن ادراكه
لهذه الحقيقة ولكنه قال : « اننا
نفضل الحرية مع الفقر ، على الرخاء
مع العبودية ! » . ومع ذلك فليس
من المتوقع بسهولة أن تعاني غينيا
كثيرا من الفقر . وهي تتمتع
بإمكانيات اقتصادية طيبة ، وانما
الذي تعانيه الآن هو سوء استغلال
السلطات الأجنبية لهذه الإمكانيات ،
كما سنرى بعد .

ونظرة عامة الى اقتصادياتها
ستتغير ولا شك من وجهة نظر
المتخوفين :

يبلغ عدد السكان في غينيا حوالى
٢٥ مليون نسمة ، وهم يزيدون
كل عام بنسبة ٢٥ / ٠ . وهي نسبة
مرتفعة بلا شك ، ولكنها ستفيد
البلاد حين تكون مقدراتها في أيدي
أبنائها . كما ان المعيب الآن أن ٩٥ ٪
من أهلها يشتغلون بالزراعة ، لان
المناجم الهامة التي يستخرج منها
الحديد والبوكسيت لا يعمل بها غير
٥ آلاف عامل ، ولا يتوقع زيادتهم
بتوسع عمليات التعدين الا الى ٧
آلاف عامل ، وأن الحكم الوطنى الذى
أعلن حديثا عن اتجاهه الاشتراكى،
سيعمل بالطبع على ادخال الايدي
العاملة الوطنية في كل العمليات
الانتاجية التي يحرم من العمل بها
بها الأفريقيون في كل المستعمرات .

ويبلغ انتاج البلاد الزراعى من
الموز والبن ، وانتاجها المعدنى من
الحديد والبوكسيت (الألمنيوم)
حوالى ثلاثة أرباع صادرات غينيا .

وقد كان انتاج هذه المواد في
السنوات الاخيرة على هذا النحو
سنويا : حوالى ٨٠ ألف طن من الموز
على مساحة قدرها ١٠ آلاف فدان
في شمال غرب غينيا . أما البن فيوجد
في منطقة المرتفعات الداخلية ، وينتج

في ٣٠ من سبتمبر سنة ١٩٥٨
فوجيء العالم باعلان غينيا لاستقلالها،
بعد الخطة الدقيقة التي رسمها
الزعيم الشاب سيكوتوري لتخليص
غينيا من دستور ديجول اللعين .
وقد كانت هذه المأجاة سببا في اعلان
كثير من الجهات المسؤولة تخوفها
على غينيا من الانهيار . والذين أعلنوا
ذلك كانوا يعرفون مدى سيطرة
الفرنسيين على أبسط الاشكال الادارية
والتنظيمية ، وان كان يمكن تلافى
ذلك بسرعة ، فماذا ستفعل غينيا في
اقتصادها الذي كان الفرنسيون
يسيطرون عليه كذلك ، سيطرة
أدت الى انهيار الاقتصاد الفرنسى
نفسه ، فضلا عن انهيار الاقتصاد
في مستعمراتها ؟ ولكن بعض الصحف
الفرنسية راحت تقول : « ان تخلى
فرنسا عن غينيا يضع سيكوتوري
في حرج خطير » . لقد كانت فرنسا
تمد غينيا باثنى عشر مليوناً من
الدولارات كل عام فحسب - وذلك
من وقت قريب - وهي تظن أن
حرمانها من هذه المعونة سيضعف
غينيا كثيرا ، وهي تود أن يحدث
ذلك فعلا حتى تكون مثالا يهدد به
بقية المستعمرات الفرنسية المجاورة

حوالى ١٠ آلاف طن . ويبلغ الحديد الخام بها ، وخاصة في منطقة كالوم ، حوالى ٢ مليون طن . أما البوكسيت فتنتج منه غينيا سنويا الآن ٥٠٠ ألف طن ، وخاصة في بوكي ودابولا وكنديا قرب الساحل الشمالى الغربى .

وسترى بعد قليل أن معظم هذه الكميات يصدر الى الخارج لفائدة السوق الاجنبية . أما الارز الذى يعتبر هناك الآن غذاء رئيسيا ، فان ما تنتجه البلاد منه لا يكفي الاهالى بحال ، وتضطر الى استيراده من السنغال والبلاد الاخرى المجاورة بمقدار ١٠ آلاف طن سنويا تقريبا .

ولم تعمل فرنسا يوما على تحسين زراعته في الوديان التى يوجد فيها « ذلك أن مجموع ما أنفقته فرنسا على - مستعمرة غينيا - في السنوات الثلاث الاخيرة لم يزد على ٢٧ مليون دولار ، منها ٩ ملايين فقط للقطاع الاقتصادى كله ، و ٦ ملايين اخرى للمشروعات الخاصة بالفرنسيين هناك ، والباقى على الادارة والقوة العسكرية » (مجلة أفريكا - تقرير خاص - عدد ١١ نوفمبر سنة ١٩٥٨) .

ويقوم على عمليات التعدين في غينيا شركات ليست فرنسية خالصة ، وان كان رأس المال الفرنسى يتركز في استغلال الحديد والماس وتساعد الحكومة في ذلك بوجه خاص ، فان هناك شركتين كبيرتين لاستغلال البوكسيت - الذى يعد الثروة المعنوية الرئيسية ذات المستقبل . أولاهما Bauxite du Midi Company « شركة بوكسيت ميدي » ، وهى احدى توكيلات شركة الألمنيوم الكندية وهى تضع مبلغ ١١٤ مليون دولار لمشروع تنمية البوكسيت حتى سنة ١٩٦٢ وذلك لترفع انتاجه في مشروعها

شمال غرب غينيا الى ما يقدر بـ ١٧٥ مليون دولار سنويا . في حين أنه الآن لا يزيد على مليونى دولار . والشركة الثانية هى شركة Fria وتشترك فيها رعوس الاموال الامريكية بـ ٥٠٪ . ولشركة الألمنيوم البريطانية ١٧٪ منه . أما رعوس الاموال الفرنسية فلا تزيد على ٢٣٪ لشركة « بشيتى وبوجينى » و ١٠٪ للشركة الصناعية السويسرية . وستستثمر هذه الشركة ١٢٥ مليون دولار لتنمية انتاجها في منطقة « فريا » وسط غينيا .

والآن علينا ان نبرز جانبا هاما من اقتصاد غينيا في حركته الديناميكية فنعرض لحساب الصادرات والواردات والميزان التجارى ، حتى نرى ما لغينيا وما عليها . على أننا لابد أن نلاحظ في الجداول والارقام :

أولا : ان الميزان التجارى ليس فى صالح غينيا حتى الآن ، وانها تبدو ضعيفة مهلهلة اقتصاديا .

ثانيا : أن هذا الاقتصاد المهلهل ليس من طبيعة البلاد الانتاجية ، وليس نتيجة توجيه أبناء البلاد لاقتصادياتهم ، فمقدرات الاقتصاد في أيدي أجنبية فرنسية ، وفرنسا نفسها تعاني انهيارا اقتصاديا شنيعا تنعكس حالته على اقتصاديات مستعمراتها ، وخاصة في السنوات الاخيرة التى تستنزف فيها حرب المقاومة جزءا كبيرا من أموال الحكومة الفرنسية .

ثالثا : أن التقدم الكبير في زيادة منتجات غينيا الزراعية والمعدنية ينبىء بالرواج الاقتصادى بعد أن توجه القوى الوطنية الحاكمة هذا الانتاج .

والجدول الآتى يبين مقدار ما أصدرته غينيا للخارج من أهم حاصلاتها الزراعية والمعدنية (١٩٥٧) ويبلغ

وزن الصادرات كلها ٤٩٠ر١١٥١ طننا . حيث تبلغ بالفرنكات
ر٢٠٠٠ فرنكا . وتوزع كما يلي :

أهم المحصولات	الحمولة بالطن	بالنسبة للمجموع	القيمة بمليون الفرنكات	بالنسبة للمجموع
الموز	٧٣١١٨	٤ر٨٣	١ر٠٥٨	٢٠ر٦٦
البن	٩ر٦٦٠	٠ر٦٣	١ر٤٤٤	٢٨ر١٩
بالميتس	٢٠ر٥٤٣	١ر٣٥	٥٠٠	٩ر٧٦
الماس	٨٠ر٠٠٠	٥٢ر٠٠٠٠٠٠٠	٢٥١	٤ر٩٠
خام الحديد	١٠ر١٩٠٠٠	٥٥ر٠٩	٧٧٣	١٥ر٠٩
الالمنيوم	٣٧٥ر٠٠٠	٢٤ر٨٠	٤٠٨	٧ر٩٦

ومن ذلك نرى أن الحاصلات الزراعية تشغل جزءا كبيرا من صادراتها ، إذ تبلغ حوالى ٦٥ ٪ من مجموع الصادرات ، على حين تبلغ الصادرات المعدنية حوالى ٣٠ ٪ فقط .
 وقد قلنا أنه بالرغم من ذلك فإن غينيا تستورد غذاءها الرئيسى وهو الارز من الخارج ومن المستعمرات المجاورة .
 ولقد جعلت أعمال التنقيب عن المعادن التى تتولاها شركات أجنبية مختلفة على ما بينا الانتاج المعدنى يفوق فى درجة ازدياده كثيرا الانتاج الزراعى . ونظرة الى الجدول الآتى تبين كيف تتقدم غينيا فى هذا الصدد تقديما كبيرا ، سيكون فى صالحها حين تتولى السلطة الوطنية توجيه الاقتصاد القومى .

جدول تطور الصادرات الرئيسية (مقدره بالطن)

السنة	البن	الموز	بالميتس	الحديد	البوكسيت
١٩٣٨	٢٨١	٥٢ر٨٥٦	١٨ر٩٤٧	—	—
١٩٥٢	٦ر٧٢٠	٦١ر٩٠٠	١٩ر٤٠٠	—	٥٩ر٢٨٤
١٩٥٣	٥ر١١٢	٧١ر٨٠٠	٢٦ر٨٠٠	٣٥٢ر٠٠٠	٣٧٥ر٧٠٠
١٩٥٤	٦ر٠٦٣	٨٣ر٨٠٠	٢٤ر١٠٠	٥٩٤ر٠٠٠	٤٦٧ر٠٠٠
١٩٥٥	٩ر٣١٠	٩٨ر٠٠٠	٢١ر٣٠١	٦٧٨ر٠٠٠	٤٤٩ر٠٠٠
١٩٥٦	١١ر٠٦٤	٩١ر٠٦٠	٢١ر٨٧٨	٨٣٢ر٧١٢	٤٥٧ر٠٦٣
١٩٥٧	٩ر٦٦٠	٧٣ر١١٨	٢٠ر٥٤٣	١٠ر١٩٠٠٠	٣٧٥ر٠٠٠

واذا كان يلاحظ أن التقدم الكبير فى الصادرات الزراعية ليس مثل التقدم فى الصادرات المعدنية ، فإن ذلك يرجع الى أن الاولى تديرها الادارة الفرنسية ، وتشرف عليها المشروعات الفرنسية الخاصة ، والثانية تخضع بدورها للقوة الاقتصادية العامة فى فرنسا ، ونحن نعرف ضعفها فى السنين الاخيرة ، كما أن قانون الفسلة لا يجعل التقدم

المنتجات البترولية ٩٥٣ مليون
الاسمنت والجير ١٩٥ »

وقد ذكرنا من قبل ان اقتصاد
غينيا - كاي مستعمرة - يهتز
باهتزاز الحالة الاقتصادية في فرنسا
نفسها ، ويضيف الى ذلك أنه قد
جعل مجال اسواق غينيا مفتوحة
لرؤوس الاموال الاخرى ، سواء
الامريكية أو الانجليزية ، وسواء كان
ذلك في التصدير أو الاستيراد لصالح
الدولة المستغلة ، وذلك مما يجعل
الميزان التجاري لغينيا في عجز دائم ،
كما سنعرض في الجدول التالي .

ولكن من جهة أخرى أريد من القارىء
أن يعرف أن هذا الجدول أصدرته
حكومة اقليم غينيا (أول يناير سنة
١٩٥٨) ويخشى أن تكون الادارة
الفرنسية في ذلك الحين تقصد خداعنا
بالمبالغة في الارقام حتى تبين أن
غينيا في حالة من العجز والاحتياج
لفرنسا دائما . . ولكن على كل حال
فانه لا بد وان يكون هناك عجز وان
اختلف في الدرجة .

الزراعى كبيرا ، لذا نرى أن الزيادة
لا تتجاوز ٥٠ ٪ في الصادرات
الزراعية .

هذا على حين نجد صادرات الحديد
تزيد بنسبة ٣٠٠ ٪ تقريبا وتبلغ
في البوكسيت ٦٠٠ ٪ تقريبا .
ويرجع ذلك في الغالب الى أن الشركات
المستغلة لهذه المعادن أكثرها فرنسية
كما رأينا .

ومع ذلك فان لهذا الجدول نفسه
دلالة هامة أخرى ، هي أن غينيا
تقدمت في ميدان انتاج المعادن خلال
خمس سنوات بنسبة مرتفعة للغاية
تنبئ بامكانيات صناعية طيبة لو
استغلتها أيد أمينة .

وقبل أن نتعرض للميزان التجارى
نعرض لأهم الواردات التى تدخل
غينيا ، وهى كما يلي مقدرة بملايين
الفرنكات C, F, A وذلك في سنة
١٩٥٧ :

الارز ٢٨٣ مليون
الدقيق ٨٨ »
النسيج ١٢١٨ »

جدول الصادرات والواردات للمناطق النقدية المختلفة مقدرا بملايين الفرنكات C, F, A

السنة	المنطقة النقدية	الواردات	الصادرات	الفرق
١٩٥٦	منطقة الفرنك	٥٠٤٩	٣٥٢٧	- ١٥٢٢
	منطقة الاسترليني	٢٥٦	٦٣٧	+ ٣٨١
	منطقة الدولار	٤٣٠	٤٧٣	+ ٤٣
	مناطق أخرى	٩٠٣	٤٣٦	- ٤٦٧
	المجموع	٦٦٣٨	٥٠٧٣	- ١٥٦٥
١٩٥٧	منطقة الفرنك	٦٩٠١	٣٤٧٥	- ٣٤٢٦
	منطقة الاسترليني	٤٥٨	٦٣٦	+ ١٧٨
	منطقة الدولار	٨٦٩	٤٠١	- ٤٦٨
	مناطق أخرى	١٠٢٢	٦٠٩	- ٤١٣
	المجموع	٩٢٥٠	٥١٢١	- ٤١٢٩

ومن هذا الجدول نرى كيف أن غينيا أغرقت خلال عام واحد بهذا الفارق الكبير بين الصادر والوارد، كما يلاحظ أن الدولارات الأمريكية بدأت تتضاعف في غزو سوق الخامات . وكذلك الاسترليني في هذه المنطقة . وترجع مجلة « أفريكا » الأمريكية هذا العجز جزئيا « إلى كثرة واردات فرنسا من الكماليات ، وإلى أن ما تنفقه على غينيا لا ينفق على الضروريات مثل الارز الذي تضطر غينيا إلى استيراده ، وإنما ينفق على الادارات الفرنسية والاستعدادات العسكرية » (عدد ١١ نوفمبر سنة ١٩٥٨) .

هذا وقد قامت علاقات اقتصادية بين غينيا والسنغال تنبىء بنمو العلاقة بين دول غرب أفريقيا ، بحيث أنها لو استقلت أمكن أن يؤدي اتحاد الدول الأفريقية إلى تكامل الاقتصاد الأفريقي . فغينيا تستورد من السنغال مثلاً: ٦٩٥ طناً من الارز و ٨٣٤٨ طناً من الدقيق و ٤٥٩ طناً من الاسمنت و ١٤٨٩ طناً من المنتجات البترولية ونحن نعرف أن هذه هي المواد الأساسية في مستوردات غينيا . وليست علاقتها بالدول الأفريقية وحدها من عوامل اعتدال ميزانها التجاري وإنما هناك عدة مشروعات أخرى بالرغم من أنها في أيدي أجنبية إلا أنها يمكن أن تساهم في تقدم غينيا،

من هذه المشروعات مثلاً :
١ - مشروع بناء سد على نهر كوناكري
٢ - مشروع توليد الكهرباء وكانت فرنسا قد طلبت من البنك الدولي تغطية نفقات المشروع ، وزارت بعثة من البنك غينيا لهذا الغرض في ربيع سنة ١٩٥٨ . ولا شك أن هذين المشروعين سيفيدان الزراعة والصناعة على حد سواء .

كما أن هناك مشروع الألمنيوم الذي سيستثمر فيه على الأقل ٢٢٢ مليون دولار تساهم فيه شركة فريا وميدى ورعوس أموال ايطالية وألمانية ، لخلق شركة جديدة تسمى « شركة الألمنيوم الأفريقي » « Afréel » لتنفيذ آخر مشروعات « البوكسيت » في غينيا . وهدفها أن تجعل انتاج الألمنيوم يصل إلى ١٥٠ ألف طن في العام .

هذا وتحاول غينيا الآن أن تدعم اقتصادها وميزانيتها تارة عن طريق تنمية هذه المشروعات ، وتارة أخرى عن طريق عقد اتفاقات اقتصادية خارجية مثل الاتفاقيات الأخيرة مع الاتحاد السوفيتي ، وتارة ثالثة عن طريق التعاون الأخوى مع غانا ، الذي انتهى بإعلان الاتحاد بينهما بعد أن قدم نكروما ١٠ مليون دولارا لغينيا فور إعلان استقلالها ، والأمل معقود في أن تحقق غينيا استقرارها الاقتصادي في أقرب وقت ممكن .

التوسع الإيطالي في شرق إفريقيا

للدكتور جلال يحيى

(١)

الى عدم التفكير فى هذا النشاط
الافريقى فترة من الزمن .

ثارت ايطاليا ضد حكم الاجانب فى
بلادها ، وسعت الى تحرير نفسها
وبناء دولة ايطالية ، وأخذ بعض
عناصر الشباب فى البحث عن ميادين
جديدة للعمل ، فاتجهت أنظارها الى
أفريقية التى حدثهم عنها المستكشفون
وأثاروا شغفهم بما رووه من غرائب ،
فرغبوا فى رؤيتها ، والقيام بالمغامرة
فى انماؤها وكانوا من الشباب الذين
لا يملكون شيئا ، ويعرفون انهم لن
يفقدوا شيئا ، وساعد تحسن وسائل
المواصلات البرية والبحرية على
تقريب المسافات البعيدة واغراء
العاطلين على ترك البلاد .

اضطرت الحكومة اذن الى الاهتمام
بالمشروعات الافريقية ، وخصوصا
أنها كانت تفقد عددا كبيرا من مواطنيها
كل عام ، نتيجة لهجرتهم الى أمريكا
اللاتينية بشكل عام والارجنتين
بشكل خاص ، وقد حرمت هذه
الهجرات ايطاليا من عناصر تعد من
بين أكثر أبنائها شجاعة وصحة وحبا
للمخاطرة ، ولم يكن فى مقدور
الايطاليين منافسة الفرنسيين أو
الالمان فى البلاد التى يهاجرون اليها ،
وخصوصا فى الولايات المتحدة ،
فاضطر معظمهم الى قبول الاشتغال
بأعمال لا تحتاج الى مهارة مثل بناء
المنازل ، اذ أن أصحاب رؤوس الاموال

بدأت علاقات ايطاليا مع شرق
السودان عن طريق رجال التبشير
والمستكشفين الجغرافيين ، كما هى
الحال مع بقية الدول الاستعمارية
الآخري فى اتصالها بافريقية . وتعود
اتصالات رجال التبشير الايطاليين مع
وزير خارجية بيدمونت حول هذا
الموضوع الى عام ١٨٥٢ حيث دار
بحث موضوعات متعددة تهم الدولة
وتهم الكنيسة فى نفس الوقت مثل
انشاء مستعمرة للمنفيين وأعمال
السخرة فى تلك المناطق ، تكون
أساسا لانشاء احدى مستعمرات
الدولة ولاستغلال مجهود رجال الدين
والتمهيد لخلق حركة تجارية يفيد
منها الايطاليون .

فكرت حكومة بيدمونت سنة ١٨٥٧
فى عقد معاهدة مع بعض رؤوس
ورؤساء الاحباش ، وشجع ماسايا
هذا المشروع ، وأبلغ وزير خارجية
تورين رغبة نجوسى ، ورأس تجره،
التنازل عن جزء من ساحل البحر
الاحمر بين زولع وحنفيلة لحكومة
سردينيا ، وذلك لانشاء مستعمرة ،
فى نظير بعض المساعدات المادية التى
تعاونه فى حربه ضد الامبراطور
تيودور ، وفكر الاب ستيل فى انشاء
مستعمرة صغيرة لسردينيا فى اقليم
البوغوص ، ووصلت هذه المراسلات
الى تورين فى عام ١٨٥٩ ، ولكن
الاحداث السياسية التى اجتاحت
ايطاليا فى هذه الفترة اضطرت الحكومة

كانوا يفضلون المهاجرين الانجلو سكسون على المهاجرين من العنصر اللاتيني في العمل في المصانع وأمام الآلات .

بدأ الرأي العام الإيطالي يفكر في تحسين حالة الإيطاليين المهاجرين ، وأخذ يطالب الحكومة بالاستفادة من الموجة التي سادت أوروبا لتقسيم افريقية ، وذلك للحصول على مستعمرات تساعد في التنفيس عن زيادة السكان في شبه الجزيرة، وعلى أراض أفريقية تضعها الحكومة تحت سلطتها المباشرة ، ويستطيع فيها الإيطاليون ان يعملوا ويستغلوا ويربحوا ، تحت حماية علم دولتهم وجنود الحكومة .

ثم بدأ رجال الاعمال الإيطاليون يؤيدون هذا الاتجاه ، ويحاولون استغلاله لمصلحتهم ، فكروا في الاستعانة بالأيدي العاملة الإيطالية في الحصول على المواد الخام من افريقية ، وفي استغلال المستعمرات الإيطالية في توزيع تجارتهم ومصنوعاتهم . وكان وجود العلم الإيطالي على جزء من القارة الافريقية يضمن لهم حماية رؤوس أموالهم أمام الأهالي الافريقيين، وأمام نشاط الدول الاستعمارية الاخرى ومنافستها .

واستندت هذه الحركة الى نشاط المستكشفين الإيطاليين في افريقية . ثم أخذت غرفة جنوا التجارية تطالب الحكومة بالاستيلاء على احدى الموانئ الافريقية ، حتى يتمكن الإيطاليون من العمل في ظل حماية دولتهم الرسمية . . وبعد تأسيس الجمعية الجغرافية الإيطالية ، وجمعيات الدراسات الجغرافية والاستعمارية في فلورنسا ، والجمعية الافريقية في نابولي . حاولت ان تسعى في مجموعها الى معرفة أحسن الطرق للتجارة ، وللاستفادة من افريقية .

وشعر الإيطاليون بأن أهمية البحر الاحمر وشرق السودان ستزداد بعد حفر قناة السويس ، فأخذ الامل يراودهم في أن تتمكن بلادهم من ان تلعب دورا دوليا هاما نتيجة لموقعها الجغرافي الممتاز ، وخصوصا اذا ما أصبحت مركزا تجاريا للحركة بين أوروبا والشرق . واذا كان مشروع انشاء مستعمرة للمجرمين ، قد فشل في عام ١٨٥٩ فان ذلك لم يشبط من عزائم الإيطاليين أو يمنعهم من اعداد مشروعات جديدة أكثر جرأة .

كان الاب **سابيتو** من رجال التبشير الذين عاشوا في منطقة شرق السودان ، ودرسوا سواحل البحر الاحمر وأقاليم تجرة وبوغوص ، وعرفوا ما يمكن ان تستفيد به بلادهم من هذه المناطق . وأصبح أمله الاكبر ان تنجح إيطاليا في الاستيلاء على ميناء في البحر الاحمر فاتصل برجل الاعمال **روباتينو** ، وبدأ هذا الاخير يدرس الامكانيات الجديدة التي ستترتب على حفر قناة السويس ، وعرض تقاريره على الغرفة التجارية في جنوا واقترح اقامة محطة بحرية في عصب تقوم باستغلال هذه المنطقة وتزود السفن بما يلزمها من وقود ومياه ولحوم وخضراوات في أثناء رحلتها بين جنوا والهند . وأراد روباتينو بطبيعة الحال أن يتشبه بهرسا التي اشترك أبوك في عام ١٨٦٢ . وكان هذا هو الاساس الذي دعا الغرفة التجارية الإيطالية الى اقتراح انشاء وكالة تجارية في احدى موانئ البحر الاحمر لخدمة السفن المسافرة الى الهند . وشرح روباتينو لوزير البحرية الإيطالية ضرورة انشاء خط ملاحه جديد يصل إيطاليا بمصر يبدأ من جنوا وينتهي عند الاسكندرية انتظارا لمده حتى الهند عبر قناة

السويس .

وفي أثناء ذلك الوقت تم وصل البحر الأبيض بالبحر الأحمر بالقناة الجديدة فتبلورت أفكار الرأي العام تجاه شرق السودان بعد أن كانت مجرد أمانى غير محدودة ، ساعد على اظهارها حملة انجلترا ضد تيودور ملك الحبشة وحاجة ايطاليا الى اعطاء فرص جديدة لابنائها ورغبتها في التشبه بالدول العظمى .

وافقت الحكومة الايطالية على اقتراح روباتينو ، وأعطته اعانة تبلغ بضعة ملايين من الفرنكات مساعدة له على شراء السفن اللازمة للملاحة في البحر الأحمر . وفي أثناء ذلك الوقت أخذ سابيتو يفاوض الشيوخ المحليين على سواحل البحر لشراء الارض اللازمة لايطاليا .

اشترى سابيتو في نوفمبر سنة ١٨٦٩ قطعة من الارض من بعض الشيوخ المحليين ودفع (العربون) ووقع على عقد ابتدائي باسمه الشخصى ثم حضر الى ايطاليا وتحادث مع منابريا ، وعاد ثانية الى شرق السودان بصفته وكيل لشركة روباتينو ، وأسرع في اتمام عملية الشراء . تمت هذه العملية في خلال شهر مارس سنة ١٨٧٠ ، ثم قام سابيتو بزيارة برهان شيخ رهيفة الذى وصفه بأنه « سلطان » ، ولم يكن برهان فى حقيقة الامر الا « شيخ ناحية » يخضع لنائب أو عمدة عيد فى قائممقامية أو محافظة مصوع التى تديرها مصر تحت ظل السياسة العثمانية ، ولكن الايطاليين أنعموا عليه بلقب السلطنة تمهيدا للاستيلاء على أراضيه ولادعائهم بأنه مستقل وغير خاضع لسيادة « الدولة » . وعلى أية حال فان برهانا لم يقبل بيع الجزر القريبة من الساحل للايطاليين اذ أنه كان يخشى من النتائج

التي ستترتب على مثل هذا البيع ، ولكن سابيتو واصل محاولاته معه بأسلوب هدا من شعوره وجعله يتناسى واجباته ووخز ضميره اذ أنه أخذ يؤكد له انه هو السلطان الفعلى لكل اقليم رهيفة وانه ورث ادارة هذا الاقليم من أسرته . ولقد اشترط برهان نظير بيع الشريط الساحلى والجزر القريبة منه ان يدفع الايطاليون له مبلغ ٦٠٠٠ ريال . وأن يتعهدوا بحمايته من البحر ضد أية عملية تقوم بها سلطات الدولة المصرية تجاهه ، ولكن سابيتو لم يكن يستطيع اعطاء مثل هذا الضمان ، وكان المبلغ الذى طلبه برهان منه يزيد على ال ١٥٠٠٠ ليرة التى زودته بها شركة روباتينو ، فاقترع سابيتو على شرائط بعض الجزر على فترة عشر سنوات تصبح بعدها وعند دفع باقى الثمن ملكا للشركة الايطالية .

وضع سابيتو لافتتين على الساحل عند الحدود الشمالية والجنوبية للأراضي التى اشتراها تحمل هذه العبارة : « ملك لشركة روباتينو - مشتراة فى ١١ من مارس سنة ١٨٧٠ » . ثم عاد بعد ذلك الى ايطاليا .

وهكذا نرى ان مسألة عصب لم تكن الا مجرد عمل أفراد اعتبروها خطوة أولى فى سبيل وضع هذه المنطقة تحت سيادة الدولة الايطالية ، ثم اعتبرت شركة روباتينو الشيوخ المحليين الذين باعوا لها هذه الاراضى على أنهم « كانوا دائما مستقلين » ، وحاولت أن تعطى حقوق ملكيتها للدولة الايطالية ، وأخذ الايطاليون يحمون بازدهار هذا الجزء من الساحل قريبا مع نشاط التجارة مع شرق السودان وهضبة الحبشة .

كانت المسألة فى منتهى الخطورة

بالنسبة للحكومة المصرية اذ أنها كانت تهدد سيادة الدولة وسلامة أراضيها وتفتح باب التلاعب في أراضي الدولة ، فأسرع شريف باشا الى ابلاغ حكومة ايطاليا أن الحكومة الخديوية تعتبر أن أمر التنازل عن أراض واقعة على خليج عصب لصالح شركة روباتينو من بعض المهربان الرحل الذين لا يتمتعون بأى حقوق ملكية على هذه الأراضى وبالتالي لا يمكنهم أن يتصرفوا فيها - يعتبر أمرا غير قانوني ، واتخذت حكومة القاهرة في نفس الوقت الاجراءات الضرورية لتسلاف النتائج التى قد تترتب على هذا العقد المأطل بطبيعته وعلى كل احتلال لها الأمر الذى سيكون في الحقيقة عبارة عن اعتداء على حقوق السيادة الاقليمية . ورأت مصر بوضوح أنه لا يمكن لاحد المشايخ المحليين الذين يعملون في خدمتها ويتقاضون راتباً منها أن يتصرف في هذه السيادة أو حتى في هذه الملكية ، فأصدرت أمراً الى احدى السفن الحربية بالتوجه الى عصب في التو .

قامت سلطات مصر بوضع المصرية بالتحقيق في الامر وكتب شيخ رهيطة - برهان المذكور - خطاباً الى وكيل هذه المحافظة لا يترك أى مجال للشك في اختصاصات هذا الشيخ وساطاته ويشهد بوضوح بتعارضه مع وجهة النظر التى ادعاها الايطاليون في مسألة حقوق السيادة الاقليمية ، ونفى في هذا الخطاب قيام سائيتو بأى شيء أكثر من شراء قطعة أرض بنى عليها أحد الاكشاك الخشبية ثم سفره بعد ذلك قافلاً الى بلاده . فاحتجت مصر في أول يونيو سنة ١٨٧٠ على أعمال الايطاليين ، وشرحت أنه ليس لاي فرد من الرعية أن يتصرف في حقوق الدولة الاقليمية ، وأجابت حكومة فلورنسا على هذا الاحتجاج بأن شراء أراضى عصب لا يهدف الا الى انشاء وكالة تجارية تقوم بها شركة

روباتينو، وأعلنت عن أهلها في أن تبدأ المفاوضات لتسوية مسألة البيع أن كانت هناك ضرورة لذلك .

ولكن الامور بقيت عند هذا الحد وهذا الوضع نتيجة لسكوت وامتناع كل من الحكومتين عن القيام بأى اجراء في هذا الصدد ، ولم تشر المسألة الا في عام ١٨٨٠ . وكان من حق الحكومة المصرية أن تعتقد - في خلال هذه السنوات التسع - أن احتجاجها قد أدى النتيجة المطلوبة وأنه لم يعد هناك أى شك في حقوق سيادة الدولة ، وخصوصاً أنها قد واصلت في أثناء هذه الفترة تعيين شيوخ النواحي على طول الساحل ودفع رواتبهم وارسل سفن من البحرية المصرية لزيارة هذه المناطق ، هذا علاوة على أن المذكرة الايطالية لم تعلن الا عن رغبتها وأملها في بدء المفاوضات لتسوية المسألة دون أن تحدد قيامها هي - كدولة - بهذه المفاوضات ، مما جعل الحكومة المصرية تعتقد برغبتها في تسوية المسألة بين الشركة وبين حكومة القاهرة .

عملت مصر في أثناء هذه الفترة على تنفيذ مشروعاتها الخاصة باقامة دولة افريقية موحدة تمتد من البحر الابيض المتوسط حتى البحيرات العظمى ومن سواحل البحر الاحمر والمحيط الهندي حتى الصحراء الكبرى . وكان من الطبيعي أن تنضم الحبشة نفسها الى هذه الكتلة التى تمكنها من أن تقف نداً منيعاً ضد التوغل الاوروبى في القارة الافريقية، وتساعد على أن يحظى الافريقيون بالمشاركة في نفس الحقوق والواجبات . ولكن اسماعيل أخطأ في مهاجمته للحبشة عسكرياً ، وظهر خطؤه أيضاً حينما عهد بقيادة حملاته العسكرية الى بعض الضباط الاجانب الذين كانوا يعملون في خدمته ، فاحقت الخسائر بالقوات المصرية تحت قيادة منزنجر وقيادة أرندروب ، ولكن اسماعيل

عاود الكرة ، وأرسل جيشاً جديداً الى مصوع سنة ١٨٧٦ ، وكانت هذه الحملة الأخيرة بقيادة الأمير حسن بن الخديوى وصحبه وزير الحربية الذى لم يكن له أى عمل سوى رعاية صحة الأمير فى هذه المناطق الحارة ، وتركت القيادة الفعلية وشئون أركان الحرب مرة أخرى فى أيدي الضباط الأجانب ، وسجل التاريخ فى معركة قرع نكبة عسكرية نتيجة لسوء القيادة .

وعلى أية حال فقد فشلت هذه الخطة التى تهدف الى فرض كلمة الخديوى على الحبشة عسكرياً ، ولكن أحداً لم يناقش حقوق مصر على سواحل البحر الأحمر وشرق السودان حتى خليج عدن ، وتوحيد بلاد الصومال وهرر مع السودان ومصر ، ووصل الادارة المصرية بسواحل المشيط الهندى . ونجد أن السير هنرى اليوت يصر لدى الحكومة البريطانية على أن « أحسن وسيلة للانضمام على تجارة الرقيق ومنع الدول الأجنبية من انشاء محطات على الساحل هو الاعتراف بحقوق مصر والياب العالى على كل من الساحل الغربى البحر الأحمر وخليج عدن .

وكان هذا هو الأساس الذى قامت عليه اتفاقية بلاد الصومال المعروفة التى عقدت فى ٧ من سبتمبر سنة ١٨٧٧ والتى اعترفت فيها إنجلترا بسيادة مصر على كل الساحل حتى رأس حافون .

سكتت الحكومة الإيطالية عن مشروعها الخاص بعصب ، ولكنها لم تنس ، وحاولت انشاء علاقات مستمرة مع منليك « رأس » شوا ، كما أن سبائيتو خشى من النتائج التى ستترتب على عقد الاتفاقية المصرية - الانجليزية سنة ١٨٧٧ ، فنشر كتاباً يشرح فيه الدور الذى لعبه فى شراء أراضى عصب ، ويؤكد المزايا التى ستعود على إيطاليا من احياء هذا

المشروع . أما إنجلترا فانهما كانت تسعى الى منع كل دولة أجنبية من الاقامة على سواحل البحر الأحمر ، ومعارضة سيطرة عدن بالتالى اذا ما تازم الامر ، وكانت إنجلترا تخشى من أن تقوم فرنسا أو إيطاليا أو غيرها بما ينافى مصالحها بحرية وقواعد على طريق الملاحة الجديد بين الشرق والغرب بعد افتتاح قناة السويس . ولقد عبر سالسبرى عن ذلك

بصراحة فى شهر يناير سنة ١٨٧٩ حين قال : ان إنجلترا لن تمنع فى اقامة مؤسسة تجارية ولكن على شرط ألا يكون لها أى لون سياسى ، إذ أن البحر الأحمر هو شريان الامبراطورية البريطانية الحيوية .

رأت إيطاليا أن مشروعاتها قد أصبحت مهددة ، فاستندت شركة روباتينو الى رجال الاعمال الإيطاليين ، وعارضت وجهة النظر البريطانية ، ورفضت الاعتراف بحقوق مصر ، ولفتت النظر الى أهمية المشروع بالنسبة للتجارة الإيطالية ، وطالبت حكومتها بتبنى الفكرة كمشروع وطنى ، وأرسلت الحكومة الإيطالية أحد ضباطها البحريين لدراسة خليج عصب والجزر القريبة منها وتقرير صلاحيتها لانشاء مؤسسة فى هذه المنطقة وما يلزم لاتمام المشروع ، ولم يخف هذا الضابط حقده على البحرية المصرية ، لأهمية موانئها وأهمية عدن فى السيطرة الاقتصادية والاستراتيجية على هذه المنطقة ، وأصر على أن عصب هى أحسن ميناء يمكنه أن يصبح مركزاً للنفوذ الإيطالى والاشراف التجارى ويحقق الأمانى الإيطالية ، وذكر أن موقعها بالقرب من كل من بوغاز باب المندب وعدن وتاجورة وزيلع وبربرة يجعلها تتمتع بمركز متفوق ، ويمكنه أن يثبت التفوق عليهم اذا ما عملت الحكومة الإيطالية على وصبرى « بالعربية » ، ومكى شبكية

هي أول عقود تذكر لفظ « السيادة » و « الهام » ، وتدل بوضوح على أن الحكومة الإيطالية كانت تستعد وترتب أوراقها ومستنداتها للاستناد إلى شكيلات القانون الدولي قبل استنادها إلى روحه - حتى هذا القانون الذي لم يعترف إلا بحق الدول الأوروبية المطلق في كل ما يتعلق بالأمور والشئون غير الأوروبية .

ولم تترك الحكومة الإيطالية عملاءها بدون عقود في أثناء نشاطهم على سواحل البحر الأحمر ، فتسلم سابيتو في ١٣ من مارس سنة ١٨٨٠ مبلغ ٣٠٠٠ ليرة إيطالية ذهباً من حساب وزارة البحرية ومبلغ ١٣٤٧٠ ليرة من حساب وزارة الخارجية الإيطالية وذلك من القنصل الإيطالي في عدن . وكان من السهل على البعثة الإيطالية أن توالى نشاطها في البحر الأحمر بعد تسلمها هذه المبالغ .

عاد سابيتو إلى رهيفة ، وأعد عقداً جديداً تمهيداً لشراء حقوق من ملاك غير شرعيين ، وأعطى لبرهان في هذا العقد ألقاباً جديدة هي : « برهان ابن محمد سلطان رهيفة والسيد المطلق والمالك للأراضي الممتدة حول بلاد عصب التابعة لإيطاليا بقوة الحق التقليدي غير المنازع . باع برهان الأراضي للأجانب وبصم على تنازله هو وورثته عن كل حقوق « الملكية » و « السيادة » عليها ، ولم يكن يعرف مدى النتائج التي ستترتب على هذا

هذه هي الخطوات الأولى التي اتبعتها إيطاليا في توسيعها في شرق السودان ، والسياسة والوسائل التي انتهجتها وتلاعبت بها للوصول إلى أهدافها في إنشاء مستعمرة إيطالية في هذه المنطقة .

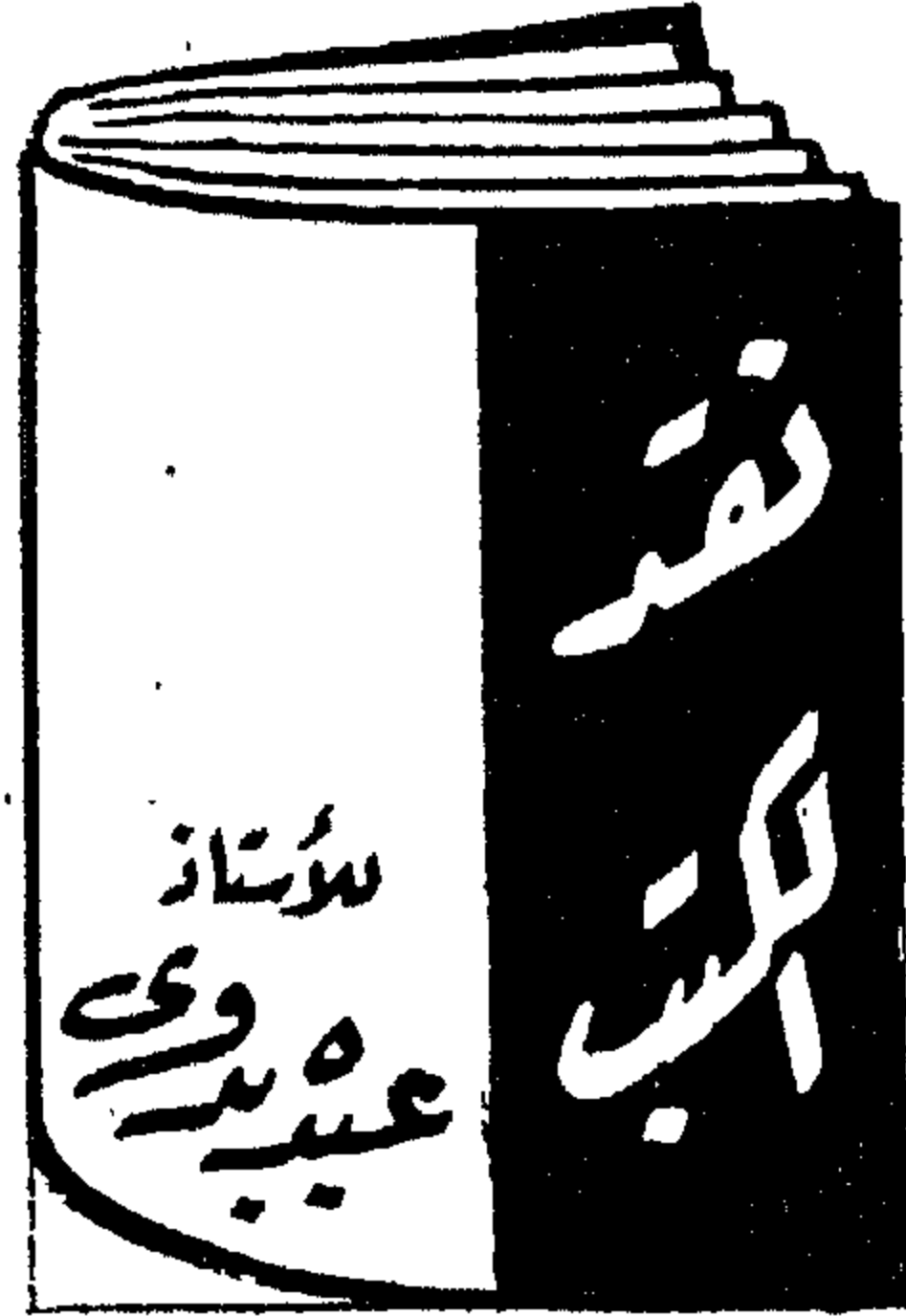
ولم تكن هذه إلا الخطوة الأولى في سبيل زيادة التوسع والتفكير في الحبشة والسودان أيضاً .

اعداد عصب اعداداً جيداً للدور الذي ترغب في أن تعهد إليها القيام به ، فاقترح ترك سفينتين من سفن المدفعية الإيطالية في خليجها ويطلق عليهما اسم قاعدة البحر الأحمر البحرية ، وتعيين حاكم لعصب يقود هذه المحطة البحرية ، وتكون له سلطات قنصلية على كل الساحل الأفريقي ، وإرسال إحدى بطاريات المدافع وبناء الثكنات وبعض البيوت للموظفين وكذلك حامية من مشاة الاسطول علاوة على بحارة القطعتين الحربيتين وأنشاء مرشح للمياه بها وتشجيع هجرة واستيطان الإيطاليين فيها وتسهيل أمر نقلهم على السفن الحربية للدولة دون مقابل .

وما أن عاد هذا الضابط إلى بلاده حتى أيدت مجهوداته واتصالاته مجهودات واتصالات سابيتو وروبايتينو ، وحصلوا جميعاً على موافقة وزير البحرية الذي أوصى الحكومة باتمام عقود الشراء من برهان رهيفة ، واقترح على مجلس الوزراء رصد مبلغ ١٠٤٠٠٠٠ ليرة إيطالية لمشروعات الأشغال العامة في عصب ، والتي ستشارك فيها أكثر من وزارة ، هذا علاوة على المبالغ اللازمة لشراء الأراضي . وافقت الحكومة الإيطالية على هذه الخطة ، وكلفت سابيتو ، رجل التبشير المسيحي ، بالاشتغال بالسياسة والتمهيد للاستعمار ، وبالحصول على الأراضي اللازمة لإنشاء المستعمرة الإيطالية الأولى في أراضي السودان الشرقي .

قام سابيتو بالمهمة المكلف بها خير قيام ، وأعد العقود لبصمات الشيوخ المحليين ، ولم ينس أن يذكر فيها أنهم يتنازلون عن كل حقوق (ملكيتهم) و (سيادتهم) على هذه الأراضي ، وأنه من حق سابيتو أن يرفع « العلم » الإيطالي عليها بعد ذلك ، وكانت هذه

من ناحية أخرى . وبالرغم عن ذلك السياسة الانجليزية في وادي النيل من ناحية أخرى . وبالرغم عن ذلك فان وسائل النشر الأوروبية وقوة التوزيع قد سمحت للكتاب الاوروبيين بما لم تسمح به للمؤلف الشرقي . هذا الى انقسامنا على أنفسنا - حتى وقت قريب - واعتمادنا اعتمادا كبيرا على المصادر والمراجع الانجليزية لنقل عنها دون تفكير ولا نجرؤ على محاولة نقدها ، ولم نحاول العثور على العوامل الهامة التي رسمت خطوط تاريخ السودان الحديث . . . »



الثورة المهدية وأصول السياسة البريطانية في السودان

~~~~~

سعدت المكتبة العربية في هذه الايام بظهور كتاب جديد في المكتبة الافريقية . .

هذا الكتاب هو « الثورة المهدية وأصول السياسة البريطانية في السودان » للدكتور جلال يحيى مدرس التاريخ الحديث بمعهد الدراسات الافريقية بجامعة القاهرة

~~~~~

وقد صدر الكتاب بمقدمة مركزة للدكتور أحمد عزت عبد الكريم المشرف على المكتبة التاريخية . وقد شكك المؤلف في مقدمته من حساسية الموضوع « لاسباب متعددة منها قلة المصادر العربية وعدم ترتيبها ، وخصوصا أن كلا من مصر والسودان قد خضع لفترة احتلال لا نستطيع بعدها أن نضمن سلامة وثائقنا وعدم المساس بها ، ومنها صعوبة الحياذ في موضوع قل أن توجد أسرة في أي من القطرين الشقيقين لم تشارك في أحداثها بأحد أبنائها ، ومنها اضطرابنا الى الاعتماد على مراجع أوروبية ، ولا يمكننا أن نضمن حياد كاتبها سواء كانوا من الانجليز أو الفرنسيين نظرا لمصالح انجلترا الواضحة في السودان

وقد نقلت هذا القطاع الكبير من المقدمة ، وأسرعت الى مناقشته لاحتوائه على عدة قضايا هامة . فالمؤلف يؤكد قلة المصادر العربية ، وعدم ترتيبها ، ولا يستند في بحثه على مصدر غربي ، أو مرجع عربي واحد ، ما عدا بعض الوثائق ، فاذا عرفنا أن هذا الكتاب جزء من رسالة المؤلف للدكتوراه أدركنا مقدار الخطورة التي وقع فيها المؤلف ، لان الحقيقة التي يجب أن تعرف أن تاريخ هذه الفترة لا بد من الرجوع فيه الى المصادر ، والمراجع العربية ، ولن تغنى عنه المؤلفات الاجنبية الكبرى

واذا تركنا المراجع جانبا لغزارتها وخاصة ما كتبه بالعربية الدكتور شكري وصبري ، ومكي شبكية ، والاستاذ عبدالرحمن الرافعي ، ونعوم شقير . فاني كنت أحب أن يرجع المؤلف الى المصادر الآتية « تاريخ ملوك السودان » الذي توجد منه نسخة مخطوطة في دار الكتب ، ثم نشره أخيرا الدكتور مكي شبكية بالخرطوم عام ١٩٤٧ فهو يلقي ضوءا على الفترة المؤرخ لها ، وكتاب ديوان المديح للسلطان علي دينار (مطبعة السودان بالخرطوم ١٩١٣) والذي يؤرخ لنفس الفترة التي يتعرض لها الكتاب ، ومنشورات المهدي المخطوطة بمكتبة جامعة الخرطوم ،

وكثير من وثائقها ، والرسائل التي ألفت فيها للرد أو للتأييد في الفترة نفسها كرسالة المفتي شاكركم الغزى ، ورسالة السيد احمد الازهرى ، ورسالة الشيخ الامين الضير .

أما النقطة الثانية التي أثارها المؤلف وهى عدم ضمان سلامة الوثائق وعدم المساس بها فهناك الآن عدة طرق معروفة يباشرها كل من يتعرض للتاريخ للتأكد من سلامة هذه الوثائق ، ومن هنا يجىء دوره فى الكشف عن الزيف الذى لحقها !

أما صعوبة الحياذ التي ذكرها المؤلف لانه « قل أن توجد أسرة فى أى من القطرين الشقيقين لم تشارك فى أحداثه بأحد أبنائها » فشىء غريب حقاً ، لان المفروض فى المؤرخ أن « يقف على أرض محايدة تماماً » دون الميل الى أية عاطفة تملئها عاطفية الموقف ، وتتابع الاحداث .

ثم اذا كان المؤلف يؤكد أن التأثيرات السياسية قد انعكست على المؤلفات الاجنبية فلماذا نراه قد اعتمد عليها وحدها ؟ ولماذا حافظ - كما سنراه - على احترام ماجاء فيها ، وسلم بأكثره ؟

ثم ان المؤلف يذكر الروابط المتينة التي ربطت السودان بمصر من أقدم العصور ، وأن أوربا ظلت لا تعرف الكثير عن السودان حتى عهد محمد على ، فالسودان بحكم موقعه بعيد عن أوربا ، ولم يكن يشكل خطراً أو يغرى الدول الأوروبية - فى هذه الفترة على الأقل - ومن هنا فلم يدخل فى قائمة الاقاليم التي قررت الدول الأوروبية الكبرى فى عام ١٨٤٠ خروجها من حوزة الحكم المصرى كما فعلت فى انحسار النفوذ المصرى عن الجزيرة العربية ، وسورية ، وكريت وقد لاقى السودان عناية كبيرة من الولاة فى مصر ، فقد زاره محمد على

فى عام ١٨٣٩ ، كما زاره محمد سعيد فى عام ١٨٥٧ ، وبخاصة أن مصر قد اتجهت بسياستها فى هذه الفترة الى افريقية ، وأن هذه السياسة قد بلغت ذروتها فى عهد اسماعيل ، وأن الخطأ الذى ظهر فى هذه السياسة هو الاستعانة بالاجانب ، فصمويل بيكر قد اعترف بأنه كان يعمل على تثبيت النفوذ الانجليزى فى المناطق التي كان يديرها لمصر ، وغوردون كان أحد الاسباب التي قوضت النفوذ المصرى هناك ، ولم يختلف عنهما مالكولم الذى عين على سواحل البحر الاحمر .

والحق انها لتشكيلة مثيرة حقاً حين

نرى أمين بك Dr- Schnitzer

يتولى أمور خط الاستواء ، ورومولوجيسى فى بحر الغزال ، ومساداليا فى دارفور ، وجيجلر فى الخرطوم ، ويصل رودلف سلاتين الى منصب حاكم دارفور وعمره خمسة وعشرون عاماً . الخ هؤلاء الذين لا تجمعهم رابطة الا انهم غرباء عن البلاد .

فاذا قامت فى البلاد شخصيتان كبيرتان هما الزبير وابنه سليمان رأينا هؤلاء يقتلون أولهما بالنفى فى مصر ، ويقتلون الثانى بهمجية على أرض بلاده

.. ثم يتعرض المؤلف فى كلمات خاطفة لأسباب الثورة المهدية ، وللثورة العربية ، وينتهى الى أن فشل الثورة العربية كان البداية لتدخل انجلترا فى شئون السودان واستفادتها من الحوادث ، ولعل المؤلف يقصد التدخل المباشر لانه كان لها من قبل دور فى حوض البحر الاحمر ، وأثيوبيا يتمثل فى رحلتى « هنرى صولت » فى عهد محمد على !

.. ثم تعرض المؤلف لقيام الثورة المهدية ، وتحدث عن محمد احمد المهدي الذى أظهر نبوغاً من صغره ، والذي انضم الى الطريقة « السمانية » على يد السيد محمد شريف نور الدين

ثم انتقل الى طريقة الشيخ القرشى بعد أن أعلن المهديّة ، وأخذ يبشر بضرورة الرجوع الى فطرية الاسلام ، ورأى أن تعدد المذاهب والطرق قد أضعف الدين ، واحتقر رجال الدين وأحرق كتبهم علانية ، وحرم على أنصاره الفحش في القول ، وتناول الخمر ، وتدخين الطباقي ، والحشيش ، والرقص ، والموسيقى ، وأنه لم يقيم بدعاية سياسية مباشرة ضد حكام السودان ورجال الادارة والنظم القائمة فيه ، بل انه أخذ عليهم ابتعادهم عن تعاليم الاسلام ونعتهم بالكفر ، ونادى أنصاره بالقضاء على تلك الحالة الدينية المنحلة دون أن يطلب منهم مهاجمة الحكومة الفاسدة »

والحقيقة التي حبذنا من أجلها الرجوع الى المصادر العربية أن المجتمع السوداني في هذه الفترة كان مهيبا لفكرة المهديّة ، فالرصيد الضخم من الاحاديث التي تساند المهديّة ، والتي بلغت الخمسين على رأى ابن حجر كانت معروفة في السودان ، وقد ورد الكثير منها في منشورات المهدي ، وأن بعض المتصوفين الذين كان يغص بهم السودان كان يطبق فكرة المهدي على فكرة الاقطاب ، وأن كثيرا من الأمويين والعباسيين ، والعلويين كانوا يعتقدون في فكرة المهدي وخاصة الذين كانوا يفرون من سطوة الحكم القائم ، وأن السودان قد عرف كثيرا من هؤلاء الفارين الذين كانوا يؤلفون حكومة بجانب الحكومة الرسمية .

كما أن الكتب التي كانت تحت أيديهم في هذه الفترة كانت تمتلئ بالافكار عن المهديّة التي تمتد جذورها - في حقيقة الامر - الى الشيعة .

واذا كان السبب الرئيسي الذي كان يدفع الناس الى التصديق بالمهديّة هو الشعور بالظلم ، وأنه حين لم يفلح الشعب في رفع الظلم لم يفقد الامل فيه

فكان من امله الامام العادل ، فان هذا الامر لا يقتصر على المسلمين فقط ، فاليهود يعتقدون في رجوع « ايليا » ، والمسيحيون يعتقدون في رجوع عيسى ، وجماعة « كيتاوالا » في الكنفو الفرنسي تعتقد في ظهور مخلص أسود يرد عنهم الظلم والظفیان .

ومن العجيب أن يظهر في هذا القرن الذي ظهرت فيه مطامع الدول الاوروبية سافرة أكثر من «مهدى» في أكثر من مكان بافريقية ، فقد كان الناس في أكثر من مكان وخاصة في السودان يعتقدون في مخلص ، ويتمنون ظهوره « حتى كان الكثير منهم يتمنون ظهور المهدي الموعود به لينقذهم من هذه الحال ، بل كانوا كلما رأوا رجلا يفضلهم عقلا ودراية وله غيرة على الدين وأهله ظنوه المهدي » على حد قول نعوم شقير .

ومن هنا فلم يكن عجيبا أن يكون السودان ثالث دولة في الاسلام تقوم على فكرة تدين بالمهديّة ، وأن أولى هاتين الدولتين هي دولة الفاطميين ، وثانيتها دولة الموحدين !

وقد جعل المهدي « المهديّة » أصلا من أصول الدين ، فقد جاء في بعض كتبه « هذا وقد أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأن من شك في مهديتك فقد كفر بالله ورسوله » كما جعل الخليفة عبدالله التعايشي القضاء بمشوراتها الاصل الثالث بعد القرآن والسنة .

.. ثم يذكر الدكتور أن المهدي رأى في تعدد المذاهب اضعافا للدين ، وأنه أعلن احتقاره للفقهاء ، وأحرق كتبهم ، والحقيقة أنه كان يرمى الى فتح باب الاجتهاد لما ضاق بكثرة التأويلات ، فأراد أن يضع أسسا جديدة لمذهب جديد - متأثرا بالمذهب الوهابي - يؤمن بما جاء في الكتاب والسنة ، وان ما جاء عن الصحابة

فهو يمر بنا مرورا سريعا على وقع الثورة على رؤوف باشا ، وكيف أرسل اليه حملتين برياسية « أبو السعود » وكيف ردت الحملة الاخيرة خاسرة ، ثم كيف هاجر من « أبا » الى جبال النوبا بكردفان مشبها هذه الهجرة بهجرة الرسول ، ومطلقا لقب « الانصار » على أصحابه ، ثم كيف ترددت الحكومة في تعقبه ، وكيف دحر قوات « راشد بك » .

وقد اهتمت الحكومة في مصر بهذه الثورة فأمرت بادخال تعديلات في الادارة ، وعينت عبد القادر حلمي باشا في منصب الحاكم العام للسودان ، ووزير الاقاليم السودانية وملحقاتها ، وكيف أبلى هناك بلاء حسنا ، وأن خطة المهديين في هذه الفترة كانت الاستيلاء على كردفان ، وأن الباب الحقيقي لها كان مدينة « الابيض » ومن هنا شن هجومه عليها ، وحين شعر بقسوة الاسلحة النارية غير من تكتيكه الذي يعتمد على « الكمين » الى عملية « الحصار »

وفي أثناء عمليات الحصار وصلت أخبار ضرب الاسكندرية ، وهزيمة « عرابي » .

ثم يقول الدكتور جلال « فانه من الصعب علينا أن نحكم على العلاقات بين عرابي والمهدي بشكل قاطع » ، ويرى أن العدوان البريطاني على مصر قد ساعد على انتشار الثورة المهدية .

ثم يقول أن هناك تشابها بين الحركتين في أسبابهما وأهدافهما وقائديهما : « كانت كل منهما تطالب باصلاحات ادارية واجتماعية ، وكانت كل منهما ضد الوضع القائم والتدخل التركي أو الاجنبي ، وكانت كل منهما عبارة عن حركة تحرر اسلامية » ولاشك أن في هذا بعض التعميم الذي لا تخفف منه كلمة التشابه لان الثورة المصرية اذا كانت قد طالبت باصلاحات

له مطلق الخيار في قبوله أو رفضه ، وأنه قد دعا للفقهاء فقال « جزاهم الله خيرا فقد درجوا الناس ، ووصلوهم الينا كممثل الراوية وصلت الماء من منهل الى منهل حتى وصلت بصاحبها الى لبحر فجزاهم الله خيرا !! » .

وأما أنه « أحرق كتبهم علانية أمام الناس » فشيء قد اختلف فيه المؤرخون حتى لقد قيل انها أحرقت بدون اذنه وقد عثر في مكتبته على روح البيان ، وكثير من كتب التفسير ، وكتب الشعراني ، وابن عطاء الله ، وأنه كان يقرأ بعض هذه الكتب على أصحابه

كما يدل على مرونته أن الشيخ محمود نور احمد حين أصر على قراءة الجزولية وافقه عليها .

أما الامر الاخير الذي نختلف فيه مع الدكتور جلال فهو قوله ان المهدي لم يقم بدعاية سياسية مباشرة ضد الحكم التركي ، وأنه لم يطلب من رجاله محاربة الحكومة الفاسدة ، على حين نرى خلاف هذا في كثير من منشوراته - وهو ما أكدنا بسببه الرجوع الى المصادر العربية - فقد جاء في رسالته الى يوسف الشلالى باشا « ان النبي

صلى الله عليه وسلم أمرنا صريحا بقتال الترك وأخبرنا بأنهم كفار » وقد جاء في أحد منشوراته عن رجال الحكومة « أما ترونهم يسحبونكم في الحديد والسلاسل لاجل أخذ أموالكم ، لا يوقرون كبيركم ولا يرحمون صغيركم ويحملونكم المشاق القوية » وهناك ما يشبه هذا في خطبته بجزيرة «أنا» .

ومهما يكن من «خلاف» فقد تعرض الدكتور جلال بعد ذلك الى هذه الحروب والى العلاقات البريطانية التي هي في حقيقة الامر موضوع الكتاب الحقيقي بالرغم من عنوان الكتاب الذي ربما روعى فيه جذب انتباه القارئ ، مع « المشكاة » المتدلية منه ، مع اصالة المادة العلمية. الموجودة فيه وعمقها .

من الاخلاء لان ذلك كان يخرج عن الاختصاصات التي خولت له بمقتضى فرمانات السلطانية .

وقد كانت نية الخديوى متجهة الى القضاء على الثورة المهدية ، وخاصة بعد أن استتب له الامر بعد القضاء على الثورة العربية ، ومن هنا فقد أرسل بعثة برياسة أحمد حمدي أحد ياورانه لتوافيه بتقارير عن الحالة هناك .

وقد وفق المؤلف فى عرض هذه المهمة التى ذهب من أجلها أحمد حمدي معتمدا فى ذلك على المحفوظات التاريخية مصورا لنا ظروف حملة « هكس » ، وكيف أن سليمان نيازى باشا كان قائدا عاما اسميا ، وأنه كانت هناك أوامر له بأن يطيع أركان حربه الجنرال هكس ، وقد أعلن تقديره للقائد المغضوب عليه عبد القادر حلمى باشا وأظهر أسفه لنقله .

ثم أخيرا كيف قضى على هكس وجيشه نتيجة لسوء تصرفه ، وأن المهدية بقضائها على هذه الحملة أصبحت واضحة يدها تماما على السودان الغربى وأن جنود سلاتين حين علموا بهذا الانتصار تمردوا عليه ، وبهذا أصبحت دارفور فى يد الثوار ، ودخل الكثيرون تحت راية المهدي .

وما ان علمت مصر بهذا حتى صممت الحكومة على المحافظة على الخرطوم ، وإعادة فتح الطريق بين سواكن وبربر ولكن الانجليز فى مصر قرروا أن من الصعب على مصر أن تبقى فى السودان ولكنهم أصروا على الاحتفاظ بسواكن ليتمكن لهم التدخل فى هذه المنطقة .

وقد وقف « شريف » باشا من فكرة الاخلاء موقفا مشرفا ودعا الى تلقى المساعدة من تركيا ، وفى الوقت نفسه أبلغ الميجر هنتر أن منليك يستعد للاستيلاء على هرر ، وأن قبائل السودان صممت على اخراج مصر من بربرة وزيلع ، مما جعل انجلترا تقوم

ادارية واجتماعية فان الثورة المهدية لم تطلب شيئا من هذا من الحكومة ، وانما طالبت باعتراف المهدية ، والجهاد من أجلها ، واذا سلمنا بأن الحركة المهدية كانت حركة تحرر اسلامى من الاجانب الذين كانت تسميهم « الكفار » سواء أكانوا من الانجليز أو من الاتراك ، وأن حركتهم كانت دعوة صريحة لتبسيط المعتقدات فانا لانرى شيئا من هذا كان من صميم الحركة العربية .

ثم تعرض المؤلف لصلة المهدية بالسلطان التركى .

وفى الفصل الثانى يعرض المؤلف لحل جيش عرابى ، ثم ارسال فلولة الى السودان ، وفى الوقت الذى تركت فيه انجلترا ضباطها على رأس الحملة نراها تعمل على ابعاد كل مسئولية عنها بشأن السودان ، وتعمل على اقالة « عبد القادر حلمى » الذى حقق انتصارات على المهديين ، مما ترتب عليه وصول نبأ سقوط « الابيض » الى الخرطوم فى ١٨-٢-١٨٨٣ أى بعد سفر عبد القادر حلمى بخمسة أيام ، وبسقوطها أصبحت المهدية سيادة كردفان ، وفى الوقت نفسه المتحكمة فى مصير دارفور ، وكان كل ما فعلته انجلترا أن أرسلت بعثة برياسة الكولونيل ستيوارت لارسال تقارير عن الحالة هناك لجاءت فيها نصيحته بالتخلى عن دارفور وقسم من كردفان وقد انتفعت بهذه التقارير وزارة الخارجية البريطانية فقد كانت تلح فى الوصول الى معلومات عن السودان فى هذه الفترة ثم كلفت قنصلها بالقاهرة بالعمل على تنفيذ وصايا « ستيوارت » .

وفى الوقت الذى أهمل فيه « شريف باشا » هذه الاوامر . نرى الخديوى يتقرب من الانجليز ، ويسلم أكثر الادارات فى البلاد الى موظفين من البريطانيين ، دون أن يتصرف فى شيء

بحماية الموانئ المصرية فى خليج عدن ويشكك المؤلف فى صحة تقرير « هنتر » .

وقد ترتب على هذه الاحداث استقالة « شريف » ، ورفض « رياض » تشكيل الوزارة وجاء نوبار فقدم للانجليز كل ما أرادوا وفى مقدمة ما أرادوا « الاخلاء »

وبالرغم من أن « غردون » كان ضد سياسة الاخلاء هذه ماعدا المديرية المتطرفة كدارفور وخط الاستواء ، فإنه فرض على الحكومة المصرية ، وأعطى تعليمات صريحة باخلاء السودان أما المسئوليات الضخمة التى ستترتب على هذا الاخلاء فقد أعفت انجلترا نفسها منها . وحين قدم الى مصر حاول الاستعانة « بالزبير باشا » ولكن المقابلة التى تمت بينهما . وعجز غردون عن اثبات الاوراق الرسمية ، والخطابات المتبادلة بين الزبير وابنه سليمان التى قضى بسببها على الرجلين ، كل ذلك جعل صدر « الزبير » ضيقا وما أن انسحب الزبير من المقابلة حتى اتفق الجميع على أن صدره كان لايزال مليئا بالغل والحقد ضد غردون .

والذى أراه أن ضيق الزبير لم يكن لهذه المسألة الشخصية ، وانما لاعتقاده أنه سيكون لعبة فى أيدي الانجليز ، وهذا شيء كان معروفا لكل الناس

وبالرغم من أن المؤلف وضح لنا سياسة غردون بعد ذهابه الى الخرطوم فإنه لم يوضح توضيحا كاملا المخالفات التى قام بها ، والتى تعدى بها اختصاصه الذى وكل اليه فى القاهرة

وقد وفق المؤلف فى كشف الدور الذى قامت به تركيا فى هذه الفترة . فقد تهرب كثير من مؤرخى هذه الفترة منه لغموضه ، وقلة مراجعه .

كما أعطانا صورة واضحة عن الصراع الذى كان يدور فى الشرق فى الفترة الطويلة التى كتب عنها ، وعن اكتشاف حقائق جديدة لغردون ،

وكيف طالب بالزبير من جديد ، وبالمعونة المرة بعد المرة ، وكيف اتخذت الاحزاب البريطانية من هذه المعونة مناورة سياسية ، واشتدت حركة الدفاع عن غردون ، ومحاولة انقاذه « بالكلام »

ولكن الثورة « المهدية » كانت سائرة فى طريقها المرسوم ، وقد طرقت أخيرا باب الخرطوم ، وأسقطت المدينة وقتل غردون « وتحدث الانجليز عن غردون ووصفوه بأنه شهيد ! وذلك

تمهيدا للثأر له من السودانيين ، ولم تكن هذه الحركة الا لتهيئة رأى العام لكى يسمح للحكومة فى يوم من الايام بارسال جنودها البريطانيين الى الخرطوم والاستيلاء على السودان .

ويضيف الدكتور جلال يحيى جديدا الى القارىء العربى حين يتحدث عن مهمة الامير حسن شقيق الخديوى الذى حاول من قبل الخديوى وحكومته أن يوافق السير ايفيلين بارنج على تعيينه حاكما عاما فى الخرطوم فى المقابلة التى تمت بينهما فى ٢٨-١٢-١٨٤٤ وقد رحبت انجلترا بهذا الامر ووضعت له شروطا أهمها « ألا يعمل على تقييد الحكومة الانجليزية بأى خطة تسعى الى اعادة السيادة المصرية على السودان »

على أن ارساله كان عديم الجدوى لان انجلترا كانت قد قررت بعد مقتل غردون تنفيذ توصية اللورد ولسلى التى تدور حول الاحتفاظ بالنفوذ الانجليزى هناك على أساس من احتلال دنقلة وشمال السودان ، وارسال حملة الى « سنواكن » . ولكن الظروف الدولية وتهديد روسيا لافغان والهند قد أقسد هذه التوصية ، مما ترتب عليه اخلاء السودان اخلاء تاما .

« وهكذا انتهت صفحة خاصة من تاريخ السودان الذى أصبح مهديا على حين ظلت مصر - بالرغم من كونها جزءا لا يتجزأ من الامبراطورية العثمانية

— تشن تحت الاحتلال البريطاني •

وستكون المهدية هي الحجة الاولى التي ستتذرع بها انجلترا أمام الدول العظمى لتبرير مد إقامة حامياتها على ضفاف النيل ، ولكن وجود الانجليز في مصر كان لا يستند الى أى سند قانونى ، ويتعارض مع مبدأ سلامة أراضي الدولة العثمانية ومع المعاهدات الدولية التي كفلته ، كما أن وصول المحافظين الى الحكم مع اللورد سالسبرى فى يونيو سنة ١٨٨٥ لم يغير شيئاً من عناصر السيادة البريطانية فى السودان فواصلوا ادعاءاتهم كسابقيهم من رجال حزب الاحرار بأنهم يدافعون عن امبراطورية السلطان المهددة ، ولكنهم

سيسعون الى الحصول على اعتراف رسمى من الدول باقامتهم فى مصر وبدخول السودان فى منطقة نفوذهم ، وهى صفحة أخرى من تاريخ السودان وتاريخ السياسة البريطانية • • « وبهذا الفهم العميق للمشكلات ، والتيارات التى مرت بالسودان وكانت متشابكة الاطراف بين مصر ، وتركيا وانجلترا ، والسودان يختم الدكتور جلال يحيى كتابه بعد أن يضع يد القارئ على وحدة متكاملة من تاريخ هذه الفترة •

وفى الواقع أن المكتبة الافريقية فى حاجة الى قلمه ، وفى حاجة ملحة الى فهمه العميق للمشكلات ، وترابطها.



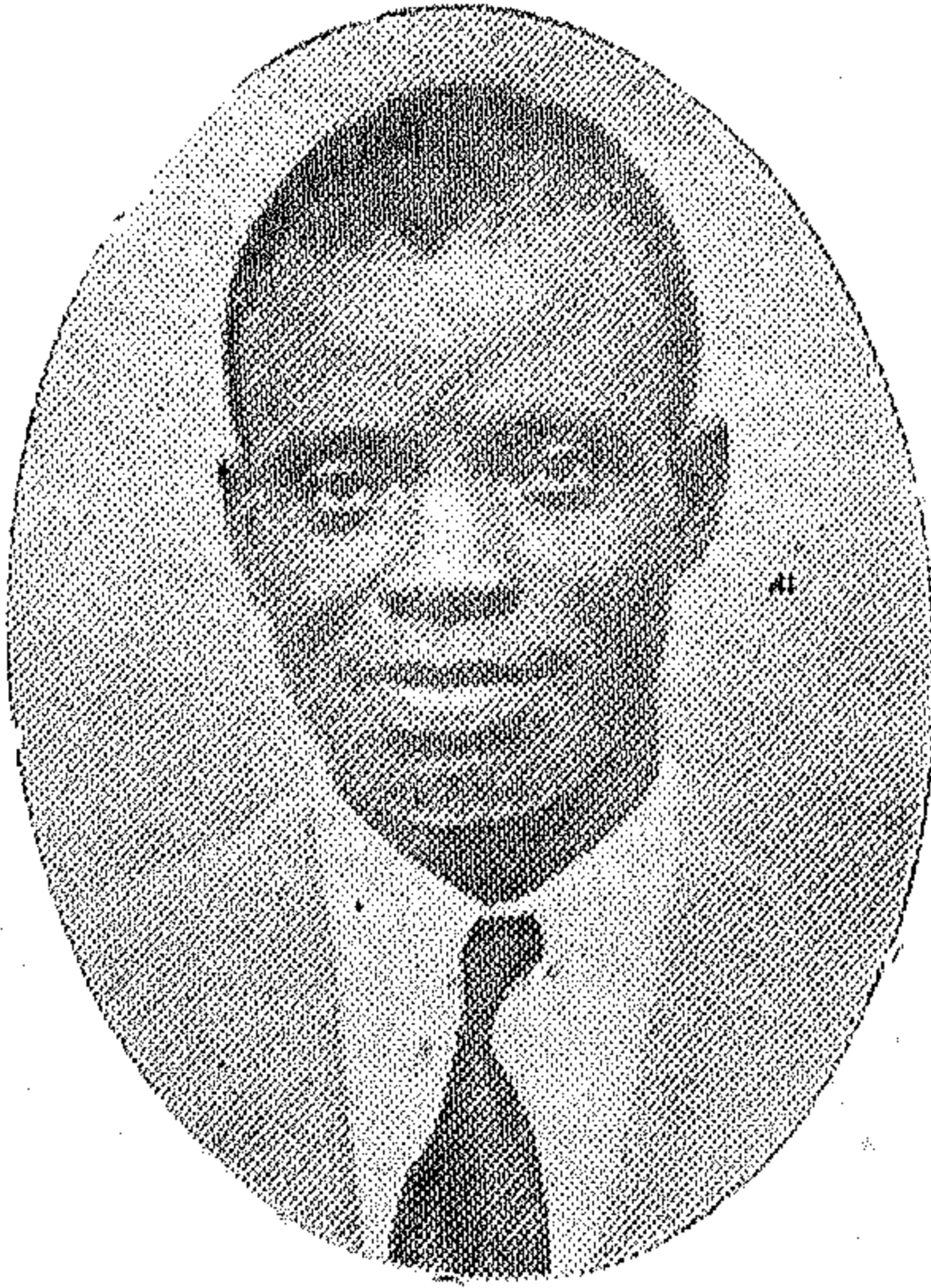
من مظاهر الاحتجاج



بهذه الطريقة الجديدة من اعلان السخط على الاستعمار والمستعمرين
رفع المواطنون في ((أوغندا)) أيديهم احتجاجا على الاجراءات التعسفية التي
اتخذت هناك ضد حرية المواطنين وكرامتهم *



ان بعض الايدى تظهر احتجاجها في قبضة متجمعة ل احساسها بأنها تملك
مصر البلاد تماما ، وبعضها يعلن في انبساط أنه لم يعد للاجانب مقام
بالبلاد . وهكذا تصبح ((اوغندة)) للاوغنديين !



دكتور « أجراى »



رائد من رواد التربية فى افريقية

ترجمة الاستاذ فؤاد دودة

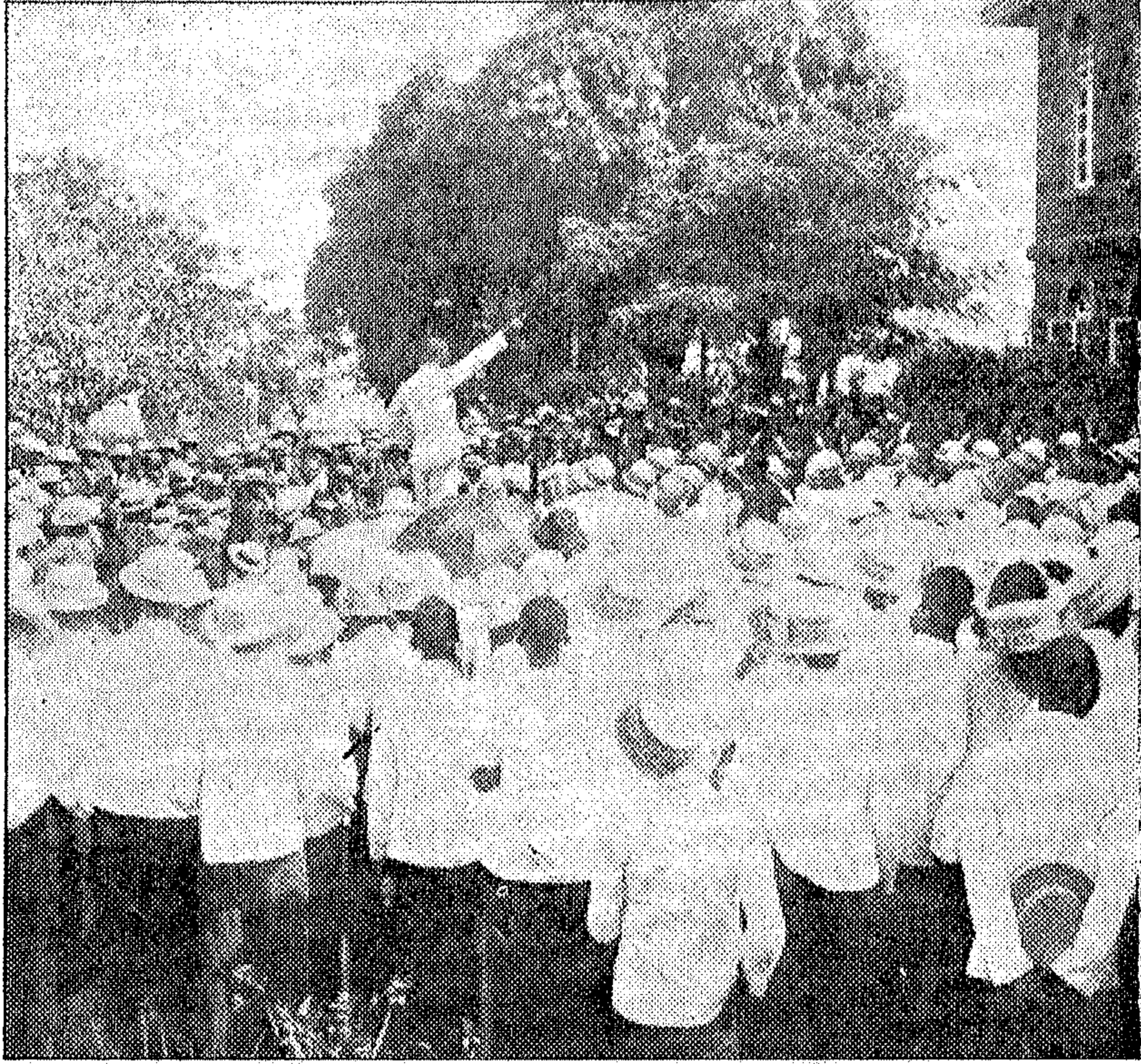
عمره .
ويبدو أنه ورث روح الزعامة عن والده رئيس اتحاد قبائل «الفانتى» ، وهو أول تنظيم معروف حاول توحيد هذه القبائل ، وسرعان ما أصبح أجراى سكرتيراً عاماً « لجمعية حماية حقوق الوطنيين » وهى ثانى جمعية وطنية تتكون فى افريقية البريطانية ، وقد بذل أعضاؤها جهوداً جبارة فى مقاومة القانون الذى كان يقضى بتمليك معظم أراضى ساحل الذهب لرعايا بريطانيين .

وفى الولايات المتحدة وجه أجراى نشاطه الكبير للعمل فى مصلحة زنوج الولايات المتحدة ، فكون وهو طالب ثم أستاذ فى كلية ليفنجستون ، أول اتحاد لا قراض الزنوج فى الولايات المتحدة ، وأتاح بذلك للمزارعين الزنوج الفقراء والاجراء الحصول على السلع بسعر الجملة ، وسمح لهم بالتوفير والاقتراض بشروط مريحة . ولم يستطع «أجراى» أن يتجاهل الاضطهاد العنصرى للزنوج فى الجنوب ، ولكنه رأى أن القضاء على هذا الاضطهاد يكون بالعمل ، والاجتهاد والتعاون .

يقول الدكتور « كوامى نكروما » رئيس جمهورية غانا : « كان اعجابى الشديد بأجراى ، كانسان وأستاذ ، هو السبب الرئيسى الذى دفعنى الى التفكير فى اتمام دراستى فى الولايات المتحدة » .

وحينما عاد الدكتور جون هنريك كلارك ، الاستاذ الافريقى ، من زيارته لساحل الذهب قال : « ان جيمس ك . أجراى يعتبر نصف اله بين أفراد شعبه » .

فمن هو الدكتور أجراى هذا ؟ وما هويته ؟ وماذا قدم لبلاده حتى استحق كل هذا التقدير والاكبار ؟ . . هذا ما سنحاول الاجابة عليه فى هذا المقال . اسمه : « جيمس امان كودوو منسا هيومانفانسم كويجير أجراى » وهو ينتمى لأسرة تمتد جذورها بأكثر من تسعمائة عام فى تربة افريقية ، وهو أول افريقى يشغل منصباً رئيسياً فى هيئة ادارة كلية « أخيموتا » الشهيرة ، وهو ابن زعيم كبير من زعماء قبائل الذهب ، وقد قدر له أن يحضر الى الولايات المتحدة فى بعثة دراسية وهو فى الثالثة والعشرين من



دكتور « أجراى » يخطب

البيضاء ، وتستطيع أن تعزف أنواعا أخرى على المفاتيح السوداء ، ولكنك لكي تقدم ألحانا حقيقية متكاملة ينبغي أن تستخدم المفاتيح البيضاء والسوداء معا .

وقد انتقد الدكتور « و . ا . ب . ديبوا » كلا من « واشنجطون » و « أجراى » لاهتمامهما بالفنون اليدوية أكثر من اهتمامهما بشكسبير وعلم النفس ، ووصم الدكتور ديبوا هذه الخطة بأنها « أسهل طريقة للتنكيل بالزنوج ، والمحافظة على جهلهم ، وعبوديتهم » . ونداءهم واقناعهم بعدم التطلع الى مستوى كريم من الدخل . . . » .

وقد لخص الدكتور « أجراى » رده على ناقد في هذه العبارة الموجزة :

وتأثر الى حد بعيد بأفكار « بوكرت . واشنجطون » التي تقضى بضرورة جعل الزراعة والتجارة والبناء ، عناصر مهمة في مناهج الدراسة ، وحينما عاد الى بلاده بعد عشرين عاما دعا الى ادخال هذه الحرف اليدوية فى نظم التعليم الافريقية .

وقد أصر على أن يراعى هذا الازدواج فى تصميم مباني كلية « أخيموتا » الجديدة ، وذلك بعد أن شهد نجاح هذا الاسلوب فى معهد « هامبتون » ، وكان شديد الايمان بأن الافريقيين فى حاجة الى الصناعات الماهرة حاجتهم الى الفنانين والمفكرين ، وكثيرا ما أيد رأيه مستعملا هذا التشبيه البليغ : « انك تستطيع أن تعزف عدة أنواع من الالحان على مفاتيح البيان

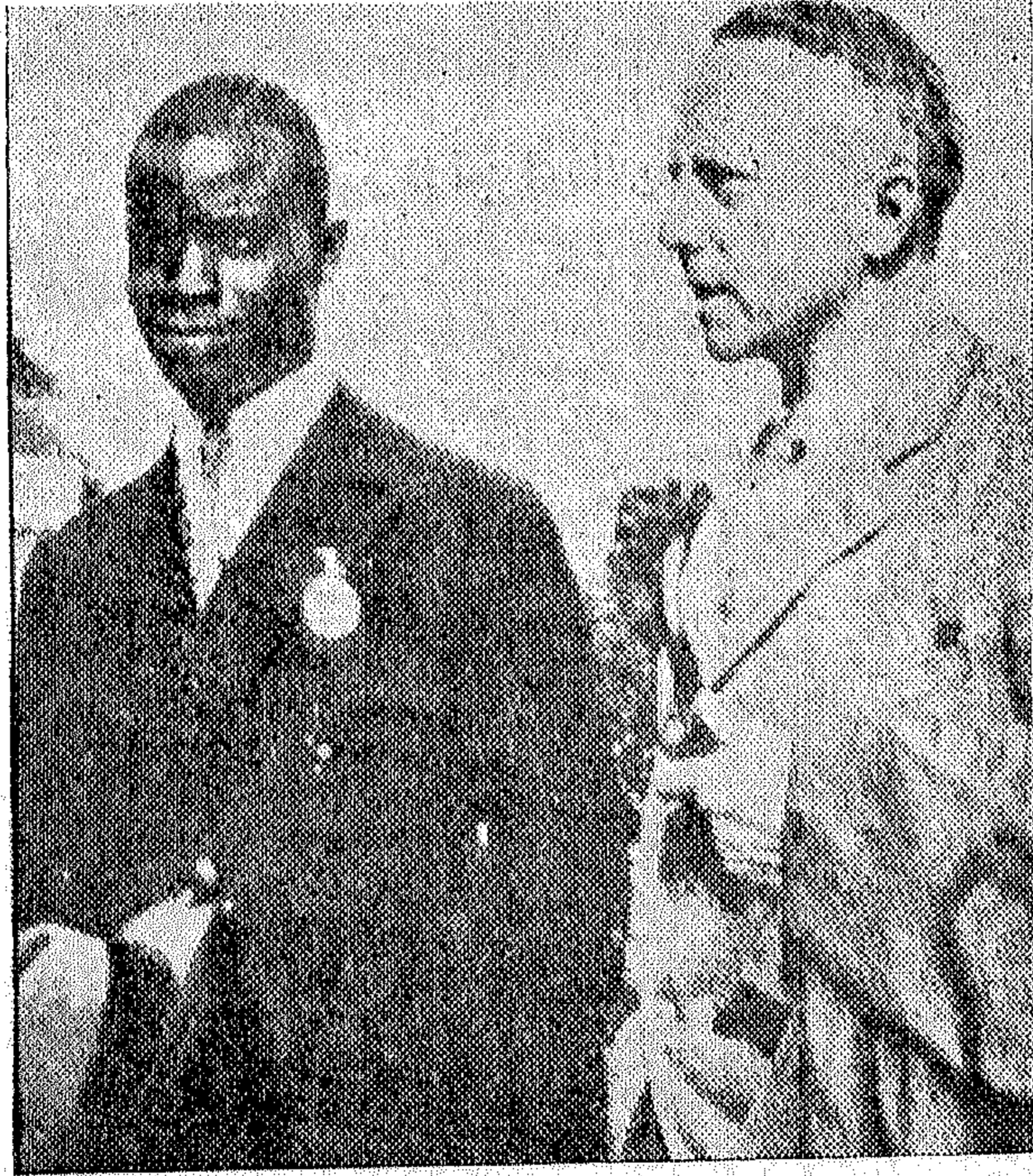
« انى أريد لكل أفراد شعبي أن يتعلموا
بأوسع معانى الكلمة ، وأن يصل العلم
الى قلوبهم وأيديهم ورؤوسهم ، وبهذا
أربط بين افريقية وبين نتاج العالم
الروحى والفكرى والتجارى » .

وحينما عاد « أجرى » الى افريقية
بعد عشرين عاما قضاها فى الولايات
استطاع أن يكتسب شهرة كبيرة
كخطيب كبير ومفكر متزن ، فقد ترجم
ما تعلمه فى الجامعات الامريكية الى
قصص وأساطير ، استطاع عن

طريقها استثارة اهتمام أقل الافريقيين
ثقافة . وقد استقبله أهالى ساحل
الذهب عند عودته استقبال الفاتحين ،
فكانوا يتزاحمون فى الاكواخ الكبيرة
والقاعات ليستمعوا الى كلمته ،
وأطلقوا اسمه على مدارسهم

وقد ظل الاستاذ العائد ينشر بين
أهل وطنه أهمية التعرف على أسرار

العالم ، وكان يستشهد بنفسه كدليل
على صدق مايقول ، وامكان تحقيقه ،
واذا كان الدكتور أجرى لم يشترك
بعمل مباشر فى تحرير وطنه غانا ،
فلا شك أنه كان من بين العوامل
الهامة التى أيقظت الاحساس بالكرامة
فى نفوس مواطنيه جميعا ، وبصفة
خاصة فى أهل قبيلته التى أنجبت
أولئك المجاهدين الذين كافحوا من
أجل تحرير بلادهم حتى نالت استقلالها
وهذا الرائد الكبير من رواد التربية
فى افريقية امتد نشاطه الى قارتين ،
وامتد تراث أسرته الى تسعمائة عام
مضت ، ويروى أنه وهو مولود ابن
ثمانية أيام ، أخذ من فوق ظهر أمه ،
ليهب البركة لجيش قبيلته حسب
الشعائر القبلية المتوارثة ، قبل
خروجهم الى معركة هامة
وحينما بلغ الثامنة من عمره اختير



دكتور أجرى مع أحد أصدقائه

من بين عشرين طفلا آخرين تقرر أن يتعلموا على يد مبشر أوروبي ، وحينما بلغ الخامسة عشرة عهد اليه بتعليم أربعين صبيا ، وفي الثالثة والعشرين أصبح ناظر مدرسة ، وسكرتيرا عاما لجمعية حماية حقوق الوطنيين التي استطاعت أن توقف تنفيذ القانون الانجليزى الذى كان يرمى الى تملك الازاضى لرعايا بريطانيا .

وفي العام نفسه أبحر أجرى الى أمريكا ليدرس فى كلية ليفنجستون ويبدو أن الافريقى الشاب الطموح كان على عجلة من أمره ، فسرعان ما أصبح أول فرقته ، واسترعى الانظار بتفوقه فى اللغات اللاتينية واليونانية والفرنسية ، فقد سبق له أن تعلمها على يدى أحد المبشرين الأوروبيين .

وفي عام ١٩٠٧ التقى بزواجه الجميلة « روز هيدسون » ، وبعد خمسة أعوام أصبح أباً لثلاثة أطفال ، وبعد ستة عشر عاما أنجب ولده الأصغر « أوريسون رادولف أجرى »

وقد كان للتراث الافريقى العريق الذى يحمله المربي فى روحه ، أثره الهام فى مساعدته على مقاومة مظاهر الاضطهاد العنصرى السائدة فى جنوب الولايات المتحدة ، وانمنعه التعصب مع ذلك من أن يصبح عميدا لكلية ليفنجستون ، بالرغم من أنه رشح لتولى المنصب مرتين ، فزنوج أمريكا كانوا يعتبرونه غريبا بالنسبة لهم ، مع أنه كان يضع كل طاقته وخبرته فى خدمتهم . وقد علق الدكتور أجرى على هذه المعاملة الشاذة بقوله :

« كثيرا ما تلقيت الركلات من الجانبين ، من البيض والسود على السواء ، ولكن من وطد نفسه على القيام بمهمة ما ، فلا ينبغى أن يدهش أو ينزعج لأى طارئ » .

وكان وهو المثقف النافذ البصيرة يدرك حقيقة موقفه السلبي من مشكلات التعصب العنصرى ، فقال مرة للرئيس كوامى نكروما ، حينما كان طالبا بكلية أخيموتا : « مادمت قد استطعت أن أثير ظمأك ، فادع الله لى أن يوفقنى الى ريه حينما أعود الى افريقية » .

وقد جاهد جيمس أجرى وحده كثيرا ، حتى وفق الى رفع الحصار الذى كان مفروضا بين افريقية وبين أحدث ماتوصلت اليه المعرفة البشرية ، ونادى بأن استعداد المرأة لتلقى العلم لا يقل عن استعداد الرجل ، وقال مرة لجماعة من الافريقين وهو يخطب فيهم داعيا الى وجوب تعليم المرأة :

« ان أضمن وسيلة للمحافظة على تأخر شعب من الشعوب ، هى ببساطة تعليم الرجال ، وإهمال النساء . انك لو علمت رجلا ، فأنت لا تعلم الا فردا واحد ، أما اذا علمت امرأة فأنت تعلم أسرة بأكملها » .

وفى ٢٨ من يناير سنة ١٩٢٧ ، احتشد ما يقرب من أربعة آلاف افريقى يحتفلون بتخريج الفوج الاول من خريجي كلية أخيموتا ، وكان مكونا من ٣٦ شابا ، ٢٤ فتاة . ووقف أجرى بين الجمع يشهد تحقق حلمه لقد قضى أجرى عشرين عاما فى الولايات المتحدة ، وجاب معظم أنحاء افريقية ، وحصل على أرقى الدرجات العلمية من جامعة كولومبيا ، وأثبت للعالم أن الافريقى يستطيع أن ينهل من ثمار العلم بقدر ما يستطيع أى أوروبى أو أمريكى ، ان لم يكن أكثر .

وفى ٣٠ من يوليو عام ١٩٢٧ ، وبينما هو يستعد للصعود الى درجات أخرى فى سلم المجد الأوروبى ، اذا به يقع صريعا فى مدينة نيويورك ، مخلفا وراءه جيلا كاملا من التلاميذ ، وأعمالا خالدة من أكبر ما عرفته افريقية من أعمال فى ميدان التربية

قبيلة الجاز في افريقية

في منطقة اليوروبا عن طريق البحر ، ولكن بعض أفراد هذه القبيلة يقولون : ان اسم هذه المدينة «بوني» وليس « بينين » . وبعضهم الآخر وفد عن طريق البر من جهة الشرق ، كما وصل أيضا عن طريق البر شعب « لبادي » وهي إحدى ضواحي مدينة أكرا ، لانهم استوطنوا أول ما استوطنوا منطقة السهل التي تسمى « أبواسو » الواقعة على نهر « مساكى » على بعد بضعة أميال من « أكرا » .

ولم تكن قبيلة الجاز وحدها القبيلة التي تعيش في هذا البلد ، بل كانت هناك شعوب أخرى عاشت ووجدت قبل وصول الجازيين ، وهي « الجونز » أو « الكيزيونز » الذين يعتبرون أول شعوب الجنس الافريقي الذين وصلوا الى هناك ، والذين هم في الوقت نفسه الجيل البشري الذي أعقب جيل العصر الحجري .

والثابت أن « آيى كوشى » كان أول زعيم لشعوب « الاكرا » فهو الذى تزعم أول فوج من مهاجري الجاز . ثم خلفه « آيتى » الذى بنى عاصمة دولة « الاكرا » الواقعة في منطقة « آيسو » بجانب سهول « أو كاي كوا » والننى يطلق عليها الآن اسم «سهول أو تلال باكوس» . وبعد موت «آيتى» خلفه «نى كواتالين» الذى أعقبه بعد وفاته «أودمانكيان» الذى يقال انه قد تزوج سيدة من قبيلة «آبوتس» تدعى «ديد أو كاي» والتي أصبحت الزعيمة على القبيلة بعد وفاته .

وكانت « ديد أو كاي » هذه سيدة غليظة الطبع عنيدة قاسية ، وهذه هي الصفات التي كان يتميز بها أفراد شعبها في ذلك الوقت . الا أن شعبها - بالرغم من كل ذلك - قد استطاع أخيرا أن يعلن عليها ثورة متمردة

لا سبيل الى معرفة التاريخ الذى وصلت فيه قبيلة « الجاز » الى اقليم ساحل الذهب - يوم ذاك - غانا - اليوم - بغير الحدس أو التخمين ، لانه لم يعثر حتى الآن على أثر من الآثار المكتوبة يبين العصر الذى تولى فيه أول زعيم من قبيلة الجاز حكم البلاد .

والمعروف هو « أو كاي كوا » الذى يعتبر الزعيم السادس لقبيلة الجاز ، وقد توفي عام ١٦٦٠ ، ويقال ان حكمه وحكم أمه « ديد ، أو ، دود أو كاي » قد استمر قرابة خمسين عاماً . وهذا يعود بنا الى عام ١٦١٦ - تقريباً - عندما توفي « الجا » الرابع «مانتس آمورا مانكبان أو كاي» فاذا ما قدرنا خمسة وعشرين عاماً لكل زعيم من الزعماء الثلاثة الذين تولوا السلطة قبل هذا « الجا » الرابع ، فان معنى ذلك هو أننا سنعود الى بداية القرن السادس عشر ، أي حوالي سنة ١٥١٠ ، ويعتبر هذا التاريخ تاريخ حكم أول زعيم من قبيلة الجاز على وجه التقريب .

وصول قبيلة الجاز :

لقد وقد بعض أنراد قبيلة «الجاز» من جنوب نيجيريا من مدينة «بيمين»

انتهمت بقتلها . . وهذه القصة يعيها كل من يعرف تاريخ هذه الفترة من حكم « الجاز » .

ان هذه الزعيمة قد أمرت شعبها بحفر بئر لم يستعمل في حفرها سوى الأكف ، وبعد أن وصل الحفر الى بعض العمق ، توقف العمال ، وبرروا توقفهم عن العمل بأن أخبروا الملكة بأنهم قد وجدوا في قاع البئر رجلا منهم من الاستمرار في عملية الحفر ، ففضبت الملكة على هذا الرجل الذي جرؤ على التمرّد على أوامر الملكة نفسها ، واضطرها الى النزول بنفسها في الحفرة لتتحدث اليه ، وهنا وجد الشعب المظلوم الفرصة مواتية للتخلص من هذه الملكة ، فاتهال عليها رميا بالحجارة أثناء وجودها في الحفرة حتى ماتت ، ثم أهيل عليها التراب .

وبموت الملكة أصبح « أوكاي كزا » ملكا على البلاد بعدها ، ولم يكن هذا الملك الجديد يختلف عن أمه في شيء ، فقد كان رجلا عنيدا ميالا للحروب . نزل ساحات الوغى مع « الشيز » وهم شعوب لابادى وأكوماس ، وعندما لم يستطع الصمود أمام المحاربين من قبيلة أكوماس انسحب الى مكان يدعى « نيان ترابى » ، وهناك طلى نصف جسده باللون الابيض والنصف الآخر باللون الاسود ، ثم دعا قادة جيشه والكبار في السن من الاعضاء المحاربين معه ، الى اجتماع يضمهم جميعا ، وأخبرهم بأنه اذا وقع على الأرض ، وكان نصف جسده المطفى باللون الابيض الى أعلى فان ذلك معناه أن الحظ سيحالف قبيلة الاكرا ، أما اذا وقع وكان الامر بالعكس ، أي أن نصفه الاسود قد كان الى أعلى فان ذلك يعنى وجود جو من الارتباك وتسود الفوضى أفراد قبيلة الجاز . وبعد أن انتهى من هذا الحديث قتل نفسه وسقط على الأرض بحيث أصبح نصف جسده الاسود مرتفا .

وكان موته في ٢٠ يونيو سنة ١٦٦٠ ، وبموته أصبح ابنه « أشانجمو » خليفة على عرشه ، فقاد الجيش وهزم قبيلة « أكاموس » في المعركة التى نالهم فيها . ثم رحل الى « ليتيل بوبو » عام ١٦٨٠ ، حيث عاش بها واستقر هناك . وكانت هذه الخطوة من جانب أشانجمو هى التى أثارت عليه بعض أفراد قبيلة « الجاز » الذين وضعوا الاناشيد في هجائه ، وكانوا يتغنون بها ، وينحون عليه باللائمة .

وفي عام ١٧٠٢ نصبت القبيلة زعيما جديدا عليهم فى أكومو ، يدعى « أكونو » وكان أكثر هذا رجلا شجاعا مرهوبا ، تخشى بأسه مناطق الاكرا ، والاكومو ولتيل بوبو ، وقد حدث فيما بعد أن انصرف اهتمام قبائل الاكرا الى تجارة الرقيق ، التى أكسبتهم الثروات العريضة والمال الوفير ، الامر الذى ملأ قلوب أفراد قبيلة أكوموس غيرة وحسدا ، ودفع أكومو الى اعلان الحرب ضد الاكرا . ولحسن حظ قبيلة الاكرا كان لديهم قائد قوى شجاع يدعى « نى آي » الذى بفضل قيادته الحازمة وبطولته المنقطعة النظير ، لم يستطع الاكومويون أن يدخلوا مدينة الاكرا ، وليس هذا فحسب ، بل أنه افتفى أثر الاكومويين حتى حصن « أسهر الهولندى » ، حيث احتفى فيه الاكومويون ، ولم يشط هذا من عزيمة ذلك المحارب العظيم . فقد ظل يراقبهم بجيشه حتى لحق بهم فى أوتو ، ولابادى ، وتيشى ، وهناك أسر أفراد جيش الاكومو . .

وبعد ذلك ساد سلام طويل قبائل الاكرا والاكومو .

بعض عادات قبيلة الجاز القومية

لكل دولة عادات وتقاليد مختلفة . نراها متجلية فى قبيلة الجاز شأن

(٢) حفلات أيام العيد :

يحتفل بالعيد أيام السبت في أكرا، وأيام الثلاثاء في المدن المجاورة للعاصمة . ويقام الاحتفال بالعيد مرة في كل عام . وبغروب شمس يوم الاحتفال بالعيد يأخذ أفراد قبيلة الجاز الذين يفدون من مختلف المناطق القريبة والبعيدة ، في الرحلة إلى مدنتهم المقدسة . ومما يسترعى النظر حقا في هذه الأيام هو أنك تراهم وقد حملوا أمتعتهم على رؤوسهم ، ثم ساروا في مواكب طويلة ، ترافقهم الطبول التي يغنون على قرعها ، حتى يصلوا إلى هذه المدن .

(٣) أكلة « البكبلى »

وأكلة « البكبلى » هذه هي طعام يعد خصيصا لهذه المناسبة ، وقوامه دقيق الذرة أو القمح . ويطبخ هذا الطعام في أيام السبت في أكرا ، وأيام الثلاثاء في المدن المجاورة . ويستيقظ النساء في وقت مبكر من الصباح ، ويبدأن إعداد طعام البكبلى ، وطبقا للتقاليد المرعية يجب عليهن أن ينتهين من إعداد هذا الطعام قبل الساعة العاشرة ، حيث يأخذ الزعماء ، وعلية القوم في التزاور والتنقل من منزل إلى آخر .

(٤) دولاهامز (طلب بركة الآلهة)

ليست هذه العادة إلا تجديدا لذكرى من ماتوا في هذا العام ، ففي منتصف الليلة التالية لعيد الهرموز (الصراخ عند الجوع) تبدأ مظاهر الاحتفال بهذه الشعيرة ، فعلى الشباب والشيوخ أن يظلوا مستيقظين يصرخون ويبكون حتى صباح اليوم التالي ، حزنا على جميع الضحايا أو الموتى الذين سقطوا في هذا العام . وعندما تغرب شمس صباح اليوم التالي ، التي تضادف يوم الأحد في

أي قطر من الاقطار الاخرى ، ولا شك أن هذه الحقيقة تنطبق تماما على دولة غانا . فان قبيلة الجاز التي كانت تحتل جزءا من المناطق الساحلية كانت لها عاداتها وتقاليدها الخاصة بها ، وما تزال موجودة بها حتى الآن .

وتعتبر مدينة أكرا - عاصمة غانا اليوم - الموطن الرئيسى لقبيلة «الجاز» وبالرغم من أن هذه المدينة تعتبر الآن عاصمة دولة مستقلة ، فان أكرا نفسها مدينة صغيرة يحيط بها بعض المدن التي يعيش فيها أفراد قبيلة الجاز مثل مدينة أوسو ، كريستيان ، بروج ، لبادي ، تيفي ، تيشي ، ثنكيا ، تينيا .

وأفراد الجاز في هذه المدن هم ساداتها وزعمائها . ولكن الزعيم الاكبر يعيش في أكرا وتعيش بجانب الجاز أيضا في هذه المدن بعض القبائل التي تعز بزعمائها التقليديين ، وهذه هي بعض العادات والتقاليد القومية الخاصة بالجاز ولا سيما في اعيادهم .

(١) عيد الهرموز

الصراع عند الجوع :

يرجع السبب الرئيسى في احتفال قبيلة الجاز بعيد « الهرموز » هذا إلى هذه المعتقدات :

فقد حدث عندما هاجرت قبيلة الجاز من بينين إلى غانا أن نفد زادهم ، وظلوا يقاسون ألم الجوع ومراة الحرمان ، حتى نما زرع القمح الذى بذروه ، ثم حصدوه .

ويقال في تحليل الاحتفال بالهرموز : ان معركة حامية نشبت بين قبيلتي الجاز والاشانتى ، وحالت هذه المعركة بين قبيلة الجاز وبين دخولهم حقولهم . ومن عادة أفراد قبيلة الجاز أنهم يقدسون يوم السبت ، ويعتبرون الاحتفال به ذكرى يوم الجوع والمتاعب التي مرت بهم .

أكرا ، ويوم الأربعاء في المدن المجاورة يرتدى الشباب والشيوخ ملابسهم الكاملة ، ثم يأخذون في التنقل من بيت الى آخر ، يحتسون الشراب ، ويرفعون أصواتهم بالآغاني . وفي كل منزل يرتاده أحدهم يحييه صاحب المنزل بهذه الكلمات :-

أو والا ، أو والا - يا أو ، أي
فليباركك الله ، فليباركك الله - آمين .
ويخصص الأسبوع التالي لعبادة الآلهة ، والصلاة لها .

(٥) دزوي ساكو مستو (الرقص تحت الأشجار على شواطئ لاجون ساكوم)

يوجد ثلاثة زعماء معينين ، يمثلون ثلاث قبائل معينة في ولاية « جا » يعتبرون مسئولين عن الآلهة ، فهم الذين يعيشون بالوقود والبقر الى « اللاجون » لطلب رضاء الآلهة . وبعد أن يأكل الجماهير من الحجاج الاطعمة ، ويحتسوا المشروبات التي أعدتها لهم النساء بهذه المناسبة ، يرقصون ويمرحون ، ثم يعودون الى بيوتهم . وفي يوم الجمعة التالي يسير القسيس والزعماء في شكل مواكب الى « لاجون » آخر ، يسمى « كولا » في مدينة أكرا ، حيث يسكبون الخمر تكريماً للآلهة ، ثم يبدأون في الرقص الذي يؤدونه على شكل دائري ، ويترنمون بهذه العبارات :-

(دواني أو ، بكيني زي سي ، وولي
توفي آفي) أي : أننا أطفال ، لانقوم بعمل شيء يستحق الذكر .

على أن هذه الطقوس ليست سوى تقاليد قديمة، كما أنها ليست منتشرة بصورة واسعة - كما نظن - بل ليس هناك الا عدد قليل من أفراد قبيلة الجاز ، لا يعرفون الا القليل عن هذه العادات .

ولعل المجاعة والمرض ، واشتداد حرارة الجو هي الحدى الدوافع الرئيسية ، التي ساعدت على بعث

هذه الطقوس .

ومن المؤكد أن قبيلة الجاز في عهدها القديم كانت تهتم كثيراً بالأساطير ، فهم يحترمون قرارات رجال الدين وأنبيائهم ، وعندما يحدث لأحدهم أمر يستدعي ذهابه الى رجل الدين لطلب العلاج ، فإنه يذهب اليه ، حتى اذا عز الشفاء عنده ، ذهب الى النبي الذي يستخدم قدوره الخاصة ، فينظر في قاعها فترة من الزمن ، ثم يعلن قراره ، ويكون هذا القرار هو كلمة الفصل في العلاج .

(٦) هاوس آهي سن (معلومات

عن التوائم)

يحتفل الوالدان خارج المنزل بمولد التوائم بموكب صغير . ثم بعد ذلك يحضران قدرين للتسوامين ، ويطلق أفراد الجاز على هذا القدر اسم **((كولو))**

وتملأ هذه القدور بأوراق أشجار معينة ، أو ببعض المشروبات ، التي يطلق عليها أفراد الجاز الـ (أكبتييف) ، ويطلق الاناء بدم دجاجة صغيرة ، ثم تربط ذراع الطفل بعد ذلك ، وهناك تفاصيل كثيرة لأمر تراعى عادة في تربية التوائم ، وكلها مرتبطة بأساطير ومعتقدات قديمة ، يؤمن بها الكثيرون من أفراد قبيلة الجاز .

وليس من شك في أن لكل جماعة تقاليد وعاداتها التي تحترمها ، وتعمل على المحافظة عليها ، لأنها مهما كانت على جانب من الخرافة أو الاسطورة - تمثل جزءاً من تراثها . وكم يكون جميلاً لو أن دأسي الادب والمهتمين بالبحوث الاجتماعية قد وجهوا عنايتهم الى دراسة تقاليد الشعوب الافريقية ، وتتبعوا أصولها وامتدادها السعيد في أعماق الماضي ، انهم لو فعلوا ذلك لقدموا لنا صفحة مشرقة ، وثروة ضخمة ، يمكن أن تكون أساساً لادب افريقي أصيل ،

وهو ساحر يلف التعاويذ ويستأجر
لينجح الضرر بالغير ، فإذا ما أخفق
سحره المجرد ، لجأ الى السم ، وهناك
الافريقية المختلفة يعرفها العلم الغربي
ويختلف مقدار السم فيها ، والمكان
المفضل للاحتفاظ بالسم بعد شراء
من الطبيب الساحر ، هو أن تدخره
تحت ظفر الخنصر ، وما عليك الا أن
تغمسه في شراب عدوك دون أن
يشعر ، فتكون نهايته المحتومة .

ويشبهه النوع الاول في عالمنا
المتحضر ، العرافون والاطباء والصيادلة ،
وهو لا يقتصر على وصف الدواء
والداء ، بل يتعدى ذلك الى ما يشغل
بال الانسان في حياته وهو يبيع
الناس التعاويذ والتمائم لمختلف
الامراض للشفاء من المرض ولاستئزال
المطر أو لاجتلاب الحب والنجاح وغير
ذلك .

وقد تكون صنعة « العرافة »
متوارثة بين الوالد الى الولد .

وقد تظهر على شخص ما أعراض
من الصرع مثلا ، فتدل على أن الاله
قد اختاره ليعبر عن ارادته ، والعرافون
أو الكهان عند « الماندانج » في
افريقية ، يحملون « خرجا » من جلد
الماعز يحتوى على خليط من أدوات
العرافة قوامها جذور نبات ، وخيوط ،
ووعاء من طين يابس به ماء وتمثالان
لرجل وامرأة ونصلان ، وأربعة
ما يقرب من ٥٧٠ نوعا من الاعشاب
أجراس اسطوانية وقرنان مزركشان
وغير ذلك ، وترى العراف اذا انتهى
من مهمته وتلاوة العزائم أفرغ
خرجه على الارض ، ثم نشر الودع على
الجلد ، وأخذ يستنبط الجواب من
الشكل الذى اتخذه هذه الخرزات على
سطح الجلد .

وفى جنوب منطقة الفولتا العليا
وأعلى ساحل العاج ، يستعملون
شرائط من الجلد ، أو ماء يضيفون



بقلم : الدكتور عبد العزيز رفاعى

من الطبيعى فى بيئة تتحكم فيها،
بل تحركها قوى حيوية ظاهرة
وخافية ، أن تكون غاية ما يتمناه
الانسان فيها أن يضمن لنفسه
وعشيرته الاحتفاظ بهذه القوى ،
والاستزادة منها ، وقد كفل الدين
كل ذلك للجماعة ، ونشأ السحر الى
جانب الدين ليستعين به الافراد ، على
اكتساب تلك القوى ، أو على صدقوى
شريرة تهدد الفرد فى أمنه ، ولما كان
الافريقى يعيش مغمورا بين هذه القوى
الغامضة نشأ الايمان بالسحر فى
حتى كاد يكون اجماعيا فى جميع
أنحائها ، وكذلك الخوف من السحر
وصناعته ، ولقد اقتضى الايمان بالسحر
أن أصبح فى المجتمع الافريقى صناعة
تتفرق بين نوعين من المحترفين فى
ذمة فى الكنغو مثلا ، نوعان من
المتطبين بالسحر ، أحدهما يسمى
بالساحر العادى ، أو رجل التطيب ،
وهو الذى يمزج الاعشاب ويصف
الدواء لذي السقام ، ويصيبه التوفيق
عادة فى علاج المرضى ، ولكن مقدرته
على الشفاء لا تنبع من الدواء الذى
يصفه للمريض فحسب ، بل من
صلات الالفة التى تربطه بأفراد القبيلة
أما النوع الثانى ، فهو شيطان الجماعة ،

اليه بعض الاصباغ ويستشفون
الجواب من انعكاس ألوانها فيه ، وقد
جلب المسلمون معهم نوعا جديدا من
التنبؤ الحسابى يعرف بحساب الجمل
الصغير وحساب الجمل الكبير وضرب
الرملى .

وفى موطن قبائل « لوبى » يعرف
العراف المتطبب بين الناس بما يصيبه
من صرع ، أو ما يأتية من أعمال
جنونية ، كالتهام القمامة ، أو التفوه
بكلام غير مفهوم ، والاستخارة عندهم ،
بوساطة أوضاع الخرز ، أو بترقيص
تماثيل صغيرة معلقة بخيوط وبغير
ذلك . حتى كان ثمة جمعية لهؤلاء
العرافين ، تهتم بتلقين أعضائها تعاليم
خاصة ، وهؤلاء يبيعون للناس تعاويذ
وتماثيل من مواد متنوعة كالخشب ، أو
القرن ، أو أغصان الشجر ، أو
عقود من الخرز ، أو قطعة من حديد
مطروق ، أو نحاس أو فاكهة أو
غيرها ، ويحمل كل فرد من قبائل
لوبى ما لا يقل عن ثلاث تعاويذ ، وبين
القبائل القاطنة فى شمال ساحل
الذهب ، ظاهرة تدل على الاهتمام
بالسحر ، فكل ساحر يقيم محرابا
منزليا يستنبط منه مهنته ، ويمارس
فيه سحره ، وعلى ساحل غينيا يتفشى
بيع التماثيل بين السكان ، أما العرافون
بين قبائل أشانتي ، فيستعملون
وسائل أخرى فى الكشف عن الغيب ،
كأمعاء دجاجة أو مرآة سحرية ، وقد
يستعملون وسيطا للارواح يستلهم
الغيب أمام أحد الامور .

وأكثر التعاويذ انتشارا بين سكان
الساحل ، المكائن الصغيرة والقرون
والمساحيق المتنوعة ، وأنياب الاسد
وأنياب الافعى للوقاية من سمها ،
وصفارة اللوقاية من مؤامرات الاعداء
على حين نجد تعاويذ أخرى لحماية
الجماعة بأسرها .

وبين قبائل يوروبا وغيرها ، ينتشر
نوع من السحر يقوم المتكهن به على
ضرب الرمل ، وهو من تعاليم الإله
المستقبل المسمى عندهم ، « قبا » وهو
الكاشف عن أسرار الوجود والمعبر
عن ارادة الاله الاعظم .

وفى غرب الكمرون تستعمل
« السلة المسحورة » وتوضع فى قلبها
أصواف من أنواع وأشكال مختلفة وقطع
من صخر شفاف ولحاء شجر ، وقواقع
وعظام وبرائن أبو جلمبو ، ولاآلىء
وجلاجل وغيرها ، فيأخذ العراف السلة
ويهرها حتى يختلط ما فيها ، ثم بعد
ذلك يطرح مستوياتها على الأرض ، ثم
يتمعن فى أوضاعها ، ومن خلال نظرتة
الى هذه الاوضاع ينطق بالجواب .

وفى بلاد « أوبانجى » يبدو هؤلاء
المتطببون المتكهنون فى زى من جلد
الحيوان ، وحول رقابهم حبال بها
عقد أو تماثيل ، ويرقصون على أصوات
أجراس وجلاجل مشدودة الى أرجلهم
وهو مظهر من صفاتهم الاجتماعية .

وعند قبائل « البوشمان » ينفرد
الساحر المتطبب ، بقدرة خفية هائلة ،
اذ يزعم أنه يستدرج الطير من مكانه ،
أو يطير الى السماء ويتساق حبالا يقذف
به الى أعلى فيستنزل المطر .

والاستخارة بطرق فقرات من عظام
معروفة ، فى الجنوب الشرقى لافريقية
وثمة بين قبائل « باسوتو » ، و « سوازى »
توجد طبقة من النساء متخصصات فى
مداواة داء الصرع ، يداوين المصاب
بارغامه على الرقص دون استراحة
حتى تهلك قواه ثم يلقي به فى النهر
فتخرج من جسده الارواح الشريرة
التي سببت المرض فى زعم القائلين
بذلك .

ولا تقتصر صناعة السحر على
الكهان والمحترفين اذا كانت تكمن فيهم
قوى خفية ، تكشف لهم عن الغيب .

والاحلام والرؤى فى قبيلة «الكردي»
نوع من التكهّن بالمستقبل ، وفى
الكمرون يستخرون العنكبوت المتنبىء
والناس يزعمون هناك أن هذا النوع
الخاص من العنكبوت، كان أول الخلائق
الحية حتى اذا ما عثر عليه فرد يعتنى
به ، ثم يهمس له بكل مشكلاته
ومهمومه ، ويسأله الجواب عن سؤاله ،
ثم يضع أمام بيته أو حجرته أوراقا
من الشجر أو غيرها فى تنظيم معين
ويتركها ، ثم يترك العنكبوت ليعبث
بها على ان يعود اليها بعد ذلك ليستقرىء
عن نظامها الجديد ما يفيد من المستقبل
وهكذا .

وينصل بأعمال السحر ، طائفة من
المعتقدات والمخاوف النفسية التى
تعرف لدينا باسم الخرافات ، فمثلا
يحد قبائل «الباسا» تمتنع عن العمل
فى فصل المطر ، فاذا ما رأوا مثلا فأر
النخيل فى فناء الدار ، كان ذلك نذيرا
بنزول الموت بأهلها .

وقد تكمن فى الاشياء ، أو الافعال
قوة سحرية، فى رأى أساطير افريقية،
نعمل عملها كما هو موجود ، عند
سكان أشانتي كما تعتقد قبائل النيل
الاعلى ، بأن اللعنة، اذا أصابت انسانا
قتلته ، وخاصة لعنة الوالدين .

وبلغ من اعتقاد قبائل «كيكويو»
فى كينيا فى قدسية القسم واليمين
وقوته السحرية ، ان كل من يحنث
فى يمينه يترقب أن يصيبه الموت المفاجئ
ولقد استغل القداسة جماعة «الماوماو»
فى ثورتهم ضد المستعمرين فى تلك
الارحاء ، فى ضم القبائل الى صفهم
عن طريق القسم، حتى كانوا ينقضون
على المستعمرين الانجليز انقضاض
الصاعقة ، فلما فطن هؤلاء الى أهميته ،
أخذوا يستعملون بين السكان، قسما
يفتتون به وحدة الماوماو ، ويجبرون
به القبائل على عصيانها والانضمام

فى ولاء الى المحتلين ، ويعتقد كثير من
القبائل مثل «الابانجى» بهذه
القيود السحرية الكامنة فى الدعوات
والاقوال ، التى تصبح أشد وقعا
وتأثيرا فى الليل أو فى السحر كما
يعتقدون .

والسحر الذى يستنزل به المطر
من أعظم ما تهتم به القبائل الزراعية ،
وغالبا ما يكون هذا السحر تضرعا
دينيا ، يتوجهون به الى الاسلاف
والآلهة ، غير أنه لكى تنصاع الآلهة
فتستجيب الدعاء يلجئون الى وسائل
عدة ، فعند قبائل «لوندا» يبللون
الفئوس قبل بدء العمل على الارض
أو يبللون التربة بطين رطب ذى لون
أحمر وأبيض وغير ذلك ، وعند قبائل
«سوازى» فى جنوب افريقية يختص
الملك وحده بالقدرة على استنزال الغيث
والاعتقاد بقوة السحرة على احداث
الأذى شائع فى كثير من البلاد ،
ويعتقد الناس أنهم السبب الرئيسى
فى انتشار المرض والموت

والأصل فى شناعة السحر ، كما
يعتقد أغلب علماء الانثروبولوجيا ،
فى هذه الايام أنها تكسب الافريقى
البدائى شعورا بالقدرة على قوى
الطبيعة اذ لا تكفى مقدرة الانسان
وحدها فى مواجهة الطبيعة ، لذلك
يندفع الى الاعتماد على ما وراء الطبيعة
لعون ذاته ، ومن ناحية أخرى تعتبر
صناعة السحر بديلا للعقيدة فى القوى
الالهية عند هؤلاء

وعقيدة وجود الله فى الأديان ،
تمثل الرابطة بين البشر وقوة الطبيعة
الغامضة فى الدنيا ، وهكذا كان ايمان
الافريقين بالارواح يضاف الى ذلك
اتجاههم الى المحافظة على الارتباط
الوثيق بأسلافهم والطبيب الساحر
وسيلة مواتية تحقق هذا الغرض ،
ويندر بين الافريقين البدائيين من
يؤمن بأن أى امرئ يموت ميتة طبيعية

توفره القبيلة في الايام الخوالي قد بدأ في الزوال ، وهم يجسدونه بين العرافة والسحر ، وهم يفضلون أن يتبعوا الارواح من ألا يتبعوا شيئا ما ، ونتيجة لذلك يلاحظ المرء التلاصق والتقارب العجيبين بينهم

وتعتبر افريقية قارة شديدة الاختلاط تنتشر صناعة السحر بين مجتمعاتها ، بل تأتي بنتائج محيرة للأوروبيين في كثير من الحالات .

ان أساطير افريقية ، جملة كثيرة ، تزخر بألوانها المختلفة لان شعب افريقية عاش ولا يزال ، منطويا على نفسه . يضرب الاستعمار الغربي عليه الخمود ، ليزيده انطواء أمام قواه الغاصبة ، واذ يجد فيها أمنه ينسى في ظلها مصالحه الحيوية ، ويمكن الاستعمار من التلاعب به صيره .

ولقد بدأ هذا العهد أخيرا ، يطوى صفحاته المظلمة ، منذ أن تيقظت هذه القارة ، لتزيح عن نفسها كابوس الاستعمار الغربي الجاثم على صدرها . وتستضيء بأضواء المعرفة والفكر آخر الجديد ، وتنتشي وتنضج جفنها الوستبان بأنداء الحرية لتودع حياة الظلمة وتستقبل الحياة الكريمة .

اذ لا بد أن تكون احدى التعاويذ قد ألقيت على فرد ما فسببت وفاته ، واذا مرض الانسان فهو مسحور ، لذلك يستأجر الافريقيون أطباء السحر لالقاء التعاويذ على أعدائهم أو للتفادي مما يلقي عليهم من الغير

على أننا مع هذا يجب ألا نسخر من عادات الافريقيين السحرية ، فكثير من التعاويذ لا تزال تستعمل في عصرنا المتحضر الحديث ، تعاويذ تمارس في حفلات أو تتمثل في حمل بعض المواد ، كحفلات الزار في مصر مثلا ، أو كحمل ذيل الثعلب في بعض السيارات ، أو التشاؤم من رقم ١٣ ، أو النقر على الحشب ، كما يحدث في أوروبا . وقد تبدو بعض الحرافات الافريقية مشدوبا مزريا ، ولكنه لا يبعد أن تستند الى أساس معين وهي مهما كانت تمثل تفكير مجتمع أفريقي ، أغلق الاستعمار عليه منافذ المعرفة

فالافريقيون يتمسكون بخرافاتهم القديمة ، ومعتقداتهم الدينية في قوة واصرار أمام الضغط الغربي الذي يحطم القبائل ويقضى على كثير من عاداتها ، وهم في حاجة مضاعفة الى الامن الشخصي ، لان الامن الذي كانت



الروح الأفريقية في الموسيقى

للاستاذ حلمى شعراوى

فونك فى فاموسه الخاص بالفولكلور والميثولوجيا يعرف الفولكلور الزنجى بأنه : « اسم يطلق اليوم على الفولكلور فى افريقية جنوب الصحراء وكذلك فولكلور الزنوج فى أمريكا الشمالية وجزر الهند الغربية وأمريكا الجنوبية حيث يعيش آباء الزنوج العبيد »

وهذه مقالات جغرافية لحد لها، ولكن الشائع أن كلمة Negro تعنى افريقى غرب افريقية بوجه خاص باعتبارها منطقة كانت يوما ما مصدرا للزنوج العبيد الذين استوردتهم أوروبا للعالم الجديد . أما بقية الافريقيين فهم عناصر « البانتو » جنوب القارة صاعدة نحو الشرق ، وهى منطقة عاش فيها معظم الباحثين فى هذه الفنون ، ولذلك صدرت شواهدهم منها على نحو ما سنرى . أما نحن هنا فسنذكر الخصائص العامة التى تدور فيها الفنون فى أنحاء القارة مؤمنين بفكرة « الدوائر الحضارية » التى خلقتها أو عاشت فيها شعوب افريقية نتيجة المؤثرات المختلفة والتى تلتقى لتكون « روح افريقية واحدة » .

هذه مسألة ، والمسألة الأخرى التى أحب إيضاها للقارئ كذلك هى سبب اختيار « الموسيقى » موضوعا نقدم به الروح الفنية الافريقية . وقد اعتاد بعض الكتاب كذلك أن يفضلوا فنا على آخر فى هذه المسألة ، ولكن النظرية العلمية الاجتماعية التى تربط الفن بالعمل ، ثم تربطهما الاثنين

صفة « الافريقية » التى تطلق على مختلف الظواهر البشرية أو غير البشرية فى هذه القارة من الصفات التى لم يتفق عليها بعد جميع الكتاب وإنما هى تختلف باختلاف ميول الكاتب أو ثقافته .

ولئن كان هناك شبه اجماع فى هذه المسألة فهم دائما ما يتفقون على أن كل ما هو افريقى إنما يبدأ من جنوب الصحراء الكبرى . هكذا نجد عناوين الكتب نفسها مثل المرجع الكبير للورد هيلى عن افريقية كلها وكذلك كتاب لليونسكو عن حركة التدين والتعمير .. الخ « جنوب الصحراء » أيضا ولا ندرى كيف يعتبرون موريتانيا مثلا فى افريقية الغربية « الفرنسية » من ضمن بلاد جنوب الصحراء ! ! ولكن كاتبنا من كتاب تاريخ الفن أمثال م. آدمز حين يتكلم عن الفن الافريقى ضمن الفنون البدائية التى يضمها كتابه « الفن البدائى » يذكر شمالى افريقية كجزء ، ثم يذكر جنوبى افريقية وغربها .

أما بالنسبة « للموسيقى » أو الفنون عامة فنجد كذلك أن كلمة افريقى تعنى عند معظم الكتاب « الفن الزنجى » ، وما دام الأمر كذلك فلا داعى للانتقال الى هذه المناطق النائية فى القارة المظلمة ، وإنما هم يعتبرون « زنوج » أمريكا ممثلين للزنوج فى كل افريقية وما ينطبق عليهم ينطبق على القارة كلها ، ونجد مثلا كتابا مثل

بمستوى أدوات الانتاج التى تسود المرحلة التاريخية للمجتمع ، هذه النظرية تجعل الموسيقى والرقص وفن الكلمة يكمل كل منها الآخر ، بحيث لا يمكن فصلها بهذه الطريقة الميكانيكية، ذلك أن الرجل البدائى حين يعمل بيده يحاول أن يكسب عمله نوعا من الايقاع يهون به على نفسه ، وهذه الايقاعية نفسها هى التى تميز ترانيمه الدينية فى صياغة الكلمة ، ثم هى التى تميز حركة بدنه فى الرقص و «الدقات» التى يترنم ويرقص على أساسها ، أى الموسيقى ، فاذا ما تقدمت بعد ذلك وسائل الانتاج وتغيرت فنون الشعر وأساليب العبادة بقيت الموسيقى محتفظة بخاصية الايقاع الاولى ، ولذلك كان اختيار الموسيقى للتعبير عن الروح الفنية الافريقية صادرا عن اصالتها فى الاحتفاظ بأهم الخصائص الفنية الاولى .

والافريقى على وجه الخصوص
((تجرى الموسيقى فى دمه من المهد الى اللحد)) على حد تعبير كيربى وهو من الكتاب الفنين المعروفين .
ومهما كانت المناسبة فى الحياة الافريقية فلا بد أن تكون هناك موسيقى ، وهى لا تكون فى المجالزينة وترفيها عن الحاضرين ، وانما تكون جزءا وظيفيا من النشاط ، فهى العامل الدائم الوحيد الذى يتطرق الى كل أنسجة البناء الاجتماعى والحياة الخاصة ، وهى من العوامل القوية لحفظ الاخلاص والمعتقدات القبلية . وكل فرد يهزه صوت الطبول المقدسة التى لا يدقها الا طبالون رسميون طبقا لايقاعات مرسومة ، كما تصاحب الموسيقى احتفالات جالب الامطار ومناسبات الميلاد والبلوغ والزواج والمرض والموت ، ولكل من هذه الاحتفالات أغان وموسيقى خاصة ، بل تعتبر التفاصيل الموسيقية عند قبائل الماروزى جزءا

متمما لتفاصيل أداء الطقوس الخاصة بهذه الاحتفالات «
من أجل ذلك فنحن قبل أن نسير فى موضوعنا بطريقة التعميمات أو المبادئ العامة لابد أن نشير الى أننا نقصد بالموسيقى الافريقية موسيقى الشعوب الاصلية الصادرة عن حياتهم العامة لتلك الموسيقى المصاغة فنيا وفرديا ، مما قد تكون فى طريقها اليوم لدى الشعوب المستقلة والمتعلمة، فهناك نص لكاتبة فنانة يوضح هذه المسألة جيدا نورده هنا : تقول مرجريت بوتشر : اذا كانت الموسيقى نقية صادرة أصلا عن الناس أنفسهم ويستخدمونها هم فانها تسمى حينذاك موسيقى فولكلورية أى شعبية بمعنى الكلمة Folk Music أما بعد أن تصبح العناصر الشعبية اصطلاحية وينتشر تقليدها فى مختلف المستويات فانها تسمى موسيقى شعبية بمعنى شائعة

ذات أصل فولكلورى . أما حين تتطور وتصاغ فى تكنيك الموسيقى الرسمية فانها تسمى «موسيقى كلاسيكية» . ونحن هنا نقصد النوع الاول أى «الموسيقى الشعبية» التى تعبر بحق عن الروح الفنية لشعب من الشعوب ، وان كانت هذه الزاوية لم تجد كثيرا من الدارسين الذين يقتربون من الروح الافريقية ، وانما اكتفى كما ذكرت باعتبار موسيقى الزنوج فى أمريكا هى المعبرة عن الموسيقى الافريقية بعامة ، أن توفر من المخلصين للفن أمثال أ.م جونس الذى ارتحل الى وسط افريقية الشرقى، فعاش فى رودسيا وما حولها حوالى عشرين عاما قدم خلالها عدة دراسات هامة تعتبر أوفى المراجع فى هذا الصدد ، كان آخرها وأجلها كتاب «دراسات فى الموسيقى الافريقية» صدر هذا العام فقط . ومن الجهود التى تبذل فى هذا الميدان كذلك

« مجلة الموسيقى الافريقية » بلندن، وجمعية الموسيقى الافريقية التي أنشئت حديثا بجوهانسبرج . وهذه الجهود محاولات لابرار خصائص الموسيقى الشعبية في جهات أخرى غير مراكز الزنوج في غرب افريقية أو أمريكا . .

وسنذكر هنا بعض الخصائص التي يتفق عليها معظم الكتاب خاصة بالموسيقى الافريقية على نطاقها الواسع .

فالايقاع من أكثر الخصائص الفنية للموسيقى الافريقية ميزة ، وقد بينا كيف أنه نتيجة طبيعية للحياة الاجتماعية الانتاجية نفسها ، ولكن الأهم من ذلك أن « جونسن » لا يرى في ايقاع الموسيقى الافريقية هذه البساطة التي يعيها « الايقاع » في كل موسيقى بدائية، ذلك أن الموسيقى الافريقية تتميز بتعدد الايقاعات بما يعتبر مقدمة للموسيقى الهارمونية ، بل انها نوع من الهارموني نفسه في الموسيقى . وهو يقدم هذه الفكرة بمثال عملي من دراسته وان صعبت ترجمته ، إلا أنه مبسط الى حد كبير فهو يقول « ان أبسط صور هذا المبدأ هي كالآتي : اذا عزفت طبلتان في ٣/٨ الزمن وبنفس السرعة فان الدقة الرئيسية للطبلتين الثانية تكون متآنية مع الدقة الثانية أو الثالثة لعصا الطبلتين الأولى ، والضربات الرئيسية لعصا الطبلتين الاخرين لا يمكن أن تتفقا » .

ويقول : ان عالمنا يستخدم «تعدد الايقاعات » تستطيع موسيقاه أن تعبر عن نفسها بعدة وسائل ، فيستطيع أحدهم أن يعزف اللحن على آلات مختلفة الصور ، كما يستطيع آخر أن يؤلف نسقا متكررا من اللحن مختلفة ، بل أنه مادام الامر كذلك في تعدد الايقاعات، فان المرء يواجهه

بسلسلة منها تصحب كل تغير في الزمن الموسيقى الذي تتبعه . وليست الايقاعية هي وحدها أبرز الصفات الخاصة بالموسيقى الافريقية إذ أن « السرعة » كذلك من أبرز خصائص « تكنيك » العزف عند الفنان الافريقي ، فالموسيقى الافريقية تسير أسرع بكثير من مستوى « التيمبو » الغربي ، والمعروف عن مستوى سرعة « الطبل » هو سبع دقات في الثانية الواحدة ، ويمكن صياغة ذلك بصورة أخرى مألوقة حين نقول ان سرعة تتابع الدقات المعزوفة لنغمة دو = ١٤٠ ، ولكن الافريقي حتى اذا كان متأثرا بالطريقة الاوروبية في العزف في الزمن العادي فانها ستصدر عنه ٣/٨ ، ٤/٤ .

ومن المسائل التي تسترعى النظر كذلك في مجال الموسيقى الافريقية بجانب تشابه الخصائص التكنيكية العامة، أننا نجد تشابه الآلات الموسيقية نفسها مما يؤدي الى تشابه الالحان أو التقاليد الفنية وبالتالي التراث الفني لشعوب هذه القارة . ويذكر جونسن كذلك أن الآلات الآتية أسماؤها من أكثر الآلات انتشارا في أنحاء القارة مثل : الأيديوفون والايروفون والنجافون الممبير انوفون كما حاول الدكتور أولجابون أن يضع خريطة لتوزيع آلة الاكسلوفون Xylophoné في أنحاء القارة نتيجة لانتشارها وان كانت هناك بعض الجهات لاتستخدمه .

ولكن آلة مثل السانسا Sansa أو Kaffir Clano أكثر شيوعا من الاكسلوفون ، فهي منتشرة عند قبائل البانتو كما أنها كذلك في افريقية الوسطى والكنغو وغرب افريقية ، وهي آلة تشبه العود لها جهاز صوتي خشبي وشوكة معدنية ، وقد تكون غابة أو مزمارا ذا مفتاح منزلق . ويذكر جونسن « أنه بجانب ما لا انتشار

وشيوع هذه الآلة من دلالة في ذاته ،
يلاحظ أن الألحان التي تعزف عليه
في مختلف الجهات ذات تقاليد واحدة
بذاتها ، ولا تستطيع أن تفرق في
تسجيل جرافوني بين ما يصدر من
عائلة لغوية وما يصدر عن غيرها
مصاحبا لألحانه » .

ومن التقاليد الموسيقية الأخرى
الشائعة الاستخدام ، استعمال **العصا
الموسيقية** فيقف ثلاثة رجال
ممسكين بثلاثة أزواج من هذه
العصا يهزونها معا ليكونوا إيقاعاً
موسيقياً متداخلاً كقاعدة موسيقية
مرحة للمغنى والكورس على السواء ،
وهي منتشرة في غانا - أصلها ولكنها
شائعة في جنوب ووسط أفريقية مع
قبائل البانتو .

وتجمل مرجريت بوتشر بعض
الخصائص العامة للزنج من غربي
أفريقية وفي الأمريكتين على أساس
التقاليد الفنية من ناحية والظروف
التاريخية من ناحية أخرى ، فهي ترى
فيها ميلا إلى التدين « والروحانيات »
التي تعيش في ظلها قبائلهم ، كما قد
أكسبتهم ظروف العبودية التي
تعرضت لها هذه المنطقة بالهجمات
الأوروبية لاستعبادهم وما عانوه في
جو العبودية نفسه بعد انتقالهم ، كل
ذلك صب عليهم لونا من الحزن
والكآبة وإن احتفظت الموسيقى
بحيويتها ، ولكنها تؤكد أن روح المرح
والمزاح والسخرية والشعور الدائم
بالسرور ، هذا هو ما يميز الموسيقى
الزنجية ، وأخذته عنها الموسيقى
الأمريكية الحديثة .

كما أن الفنان الزنجي الذي يحتفظ
بالتابع الإيقاعي العام في القارة لديه
قدرة على التقسيم
الموسيقى ، ولا تقتصر التقاسيم عنده
على الموسيقى ، بل هي في الرقص
كذلك ، وتمتد قدرته على التقسيم

في الرقص الجماعي لا الفردي فحسب ،
وبالرغم من أن الرقص الزنجي يبدو
دائما كأنه مجرد حركة أرجل إلا أن
الإيقاع الموسيقي يبدو تأثيره على
الرقص من أول وهلة

وتثار بالنسبة للموسيقى الأفريقية
دائما مسألة حرية الفنان الأفريقي في
التنوع والتجديد إلى حد يجعل
بعض الكتاب يسمون هذه الخاصية
بالارتجال ، مما لا يجعل هناك قانونا
فنيا . والحق أن الأفريقي متهم في
هذه الخاصية ، كما تنهم الموسيقى
الشعبية دائما في كل البلاد التي لاتجد
من بين أبنائها أنفسهم من يتفهم الفن
الشعبي على حقيقته ، ويدافع عن
جوهره في القدرة على التنوع الإبداعي .

وليس التجديد أو التنوع صفة
مطلقة في الموسيقى الأفريقية ، وإنما
هي مقيدة بتقاليد فنية لاتدع مجالا
لهذا الاتهام ، فالفنان في القبيلة له
وضعه « الرسمي » ، بل إن له صفة
مقدسة ، ذلك لأنه يصاحب أداء
الطقوس الدينية ، بل يساهم مساهمة
فعالة في تأديتها ، والذين لهم هذه
الصفة في القبيلة كالساحر أيضا
لا يمكن أن تتداول مهنتهم بسهولة ،
وإنما هم يعلمونها ويورثونها لأجيال
أخرى جديدة تتناقلها عنهم ، وتشكل
بما يمكن تسميته بطبقة الفنانين ،
كما تعرف الجمعيات السرية للسحرة
في النظام القبلي ، فإذا ما فهمنا هذا
الوضع الاجتماعي للموسيقين أصبح
من الصعب اتهام الموسيقى بالارتجال ،
وإنما هو تجديد وإبداع مستمر من
جانب إنسان ليس عاميا ولا مبتدلا ،
وإنما هو « متعلم » فهم الصنعة من
أهلها ، فإذا دعاه الموقف الانفعالي أو
الاجتماعي إلى تنوع الألحان أو تعدد
الإيقاعات فلن يكون ذلك ارتجالا ،
وإنما هو صادر عن الأصول الفنية
التي يحفظها في باطنه .

وهناك مسألة تعتبر تاريخية بالنسبة للموسيقى الافريقية من جانب ، إلا أنها تفيدنا في بيان وحدة الملامح العامة للموسيقى الافريقية من جانب آخر ، تلك هي مسألة ارتباط الموسيقى بالغناء أو الكلمات وقد قات أنها مسألة تاريخية ، لان الفنون في مراحلها الاولى تكون متشابكة يعتمد بعضها على البعض الآخر ، وكلما تقدمت آلياتها من ناحية وتقدمت الحياة الاجتماعية من ناحية أخرى ، انفصلت الفنون بعضها عن بعض . أما الذي يفيدنا في هذه المسألة فهي أن الالحن التي تتعدد بتعدد ماوراءها من الكلمات تجمعها صفات خاصة ، وتعزف على آلات واحدة أو متقاربة على نحو ما رأينا . وقد وجد الاستاذ جاترى في «تصنيف لغات البانتو» أن هناك حوالى ٧٠٠ قبيلة يكاد يكون لكل منها لهجتها الخاصة ، وأن كانت كلها تكون عائلة لغوية واحدة إلا أن وسترمان قد أحصى ٩٠٠ لهجة في غرب افريقية ليست كلها من عائلة لغوية واحدة ، غير أن هذه الاختلافات اللغوية الكبرى في افريقية لم تنته الى نفس الاختلاف في نواحي الحضارة الاخرى كالموسيقى ، اذ قد رأينا كيف تتشابه الالحن الصادرة عن نفس الآلات في مختلف جهات القارة ، مما يجعلنا نتفاءل أكثر بأن استقلال اللغة عن الموسيقى الذي سيحدث نتيجة التطور سيجعل الروح الموسيقية الموحدة في الالحن بارزة الوجود والاثـر ، ويجعل التقارب الفنى الذى قد لا يكون متحققا نتيجة الاختلاف اللغوى المرتبط بالموسيقى .

ويحاول بعض الكتاب دائما الفصل بين « شمال الصحراء » وجنوبها كما بينا أول المقال ، وأن يعمم ذلك على الظواهر الانسانية المختلفة متخذا

لذلك أسسا مختلفة . وجونس نفسه يفعل ذلك حين يسمى الجزء الشمالى « اسلامى » ، ثم يأخذ في الحديث عن « الموسيقى الاسلامية » التي تختلف عن « الموسيقى الافريقية » ، والمقابلة هنا خاطئة بالطبع من حيث المبدأ والاساس وان كان يمكن أن يكون صاحب حجة فنية في ابراز فوارق بالفعل ، إلا أنها في نظرى يجب أن تعتبر فوارق في المناطق المختلفة للقارة لا فوارق بين أساس دينى وأساس جغرافى . وعلى الرغم من أننا سنورد هنا مجملين نواحي مفارقاته فاننا نحب أن نذكر أن العناصر العربية (وكلمة عربية أقرب الى الحقيقة الاثنولوجية من كلمة اسلامية) قد امتدت في التاريخ خلال صحارى غرب افريقية ، وتكونت امبراطوريات افريقية اسلامية عربية في غربى افريقية مثل امبراطورية «مالى» ومملكة السنغال ، ومازال الى الآن ملوك الاشانتى فى غانا ومسلمو نيجيريا الشمالية شواهد على امتداد التراث العربى ممزوجا بالدم الافريقى في غرب القارة . وهذه العلاقة جديرة بأن يبحث آثارها الفنية العلماء ، وان كنت لا أملك دراسات تحت يدي الآن فى هذا الموضوع . أما فى شرقى افريقية فالعناصر العربية راسخة الجذور ، وأصبح الدم الافريقى والعربى غير متميزين الى حد كبير فى زنجبار وبالتدرج فى تنجانيقا والى حد كبير فى ارتريا والصومال . . الخ ، أما من الناحية الفنية فمما لم يذكره المؤلفون الافاضل أن الآلات الموسيقية الرئيسية التى تقوم عليها الاغنيات والرقصات الشعبية للشباب الافريقى الارتري مثلا هى العود والكمان بصورته الشرقية وقد رأينا ذلك فى القاهرة حين عرض الشباب الارتري رقصة « الكوداه » أو هز الكتف فى عدة مناسبات ، وهى آلات شرقية معروفة ، حتى لقد

ذكرت السيدة «بثينة فريد» أن هز الكتف في هذه الرقصة هو الفن العربى الاصيل الذى تحول فى شمال القارة الى « هز البطن » شمال القارة بشرقيها على هذا النحو . ومع ذلك فسنجمل هنا قول الاستاذ جونز اذ يقول : « لقد انتشر الاسلام فى افريقية ، ولكن « الموسيقى الاسلامية » تختلف تماما عما ندرسه هنا - يقصد الموسيقى الافريقية - ان للاولى جذورها فى الشرق وتنبع اصولها من ايران والهند ، وهناك أربعة فروق بينها وبين الموسيقى الافريقية :

أولا : ان الموسيقى الاسلامية تقوم على « قابلية الايقاع » وهى أكثر بساطة من الايقاعات المعقدة الافريقية ، كما تجد فيها الايقاع الفردى كأساس للاغنية .

ثانيا : فى الموسيقى الافريقية يصاحب الغناء تصفيق باليدين أو الأصوات الجماعية ، أما الاسلامية فتغلب الآلات الوترية يصاحبها صوت فردى مرتعش .

ثالثا : تتميز الموسيقى الاسلامية بغلبة النتاج الصوتى على الموسيقى واختفاء اللحن وراء الأصوات أما الافريقيون فمثل الاوروبيين ، أغانيهم ذات نغم مفتوح .

رابعا : لا يوجد فى الموسيقى الاسلامية أي هارمونى . واعتقد أن هذه المفارقات ستكون موضع نظر المتخصصين .

أما وقد استطعنا الآن أن ندلى بطرف من الحديث فى الموسيقى الافريقية فلا بد أن نردد سؤالاً تساءل

عنه معظم الكتاب الفنيين ونتساءل عنه جميعا ازاء كل فن وهو هل يمكن للموسيقى الافريقية أن تكون عالمية ؟ والحق أن هذا موضوع طويل يمكن أن يقوم بنفسه ، الا أننا يمكن أن نجمل الاجابة استخلاصا مما ذكرناه من الخصائص العامة ، وهى أن الموسيقى الافريقية وهى فى مستواها الشعبى بعد تتمتع بخصائص ثلاث ترفعها الى المستوى العالمى كما يرى لورد هيلى كذلك .

أولها : الالحان التى تتجمع فى بناء موسيقى يميز الموسيقى الافريقية وان بدا أن هذا البناء حر يعتمد على التنوع ، الا أنه منظوم وله مقاييسه ، وهذه خاصية عالمية .

ثانيا : ان هذا البناء الموسيقى يتكون من سلسلة من الايقاعات المختلفة التى تصدر معا فتكون قاعدة للهارمونى ، وهو خاصية عالمية

ثالثا : تلقائية الابداع المتوفرة عند الفنان الافريقى وهى خاصية هامة فى الفن الموسيقى الذى يعتبر القدرة على التنويع والتجديد فى كل من الكلمات والالحان خاضية لها أهميتها فى القدم الفنى .

حلمى شعراوى

المراجع

- Jones' A.M' Studies in African Music, London 1959.
- Butcher, M. J : The Negro in American Culture 1958
- Haily' L. Africa Survey' South Sahara 1956.

طبيعة الحركة التحررية في أفريقيا

في ظل ظروف معينة ، ولذلك فليس غريباً أن نرى ليبيريا في شكلها السياسي ، وفي مختلف أنظمتها العامة صورة مصغرة للام أمريكا ، وحتى في هذه الدويلة الأفريقية نفسها تختل موازين الحقوق السياسية بين سكانها ، فالسلطات والامتيازات والحقوق الانسانية قاصرة على الزنوج الأمريكيين وسلالتهم ، بينما يعيش سكان البلاد الاصليون في وضع شاذ عجيب ، شأنهم في ذلك شأن الأفريقيين في جنوب القارة .

امبراطورية الرجل الابيض :

وفيما عدا هذه المناطق ، كانت جميع أجزاء القارة تمثل امبراطورية المستعمرات الواسعة ، التي تتقاسمها كل من بريطانيا وفرنسا وبلجيكا والبرتغال واسبانيا . وحتى في الحرب العالمية الاولى ، كان يشترك في حكم هذه الامبراطورية أيضاً كل من ألمانيا وإيطاليا ، ولكن لم تكد الحرب العالمية الاولى تضع أوزارها حتى انتزعت من هاتين الدولتين ما كان لهما من مستعمرات في افريقية ، ثم وضعت تحت اشراف عصبة الأمم ، التي عهدت الى كل من بريطانيا وفرنسا واتحاد جنوب افريقية وإيطاليا بإدارة أمورها في شكل يعرف في السياسة الدولية باسم « الانتداب » .

فجر الكفاح في افريقية :

وأحسّت الشعوب الافريقية بمدى الحين والظلم الواقع عليها ، فاستيقظت لتطالب بحقوقها الانسانية الاساسية ، خصوصاً وأن الحرب العالمية الثانية قد أحدثت تغيراً ملحوظاً في الاوضاع الدولية . فقامت حركة تهدف الى تصفية الاستعمار ونظمه وأساليبه في افريقية ، وبدأت هذه الحركة أولى معاركها في مصر ، وبالذات في منطقة قناة السويس ، حيث احتدم الصراع بين جزء من

بقلم
عبد الواحد ابراهيم حسن

في نهاية الحرب العالمية الثانية لم يكن في افريقية سوى ثلاث دول فقط تتمتع باستقلالها ، وهي : ليبيريا في الجنوب الغربي ، ومصر في الشمال الشرقي ، واثيوبيا في الجزء الشرقي من القارة . كما كان يوجد أيضاً بجانب هذه الدول الثلاث : اتحاد جنوب افريقية الذي يمثل جزءاً من الكومنولث البريطاني . وكان له في الوقت نفسه وضع متميز خاص ، ذلك لان هذه المنطقة لاتعد في الواقع دولة من الدول التي يتولى أهلها الاصليون ادارة مقدرات بلادهم وتوجيهها بأنفسهم ، ولصالح شعوبهم ، بل هي دولة تدير فيها مجموعة من المستوطنين ذوي الجنسيات المختلفة من بريطانيين وهنودوملايو وهولنديين ، ويمارس البيض فيها سياسة التفرقة العنصرية ، التي تتسم بطابع العنف بالنسبة لأكثر من ثلثي مجموع السكان .

ليبيريا :

تأسست ليبيريا في حوالي منتصف القرن الماضي من طوائف الزنوج الأمريكيين الذين تحرروا من عبودية الرجل الابيض في الولايات المتحدة ،

الشعب الافريقى يمثله الشعب المصرى ، وبين جنس ابيض من هذه المجموعة الاوروبية التى تستنزف خيرات القارة ، وتمثل فى الجيش البريطانى الذى كان يعسكر فى منطقة السويس ، واستطاع الشعب المصرى الافريقى فى ظل حكومته الشعبية الجديدة أن يحرز انتصارا على بريطانيا ، انتهى بمعاهدة تقضى بجللاء القوات الانجليزية عن مصر .

ونتيجة لهذه الاتفاقية الانجليزية مصرية انتهى نظام السيادة على السودان ، وظهرت على مسرح السياسة الدولية جمهورية السودان المستقلة التى بدأت تلعب دورها فى النطاق الافريقى الجديد .

وسرعان ما انتشرت حركة تحرير افريقية حتى شمال القارة ايضا حيث حصلت المحميتان الفرنسيتان - مراكش وتونس - على استقلالهما ، ثم تبع ذلك استقلال ليبيا التى كانت تحت نظام الانتداب . ومن شواطئ البحر الابيض المتوسط ، وعن طريق الحزام الشمالى لافريقية ، حيث لايزال شعب الجزائر يواصل كفاحه مع فرنسا للحصول على استقلال بلاده ، امتدت الحركة المعادية للاستعمار الى اعماق القارة فحصلت المستعمرة البريطانية - ساحل الذهب - على استقلالها واصبحت دولة غانة الجديدة ، وفى الوقت نفسه أعلنت غينيا - التى كانت تعتبر جزءا من ممتلكات فرنسا فيما وراء البحار - استقلالها على أساس حرية تقرير المصير .

واخذت الشعوب الافريقية تحطم أسوار العزلة التى فرضتها عليها الدول الاستعمارية ، وبدأت أروقة هيئة الامم المتحدة ، ومنظماتها الدولية تعرف مندوبى عشر دول افريقية مستقلة ، يقدر عدد سكانها بحوالى ٨٠ مليون نسمة . ومن المتوقع فى

نهاية العام القادم أن تنضم الى مجموعة الدول الافريقية المستقلة ثلاث دول أخرى كانت تحت الوصاية وهى : مستعمرات الكاميرون ، وتوجولاند ، والصومال ، وزيادة على ذلك فان بريطانيا تتأهب الآن لتحويل نيجيريا الى دولة مستقلة ، داخل نطاق الكومنولث .

والمعروف أن حوالى ثلثى سكان افريقية اليوم يعيشون فى ظل اشكال مختلفة من النظام الاستعمارى ، ومعظمهم يقطن الاجزاء الجنوبية والوسطى من افريقية ، وقد امتدت موجة الحركة المعادية للاستعمار فى كل زاوية من هذه البلاد الشاسعة ، وتبلورت فى شكل كفاحى يقوم به

الافريقيون من أجل تحقيق الاستقلال والمساواة ، وبدأت القارة الواسعة تستيقظ من سباتها العميق ، الا أنه

- لسوء الحظ - لايزال يوجد عامل عكسى مشترك يؤثر اليوم تأثيرا قويا على مصير كل من الحركة المعادية للاستعمار فى افريقية وتطورها ، وعلى تقدم الشعوب الافريقية نفسها ايضا ، هذا العامل هو وجود درجة من التخلف النسبى فى الميدان الاجتماعى والاقتصادى ، الامر الذى أصبح له وزن فى معركة الاستقلال داخل المناطق المستعمرة ، كما أصبح له أيضا اثر بارز فى التطور الاجتماعى والاقتصادى ، لكل الشعوب الافريقية التى تحررت أخيرا ، ومن ثم فان الحركة المعادية للاستعمار فى افريقية بأهدافها ووسائلها الخاصة قد وجدت

استجابة قوية لدى شعوب المناطق التى لم يتكون فيها بعد شكل الدولة ذات المقومات المعروفة ، كما وجدت أيضا اهتماما بالغاً من كل الشعوب الافريقية التى تحررت فعلا وأحرزت استقلالها وسيادتها . ذلك لأن هذه الدول المستقلة لا تستطيع أن تحمى

بفرنسا - كما يراه المراقبون الدوليون - لن يكون أكثر من كومنولث فرنسي يوجد بجانب شقيقه الكومنولث البريطاني . وعندما طلب الى سكان المستعمرات الفرنسية في افريقية أن يعلنوا - أثناء الانتخابات التي أجريت لهم - رأيهم في اختيار شكل من أشكال هذا الاتحاد مع فرنسا ، أو تفضيل الاستقلال ، أسرعت الى اختيار جانب الحرية .

وتعتقد فرنسا أن برنامج ديجول الاصلاحى معناه أن الحكومة الفرنسية قد خطت خطوة واسعة في سبيل حل مشكلة المستعمرات الافريقية ، كما ان هذه الحركة من جانب فرنسا قد كان لها مثيل لدى الحكومة البريطانية ، بالرغم من أن بريطانيا تحرص دائما عندما تحاول علاج مشكلات المستعمرات بتنفيذ برامج اصلاحية على أن تلجأ الى العلاج بروح من التحفظ التقليدى ، والتدرج البطيء ، فتارة تمنح بعض المناطق - بصورة بطيئة جدا - شيئا من نظام الحكم الذاتى ، وتارة أخرى تحقق للشعوب (المطالبة باستقلالها) بعض أهدافها . لكن ذلك لايعنى أن بريطانيا جادة في التخلي عن مستعمراتها الافريقية ، فهي عندما تمنح إحدى مناطق مستعمراتها الحكم الذاتى المحلى ، فإنها تفعل ذلك مضطرة لآخمة تورة عارمة ، يكون شعب هذه المنطقة قد قام بها للمطالبة بحقه في المساواة السياسية الدولية ، واذا مااستجابت لشعب آخر يكون قد حظى بشيء من الحكم الذاتى المحلى ومنحته الاستقلال الذى يطلبه ، فإنما يكون ذلك بشرط دخوله في نطاق الكومنولث ، وبذلك فهي تحاول دائما أن تشدد قبضة نفوذها على مختلف المناطق الافريقية ، وهذه سياسة عرفت بها بريطانيا في الفترة الأخيرة من حياتها السياسية .

استقلالها وسيادتها ما لم تكن يقظة بطريقة ايجابية لخطورة المستعمرين وأطماعهم . وهذا هو الاساس الذى يمكن فى ضوءه فهم معنى أهمية تضمين الشعوب الافريقية كلها ، بالرغم من ان هذه المسألة قد أصبحت - الى حد ما - مشكلة معقدة بسبب طبيعة الاختلاف والتنوع البارز فى المصالح الافريقية التى كثيرا ما انتهت الى وجود متناقضات معينة ، والتى أدت الى خلق وجهتى نظر فى وسائل نجاح الحركة المعادية للاستعمار ، كما سنرى .

سياسة جديدة للاستعمار :

وبانتشار الحركة المعادية للاستعمار - بالرغم من الاختلاف فى تحديد طبيعة وسائل هذه الحركة - وبتقوية روح الاصرار على تحقيق الاستقلال بين الشعوب الافريقية ، وجدت السلطات الاستعمارية نفسها مضطرة الى اتباع سياسة جديدة تتلخص فى ادخال طائفة من الاصلاحات فى المستعمرات التى تفرض ساطانها عايتها . وبدأت كل من بريطانيا وفرنسا ، تعلن أجماع الراى العام العالمى عن عزمها على تنفيذ الاصلاحات التى ترفع من مستوى شعوب مستعمراتهم ، ذلك لكى تخمد حركة التحرر وتضعف من حماسها ، ولكى يتسنى لها فى الوقت نفسه ضمان وجود هذه المستعمرات فى نطاق السيادة الاوروبية ، وأخذت السياسة الفرنسية ترسم برنامجا عجيبا لعلاقاتها مع ما تسميه مناطق فرنسا فيما وراء البحار ، فمن بينها مناطق ذات حكم ذاتى محلى وأخرى تتمتع بدرجة من التطور السياسى الخ . ولكل شكل من أشكال هذه المناطق نوع من العلاقة مع فرنسا داخل المجتمع الفرنسى السياسى الجديد . والمتوقع أن هذا الشكل من العلاقات

على أن هذه الاصلاحات السياسية التي تقوم بها كل من فرنسا وبريطانيا مضطرة أمام الظروف القائمة ، والتي تتجه الى منح الافريقيين بعض حقوقهم السياسية ، لا يمكن أبدا - كما قل رادوفانوفيك - أن تحل مشكلة المستعمرات الافريقية في جوهرها وفي أساسها . لأن المفهوم أن هذه السياسة ليست إلا لحماية الساطات الاجنبية ، والمحافظة على النظام الاستعماري الذي يبقى على مصالحها . وحتى في المناطق التي ينفذ فيها نظام اداري يدعى المستعمرون أنه شكل انتقالي ، وخطوة تقدمية نحو تحويل السلطات إلى نظام الحكم الذاتي ، حتى هذا النظام نفسه لا يحظى بتمثيل مختلف عناصر السكان ، فهو دائما مركز في العاصمة ، ووظيفة السيادة تكون دائما في يد أعضاء وأجهزة هذه العاصمة .

ولا يستطيع الانسان أن يؤكد إلغاء الوضع الاستعماري في أية منطقة من مناطق افريقية المحتلة ، ما لم يكن هناك اعتراف تام بالاستقلال الكامل ، كما هي الحال في غانة ، أو غينيا .

ولم تعد المسألة في نظر العقلاء من أبناء افريقية مسألة اصلاح النظام الاستعماري ، بل أصبحت المشكلة التي يعماون على حلها اليوم هي إلغاء الوضع الاستعماري إلغاء تاما شاملا .

فهم يرون أنه مهما اتسعت دائرة تمتع سكان القارة بحقوقهم السياسية دون الاعتراف بحقوقهم في الاستقلال التام ، فإن ذلك سيكون له أثر ضار على تحسين الاحوال المعيشية للسكان ، لأن هذا الوضع لن يساعد على إلغاء تبعية مصالح الافريقيين السياسية والاقتصادية لمصالح المستعمرين البيض . ويرى « رادوفانوفيك » السياسي اليوغوسلافي الكبير : أن أي اصلاح يقوم به البيض في المستعمرات

الافريقية دون وجود اعتراف منهم بحق هذه الشعوب في الاستقلال الكامل ، يمكن أن يعتبر من ناحية المستعمرين اجراءات لايد منها ، لحماية وضع السلطات الاستعمارية في افريقية بطريقة تتفق مع الاحوال والظروف الجديدة ، كما يعتبر من وجهة نظر الافريقيين مرحلة من مراحل تصفية النظام الاستعماري .

وبالرغم من ذلك ، فإن الامور تسير بصورة مختلفة . كما تتطور بطريقة مختلفة ايضا ، وذلك في الجزائر شمل القارة ، حيث تأخذ الحركة المعادية للاستعمار شكل الكفاح المسلح الحصول على الاستقلال التام ، وتتميز صورة المعركة في الجزائر اليوم بطابعين :

الاول : ان فرنسا ليست مستعدة للاعتراف باستقلال الجزائر بحجة أنها جزء من الوطن الفرنسي .

الثاني : ان جبهة التحرير الجزائرية لا يمكن أن تقبل أي حل لا يضمن للجزائر استقلالها الكامل . وهذا التناقض بين قضيتين احدهما صحيحة ، والاخرى لانصيب لها بالمرّة من الصحة ، هو الذي يؤدي إلى استمرار المعركة في هذا الجزء من افريقية ، واحتدام جذوة الصراع المسلح ، مما اضطر فرنسا إلى تركيز معظم قواها العسكرية والحربية في الجزائر ، وسيؤدي حتما إلى توسيع نطاق حركة المقاومة ضد فرنسا في مناطق نفوذها الاخرى في افريقية ، حيث تضعف هناك قواها .

ولو أن الشعوب الافريقية المستعمرة قد أصبحت تؤمن بمبدأ التطور السلمي للوصول إلى الاستقلال ، فإن معنى ذلك أن برامج الاصلاح التي يدعي الفرنسيون والبريطانيون أنهم سينفذونها في مستعمراتهم الافريقية ستقضى - حتما - على روح الكفاح

ضد الاستعمار بين شعوب افريقية في المناطق التي لم تتحرر بعد .

ويرى رادوفانوفيك ان الحركة المعادية للاستعمار في افريقية اليوم تتأثر بعاملين يختلفان في المصدر والوسيلة ، يتمثل أحدهما في ضرورة الكفاح لكسب الاستقلال بصورة مباشرة ، والثاني يطالب بمزيد من الاصلاحات التدريجية التي تعد بها السلطات الاستعمارية ، حتى يمكن الوصول الى درجة من التطور السياسي ، يساعد الشعوب على تحقيق استقلالها الكامل . وهنا تبرز بعض الاستفسارات التي تتطلب ردا شافيا يحدد نوع الكفاح الذي لابد منه .

أولا : هل تتفق المصالح العامة لسياسة الشعوب الافريقية الدولية ، على مالها من وضع دولي معين ، مع مصالح السلطات الاستعمارية بما لها من مشكلات دولية معينة ؟ ثانيا : هل تتفق علاقات افريقية بمشكلاتها ، التي تعتبر نتيجة منطقية لارتباط الشعوب الافريقية بالحكومات الاوروبية ؟ ثالثا : هل تتفق علاقات وارتباطات افريقية بأوروبا مع الاستقلال السياسي لافريقية ؟ .

لا شك في ان هذه الاسئلة ذات أهمية قصوى بالنسبة لتقرير موقف وطبيعة الحركة المعادية للاستعمار في افريقية .

والسؤال الذي يتردد الآن في الاوساط الافريقية المختلفة هو : هل الحركة المعادية للاستعمار يجب ان تأخذ شكل كفاح مسلح كما هي الحال في الجزائر وفي كينيا وغيرها .. أم انه لابد من أن توجه جهودها نحو مطالبية المستعمرين بالمزيد من الاصلاحات في الميدان السياسي ، حتى تنهي الوصول الى درجة الاستقلال الكامل ، كما هي الحال في نيجيريا وغيرها ؟

ويرى « رادوفانوفيك » ان الاجابة على مثل هذا السؤال أمر قد أصبح اليوم في يد الاحداث نفسها ، فالشعوب الافريقية لم تعد تطيق صبرا على سياسة العلاج البطيء الذي لا تؤمن بنتائجه ، وحركة البعث التحرري التي انبثقت في أجزاء مختلفة من القارة الواسعة ستمتد حتما الى شتى مناطق القارة . والرأي العالمي الحر لن يترك الامور تسير وفقا لهوى الظالم على حساب المظلوم » .

ان اجراس الحرية تجلجل اليوم بصوت قوى عنيف في قارتنا الكبيرة الواسعة ، وقد نفخ العمالق الاسود عن كاهله تراب العبودية ، وانطلق من قمقمه ، ولن تستطيع قوة ما كائنة على وجه الارض أن تعيده اليه مرة ثانية ! ..

قبيلة "فرانت" غانا

بقلم جيمس دينولدز ايساندوه

« دينبو » مكانا استقروا فيه ، وعاشوا على أرضه . وتبعد « دينبو » هذه عن مدينة أكرا عاصمة غانا بحوالي ٢٣ ميلا ، وتمتد هذه المنطقة حتى تتلاقى بمنطقة أكسيم التي تقع في أقصى غرب الساحل .

على أن بلاد « فرانت » تمتد لمسافة تقرب من ستين ميلا ، وتشاركها في حدودها ، وعلى نطاق واسع قبيلة « الاشانتى » وقبيلة الاكواينز ، وهما القبيلتان اللتان تؤلفان مع قبيلة فرانت مايسمى بالاكانز . وتختلف اللهجات بين هذه القبائل الثلاث ، إلا أن التفاهم ، بالرغم من هذا الاختلاف اللهجي ، أمر يسير بالنسبة لأي فرد من أية قبيلة من هذه القبائل أو القبائل الأخرى . كما أن لكل قبيلة من هذه القبائل الثلاث عاداتها وتقاليدها الخاصة بها . ومع ذلك فإن هناك لهجات كثيرة يتحدث بها أفراد قبيلة « الفرانت » ومن بينها لهجة يتكلم بها الجميع . ومن السهل معرفة الجهة التي ينتمي إليها المتكلم من أفراد القبيلة ، إذا لاحظنا طريقة اخراجه أصوات الكلمات التي ينطقها . وعلى أية حال فلم يعد ثمة شك في أن أفراد القبيلة كلهم مهما تكن الجهة التي يعيش فيها أي فرد منهم يستطيعون التفاهم بعضهم مع بعض .

ولا يشذ عن هذه القاعدة في مجموعة لهجات الفرانت سوى اثنتين منها ،

تعتبر قبيلة « فرانت » من أكبر قبائل غانا عددا ، فهي تكون جزءا من مجموعة مايسمى بـ « الاكانز » التي تتألف من قبائل أشانتى واكواينز وفرانت .

وإذا نظرنا الى تاريخ هذه القبائل وجدنا أن الاكانز كانوا يمثلون قسما من مملكة غانا القديمة المستقلة ، التي تفككت أو زالت في حوالي القرن الثالث عشر . ثم وجدت آثار هؤلاء « الاكانز » في بعض مناطق مصر . ويقال انهم قد هاجروا الى أواسط افريقية ، بسبب ظروف مختلفة ، ثم كانت هجرتهم الثانية بعد ظهور الاسلام ، ومن هنا كونوا جزءا من امبراطورية « اوانس » في أشانتى . ولم يلبث أن انزح عدد كبير من هؤلاء المهاجرين الذين استوطنوا « تكيمان » في منطقة أشانتى ، في الاتجاه الجنوبي حتى وصلوا متفرقين الى الشاطئ . وعاش قسم منهم حول نهر (برو) في الجهة الغربية ، وأسس قسم آخر (أكواخا) في المنطقة التي يطلق عليها الآن اسم « منطقة الساحل ذي الرعوس » . أما الفريق الثالث من هؤلاء المهاجرين فقد قدر له أن يعيش في « الميناء » على بعد ثمانية أميال من منطقة الساحل ذي الرعوس .

وهكذا نرى أن قبيلة « فرانت » طائفة من المهاجرين الذين نزحوا من تكيمان في اتجاه الشريط الساحلي ، واتخذوا من منطقة الساحل عند

هما لهجة جماعة « ايفوتوس » في « دينيا » ولهجة جماعة « تريماس » في منطقة « اكسيم » .

تقاليد الزواج

أما تقاليد الزواج وعاداته بين أفراد قبيلة الفرائت فلا تكاد تختلف عن مثيلاتها في المناطق الأخرى ، من حيث الأصول الأساسية ، وبالرغم من ذلك فللفرائتين بعض العادات التي تتميز بطابع خاص .

من ذلك مثلا : طريقة الزواج الوطني التقليدية ، ونظام الزواج بموجب العرف أو القانون الذي صدر عام ١٨٨٤ ، الذي يتم بطريق مكتب التسجيل ، أما نظام الزواج الأول ، وهو نظام تتحكم فيه التقاليد القبلية إلى حد كبير فلا تكاد نرى من أفراد قبيلة الفرائت من يسير على قواعده اليوم سوى طوائف قليلة ، ففيه ما يعرف « بالاسبينسا » وهو عبارة عن مقدم الصداق الذي يدفع كرمز للخطوبة أو طلب اليد وتأكيد الزواج . وهذا المبلغ « الاسبينسا » يعتبر مسألة لها أهميتها القصوى في تقليد القبيلة . وتتراوح تكاليف الخطبة ما بين ١٢ إلى ٤ جنيهات أو ١٥ إلى ١٠ جنيهات ، وذلك حسب مستوى الفتاة من حيث التعليم أو عدم التعليم .

ومن العادات الشائعة عدم قبول المهر في حالة الارتباطات القانونية ، وعلى الزوج أن يعد جهاز العروس الذي قد يتألف من : مجموعة من الحلوى ، وزوج من الأقراط و « بروش » . ومن العادات التي تحترمها القبيلة أيضا ، وهي عادة قومية مرعية جدا ، هي أن يأخذ أهل العروس الفتاة في موكب تضيئه الأنوار حتى يصلوا بها إلى قاعة الاستقبال ، التي يكون الزوج (العروس) قد أعدها وجلس فيها مع والديه وأصدقائه في انتظار قدوم هذا الموكب . وقبل تقديم

المشروبات التي تكون عادة من النوع الخفيف . . يبدأ الزوج طلب يد الفتاة ، وعندئذ يتبادل الأهلون التهاني ، ثم تلقى على الزوجين بعض العظات ، ويختلى الزوجان بعد ذلك ، وبهذا تنتهى مراسم الزواج . أما الزواج بموجب العرف أو القانون فهو صورة من مثيله الذي يطبق في أى بلد متحضر .

بعض تقاليد الولادة

من المعتقدات السائدة بين أفراد « الفرائت » أنهم يعززون مسألة عدم انجاب الأطفال إلى غضب الآلهة ، وعدم رضائها ، وأن الآلهة قد يرضون إذا ما قدمت لهم بعض الأعمال التي يظهر فيها جزئيا التضحية . ويقوم الآباء الذين يفقدون اثنين أو ثلاثة من أولادهم بتسمية الطفل الذي يعيش بعد ذلك باسم غريب ، كما يضعون على وجه الطفل علامة خاصة تبقى ظاهرة طيلة حياته . أما إذا كان المولود أنثى فإنهم في العادة يجعلونها ترتدى ملابس معينة ، بحيث تبدو نصف عارية ، فيغطون رقبتها بقطعة من الجلد ، ويغطون نصفها الأسفل من الامام والخلف بقطعة من الحرير ، وتلبس قطعة من الصدف بدلا من الحلوى الذهبية .

أما ولادة التوائم أو ثلاثة أولاد مرة واحدة فتعتبر من الأمور غير الطبيعية ، وذلك لما للتوائم من عادات وتصرفات معينة تكون بمثابة الظواهر الخارقة . ومن العادات التقليدية ربط معصم يد التوأم اليمنى بخيوط من الليف المزرکش ، اعتقادا منهم بأن ذلك يجعلهم يتمتعون بالحصانة . وعندما يحتفل بعيد الميلاد السنوى تنزع هذه الخيوط الليفية من معصم يد التوأم ثم تغمس في بيض طازج . وهنا يدعو الجميع للتوأم بالصحة والسعادة والوقاية من كل سوء ، ثم يتقدمون إلى طبق (الايتو) وهي أكلة شعبية ، وإلى البيض المسلوق المعد لهذه

المناسبة . وفي نهاية الجفل التي لاتزال كل تقاليد متبعة ومرعية حتى الآن ، يقوم لاهلون بالباس التوام الحيوط الديفيه مره اخرى .

ومن السهل معرفة اسم اليوم الذي ولد فيه الشخص ، وذلك اذا عرفنا اسمه ، ذلك لان هناك تقليدا خاصا بوضع أسماء الاطفال ، يرتبط الى حد ما بيوم ميلاد الطفل . فالمولود الذكر الذي يولد مثلا يوم الاحد يسمى (كويسى) والانثى التي تولد في اليوم نفسه تسمى (ايسى) . وهذا التقليد في اطلاق الاسماء على الاطفال يكاد يكون سائدا بين أفراد جميع القبائل في غانا .

ولكل عائلة في قبيلة « الفرانت » كما هي الحال بالنسبة الى جميع القبائل الاخرى في غانا ، شخص يطلقون عليه اسم « رب العائلة » . ويختلف لقب العائلة هناك في مفهومه ومدلوله عما هو متداول بين الاجانب . فأفراد العائلة هم جميع أولئك الذين ينتمون الى جد واحد ، والذين تربطهم بعضهم ببعض أواصر القربى والصداقة . ويسرى نظام الارتباطات العامة على جميع أفراد العائلة . ويتولى « رب العائلة » مسئولية كل ما يتعلق بالزواج والوفاة والوراثة الخ . . ومن العادات المتبعة هناك أن يرث المتوفى ابن عمه أو خاله أو عمه الذي يصبح مسئولا عن كل ما تتطلبه حياة الارملة وأولاد المتوفى . ويعمل - الآن - شباب قبيلة الفرانت على اثاره موضوع عدم وراثة الابن لابييه بين الحين والآخر ، الا أن ايجاد حل لهذه المشكلة التقليدية سيظل أمرا رهينا بمشيئة الزمن .

احتفالات التنصيب

لاتزال الاحتفالات الخاصة بانتخاب الرئيس أو الملك وتنصيبهما حتى الآن، من التقاليد التي يحافظ عليها أفراد قبيلة الفرانت . فالرئيس أو الملك بحكم مركزه - رئيسا أعلى للدولة - يكون بهذا الاعتبار موضع القداسة

والاجلال ، ومن مظاهر سلطانه واحترامه احاطته بكل شعارات الحكم التي تتألف من مقعد قديم ومظلة رسمية وهودج وسيف ومجوهرات رسمية وأتباع الخ . كما أن الحاكم هو الذي يرأس مجلس الدولة .

وفي الاحتفالات السنوية تقوم الرعية بحمل الحاكم على هودجه ، ويسرون به في موكب رسمي تصحبه الطبول والافراح . ولكل منطقة أو ولاية من ولايات بلاد فرانت أعيادها واحتفالاتها الخاصة بها ، ففي « دينيا » مثلا يقوم الاهالى بصيد الغزلان . وفي « المينا » يسمح بصيد السمك من الانهار كما يسمح بكثير من الامور الاخرى . وليست هذه العادات كلها الا ذكرى وتخليدا لبعض المواقف التاريخية ، أو الاحداث الخاصة في المناطق الاخرى .

وفي الايام الاولى لهذه الحفلات - التي لن نخوض في ذكر تفصيلاتها الآن - يؤم مدن فرانت الرئيسية جمهور غفير من الناس في اوقات مختلفة من العام . ويرتدون ازهى وأجمل مآلديهم من الملابس ، احتفالا بهذه المناسبة . ويقوم الشباب من الجنسين في مثل هذه المناسبات بالبحث عن (الزوج) عروس المستقبل، وتنظيم حفلات جماعية تعد فيها أفضل الاطعمة وأشهاها ، وفي أيام هذا الاسبوع تسود مظاهر الفرح والسرور جميع الطوائف ، اللهم الا عندما يعلو نواح العجائز من النساء في وقت مبكر من الصباح وهن يتذكرن العزيز الذي مات .

وبعد . . فهذه محاولة سريعة يمكن أن تعطينا فكرة ولو خاطفة عن تأثير قبيلة « فرانت » في مجتمع غانا ، بصفة عامة . .

أما في مجال النشاط الثقافي والتربوي ، فمن المعروف أن أفراد قبيلة « فرانت » يعتبرون من أكثر طوائف غانا ثقافة وعلمًا . فعددهم في

فرانت ١٠
من هذه الصورة السريعة التي
أوضحنا يتبين مدى الأثر الكبير الذي
أوجدته قبيلة ((فرانت)) في الميدانين
الثقافي والسياسي ، وعلى ضوءها يمكن
للقارئ الحكم بنفسه على أهمية ما
وصلت اليه قبيلة فرانت في الميدانين
الأخرى .

وما أشد حاجتنا الى دراسة كثير
من هذه القبائل التي تذخر بالكنوز
النفسية للقارة الافريقية .

فمن خلالها نستطيع الحكم على
ماضي القارة ، وعلى حاضرها ، بل
وعلى مستقبلها كذلك . لان الفروع
الجديدة يجب أن تنمو وتزدهر على
نفس الجذور القديمة !!

ميادين الثقافة العالية أكثر من عدد
الأفراد الآخرين الذين ينتمون الى
القبائل الأخرى في غانة . وفي مدينة
الساحل ذي الرعوس وهي إحدى
مدن فرانت الرئيسية ، توجد أحسن
المدارس الابتدائية والثانوية في غانا
على الإطلاق ، وكثيرا ما توصف هذه
المدينة بأنها مركز من أهم مراكز العلم
والثقافة .

أما من حيث النشاط السياسي ،
فان « فرانت » لاتقل أهمية في هذا
المجال عن أي ميدان من ميادين النشاط
العام الأخرى .

ومن المعروف أن رئيس وزراء
غانة ، ومعظم أعضاء الوزارة
والسياسيين والقادة من أفراد قبيلة



دور الزنوج في ثورة «كوبا»

✽ نصف قوات الثورة من الزنوج
✽ الرجل الثاني بعد «كاسترو»
زنجي شاب

يروى تاريخ جمهورية «كوبا» أن عبدا افريقيا استطاع ، منذ ما يقرب من قرن ، أن يقود ثورة وطنية كبيرة لتحرير البلاد من الاحتلال الاسباني ، ومنذ ذلك الوقت وأهل «كوبا» يعتزون بذكرى ذلك البطل الافريقى ، وكان اسمه « انطونيو ماركيو » ، ويعتبرونه بطلا وطنيا من أبطال تاريخهم ، فيحتفل التلاميذ في المدارس كل عام بذكرى مولده ، وتعطل المصالح ، ويحتفل الناس في كل مكان ، ويلتفون حول تمثاله الكبير المقام في أكبر ميادين « هافانا » عاصمة « كوبا »

واليوم يعيد التاريخ نفسه ، ويتقدم بطل زنجي آخر ليحتل مكانة بارزة في تاريخ «كوبا» المعاصر ، فحينما نجحت قوات الدكتور فيدل كاسترو منذ أشهر قليلة في احتلال العاصمة ، والقضاء على دكتاتورية « باتيستا » ونظامه الفاسد ، كان من بين القواد الخمسة الذين أشرفوا على قوات الثورة قائد زنجي في الحادية والثلاثين من عمره هو الماجور « جوان ألميديا » الذى يحتل المكانة التالية في جيش الثورة بعد « كاسترو » نفسه ، وقد تحمل مع زملائه السجن والتعذيب ، وقاسى كثيرا في تنظيم حرب العصابات فى الجبال حتى كتب للثورة النصر .

وقد قام « ألميديا » بأخطر دور في هذه الثورة ، اذ ظل طوال السنوات الست الماضية مسئولا عن تدريب

الثوار على حرب العصابات ومختلف فنون القتال ، وما زال بعد الثورة هو المسئول عن تحويل هؤلاء الثوار الى جيش نظامى حسن التدريب ، وقد عهد اليه الى جانب ذلك بالاشراف على الكلية الحربية ، وهو أول زنجي يشغل هذا المنصب فى تاريخ «كوبا» كله . .

وبالرغم من هذه المكانة الكبيرة التى يحتلها « ألميديا » فما زال يحيا حياة بسيطة للغاية ، ويقود سيارته الصغيرة بنفسه ، ويتمنى حينما تستقر الاوضاع الجديدة أن يستطيع الاستقالة من مناصبه ليكمل دراسته للهندسة .

وهو فى أمنيته هذه يتفق مع معظم زملائه من زنوج «كوبا» الذين يقدرسون العلم ، ويعتبرونه خير سلاح يمكن الانسان من مواجهة الحياة وصعابها وفى عهد « باتيستا » لم تكن فرص من أنصار الحاكم ، حتى لقد اضطر « ألميديا » الى أن يشتغل عامل بناء ليستطيع اقتصاد نفقات تعليمه ، وحينما التقى « بكاسترو » ، وحدثه هذا الاخير عن ايمانه بضرورة اتاحة الفرص لجميع المواطنين على السواء ، لا فرق بين أبيض واسود ، لم يستطع « ألميديا » الا أن يتبعه ، ويضع كل طاقته فى خدمة أهدافه .

ومنذ ذلك الوقت تعرض «الميديا» لتجارب قاسية جعلت منه ذلك البطل الشعبى المرموق ، فقد اشترك مع نحو ثمانين زائرا فى الهجوم على قلعة « مونكادو » الحصينة فى ٢٦ من يوليو سنة ١٩٥٣ ، وأبلى بلاء حسنا ، وقبض

لانه لم يجد الوقت الكافى لاجراء العملية اللازمة لخراجها .

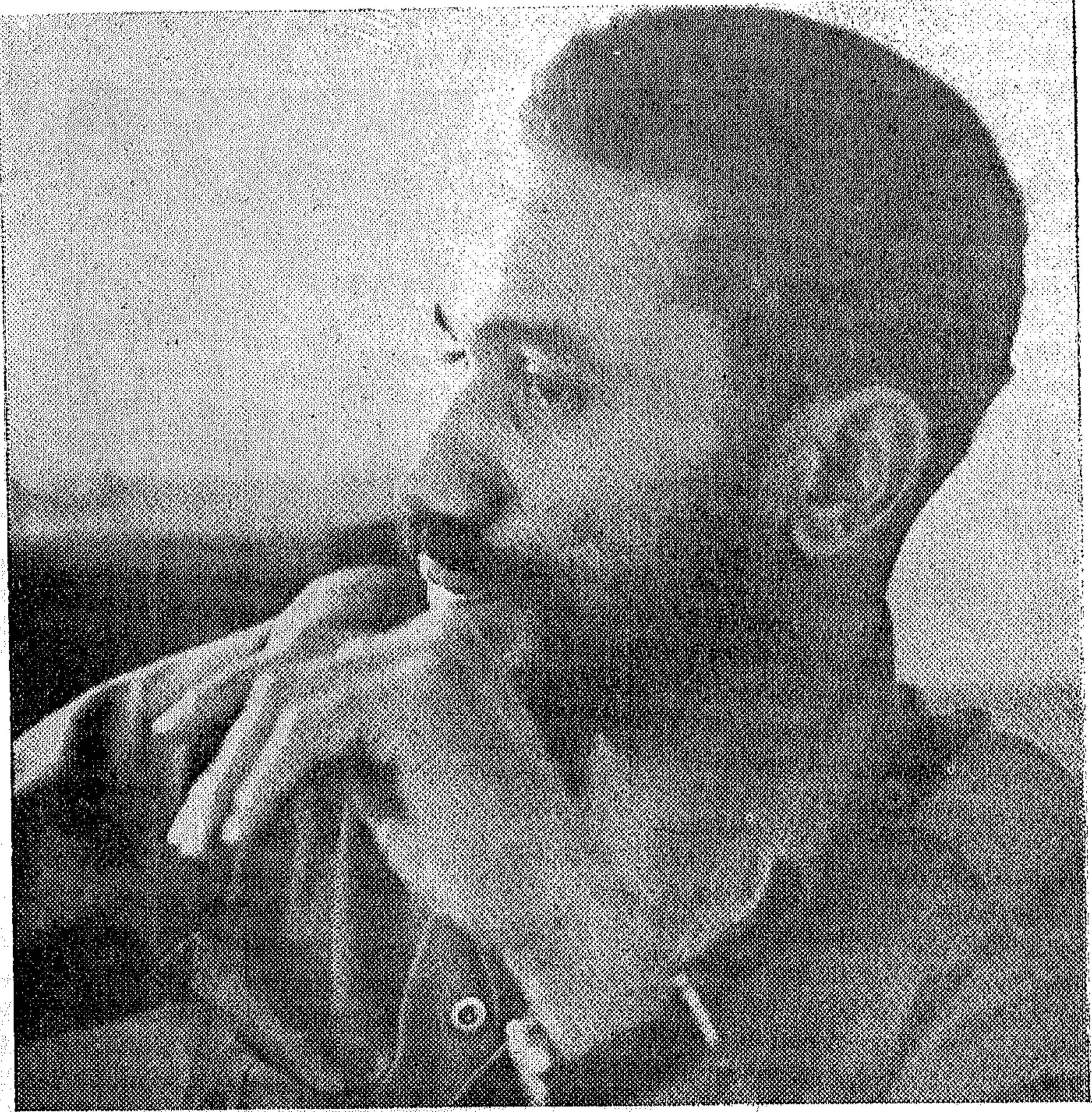
وهو كبقية جنود الثورة لا يتقاضى مرتبا ، بل يعيش منذ هجر مهنة البناء على قدر من الطعام والملابس يدبرهاله جيش الثورة .

وليس « الميديا » هو الزنجى الوحيد الذى قام بدور هام فى ثورة « كوبا » فأكثر من نصف جيش « كاسترو » من الزنوج ، وقد قام كثير منهم بأعمال بطولية أهلتهم لتولى أخطر المناصب فى حكومة الثورة ، وقد كان ذلك من بين العوامل الهامة التى ساعدت على نجاح الثورة ، وهزيمة قوات الحكومة ، اذ كان عدد كبير من الزنوج المقاتلين فى صفوف « باتيستا » ، يهجرون جيش الحكومة . وينضمون بأسلحتهم الى قوات الثوار .

ومن أشهر الزنوج الذين أسهموا بدور هام فى نجاح ثورة « كاسترو » جابينو أولسيا قائد قوات المقاومة السرية فى « هافانا » فقد قام بوضع القنابل والمتفجرات حول مبنى حكومة « باتيستا » ، وحينما قبض عليه بلغ من وحشية جنود الحكومة فى تعذيبه أنهم خصوه ، وخلعوا أسنانه وأضراسه الواحدة بعد الأخرى وحطموا عظام جمجمته ، ولكنه رفض مع ذلك أن يدل على زملائه ، أو يخون ثورته وكانت شجاعته ومقاومته البطولية من بين العوامل الهامة التى رفعت من معنوية الثوار وأيقظت الآمال فى نفوس شعب « كوبا » بقرب تحرره من دكتاتورية « باتيستا »

عليه مع الدكتور « كاسترو » وحكم عليهما بالاعدام ، ثم خفف الحكم الى السجن بعد تدخل بعض رجال الكنيسة وحينما خرج « الميديا » من السجن هاجر الى المكسيك حيث لحق « بكاسترو » وأنصاره ، وهناك سجن مرة أخرى بتهمة التأمر ، ولكن سرعان ما أفرج عنه ، فبدأ يتدرب على حرب العصابات وأبحرت بعد ذلك سفينة الى شاطئ كوبا تحمل ٧٢ فدائيا ، كان عليهم أن يشعلوا نار الثورة فيها ، وكان « الميديا » واحدا من القواد الثلاثة الذين عهد اليهم « كاسترو » بتنفيذ هذه العملية وقد قاتلت هذه الجماعة قتالا مريرا ولكن قوات « باتيستا » استطاعت أن تنتصر عليها فى النهاية بكثرة عددها وقوة عتادها ، وفر « الميديا » الى الجبال ومعه أحد عشر جنديا ، كانوا هم نواة جيش الثورة . وقد عهد اليه بعد ذلك بقيادة فرقة مكونة من ١٥٠٠ جندي ومنح رتبة « ماجور » وهى أكبر رتبة فى جيش الثورة .

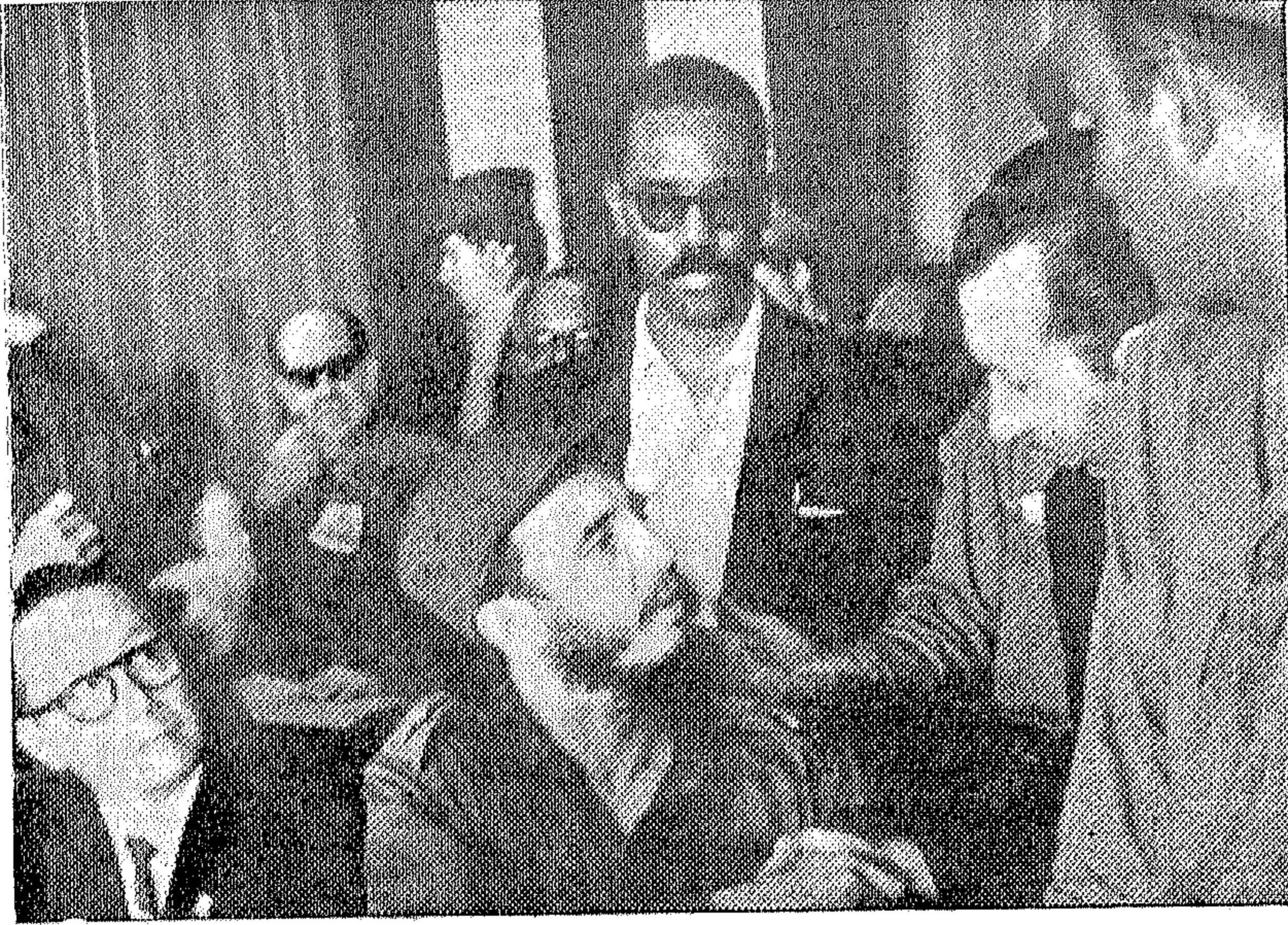
ولم يهزم « الميديا » فى حياته العسكرية الا مرة واحدة ، وتعرض لتعذيب وحشى فى السجن ، ولكنه صمد وظل على ايمانه بمبادئ الثورة وأصيب فى إحدى المعارك بثلاث رصاصات . الاولى فى رأسه ، والثانية فى صدره ، والثالثة فى ساقه ، وكاد يقع أسيرا فى أيدي قوات « باتيستا » لولا أن حمله بعض الرفاق الى كوخ مهجور وتركوه وجراحه تنزف بغزارة الى أن انتهت المعركة ، وما زالت إحدى هذه الرصاصات فى جمجمته الى اليوم



الرجل الثاني في ثورة كوبا: الماجور
جوان الميديا (٣١ سنة) قضى سنت
سنوات في الجبال مع كاسترو، وهو
ابن أسرة متوسطة وله اثنا عشر
شقيقا وشقيقة •



فدائية زنجية:جوانا روزا وتعرف
باسم « تشينا » ، وهي واحدة من
المجاهدات الزنجيات في ثورة
«كاسترو» ، وقد اشتهرت باشتراكها
في كثير من الحملات الانتحارية.انها
الآن تريد العودة للجامعة بعد نجاح
الثورة •



رئيس قوات الامن: الكابتن «انريكو بناريدس» يرقب الدكتور « فيدل كاسترو » بعين يقظة أثناء مؤتمر صحفي ضخم، فهو المسئول عن حياته باعتباره رئيس قوات الامن في الحكومة والكابتن الزنجي كان زميلا لقائد الثورة في كلية الحقوق *



مفتش البوليس : زنجيان آخران يشغلان منصبتين خطيرتين في حكومة كاسترو ، الاول كابتن «ماركوس جيرون» (وهو الجالس) ويشغل منصب مفتش عام البوليس، والاخر «جاينو اديسيا» وهو قائد قوات المقاومة الشعبية في العاصمة . والكابتن « جيرون » كان يعمل نجارا قبل الثورة *

and the Akwamus. When he found that he could not withstand the Akwamus he withdrew to a place called Nyanwabi and painted one side of his body white and the other side black. He then called his captains and elders together and told them that if he fell with the white side uppermost, the Accras would be fortunate, but if he fell with the black side uppermost there would be misunderstanding and confusion among the Gas. And when he had said this he killed himself and fell on the ground with the black side uppermost. He died on June 20th 1660 and was succeeded by his son Ashangmo.

Ashangmo, having defeated the Akwamus in the battle he fought against them left for Little Popo in 1680 and settled there. This step taken by Ashangmo irritated some of the Gas who made a song against him, «Ofio, ofio nye», just to taunt him.

In the year 1702 a new chief

was enstooled in Akwamu, called Akonno. He was very powerful and fearful, and was feared both by the Accras in Akwamu and in Little Popo. Later on the Accras took much interest in the slave dealings, which made them rich. The Akwamus became jealous of this and Akonno declared war against the Accras. Fortunately for the Accras, they had a strong leader called Mi Syi who under his leadership prevented the Akwamus from entering the town of the Accras. Ni Ayi persuaded the Dutch of Ussher Fort who sheltered them in the Fort. This did not discourage this great primitive warrior, he matched in with his army captured them all.

Later on a peace was made between the Accras and the Akwamus by both the Dutch who were then occupying the Ussher Fort and the Danes who were also occupying the Christian bossy Castle.

A Short History of the Gas

Since there is no written record about the date of the arrival of the Gas into the then Gold Coast, one can only make a guess, by making reference from the time in which the first Chief of the Ga State began his ruling.

Okai Koi, the sixth Chief of the Gas died in 1660. Assuming that his reign and that of his mother Dede and Dode Akai covered fifty years, it takes us back to 1610 for the death of the fourth Ga Martse, Owura Mankpon Akai. If we allow him and the three chiefs before him twenty-five years each, we come back to the very beginning of the Sixteen Century, about 1510. This then should be the time of the first Gas Chief.

The Arrival of the Gas.

Some of the Gas came from Southern Nigeria, the town of Benin in the Yoruba Country by Sea, but some of the Gas said not Benin but Bonny also in Southern Nigeria. Some of them also came by land from the east. The people of Labadi a town in Accra also came by land, for they first settled on the hill called Aboasso on the Nsaki river, a few miles inland from Accra. There were people living in the country before the Gas came. They were the Guans or the Kyerepons who were considered to be the first

people of the Negro race to arrive, succeeding the stone-Age men.

The first Chief of the Accras was called Ayi Kushi, who led the Gas in their migration. After him came Ayite who built the capital town of the Accras at Ayawaso, by the Akai Koi hill now called Pokoase hill. After the death of Ayite came Ni Koi Nalai and after him came Owura Mankpon Akai. He married a lady from the Abutus called Dede Akai who became regent after his death. Dede Akai was cruel and opinionated according to the people of her own age. In the end, the people of Accra rebelled and killed her. The story is that, she ordered them to dig a well with their bare hands, and when they had dug to some depth they told her they had found a man at the bottom who forbade them to dig any further. The idea of a man who dared to violate her orders made the queen angry and lowered herself down into the hole to talk to him. The people above then threw stones on her and covered her alive.

Okai Koi eventually became the successor of his mother. He was just like his mother; very wicked, stern and warlike. He made wars against the Shais, the people of Labadi

ing from Rhodesia, Kenya, Nyasaland and Tanganyika are in prison. Some others from Rhodesia and Nyasaland are in Britain putting the case of their countries to the British Government and people. I happen to be here, having come on an urgent errand which I could not complete in time to be back for the Conference. However the battle is on, and all of us wherever we are, are doing our bit.

A few weeks ago we announced to the British administration in our country that we

want them to quit next year. Posters on all walls were hung saying we want UHURU in 1960, Freedom in 1960. Could any request be more legitimate? And yet the Police with clubs in their hands were sent round tearing off these posters wherever they saw them. They would even enter houses if they saw them from outside! But the Uhuru posters keep on appearing. For we are determined to celebrate next Freedom Day in complete Freedom. Uhuru in 1960.



the crimes which Kassem is committing in Iraq. But the British do not know how much ground they are losing even with the stooges they once duped.

With the props, on which the structure of imperialism stands, tottering, one really concerted effort will be the final blow; but it must be well aimed. It is not enough to free Africa; Africa must be united, otherwise Africa cannot be free for ever. To unite there must be mutual understanding, and it is a lamentable fact that when Africans meet in conference they have to use two foreign languages. I am not so narrow as to suggest that we should discredit English and French merely because they are foreign. The point I want to make is that even though in conference and those few of the few who do attend conferences may understand either of these two languages, the mass do not understand them. For the peoples of Africa to understand each other and so create that unity for which we are all craving I think it is essential that we make a point all of us of learning at least two of the three main African languages—Arabic, Hausa and Swahili. Arabic is understood by nearly half the population of the Continent. Swahili in East and Central Africa is understood by

a sixth to a fifth of the Africans, and I would say almost the same for Hausa in West Africa. I have been pleased to hear from Dr. Abdul Azeez Ishaq that it is proposed to teach Hausa and Sawahili in the African Association here in Cairo. I would urge further that a special translation bureau be established to translate works of value from Arabic to those languages, for cheap distribution in countries concerned. Speaking for my own people I would definitely say that the Swahili are missing much not being able to read and understand such books as President Nasser's «Philosophy of the Revolution» and Sayyid Anwar Saadat's «Revolt on the Nile», and the works of such erudite writers as Taha Hussein and Tewfik Alhakim. Plans must also be made to teach Arabic to the remaining half of the African population.

Mr. Chairman, Ladies and Gentlemen; today representatives from East and Central Africa are meeting in my island home. The Pan African Freedom Movement for East and Central Africa (PAFMECA for short) is deliberating on the co-nationalist movements in our ordination of the efforts of the region in the struggle for Freedom. The Conference is being held under rather unfortunate circumstances. Several of the leaders who should be attend-

thousand members. Many of them are just simple structures made of mud with coconut palm thatching. But they are centres of culture, economic revival, and political awakening. They represent the new Zanzibar. It must not be imagined however that the creation of this organisation has been plain sailing. Although our members have large hearts and an enormous determination, their pockets are not full. Means of propaganda at the Party's disposal are limited by the financial limitations of the members. The section of the press at the Party's disposal is willing frank and fearless, but it cannot compete with the well equipped and well financed presses which are either settler controlled or belong to reactionaries who receive Government backing and support. Our people, not only in Zanzibar, but throughout East Central Africa are subjected to incessant imperialist propaganda through books, pamphlets, newspapers, magazines, films, and broadcasts—East Africa alone has no less than half a dozen broadcasting stations — painting colonial rule in the most attractive colours, and presenting a most distorted and biased picture of nationalist leaders and movements, and those countries which are anti-imperialist. To combat these imperialistic tac-

tics there must be co-ordination of assault between all the African peoples. Aid is urgently needed not only in these countries where imperialism has lost its head and is decimating innocent men and women, but also in those countries where it still can afford to be subtle.

Undoubtedly in spite of all their elaborate machinery for propaganda the imperialists in colonial Africa are fighting a losing battle, for propaganda must be supported by facts. For a fairly long time their propaganda against President Nasser and this great country whose hospitality we are enjoying and for whose overwhelming generosity in education, we of Zanzibar have particular reasons to be grateful, was based on the myth that the United Arab Republic was either communist or a tool of communism. Twice I have been prevented by the British administration from coming to Cairo to attend conferences on that score. The myth has been exploded, and highly moral British are now openly and unashamedly flirting with communist Kassem. So much is their hatred and fear of nationalism. Working on the dictum propounded by Disraeli that Britain has no permanent friends and no permanent enemies but only permanent interests, they find nothing incongruous to condone

any section of the population. So as to allow full scope for the development of their innate capacities separate sections within the party have been set up for women, and for youths. Within the sections the organisation follows the same pattern as the main Party with their own Central Committees and secretaries, but subject to the direction and control of the Party's National Executive. The Women and Youths Sections have adequate representation to the Party's Conference, where policy and programmes are passed. And so have affiliated Trade unions and co-operative societies.

Kwame Nkumah of Ghana said : I prefer independence with danger to servitude in tranquility.»

Sekou Toure of Guinea said . I prefer independence with poverty to servitude in plenty.»

These are two patriotic statements which I fully endorse. But there is no need to have to choose the lesser of two evils. Our Nationalist movement in Zanzibar believes in, and it is determined to achieve, independence with plenty and in tranquility. Hence the Party's efforts, concomitant with the political struggles, in educational campaign, and the raising of standard of living of the people through the co-

operative and trade union movements.

The Imperialism under we in Zanzibar labour can be accused of studied neglect, rather than violent repression, although as I said before, it is nonetheless cruel. The chaotic nature of systems of the country results every year in throwing away hundreds of our youths into the street. The frustration drives out of the country the cream of our manhood to all corners of the earth, leaving the foreigners to enjoy the cream of our wealth. The Party is making planned attempts to minimise this drain of our richest heritage, our youths, and canalise their capacity to constructive purpose in the building of a nation that will enjoy, not only Freedom, but also plenty and tranquility. Co-operative farms have been established; and women's dress-making co-operatives are also being established. There is practically no tropical fruit which does not grow well in the Zanzibar, but it has been left to the Nationalist Party to sponsor the putting up of the first in the country.

The numerous branches of the Party serve as centres for the education of the mass and their political enlightenment. These centres vary enormously, from ones with an enrolled membership of less than a hundred to ones with upto five

for more than five years now is still awaiting a charge to be made against in a Kenya prison. In common with all of you I weep for the victims of Roy Wellensky's unbridled hatred for African nationalism in Nyasaland and Rhodesias. Jealous that a black should be a better man than he in every respect has driven ill tutored engine-driver Wellensky to make up unfounded allegations against well educated civilised Dr. Hastings Banda, in order to stifle his movement for the liberation of his country from the yoke of imperialism.

Such is the situation in some countries under foreign rule, but it is by no means common to all—at least not yet. In other countries such as Zanzibar, Tanganyika and Uganda the hand of imperialism is not so heavy and rough. The hand is enclosed in a velvet glove. The pressure is more subtle, but it is nonetheless deadly. The pill is sugar coated. In a way this is more dangerous. It is slow death, not so dramatic as to draw the attention of the victim and his friends. To the outsideworld everything is quiet and alright. This actually is the traditional colonialism, which applies to those colonies where the master plays the role of an absentee landlord, and where there is no settler community to complicate matters,

and precipitate drastic action which agitates the African and draws the attention of the world. In the traditional colonies, which may go under various titles such as protectorates and trusteeships colonial bondage may go on for ever unless those with foresight, and can diagnose the fatal disease, draw the people's attention to bestir and rid themselves of the virus of colonialism. Such a movement brought into being the Zanzibar Nationalist Party. Years of lonely intellectual warfare bore fruit in 1955 when a few peasants met and asked themselves «Whither Zanzibar?» They answered the question by creating the Zanzibar Nationalist Party. From its humble beginnings then this has become a mass nationalist militant movement with a membership which keeps on increasing by thousands and with about ninety branches covering practically every nook and corner of the country.

The Party organisation, pyramidal in structure, starts with the village and locality base, growing and uniting on the district and provincial level and finally tapering to the National Executive Committee, which forms the Party leadership. The strength of this movement lies not only in the comprehensiveness of its geographical organisation. It has been organised in such a way as not leave out

THE DAY OF FREEDOM

A speech by

EL-Zaim Ali Mohsen

Mr. Chairman, Ladies and Gentlemen,

I will not for anything in this world exchange this day : this day which marks the beginning of a completely new phase in the continental struggle for the liberation of Mother Africa. The new phase must be short and conclusive. Africa must determine from today, April 15th 1959, that another day like this shall not be celebrated in 1960 except under the atmosphere of a Freedom which pervades every bit of territory within this great continent. For much too long have we been subjected to foreign rule. For much too long have we suffered the iniquities of having our affairs run for us by foreigners whose interest is to exploit us for their own benefit. For much too long have we been tied to the chariot wheels of others. For much too long have we been tortured and oppressed. For much too long have we been denied the most fundamental human rights, of taking part in the government of our countries. We can wait no longer. Africa must be completely liberated by 1960.

A good part of North Africa is now free. Freedom is also dawning in West Africa. But in East, Central and South Africa, Imperialism, the arch enemy of humanity, is digging

itself in for a last pitched battle. To dislodge the entrenched enemy we need every ounce of our united strength, and the help of every ally. We may be sure that he will fight like a cornered leopard. Those of you whether African or not must understand, as President Nasser and Dr. Nkrumah have understood fully well, that unless the virus of imperialism is wiped out from the face of the earth, the freedom that the so-called free countries have won, means nothing at all, for it is exposed to constant danger of being attacked and destroyed.

Ladies and Gentlemen, imperialism in Africa is in various guises. In some countries and during certain times, it is openly oppressive and violently repressive. It is symbolised by racial segregation, concentration camps, deportations, iron curtains, and even wholesale massacres. My heart bleeds for my brothers and sisters of Algeria who are subjected to the tortures of the French imperialists. I am pained to reflect on the condition of Jomo Kenyatta rotting in enforced seclusion for life, of my friend Mathenge who was with us at Accra only last December, of my college mate Odede, who



المرح في افريقية

ND YEAR .

No. 18 — MAY 1959 .



Nahdatu

AFRIQUIAH

IN THIS ISSUE

- PRESIDENT NASSER SPEAKS ABOUT AFRICA
- BATTLES OF NATIONALISM IN WEST AFRICA
- ITALIAN EXPANTION IN AFRICA
- ECONOMIC IMPERIALISM IN UGANDA
- ARABISM IN EAST AFRICA
- BOOK COMMENTARY

السنة الثانية

العدد ١٩ - يونيو ١٩٥٩



نهضة إفريقية

في هذا العدد

- مؤامرة جديدة في قلب افريقية
- المؤتمر العلمى لدول غرب افريقية
- الاسلام في الحبشة
- فولكلور غانة
- الشعر الافريقى



من الفن النيجيرى

نهضة افريقيا

تهدف هذه المجلة الى :

- ١ - تنمية الوعي القومى الافريقى .
- ٢ - التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .
- ٣ - نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل افريقى فى مجاله الحيوى

وللمشتركين الحق فى :

- ١ - الحصول على المجلة بانتظام وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمان مخفض .
- ٢ - الافادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الامكان .



نهضة افريقية
مجلة شهرية
للتقافة الافريقية

● ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .
● ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها ..

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة افريقية
٥ شارع احمد حشمت - الزمالك
بالقاهرة

تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨

الاقليم المصرى
بالجمهورية العربية المتحدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى

دار اخبار اليوم للتوزيع :
٧ شارع لصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا :

لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمان العدد ٣ قروش

رئيس التحرير
محمد عبد العزيز اسحق

فكرة ..



محتويات العدد

- مؤامرات جديدة في قلب أفريقية :
٣ للاستاذ محمد عبد العزيز اسحق
التوسع الايطالي في شرق السودان:
٧ للدكتور جلال يحيى
التجار العرب في أوغندا :
١٥ للدكتور ابراهيم أحمد العدوي
ضوء على كتاب : للاستاذ محمد فتحى
٢١ نقد الكتب : للاستاذ عبده بنوى
٢٣ بحيرة ردولف :
٣٠ الشعر الافريقى :
٣٣ اثيوبيا فى صور :
٣٩ فولكلور غانا : للاستاذ توفيق حنا
٤٣ المؤتمر العلمى لنول غرب أفريقية :
٤٨ للدكتور أحمد مجاهد
التراث الثقافى فى غانة :
٥٤ الكنيسة المصرية تقاوم الاستعمار :
٥٩ للدكتور زاهر رياض
الاسلام فى الحبشة : للعميد : محمد
٦٥ عبد الفتاح ابراهيم

ارتبطت ((اثيوبيا)) بالتاريخ العربى من زمن قديم قبل الاسلام وبعده . فقد حملت الى الجزيرة العربية ثقافة القارة الافريقية . كما تلقت من هذه البلاد الكثير من التأثيرات ، لعل أهمها التأثير اللغوى الذى يظهر فى لغة ((العجيز)) الكلاسيكية والتي تشتق من اسم قبيلة ((بنى عجاز)) العربية . كما اشتق اسم الحبشة نفسه من قبيلة ((الحبشيات)) التي هاجرت الى هذه البلاد ، ومن يقارن الآن بين العربية واللغة الامهرية التي تعتبر اللغة الرسمية الآن يجد تأثير العربية الواضح فى هذه اللغة يسترعى الانتباه فاذا انتقلنا الى الصلة بين هذه البلاد ومصر القديمة وجدناها قائمة حتى ليؤكد ((سيابجمان)) ان جماجم الاحباش من نوع جماجم المصريين القدماء . وقد شاء الله لهذه الصلة ألا تنقطع عابى من العصور . بل لقد شملت هذه الصلة الجمهورية العربية المتحدة باقليميهما . اذ ان من المؤكد أن المسيحية قد دخلت الى الحبشة من سوريا عام ٤٥٠ م . كما أن الكنيسة الاثيوبية ترتبط بالكنيسة المصرية ، وأخذت بالذهب القبطى المصرى الذى يرى أن للمسيح طبيعة واحدة . . . واليوم تعتبر زيارة ((الامبراطور هيلا سالاسى)) للاقليم الجنوبى ، امتدادا لهذه الصلات عبده بنوى

سؤالات جديّة في قلب افريقية

بقلم : الأستاذ محمد عبد العزيز اسحق

الاحتكارية ، أوربية وأمريكية ، والتسلل السياسى بتغليب نظام الحكم البريطانى المباشر فى كينيا وتنجانيقا على النظام غير المباشر الذى تحتفظ فيه أوغندا بشخصيتها بحكم معاهدة الحماية (عام ١٩٠٥) الذى أتاح لها حتى الآن كيانا مستقلا وقومية متماسكة .

لقد بذلت وزارة المستعمرات كافة الجهود والحيل والدسائس والمناورات ، لكى تغرى أوغندا بدخول ذلك الاتحاد ، وكان عميلها فى ذلك حاكم أوغندا السابق « أندرو كوهين » الذى أحيط بالدعاية الصارخة بأنه رجل اشتراكى « تقدمى » وأنه صاحب خطط مدروسة للسير بأوغندا فى طريق الديمقراطية والحكم الذاتى ، وأنه ، بالرغم من كونه موظفا عريقا فى وزارة المستعمرات ، فهو « ثائر » على وزارته تلك التى علاها الصدا ، ونسجت على أفكارها بيوت العناكب .

وكان أن تكشفت اشتراكية « كوهين » وخططه التقدمية ، حينما حاول أن يجر أوغندا الى حظيرة « الاتحاد الملعون » وزادت تلك التقدمية وضوحا حينما دعاه ملك أوغندا « الكاباكا » ذات صباح فى شتاء عام ١٩٥٣ وأصدر اليه أمرا ، لكى يوقع على مجموعة من المراسيم التى سبق أن رفضها « الكاباكا » ولم يقبلها الـ « لوكيكو » أو مجلس الزعماء .

كان الحديث فى العدد الماضى من « نهضة افريقية » عن التيارات والموامات السياسية التى تجتاح افريقية الغربية ، واليوم نعرض لما استجد من ظواهر « المد الافريقى » فى جانب آخر من القارة ، التى نموج جنباتها بالاحداث العظام

وحديث اليوم ينصب على أحدث مبتكرات الاستعمار البريطانى فى حرب الوطنية النامية ، وقد اتخذ أوغندا ميدانا لعرض تلك المبتكرات الهزيلة المستخفية ، التى لا تحمل فى جوهرها أى عنصر من عناصر التجديد أو الابتكار !

فقد علم المراقبون للأحداث الافريقية أن أوغندا هى الصخرة التى تحطم عليها مشروع « اتحاد شرق افريقية » البريطانى ، ورأوا كيف بذلت وزارة المستعمرات البريطانية جهودها المحكمة « التدريجية » لربط ذلك الاقليم الغنى الجميل المتحكم فى قلب افريقية ، والذى يتدفق منه النيل العظيم ، والذى يقطنه شعب من أرقى شعوب القارة وأقدمها حضارة ، وأشدّها تماسكا ، وأعظمها نصيبا من الحيوية والثروة بألوانها النباتية والحيوانية والمعدنية ، علم المراقبون بمحاولات وزارة المستعمرات ربطه بكينيا وتنجانيقا ليفتحوا باب التسلل الشعبوى أمام المستوطنين البيض فى افريقية الشرقية ، والتسلل الاقتصادى أمام الشركات الاستغلالية

ولما رفض الـ « كاباكا » في اصرار وكبرياء أن يوقع المراسيم ، أمر الحاكم التقدمي الاشتراكي بأن يغادر الـ « كاباكا » بلاده فوراً ، وأدخله الجند المسلحون طائرة ذهبية به الى لندن ، وبدأت ملحمة «نفي الكاباكا» التي تحدثنا عنها في أعداد مضت ، وهي الملحمة التي جند فيها الشعب الأوغندي ، كل قواه الاجتماعية والسياسية والقانونية والتاريخية ، ليستعيد الـ «كاباكا» ويهزم « أندرو كوهين » . .

وانتهت المعركة بعد سنتين بفوز الشعب الاوغندي ، وعودة الكاباكا وتنحية كوهين ونقله من أوغندا الى وزارة المستعمرات ، ثم اختياره بعد ذلك ممثلاً لبريطانيا في مجلس الوصاية بالامم المتحدة ، وما زال هناك ينفث سمومه في القضايا الافريقية التي تعرض على ذلك المجلس ، حتى الآن

وكان الدرس الذي تلقته وزارة المستعمرات : أن تماسك أوغندا اجتماعياً وسياسياً ، وبراعة الساسة الاوغنديين في النضال الدستوري ، واتقانهم لفنون الدعاية الصحفية ، والمناورات البرلمانية هو الذي أدى الى الانتصار العظيم في عام ١٩٥٥ ، وهو الذي يهدد بخطر تحرر أوغندا في المستقبل ، وينذر بانتقال « عدوى التحرر الى جاراتها المتأججة بالحماس : كينيا وتنجانيقا ، ورواندا ، ثم زنجبار . . »

ولهذا فقد جاء مبعوث جديد من وزارة المستعمرات لم تسبقه الدعايات « التقدمية » أو « الاشتراكية » هو « جون كراوفورد » جاء كرجل محافظ يميل الى تثبيت الوضع القائم ، والى دعم مركز الـ كاباكا ، وتعزيز هيبة الـ « لوكيكو » وضمان امتيازات الـ « باتاكا » أو كبار الملاك . . . والى ربط مصالح هؤلاء جميعاً ببقاء الوضع السياسي الحالي القائم على معاهدة

١٩٥٥ ، وهي المعاهدة التي تنص بوضوح على أن الـ « كاباكا » ملزم بأن يوافق على ما يوافق عليه الحاكم العام ، وملزم بأن ينصح مجلس الزعماء بأن يقبل ويؤيد ما يصدره الحاكم البريطاني من قرارات . .

وكان الزمن قد دفع بالحركة القومية في أوغندا خطوات واسعة فقد ظهر « المؤتمر الوطني الاوغندي » باعتباره التكتل الشعبي العظيم الذي يناضل لتحرير أوغندا من الاستعمار ومن الاقطاع ومن الانظمة التي تساند الاستعمار والاقطاع

واندلعت دعوة « المؤتمر الوطني الاوغندي » كالنار في الدغال ، واستطاع المؤتمر أن يوجد له حلقة محكمة في كل قرية أوغندية ، وأن يربط تلك الحلقات ربطاً محكمًا بجهاز منسق على أحدث النظم الحزبية في بريطانيا ، وعندما عقد مؤتمر اكرا في الشتاء الماضي بعث المؤتمر الاوغندي وفداً من أقوى الوفود ، وأوفرها نشاطاً وأكثرها حيوية . وفداً كان يضم الصحفي والمحامي والمتخصص الاجتماعي والاقتصادي ، وبعد مؤتمر اكرا جرت انتخابات عامة في أوغندا فحصل المؤتمر الوطني على أكثر من ثمانية في المائة من أصوات الناخبين الاوغنديين وأخذ المؤتمر يرسم سياسته على أساس الأمر الواقع ، وما حصل عليه من مكاسب ، وما ناله في الداخل من تأييد ، وما ربحه في الخارج من مكانة تتجلى فيما أنشأه من مكاتب للشئون الخارجية في القاهرة وفي لندن ، وما اجتذبه من اهتمام في لجان الامم المتحدة ، وما بلغه الوعي الافريقي عامة من نضج وتكامل ، فكان أن قرر المؤتمر الوطني الاوغندي المطالبة بالاستقلال عن بريطانيا « فوراً » . .

وكان هذا القرار من أعنف القرارات التي وجهتها « محمية » بريطانيا الى وزارة المستعمرات ، فان أوغنده لم

تسلك منذ البداية طريق العنف واثارة القلاقل الا فيما ندر ، وكانت معركتها مع بريطانيا حول نفى الكاباكا معركة سياسية بحتة ، معركة استخدمت فيها أساليب المقاومة السلبية في داخل اوغندا من جهة ، واثارت المعارضة البرلمانية في بريطانيا على حكومة المحافظين من جهة أخرى . ومثل هذه الأساليب تخرج النفاق الاستعماري المشهور ، الذي يتظاهر باحترام « التعقل » والترحيب « بالمفاوضة » اعتمادا على خبرته - المشهورة أيضا - في المناورة والمساومة . ولهذا فقد عز على الاستعمار البريطاني ومبعوثه « كراوفورد » أن ينهزم في الميدان الذي يفضل هو ، ويختاره على الدوام وعلى ما جرت عليه العادة في لندن رأت الحكومة البريطانية أن « تطاول » المؤتمر الوطني الأوغندي ، وقد في حبل التباحث عسى أن تعثر على ثغرة تكسب بها نصيرا ، أو - على الأقل - تربح من ورائها تسويفا للقضية بأكملها . . .

وتظاهرت وزارة المستعمرات بالرغبة في دراسة المطلب الجديد دراسة « موضوعية دستورية » فبعثت الى أوغندا لجنة دستورية لبحث الوضع القائم والتطورات المرتقبة ، والتقدم بعد ذلك بالتوصيات المناسبة . .

هذا من لندن ، أما في « عنغبي » على ضفاف البحيرة العظمى (وهذا الاسم ترجمة لكلمة نيانزا بلغة اللوجاندا) فقد شمر الحاكم كراوفورد عن ساعد الهمة ، ونشط في اذكاء مخاوف ال « كاباكا » وال « لوكيكو » والرجعيين والاقطاعيين من مغبة الاستقلال الذي يطالب به المؤتمر الوطني ، وكان أن أرسل ال « كاباكا » وفدا الى لندن يسألها عن مصير منصبه بعد استقلال أوغندا ، وكان أن توجست الطوائف الرجعية والاقطاعية من

الدعوة الاستقلالية ، وأخذت هي الأخرى تتساءل عن « مصيرها » . . وفي هذا الجو وصلت البعثة الدستورية البريطانية ، وبدأت أعمالها واتصالاتها بمختلف القطاعات في الشعب الأوغندي ، وإذا بها تستكشف الحقيقة المذهلة ، وهي أن « المؤتمر الوطني » قابض بالفعل على زمام الموقف هناك ، وأنه لا أنصار « الكاباكا » ولا أعضاء ال « لوكيكو » ولا كبار الملاك قادرين على تحويل دفة السفينة عن المطلب القومي الحاسم وهو الاستقلال الكامل الناجز ، وفي موعد أقصاه العام القادم ، عام ١٩٦٠ ، غام الأمل الباسم لكثير من شعوب افريقية في الشرق والغرب . .

وتداولت اللجنة « الدستورية » مع الحاكم الاستعماري وتبين أن الأسلوب الأوغندي السلمي لا يمكن تبرير قمعه بالعنف والقوة الغاشمة ، وتخفض التداول عن أسلوب بدا للاستعمار مبتكرا ، وإن كان ، كما ذكرنا ، مهلهل مكشوبا . . لقد افتعل الاستعمار حركة عنيفة باسم « الحركة الوطنية الأوغندية » . . قام بها أناس « متحمسون » لا يعرفهم الكثيرون داخل أوغنده ، ولا يكاد يعرفهم أحد خارجها . .

وقامت تلك الحركة تنـاوى « الآسيويين » في أوغنده ، وتهدد بمقاطعة البضائع والمخازن الأجنبية ، ومن عجب أن اصطلاح « أجنبي » هنا لم يعد يشمل « البريطاني » ولا « الأوروبي » .

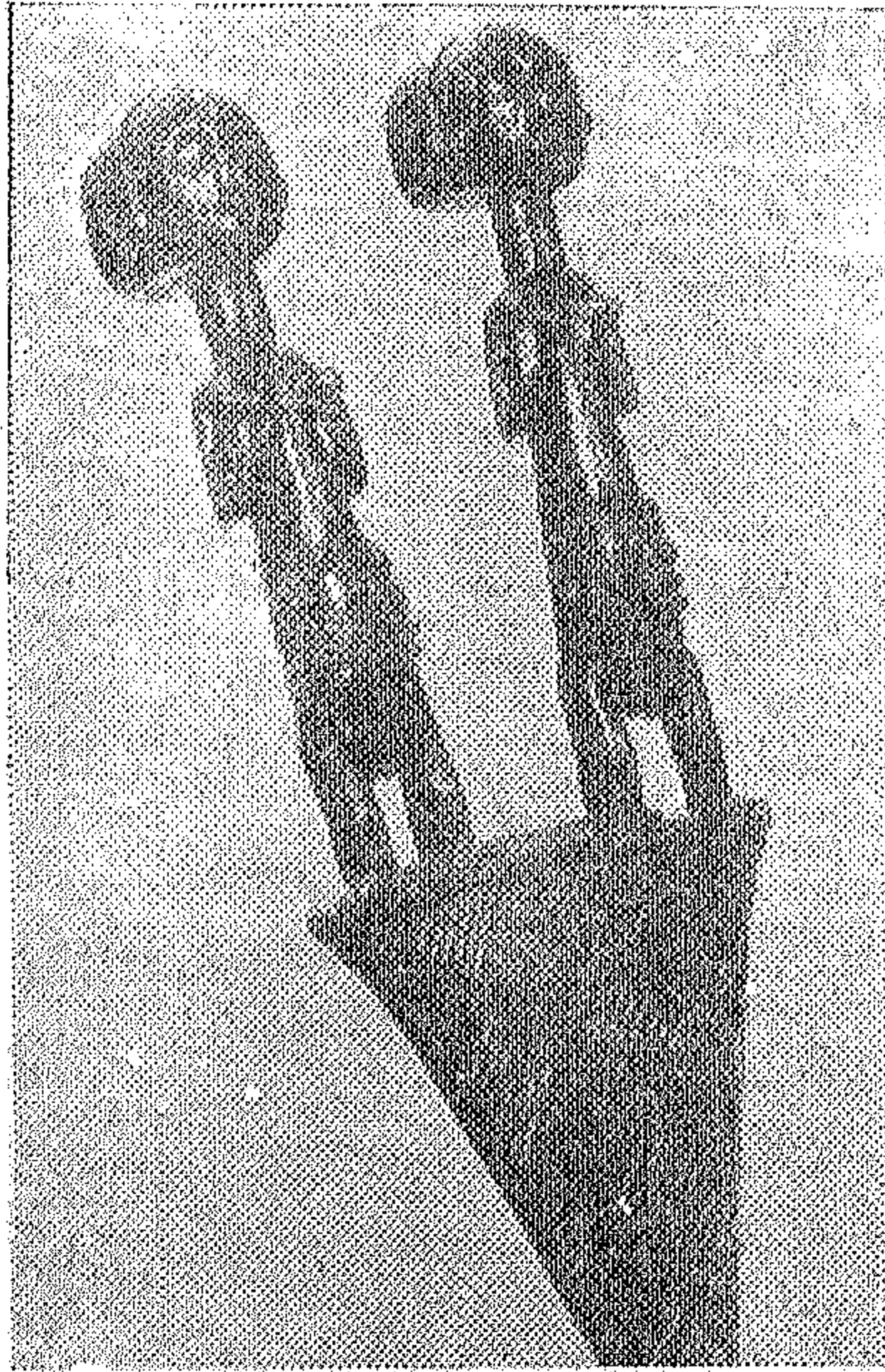
وحدث في « كمبالا » هرج ومرج ، ولم تسل نقطة واحدة من الدم ، ولكن الحاكم العام تلقف الكرة ، وكشر عن أنيابه ، وانطلقت الاذاعة والصحف البريطانية تنذر بالخطر ، وتقدم الحاكم خطوة أخرى فرفع هراوته وأعلن الاحكام العرفية ، وحظر التجول وحدد اقامة زعماء المؤتمر الوطني (الذي

الرهيب على عنق الاستعمار في افريقية ،
وانى لا ذكر يوم احتفالنا بيوم الحرية
(فى ١٥ من ابريل الماضى) ...
أذكر ونحن نصوغ القرارات أننا
اقترحنا تحديد يوم ١٥ من ابريل
عام ١٩٦٠ موعدا أقصى ، لتحرير
القارة كلها ، وعندئذ اعترض زعيم
زنجبار وقال بل ١٤ من ابريل حتى
نحتفل فى اليوم التالى بيوم الحرية
الحقيقى ، وخلالنا من قيود الاستعباد
وما تزال هذه الحقيقة قائمة ، وما
يزال سيف الحق مصلتا ، وما يزال
الاستعمار فى تخطيط وزعماء أوغندا
ينتقلون من فوز الى فوز ومن انتصار
الى انتصار ..

لم ينسب اليه عنف ولا تحريض على
العنف) واتخذ من هذا كله مبررا
لايقاف عمل « اللجنة الدستورية »
التي بعثت بها لندن ...

وهكذا خلقت بريطانيا العنف
(التمثيلي) فى أوغندا ، لكى تضرب
السلم والقانون والمفاوضات والوسائل
الدستورية ، خلقت العنف لكى تفر
من هزيمتها المحتومة أمام التكتل
الشعبى والاتحاد القومى ، والايمان
الذى لا يتزعزع بالتححر والاستقلال
ولكن ... الى متى تجدى هذه
الاساليب ؟...

ان عام ١٩٦٠ يبدو مصلتا كالسيف



التوسع الإيطالي في شرق إفريقيا

للدكتور جلال يحيى

- ٢ -

تأخذ جانب الحكومة المصرية ، منعامن الاعتراف بمبدأ : سيترتب عليه مضايقة انجلترا في طريق مواصلاتها مع الشرق الأقصى اذا ما تعددت القواعد البحرية الاجنبية على هذا الطريق . فأكّد سالسبرى - الوزير الانجليزى - ، أن «عصب» تقع ضمن الاراضى المصرية تقع ضمن الاراضى المصرية ، مما أغضب الكونت «مافى» ، سفير إيطاليا في لندن ، الذى أعلن أسفه لوجهة النظر هذه . ولكن سالسبرى لم يأبه لغضب هذا السفير ، وكتب فى التو الى سفيره فى روما . شارحا أن الباب العالى قد أصدر فرمانا لحديو مصر منذ سنة ١٨٦٦ ، أدخل به قائمة مصوع ضمن ملحقات مصر ، ولم يناقش أحد فى أمر دخول خليج «عصب» ضمن هذه الوحدة الادارية . وكان تنازل تركيا لمصر عن هذه المناطق ، وثبوت شرعية الحقوق المصرية على زيلع وبربره وبلهار ، هى الأسباب التى ترتب عليها تعيين ممتاز باشا حاكما مصرياً على كل الساحل من السويس حتى رأس جاردفوى . ومهما تكن الاجراءات التى اتخذت ، أو الادعاءات التى وقعت ، فإن الحكومة البريطانية لاتستطيع أن تتخذ أى موقف يخالف ذلك الذى يتضمن الاستمرار فى احترام من تعتبره صاحب السيادة الشرعية على الساحل - تلك السيادة التى تعتقد أنها تخص ، بلا جدال شخص خديو مصر بصفته يحكم بمقتضى فرمانات سلطان الدولة العثمانية . اذ

شرحنا فى المقال السابق الخطوات التى اتخذها الايطاليون لشراء الاراضى فى شرق السودان ، وعلى سواحل البحر الاحمر ، والاسباب التى دفعتهم الى ذلك . ثم بينا اتصالهم بالحكومة الإيطالية ، ومحاولة هذه الحكومة أن تحل محل رعاياها فى ملكية هذه الاراضى . تمهيدا لانشاء مستعمرة ايطالية على سواحل البحر الاحمر ، وما كانت هذه المحاولة تمثلها من خطر على حقوق السيادة الاقليمية لمصر على تلك المنطقة .

ولقد علمت الحكومة المصرية فى بداية عام ١٨٨٠ من سلطاتها فى مصوع ، ومن احدى سفن البحرية التى تعمل فى المرور على السواحل فى البحر الاحمر ، أن احدى السفن التجارية الإيطالية قد حضرت الى «عصب» ، ورفعت العلم الايطالى على الساحل ، ثم أنزلت بعض البجارة . وزاد الامر خطورة عندما علمت أن السفينة الحربية الإيطالية ، «اسبواتورى» قد حضرت كذلك الى الجهة نفسها وتركت فيها بعض بحارتها . فأعلنت الحكومة المصرية دهشتها لرؤية الحكومة الإيطالية تأخذ مكان شركة «روباتينو» . وجددت احتجاجاتها السابقة بكل قوة وأكدت حقوقها . وذكرت الحكومة الإيطالية بتصريحاتها السابقة التى تتعارض كل المعارضة مع هذا الاعتداء على حقوق مصر الاقليمية . واضطرت الحكومة الانجليزية الى أن

أن الإصرار على أن في استطاعة أحد المشايخ المحليين خرق هذه السيادة المؤكدة والمباشرة رسمياً أو كسرهما ، هو مبدأ خطير إذا طبقناه بشكل عام ، ولا يمكن للحكومة البريطانية أن توافق عليه .

ولكن الحكومة الإيطالية صممت على التحدى وعلى عدم التراجع ، وأعلن رئيس وزرائها ٠٠٠ أن بيع بعض الشيوخ المحليين المعتبرين - على أنهم كانوا دائماً مستقلين - لخليج عصب إلى شركة « روباتينسو » قد حول حق السيادة للحكومة الإيطالية . وأضاف أن الشركة كانت قد تناسست هذا المشروع فترة من الوقت ، ولكنها عادت والتفتت إليه نظراً لأهمية المصالح التي يمثلها إنشاء محطة في عصب ، خصوصاً بعد افتتاح خط الملاحة الجديد في البحر الأحمر . ثم شرح مزايا خليج عصب ، والامل في أن تتخذ التجارة الأوروبية قاعدة للوصول إلى الداخل ، وذكر أن واجب الحكومة الإيطالية قد أصبح واضحاً . ولما كانت عصب عبارة عن منطقة شبه خالية ، ويحيط بها بعض الأهالي من الرحل البدائيين ، فقد أملت الحكمة على حكومة روما أمر حماية هذه المحطة الناشئة ، واضطرتها إلى إصدار أوامرها إلى بعض سفنها بقياس المياه ، ودراسة السواحل في هذه المنطقة من البحر الأحمر . وهدف رئيس الوزراء الإيطالي إلى عدم اغضاب إنجلترا ، أو إثارة مخاوفها على طرق مواصلاتها الامبراطورية ، فأنهاى خطابها بأن أكد أن خليج عصب ، لن يكون له في أى يوم من الايام أهمية حربية وأن إيطاليا لن تهتم به الا من وجهة النظر التجارية وربما من الناحية العلمية .

وقد رأت إنجلترا أن إيطاليا تواصل سياستها في شرق السودان فلم تكتف بتوكيدات رئيس الوزارة الإيطالية ، وأصدرت الاميرالية أمرها إلى إحدى السفن الحربية البريطانية بالتوجه إلى

عصب ، واستطلاع تحركات وأعمال السفن الحربية فيها . وجاء تقرير قبودانها مؤكداً : أن الإيطاليين قد استولوا على كل الجزر الواقعة في الخليج مثل استيلائهم على الساحل مما يسمح لهم بإنشاء محطة للفحم ، ويمكنهم من الدفاع عنها بسهولة . فلم تتأخر وزارة الخارجية البريطانية كثيراً في إصدار مرسوم يقضى بمد سلطة القنصل البريطاني في جدة على عصب ، وأخذت الوزارة الإيطالية تتمعن في الامر ، لان هذا القنصل كان معتمداً لدى السلطات العثمانية ، ويقوم بتمثيل بلاده في الاراضى التركية . وكان هذا الاجراء من جانب الوزارة الانجليزية ، تأكيداً لتبعية سواحل البحر الأحمر للدولة العثمانية ، ومنعاً لحكومة إيطاليا من تغيير وضع هذه الاراضى . أى منعها من ضمها رسمياً للدولة الإيطالية ، أو اعلان حمايتها عليها .

لذلك خشيت الحكومة الإيطالية من موقف إنجلترا تجاه سواحل البحر الأحمر وشرق السودان . فحاولت أن تكسب ودها وتأييدها ، واضطر رئيس الحكومة الإيطالية إلى أن يكتب إلى السفير الانجليزى في روما ، ملخصاً آراء حكومته بشأن عصب ، ومستنداً إلى بعض فقرات جاءت في الكتاب الأزرق الذى أصدرته وزارة الخارجية البريطانية بعد حملة نابيير على الحبشة . استند كايرولى إلى هذه الآراء ،

لكي يثبت أن « سلطان » رهيفة - برهان - الذى تفاوض مع مندوبى شركة « روباتينسو » كانت له حقوق سيادة على هذه الاراضى علاوة على حقوق ملكيته لها . وجدد كايرولى في الوقت نفسه تأكيداتة وتصريحاته التى أدلى بها سابقاً . والتى تصر على الطابع التجارى والعلمى للمنشأة الإيطالية الجديدة . وأكد أن خليج عصب لن يتحول أبداً إلى منشأة حكومية

لها طابع عسكري ، وأن إيطاليا لن تضع أية حاميات أو قوات على الساحل أو الجزر ، ولن تقيم عليها أية تحصينات

وتشجعت حكومة القاهرة بعدمعرفة موقف الحكومة البريطانية ، فلم تقف مكتوفة الايدي أمام ما يدور على سواحل البحر الاحمر ، أو المراسلات والمناقشات الدائرة بين روما ولندن ، فأصدرت مرسوما في ٨ من ابريل سنة ١٨٨٠ بتعيين علي باشا رضا حاكما عاما .

على كل الساحل الغربي للبحر الاحمر ، وأكدت أن ممتلكاتها تمتد حتى رأس جاردقوى ، ثم استدعى مصطفى باشا فهمي ناظر الخارجية المصري دي مارتينو القنصل العام الإيطالي في القاهرة ، وأبلغه أن مصر تدافع عن حقوق سيادتها النامة والمطلقة على خليج عصب ، وأنه اذا كانت شركة « روباتينو » ترغب في انشاء محطة تجارية في عصب ، أو مخزن للفحم اللازم للسفن ، فلم يكن ولن يكون هناك أسهل من أن تقدم طلبا بهذا الشأن الى الحكومة الخديوية التي أظهرت دائما استعدادها للالتفات لكل ما يخدم الملاحة ويساعد على تنميتها وازدهارها .

عندئذ لجأت الحكومة الإيطالية الى وزارة الخارجية البريطانية وطلبت من « جرانفيل » أن يستخدم نفوذه لمنع الخديو من القيام بمحاولات جديدة ، لا يمكنها الا أن تؤثر على حسن العلاقات التي ترغب إيطاليا في الاحتفاظ بها مع كل الدول . وفي الوقت نفسه أرسلت إيطاليا مذكرة الى الحكومة المصرية لاتحمل أي رغبة للتفاهم في المسألة . أكدت فيها أن كلا من الباب العالي ومصر لم يباشرا منذ قرون كثيرة ، أي حق من حقوق الملكية أو السيادة على هذه الاراضي . وأضافت أن فرمان ١٨٦٦ لا يتعلق بالمسألة القائمة ، لان إيطاليا لا ترفض الاعتراف بأن مصر قد حصلت على ادارة مصوع ،

بل ترفض امتداد هذه المحافظة بشكل يجعلها تشتمل على عصب . تلاعب بالآراء ، وبحقوق الغير ، واستناد الى القوة النسبية ، واعتماد على سوء الحالة في مصر .

وعلى أية حال ، فان كايرولى قد طلب في المذكرة نفسها ، الاحتفاظ بالوضع القائم الى أن تثبت الحكومة المصرية حقوق ملكيتها وسيادتها على عصب . وكانت هذه أول مذكرة رسمية تذكر الجزر الواقعة في الخليج اذ أن المراسلات الإيطالية السابقة لم تتحدث حتى الآن الا عن أراض اشترتها شركة « رباتينو » على الساحل .

شرحت الحكومة المصرية موقفها وحقوقها ، وقدمت الدلائل والبراهين التي لا يمكن لمنصف أن يغفلها ، وكان من حقها أن تعتقد في انتهاء كل شك في شرعية حقوقها . وطلبت من إيطاليا أن تراعي وتلاحظ هي أيضا - رغم احتلالها لعصب - الاحتفاظ من جانبها بالوضع القائم . ولكن الإيطاليين بدأوا في تحصين الساحل ، وفي ارساء المواد الحربية والجنود رغم التأكيدات الرسمية التي أعطتها حكومتهم من أنه ليس لها أية مشروعات في عصب الا من الناحيتين التجارية والعلمية .

احتفظت مصر اذن بموقفها ، ورفضت الاعتراف بأية منشأة أجنبية على سواحل البحر الاحمر . وأكدت مصطفى فهمي باشا ، أن الحكومة المصرية لاتنوي ادخال أي تغيير على الموقف الذي اتخذته أمام الادعاءات الإيطالية . ولكن الإيطاليين لم يعيروا حقوق مصر كبير التفات ، واستمروا في أعمالهم على سواحل البحر الاحمر فأخذوا في بناء المنازل ، وبعض الورش واحدى السقالات رغم عدم وجود إيطاليين مقيمين في هذه الجهة سوى « سابيتو » المبشر المستشرق ، الذي

ساعد في جمع بعض البدو للعمل تحت أوامر بحارة السفينتين الحربيتين الايطاليتين .

وقام « سابيتو » بجانب هذه الاعمال الانشائية ، بأعمال أخرى لها صبغة سياسية واضحة : ذلك أن « برهان » قد شعر بحرج مركزه تجاه السلطات المصرية ، إذ لم يكن من المعقول أن تبقى أخبار العقود - التي وقع عليها ، والمبالغ التي تسلمها من الايطاليين - سرا لمدة طويلة . كان قد تسلم بعض المبالغ . . وكان في انتظار تسلم غيرها . وفهم « سابيتو » من ناحية أخرى ، أن أي إجراء تتخذه السلطات المصرية ضد برهان - وهو أحد رعاياها وموظف لديها - يمكنه أن يهدد جميع العقود الذي قام هذا الشيخ بوضع بصمته عليها ، ويهدد بالتالي « القواعد » والحجج التي أراد أن يبنى عليها وثائق الممتلكات الايطالية في البحر الاحمر وشرق السودان . وكان هذا هو السبب الذي دعا كلا من « سابيتو » و « برهان » الى التفكير في تغيير جنسية هذا الاخير .

قابل سابيتو « برهان » في يوم ٢٠ من سبتمبر سنة ١٨٨٠ ، ووقعا على عقد جديد فيه وصف لبرهان . . بأنه سلطان رهيطة ، والمالك لكل البلاد والسواحل في خليج أنسلي ، وخليج تاجورة حتى الممتلكات الايطالية في منطقة الدناقل . وكان الجنرال الانجليزى « نابيير » قد أبلغ بلاده عند نزوله في خليج أنسلي بجوار مصوع سنة ١٨٦٧ ، في حملته على الحبشة ، أنه لا يظهر لمصر سلطة واضحة على هذا الخليج ، وذلك تمهيدا لاستيلاء الانجليز عليه ، والسيطرة منه على الحبشة ، أو عملا على العودة اليه مرة أخرى ، ان اقتضى الامر ذلك ، دون أن تعارض مصر في هذه العودة . ونشرت انجلترا هذا التقرير فأرادت

ايطاليا الاستفادة من ذلك ونسبة ملكية هذا الخليج والسيادة عليه الى برهان رهيطة ، تلاعبا بحقوق مصر ، وارتكنا الى تقرير انجليزى .

ولقد أعلن برهان رهيطة ، خضوعه التام لملك ايطاليا . وأعلن تبعيته له دون أن يدفع أية جزية . وتعهد ألا يسمح بتجارة الرقيق في جميع أنحاء « سلطنته » ، وأن يعطى لشركة « روباتينو » ولجميع الايطاليين كل التسهيلات اللازمة لاقامتهم في سلطنته أو لارتحالهم في أنحائها دون أن يجبرهم على دفع أية ضريبة ، وأن يحمى الممتلكات الايطالية في خليج «عصب» والسواحل التي اشترتها الشركة . والوكالات والقوافل الايطالية التي تقيم أو تسافر في أرجاء بلاده ، وأن يتعاون جديا مع الايطاليين ، وألا يبيع أو يتصرف في أي جزء من بلاده أو ممتلكاته دون أن يحصل على موافقة الحكومة الايطالية وألا يدخل في حرب مع أعداء خارجيين ، أو مع أية قبيلة أخرى من العدائيل والدناقل ، دون أن يستشير السلطات الايطالية في عصب ، تلك السلطات التي تستطيع أن تحكم على الموقف ، وتقدر المشكلات الداخلية أو المصاعب الخارجية . وأصبح لبرهان الحق في رفع العلم الايطالى على سلطنته . . وذلك لكي يظهر لكل الاهالى والاجانب ، أنه قد أصبح سلطانا تابعا لملك ايطاليا وتحت حماية حكومته . ولم يصبح برهان موظفا ايطاليا بعد توقيعه على هذا العقد ، ولكنه حصل من « سابيتو » على وعد بأنه يتسلم سنويا مبلغا من المال في نظير الخدمات التي سيقدمها للايطاليين . ولكن على شرط أن يبقى كل ذلك سرا حتى تصل موافقة حكومة روما عليه .

أصبح الامر اذن في منتهى الدقة في البحر الاحمر ، ووافقت حكومة روما على هذا العقد ، ولكنها نفسها شعرت بالاضطرار التي تهددها من تجاه

السلطات المصرية • فأرسل وزير الخارجية الإيطالية برقيتين الى قنصله في عدن ، يشرح له فيهما ما يجب عليه فعله في هذه المسألة • وحضر قبودان احدى السفن الحربية الإيطالية الى «برهان» ، وأوصاه بعدم التحدث الى أحد عن هذا العقد ، كما أوصاه بالاحتجاج «رسمياً» في حالة وقوع أي اعتداء عليه ، وأن يحتاط من القبض عليه ، ويلتجئ الى عصب في حالة الضرورة •

وظلت الحكومة الإيطالية تسعى للوصول الى تسوية مسألة «عصب» مع مصر • ولقد عرف العالم محمد توفيق بضعفه الظاهر الواضح • • مما أثبت لاطاليا أنه أضعف نقطة في خط الدفاع عن السيادة الإقليمية المصرية ، يمكن عبرها للوصول الى مصالحها الاستعمارية • ورغمما عن ذلك فلم يكن من سلطة الخديو أن يتصرف في أراضي الدولة ، ولم يكن ليوافق على أن تتقاسم الدول أملاكه • وكان يخشى من أن يكون ضيعفه في هذه المسألة ذريعة لتدخل سلطان تركيا في الامر وعزله ، كما فعل مع أبيه من قبل ، أو أن يقلب عليه الشعب من ناحية أخرى دون أي مقابل • ولم يكن في استطاعة ايطاليا أن تصل الى موافقة محمد توفيق ، دون أن تمر عن طريق الوزارة المصرية التي كانت تعارض كل المعارضة ، في التفريط في حقوق البلاد ، وفي الموافقة على توسع ايطاليا في سواحل البحر الاحمر على حساب مصر • وكان موقف الوزراء المصريين معروفا لا غبار عليه ، وحتى السلطات القنصلية البريطانية في القاهرة كانت تعارض المشروعات الإيطالية • وكان للسير ادوارد ماليت من السمعة • • ما يحرم ايطاليا من التفكير في أي أمل للاتفاق معه على حساب الامبراطورية البريطانية ، أو على حساب مصر •

ولكن الحكومة الإيطالية أرادت

الاستفادة من مجيء جلادستون للحكم في بريطانيا ، فاتهمت وزارة **دزرائيلي** السابقة بأنها كانت تعمل على السيطرة على شئون مصر ، ثم شكت من نشاط القنصل البريطاني في القاهرة ، واتهمته بالعمل على معارضة النفوذ الشرعي لاطاليا في مصر ، لاسيما في مسألة انشاء محطة عصب • وأعلنت ايطاليا رغبتها في التعاون السلمي مع بريطانيا لدعم النظام في مصر ، وأكدت أن المحاولة الإيطالية المتواضعة على سواحل البحر الاحمر ، لن تسعى الا للتنمية الاقتصادية ولن تتعارض ، ولو مؤقتا ، مع المصالح البريطانية • ثم طلبت من انجلترا أن تدعو قنصلها العام في القاهرة الى التفكير في الود المتبادل ، والمصالح المتبادلة بين كل من ايطاليا وبريطانيا العظمى • ولم تنتظر الحكومة الإيطالية نتيجة هذه المذكرة ، حتى تبدأ في الخطوة التالية التي كانت قد رتبت كل شيء من أجلها ، بل أعدت مشروعا لتنظيم وانشاء مؤسساتها في البحر الاحمر ، ووافق مجلس الوزراء الايطالي في يوم ٢٤ من ديسمبر سنة ١٨٨٠ على مرسوم خاص بانشاء وتنظيم اختصاصات «القومسيير المدني» لهذه المؤسسة ولتمثيل الحكومة الإيطالية في عصب • كان على هذا القومسيير أن يخضع مؤقتا لوزير الخارجية الإيطالية ، وأن يشرف على جميع الادارات بمساعدة سكرتير ومحاسب ومندوب للامن العام وأحد المترجمين • وكان على مندوب الامن العام ، أن يحافظ على النظام ، وينشئ قوة صغيرة من الحرس تتألف من الاهالي ، وتخضع للقومسيير الذي كان له أن يشرف على تنظيمها طبقا لعدد سكان المستعمرة وحاجاتهم وعاداتهم • وعهد هذا المرسوم بالخدمة الصحية الى طبيب السفينة الحربية الراسية في «عصب» ، فكان عليه أن يباشر سلطاته باسم القومسيير • أما المحاسب

عدم وجود أية تفرقة بين الايطاليين والاجانب في الاقامة في عصب . ولكن كان على كل منهم أن يحصل على تصريح خاص بهذه الاقامة . وكلفت الحكومة القومسيير بالاشراف على اقامة كل من الاهالي والهنود في أحياء خاصة بهم ، ومنفصلة تماما عن احياء اقامة الاوربيين . وألغى هذا المرسوم بطبيعة الحال تجارة الرقيق في أراضي عصب وخليجها . وأخيرا فانه قد نص على حرية الدخول الى الميناء دون دفع أية ضرائب أو رسوم جمركية أو ملاحية ، أو خاصة بالمناظر وأعفى المقيمين بهامن الضرائب. المباشرة وغير المباشرة . . . وذلك تشجيعا على الاقامة هناك .

نشرت الصحف خبر انشاء محطة بحرية وتجارية ايطالية في عصب . ثم تحدثت الصحافة الايطالية عن تعيين أحد الموظفين الايطاليين قومسييرا في عصب «للاشراف على الادارة المدنية لهذه المستعمرة» . فأبرق مصطفى باشا الى علي رضا حاكم عام سواحل البحر الاحمر وكلفه الذهاب الى عصب ، وعمل تقرير عما يجرى هناك . وعلم علي رضا بأمر الاتفاق السري الذي عقد منذ حوالي سنة بين شيخ رهيطة وبين سابيتو ، ذلك الاتفاق الذي أعطى لشركة روباتينو بقية ساحل الخليج والجزر الموجودة فيه علاوة على ذلك الجزء من الساحل الواقع الى الشمال من رأس لومة . فلفت نظر سابيتو في مذكرة بتاريخ ٢٦ من ديسمبر سنة ١٨٨٠ ، وبصفته حاكما عاما لسواحل البحر الاحمر ، الى أن مصر تمتلك كل الساحل الممتد ، من السنويس حتى رأس حافون وليس لاحد غيرها أي حقوق سيادة عليه وأن شيخ رهيطة ليس الا « رعية مصرية وموظفا منذ سنوات لدى حكومة الحبشة » . ونتيجة لذلك فليس له ، وليس لاي

فعليه أن يشرف على أعمال البريد أيضا وكان للقومسيير أن يحكم طبقا للقوانين السارية في ايطاليا . وأنشأت الحكومة الايطالية محطة بحرية في خليج عصب توكيدا لسلطة القومسيير ، واجابة حاجاته للدفاع عن المستعمرة والمحافظة على النظام فيها . وكان على قائد هذه المحطة أن يحافظ في معاملاته مع القومسيير ، وهو يحتل منصبا يعادل منصب القناصل على اللوائح القنصلية الخاصة بالبحرية الايطالية . وكان على القائد أن يشترك في أعمال الاستكشافات الجغرافية والاعمال الطبوغرافية والهيدروغرافية وغيرها مما يلزم للمستعمرة . وكان عليه أن يشرف على تنظيم الحملات والاعمال التي سيشارك فيها رجال البحرية الخاضعون له ، وذلك مع القومسيير . وكان للقومسيير الحق في الاتفاق مع قائد المحطة البحرية ، واعطاء مكافآت لرجال البحرية الذين سيقومون بأعمال يدوية ، وذلك بنسب تتماشى مع رتبهم واذا ما اضطرت مصلحة الدولة القومسيير الى زيارة أي جزء من الساحل كان له الحق في أن يطلب من قائد المحطة البحرية القيام بهذه الزيارة على السفن الحربية الايطالية . وتكون القيادة في هذه الحالات الخاصة بين يدي قائد المحطة البحرية بطبيعة الحال . ولم يكن في استطاعة القائد أن يترك خليج عصب دون تبليغ ذلك للقومسيير وقبل أن يتخذ معه الاجراءات اللازمة لضمان الامن ، والمحافظة على النظام في أثناء غيابه بعيدا عن المستعمرة . وعلى العكس من ذلك فان جميع اختصاصات القومسيير تعود - في حالة غيابه - الى قائد المحطة البحرية الايطالية في عصب .

أعلن هذا المرسوم وحده في أراضي عصب ، وذلك باتفاق بين الحكومة الايطالية وشركة روباتينو . ونص على

غيره الحق فى التصرف فى أى جزء من الساحل أو فى الجزر ، وأن الامانة تتطلب التخاطب مع الحكومة المصرية ، المالكة الوحيدة لهذه البلاد .

وعلم الحاكم العام المصرى أيضا : ان الايطاليين قد منعوا ابراهيم ، شيخ ناحية « عصب » من الاتصال بالسفينة المصرية « الجعفرية » ، فى يوم ٢٤ من ديسمبر ، ورغمما عن كونه مصريا ، فان سابيتو قد منعه ، وهدده اذا مذهب الى السفينة ، وأرسل خطابا الى شيخ رهيطة ينصحه فيه بعدم تلبية استدعاء الحاكم العام له . ولم يكن فى استطاعة على رضا ، أن يسكت على مثل هذه الافعال والوسائل رغم حرصه على المحافظة على تحسين العلاقات مع الاجانب المقيمين فى الاراضى المصرية ، وأن يعاملهم بما أوصته به حكومته التى لاتسعى الا الى المحافظة على العلاقات الودية مع الدول الاجنبية .

ولذلك فانه قد احتج على تصرفات « سابيتو » واحتفظ بجميع الحقوق للحكومة المصرية . ولم ينس أن يذكر لسابيتو أن جميع هذه الاتفاقات المذكورة ، باطلة أصلا وشرعا مثلها فى ذلك : مثل موضوع « عصب » الذى عاجله بطريقة مماثلة . ثم استمر على باشا رضا فى دورته التفتيشية فزار زيلع وبربره وبلهار وتارجورة ورهيطة وأبلغ القاهرة ، قبل عودته لمصوع ، أنه قد أوقف صرف مرتبات عدد من شيوخ العربان المقيمين على الساحل ، وأمر بفصلهم من الخدمة .

ومما لاشك فيه ، أن هذه الاجراءات هى أقل مايمكن للحكومة أن تقوم به تجاه الاجانب المقيمين فى اراضيها ، وتجاه بعض العربان الرحل الذين لايقدرعون معنى التصرف فى اراضى الدولة وبيعها للاجنبى الاستفادة به من وجود « نظام ضعف الحكومة الخديوية فى ذلك الوقت ، وتدل أيضا على مقدار مايمكن

للاجانب . ولكنها تدل على أية حال على امتيازات « فى البلاد الشرقية » .

أما انجلترا ، فانها واصلت تصميمها على عدم ترك حرية العمل للحكومة الايطالية فى البحر الاحمر ، حتى لاتهدد قاعدتها فى عدن فى يوم من الايام . فأسرعت وزارة الخارجية البريطانية بابلاغ روما ، أنها قد سجلت ، بكل سرور ، تصريحاتها الواضحة القاطعة التى قدمها رئيس وزرائها للسفير الانجليزى بأنها لن تنشئ فى « عصب » ، أية مؤسسة حكومية لها طابع عسكري ، وأن ايطاليا لن تحتفظ بجنود ، أو تقيم أية استحكامات على الساحل ، أو على الجزر الواقعة فى الخليج .

شعرت انجلترا اذن . . . بأنها لاتستطيع أن تمنع ايطاليا من أن تقيم مستعمرتها فى شرق السودان ، ولذلك فانها اعترفت بها بشرط خاص حتى تقيد حرية ايطاليا فى العمل هناك .

فأسرعت حكومة روما وأكدت لانجلترا أن تعليماتها الصادرة للقومسيير فى « عصب » ، تهدف الى طمأنة انجلترا ، وتحاول كسب تأييدها ، فكان عليه ألا

يخفى على أحد أن عصب لن تكون فى يوم من الايام وسيلة لمضايقة انجلترا ، أو نقطة لتهديد الممتلكات البريطانية ،

وأنه سيكون من دواعى الشرف لاطاليا أن تجد السفن الانجليزية فى يوم من الايام فى هذا الميناء . . . ماقد يكون

نافعا لها . وبعد يومين زار السفير الايطالى فى لندن جرانفيل وزير الخارجية وترك له نص برقية . . ادعى

أن كايرولى قد أرسلها للقومسيير الايطالى فى عصب ، يمدح فيها سلوكه للامتناع عن عمل محضر رسمى عند وصوله لعصب ، وعن كل عمل قد يظهر على أنه استيلاء رسمى من جانب الحكومة الايطالية ، لا سيما وأن

الصحف كانت قد أظهرت تعيينه فى هذا المنصب . . على أنه عملية استيلاء رسمية تقوم بها إيطاليا على سواحل البحر الأحمر ، مما قد يثير شكوك أية دولة من الدول . وتزلف من جانب إيطاليا لانجلترا ، وخداع بالشكليات التى تخفى وراءها الرغبة فى التوسع على حساب الغير .

وعلى أية حال فإن التوكيدات التى أعطتها إيطاليا لانجلترا ، كانت صريحة اذ أنها أعلنت فيها ، أنها لن تتنازل عن هذه التجربة التى يمكن أن تصبح ناجحة من الناحية التجارية ، ومصدر ربح للمصالح الإيطالية دون أن تضايق إنجلترا بأى شكل من الأشكال .

ولقد صحت إيطاليا هذه التوكيدات بطلب تقدمت به لحكومة لندن وشرحت فيه : أنها ستضطر الى أن تتقدم الى البرلمان لكى يوافق على الميزانية الخاصة بعصب ، وأنها تأمل فى أن تتمكن فى الوقت نفسه من أن تعلن ، أن إنجلترا لا تعارض فى قيام مؤسسة « عصب » الناشئة ، وأنها قد أكدت للحكومة الإيطالية أنها تؤيدها أدبيا اذ أن الامر لا يعدو انشاء نقطة تموين للملاحة على ساحل قاحل غير مشجع ، ويقترب سكانه من المتوحشين . . ولكن الحكومة البريطانية لم تكن مستعدة لتقديم مثل

هذا التصريح ، أو الموافقة على التصريح به فى البرلمان الإيطالى على لسانها .

وفى هذا الوقت نشرت الصحف الإيطالية بلاغات ، تدل على أن القومسيير قد استولى على أراضى عصب رسميا باسم الحكومة الإيطالية . فأسرع السفير الإيطالى فى لندن بتأكيد عدم صحة هذه الاخبار للورد جرانفيل ،

واكد له أن مهمة القومسيير ، ليست الا المحافظة على النظام . ولكن وزارة الخارجية البريطانية ، كانت قد تأكدت من أن إيطاليا تظهر غير ماتخفى ، وشعرت بأن إيطاليا لن تنفذ تعهداتها . وستستمر فى تنقيذ سياستها التوسعية ، وستواصل مصر الاعتراف بشرعية النشاط الإيطالى فى شرق السودان . أما إنجلترا فإن موقفها

سيزداد ميوعة مع الزمن ، حتى تدخل قواتها العسكرية مصر باسم الدفاع عن الخديو ضد شعبه . وفى هذا الوقت لن يتحدث أحد عن إيطاليا فى شرق السودان اذ أن حرس الخديو سيصبح من الانجليز ، وتسيطر إنجلترا على مصر كلها ، وتتدخل فى السودان ، وتترك « عصب » ، قطعة صغيرة من العظم ، لكى تشغل إيطاليا بها . . !!

التجار العرب في أوغندا ..

للدكتور ابراهيم احمد العدوى

وانما استهدفت ائاحة الفرص امام سكان شرق افريقية للاتصال بالعالم الخارجى ، وتصريف منتجاتهم فى شتى الاسواق ، والمساهمة بدورهم فى بناء رفاهية الانسانية . وتجلت أولى مهام التجار العرب حين نجحوا فى اخراج شرق افريقيا من عزلتها ، وربطوها بأهم مصادر الانتاج العالمى فى الشرق الاقصى وفى بلاد البحر الابيض المتوسط . وساعد العرب على تحقيق هذه الخطوة الهامة فى اقتصاديات شرق افريقيا ، أنهم كانوا يتمتعون بحكم موقعهم الجغرافى فى الاشراف على الشريان التجارى العظيم الذى يبدأ من الصين والهند ، ثم يسير بحرا بمحاذاة جنوب بلاد العرب . ويجتاز بوغاز باب المندب حيث يتابع سير بحرا بمحاذاة جنوب بلاد العرب . فى مصر والشام ، وهى الاسواق الطامئة الى المتاجر الشرقية .

وكان عرب الجنوب من سكان اليمن وحضرموت وعمان ، هم عمدة الرباط التجارى بين شرق افريقيا وهذا الطريق التجارى العظيم . اذ اشتهر أولئك العرب بخبرتهم العالية فى ركوب البحار ، وبثرواتهم العظيمة التى استغلوها فى التبادل التجارى ، وكرسوا جهودهم وأموالهم لخدمة هذه الجهات الافريقية وحمايتها من الطامعين . فكان عرب الجنوب يعرفون سرا الملاحه فى هذه الرقعة الشاسعة من المياه الجنوبية التى تربط بلادهم ، بساحل افريقيا الشرقى ،

لم يعرف التاريخ أمة أسهمت فى رقى شرق افريقيا والنهوض بمستوى أهلها الاقتصادى والسياسى غير الامة العربية . وفضلا عن ذلك ارتبط مصير كل من العرب وسكان شرق افريقيا ببعضهما ببعض من حيث عوامل النهوض والمجد ، ومن حيث أسباب الركود والانحلال . ذلك أن العلاقات بين العرب وبلاد شرق افريقيا عريقة فى القدم . . ترجع الى الأيام الأولى التى عاشها العربى فى مهده الأولى قبل الاسلام ، والتى زادها ظهور الدين الجديد قوة وازدهارا ، ثم حبتها العصور المتوالية بالرعاية حتى الوقت الحاضر ، حيث تستمد تلك البلاد الافريقية مرة أخرى من يقظة الأمة العربية اليوم ما يحقق لها الحرية الكاملة ، واستعادة مجدها الزاهر الذى شاهده أيام علاقاتها الأولى مع العرب فى ظل انتشار الاسلام .

وكان السبب فى قوة تلك الصلات العربية مع شرق افريقية هو : أنها اتخذت منذ بدايتها طابعا سلميا قوامه تبادل المصالح ، والتعاون على بناء حضارة زاهرة على شواطئ تلك اللجة الشاسعة من المياه التى تمتد من السواحل الجنوبية لبلاد العرب الى الساحل الشرقى لافريقيا . وقام التجار العرب منذ أقدم العصور برسل هذه الحضارة الجديدة ، التى لم تعرف استعمارا أو استغلالا . .

وحرصوا خالفا عن سالف على اخفاء هذا السر عن غيرهم حتى لا يجرؤا على نهب مصادر الانتاج في تلك الجهات الافريقية . وتجلت المطامع الاستعمارية ضد سيادة عرب الجنوب التجارية في سياسة الدولة الرومانية الكبرى بعاصمتها روما ، ثم في وليدتها الدولة الرومانية الشرقية ، أو الامبراطورية البيزنطية بعاصمتها القسطنطينية . ذلك أن عرب الجنوب عرفوا استخدام الرياح الموسمية في ربط مصادر الانتاج في شرق أفريقيا ببلاد الشرق الاقصى ، ثم اتخاذها من اليمن نقطة التلاقى لتلك السلع الشرقية كلها .

ومن بلاد اليمن تولى عرب الشمال من سكان نجد والحجاز نقل هذه المتاجر الشرقية بوساطة قوافلهم الكثيرة الى البلاد المطلة على شرق البحر الابيض المتوسط . واختص عرب الشمال بهذا الدور الثاني من نقل المتاجر الشرقية بسبب اجادتهم السير في الصحراء ، ومعرفة المسالك عبرها حتى حدود مصر والشام . . . وكانت هذه البلاد من شرق البحر الابيض المتوسط خاضعة لسلطان روما التي تحرق ساداتها غيظا من سيادة عرب الجنوب التجارية ، وعمدوا بشتى الوسائل السلمية والحربية الى تحطيم تلك السيادة ، والوصول الى مصادر الانتاج التي احتفظ العرب بسرّها . وبعثت روما في سنة ٢٥ ق.م ، حملة حربية على رأسها والى مصر الروماني جايوس جالوس لانتزاع مجد العرب التجاري . ولكن تلك الحملة باءت بالفشل ، وظل عرب الجنوب يتابعون رسالتهم في حماية مصادر الانتاج بشرق أفريقيا . ولما سقطت الدولة الرومانية وخلفتها الامبراطورية البيزنطية تابعت القسطنطينية رسالة أمها روما في منافسة عرب الجنوب ، واكتشاف

و لكن تغيرت معالم هذا الاقتصاد

البدائي بوصول التجار العرب الى شرق افريقية . وكانت أولى مظاهر التطور الجديد تأسيس مراكز تجارية هامة على الساحل الشرقى ، وبعث الحياة فى موانئ أخرى ، صارت محطات تفد اليها منتجات الجهات الداخلية من شرق أفريقيا ، ويقوم التجار العرب بتصديرها فى مقابل السلع الشرقية التى تأتى من شتى الجهات وترتب على قيام هذه المراكز التجارية اتساع آفاق سكان شرق أفريقيا ، وبحشهم عما فى بلادهم من كنوز وخيرات طبيعية ، تساعدهم على دعم التبادل التجارى مع العرب ، والوصول على انتاج البلاد المتحضرة من الصين والهند ومصر . وكانت مدينة زيلع من أولى ثغور شرق افريقية التى علا شأنها نتيجة نشاط التجار العرب . فأصبح ميناء زيلع يستقبل السفن التجارية فى أعداد كبيرة ، ويتلقى من داخل البلاد المنتجات الحبشية ، مثل البن واللبان والبخور ، وجاء اليها فى مقابل ذلك التوابل من الهند ، والجواهر من سيلان ، والقرنفل وخشب الصندل من الصين الهندية ، والفلفل من ملبار والمسك والكشمير من السند ، والحريز من الصين ، كما وصلت اليها من مصر المنسوجات والاقمشة الموشاة بالذهب والوانى .

وتأسست الى جانب زيلع ميناء تجارى آخر هام هو : مقدشو ، التى صارت عروس بلاد الصومال . ونشأت تلك المدينة سنة ٩٠٨ م ، ثم تطورت سريعا بفضل نشاط التجار العرب ، حتى أصبحت من أكبر المراكز التجارية بشرق أفريقيا . وقامت علاقات وثيقة بين هذا الميناء الجديد وبين بلاد العرب ومصر كذلك حتى صارت أسواقها عامرة بالمنتجات العربية ، وتجد لسلعها الوطنية

أسواقا كبرى فى خارج البلاد . واشتهر أهل مقدشو والسلطات الحاكمة فيها باكرام التجار العرب ، وتقديم كل المساعدات لهم بسبب أهميتهم فى اقتصاديات البلاد . وأصبح أهل مقدشو على خبرة واسعة بالشئون التجارية ، فكان «من عادة أهل هذه المدينة أنه متى وصل مركب الى المرسى تصعد «الصنايق» وهى القوارب الصغيرة اليه . ويكون فى كل صنبوق جماعة من شبان أهلها ، فيأتى كل واحد منهم بطبق مغطى . . فيه الطعام ، فيقدمه لتاجر من تجار المركب ، ويقول هذا نزيلي . وكذلك يفعل كل واحد منهم ، ولا ينزل التاجر من المركب الا الى نزيله من هؤلاء الشبان ، الا من كان كثير التردد الى البلد ، وحصلت له معرفة بأهلها ، فانه ينزل حيث شاء ، فاذا نزل عند نزيله باع ما عنده واشترى له . ومن اشترى منه ببخس أو باع منه بغير حضور نزيله فذلك مردود عندهم ، ولهم منعه فى ذلك » . وأصبحت مقدشو مقر جالية كبيرة من التجار العرب بفضل هذه الدقة والامانة فى المعاملات التجارية ، وصارت اللغة العربية تجد سبيلها الى الاهالى المحليين .

وتأسس على يد العرب كذلك ، بعد مقدشو بوقت قصير ، مركز تجارى آخر هام بشرق أفريقيا ، وهى مدينة «كلوة» براوة الحالية ، سنة ٩٧٥ م ، مما يدل على اتساع نشاط العرب التجارى بالمياه الافريقية فى القرن العاشر الميلادى . ولقى التجار العرب من حكام هذه المدينة أيضا كل مودة وتكريم ، واختصوا بالعطايا فى المناسبات والاعياد . وأدى الثراء التجارى الذى تمتعت به كلوة الى انصراف جماعة من سكانها العرب الى التأليف وتدوين أحداث العلاقات

بين العرب وشرق أفريقيا ، وكذلك الامتزاج بين أولئك العرب والسكان المحليين ، والتعاون على بناء مجد سياسى فى تلك الأرجاء . وقد عثر البرتغاليون فى مطالع استعمارهم لشرق أفريقيا على كثير من تلك المخطوطات العربية فى مدينة كلوة ، واستفادوا مما فيها من أحوال تلك البلاد التجارية ، واكتشاف الكثير من أسرار التجارة العربية هناك . ولعل الدراسات العربية الحديثة تتجه الى الحصول على تلك المخطوطات ونشرها باعتبار ذلك خطوة هامة فى سبيل دعم أواصر القربى العربية مع بلاد شرق أفريقيا اليوم ، وتبصيرها بما نالت من مجد زاهر فى ظل العلاقات التجارية مع العرب .

والى جانب **مقدشو وكلوة** قام مركزان تجاريان آخران كان لهما أكبر الأثر فى دعم نشاط التجار العرب فى شرق أفريقيا هما : ممبسة وزنبار . وقد تمتع كل من هذين المركزين بمواصلات سهلة الى داخل البلاد حتى منطقة البحيرات العظمى وجلب محاصيل جديدة من تلك الجهات الى شرق أفريقيا ، وتحسين صادراتها الى الخارج . وكشف ازدهار كل من ممبسة وزنبار عن حسن اختيار التجار العرب لمراكزهم التجارية بشرق أفريقيا ، حيث تمتع كل منهما بمياه هادئة تصلح لرسو السفن . وما زالت كل منهما تؤدى رسالتها فى خدمة اقتصاديات الساحل الشرقى لافريقيا الى اليوم .

وكان اقليم **سوفالة** وهو موزمبيق الحالية ، آخر مظهر من مظاهر وصول التجار العرب الى أقصى جنوب الساحل الشرقى لافريقيا . وهناك عرف التجار العرب معدن الذهب الذى اشتهرت به أرجاء كثيرة من أرض أفريقيا ، وعملوا فى تصديره

الى جهات العالم الخارجية . وبدأ ساحل موزمبيق يشاهد بدوره رخاء اقتصاديا جلبه له التجار العرب . ويرتبط بفضل هذا النشاط التجارى العربى مع سائر جيرانه من بلاد شرق أفريقيا .

وظل التجار العرب رسل الحضارة فى شرق أفريقيا ، وربط أهلها بعضهم ببعض أولا ، ثم مع مراكز العروبة خارج أفريقيا ثانيا . ونجح التجار العرب بفضل اتصالهم السلمى بالاهالى المحليين فى القضاء على كثير من مظاهر الوحشية والديانات الوثنية فى شرق أفريقيا . وكان سلوك التجار العرب مشرفا ، وخير سبيل حببهم الى الاهالى هناك ذلك أنهم كانوا مثالا للامانة فى المعاملة وصدق الوعد وحسن الجوار . وفضلا عن ذلك نظر العرب الى جيرانهم من السكان نظرة اسلامية صادقة لاتعرف حاجزا لونيا ، وانما الكل سواء أمام الله . وبدأت بذلك حركة امتزاج كبرى بين الجاليات العربية من التجار ومن وفد فى ركبهم ، وبين سكان شرق أفريقيا ، كما أخذت السفن العربية تحمل من تثقف من أولئك السكان الى معاهد العلم بالبلاد العربية ولا سيما فى مصر حيث الازهر الشريف ، ثم تعيدهم الى بلادهم ليكونوا رسل هداية وانقاذ لمواطنيهم .

غير أن جهود التجار العرب فى شرق افريقيا تعرضت لصدمة قاسية أشبه باللظمة التى تعرض لها العالم العربى كله ، نتيجة الاطماع الاوروبية التى بدأت تكشف عن قناعها ازاء العرب فى مطالع العصور الحديثة . ذلك أن أوروبا لم تنس منذ هزيمتها فى الحروب الصليبية فشلها فى انتزاع السيادة التجارية من العرب ، وبدأت تبحث عن طرق أخرى تجنبها اشراف العرب

العرب من سيادتهم التجارية منذ الحروب الصليبية . وبدأت سفن البرتغاليين تفد زرافات ووحدانا بعد فاسكو داجاما ، تدرس أحوال شرق أفريقيا ، تمهيدا لانتزاع مراكزها التجارية من أيدي العرب ، وخلق تفرقة بينهم وبين السكان المحليين ، حتى يتم لهم تحقيق مطامعهم في القضاء على التجارة العربية مع الشرق الأقصى .

وتوالى تقارير البرتغاليين تشيد بمكانة التجار العرب في شرق أفريقيا وأنه لا سبيل للقضاء عليهم الا بالاحتلال العسكرى . فقد جاء في أحد التقارير أن التجار العرب رمز عزة شرق أفريقيا ، وقدوة للاهالى في المظهر والمخبر ، فالتاجر العربى له طلعة جذابة ، أرديته « ملابس بهية منها ما يسمونه القفطان ، وجوخ أسود مطرز مفتوح من الامام : تحته قميص أبيض طويل . ونطاق واسع يحملون من فوقه خنجرا محلى بالفضة » . ولهم بيوت تجارية ذات ثراء واسع . وفضلا عن ذلك فالتاجر العربى مثال طيب للخلق الرفيع لا يعرف الملق أو النفاق .

وكان الصراع المقبل بين أوروبا والعرب في شرق أفريقيا صراعا خطيرا لان نتائجة سوف تصيب كل العالم العربى . ذلك أن البرتغاليين استخدموا ما وصلت اليه أوروبا اذ ذاك من مخترعات حربية حديثة ، واستولوا على زنبار سنة ١٥٠٣ م وغيرها من سائر المراكز التجارية العربية بشرق أفريقيا حتى سقطت في أيديهم ممباسة سنة ١٥٠٥ م . وكذلك سوفاله مركز تجارة الذهب ومن القواعد العربية بافريقيا تقدم البرتغاليون الى مياه الهند حيث شجعهم اختفاء المقاومة هناك على تأسيس قواعد استعمارية لهم كذاك على سواحل الهند .

على المتاجر الشرقية ، وتسلبهم بالتالى هذه الزعامة التجارية ، وقد شجع أوروبا على التنفيس عن حقسدها التجارى على العرب ما شاهدته بلادها من انقلاب صناعى هائل تطلب أمرين : الحصول على المواد الخام من الشرق ، ثم البحث عن أسواق لتصريف منتجات هذا الانقلاب العظيم . وتمخضت هذه التطورات الاوروبية عن بدء عصر الكشوف الجغرافية التى استهدفت أولا تجنب الطرق التجارية الخاضعة لاشراف العرب ، والبحث عن مسالك جديدة الى الشرق الأقصى وأصاب شرق أفريقيا قدر كبير من الاضرار التى نزلت بالعالم العربى كله ، نتيجة هذا الحقد الاوروبى على التجارة العربية . ذلك أن البرتغاليين بدأوا منذ أيام هنرى الملاح ، الطواف حول شواطئ أفريقيا بغية الوصول الى الشرق الأقصى دون الاعتماد على التجار العرب . ودخلت كشوف البرتغاليين مرحلتها الحاسمة حين استطاع برثلميو دياز الطواف برأس الرجاء الصالح سنة ١٤٨٨ م . فبعد عشر سنوات من هذا الكشف وصل برتغالى آخر وهو فاسكو داجاما الى الساحل الشرقى لافريقيا . وهناك أدهشه ازدهار التجارة العربية ، وكثرة التجار العرب فى موانى شرق أفريقيا ، ومعيشتهم مع الاهالى المحليين فى طمأنينة وسلام .

وبدأ فاسكو داجاما من شرق افريقية يدرس نشاط العرب التجارى كما استفاد من معلوماتهم التى قدموها له فى ثقة من أجل الوصول الى الشرق الأقصى . وبدأت حينئذ ضربات الاوربيين للتجار العرب بشرق أفريقيا ونهب تراثهم على امتداد المياه من تلك الجهات الافريقية الى الهند . ذلك أن البرتغال لم تستهدف كسفا جغرافيا تبغى به خدمة العلم ، وانما أرادت تحقيق حلم أوروبا فى حرمان

سلطان عمان الامام سعيد الى زنجبار واتخاذها قاعدة للكه . وبدأت مظاهر النشاط العربى التجارى تتجدد على الساحل الشرقى لافريقيا ، وتدب الحياة مرة أخرى فى مراكزه التجارية غير أن عاملاً جديداً تدخل اذ ذاك أساء الى التجارة العربية فى شرق

أفريقيا ، ثم الى سائر أرجاء تلك الجهات نفسها . ذلك أن المطامع الاوربية لم تقف عند البرتغاليين فقط وانما دخلت دول غرب أوربا مثل انجلترا وفرنسا وألمانيا ميدان الاستعمار التجارى الى الشرق الاقصى

واشتد التنافس فيما بينهم على الحصول على امتيازات تجارية من سلاطين مدن شرق أفريقيا . وقد ناهضت الجاليات العربية هذا الاستعمار الاوربى الذى اختفى أولاً وراء الحصول على امتيازات تجارية ، وقامت بثورات كثيرة لم يقدر لها النجاح لان سائر أرجاء العالم العربى لم تستطع أن تمد لها يد المساعدة بسبب ما أصابها من ركود فى ظل الاستعمار التركى وما تلاه من استعمار أوربى . واقتسمت الدول الاوربية فيما بينها مناطق شرق أفريقية .

غير أن يقظة الامة العربية اليوم ، وما سادها من مظاهر رائعة أهمها : تأميم قناة السويس ، ذلك الشريان التجارى العظيم ، سوف يمهّد السبيل أمام التجار من أبناء الامة العربية الى استعادة رسالة أجدادهم

وآبائهم فى ربط شرق افريقية بالوطن العربى الاكبر ، ومساعدة أهلها فى شتى بلادهم سواء فى الصومال أو كينيا وأوغندا وزنبار وموزمبيق على نيل حريتهم كاملة ، ودفعهم مرة أخرى الى المساهمة فى بناء الحضارة العالمية بما عندهم من كنوز وثروات طبيعية هائلة .

واستنجد التجار العرب ومعهم أمراء الهند كذلك بالسلطات المصرية لمقاومة هذا الاستعمار الاوربى الجديد الذى هدد التجارة العربية كلها . . .

ليس فى شرق أفريقيا فحسب ، بل فى سائر أرجاء العالم العربى . واستطاعت السلطات المصرية أن تعد اسطولا أنزل الهزيمة بالبرتغاليين الذين وصلت سفنهم اذ ذاك الى مياه الهند ولكن البرتغاليين انتهزوا فرصة انشغال الشرق العربى ، وعلى رأسه مصر ، بالاستعداد لمقاومة الخطر التركى العثمانى الذى بدأ يهدد تلك البلاد ، وأرسلوا اسطولا حربيا انتصر على سفن مصر والتجار العرب فى وقعة ديونستة .

وبينما وقعت بلاد الشرق العربى فريسة للزحف العثمانى الذى بدأه السلطان سليم الاول ، وعجزت السلطات العثمانية عن متابعة الجهاد العربى ضد أوربا ، بدأت السلطات العربية فى اليمن وفى جنوب بلاد العرب ، تجمع قواها لانقاذ شرق أفريقيا من براثن الاستعمار البرتغالى ذلك أن البرتغاليين بدأوا يدمرون التراث العربى هناك ، وينتهكون حرمة الدين الاسلامى ، حيث حولوا بعض المساجد الى دواوين لهم ،

وبعضها الآخر الى حظائر للخيل والماشية . فثار الاهالى واستنجدوا بسلطان عمان الذى بعث سنة ١٦٩٨ م حملة الى مياسة احتلتها ، وطردت البرتغاليين من معظم القواعد التجارية بشرق أفريقيا ، حيث صارت مدينة كلوة تابعة للعرب مرة أخرى .

وبدأت المراكز العربية التجارية تحمّل لواء المقاومة للبرتغاليين ومحاولاتهم المتكررة ما يقرب من مائة وخمسين عاماً ، وشجعها انتقال



بقلم الاستاذ محمد فتحى

وقع فى يدي أخيرا كتاب فرنسي صدر فى افريقية الاستوائية الفرنسية يتناول فيه صاحبه الحديث عن اللغة العربية . وليس يعنينى هنا أن أعرض الكتاب وما فيه ، أو أتحدث عن صاحبه ونشره ، وإنما فاجأتني دعوة غريبة جديدة حاول الكتاب أن يقرها فى الأذهان ، وهى أن اللغة العربية ليست لغة للتعبير والتخاطب ، وإنما هى كاللغة اللاتينية ، لغة ميتة ، فقدت صلتها بالحياة ، وليس لها من وظيفة فى الوقت الحاضر إلا أنها لغة الصلاة ، لغة العبادة للمسلمين ، وانك تستطيع أن تقول باللغة العربية « السلام عليكم » أو « أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله » وأن تقرأ بها الفاتحة وأن تؤدى بها الصلوات الخمس . . . وأن ترتل بها سورا قصيرة من القرآن ترتيلا . . . تستطيع أن تفعل بها ذلك . . ذلك فحسب . أما أن تجد فيها أداة للتعبير العام فذلك شيء لا تحتمله ، ولا طاقة لها به ! . . . فهى عاجزة عن أن تكون لغة التعليم ، ولغة الحضارة الحالية العالمية ، وما بها من مدرجات كثيرة معقدة فى العلوم والصناعة والمخترعات

هذه الدعوى ليست بالشئ الجديد على صاحب المصلحة من المستعمرين

فى افريقية ، فلطالما نفذت الخطط على هذا الاساس ، ولكن الجديد فى الامر أنها خرجت من حيز التلميح الى التصريح الى الدعوة المكتوبة على لسان بعض المسلمين ذاتهم ، دون أن يكون فى ذلك تحامل على اللغة أو تقليل من شأنها ، بل على العكس من ذلك تحاط اللغة بالقداسة وبالتبجيل ، وتنزه بهذه الصفة عن أن تنزل من مستواها العلوى الروحى الى مستوى السفليات فى هذه الحياة الدنيا

والسر فى ذلك واضح مفهوم ، فمنذ ظهرت القومية العربية الكبرى فى الشرق الاوسط ، واتخذت نهضتها شكلا خطيرا تحرريا ، وقامت الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد العربى ، وامتلأ ملايين العرب ايمانا بفكرة القومية العربية ، وكان أن خطبت الدول ود العرب ، وأيقنت بعظم مكانتهم وعظم الدور الذى يقومون به فى تطوير العالم ومصيره . . . منذ ذلك الوقت وأنظار الافريقين تتجه نحو هذه البقعة من العالم ، كالرائد المحرر وكالأخ الاكبر الذى يمكن أن يمد يده معاونا ، دون أن يطالب باليد الاخرى . . . يعاون فى اخلاص وفى مودة حقيقية لا تخفى وراءها الاغراض والغايات . . .

نعم صحت افريقية صحوة مذهلة وتطلعت الى العرب فى الشمال وفى الشرق . . فى طلب العون الاخوى . وكان لها فى الأخوة الدينية حافز ومشجع . فاذا علمت أن نسبة المسلمين فى المستعمرات الافريقية المتحررة ، والتي فى طريقها الى التحرر تبلغ درجة كبيرة عالية أدركت مدى الفزع الذى أصاب المستعمر لهذا التقارب الذى يقوى أو اصر الدين ، ثم احتمال توحد اللغة . ذلك أن الافريقى يعرف تمام المعرفة أن اللغة الانجليزية أو الفرنسية ليست لغته ، وأنها لا تلائم حاجاته واتصالاته

المسلمين من بين مجموع السكان البالغ عددهم نحو ثلاثين مليونا ، وفي غينيا الغالبية مسلمة ، وفي غانا ما يقرب من ثلث السكان من المسلمين ، والصومال كلها مسلمة وأرتريا غالبيتها تدين بالاسلام ، وفي ليبيريا وتنجانيقا وغيرها من البلدان الافريقية ، يمتد ذلك الرباط الذي يوجه هذه البلدان الفتية وجهتنا ، دون سعى ولو قليل من جانبنا

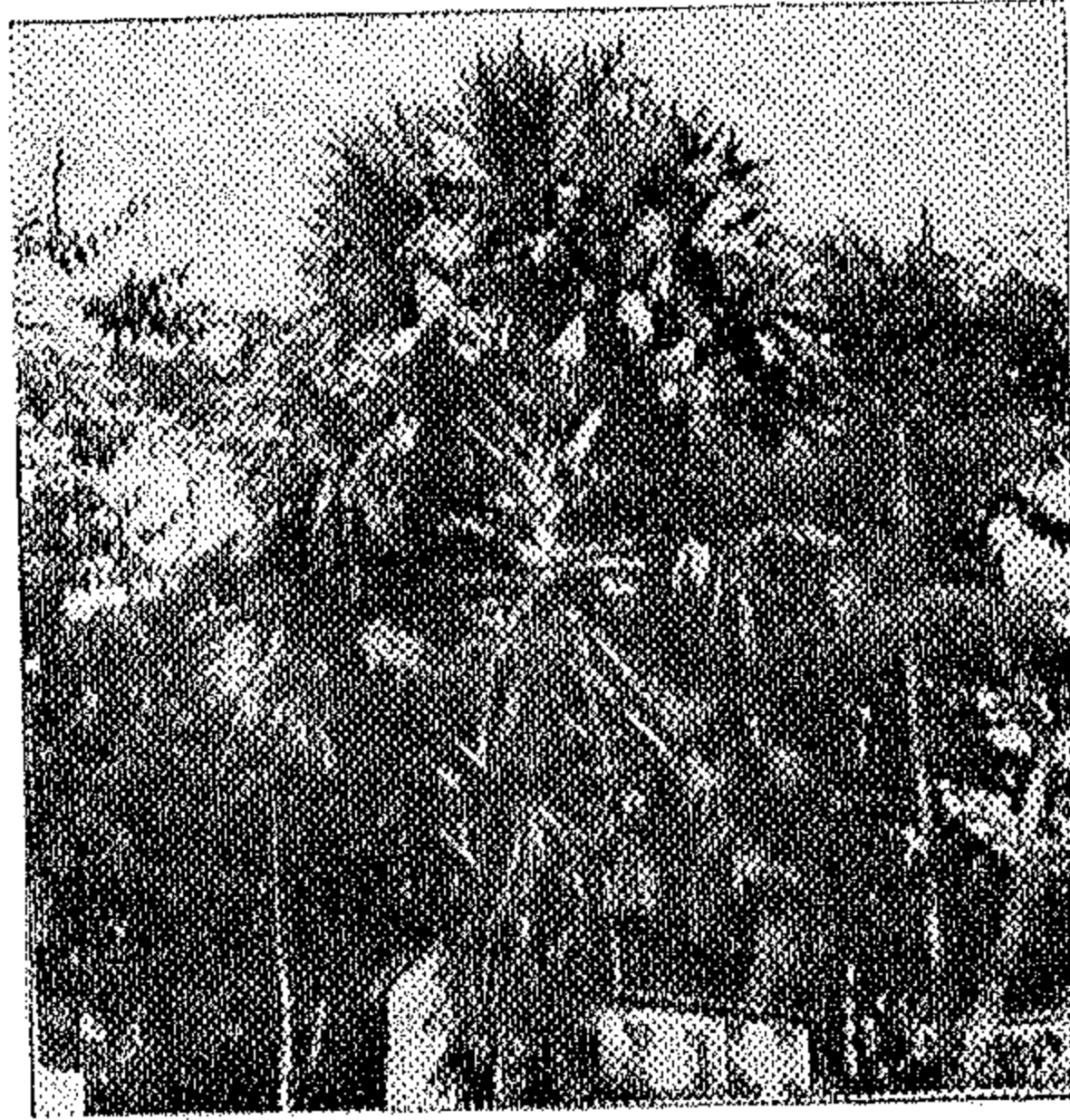
مهما يبذل صاحب المصلحة من جهد للحيلولة بين الأخ وأخيه فلن تجدى مساعيه فتىلا ، ذلك لان الفتى قد صلب عوده ، وثقب بصره ، ولم يعد غرا مسلوب الارادة ، كما كان ابان الجهالة الجهلاء .

والفتيان من كل بلد افريقى يتلقون العلم في معاهدنا ، ويعودون الى بلادهم ، ليثبتوا أن اللغة العربية لغة العلم الحديث ، يدرس بها في الجامعات ، كما هي لغة القرآن : لا قصور فيها ، ولا عجز ، ولا موات .

وطبيعته ، وأنهى ، وهو الا هم ، لا تسوى بينه وبين صاحبها ، بل انه مهما برع في التحدث بها فلن تزيده هذه البراعة الا غرابة وبعدا في نظر المستعمر الغربى المتغطرس . ومن ثم فهو دائم التطلع الى التحرر من اللغة الغربية التى فرضت عليه فرضا ، دائم التطلع الى لغة قريبة منه ، وهى أيضا سبيله الى الله ، وسبيله الى التعاون مع اخوة له يحبهم ويحبونه ، ويشاركهم فى غير تجربة واتجاه .

لقد سلطوا اسرائيل وغيرها من أعداء العرب ، لتبادر بمنح المعاونات الثقافية من منح دراسية وخبراء لابناء الدول الافريقية ونشروا العراقيل فى طريق المبعوثين الثقافيين من أبناء الجمهورية العربية المتحدة وغيرهم من العرب ، ولكن ذلك لن يحول التيار عن مجراه

فى نيجيريا نحو عشرين مليونا من

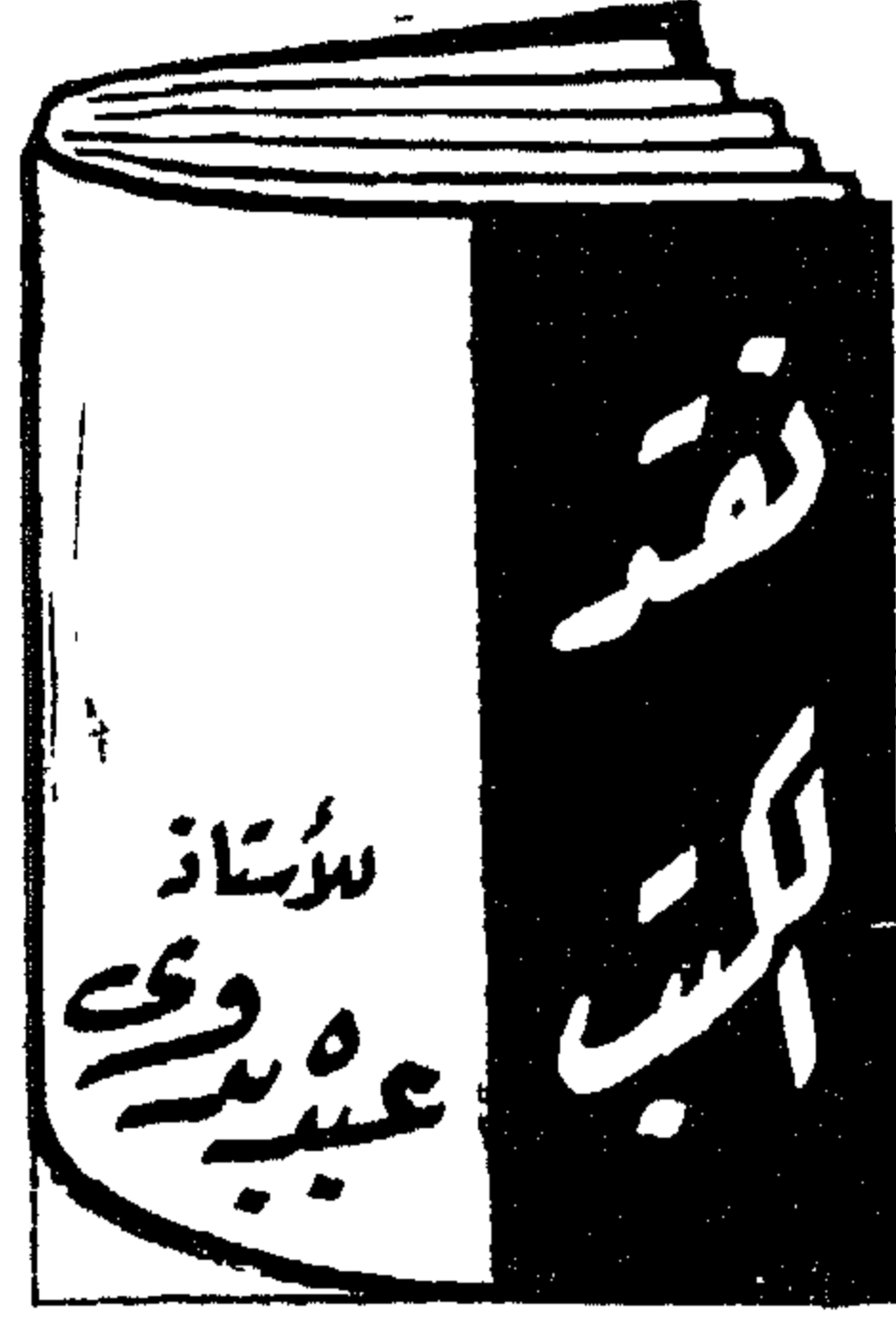


أشجار نخيل الزيت

والمؤلف هنا يقوم بعملية فصل حادة بين المادة والفكر ، ويتجه اتجاها ميتافيزيقيا حين يرى ان التخلف ... لا يكون الا في التخلف الفكري . والقارىء يعرف بلا شك ان بلادا كثيرة قد ومضت فيها افكار جديدة وحية ، ومع ذلك ظالت متخلفة ... ومن هذه البلاد شرقنا الذى نعيش فيه ، والحقيقة انه لا يكون هناك ازدهار حضارى الا حينما يندمج الفكر بالمادة ، ويسيران جنبا الى جنب فى عملية متفاعلة مع الحياة فالحاجة الى المدافع والطائرات ، والبنوك التى ضربها المؤلف مثلا على وجود النقص فى الامة ، لا يتفق مع الحقيقة فى شيء ، لان وراء المدافع افكارا ايجابية كتحرير الوطن ، وتأمين الحدود ، والحياة داخل الامة ووراء البنوك فكر اقتصادى حى لاغنى عنه للامة .

وقد تعرض المؤلف للمعنى القاموسى لكلمة الثقافة ، فأورد ما جاء على لسان القدماء من انها تعنى سرعة التعلم ، والحنق وثبات المعرفة . ثم سرد ما جاء عن لسان المتأخرين ، وهو لا يبعد عما ذكره القدماء فى شيء ، ثم ذكر أن « ابن خلدون » لم يستعمل هذه الكلمة ، وانها لم تعرف فى العصرين الاموى والعباسى ، وانها من مواليد أوائل هذا القرن ، ولم تكسب الى الآن قوة التحديد التى لكلمة Culture الاجنبية .

ثم ينتقل المؤلف مفرعا الى مشكلة تحديد معانى الاشياء ، فيتعرض لعناصرها النفسية والاجتماعية ، وينتهى الى أن عملية التعريف : تبدأ حينما يطلق الاسم على الشيء ثم تنمو كلما أخذ الشيء معنى مركبا .. بمعنى أنه بعد أن يصبح اسما يصبح فكرة : ثم مفهوما . ويمكن



تأليف : مالك بن نبي ترجمة : عبد الصبور شاهين

لما كنا نرحب بوجهة النظر العربية فى معالجة القضايا الفكرية . لاسيما تلك القضايا التى تتعرض للوجود الافريقى ، سارعنا بوضع هذا الكتاب تحت أمين القراء .

فالكتاب يتعرض لمشكلة الثقافة لا بمفهومها الضيق الذى ينحصر فى الافكار فقط ، وانما يتعداه الى أسلوب الحياة فى مجتمع من المجتمعات والى السلوك الاجتماعى الذى يؤثر فى حياة الفرد ، ويطلبه بطابعه .

فالثقافة بهذا الفهم ... يجب أن توضع أمام الجيل الجديد . بعد أن تطور مفهوم القوة لدى العالم ، وأصبحت الفكرة هى القوة التى تتلاقى عندها كل آمال الشعوب . « باعتبارها قيمة قومية دولية » . فاذا كان هناك من يرى أن أسباب تخلفه تنحصر فى نقص ماعنده من قوى مادية فانه بلا شك ، سينتهى من الواجهة النفسية الى التشاؤم . لان التخلف فى حقيقة أمره يرجع الى التخلف فى الافكار ، وعملية التطور لاتعتمد الا على المقاييس الفكرية .

تطبيق هذا على فكرة « الزمن »
الذى « لم يكن شيئاً مذكوراً » ،
ثم انتقل الى مرحلة الحضور ، ثم
الى مرحلة الوجود المعبر عنه بكلمة .
وأخيراً نرى أن الزمن يقاس بواسطة
الفلكى المسلم أبو الحسن المراكشى
الذى قسم مدة دوران الأرض الى
أربعة وعشرين جزءاً ، ثم انتقل كل
هذا الفكر الى « تاييلور » الذى جعل
من فكرة الزمن قاعدة جوهرية في
التنظيم الصناعى بالقرن التاسع
عشر : وهذا الفهم لفكرة الزمن ،
يمكن أن يطبق على فكرة الثقافة
التي انتهت الى التحديد تماماً في
القرن التاسع عشر ، بحيث أصبحت
أحدى مشكلات عالم الاجتماع . ومن
خلال هذه الدراسات ظهر سؤال
يقول : « ما هى الثقافة ؟ » .

وقد أجابت المدرسة الغربية على
هذا السؤال بأن الثقافة هى « ثمرة
الفكر » . أما المدرسة الماركسية ،
فقد ذهبت الى أنها « ثمرة المجتمع » .
فاذا ماوجه هذا السؤال الى العالم
العربى والإسلامى ، رأيناه يأخذ مجرى
آخر غير المجريين السابقين لأنه
« يتصل بخلق واقع اجتماعى معين
لم يوجد بعد » . ومن هنا فعالمنا
العربى الإسلامى ، يفايز في موقفه
من الثقافة العالمين الغربى والسوفيتى
لان مشكلته لا تقوم على محاولة ما
في فهم الثقافة ، وإنما في تحقيق هذه
الثقافة في شكل عملى .

ذلك لان الثقافة هى « التركيب
العام لتراكيب جزئية أربعة هى :

الاخلاق ، والجمال والصناعة
والمنطق العملى » .

ثم تعرض المؤلف لتعاشيش الثقافات
والخطوتين الجادتين التي اتخذتا في هذا
السبيل . . . فالخطوة الاولى كانت
خطوة « اليونسكو » التي قصد منها

ايجاد عملية تكامل بين عناصر الثقافة
ليتحقق من هذا تركيب الثقافة
الانسانية ، أما الخطوة الثانية فكانت
مؤتمر « باندونج » الذى كان من
مهمته خلق برامج ثقافية معينة في
الاطار الافرسىوى . وقد اتخذت كل
خطوة لها محورا خاصا . فالمحور
الواضح لليونسكو : هو هذا الخط
الممتد من واشنطن الى موسكو ،
والمحور الواضح لباندونج هو : هذا
الامتداد بين طنجة وجاكرتا ، وهو
المحور الذى يهمنى هنا ، خاصة ، لان
أفكار هذا المحور قد نبعت من مبدأ
فكرى مشترك هو النزعة المعادية
للاستعمار عند هذه الشعوب . ولكن
يجب أن تتغير هذه النظرة لان الفكرة
الافرسىوية ، يجب أن يقوم منهاجها
الاخلاقي على غير هذه الفكرة . لان
نزعة معاداة الاستعمار يجب أن تقف
بعد عملية التماسك بين الشعوب ،
لأنها لا تخرج في مجموعها عن مجموعة
« مشاعر سلبية » قائمة على الحقد
الكامن في قلب الشعوب التي قاست
من الظلم والاستنزاف . . . مستدلا
على هذا بقول الزعيم الهندى
« أبو الكلام آزاد » : « ان مسئولية
التربية خطيرة ، ولا ينبغي ترك الحقد
ليتأصل في قلوب وعقول الجيل الناشئ
في الهند تحت ستار النزعة المعادية
للاستعمار » .

ونحن نرى أن في هذا الحديث
عن الحقد مثالية ذهنية ، وأن الشعب
الذى قاسى من الذل والاضطهاد ،
لا يمكن أن ينسى مآلقاته على أيدي
جلاديه ، وأن المؤلف يظلم الشعب
المغلوب على أمره حينما يسمى غضبه
على قاتليه حقدا . . . فعملية التذكر
المستمرة - لكل ما مر بالشعب من
أحداث - هى في الواقع من أقوى
مقوماته ، وأنه لا يمكن أن نطالب

الشعب - أي شعب - بعملية التذكر المستمرة للفترات القاسية التي عاشها . . . ليعتصر منها طاقة تدفعه إلى الامام ، وتبعده عن الظروف التي أوقعته بين أيدي مستعمره . . . والا كنا كمن يطالب الشعب بفقدان ذاكرته ، ويعيش في غفلة عن ظروفه الماضية ، فنكون بهذا قد دفعناه - من حيث لا ندري - إلى قوى قاسية كتلك القوى التي اعتصرتة . وقد يكون

كلام المؤلف دقيقاً لو كان المجتمع يدار بعقول الفلاسفة ، لا بعقول الساسة وعواطفهم . فالمجتمع لم يعرف ، كما يذكر المؤلف ، نهاية للاستعمار . ولتتبع من جديد أدوار الاستعمار في كل صورة من أبعد العصور إلى يومنا هذا فإنه لن يجد هذا العالم الذي انتهى فيه هذا الاستعمار في أشكاله المتعددة . فإذا كان المؤلف يذهب إلى أن الثقافة الآسيوية لا يمكن أن تثبت من تلك النزعة المعادية للاستعمار فإننا نرى أن هذه النزعة يمكن أن نجد فيها الأسباب الجوهرية في خلق الثقافة من ناحيتها العملية . فهناك ثقافات في العالم اليوم تقوم على وحدة المصير المشترك . ثم لماذا لا نرى وراء « النزعة

المعادية للاستعمار » ، تلك المعاني الكبيرة من حب للعدل ، والسلام ، والحرية ، والبناء . لماذا نرى فيها فقط جانب الحق الذي نخشى منه على المستعمرين ؟ ثم يرى المؤلف أن الثقافة الآسيوية يجب أن تتجه من أول الأمر نحو الأخلاق وفلسفتها ليتحدد مثلها الأعلى ، ثم إلى الصناعة لتخلق وسائلها إلى هذا المثل الأعلى الذي سعت إليه . ثم يجب أن يكون مبدؤها الثاني هو « عدم العنف » الذي قام بدوره كاملاً في تحرير الهند ، والذي يرجع الفضل في جعله

حقيقة ملموسة إلى غاندي . ونحن لا يمكن أن نوافق على هذه الفكرة المسماة بعدم العنف ، فحركة « عدم العنف » أنصح أن نسميها حركة ، لم تكن العامل الفعال في إخراج الانجليز من الهند ، وإنما هي الظروف المتشابكة التي ترجع في حقيقة أمرها إلى الاقتصاد ، وتطور الوعي ، وظروف انجلترا الدولية .

ويكفي للتدليل على هذا . . . أن هذه الفكرة السلبية التي روجها بعض المفكرين ، قد قامت في روحانية تشبه روحانية القديسين في أكثر من بلد أفريقي . فكان مصيرها الفشل ، وشل قوى البلاد النامية . فلو أن فكرة عدم العنف ظل ينادي بها غاندي في جنوب أفريقية - التي بدأ نشاطه بها ، وأوتى أضعاف عمره الذي عاشه في الهند - لما أمكن لهذه الفكرة المرضية أن تساعد على تحرير حي صغير في « جوهانسبرج » .

والحقيقة ، أننا في حاجة في هذه الفترة الحاسمة من تاريخ بلادنا . . إلى تنقية وجودنا الثقافي من هذه الآراء التي تخفي الحقيقة عن أمين الشعب ، وتصرفه عن العمليات الجادة إلى عمليات أخرى سلبية تضعف مقصوداته ، وتحيد به عن الطريق الواضح المؤدى إلى الحرية . . إلى طرق أخرى فرعية تثبت الحوادث يوماً بعد يوم فشلها .

ويذهب المؤلف إلى أن الثقافة كما تتحدد بتلك العناصر المستمدة من الروح الأخلاقي ، فإنها تتحدد كذلك بالجمال . فالعنصر الجمالي يؤدي

دورا هاما في الثقافة التي هي في حقيقة أمرها « محيط » . فتغيير « المحيط » قد حول الانسان في الصين من دودة بائسة الى نملة زرقاء عاملة . فالمقدرة الخلاقة في حقيقة أمرها مرتبطة بالانفعال الجمالي .

ثم يرى المؤلف أن للصناعة والمنطق العملي علاقة واضحة بتلك المشكلات الرئيسية التي بحثت في مؤتمر باندونج ، وأن على كل بلد أفرسيوي أن يضع يده في هذه المشكلات ويحلها بالطريقة التي تتفق في نفسه وظروفه . . . فللصناعة والمنطق العملي أثر مباشر وسريع على كل انسان أفرسيوي ، وكذلك على الاطار الذي يحيط به . ومن الكنوز الفنية الأفرسيوية يمكن خلق جذور للثقافة بين القارتين . ثم يقول المؤلف : « ولكل بلد أن يحل هذه المشكلة بطرقه الخاصة . فكل الطرق تؤدي الى هدف واحد ، ولكن بتوقيت مختلف . فالواجب أن نتجنب الطرق الطويلة . . طرق الاعتباط والاستهواء . . الطرق التي سلكتها الحضارات التي كان أمامها ما يكفيها من القرون ومن آلاف السنين .

وبلغة التربية ، يجب أن نطبق الطرق التي توجه الذكاء في اتجاه الحضارة ، والتي تجعل تكوينها طبقا للتطورات اللازمة في نطاق هذه الحضارة . فإذا ما صيغت المشكلة في تعبيرات هذه اللغة ، وجدناها تتجاوز بذلك النطاق القومي لتقوم على أساس وضع « سياسة للثقافة » أي أن المشكلة تتطلب في هذا الاتجاه مؤتمرا للثقافة الأفرسيوية . وربما عبر البيسان النهائي لمؤتمر باندونج عن هذه الضرورة تحت عنوان « التعاون الثقافي » .

ثم يختم المؤلف كتابه بمبحث في

الاتجاه العلمي للثقافة ، فيؤكد أن على المسلم المثقف أن ينظر الى الاشياء من زاويتها الانسانية الأكثر رحابة .

ولهذا يستطيع معرفة دوره ودور ثقافته في الاطار العلمي ، وخاصة أن أزمة هذا العالم الاسلامي منذ وقت طويل كانت أزمة في الافكار ، لا أزمة في الوسائل : ومن هنا فعلى الشباب أن يعتنق مذهب التكامل الانساني ، وأن يعطى هذا المذهب روحه وقلبه . وبهذا وحده يستطيع أن يكون له دور قيادي بالنسبة الى الانسانية ، كما يستطيع في الوقت نفسه أن يجنبنا الكثير من المذاهب المعاصرة التي تريد أن يكون لها مجال في بلادنا . على أنه يجب أن يكون هذا التكامل الانساني وفقا لمقياس عملي « وذلك بأن تكون صالحة لشيء ما ، وأن تكون على علم بهذا الشيء . . أي أن تتحد طبقا لما يجب أن تقوم به من عمل » .

على أن هناك نوعين من النماذج التي حدثت في الماضي ، والتي تستطيع افادتنا في هذا المجال الجديد . . ففي عالم البحر الابيض المتوسط يوجد النموذج الروماني ، والنموذج الاغريقي . وفي آسيا يوجد النموذج المنغولي ، والنموذج الصيني . فإذا كان كل من الشعبين الاغريقي والروماني ، قد سارا في طريق يختلف أحدهما عن الآخر ، « فان ذلك لم يكن ابتداء نتيجة اختيار ، وإنما اتجها بكل بساطة الى ما تميل اليه طباعهما . فنوع الثقافة اذن يتحدد في كل شعب تبعا لجمعية منبعثة من نفسيته ، وعلى أساس هذه النفسية اتجه الرومان نحو الامبراطورية ، بينما فرغ الاغريق لتحقيق معجزاتهم في صورة حضارة . فإذا ما نجم في نطاق ثقافة معينة نزوع يتعارض مع اتجاهها الطبيعي ، فان اتجاهها يقصيه كعنصر غريب عن ذاتها . وقد

وهذه ولا ريب ، نقطة اتصال مهمة في ضمير هذا المثقف . . . اذا ما نظرنا اليه بالنسبة لمشروع تركيب انساني . فهو يستطيع أن يقوم بدور مهم بفضل ما انغرس في فكره من نبات الثقافة الاوروبية ، وذلك يجعله ينظر الى المشكلات نظرة مزدوجة . فهو ينظر اليها مرة من خلال ثقافته ، وأخرى بايحاء من منشئه . . غير أن هذا الوضع الغريب له جانب سلبي يتجلى بوضوح في موقف النخبة الافريقية ، حينما نرى مثقفا يبحث في الازياء ما يعوض به عن نقص من نوع آخر . فنراه مثلا في بعض الحفلات الرسمية يلبس زى آبيه القديم ، وكأنه بهذا يعوض نقصا يشعر به في اتصاله الروحي بالجمماهير الافريقية ، ويوشك هذا المظهر السلبي أن يؤدي بتلك النخبة الى انفصال ثقافي في وقت هي أحوج ما تكون فيه الى الاتصال . فان الحضارة التي دانت بها النخبة الافريقية في نواح شتى قد فصلتها عن دونها من الجماهير التي لاتزال في تطورها البدائي ، وربما انفصلت عن وسط ثقافتها اذا ما حاولت العودة الى منشئها . . . لكن الامر قد يأخذ صورة أخرى لو أن هذه النخبة الافريقية قامت بدور الوسيط بين العالم الذي نشأت فيه وبين الحضارة . . ولا شك أن في هذا بعض المبالغة . فالافريقي من أوثق الناس اتصالا ببيئته ، فانه لا يستطيع أن يعيش في البلاد البعيدة عن بلاده الا بمقدار . فالتفرقة العنصرية مسلطة عليه في أي مكان يتوجه اليه ، والنظرة اليه على أنه دون الناس في المجتمع الغربي موجودة وان اختلفت مراحل حدتها . على أن هذه الظاهرة - وهي الارتباط بالبيئة الثقافية - قد توجد ولكنها ان تكون الغالبة على كل الافريقيين الذين يتركون بلادهم الى هذه الحياة الجديدة . ولعله ليس

حدثنا التاريخ كيف طردت أثينا اسبرطة حينما أرادت أن تجعل من نفسها عاصمة لامبراطورية عسكرية .

والى جانب حتمية المزاج توجد حتمية أخرى هي : الحتمية الجغرافية . فاذا نظرنا الى افريقية في ضوء الحتمية الاولى وجدنا أنه من غير المتوقع ، أن تقوم افريقية بعملية تهديد للبشرية . فالطبيعة الافريقية لاتوجد فيها عقدة من نوع «امبراطوري» ، أو ثقافة امبراطورية .

أما اذا نظرنا الى افريقية في ضوء الحتمية الثانية ، فاننا نرى أن ضمير المواطنين في القرن العشرين لم يعد يتشكل تماما في اطار الوطن أو الاقليم مع الاعتراف بما لهما من أهمية . . لان ضمير المواطن يتكون الآن في ضوء الحوادث العالمية حيث تضغط بثقلها على كل البشر . ومن هنا نرى أن ضمير المواطن يتكون جزء كبير منه خارج حدوده الاقليمية الصغيرة ، لان الثقافة في أي بلد تدخل ضمن التخطيط العام العالمي ، أما المهام التي توجهها ثقافة افريقية داخل هذا التخطيط العام فتتكون من القضايا الثلاث الآتية :

١ - الارتفاع بمستوى المواطن الافريقي المتحرر ، والذي لا يزال يعاني من ضغط الاستعمار الى مستوى الحضارة .

٢ - الارتفاع بالرجل المتحرر الذي مازال يباشر عملية قتل الشعوب الى مستوى الانسانية الرفيع .

٣ - ادخال الشخصية الافريقية في المسألة الرئيسية للسلام .

والكى تستطيع افريقية القيام بهذا الدور الحضاري ، فان عليها أن تعرف طبيعة موقفها الراهن . « فان المثقف الافريقي الذي كونه باريس ولندن ، هو في أكثر الاحيان أوثق اتصالا بمنشأ ثقافته منه بمنشأ حياته .

من الغريب ان نجد أكثر قواد التحرر في القارة من هؤلاء الذين ذهبوا الى لندن وفرنسا وأمريكا ، ثم عادوا الى بلادهم وكلهم اعتزاز بقوميتهم وافريقيتهم . ويكفى للتدليل على هذا ... أن نشير الى الاسماء التي أخذت تلمع أخيرا في القارة وهي : « كوامي نكرومه » ، « سيكوتوري » ، « هاستنجز باندا » .

وأخيرا يطرح المؤلف هذا السؤال : ما الذي يجب على هذه الثقافة الافريقية أن تقوم به لتحل المشكلة العالمية ؟ في هذا الجو المثلث بثقافة الامبراطورية ، ورحي الحرب ، والعلم الذي عجز عن أن يقدم لها حلا .

فما دام تحقيق سعادة الإنسان عن طريق الآلة قد أفلس ، وجب أن يتجه الى الضمير . وافريقية هي التي تستطيع القيام بهذه المهمة ...

فتصحح الكثير من المفاهيم الاساسية ، وتقتلع أعشاب الكراهية والحقد من نفوس البشرية ، وتضع أسسنا فكرية وأخلاقية تجاه كل مشكلة قائمة ..

« فالثقافة الحضارية ينبغي أن تعطى لفكرة السلام شخصيتها الحقيقية بأن تضعها منذ الآن تحت ضمان المبادئ » .

ان على الثقافة الافريقية أن تتحدد بالنسبة لهذه القضية طبقا لبعض المبادئ كالتي قررها مؤتمر باندونج .

وإذا ما دان الكتاب الافريقيون بهذه المبادئ وخصصوا جزءا من انتاجهم لمشكلة السلام ، فسوف نرى يوما يتدع فيه أطفال افريقية لعبا أوحى اليهم بها السلام .

من كل هذا نرى أن منهج الكتاب يقوم على اجراء تحليل نفسي لقضية الثقافة ، ثم اجراء تركيب لمعنى الثقافة وتصورها كمشروع مخطط معقد

للتنفيذ ، وان الثقافة هي « العلاقة المتبادلة » بين الفرد والمجتمع . أي أنها الحالة التي يتحدد فيها سلوك الفرد بأسلوب الحياة في المجتمع ، كما يتحدد أسلوب الحياة بأسلوب الفرد ، مع مراعاة أن تكون العلاقة في صورة انسجام تام بين مواقف الافراد مهما كانت طبقتهم الاجتماعية التي ينتمون اليها .

أما من الوجهة التربوية فالثقافة عند المؤلف كمشروع يعد للتنفيذ ، وأن هذا المشروع يتكون من عناصر أربعة هي :

- ١ - الاخلاق أو الفلسفة الاخلاقية .
- ٢ - الجمال أو الفلسفة الجمالية .
- ٣ - المنطق العملي أو النفعي .
- ٤ - الصناعة أو الفن .

كل هذه قضايا هامة تعرض لها المؤلف في نجاح ، ولن تقلل منها عملية التفريع ، والانتقال السريع بين الافكار التي تشبه الطرق العربية القديمة في التأليف ... وهذه الرغبة الملحة في الاشارة الى مؤلفات المؤلف التي رأيناها في الصفحات الآتية على التوالي (٢٦ ، ٢٨ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١١٩) ، وكتكرار الافكار الذي اعتذر عنه المؤلف ، وحوادث الاستشهاد الى حد الاملال . أما الترجمة فانها تصل في بعض الاحيان الى ما يشبه الشعر . وهذا ما أخذه على الاستاذ « عبد الصبور شاهين » لانه يجب أن يعتمد في ترجمته لهذا اللون من التأليف على الأسلوب العلمي . والذي يبدو أن أسلوب المؤلف يقوم دائما على الرمزية التي يصعب غالبا ترجمتها ، لذلك فإن المترجم - فيما نرى - يحاول نقل المؤلف الى العربية عن طريق التجوز في الترجمة . ولذلك يحس القارئ خلال قراءته للكتاب بأنه إنما يقرأ كتابا متكلفا في العربية

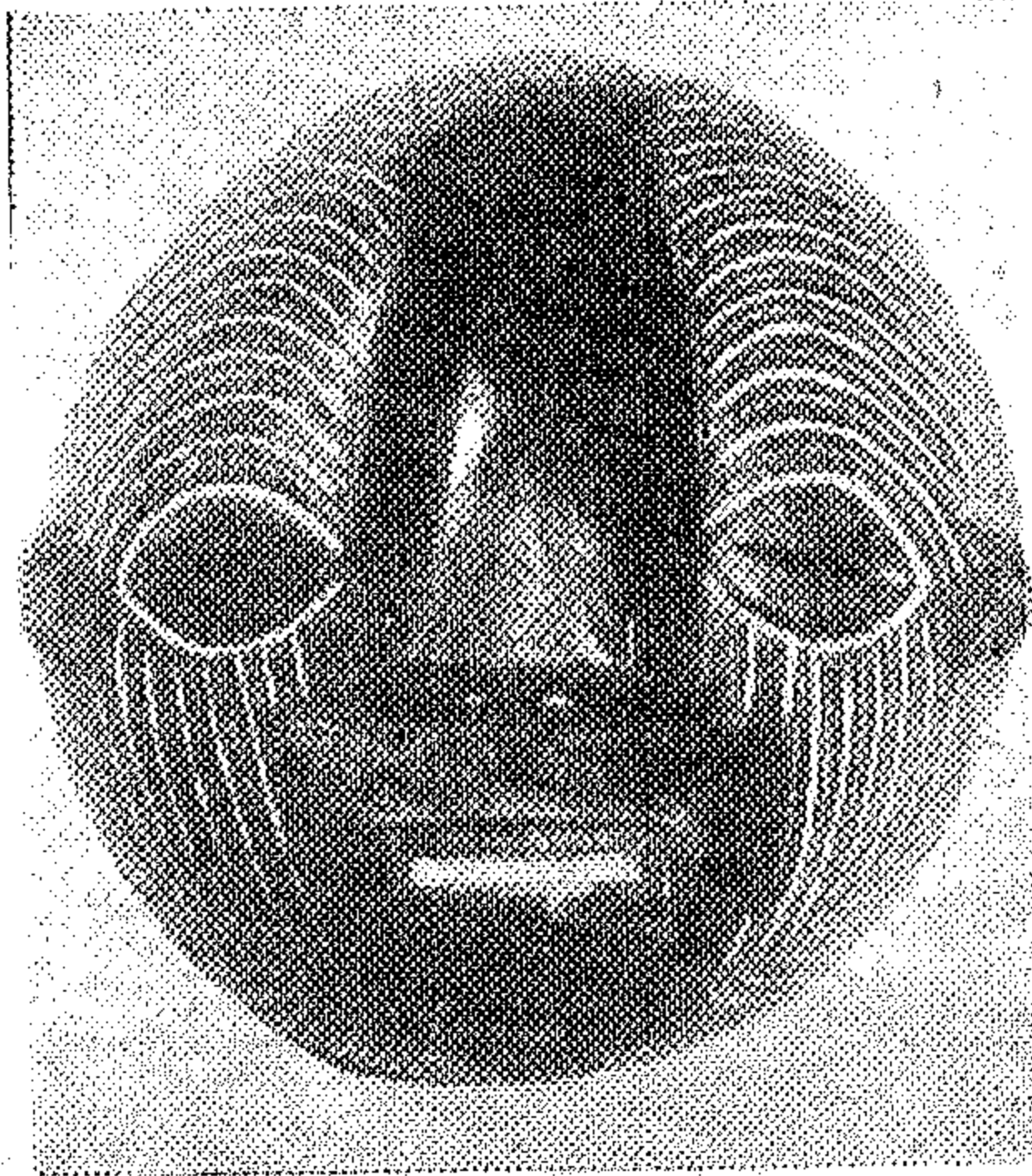
هذه العبارة وامثالها ، راجع الى انها جديدة في استخدامها في هذا الحقل ، ولا تلبث الا قليلا حتى تتحدد في اذهان القراء .

كما انه قد حدث اضطراب في استخدام كلمتي (مزاج وطبع) . حيث لم يفرق المترجم بينهما (في الفصل الاخير) .

ونحن نرى أن الكتاب لا يقوم على منهج موحد ، بل انه يمثل انطباعات ديناميكية عامة عن الثقافة في ذهن المؤلف تتصف بالفكر العميق ، ومع كل هذا فهو يقدم للقارئ شيئا جديدا من الوجهتين النفسية والتربوية ، ويشير أمامه أكثر من مشكلة .

لا مترجما عن لغة أخرى ، وهو الى جانب عباراته الجمالية ، وكثرة المترادفات قد يلجأ أحيانا الى بعض العبارات المتوارثة ، وقد تكون هذه الكلمات قرآنا كقوله عن الزمن : « لم يكن شيئا مذكورا » . . وقد تكون كلمات استنفدت أغراضها كقوله : « حيث كانت الامور تجري من قبل في أعنتها . . ص ٩٤ » . كقوله : « حيث كانت الامور تجري تتجه نحوها الانسانية فناخذ بزمام أحدها . . ص ١١٨ » .

ومن ذلك أن بعض المصطلحات قد جاءت غامضة كقوله : « مشكلات اتصالية » ، ويقصد المشكلات التي تنشأ عند مقابلة ثقافة بثقافة على حدودهما المشتركة . ولعل غموض



بحيرة رودلف

الزراعة . ومن هنا تبدو الحياة هناك قاسية على السكان ، بعيدة عن متناول الكشافين .

وتعتبر أكبر القبائل هناك قبائل

« التوركانا » Turkana التي يتميز رجالها بالاجسام القوية ، والقامة المتوسطة الطول غالبا ، والبشرة ذات اللون البنى القاتم ، وتحترف هذه القبيلة الرعى ، وقد لاقى الاجانب من افرادها عنتا ومشقة ، لانهم لم يكونوا مغرمين بالحلى الزائفة التي كانت تقدم اليهم في مقابل التسهيلات التي يطلبها الاجانب هناك . فاذا ارادوا عقد صداقة مع أحد هؤلاء الاجانب أقاموا حفلا تذبح فيه احدى الماشية ، وتقام عدة طقوس تسمى عندهم « سريدا » ومعناها « سلام » . فاذا ما انتهى ذلك الحفل قامت علاقتهم من جديد على أساس المحبة والتعاون ، والى جانب احترافهم الرعى ، ويشغل البعض منهم بالزراعة . ويطلق على ملاك الارض هناك اسم « نجابوتو » ومعناه المعدمون الذين لا ماشية لهم

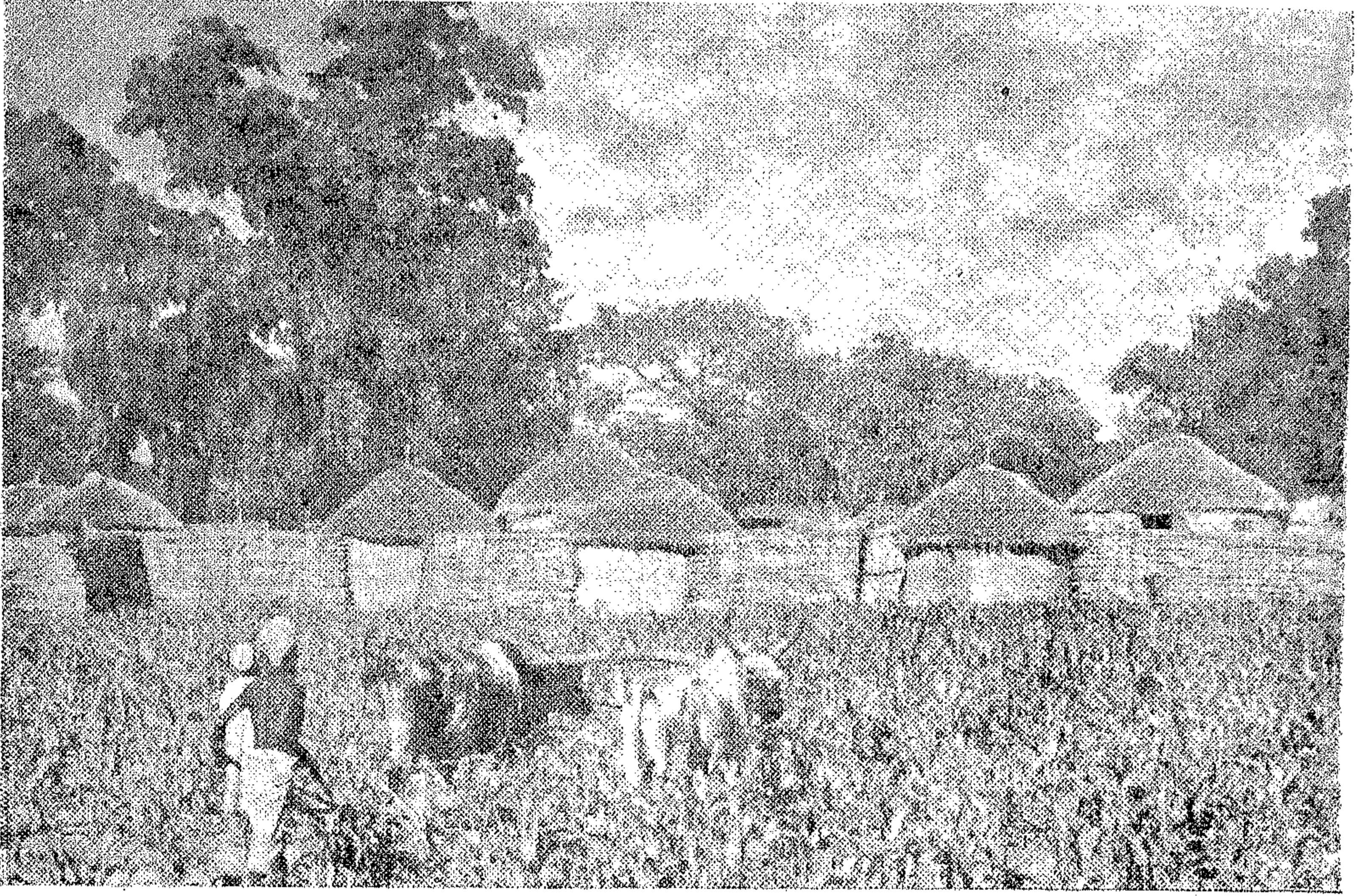
أما القبائل الثانية التي تتشكل منها الحياة هناك ، فهي قبائل السوك Suk التي تسكن على حافة سفوح الجبال بالقرب من « كابنجوريا » ، و (مورو تو) حيث تتدفق الامطار هناك بغزارة . واذا كان الرعى يعد الصفة المميزة لقبائل « التوركانا » ، فان الزراعة تعتبر الصفة المميزة لقبائل السوك .

اكتشفت هذه القارة التي تقع وسط القارة الافريقية عام (١٨٨٧ - ١٨٨٨) على يد « فون هوهنل Von Hohnel »

وتقع بحيرة رودلف هذه على عمق ١٧٠٠ متر من مركز مدينة كيتال المعالقة بأحد جوانب جبل « الجون » ، والغنية بمحاصيلها الزراعية . ويبدو انه في زمن ما قبل التاريخ كان مستوى سطح الماء بالبحيرة الذي يبلغ اليوم ٣٧٥ مترا بالنسبة لسطح البحر يزيد ١٥٠ مترا على مستواه الحالى ، ويمتد ماء البحيرة الآن الى ثلثمائة كيلو متر طولاً ، وستين كيلو مترا عرضاً في بعض الاماكن .

ويحتوى ماء هذه البحيرة على نسبة كبيرة من مادة « الصوديوم » ، على أن ماءها لا يلجأ اليه الا عند الضرورة الملحة . أما المنطقة المحيطة بالبحيرة فلا تعتبر غنية بالامطار . لان المنسوب السنوى لماء المطر هناك لا يكاد يزيد على السنتيمتر الواحد ، ولكنه حين يسقط يتدفق بغزارة حتى ليكتسح كل ما يصادفه ، ويدمر كل ما يعترض طريقه .

وتعتبر هذه المنطقة المحيطة بالبحيرة خالية تماما من مظاهر الحضارة ، وسماط المدنية . فليست هناك شبكة للمواصلات ماعدا ذلك الطريق الذى أنشئ في بداية الحرب العالمية الثانية ، والذي قصد به ربط هذه البحيرة بهضبة كينيا ، أو مراكز التعليم ، أو



الزراعة أمام المساكن

يحرثن الأرض بجذور الشجر ، ثم يلقين فيها بذور « الفاصوليا » ، وأدهشه عدم اكتراثهن برؤيتهن ومواصلتهن العمل بدقة ، وكأن رجلا غريبا لم يطرق ديارهن !

والسلطات الانجليزية هناك ، تعزل هذه المنطقة تماما عن مجرى الحياة العميق الذي يهدر حواليتها ، دون أن تسمح للسكان هناك بعملية التطور والترابط . بل عملت من جانبها على اصطدام قبائل التوركانا هناك بقبائل السوك . . مما كان له أسوأ الاثر على مقدرات الامور هناك .

وقد تمثلت حركة المقاومة في قبيلة السوك التي قامت في عام ١٩٥٠ بقتل بعض الانجليز هناك . فقد تكونت في الظروف القاسية التي

ومن خلال أشجار « الباوباب » ، ونبات الصبار من فصيلة « الكاكتوس » والغابات المتشابكة المليئة بالخيرات . . ترى أكواخ السكان البسيطة ، ومنتدياتهم حيث يتصاعد هناك الدخان بين الحين والحين . . فيدل على أن هذه المنطقة آهلة بالسكان ، وبالحياة . ومن عاداتهم هناك أن يزرع أمام كل بيت قسم كبير بنبات الاذرة . وتباشر المرأة في هذا المجتمع صنوف العمل كاملة ، وهي تتحلى عادة بعقود من القواقع تحيط بجبينها ، وبأطواق من النحاس تحيط برقابهن ، فضلا عن ذلك ، فانهم يتميزون بشحمة أذن كبيرة تتدلى منها أقراط ثقيلة الوزن .

وبينما الرجال يقمن هناك بعملية الرعى ، تقوم النساء بعملية الزراعة . وقد شاهدتهن « هربرت كوفمان »

الحرية ، ومعتمدا مرة أخرى على أسلوب
الوقبيعة بين السكان بعضهم ببعض .
وقد تلاقت هاتان القوتان ، وعملت
على شل الحياة تماما حول هذا الجزء
المنكوب في قلب القارة الافريقية .

ولعل عمليات الصحو الحديثة التي
تبعت الآن حول هذه المنطقة ، تأخذ
طريقها المحتوم سريعا الى هذه المنطقة
المعطلة من الحياة ، والمعزولة تماما عن
بقية جيرانها .

فقد أن للمقارة الافريقية أن يبعث
فيها نوع من « وحدة الحياة »

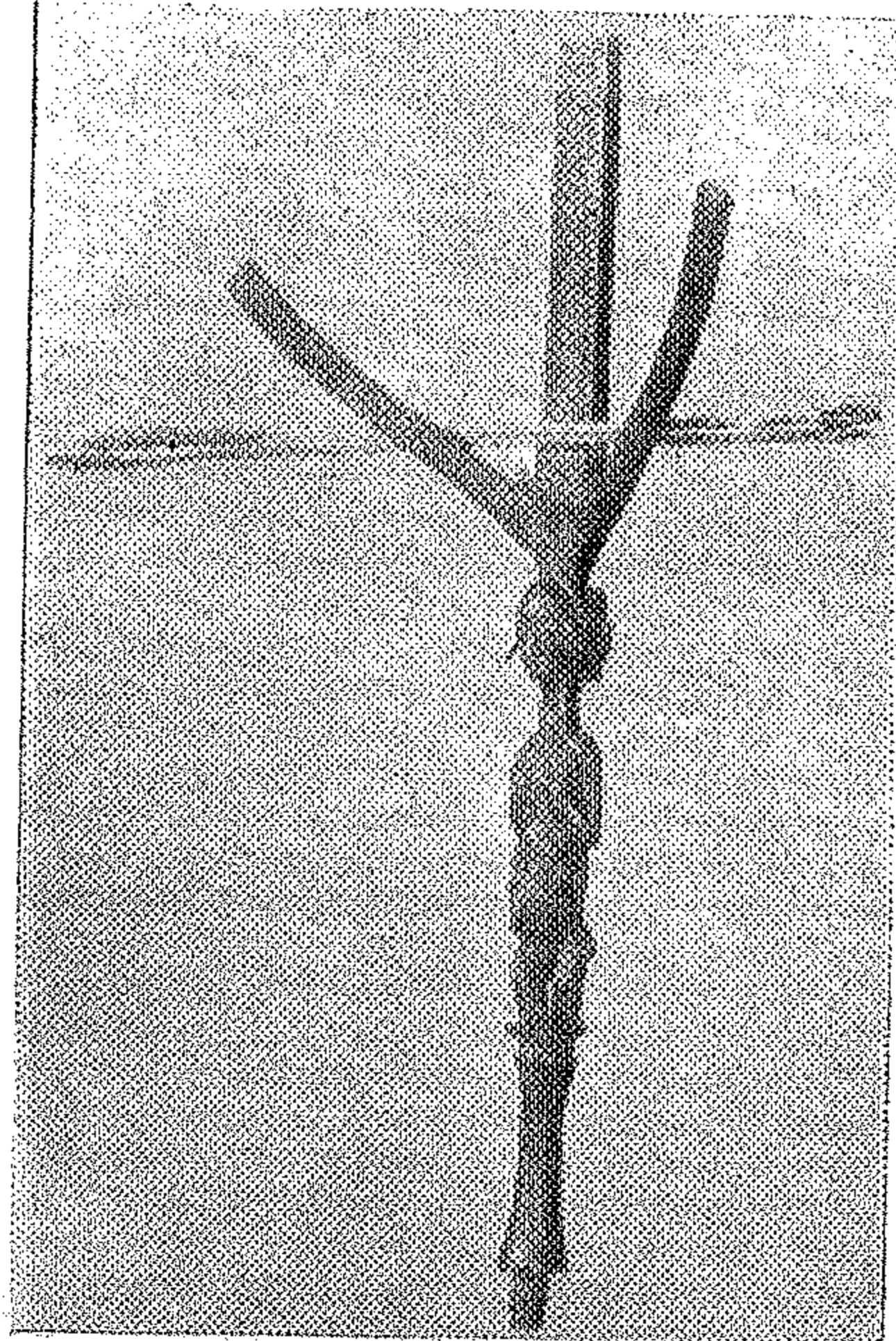
**والحاحد يؤكد أن إفريقيا تسير
في هذا الطريق بعزم وقوة . وقد
رأينا هذه الظاهرة في أكثر من مكان
وهذا التجمع في أكثر من منطقة .
والغد كفيل بعملية التجميع هذه
وما أكثر ما لافريقية في الغد ! !**

تجتازها البلاد جماعة سرية تسمى
(ديني يامومبا) Dini Ya momba
بزعامه « كوكاس كيكيش » Kukas
Kipkéch

ولكن هذه الحركة سرعان ما أجمدت
بقسوة وعنفا .

ومهما يكن من شيء ، فأننا اذا
دققنا في التكوين الفسيولوجي لهؤلاء
السكان - سواء منهم السوك ، أو
التوركانا وجدناهم نتاجا طبيعيا
لاختلاط الاحباش بالزنوج في الازمان
القديمة . فلامحهم تؤكد التقاء هذه
الوراثات من الجانبين .

وهكذا تكشف الحياة في أية
منطقة مجهولة في القارة الافريقية عن
المآسى التي يقوم بها الرجل الابيض
في هذه القارة . . معتمدا مرة على قواه
في تدمير حركات التحرر، واستسراف



وفي مكان ما أو في آخر على سطح
أرض قارتنا •
بدأت تظهر حضارة جديدة •••
وبدأت في الأفق الفكري •••
أضواء ثقافة افريقية جديدة •••
أنظر يا أخي ••• تأمل يا أخي
الافريقي ••••

ان آثارها وسماتها موجودة هنا •••
ولا شك في أن ظهور هذا الديوان
في وقت تبلورت فيه الشخصية
الافريقية ، وقامت في مختلف مناطق
القارة حركات سياسية تهدف الى
تجميع شعوبها ، وربط أو اصر الصلات
بينها ، لا شك في أن ظهور هذا
الديوان في هذا الوقت بالذات -
يعتبر رمزا دلاليا لنوع من الثقافة
الذاتية التي يتميز بها الافريقيون
المعاصرون •

وقد تناولت كبريات الصحف
الانجليزية هذا الديوان بالنقد



للأستاذ كوفي ائتمبام

لاول مرة في تاريخ الثقافة الافريقية
المعاصرة ، يصدر ديوان كبير باللغة
الانجليزية يضم مجموعة مختارة من
شعر طائفة ممتازة من شعراء القارة
الافريقية كلها تقريبا •

وقد صدر «كان تيمبا» أحد شعراء
جنوب افريقيا هذا الديوان بكلمة
قال فيها :

« ها نحن أبناء افريقية ••• وهاهي
قارتنا العظيمة تتحدث الى افريقية بل
والى العالم كله ••• »

وها هي أحلامنا الكبيرة التي كانت
تتخيل صورا نموذجية يجب أن
نحققها ••• قد تحققت فعلا •

لقد ولد المعجم الكبير

رمز عظمة السلطان الملون •

وثوب الفخار الذي سنلف به
أجسادنا •

هانحن •• هانحن •• هانحن •

هاهم أفريقيون يخلقون من
الانجليزية لغة خاصة بهم تنزل الى
الحياة •

وتستعمل الكلمة التي تحت الاقدام

المتحركة على توسيع خطاها •

والتحليل .. وكتبت « التمايز » في ملحقها الادبي تقول :

« الى أى حد يصدق ادعاء « كان تيمبا » ؟ وهل صحيح أن الافريقيين قد خلقوا من اللغة الانجليزية لغبة خاصة بهم ؟ وهل نستطيع أن نجد آثار حضارة جديدة بدأت تظهر اليوم - مثلاً - فى سماء افريقية ؟ وهل فى هذه الحضارة شىء ما يعتبر أكثر نضجا من الكتابة الغربية ؟ وهل من الممكن حقا - كما يدعى كثير من الافريقيين - أن نقول ان هذه القارة الافريقية تعيش الآن على عتبة بعث ثقافى وفكرى يسير جنباً الى جنب مع حركة الاستقلال السياسى ؟ »

هذه الاسئلة تعتبر على جانب كبير من الاهمية، لان الاجابة عليها ستحدد - بلا شك - شكل العقلية الافريقية الجديدة التى بدأت تأخذ اليوم طابعا مميزا خاصا بها .

ويستطرد الكاتب قائلا :

فاذا ما وجد هذا البعث حقيقة ... فانه سيمثل جانبا من مكاسب الغرب خارج بلاده ، ذلك لان افريقيا - وهى لا تشبه فى هذه الظاهرة بلاد الهند ومعظم بلاد الشرق - تميل دائما الى رفض ماضيها، وعدم الاعتزاز به . وهذه ظاهرة واضحة تكاد نلمحها فى انتاج كثير من الكتاب الافريقيين ... لانهم يرون فى هذا الماضى تاريخ العبودية « وآثار الظلم، واستبداد الزعماء، الاوتوقراطيين وجمود التقاليد القبلية ، وهم فى هذا الصدد يختلفون مع الكتاب الاوربيين، وتمتلئ قلوبهم بالثورة والغيط عندما يقرأون كتابا غربيين يتحدثون عن ماضى بلادهم .

« أيها الابيض لا تحافظ على عادتي وتقاليدى ، كشيء عجيب ممتع .. تحاول أن ترضى به أذواق بعض أبناء جلدتك » .

هذا ما كتبه الشاعر النيجيرى :

« دينيس أساديهي » .

واذا كان الامر كما يدعى كاتب المقال ، من أن بعض المثقفين من أبناء افريقية ينكرون فعلا ماضيهم ، فذلك لان الشعوب الافريقية قد قاست كثيرا من ظلم المستعمرين واستبدادهم، فى فترة من فترات ماضيها ، ومرت خلال مرحلة الاحتلال بتجربة دامية ، جعلتهم يملطون هذا الماضى بصورة بشعة تتقزز منها نفوسهم . فهم يرون فيها صورة من ظلم الانسان لاخته الانسان .. وكيف استطاعت القوة الممثلة فى أساطيل الرجل الابيض وطائراته وأسلحته المادية ، أن تحرم الافريقى الاعزل من أبسط حقوقه الانسانية ! فليس من عجب اذن ، أن يهرب الافريقى الذى اكتمل له وعيه ، وخلصت له ثقافته من هذا الماضى البغيض، وأن ينظر الى مستقبل باسم، يشرق على قارته ... بعد أن تحقق له فى حاضره حلمه فى استقلال بلاده ، كما كتب هارولد نيكسون فى مجلة « الاوبزرفر » معلقا على هذا الديوان يقول :

« ليس أدل على مدى نفوذ الثقافة الاوربية فى افريقية من ظهور معظم مؤلفات الافريقيين ، مكتوبة باللغتين الانجليزية والفرنسية . وليس هذا فحسب ، بل ان نماذجهم فى الكتابة ، تكاد تكون نماذج اوربية أصيلة . » وأستطيع أن اقول فى صراحة وصدق ، ان لبنات هيكل البعث الثقافى الافريقى ، مصنوعة من حجارة أوربية » .

ولسنا فى حاجة الى مناقشة ما يذكره هارولد ، لأنه كتبت افريقية اذا كانوا يضعون معظم مؤلفاتهم باللغتين الانجليزية والفرنسية ، فاننا نعرف جيدا - وهذه حقيقة علمية ثابتة - ان ألفاظ اللغة شىء ، والروح التى يملأ بها الكاتب عباراته اللغوية شىء آخر ، وان شخصية الكاتب وذاتيته

— كما يقرر أساتذة النقد — تتكشف دائماً في وضوح ظاهر من خلايا النسيج اللغوي وقد حاول ناقد التايمز أن يعلق على مآكثبه هارولد فقال :

« ان كثيراً من مواقف شعراء هذا الديوان تدعونا الى الحيرة والتردد ، فقد وضعوا قصائدهم في أسلوب أفريقي جديد ، وحاولوا الهروب من طغيان الأسلوب الأوربي الخالص ، ولكنهم بالرغم من ذلك ، قد عجزوا عن تأكيد تعبيرهم الذاتي . ولا أستطيع أن أنكر أن نفوذ الكتابة الانجليزية له سمة واضحة عميقة على الاشكال الادبية التي ينتجها الكتاب الأفريقيون ، لا سيما في مجال القصص القصيرة . فقصة « أخوخي — بلدي المحبوبة » للقصي « ألان باتون » تعتبر دليلاً واضحاً على صحة ما أقول . »

وظهور هذا الديوان بالصورة التي صدر بها ، يمثل لنا حقيقة واقعة في مسطح الادب الأفريقي المعاصر . فمن الصعب علينا أن نجد آثاراً للشخصية العامة التي تتكرر في مناطق جنوب وشرق وغرب أفريقية ، اللهم الا في صورة الشخصية المعادية للاستعمار . ذلك لان الديوان قد ضم مختارات من شعر كل مناطق القارة . ولا شك في أن هذه فرصة مواتية أمام أي ناقد أدبي لكي يقوم بدراسة مقارنة ، يكشف لنا فيها عن خصائص الحركة الادبية واتجاهاتها في كل منطقة على حدة . فقصائد شعراء الجنوب — كما يرى ناقد التايمز — تدور حول الحياة المضطربة التي يعيشها السود ، وتبدو فيها ملامح الثورة النفسية التي تؤججها العنصرية ، وتظهر فيها نغمة اللون الاسود والابيض بصورة لا مثيل لها عند شعراء شرق أو غرب أفريقية .

وأدب هؤلاء الجنوبيين ، أدب مليء بالمواقف ذات التيار المستور الذي يخفى

تحت رماده نار العنف ، وروح الخوف ولقد أخفت مرارة الصراع العنصري شخصية البطل لجنوبي وتفاعله مع الاحداث تماماً ، كما طغى القلق الجنسي على الشخصية في الادب المكشوف . ويسود القصة الجنوبية بصفة عامة ، روح الصدق ، ولهيبة العاطفة ، كما انها تعتبر المرأة غير المباشرة التي تعكس صراع الطبقة المثقفة من السود فقصة « كان تيمبا » عن جوهانسبرج في مجموعة « حماس الجماهير » ، والصورة الادبية التي رسمها « ريتشارد رايف » عن مدينة الرأس في قصته « الاريكة » لهما صلة قريبة جداً بكانهما المعنوي والمادي ، وهما أقوى من كتابة أي أديب أوربي يحاول أن يتناول موضوعهما . ولكننا نلمح فيهما روح العنف ، ونغمة الصراع العنصري ، وطابع الاعتساف ، وكلها تختفي وراء الشخصيات . والشخصيات الافريقية الحقيقية لا تظهر في القصة . لان الاهتمام باحتدام الصراع والازمات النفسية تكاد تقضى عليها .

أما الانتاج الادبي في شرق أفريقيا ، فهو صورة صادقة تعكس لنا ظروف البيئة ، ومستوى حياة سكانها فقصائد الشعراء وأقاصيص الكتاب ، يفيض معظمها بطابع الشكوى ، وعدم الثقة ، والثورة على الوضع السياسي القائم فيها . وأغلب القصائد التي يتضمنها الديوان خالية من العمق ، أما القطعة الادبية الرائعة التي يفخر بها الادب الأفريقي الشرقي حقاً ، فهي قصة « سادة الادغال » للزعيم « جومو كينييانا » التي سجلها في الديوان بأسلوب وشكل شعري جميل . . . نلمح فيها مستوى أسلوبه الذي وضع به كتابه « وصول الرجل الابيض الى كينيا » .

وجومو كينييانا — كما يقول ناقد التايمز — فنان أصيل قبل أن يكون زعيماً سياسياً ، ولعل الاعجاب الشديد

الذى يمكنه له مواطنوه ، يرجع الى ما
تمتاز به كتاباته وأحاديثه من روح
فنية أصيلة ، فهو يستعمل القصة
الشعبية البسيطة فى أسلوب مقنع
تظهر فيه اشارات الحركة الكفاحية
التي يتزعمها هذا الرجل .

أما الامر فى غرب أفريقيا فهو جد
مختلف ، فقد ازدهرت الكتابة هناك
الى حد يجعل القارئ . . . يشعر لأول
وهلة بالفرق بين أدباء غرب القارة ،
وكتاب شرقها وجنوبيها . فالاستقلال
الذى يتمتع به كثير من مناطق الغرب ،
واختفاء الصراع العنصرى الى حد ما ،
وعدم وضوح خطوط الثورة النفسية
التي تخلقها دوافع اللون والجنس . .
كل هذا كان سبباً فى تمييز أدب الشرق
عن أدب الغرب والجنوب ، كما كان
باعثاً على الاهتمام المخلص بالأسطورة
والميثولوجيا .

وليس معنى هذا . . . أن أدب
الشرق ، قد خلا تماماً من نزعة اللون
التي تقترب فى ذهن كل أفريقي بظلم
الرجل الأبيض له واستغلاله ، بل
أن هناك بعض الكتاب يحرصون
دائماً فى إنتاجهم على تلوين أشكاهم
الادبية بالطابع الاسود والابيض .
وانستمع الى « سيرين اكونسى »
وهو يتحدث فى قصيدته « طقوس
القائل » اذ يبدو لها بهذه الكلمات :

« الرجل الاسود كان خائفاً .

واستطاع كولى أن يقرأ فى عينيه

وميض هذا المعنى . . . »

ويقول ناقد التاييز . . . ان اللغة
الانجليزية قد مرت بتجارب كثيرة
على أيدي كتاب منطقة الغرب ، ونضجت
فيها بصورة أكثر وعياً من كتاب الجنوب
وبكفى للتدليل على مدى تأثير هذه اللغة
فى كتاب منطقة الغرب ، ما نشاهده
من رواج كتبهم فى انجلترا بالذات ،
فقد حظيت قصص « أموس تيو تولا »
الخرافيسية بسوق رائجة بين القراء
الانجليز .

والواقع أن هذا الكاتب الغاني
يقدم انتاجاً فنياً مدهشاً ، وكتاباته
تأخذ دائماً شكل مزيج عجيب من
قصص اليورسوبا الشعبية التي
يصوغها فى أسلوب وعبارات فنية
حديثه .

وقصصه « الشبح » و « الشيطان
الموقر » و « القضاى الشرير »
و « شارب خمر انخيل » ، تمثل
أمامنا حداثاً اتجاهه نحو المستقبل
الجديد ، وتبرز لنا مواقفه العجيبة
المدهشة ، كإفريقي مثقف ، يعيش فى
جو أسطورى ميثولوجى . وينجح فى
خلق حل رائع لشخصيات خرافته .
« طبعاً . . . عندما تأملت فى أعماق

نفسى
وتذكرت انه بالرغم من أن المخلوق

الارضى

يمكن أن يعشق من عالم الارواح
تأكدت أن الارواح لا تستطيع أن
تجبه من كل قلبها

عندما تذكرت هذا . . .

هربت وحدى من مدينته فى الليل
بعد أن طوفت حولها . . .

لاودع الارواح الطاهرة » .

ولا نستطيع - ونحن نتحدث عن
الحركة الادبية فى غرب افريقيا -
أن ننسى شاعراً وقصاصاً يكاد
يكون معروفاً فى كل مكان . فد « توماس
كودجوى » الفنان الذى برع فى تقديم
صور الهجاء السياسى المخيف فى قالب
مدح ساخر ، يمثل الاديب الافريقي
الناضج فهو يقول :

« أوه ياسيدة السماء الزرقاء
وصاحبة أبجدية هى عشرون حرفاً
يضاف اليها ستة من الجمال
المعشوق »

ويقول فى قصيدته بمناسبة
الاحتفالات باستقلال غانا ، والحديث
فيها موجه الى دوقة كنت :

« يا صاحبة السمو لقد كنت هنا
منذ فترة وجيزة .

لقد كنت هنا عندما نجح النجم
لينوكس بويد

في احراق مذهب الرجل الشيعي
الذي كان يعبد الارواح الشريرة))
ومهما يقل عن أدب كتاب منطقة
الغرب ، فلا نستطيع أن ننكر
— كما يقول ناقد التايمز — معالم
الثقة بالنفس ، واصالة التعبير الذاتي
في معظم ما يكتبون... الا أن الدراسة
المباشرة للشخصية ، لاتزال عنصرا
ينقص هذا الادب ، والومضات التي
نراها تشع من مصدرها عن مظاهر
الحياة العادية للشعب قليلة الى حد
ما . ولعل ذلك راجع الى تعقيد
العلاقات التي تعتبر عمود القصة
وهناك حقيقة لا يصح أن نغفلها ،
مادما نتحدث عن كتاب أفريقيا ،
وعن نفوذهم في جماهيرهم من
الافريقيين ، فكتاب أفريقيا يسخرون
معظم انتاجهم لصالح معاركهم
السياسية... فلا يصح أن يكون
الشاعر ، أو القصاص ، بعيدا عن
التيارات المختلفة التي تتحكم في
مصائر قومه ، ويرى « هارولد » : ان
هذا الاتجاه ربما كان سببا في ضياع
وتشويه معالم الشخصية في القصة
الافريقية الناضجة فلن تظهر على
مسرح الادب مكتملة المعالم والعناصر
الا بعد أن تستقر الاوضاع العامة
في هذه القارة الكبيرة .

أما ناقد التايمز فيؤكد : ان
ضعف شخصيات القصة الافريقية ،
يرجع الى حيرة كتاب افريقيا أنفسهم
في اختيار نوع الشخصية التي تتحرك
داخل الاطار الفني مادامت اوروبا
هي السوق الاساسية لرواج مؤلفاتهم .
ويلجأون الى المعاني والكماليات المجردة ،
يضمنونها قصائدهم وأشكالهم الفنية
ولقد بدأت تتضح معالم الثقافة
الافريقية في منطقة الغرب بعد أن
حصلت بعض الدول هناك على
استقلالها ، وأخذت نغمة العنصرية

والعداء للاستعمار تختفي نسبيا
لتحل محلها نبرة جديدة .. فيها
صوت عظمة أفريقيا ، وتاريخ
حضارتها القديمة ، والتفاؤل في
مستقبل أفضل .

ومن أحسن الكتاب الذين أسهموا
بقسط كبير في هذا الديوان الجديد
(**بيتر ابراهامز - وابيوسه**) .

فابراهيمز كاتب من أبناء جنوب
افريقيا ، عاش في حي فقير من أحياء
مدينة جوهانسبرج ، فشاهد بعينه
صورة الواقع البشع... الذي
يعيش فيه أبناء قومه من السود ،
ثم هاجر الى لندن وهناك وضع
ترجمة صادقة لحياته نشرها في كتاب
تحت عنوان « فلنتحدث عن الحرية » .
وقد مكنته هذه الموضوعية التي
التزمها « ابراهامز » في كتابه من أن
يقدم لقارئه في مهارة الفنان الأصيل ،
جانب الكوميديا المرحية في حياة
الافريقيين متشابكة في خيوط غير
منظورة بالجانب التراجيدي الباكي .
وقد حظيت قصته الشعرية الاخيرة
« اكليل الزهور لك يا اودمو » برواج
لامثيل له في انجلترا ، حتي ان أحد
النقاد الانجليز قد كتب عنها يقول :

(**انها أحد الاعمال القليلة التي
كتبها أفريقي ، يحاول أن يقدم للفكر
العالمي دراسة جادة عن الصراع داخل
القارة**) .

وقضية الثقافة الافريقية ، قد
أصبحت تشغل اليوم بال المسؤولين
في كل من لندن وباريس .. أكثر
مما تشغلهم قضايا السياسة ،
والشؤون العسكرية . ذلك لانهم
يؤمنون بأن الاستعمار الثقافي ، هو
أنجح وسيلة لتحقيق أقوى أنواع
التبعية . وقد حدث نتيجة
للاستعمارين الفرنسي والانجليزي
الطويلين ، أن ظهرت في افريقيا
مدرستان فكريتان احدهما فرنسية ،
والاخرى انجليزية ، ولكل منهما

سماتها وطبيعتها .

فالمدرسة الفرنسية - كما يرى أحد النقاد الانجليز - فيها وعى واحساس بالذاتية الافريقية . فبعد أن تفرنس أبناءها ، وتشبعوا بالاتجاهات الفرنسية الأصلية ، ردتهم موجة السياسة فى عنف الى شاطئ افريقيا . فأخذوا يبحثون فى باطن رمال الشاطئ عن كل ماهو افريقى أصيل ، ولا شيء غير ذلك .

أما مدرسة الكتاب الافريقيين الانجليزية ، فقد ظلت محتفظة بالطابع القومى الافريقى تأخذ من لندن ، وتمزج ماتأخذه بما لديها من أصول وجذور .

ولقد حدث أن ذهب كثيرون من أبناء افريقيا الفرنسية الى باريس ، وتلقوا علومهم فى كبريات مدارسها ومعاهدها ، ثم تنبهوا فجأة - بعد أن أحسوا بأنهم يعيشون فى بيئة غريبة عليهم - الى أنهم فى حاجة الى شعور بالارتباط بالارض التى تضم جذور ماضيهم وتراثهم ، فعادوا اليها أكثر افريقية من الذين لم يذهبوا الى باريس . ونحن نعرف أن « إيميه » الكاتب الافريقى ، بعد أن قضى فى فرنسا فترة طويلة من الزمن ، وعاش بين جدران السوربون حتى حصل على أرقى درجاتها العلمية ، قد انزعج عندما أحس بالاشيئية التى وجد نفسه عليها فى المجتمع الفرنسى فرجع ليكتب عن افريقيا فى فخر وحماس ، أروع مايكتبه مواطن .

وهاهى جماعة افريقيا المعاصرة ، تناقش فى كثير مما تكتبه ، طبيعة الثقافة الافريقية ، وتبرز أوجه الاختلاف الموجودة فعلا بين هذه الثقافة ، وبين ثقافة أوربا ، ومدى مساهمة افريقيا فى الميدان الدولى ، ثم بدأت تهاجم ماديات أوربا وأمريكا ، وتأخذ على عاتقها فى روح عنيدة ، وعدا بأن كتاب افريقيا سيقدمون

غدا ، وفى الغد القريب جدا ، الى العالم المتحضر ... خلاصة الانتاج الانسانى الرفيع .

وهكذا تتضح معالم « الشخصية الافريقية » ، أو أن الافريقيين كما قال نكروما : « قد بدأوا يكتشفون افريقيا فى هذا القرن من جديد » . ويقول أحد النقاد الانجليز : « لاشك فى أن ظهور الشخصية الافريقية فى المجال الادبى ، قد تبلور فعلا ، وأخذ لنفسه معالم وسمات خاصة ، وربما أصبحت الفجوة بين المثل الأعلى الذى ينشده الافريقيون ، وبين واقع « الشخصية الافريقية » ، ضيقة وعلى وشك أن يتلاقى طرفاها . ولكن ماذا ستكون اذن ملامح هذه الشخصية الافريقية بعد ان استقلت بعض دولها ، وضعفت نغمة الوطنية التى تعادى الاستعمار وتحاربه ؟ » .

يقول هارولد : « ان العوامل التى تربط قطاعات القارة فى الجنوب والغرب والشرق تكاد تكون محدودة فمن بين هذه العوامل .. وجود التلميح الدائم بالرق والعبودية . ويعتبر هذا من جانب كتاب افريقيا المستقلين مقدمة لمعنى جديد من معانى القيم الانسانية ، فكل الكتاب الافريقيين على اختلاف مناطقهم ، يلونون أشكالهم الادبية بظل قائم من صورة العبودية والرق . لا على أنها مصدر من مصادر المראה والأسى ، بل كباعث من بواعث الفخر والاعتزاز بمرحلة لن تمر فى تاريخ أية قارة سوى قارة افريقيا . كما أن هناك عاملا آخر هو رفض الكتاب الافريقيين للقيم المادية رفضا تاما . ولعل هذا الموقف يفسر لنا : لماذا لم يحاول هؤلاء الكتاب أن يجعلوا من القيم المادية أساسا لموضوعاتهم » . - على أن أبرز عامل مشترك بين كتاب افريقيا هو روح التفاؤل غير المحدود .

اثيوبيا في صو

الحياة في « اثيوبيا » لا تختلف عنها في القارة الافريقية . ففيها تطلع للوصول بالبلاد الى مستوى رفيع من الرفاهية ، وفيها رغبة أكيدة في وضع يدها في يد الدول الافريقية الاخرى . ثم أخيرا فيها رغبة أكيدة للعمل من أجل السلام لكل العالم .

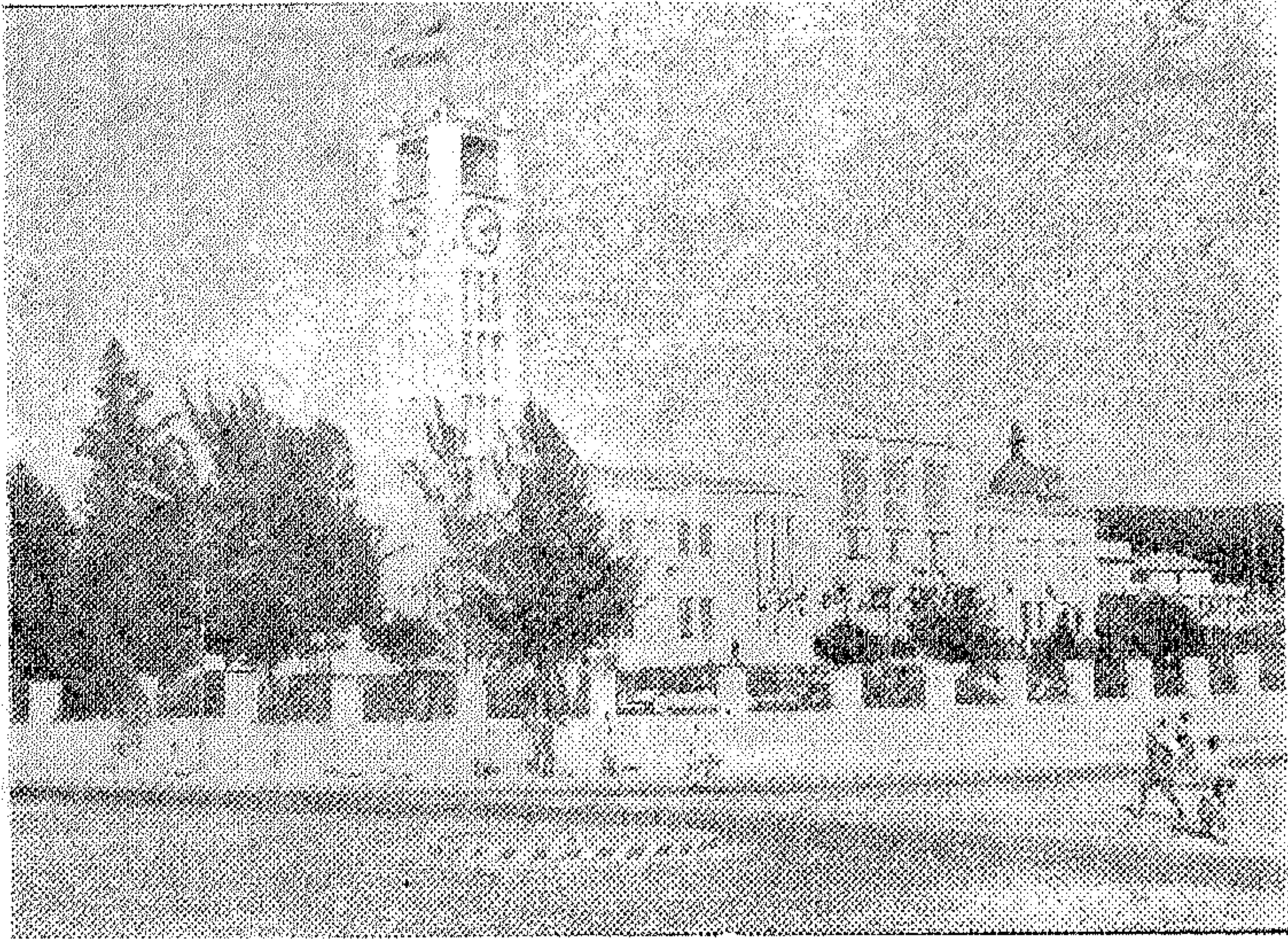
ومجلة نهضة افريقية يسعدها أن تقدم ألوانا من الحياة في هذا البلد الافريقي العظيم .



الامبراطور هيلاسلاسي يخطب



الامبراطور هيالاسي والامبراطورة



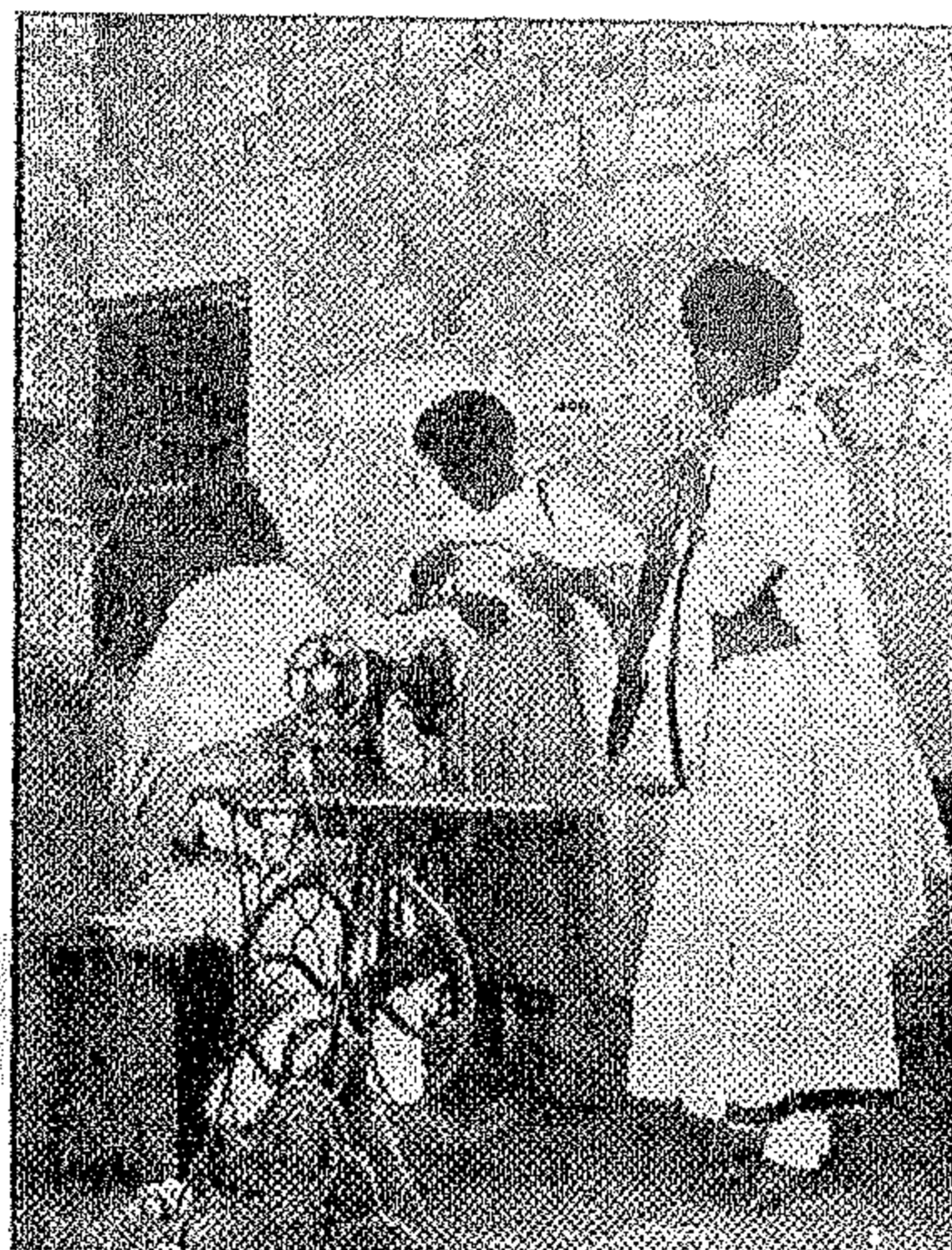
البرلمان الاثيوبي



أحد الشوارع في « أثيوبيا »



الطيران الاثيوبي



من مظاهر الحياة باثيوبيا



المظاهر الاصيلية ، والادراك الاصيل
لحياتنا الاجتماعية الصميمة .

وعلينا ثانيا : أن نعالج هذه الثروة
الفولكلورية لا من وجهة النظر الى
الماضي فحسب ، بل من وجهة النظر
الى الحاضر والمستقبل أيضا ، اذ اننا
هنا لا نتناول بقايا متخلفة ، بعيدة
عن حياتنا ، مما يوضع في المحفوظات
والمتاحف ، ولكننا نعالج تقاليد حية
نشطة ، تعيش معنا وفينا .

وسأقصر كلامي في هذه المقدمة على
ثلاثة فروع من هذه الثروة الفولكلورية ،
أرى انها على درجة خاصة من الاهمية
والخطورة لبلادنا الحديثة ، وهذه
الفروع هي :
الامثال ، والحكايات ، والحواديت ،
والاغاني الشعبية .

الامثال :

قلما يوجد في غانا من لا يستعمل
الامثال في حديثه . . ففي كل مكان
نجد ثروة من الامثال في الحديث



مقدمة للفولكلور الغاني : بقلم ج . ه . نكيثا ترجمة الاستاذ توفيق حنا

في الواقع أن كلمة « فولكلور »
أطلقت أولا على الحكايات الشعبية ،
وعلى الاساطير ، و « الحواديت » وعلى
الامثال ، والاغاني الشعبية ، وعلى
التقاليد ، والمعتقدات ، والخرافات
الشعبية ، وعلى العادات ، والوصفات
القديمة .

والفولكلوريون في المجتمعات
الصناعية عالجوا هذه المجموعات
الفولكلورية ، على أنها بقايا متخلفة ،
ما زالت تعيش في عصرنا الحديث ،
وعلى أساس هذه النظرة ، وعلى ضوء
هذا الفهم ، ناقش علماء الفولكلور
هذه الثروة الفولكلورية من وجهة
النظر الى الماضي .

والامر على خلاف ذلك في المجتمعات
غير الصناعية ، مثل غانا اذ تعتبر هذه
الثروة الفولكلورية فيها جزءا مقوما
حيا من الثقافة المعاصرة ، وهم لا ينظرون
اليها على أنها بقايا متخلفة ، ولهذا
يجب أن ندرس « فولكلورنا » بطريقة
غير تلك الطريقة التي يدرس بها
علماء الغرب فولكلورهم .

وعلينا أولا : أن نلم بكل ما لهذه
الدراسة الفولكلورية ، بحيث تشمل

تلوين كلامه وحديثه بألوان الطرافة والجدّة ويجنبه في الوقت نفسه التعبيرات الغامضة .. وهكذا نجد أن المثل في حديث هؤلاء المحدثين الفنانين المهرة .. الشعراء لا يبدو في صورة جملة قصيرة مركزة تكونت على مدى الاجيال والسنين تعكس لنا فكر ورأى وبصيرة أهل غانا في مشاكل الاحياء ومظاهر الحياة فحسب بل يقدم لنا المثل لونا رائعا لتكنيك التعبير .. هذا اللون الذي يعجب به ويقدره كل المواطنين الغانيين

وهذا هو الذي جعل الامثال تعيش وتستمر في تقاليد فنية وشعورية حية نشطة في حياة غانا .

الخطابة الشعبية (الحدوتة)

يصدق كل ما ذكرناه عن قيمة وأهمية الامثال لأهل غانا على الحكايات والحدوتات الشعبية .. إذ أن رواية الحكايات الشعبية من الفنون الحية التي تعيش في واقع الحياة الغانية . ففي مجتمع ما مثلاً يدعى الراوى الخبير الماهر لاهياء السهرة التي تسبق اليوم المخصص للقيام بالشعائر والطقوس الجنائزية ويساعد الراوى طبعاً ، ومجموعة من المغنين (كـورس) يشتركون اثناء رواية الحكاية الشعبية بموسيقاهم التي يرقص على نغماتها المستمعون وفي هذه المناسبات الخاصة يسود سرد ورواية الحكاية الشعبية طابع درامى إذ يقف الراوى في اثناء الرواية بينما يبقى الآخرون يستمعون وهم جالسون حوله واثناء سرده لاحداث الحكاية يندفع في دعاية ومرح الى الغناء والى تقليد مواقف اشخاص الحكاية والى الاشارة والحركة الدرامية وهكذا .. ويساعد الراوى - عندما يبدأ الغناء - الكورس كما يشارك المستمعون مشاركة فعالة بحركات الرقص في بعض مواقف الحكاية .. وقد يستمر الراوى الخبير في مكانه هذا حتى مطلع الفجر، وهو يروي حكاية

العادى ، وفي الخطب ، وفي الحكايات وفي « الحدوتات » ، والاغانى . وتنتظم هذه الامثال كل ألوان النشاط الانسانى ، وكل مظاهر الحياة فى غانا إذ نجد فيها الحوار ، كما نجد فيها الحيوانات الاليفة والمفترسة ، والطيور - كما نجد كذلك في هذه الامثال ألوان السلوك الانسانى المختلف ، وأنماط الناس المتنوعة ، كما نقرأ فيها حوادث التاريخ والاحداث والوقائع التي سردت فيها الحكايات والحدوتات الشعبية .. وبالأجمال نجد المثل الغانى يطلق على كل لون أو مظهر من مظاهر الكون والحياة فى غانا ..

ولهذا يمكننا أن نستخرج من هذه الامثال كل معتقداتنا وكل قيمنا ومدى ادراكنا للكون والحياة ، وهذا هو ما فعله واترى ، والدكتور دانكا .

كلمات الحكمة :

لا تقتصر قيمة المثل فى حياتنا فى غانا الحديثة على أنه يكشف لنا أفكارنا وآراءنا ومعتقداتنا فى الماضى ، بل ان المثل فى لغته الموجزة وعبارته البليغة ، يعتبر ثروة ونموذجاً للشاعر الحديث ، وللمحدث الماهر ، الذى يعتبر فنانا من حيث قدرته وذكاءه فى استعمال الكلمات والالفاظ ، ذلك أنه بالاضافة الى ما فى هذه الامثال من حكمة ، فإن كلامنا الشاعر والمحدث والخطيب يستفيد بما له من مهارة فنية ومن قدرة على اختيار كلمات هذا المثل ومن صور بيانية وتجارب متنوعة ، ومعرفة تامة للالفاظ ، والمعانى المختلفة من استفهام ونفى ومقارنة وتقرير وخبر وانشاء الى غير هذا من عديد الصور الكلامية .

والشاعر والمحدث بعد أن يألف كل منهما هذه الامثال ويعتسدها على استعمالها يتمكن بعد ذلك من أن ينشئ لنفسه ولغيره أمثالا جديدة مما يعينه على

واحدة يتخللها من حين لآخر الغناء والرقص ولكنه يعود بعد كل فاصل غنائي أو راقص الى حيث ترك المستمعين ليتابع الرواية في خبرة وحذق ومهارة .

وهذه الحكايات الشعبية معروفة ومشهورة بموضوعاتها وبمواقفها وبأشخاصها اذ تعتبر من التراث الشعبي الخالد ولكن يحدث أحيانا أن نستمتع الى حكاية غير معروفة أو غير مشهورة ، الا أنها تعتمد على تكنيك وروح وجو الحكايات الشعبية المعروفة من حيث القسوة والموضوح والشخصيات والمواقف واللغة الخاصة المميزة للحكاية الشعبية الاصيلية .

والشخصية الرئيسية في كثير من الحكايات الشعبية هي العنكبوت (أبو شبت) (وهو من ترجمة واترى لكلمة انانسي) و الارنب البري وشخصيات أخرى : مثل الصياد والمرأة العقيم والخدام .

ويعتمد تكنيك الحكاية الشعبية على الخيال والوهم وملكة التصور . وتقدم لنا شخصيات حكاياتنا الشعبية كل ألوان السلوك الانساني من غباء وبلادة ومكر وخبث ، وذكاء وحكمة ، وقسوة وعطف ومهارة ورشاقة .

أما حوادث هذه الحكايات فهي في الغالب تلك الاحداث العادية المألوفة التي يتكرر حدوثها في حياتنا الواقعية ولكن في صورة يلعب فيها الخيال والوهم والانطلاق والتصور الفني دورا رائعا .

وتقدم لنا شخصيات هذه الحكايات كل صور النشاط الانساني في المزرعة وفي قطع الاشجار وفي أوقات البذر والحصاد وفي المصايد وفي صيد السمك من الانهار وفي صيد الطيور وفي القنص وفي صنع السلال وفي نسج الاقمشة وفي صنع الاواني الفخارية وفي الطهو . . كما نرى

مجموعات من الافراد في طريقها للتجارة وأحيانا نشاهد هذه الشخصيات وقد وقعت في المتاعب والمشكلات والمصائب التي تعترض حياتهم . . نراهم يرفضون زواجا لا يرغبون فيه أو يطلبون العون والنجدة والشفاء من أمراضهم وازماتهم . . كما نراهم وهم يحملون الاطفال من آلهة الانهار أو من آلهة الاشجار .

في كل هذه الحكايات والحواديت يولد الانسان وينمو ثم يموت في مجاعة أو من تخمة ومن وباء أو طاعون ومن أمطار أو فيضان أو عواصف . . أو بأي سبب آخر . .

أما مسرح هذه الحكايات فهو مسرح هذه الحياة العادية الواقعية اذ يقوم الرجال بأحداث هذه الحكايات بالاشتراك مع كل الكائنات الاخرى الموجودة في الكون المحيط مثل الاشجار والانهار والكواكب والاحجار كما تشترك في هذه الحكايات الحيوانات الاليفة المعروفة والحيوانات المتوحشة الموجودة في البيئة وفي كلمة واحدة تشترك في هذه الحكايات كل الكائنات التي توجد في عالم الواقع والحياة اليومية .

ولكل شخصية في الحكاية الشعبية طابع يميزها عن غيرها وبخاصة الشخصيات الحيوانية . . فالخروف مثلا يتميز بالغباء والسخف كما يتميز القط بالنظافة والذكاء والمهارة أما الارنب فهو يمتاز بالحكمة والقدرة على معرفة مصدر الاصوات وعلى ترجمتها وتفسيرها وتستهدف هذه الحكايات الشعبية تفسير وبيان وتوضيح أصول الاشياء والكائنات في الطبيعة وأصل مضرب الامثال والحكم والنصائح كما تحاول أن تبرر وتفسر أحكام القانون الاخلاقي السائد في عالم الكبار ، كما تحاول أيضا أن تبين

أصول الكلمات وتحاول تفسيرها
وتوضيح معناها .

الروح المنشئة وملكة الخلق

هذه الروح المنشئة نجدها حية نشطة في هذه الحكايات الشعبية والانسان اذا ما تمكن من معرفة تكنيك الحكاية الشعبية فمن الميسور أن ينشئ على أساس هذه المعرفة حكاية شعبية مقبولة . . ومع أن البيئـة التقليدية لهذه الحكايات هي الريف ومع أن الشخصيات تعيش وتتحرك على نمط الحياة الاجتماعية العادية المألوفة إلا أن العقل بملكته الخيالية وقدرته الخالقة يتمكن من تناول هذه النماذج ومن تغييرها وتطويرها . . فكم وجدت أطفالا يحكون فيما بينهم حكايات شعبية يقوم فيها العنكبوت (أبو نسبت أو نانسي) بطل الحكاية الشعبية في أشانتى وفي غانا الجنوبية بدور الحكم في مباراة لكرة القدم أو ينطلق في سباق للسرعة . كما استمعت الى حكايات شعبية يقوم فيها « تاجر هاوسا » وهو من شخصيات المدينة بدور الشخصية التي تدور حواها أحداث الحكاية . ورغم رفض الرأي العام الشعبى لامثال هذه الحكايات الشعبية المصنوعة المختلفة ، إلا أنها ترينا مدى ومقدار الامكانيات الدينامية النشطة الغنية لفن الحكاية الشعبية - هذا الفن الذى يمكن تطويره وانماؤه واستغلاله حتى يصبح وسيلة فعالة من وسائل التعبير الادبى فى غانا الحديثة .

الاغنية الشعبية :

تقوم أكثر موسيقاتها الوطنية على أساس الموسيقى الشعبية . . تلك الموسيقى التى تعكس لنا المحاولات المستمرة التى قام بها الافراد والجماعات على مر السنين والاجيال . . هؤلاء الفنانون المنشئون الخالقون لهذه الموسيقى الشعبية .

وما زلنا نسمع هذه الموسيقى الشعبية فى الحفلات والمواسم السنوية مثل شعائر البلوغ والطقوس الجنائزية غيرها من الحفلات والاحتفالات التى تصاحب مراحل ومواسم وأحوال الحياة الفردية والحياة الجماعية .

والاغنية الشعبية حية فعالة نشطة بل لعلها أنشط وأغنى حياة وأقوى أثرا من الامثال والحكايات الشعبية اذ أنها تسمح بانشاء أو باحياء أنماط غنائية وموضوعات جديدة ، ونحن كثيرا ما نشاهد انتشار أغنية جديدة وأنموذجا موسيقيا جديدا فى كل بلاد غانا ، ثم تختفى هذه الاغنية لتحل محلها أغنية أخرى يقدر لها الانتشار والذيع فترة أخرى وهكذا . . فبعد الشهرة والذيع والانتشار التى تمتعت بها نغمات أداها (الاها) وأودزى بو وكونكو سبا نجدا الآن دور نغمات أهيووا والسмба فى الانتشار والذيع .

وهذه الدينامية الفعالية والنشاط التى تميز أغانيها الشعبية . . هى التى جعلت من موسيقى الحياة الراقية مجرد ألوان جديدة لموسيقانا الشعبية . . ويعكس لنا مضمون هذه الاغاني كل هذا النشاط والحيوية والدينامية . . اذ ينتظم الحوادث التاريخية والعائلية ويمتد الى الاحداث المعاصرة ، وانطباعات وأحاسيس المواطن الغانى الحديث .

وتعتمد بعض الاغنيات الشعبية فى شكلها القديم على أروع نماذج شعرنا الغانى التى تصور لنا حياتنا وتقاليدها وقيمنا بينما تقدم لنا الصور الجديدة لهذه الاغنيات الشعبية أنماط الحياة الراقية وكل ما يتعلق بحياتنا المعاصرة . وتتناول هذه الاغنيات الشخصيات والاحزاب السياسية ومظاهر الحياة فى المدينة فنجدها تتناول سواقى الاتوبيس ، وسواقى التاكسى ورجال البوليس

وأصحاب المحال التجارية وغيرهم كما ينتشر في هذه الأغنيات كثير من الأشياء المادية التي نجدها في المدينة مثل القطار وعربة البوليس والشلاجة ، والمطبعة وغيرها ، وفي أغنيات المدينة ثعلب العممة جريس والعمه اكوا والعمه راحة دورا رئيسيا في الاغنية الشعبية وتقابلها في الاغنية الشعبية الريفية أودو - لى - يو

يتضح لنا من هذه المقدمة العامة السابقة أهمية وخطورة المثل والحكاية والاغنية الشعبية بوصفها نقطة انطلاق وبداية طيبة لادبنا الحديث في كل بلاد غانا : ذلك أنه رغم وجود قبائل متعددة متفرقة اللغات واللهجات فاننا نجد أن شعورا واحدا وفهما واحدا وانفعالا واحدا تجمعها ازاء هذا الفولكلور الذى يشتمل على موضوعات متشابهة ، كما يقوم على تكنيك واحد في السرد والرواية والحكاية كما يستفيد بمواد متشابهة في الحياة الاجتماعية الواقعية . . هذا ولا تمنع هذه الوحدة الفنية والتكنيكية والشعورية من وجود

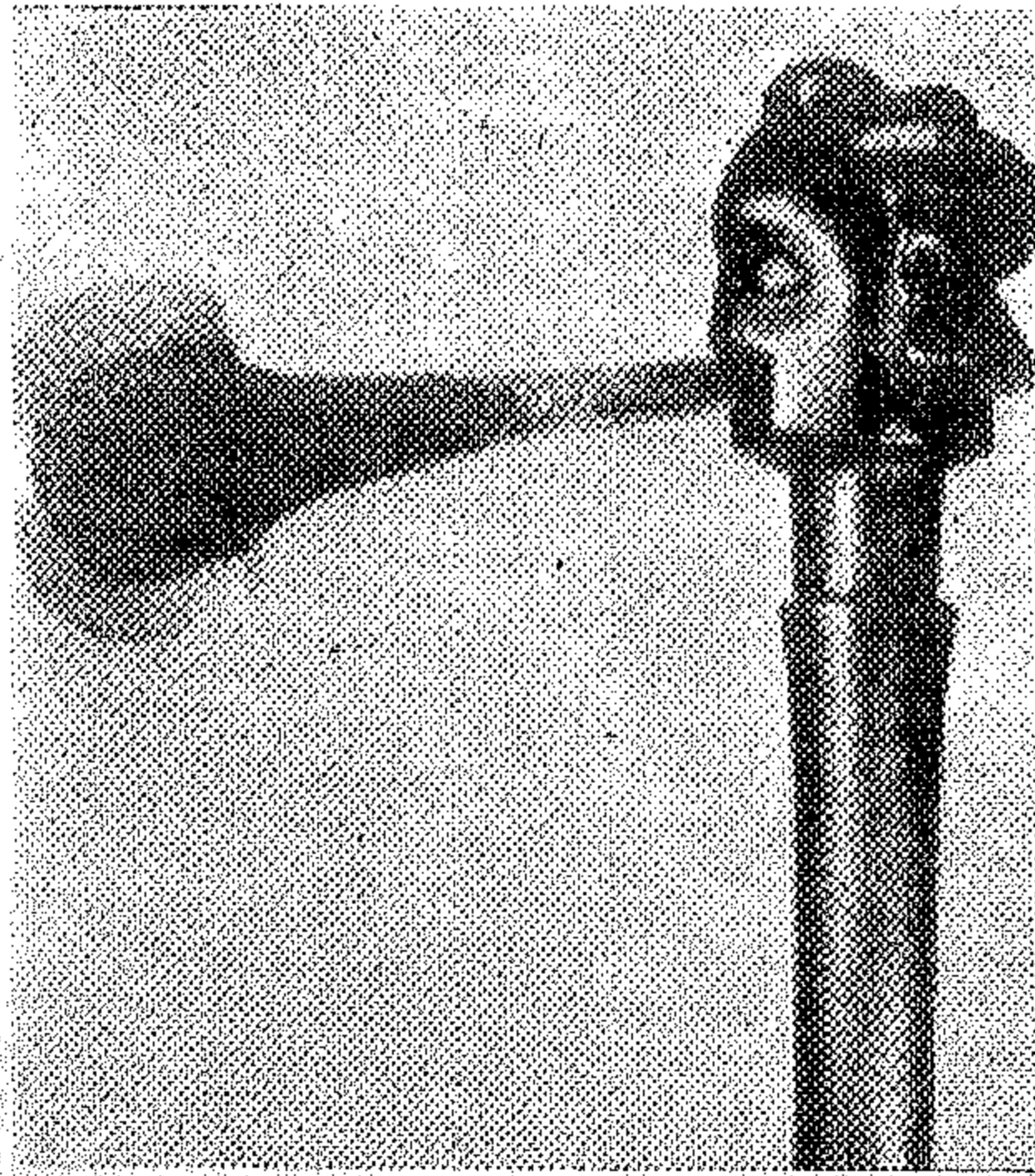
بعض الاختلافات والتصرفات البسيطة كما تسمح بتخصص بعض البيئات في لون معين أو في موضوع خاص في ألوان وموضوعات الفولكلور الغاني .

ونحن نرى أن ادماج وتوحيد وتنظيم هذه العناصر الفولكلورية المتفرقة في كل مجتمع غيني متكامل يعد خطوة مهمة جدا في طريق انماء وتطوير ادبنا القومى واثراء ثقافتنا الوطنية . وكما سبق أن قلت في هذه المقدمة

ان هذه الأمثال والحكايات والأغنيات الشعبية بوصف كونها سجلا حافلا غنيا قيما للحياة والفكر والسلوك فانها تسمح بما فيها من فعالية وحيوية ونشاط بافساح المجال أمام المحاولات والجهود الفردية والجماعية . . هذه المحاولات الانشائية البناءة الخلاقة التي يقدم بها الرواة والقصاصون والكتاب والسفراء والفنانون والموسيقيون (١)

بعض الامثال الغائبة :

- (١) تؤخذ الحكمة من شفاه الحكماء
- (٢) شعلة الفحم المتقدة من هذا النى أوقد ناره قبل غيره



المؤتمر العلمي لدول غرب أفريقيا

بقلم : الدكتور أحمد مجاهد

معونة فنية من هيئات دولية مختصة ، أو تقديم المشورة الفنية للحكومات الاعضاء - منفردة أو مجتمعة - في أى موضوع فنى ، يمكن أن تعرضه هذه الحكومات عليها . ومن اختصاص هذه الهيئة أيضا التصرف فى اعتمادات البحوث المخصصة لها ، وتبادل العلماء والفنيين بين دول غرب أفريقيا ، والإشراف على عمل المؤسسات الفنية التابعة للدول الاعضاء .

وتمول هذه الهيئة باشتراكات الدول الاعضاء ، وتُعقد جلساتها مرة واحدة على الأقل فى كل عام .

٢ - أما المنظمة الثانية فهي ((المجلس العلمى لدول أفريقية الواقعة جنوبى الصحراء الكبرى)) : وهو مجلس استشارى لهيئة التعاون الفنى الإفريقى ، وقد أسس سنة ١٩٥٥ ، وأعضاؤه من العلماء البارزين فى مختلف نواحي التخصص العلمى التى يتطلبها استغلال موارد تلك الدول .

٣ - والمنظمة الثالثة هي ((الاتحاد العلمى لغرب أفريقيا)) : الذى أُنشئ عام ١٩٥٣ ، لى يخدم أغراض التعاون العلمى بين دول غرب أفريقيا ، ومقره حاليا جامعة أكرا ، وأغراضه تشجيع البحث العلمى فى غرب أفريقيا ، ونشر مجلة تضم نتائج البحوث العلمية فى تلك المنطقة ، وتنظيم مؤتمرات علمية تشترك فيها دول المنطقة .

عقد بمدينة أكرا بفانا خلال الفترة من ٥ الى ١٢ من ابريل سنة ١٩٥٩ مؤتمر علمى اسمه ((المؤتمر العلمى لدول غرب أفريقيا)) ، وهو مؤتمر دولى اقليمى ، يهدف الى توثيق وأصر التعاون بين المعاهد العلمية ، والمشتغلين بالبحث العلمى فى مختلف أقطار غرب أفريقيا . وكانت دورة انعقاده هذا العام هى الدورة السابعة . وهو يعقد سنويا . كل مرة فى عاصمة من عواصم غرب أفريقيا . وكان دوره هذا العام فى « أكرا » .

وقد اشتركت فى اعداد هذا المؤتمر وتنظيمه ثلاث منظمات علمية هامة بمنطقة غرب افريقية ، هى :

١ - هيئة التعاون الفنى الإفريقى جنوبى الصحراء الكبرى : وهى هيئة أسست سنة ١٩٥٠ بمقتضى اتفاق بين حكومات الدول ذات المصالح فى أقطار غرب أفريقيا ، وهى بلجيكا ، وروديسيا ، ونياسالاند ، وفرنسا ، وغانا ، وليبيريا ، واتحاد جنوب أفريقيا ، والمملكة المتحدة .

وقد حدد اختصاص هذه الهيئة بأنه : العمل على تحقيق التعاون الفنى بين الدول الاعضاء ، داخل حدود غرب أفريقية جنوبى الصحراء الكبرى ، وذلك بعقد مؤتمرات فنية دورية ، واقتراح إنشاء مؤسسات فنية جديدة على الدول الاعضاء كلما دعت الحاجة ، أو ادخال تعديلات معينة على مؤسسات قائمة ، أو طالب

وقد صدرت مجلة الاتحاد بالفعل ،
وانتظم صدورها منذ عام ١٩٥٤ ،
ويصدر منها عددان سنويا .

المؤتمر السابع

عقد مؤتمر هذا العام بالمدينة
الجامعية المعروفة باسم « كومنولث
هول » التابعة لجامعة أكرا ، بولاية
الاستاذ تيودور مونود من دكا
عاصمة السنغال . وكان رئيس لجنة
تنظيم المؤتمر مستر ووكر مدير
مصلحة الارصاد الجوية بغانا .

واشترك في المؤتمر حوالي ٩٠
عضوا يمثلون وفودا من إنجلترا ،
وفرنسا ، وروسيا ، والجمهورية
العربية المتحدة ، وغانا ، ونيجيريا ،
وساحل العاج ، والكنغو البلجيكي ،
وسيراليون ، والسنغال ، والبرتغال ،
واسبانيا ، وهولندا . وكان وفد
الاتحاد السوفيتي أكبر الوفود جميعا ،
اذ كان مؤلفا من اثنين وعشرين عضوا .
**بينما كان وفد الجمهورية العربية
المتحدة مؤلفا من عضو واحد .**

وكانت اقامة الاعضاء في مساكن
« كومنولث هول » الجامعية ،
المشيقة على مرتفعات ليجون على بعد
ثمانية أميال تقريبا من مدينة أكرا .
ومباني هذه المدينة الجامعية فاخرة
وموقعها ممتاز .

وكانت الجلسات العلمية تعقد
بقاعة المحاضرات العامة بالكومنولث
هول ، وبعضها كانت تعقد بقاعات
المحاضرات الخاصة بأقسام الجامعة
نفسها .

وكانت تستعمل في الرحلات
سيارات أتوبيس مريحة تابعة
للجامعة ، كما استعملت أحيانا
السيارات الخاصة بأعضاء هيئة
التدريس .

الحلقات العلمية بالمؤتمر

قسم النشاط العلمي للمؤتمر إلى
أربع حلقات نجمل الكلام عليها فيما
يأتى :

١ - حلقة العلوم الاجتماعية :
وقد ألقى فيها أربعة عشر بحثا ،
معظمها عن الهجرة ، وبعضها تاريخي ،
وبعضها الآخر عن الآثار في غرب
أفريقية .

٢ - حلقة علوم المياه والتربة :
وقد ألقى فيها تسعة بحوث ،
بعضها عن تعرية التربة ، وبعضها عن
مشكلة توفير مياه الري في بعض
أقطار غرب أفريقية ، وبعضها عن
التوزيع الزمني للأمطار ، وعن مواد
الغذاء النباتي بالتربة ، وعن فقد
أملاح التربة بالرشح .

٣ - حلقة الدراسات الحيوانية :
ألقى فيها خمسة بحوث خاصة
بحيوانات وأسماك وحشرات غرب
أفريقية .

٤ - حلقة الدراسات النباتية :
ألقى فيها اثنا عشر بحثا ، بعضها عن
غابات غربي أفريقية ، وبعضها عن
أجناس نباتية معينة تعيش في تلك
البلاد أو في بلاد تشبهها مناخيا ،
والبعض عن شرح خرائط لتوزيع
الأنواع المختلفة من الأشجار الخشبية ،
كما ألقى فيها بحوث عن زراعة الذرة
في غرب أفريقية ، ومحاضرة عن
المستنقعات النباتية بجنوب السودان
وعلاقتها بمشروعات الري في أعالي



مدخل الحديقة النباتية

النيل - وهى منطقة تشببه غرب
أفريقية فى مناخها - ألقيتها ممثلاً
للجمهورية العربية المتحدة .

حفلة افتتاح المؤتمر واختتامه :

أقيم حفل افتتاح المؤتمر يوم الاحد
٥ من ابريل سنة ١٩٥٩ ، وألقى فيه
وزير خارجية غانا - وهى الدولة
المضيفة - كلمة ترحيب باسم الحكومة ،
ثم أعقبه مدير الجامعة ، ثم مدير
الكونغرس هول ، ثم رد الاستاذ
مونود رئيس المؤتمر شاكراً على كلمات
الترحيب الرسمى بالنيابة عن وفود
الدول ومندوبيها .

وبعد ذلك ألقى مستر ووكر رئيس
لجنة تنظيم المؤتمر خطبة الافتتاح .

أما الحفل الختامى فكان حفل
عشاء أقيم يوم ١٢ من ابريل سنة
١٩٥٩ بمدينة أخرى من المدن الجامعية
تعرف « بمدينة المزارعين » . وقد
حضر الحفل بعض الوزراء وكبار
الموظفين ، وألقى فيه مندوب الحكومة
كلمة تحية ، ثم أعقبه ممثل الاتحاد
العلمى لغرب افريقية ، ثم اختير ممثل
الجمهورية العربية المتحدة ليلقى كلمة
الشكر على هذا الترحيب نيابة عن
وفود الدول المشتركة فى المؤتمر ، ثم
تحدث بعد ذلك رئيس المؤتمر مسيو

مونود ، ثم أعقبه وكيل وزارة
الخارجية . وانهى الحفل بكلمة من
مستر ووكر رئيس اللجنة التنفيذية
رحلات المؤتمر :

نظمت سكرتيرية المؤتمر رحلات
للأعضاء خلال أيام المؤتمر وبعده ،
وحددت مواعيدها بحيث لاتفوت على
الأعضاء حضور الجلسات الهامة .
وفى أيام الحلقات كانت الرحلات عادة
قصيرة ، وتؤدى بعد الظهر . وبعد
انتهاء الحلقات نظمت الرحلات الطويلة
وكانت تجرى أكثر من رحلة واحدة
فى وقت واحد ، ويختار كل عضو ما
يروقه منها .

وقد اشتركت شخصياً فى الرحلات
الخمس الآتية :

١ - رحلة الى الحديقة النباتية
بأپورى : وهى حديقة عامة كبيرة
زرع بها أهم الاشجار التى تنمو
بريا فى الغابات ، وكذلك أنواع كثيرة
من النباتات المستوردة ، ونباتات
المحصولات والنباتات الاقتصادية .
وكان يرافقنا فى تلك الرحلة بعض
أعضاء هيئة التدريس من قسم النبات
بجامعة غانا .

٢ - رحلة الى أوسو OSU

على شاطئ الاطلنطى ، حيث توجد
قلعة كريستيانزبرج ، وهى المقر
الرسمى لرئيس الدولة . وقد بدأنا
فى تلك الرحلة بدراسة الطحالب
وغيرها من الاحياء البحرية التى
تعيش على صخور الساحل ورماله ،
ثم زرنا مكاناً آخر به مستنقعات
بحرية من النوع المعروف بمقابر
الانسان Mosgroués تعيش بها
أنواع من الشورة (Oircénia) ،
وهى شبيهة بمستنقعات الشورة
الموجودة ببعض جزر البحر الاحمر
قرب الغردقة .



نبات الكاسافا

الذرة في بعض الجهات . وكذلك
النصب والمناجى .

وتنمو برىا فى الغابات أشجار
الأشجار كالأشجار الواوا والأفراى
والماهوجونى .

وبمحطة كادى مكان لاقامة الطلبة ،
يقضون به فترة من العام الدراسى
أجباريا لدراسة الزراعة على الطبيعة
فى بيئة الغابات .

٥ - رحلة الى كوماسى

عاصمة اقليم أشانتى فى وسط غانا ،
وتقع على مسافة ١٦٩ ميلا شمال
غربى أكرا .

وقد تمكنا فى هذه الرحلة
الطويلة من مشاهدة القرى والغابات
الممتدة على طول الطريق ، كما شاهدنا
أهم معالم مدينة كوماسى - التى تعتبر
العاصمة الثانية بعد أكرا - بمتحفها
الأثرى وسوقها الوطنى الكبيرة
وحداتها ومستشفاهها وكلية
الصناعات بها .

توصيات المؤتمر

أوصى المؤتمر فى نهاية جلساته
العلمية بمتابعة الأبحاث فى جميع
المجالات ، بقصد تنفيذ البرامج
الموضوعة لكل مجال .

كما أوصى بعمل خريطة نباتية
لمنطقة غرب أفريقية يبين عليها
توزيع مائة نوع من أكثر أنواع النباتات
انتشارا فى تلك المنطقة .

التعليم فى غانا

عنيت بصفتى جامعيا بالتعرف
أثناء وجودى بغانا على نظم التعليم
 وأنواعه ومستواه بوجه عام والتعليم
 الجامعى بنوع خاص .
وقد توصلت فى ذلك الى المعلومات
 الآتية :

التعليم العالى :

هناك فى غانا معهدان للتعليم العالى

ورافقنا فى تلك الرحلة عضو من
هيئة التدريس بجامعة غانا متخصص
فى الطحالب البحرية .

٣ - رحلة الى محطة الأبحاث

الزراعية بنونجوا (Nungua)
بسهول أكرا ، حيث شاهدنا التجارب
الزراعية فى بيئة السهول ، وتجارب
تربية الحيوان والدواجن ، وزراعة
أشجار الفاكهة ونباتات الخضر ،
وكذلك الذرة على الأراضى الطينية
السوداء والخفيفة الحمراء . كما
شاهدنا اقامة السدود فى منخفضات
السهول ، لاختزان مياه الرى ، بقصد
الارتفاع بها فى فصل الجفاف .

٤ - رحلة الى كادى (Kadé)

بمنطقة الغابات المطيرة الاستوائية ،
على مسافة ٧٠ ميلا شمال غربى أكرا .
وبها محطة أخرى للأبحاث الزراعية
تابعة لجامعة أكرا .

وقد شاهدنا التجارب الزراعية
بمنطقة الغابات التى يقوم بها الفتيون
من رجال كلية الزراعة وعلى الأخص
تجارب زراعة الكاكاو والمحصولات
الأخرى ، ونباتات الغابات .

كما شاهدنا البحوث التى
يقومون بها عن التربة ، وما يحدثه
فيها نمو نباتات الغابات من تغيير فى
صفاتنا الطبيعية والكيميائية .

ويزرع الفلاحون الكاكاو فى مساحات
شاسعة من أراضى الغابات تدر مليونا
من الجنيهات كل عام لحساب المحطة .
ويستعمل بعض ايراد هذا المحصول
لأغراض التوسع الجامعى . ويدخر
بعضه الآخر رصيذا للمحطة ينفق فى
توسيعها وتنفيذ برامجها .

ومن بين النباتات الاقتصادية التى
شاهدناها بمنطقة الغابات أشجار
السيبا الضخمة وأشجار القيم
والكاكاو والنخيل والموز وجوز الهند
والكاساڤا والباباز والبوانسيانا وتزرع

أحدهما الكلية الجامعية بأكرا (جامعة غانا) والثاني كلية الصناعات بكوماسي .

جامعة غانا

أسست تلك الجامعة سنة ١٩٤٨ ، وتبعت جامعة لندن ، وجعل مقرها أشيموتا على بعد بضعة أميال من أكرا . ولا تزال بعض مباني الكلية في أشيموتا حتى الآن ، ولكن يجري نقلها الى تلال ليجون تدريجياً ، وينتظر أن يتم الانتقال نهائياً الى المقر الجديد قبل أوائل العام الدراسي القادم ، أي قبل أكتوبر سنة ١٩٥٩ . وتشتمل الجامعة في الوقت الحاضر على الكليات الآتية :

١ - كلية الآداب : وأقسامها : اللغة الانجليزية والدراسات الفرنسية والفلسفة واللاهوت .

٢ - كلية الدراسات الاجتماعية : وأقسامها : التاريخ والجغرافيا والاقتصاد والاجتماع والآثار والقانون . ويتبعها معهد لتخريج المعلمين .

٣ - كلية العلوم الطبيعية : وأقسامها : الرياضيات والطبيعة والكيمياء والجيولوجيا .

٤ - كلية العلوم البيولوجية : وأقسامها : النبات والحيوان .

٥ - كلية الزراعة :

وتمنح الجامعة درجة بكالوريوس عامة في ثلاث مواد ، أو خاصة في مادة واحدة أساسية ، معها أخرى إضافية . ودرجاتها هي درجات جامعة لندن نفسها .

وتقدم التسهيلات للطلبة ليتابع من يشاء منهم دراسته بعد التخرج ، للحصول على درجة الماجستير ، كما يوفد الممتازون للحصول على الدكتوراه من إنجلترا ، ولكل قسم اعتمادات للأبحاث خاصة به .

وتتبع كلية الزراعة محطات للأبحاث في مختلف مناطق الاستغلال الزراعي

معدة أحسن اعداد وتقوم بأبحاث ودراسات على أكبر جانب من الأهمية للاقتصاد القومي ، اثنتان منها هما اللتان سبق ذكرهما في نونجوا وكادي . وتتولى محطة نونجوا أيضاً إدارة محطة للري في كيونج (Kyong) لحساب حكومة غانا .

وبدأت الجامعة تخرج الافواج الاولى في سنة ١٩٥٢ . ويلاحظ أن عدد الخريجين قد زاد زيادة كبيرة فيما بين عامي ١٩٥٢ و ١٩٥٨ .

وتدرس مدرسة المعلمين مقرراً اضافياً لمن يشاء من خريجي الجامعة ، تؤهلهم للاشتغال بمهنة التدريس .

وتتبع الجامعة مكتبة أسست معها في وقت واحد سنة ١٩٤٨ ، واتسعت كثيراً منذ ذلك الوقت . فأصبحت تحوى الآن ١١٠ ألفاً من المجلدات و ٣٠٠٠ مجلة دورية . وهي موجودة حالياً بأشيموتا مع بقية أقسام الكلية القديمة ، ويتوقع نقلها الى ليجون . وهذه المكتبة تتولى بيع الكتب للاساتذة والطلاب .

وبالإضافة الى هذه المكتبة العامة توجد لكل مدينة سكنية من المدن الثلاث التابعة للجامعة مكتبة وصالة مطالعة خاصة بها ، كما توجد أيضاً مكتبة لكل قسم من الاقسام المختلفة .

المدن الجامعية السكنية :

تمتلك الجامعة في الوقت الحاضر ثلاث مدن سكنية ، مقرها تلال ليجون ، منها اثنتان تتسع كل منهما لحوالى ١٨٠ طالباً ، والثالثة تتسع لحوالى ٢٨٠ طالباً . ويجرى العمل في اقامة مدينة رابعة للطالبات ستكون معدة لاستقبالهن عند بدء العام الدراسي القادم . وتعمل الجامعة أيضاً على توفير مساكن لبعض أعضاء هيئة التدريس ، حتى يعيشوا مع الطلاب ويختلطوا بهم فيكونوا لهم

قدوة ومرشدين ، وعليهم مشرفين ، وبذلك توفر للطلاب البيئة الجامعية الخالصة . ولا تكون المدن الجامعية مجرد أماكن لسكنائهم وإيواء الغرباء منهم .

وتشرف جامعة لندن على المقررات التي تدرس للطلبة ، وعلى الامتحانات اشرافا تاما . فتتولى وضع الاسئلة وتصحيح الامتحانات ، ووضع التقديرات ، بالاشتراك مع الاقسام المختصة بجامعة غانا .

كلية الصناعات بكوماسي

هذه الكلية هي المعهد الثانى للدراسة العليا بغانا ، وتضم أقساما للزراعة والتجارة وإدارة الأعمال والهندسة والصيدلة والعلوم وفن العمارة والبناء وتدريب المعلمين والتدبير المنزلى والفنون والموسيقى ، وتمنح دبلومات فى الزراعة الاستوائية وفى الصيدلة والمحاسبة وأعمال السكرتارية وفى الهندسة المعمارية ، كما تمنح درجة البكالوريوس فى الهندسة المدنية والميكانيكية

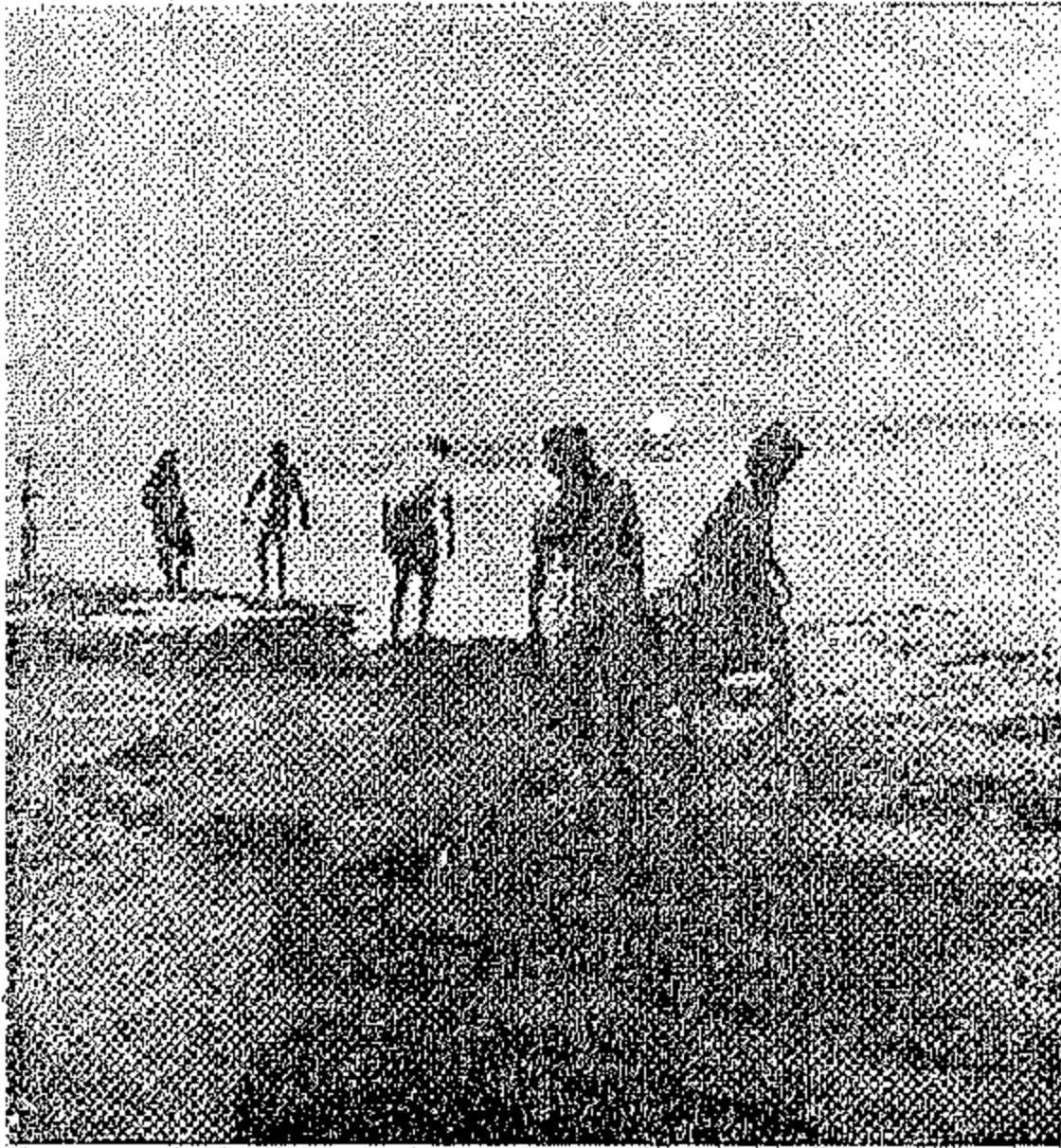
والكهربائية .

ومدة الدراسة بهذه الكلية أربع سنوات ، ويقطن بها حوالى ٦٠٠ طالب . وعدد أعضاء هيئة التدريس بها ٩٤ ، منهم ٣٥ من الوطنيين .

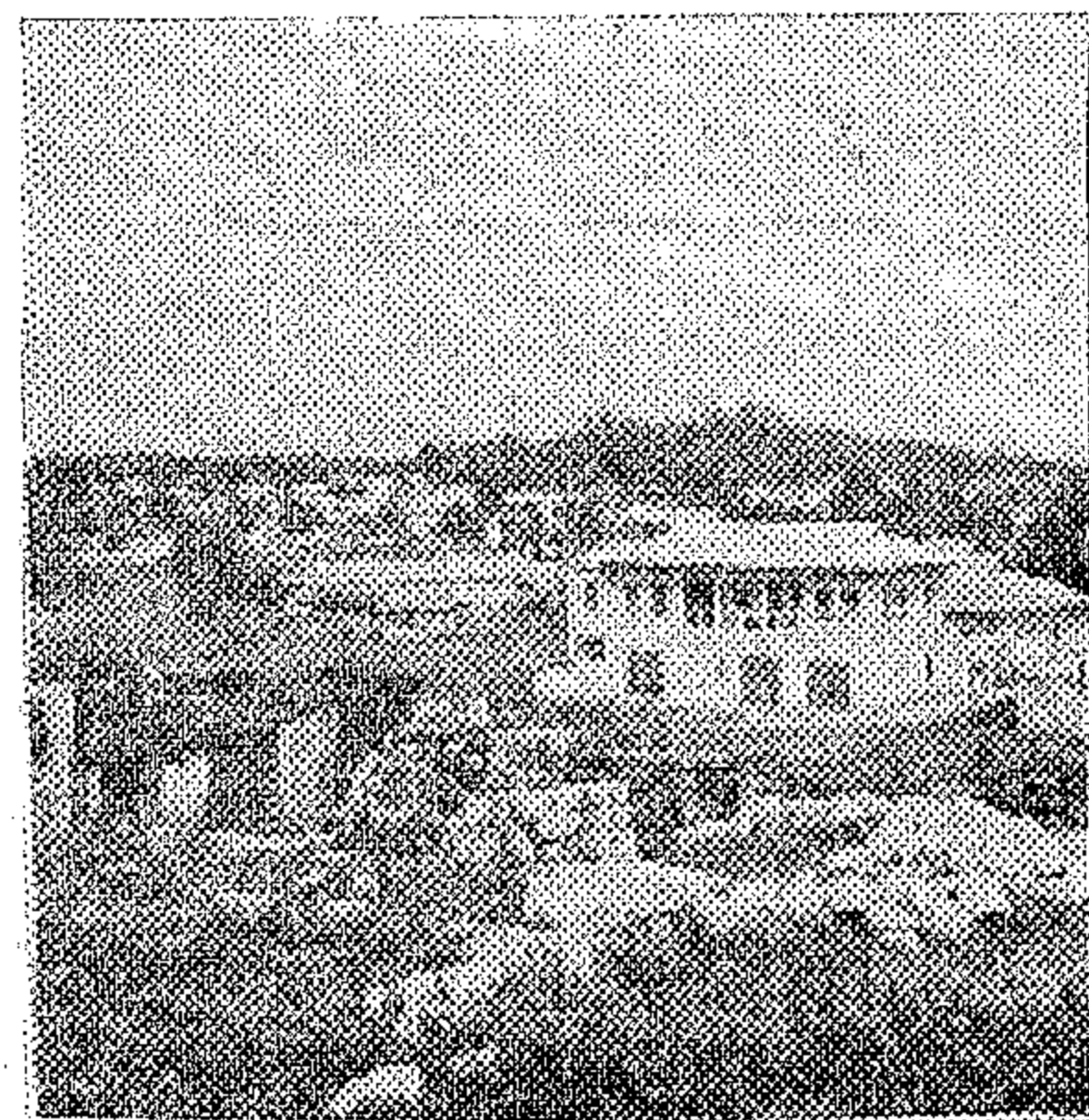
المدارس والمعاهد

يوجد بغانا أكثر من ٥٠٠٠ مدرسة ومعهد علمى من مختلف الأنواع والدرجات ، بينها المدارس الابتدائية والثانوية والتجارية والصناعية ومعاهد المعلمين . وبعض هذه المدارس حكومية ، وبعضها الآخر معاهد خاصة أو تابعة لبعثات تبشيرية ، ونسبة عدد البنات فى مختلف مراحل التعليم تبلغ نصف عدد الذكور ، فهناك أكثر من ٤٠٠٠٠ طالب و ٢٠٠٠٠ طالبة .

وهناك مدرسة لتدريب موظفى الحكومة الكتابيين ، يتلقون فيها مقررات خاصة لمدة بضعة شهور . وقد يوفد بعضهم الى انجلترا بعد التخرج لاستكمال دراستهم بضعة شهور أخرى .



أعضاء الرحلة



مدينة كوماسي

التراث الثقافي في عثانه

للكاتب الافريقى كوفى انتوبام

المثل والافكار . فالزائر لغاية يشاهد في كل مكان تقريبا رموزا ودلالات يعبر عنها فن تقليدى قديم عرفه شعبها . فهيئة مكاتب موظفى الدولة من الرؤساء والكبار نراها فى غانة تأخذ شكلا شبه دائرى ويرمز هذا الى الهلال القمرى الذى يمثل طبيعة

الانثى الرحيمة . وجميع ملابس الرؤساء موشاة بالرموز الدلالية ، فغطاء الرأس والخواتم التى تزين الاصابع يجب ان تكون أيضا ذات مدلول رمزى ، كما أن القصر الذى يعيش فيه الرئيس يجب أن يكون فى مواجهة مشرق الشمس ، وكذلك يجب أن تكون حلى الرئيس ومجوهراته من الذهب ، بينما تكون حلى الملكة من الفضة .

الزعيم محور الفن ومركزه

من الأمور التى كانت تمثل هيكل التقاليد القديمة ، فى غانة ، أن الزعيم لا يصح له أن يخاطب جماهيره وأفراد شعبه فى الاجتماعات العامة بطريقة مباشرة ، بل عليه أن ينيب عنه فى الكلام متحدثا رسميا من رجال قصره وحاشيته . وإذا جلس أو وقف فى إحدى الاجتماعات فلا بد أن توضع فوق رأسه مظلة كبيرة ، ولذلك فإننا لهذه الاعتبارات ولغيرها ، يمكننا أن نقرر فى بساطة أن الزعيم فى غانة كان فى الواقع يمثل محور الفن التقليدى

يعتبر الفن فى أية دولة خلاصة شاملة للأشكال التعبيرية التى ينفس الشعب بها عن مشاعره وأحاسيسه ، تجاه مظاهر الجمال وجوانب القبح فى البيئة المباشرة ، كما أنه ترجمة صادقة لمدى التأثير الذى تخلقه تيارات العالم الخارجى .

ولا شك فى أن الفن قد تطور فى بعض الدول القديمة تطورا كبيرا ، وليست التحف الباقية والتمائيل والآثار البادية للعيان حتى وقتنا الحاضر ، وأتى أصبحت اليوم تملأ قاعات المتاحف ودور المسارح والحدائق العامة ، ليس هذا كله إلا قصة خالدة تحكى للأجيال المتعاقبة نشاط هذه الدول فى ميدان الفنون على اختلاف أنواعها ومدارسها ، ونظرا لعوامل مختلفة وأسباب يكون من الأفضل أن نتركها لكتاب التاريخ نرى أن الأوضاع فى « غانة » القديمة قد أخذت شكلا غير الاتجاهات فى هذا البلد الافريقى .

ولهذا فإن الفن فى غانة لا يستطيع أن يزهو مفتخرا بوجود آثار مادية باقية تمثل الرسم أو النحت أو صناعة الفخار ، أو تاريخ الهندسة المعمارية أو النسيج مثلا كماهى الحال فى بعض الدول ذات التاريخ القديم ، وليس لكلمة فن فى غانة مدلولها المتعارف عليه فى الأوساط الفنية ، اللهم إلا فى ثروتها الخصبة فى عالم

بين أبناء شعبه ، وهو فن يعتمد في أسسه على دعائم دينية واجتماعية . فاذا دخل الزعيم إحدى قاعات الاجتماعات العامة فلا بد من أن تقرر له سلفا الطبول ، التي تعزف جملا وعبارات رمزية تحمل معنى الانتصارات التي أحرزها شعبه ، وكذلك الهزائم التي حاقت به ، ويقال ان كرسى هذا الزعيم يمثل رمزا لروح دولته وشعبه

ولا شك في أن الحقائق التاريخية تؤكد ان الغانيين قد عرفوا الاله الواحد العظيم قبل دخول الاسلام والمسيحية بزمان طويل ، فقد كانوا يعتقدون بوجود هذا الاله في صورة الجد والملك ، وكان في نظرهم الأب الأعلى ، والام العليا للمجتمع كله ، ولا يجوز الاقتراب منه مباشرة ، بل لا بد ان يكون الاتصال به عن طريق الشخص الذي يمثله في كل منزل ، ولهذا كانوا يشيرون اليه دائما باسم « نانا » أى الجد الأعلى العظيم ، وليس « اجيا » أى الاب الذى هو في الدرجة الاولى . بل كان ينظر اليه فقط أى الى « اجيا » هذا على أنه ممثل « نانا » في كل بيت غانى . وكانت تقاليد العلاقات الاجتماعية في غانا تقضى بأن يعكف أبناء الشعب على عبادة ما يسميه علماء الانسان بعبادة الجد الأعلى المرتبطة بعبادة الآلهة الصغار . على أن مما يدعو الى الدهشة والاهتمام حقا أن فكرة القديسين لم تكن مجهولة لدى شعب غانا القديم ، وأنهم لم يكونوا يعبدون الاله عن طريق السابقين ، بل كانوا يرون أن الخيرين والعظماء من الاحياء هم الجديرون حقا بالقيام بوظيفة الوساطة بعد موتهم . وهم لذلك يعبدون الاله عن طريق « ناناتوم أسامانيوم » أى الارواح العظيمة للأبطال الذين ماتوا ، وفي حالة عدم وجود مثل هذه الارواح فهم يلجأون الى ظواهر الطبيعة الخارقة ، التي كانوا يعتقدون ان فيها

أرواحا مقدسة تستطيع ان تقوم بدور الوساطة بينهم وبين الاله الاسمى . ولعل هذا يفسر لنا بطبيعة الحال وجود الاعتقاد السائد بين أفراد شعب غانا بوجود آلهة الانهار ، وهى عقيدة لا تزال موجودة حتى يومنا الحاضر : « فيوسومو أيسو » هو الاله نهر ايسو ، « وبوسومبرا » الاله نهر برا « وبومسومو تانو » الاله نهر تانو . « وبوسومايتوى » الاله البحيرة العظيمة في أشانتى النخ ، كما كان هناك اعتقاد بأن الارواح المقدسة تسكن الاوانى المنزلية التي تستعمل في بيوت غانا ، وكان ينظر الى الارض على انها الاله تتجه اليها الجماهير أثناء الصلاة ، وكان الشعب الغانى يضى حالة من القداسة على الاعضاء التناسلية ، بل على كل عضو في الجسم يكون له نصيب في العملية السرية أو الولادة ، وكانت هذه الاعضاء تمثل مظهرا من مظاهر الرعب الدينى بين أفراد الاسرة . ومن الغريب في هذا الصدد ان بيوت غانة حينما تستعمل المكائس والهراسات (الهاون) والمواقد والكراسى كانت تضى عليها مظهرا من مظاهر الاحترام لانها تحمل - فى اعتقادهم - عنصر النفوذ المقدس على الحياة .

والدم كان كذلك فى نظر أبناء غانة القديمة شيئا مقدسا وكذلك الماء . ولذلك فان سفكه أو اراقته يعتبران أمرا محرما للغاية . ومن ثم فان قبائل **الأكان** كانت لاتولى شخصا مركز الرياسة اذا حدث أن دمه قد فصد أو سال بطريقة غير طبيعية سواء عن طريق حادث حصل له أو عملية ختان أجريت له ، وحتى الآن فمن السهل عزل أى رئيس مهما كانت خطورة مركزه اذا ثبت أن شيئا من هذه الامور قد وقع منه .

والمتبع لتاريخ غانة فى مراحلها القديمة المختلفة يرى رصيذا ضخما من العادات ، والتقاليد التى تشكل عقلية ناضجة اكتمل فيها الوعى

وان يكون سيرهم في خط طويل واحد، لان ذلك يمثل رمزا له دلالة . فمثلا عندما تسافر عائلة مكونة من والد وأم وولد وبنت ، فلا بد من ان تكون البنت في مقدمة القافلة يليها الولد ثم الام ويسير الوالد في مؤخرة الركب .
 وحينما يخرج رجل مع زوجته ، فان تقاليد المجتمع الغاني القديم كانت تحتم ان تقف المرأة بينما يجلس الرجل ، ولذلك فقد كان كرسى الجلوس يقدم اولا للرجل ، وهو الشخص الذي ترسل بنسمة بطاقة الدعوة ، وهذه القاعدة كانت تتبع بالنسبة للصبيان والبنات . أما في مجالات العمل فان الثقل منه كان من نصيب الرجل ، كتنظيف الغابات ، وقطع الاشجار ، وزراعة الثمار ، وعلى المرأة ان تقوم بالاعمال السهلة الخفيفة كتنقية الحشائش وتنظيف الحقول . .

والصيد ونصب شباكه في الغابات والمستنقعات ، ودق طبول النداء ، كل هذه وظائف يقوم بها الرجال في مجتمع غانا القديم .

وعندما يسافر رئيس الدولة يصحبه كبار الموظفين ، وعلية القوم والاتباع ، يجب ان يكون نظام سيرهم وظهورهم في الحفلات خاضعا للقاعدة التي تحتم ان يكون الظهور بترتيب يبدأ من الاقل أهمية ، ويتدرج حتى ينتهي بالاعظم أهمية .

فالمنادون ، الذين يقودهم « التوينسينى » أى قارع الطبول ، يجب ان يتصدروا الموكب ، تليهم جماعة الاتباع ، وعلى رأسهم حملة الصاندىل ثم الاعضاء الرئيسيون ، ثم حامل الحقبة المالية ، وبعد هذا تسير جماعة أخرى من كبار الموظفين الذين يتقدمهم قسيس الدولة ، وخلفهم حملة الروح ، يتقدمهم أيضا حامل الكرسى ، ثم نواب الدولة ، وأخيرا يظهر بعدهم الرئيس الذى يعتبر قدومه الى أية منطقة نذيرا

الاجتماعى والدينى بصورة مذهشة ، وتمثلت في فنون رمزية ، تحس فيها عمق المعانى المجردة ، ومدلول الفكر الفلسفى التأملى . ونظرة واحدة الى النظام الثنائى الذى ابتدعه الغانيون ، في فترة من فترات تاريخهم ، تجعلنا ندرك على الفور مدى ما وصلوا اليه من نشاط ذهنى ، فقد ابتكروا ما يعرف باسم ال « نتورو » وال « أبو سوا » وهو تقليد لا تزال افراد قبيلة الاكان تمارسه حتى اليوم ، وقد نجح هذا النظام في التوفيق بين جميع الافكار الدينية وجعل من الدين قواعد منتظمة ، تحكم الجماهير في حياتها العملية . وال « نتورو » نظام يتعلق بالذكور بينما ال « أبو سوا » خاص بالاناث . فالصفة الروحية وكذلك خواص الذكر ومميزاته كانت تعزى الى الاب وتورث منه ، وكانت المناصب تنتقل من الاب الى الابن . ومن اجل هذا كان ال « نتورو » يؤيد الفكرة السائدة بين افراد القبائل من ان الاب هو ولى الامر الطبيعى لقداسة الحياة ، وهو طاقة القوة في عملية الولادة ، وعلى هذا فمن حقه ان يصدر الاوامر الخاصة بنظام الاسرة ، وعلى افراد هذه الاسرة ان يذعنوا لاوامره وتوجيهاته ، فهو الذى يعرف ما هو الافضل باعتباره راعى مصدر الطهارة ، وكلمته فيما يتعلق بتحريم الاشياء بين افراد العائلة قانون لاتصح معارضته .

نظام المواريث الخاص بالمرأة

ونظام ال « ابوسيو » يسمح للأم بأن تحوز ملكية خاصة تميزها عن ملكية زوجها ، وليس لهذا الزوج أى حق فيما تمتلكه الزوجة ، ومن حقها ان تمنحه عند موتها لاختها ولاطفالها ولامها ولبنات عموماتها وعندما ترحل اسرة غانية الى أية منطقة من المناطق ، فلا يصح ان يسير اعضاؤها جنبا الى جنب ، بل لا بد

بوصول الجلادين ، حيث يسير خلفه حامل السوط وحامل السيف ، ثم حاملو الهودج . وخلف الرئيس بنحو ثلاثة أقدام ، وعلى يساره تسير الملكة الام تصحبها وصيفاتها من النساء والفتيات ، بينما يسير على يمينه كبار رجال الدولة من الذكور وعلى رأسهم رئيس مجلس النواب .

كل هذه المظاهر الاجتماعية ليست الا نشاطا فنيا تشكل في صورة رمزية وهي مدرسة فنية برع تلاميذها وأساتذتها من أبناء غانة في عصورهم القديمة .

أما أنواع الفنون الاخرى التي تعزز بها بعض الدول القديمة ، كالنحت والرسم والزخرفة وصناعة التماثيل وغيرها من هذه الآثار الفنية المادية ، فلم يكن لغانة حظ كبير في مجالها . وليس معنى هذا أنه لم يوجد في المجتمع الغاني رسام أو نحات أو مثال الخ . . بل لقد وجدت هذه الشخصية الفنية فعلا في غانا القديمة . . ولكن ظروفًا وبواعث تاريخية مختلفة لم تساعد أبناء غانة في عصورهم الاولى على أن يصلوا الى ما كان يجب أن يصلوا اليه من مستوى فني معقول ، وان كانوا قد تفوقوا أحيانا في بعض ألوان هذه الفنون . ففي مجال النحت مثلا وهو الشكل الفني المادي الرئيسى الذى برع فيه أبناء غانة ، صنعت يد الفنان الغاني تحفا نادرة من الاخشاب المحفورة والابنوس المطعم ، والقطع المعدنية التي كانوا يستعملون مادتها من الذهب والفضة والحديد . ولكن فن النحت وهو الذى نعتبره من أوضح أشكال الفن الغاني كان من ناحية أخرى لايزال ضعيفا في مجال التعبير عن الاشياء ، كما أنه في ضوء المستويات الفنية الحديثة يعتبر مرحلة وليدة محصورة في حدود ضيقة . ولاستطيع اذا كنا منصفين

حقا - أن ننحى باللائمة على الفنان العاني نفسه ، فهو شخص يعيش في مجتمع تغل يده فيه تقاليد ونظم صارمة ، وتقيده محرمات وشعائر اصطلح عليها أبناء قومه ، ولا يمكنه أن يحاربها أو يقف أمامها . ولذلك فقد أوصد أمامه طريق الملاحظة المباشرة لنماذجه وموضوعاته . وهي أهم عنصر من عناصر البناء الفني . وأصبحت نماذجه الانسانية محصورة في زعماء الحرب ، وقادة العشائر والقبائل .

ولكن يصل النشاط الفني الى ذروته لا بد من أن يتحرر من كل القيود التي يفرضها المجتمع ، أى أنه لا بد من أن يكون فوق كل الاعتبارات المختلفة ، ولكن الفن في غانة القديمة لم يتح له هذا الجو ، اذ أن « التابو » كان يفرض عليه أن يقف في مكانه ، فمن تقاليد المجتمع الغاني أنه لا يجوز النظر بحملقة في الرئيس أو الشخص الكبير ، اذا كان لا يزال على قيد الحياة ، والعقيدة الشائعة بين أبناء غانة هي أن الذى يحاول ذلك يقع تحت تأثير سحر الزعيم أو الرئيس ، كما أن الفنان الغاني لم يكن يسمح له مطلقا بأن يقترب من الجثة الملكية ما دمت لم تدفن بعد ، واذا ما أراد أن ينحت تمثالا للملك أو الزعيم المتوفى ، فعليه أن يعتمد في نموذجه له على الاوصاف التي يرسمها له أقارب الميت من المقربين ، ولذلك كانت عملية النحت في غانة فنا ليس فيه عنصر الصدق والامانة التي تأتي نتيجة للملاحظة المباشرة ، فقد بذلك طابع التشويق والاصالة .

ومشاهدة المناظر العارية أمر تحرمه أيضا تقاليد المجتمع الغاني ، فغير جائز بالمرّة لاي رجل أن يركز نظره على أية امرأة عارية لا تكون زوجته - وحتى زوجته - لا يصح له رؤيتها عارية الا في الظلام الدامس ، وخلف

أبواب مغلقة ، ولذلك كن من المستحيل بالنسبة للفنان الغاني أن يوقف أمامه نموذجا يجرى عليه دراسته الاكاديمية الفنية ، وعليه أن يكتفى بالرمزيات الروحية والمعنوية والاشياء التي لا حياة فيها أو المظاهر الطبيعية ، أو الشخصيات التي يكونها من خيال الاسطورة . وخرافات الحكاية .

فن عمل التماثيل :

تخلف هذا الفن في مجال النماذج البشرية ، لان المثال كن مقيدا بالتأبؤ الذي يحرم عليه النظر الى شخص الزعيم ، كما كان نحت نموذج للمرأة غير ممكن أيضا ، والفنان الذي يعتمد في انتاجه على الوصف لا يأتي عمله ناضجا تماما .

هذا الى أن المذدة التي يشكل منها الفنان تماثله لم تكن متوافرة له دائما . . وقد تعود الفنانون في غانة أن يعمدوا الى الخشب ، فيصنعوا منه تماثيلهم ، وكثيرا ما كان هذا الخشب عرضة للتآكل ، والفناء بعد وقت قصير .

وهكذا لم يترك لنا المثالون الغانيون آثارا فنية مادية ، يمكن أن نعرف بها مستواهم في فن النحت والمثالة . أما الفنانة في غانة فلم تكن بحكم تقاليد قبيلتها حرة في أن تعبر عن أحاسيسها بأي شكل فني سوى هذه النماذج الفخارية أو الخزفية .

على أننا لانستطيع أن نفعل بعض العقبات التي حالت بين الفنان الغاني وبين اكتمال انتاجه ، وهي عقبات لم يكن مصدرها ضعف في مستوى مواهبه ، بل كانت من عدم وجود بعض أجهزته التي لو توافرت له لامكنه أن يقدم شيئا دقيقا . فلم تكن لديه هذه الحوامل والمقاعد التي يستعملها فنانونا المعاصرون ، لكي يتمكنوا من تثبيت نماذجهم عليها ، ولكي يضعونها في موقف واحد ، حتى يستطيعوا أن يدوروا حولها ، ويصطحوا أخطاءهم التي يكتشفونها عندما ينظرون من الابعاد الثلاثة المعروفة

ينظرون من الابعاد الثلاثة المعروفة . وكان الفنانون يكتفون بالنظرة من جانب واحد ، فيخرج عملهم ناقصا ، وصورهم غير باضحة . .

هذا الى أن الاجهزة التي كان يستعملها الفنان الغاني في فنه كانت من الاجهزة التي يصعب معها انتاج نماذج دقيقة ، فقد كان يستعمل ال « سوسو » أي القادوم ، وال « الاكامو » أي البلطسة ، وال « بيوا » أي المطرقة الخشبية ، وال « أسيكامبا » أي المبراة ، وال « نواني » أي السيف ، وال « ييريا » أي حجر النحت ، وال « غينني » أي آلة الثقب . .

ولم يكن من الممكن بهذه الاجهزة البدائية لساذجة أن يتطور فن صناعة التماثيل أو النحت تطورا ملحوظا . ولقد أصبح الفنان الغاني المعاصر ينظر الى هذه الاجهزة نظرتة الى شيء أثري قديم .

الفناء يصاحب العمل :

وعندما كان الفنان الغاني يجلس ليقطع مادته الخشبية بمنجله التقليدي ، كان يترنم بهذه الكلمات : « سيانا نانانوم يي نوفيري تيت اودو مانكوما » ومعناها : « هذا ماكان يفعله آباؤنا وأجدادنا السابقون منذ عصر آدم »

ولان الفنان الغاني لم تتح له فرصة دراسة موضوعه دراسة واعية ، مستوحاة من الطبيعة . فقد كان موقفه خطيرا لاحتياسه بالمشاعر الجياشة في داخل نفسه تجاه أسرار الطبيعة . دون أن يعبر عنها .

وعلى هذا فقد كان من الطبيعي أن يأتي عمله محكوما بالمشاعر القوية داخل نفسه . ومن ثم فإن انتاجه كأي انتاج آخر يقدمه الفنانون البدائيون في الدول الافريقية الاخرى يوضح المشاعر أكثر مما يوضح أي شيء آخر في الطبيعة يستحق الملاحظة .

تساوم الاستعمار



بقلم : الدكتور زاهر رياض

في جزر الهند الغربية وأمريكا . فكان الملك ايمانويل يصدر التعليمات الى رسله يقول فيها : « بالرغم من أن الهدف الرئيسي هو خدمة الله ومنفعة الملك . اشرحوا لملك الكونغو - كما لو كنتم تتحدثون باسمي - ما يجب أن يقوم به ليعملأ سفننا بالعبيد والنحاس والعاج » .

وبالرغم من أن أحدا لا يستطيع تقدير الرقم الحقيقي للزنج الذين رحلوا الى أمريكا للعمل في مزارعها الا أن العدد كان ولا شك كبيرا جدا . وقد قدره أحد المؤرخين البرتغاليين من واقع الوثائق البرتغالية برقم اجمالي هو ٣٨٦٠٠٠ رعايا عبيد من أنجولا فيما بين سنتي ١٤٨٦ و ١٦٤١ أي بمعدل تسعة آلاف من العبيد كل عام ولكن البرتغاليين لم يذهبوا وحدهم الى افريقية بل ذهبوا ومعهم بعثات التبشير من أجل نشر المسيحية بين القبائل الزنجية . ولم يلق هؤلاء المبشرون عنتا في تحويل هؤلاء الناس لان ملك الكونغو رأى في مقدم هؤلاء الاوروبيين فرصة سانحة قد تخدمه حين قدموا يحملون جديدا من المعرفة التي سوف تشيع الرخاء والرفاهية بين شعبه

ولكن أملة لم يلبث أن خاب . واذا كان قد عاش وهو يعاني الامل المحطم الا أن بأس ولده وخليفته المعروف بالفونسو الاول كان أشد وأقوى واذا كانت قد لاحت على المبشرين الاولين

كان الزنوج الافريقيون قد وصلوا الى مستوى اجتماعي مكنهم من التوصل الى زراعة مستقرة ناجحة في ظروف استوائية . كما وصل نظامهم الاجتماعي الى خلق نظام مركزي للحكم يرتكز على نظام وراثي واضح للرياسة وضعه رجال اقوياء يتزعمون قبائل قوية أخضعت غيرها من القبائل حين وصل اليها البرتغاليون في السنين الاولى من القرن الخامس عشر

في ظل هذا النوع من الحكم نعمت البلاد بالسلام بسبب استقرار سلطة الملوك حين دعمتها الصلات الملكية الوطنية . وكان ذلك في مملكة الكونغو التي كانت تضم ضفتي النهر عند المصب الى جانب الاراضي الممتدة على جانبيه مئات الاميال من الداخل . كما كان ملوكها أيضا يسمدون أرض اللوانجا شمالي النهر وبلاد أخرى أصغر منها فيما يسمى الآن أنجولا وكانت مساحة هذا كله لا تقل بحال عن مساحة فرنسا .

وقدم البرتغاليون فركزوا همهم في تجارة الرقيق ولم يتحولوا الى العاج والفضة والنحاس الا فيما بعد . ولكن هذه المعادن لم تكن وفيرة فظلت تجارة الرقيق تجارتهم الرئيسية وكانت مجزية كل الاجزاء فقد كان الطلب على العبيد لا ينتهي من أجل العمل في المناجم والمزارع

بوادير الخير فقد لاحت على من قدم بعدهم بوادر الشر وحده . فقد رأى هذا الملك كيف قوبل بالخديعة والغش والخيانة المرة بعد المرة ، فقد وضع ثقته في هؤلاء المبشرين وراح يلح في طلب ارسال مبشرين جدد كما أرسل أهله الى البرتغال حتى يتدربوا في سلك القساوسة فلا يبلغون لشبونة ولكنهم يحملون الى أمريكا ليباعوا فيها بيع الرقيق .

وينجح في سنة ١٥١٨ في أن يجعل ابنه يرسم أسقفا في المدينة الخالدة (روما) ويتخطى ملك البرتغال ويبعث بالنداءات المباشرة الى البابا لينقذه من هذا البلاء فلا تغنى نداءاته شيئا وتظل مملكة الكونغو معرضة لنفوذ الارساليات الاوروبية أكثر من مائتي سنة دون انقطاع ولكن حينما يبحث المرء عن نتائج كل هذا الجهد لا يرى الا عجبا . اذ لم يجد الفونسو الافريقى أو أحد من خلفائه أى عون حقيقى من الكنيسة في مواجهة هذه الفظائع لانها كانت راضية عن نصيبها من الاسلاب حين قنعت بتعميد العبيد المرسلين الى أمريكا (حتى يتيسر انقاذ ارواحهم)

صحيح ان الاساقفة كانوا يصرون على أن تحمل كل سفينة ناقلة للعبيد قسا يصحبها في رحلتها بين القارتين وهى الرحلة البحرية القاتلة بين رحلتين على الاقدام . الرحلة الاولى من الغابة الى ساحل المحيط الاطلسى والرحلة الثانية من السفينة الى المزارع ومن الطبيعى أن لا تجتذب هذه الرحلة سوى عدد ضئيل من الكهنة الفقراء وهكذا فشلت الكنيسة الاوروبية في مهمتها على ضآلتها واخيرا لم تجد الكنيسة سوى أن يجلس الاسقف على مقعد حجرى على الرصيف البحرى في لواندا ليقوم بعملية تعميد هؤلاء البؤساء وهم يمرون في زوارقهم وهكذا يلج العبيد ديانة الرجل الابيض .

وقد بلغت ضريبة التعميد في القرن السابع عشر ثلاثمائة دولار دفعها تجار الرقيق عن كل رأس

وهكذا اشتركت الكنيسة الاوروبية في توطيد تجارة الرقيق قرابة قرنين من الزمان كما اشتركت في توطيد أركان الاستعمار الغربى في افريقية من أجل (نشر كلمة الخلاص)

في مثل هذا الوقت تماما نزل البرتغاليون أيضا بساحل اثيوبيا الشرقى أيام حكم الامبراطور جلاوديوس فقد اتخذت الولايات الشرقية تحت زعامة الامام احمد بن ابراهيم واجتاحت اثيوبيا كلها شمالا وجنوبا وشرقا وغربا وأصبح الامبراطور لينا دنجل يفد من بلد الى بلد تلاحقه جيوش الشائرين المنتصرة حتى مات وهو في أسوأ حالات البؤس والعوز

وكان قبل وفاته قد أرسل بعثة برياسة كوفلهام (الذى كان رسولا للملك ايمانويل ملك البرتغال الى امبراطور اثيوبيا فاستبقاه الامبراطور بها فمكث وتزوج من سيدة وطنية وأصبح له مركز ممتاز) الى ملك البرتغال من أجل طلب المساعدة الحرية ، ومن أجل التغلب على الثورة . واخرى الى الباياء كلمنت السابع يعترف له بتبعية الكنيسة الاثيوبية للكنيسة الغربية .

ومن الطبيعى أن يعارض رجال الدين الوطنيين وكذلك بطريرك الاسكندرية ومطران اثيوبيا المصرى آنذاك هذا الاتجاه . فقد كانت هذه الخطوات هداما صريحا لمعتقداتهم كما كانت مؤذنة بزوال سلطانهم ونذيرا باحتلال أجنبى لم يعرفوه من قبل وكانت نتيجة هذه الوفادة ان وصلت معونة برتغالية مكونة من أربعمائة وخمسين جنديا برتغاليا يقودهم كريستوفر دى جاما . ومعهم بعثة دينية يرأسها الاسقف جان

برمودز وكان ذلك أيام الامبراطور جلاوديوس .

وبدأت هذه القوة في الاحتكاك بالجيوش الثائرة - وهى وان هزمت في المعركة الاولى الا انها استطاعت ان تقضى على الثورة وتعيد الى الامبراطور سلطته

وعاد الامبراطور جلاوديوس الى قصره بعد انتصاره الأخير على جيوش الثوار ليجد رعية جديدة تصل من ملك البرتغال برئاسة **رودريجز** ينحصر طلبها في أن يعترف جلاوديوس بحماية البرتغاليين له . كما يعترف بتبعيته الى الكنيسة الغربية بعد أن يقطع علاقته بالكنيسة المصرية التي لا تستطيع حمايته .

وبدأ الكاثوليك فنشروا عدة كتب باللغة الامهرية شرحوا فيها مذهبهم كما بدأوا بالانجيل وترجموه الى اللغة الامهرية . فشعرت الكنيسة المصرية كما شعر الكهنة الوطنيون انهم امام هجوم منظم يرمى الى النيل من كنيستهم وتحقيرها . كما يرمى الى دفعهم الى ايدى البرتغاليين يستعبدونهم . فركزت الكنيسة المصرية همها للوقوف في وجه هذين الغرضين ، ولكى تحول بين البرتغاليين واستعمارهم لاثيوبيا . فكان أن بدأت حركة أدبية لم تشهدها البلاد من قبل من أجل ترجمة الانجيل والكتب الدينية الى اللغة الامهرية ترجمة صحيحة . ولم يكن الامبراطور جلاوديوس أقل من شعبه غيرة على استقلال بلاده وحفظ مذهبهم فلم يتردد في النزول الى ميدان التأليف دفاعا عن بلده وعقيدته . فوضع لذلك كتابه المشهور (الاعتراف بالايان)

ازاء هذه المقاومة غير المنتظرة لم يتعفف البرتغاليون تعضدهم الكنيسة الغربية عن خلق ثوار جدد وتشجيعهم

ومدهم بالمؤونة والسلاح اذا ما اطمأنوا الى أن هؤلاء الثوار ستوف يكونون عوناً لهم على تنفيذ مآربهم . وكذلك لم يترددوا في أن يمدوا بأيديهم الى الاتراك الذين كانوا قد استقروا في الساحل من أجل محاولة غزو اثيوبيا وكانت مساعدتهم للثوار واضحة

الى حد أن دعا الامبراطور الجديد ميناس المطران البرتغالى الى مقاتلته وأمره في لهجة قاسية أن يوقف نشاطه وأن يترك البلاد . وهكذا وقفت الكنيسة المصرية مزودة بقوة ايمانها مجردة من كل قوة حربية لتحول دون استعمار البرتغاليين لهذا الركن من افريقية ولتحول دون استعبادهم لاهله . ولو قد فعلوا لما كان حظ الاثيوبيين يختلف عن حظ اخوانهم سكان الكونغو ولحمل الاثيوبيون في مراكب العبيد ليعملوا في حقول البرازيل . ولاكتفت الكنيسة البرتغالية بالجلوس في ميناء زيلع لتعميد الراحين نظير رسوم معلومة !

واذا كان البرتغاليون والكاثوليك قد طردوا هذه المرة من اثيوبيا الا أنهم لم ييأسوا فقد أخذوا يحاولون العودة الى البلاد مرة أخرى . من أجل تنفيذ غرضهم ، وتحالفوا من أجل ذلك مع زيمور باشا حاكم مصوع على أن يسهل لهم العبور الى داخل البلاد نظير دفع رسوم معينة .

ونجحوا أخيرا في الوصول الى العاصمة أيام الامبراطور سوسنيوس ووجدوا فيه أكبر عون على تنفيذ ما خيل اليهم انه السياسة البرتغالية الكاثوليكية . واقتنع سوسنيوس بما همسوا له به فاعتنق المذهب الكاثوليكي ولم يلبث ان جاهر الاسقف البرتغالى بانز بهذا الاعتراف . وأعلن تصميمه على فسخ الرابطة التى تربطه بالكنيسة المصرية . ولما انتصر على ثورة أحد

الثائرين عد ذلك فألا حسنا ، وايدانا من الله للجهر بمذهبه . فذهب الى اكسوم ومعه رجال دولته وأعلن هناك انفصاله عن المذهب السكندري وأصدر مرسوما بذلك الى رعيته .

ومن الطبيعى أن يثير ذلك حنق رجال الكنيسة الوطنية فتلفتوا يبحثون عن أعداء الامبراطور يدفعون بهم الى الثورة ومن الطبيعى أيضا ان يتخذ هؤلاء الاعداء من رجال الدين الوطنيين وعلى رأسهم الانبا سمعان المطران المصرى اداة ليبرروا بهم ثورتهم امام الاهالى المتمسكين بعقيدتهم . والذين رأوا فى البابا ملكا أجنبيا وامبراطورهم تابعا له . ورأوا أنفسهم وقد أصبحوا تابعين لدولة أجنبية فاشتعل شعورهم بالغضب من أجل كنيستهم ومن أجل استقلال بلادهم الذى كاد يضيع . ولم تتردد الكنيسة المصرية فى الوقوف فى وجه الامبراطور مادام قد حنث فى يمينه الذى أقسمه أمام المذبح يوم توجه المطران المصرى وسأله عما اذا كان يعد بالمحافظة على المذهب الارثوذكسى على شعب أثيوبيا فاجاب بالايجاب . فاشتعلت البلاد بالثورة يقودها المطران . فقام فى الشرق يمانا كرستوس كما قام زوج ابنة الامبراطور كما ثار جبريل ابن الامبراطور ملك سجد . وقام عمدا صيون يطالب بالعرش فالتف الناس حوله ونصروه واستطاع أن يهزم الجيش الامبراطورى فى أكثر من معركة . ولم يكن فى استطاعة هذا الثائر جمع هذا الجيش الضخم أكثر من مرة والتفاف الاهالى حوله لولا استعداد الشعب يؤيده رئيسه الدينى لمنصرة كل غاضب من أجل كنيستة واستقلاله . واذا كان الامبراطور قد تمكن من سحق هذا الثائر وقتله فان ذلك لم يمنع غيره من الثوار من أن يقوموا بالثورة واشتعلت البلاد بالثورات من أقصاها الى أقصاها كل

تنادى بعزل الامبراطور الخائن الذى باع استقلال بلاده ومذهب كنيستته . وقاد الامبراطور جيشه يحاول أن يسحق به هذه الثورات ولكنه وجد منه تهاونا وتخاذلا خاف أن يؤدى الى الهزيمة . وهنا اطلعه ابنه على سبب هذا التخاذل وهو أن الجيش الامبراطورى المخلص مستعد أن يسير معه الى أقصى الارض ولكنه لن يفعل ذلك قبل أن يرد الامبراطور الى الشعب مذهبهم ويطرد هؤلاء المبشرين رسل الاستعمار الاجنبى . فلم يملك الامبراطور الا أن يعدهم بذلك اذا انتصر .

وكان لهذا الوعد أثره فهجم الجيش وصدق فى الهجوم حتى شنت الاعداء بعد أن قتل منهم ثمانية آلاف . فلم يملك الامبراطور الا أن يعلن مرسوما جديدا يرد به الى شعبه مذهبهم القديم ويعين ابنه فاسيلا داس خلفا له . ويعتزل هو الحياة فى دير ليقضى فيه بقية عمره .

وحينما ارتقى فاسيلا داس العرش كتب الى البطريرك البرتغالى يأمره وقساوسته من اليسوعيين أن يتركوا البلاد ليخلى مكانه للمطران المصرى فخضع للامر . ولكنه فى نفس الوقت عمل على أن يتصل بملك اسبانيا ليرسل له جيشا لنصرته ولكن هذه المحاولة فشلت أيضا كما فشلت محاولات أخرى بذلها . فلم يلبث أن وصل الى مصوع حتى بيع هو ومن معه الى من نقلهم الى سواكن حيث افتدوا أنفسهم بالمال . ووقفت الكنيسة المصرية مرة أخرى الى جانب شعب أفريقى تمنع وقوعه فريسة فى يد الاستعمار الاوروبى .

وفى النصف الثانى من القرن التاسع عشر تصارع النفوذان البريطانى والفرنسى فى أفريقية وكل ما عيننا هنا هو أثيوبيا ومصر . فقد اعترفت انجلترا بالامبراطور

تيودوروس وأرسلت الى بلاده بعثة تبشيرية تمهد لنفوذها في حين اعترفت فرنسا بالرأس ووبى في تجرى وأرسلت اليه بعثة سياسية من أجل اقامة علاقات بينهما وظهر هذا الصراع جليا أيضا في مصر حين منحت فرنسا تأييدها لسعيد من أجل شركة قناة السويس بينما عارضت إنجلترا هذا الاتجاه وسعت لدى الباب العالي من أجل وقف المشروع في الوقت الذي ساءت فيه العلاقات بين أثيوبيا ومصر من أجل الحدود . وزاد من حدة الخلاف تنقل القبائل البدوية الضاربة في تلك الانحاء بين الدولتين بحثا عن الكلا ولجأ بعضها الى السلب والنهب وعجزت الحكومتان عن وقف نشاطها . وعول سعيد من جانبه على ارسال حملة تأديبية تعيد الهدوء الى هذه الاجزاء وسعت الدولتان الاوروبيتان الى اذكاء الخلاف من أجل مصلحتهما بينما أرسل الباب العالي الى سعيد يثنيه عن عزمه . فلجأ سعيد الى الكنيسة المصرية صاحبة العلاقات التقليدية بين مصر وأثيوبيا فأرسل كيرلس الرابع الذي يتيح له مركزه كبطريرك للاسكندرية وأثيوبيا والنوبة والخمس المدن الغربية أن يتدخل في الامر . فسافر البطريرك الى أثيوبيا في سبتمبر سنة ١٩٥٦ فازعج ذلك كلا من إنجلترا وفرنسا اذ تخشى الاولى انهيار كل مابذلته بعثاتها التبشيرية من تمهيد لنفوذها . كما كانت تخشى الثانية أن يتوج البطريرك الامبراطور تيودوروس فيقضى على المتنافسين ومنهم رجلها . ولذا أوعزت الدولتان الى الامبراطور بأن زيارة البطريرك ليست الا ذرا للرماد في العيون كي ينتهز سعيد فرصة وجوده هناك ليغزو أثيوبيا - وكان سعيد قد سافر الى السودان زيارته المشهورة التي أعلن فيها مراسيمه

الاربعة واصطحب معه جيشه . ولقيت هذه الدسائس صدى في نفس الامبراطور فأهان البطريرك وأسماء معاملته . ولكن الرجل عرف كيف يعيد المياه الى صفوها السابق ويثبت حسن نية مصر بعد أن انسحبت الجيوش المصرية من الحدود بناء على رغبته الى سعيد . فاعتذر الامبراطور الى البطريرك وبعث بالهدايا الى سعيد الذي أحسن استقبال الوفد الاثيوبى وبذلك ذهبت مجهودات المستعمرين سدى وخلصت كل أثيوبيا ومصر لاهلها في ذلك العصر بفضل الكنيسة المصرية .

وفي الثلث الاول من القرن العشرين احتلت ايطاليا أثيوبيا وأرادت أن تتخذ من الكنيسة المصرية سندا لها . وأغرت المطران المصرى بتنصيبه بطريركا على كنيسة أثيوبيا اذا قبل الانفصال عن كرسي الاسكندرية معتمدا على ايطاليا . فأبى ايمان المطران كما أثبت وطنيته أن يكون خنجرا مسموما موجهها الى قلب أثيوبيا ورفض العرض حتى اذا قامت الدولة بفصل الكنيسة الاثيوبية وقفت الكنيسة المصرية - كعهدها - في وجه هذه المحاولة . وأصدرت مرسوما بحرمان كل أثيوبى يشترك في هذه المهزلة ويتعاون مع المستعمرين . ووقفت الكنيسة المصرية مجردة من كل سلاح الا سلاح الحق والايمان في صف المجاهدين من أجل حرية الشعب استغلالها عادت معه الكنيسة المصرية لتقود الشعب في طريق الحرية . الاثيوبى . حتى اذا استعادت أثيوبيا فكانت الكنيسة المصرية دائما تقف في وجه الاجنبى الدخيل الذي يحاول سلب الشعب وتجريده من كل شئ ، لا سلب ايمانه فحسب بل حريته واستقلاله .

من الطيور الضعيفة يعد من أعظم جنود الله في اهلاك من يريد هلاكه من البشر » .

والحديث هنا في كلا التفسيرين لم يتعرض للفيل الذي صحب الجيش . . . يقول الكونت روسيني المستشرق الايطالى : ان الفيل نسبة الى اسم ملك اكسوم فى القرن الثالث ، الملك افيلاس (افيل) ، على ما يطلق عليه العرب فى ذلك العصر ، عندما قام بغزو اليمن . ومعنى هذا . . . ان روسيني يقول ان أصحاب الفيل هم جنود الملك افيلاس ، ولكن السير (و. جوورز)

يقول فى بحث قيم له بعنوان « الفيلة الافريقية ، والمؤلفون القدامى » : « . . . ولكن لا يوجد ما يمنع من أن الاحباش قد دربوا الفيلة لاستخدامها فى الحرب ، فقد كانت هناك مراكز تدريب فى عصر البطالة لتدريب فيلة الغابات (٢) » .

فقصة الفيل وثيقة الصلة بتاريخ الصراع بين الاحباش والعرب فى تاريخ سابق للإسلام ، ولكن الواقع أن سورة «الفيل» - السورة ١٠٥ من القرآن الكريم (٢٧) - كان لها دورها الهام فى حوادث الاجيال التابعة لانتشار الاسلام منذ خروجه من الجزيرة العربية متجهاً للغرب أو للجنوب الغربى ، وخاصة فى هذا الركن من شمال شرقى افريقية .

على أننا لو بدأنا الحديث من هذه النقطة لكنا كمن وثب وثبة واسعة حتى ص ٤١ من كتاب تريمجهام . ومن الضروري أن نعود من جديد لنبدأ فى التنظيم العادى الذى عرضنا

الكعبة حتى لا يجد العرب غير تلك الكنيسة فجهز جيشاً كبيراً وتوجه الى مكة ، واستصحب معه فيلاً ضخماً ليرهب به قريشاً ، وسار يقهر من يلاقيه فى طريقه حتى قرب من مكة فعسكر خارجها ، وأرسل الى أهلها يخبرهم بأنه لا يريد حربهم ، وإنما جاء ليهدم الكعبة ، فإذا تركوه يفعل ما يريد فإنه لا يمسهم بسوء ، فخافه أهل مكة وفروا الى الجبال . وفى هذا الحين أصيب جيش أبرهة بما ألقى فى قلوبهم الرعب ، ومات أكثرهم شرميتة .

فهل كان منشأ هلاك هذا الجيش هذه الحجارة نفسها؟! أو ما علق بها من مخلوقات قتالة ، لاتدركها الابصار ؟

قال بعض علماء التابعين : ان ما أصاب جيش أبرهة كان مرض الجدري ، وقال ان هذا كان أول جدري حدث ببلاد العرب ، وكان شديداً حتى تساقط لحم من أصيب به ، والله أعلم (١) .

وقد أضاف المرحوم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده فى تفسيره لجزء « عم » (٢) بعد أن نقل تفصيل الاصابة بالجدري والحصبة عن عكرمة ويعقوب ابن عقبة : « فيجوز لك أن تعتقد أن هذا الطير من جنس البعوض أو الذباب الذى يحمل جراثيم بعض الامراض ، وأن تكون هذه الحجارة من الطين المسموم اليابس الذى تحمله الرياح فيعلق بأرجل هذه الحيوانات ، فإذا اتصل بجسد دخل فى مسامه فأثار فيه تلك القروح التى تنتهى بافساد الجسم وتساقط لحمه ، وأن كثيراً

(١) ص ٨٢٢ « المصحف المفسر » لفصيحة الشيخ عبد الجليل عيسى طبع القاهرة .

(٢) الطبعة الثانية ص ١٢٠ كتاب الشعب .

(٣) مجلة الشئون الافريقية . العدد ٤٧ ص ١٧٣ - ١٨٠ .

فيه كتابه الاول عن الاسلام في السودان .

الكتاب والكاتب :

والكتاب هو الكتاب الثانى من سلسلة دراسات تريمنجهام عن الاسلام في افريقية ، مستهدفا - كما قلت - دراسة تاريخ ومعتقدات الشعوب الافريقية . وفي هذه المرة يعنى بالمنطقة التى تقع فيها اليوم ايرترية ، وامبراطورية الحبشة ، وبلاد الصومال . . . البلاد التى تكون «الصومال الكبير» ، والتى كانت - الى وقت قريب - تتبع الادارة البريطانية والفرنسية والاطالية . . . ولهذا يكون الكتاب فى الواقع اوسع مدى من العنوان الذى وسم به ، وان كان المؤلف قد أشار الى هذا على أساس أن دراسته (محاولة للتعريف بتاريخ واتجاهات الاسلام فى الحبشة التى يقال لها اليوم اثيوبيا ، والمناطق الثقافية المجاورة لها . وكما هى العادة بالنسبة للاسلام ، فان الدين والثقافة يكونان معا وحدة لا تنفصل ولا تنقسم) .

على أن من الضرورى أن نذكر أن المؤلف ، سبنسر تريمنجهام ، كان أصلا من رجال الدين ، وكان أحد أفراد البعثات التبشيرية البريطانية التى نزلت السودان منذ زمن بعيد ، فكان عمله الدينى هو الدعاية التى قامت عليها صلاته بالجماعات القبلية وبجماهير الناس لخدمة الادارة ، ولعائنة المكتب السياسى فى الخرطوم . والعمل فى البعثات الكنسية طابع من الطوايع الخاصة فى الاستعمار البريطانى ، وقصته معروفة فى افريقية وخاصة فى حوض النيل قبل لوجارد واستعمار أوغندا .

ويكشف لنا هذا عن مدى خلط تريمنجهام بين الدين والسياسة عن قصد ، وكيف خلط بين العمل لنشر

الدين بوساطة التجار والرحالة الاولين ، وبين الصراع على الحدود فى الحروب بين اسماعيل ويوحنا (جون) ، والقتال فى حكم الامام المهدي وخليفته عبد الله التعايشى بين السودانيين والاحباش ، وكيف وجه عمليات اسماعيل لتأمين الطريق الى الامبراطورية الافريقية بين ساحل البحر ، وقلب القارة ، وأتأمين الحدود الجنوبية الشرقية فى حكم التعايشى . . على أنه صراع بين المسيحية والاسلام .

ولهذا قد يكون من الضرور أن أوضح أن المؤلف قد عنى العناية كلها بايضاح كيف صاغ الاسلام حياة السكان الرحل ، وحياة أنصاف المتحضرين ، فى اقامة أشبه بالدائمة ، وكيف أنهم بدورهم صاغوا الاسلام الذى اعتنقوه ، ثم خرج الى الدولة المسيحية فى الحبشة ، التى بقيت لاربعة قرون محاطة بشعوب اسلامية فعرض لما قام بينها من صراع اعتبره صراعا بين حضارتى المسيحية وحضارة الاسلام .

والواقع أننى أتفق مع المؤلف فى أن اعطاء صورة واضحة لنفوذ الثقافة الاسلامية فى مثل هذه المنطقة الفسيحة ، يعتبر عملا معقدا متداخلا الحلقات . . . ذلك لان الحديث عن الاسلام فى الحبشة يرتبط بعدة عوامل هى :
* استعمار الساميين من الجزيرة العربية لارض الحبشة وشرقى افريقية .

* امتداد مملكة اكسوم واتساعها .
* انتشار مراكز التجارة اليهودية وعملها كمراكز للتبشير لشريعة موسى .

* وصول المسيحية مع التجار من شمال افريقية ، ومع بحارة السفن التجارية القادمة من البحر المتوسط .

* غزو الحبشة لليمن وجنوب الجزيرة العربية ، واحتلال صنعاء ،

الميناء ذى الحركة التجارية مع الشرق والغرب .

* الاصطدام بالعرب قبل الاسلام .
* ظهور الاسلام واعتباره نقطة التحول في تاريخ المنطقة .
* ميلاد الامة الحبشية ، ونشأة الدول الاسلامية في شأوا مع التاريخ للسلطين المسلمين .

* الغزو الاسلامى فى القرن السادس عشر ، ودور القتال بين آل عثمان وملوك البرتغال فى بحر العرب .
* الهجرات القبلية وخاصة هجرة الجالا .

* سقوط مملكة هرر وتصفية التهديد العثمانى .

* العزلة الاقليمية والدعاية الرومانية .

* نهضة الاسلام فى القرن التاسع .
* الدول الاوروبية وتدخلها فى المنطقة وصلتها بتطور الحبشة .
وعند هذا تصل بنا القصة الى العصر الحديث .

ومع أن جزءا من المنطقة التى يعرض لها « تريمنجهام » بالبحث قد غمرتها مؤلفات كتاب آخرين أمثال : « كارلو كونت روسينى » و « انريكو سيروالى على التخصيص ، فان تريمنجهام قد أسهم الى حد كبير فى تفهم عمق نفوذ الاسلام فى المنطقة كلها ، وهو من أجل هذا قد قسم كتابه الى أربعة أقسام رئيسية هى :

١ - المنطقة وشعوبها ، حديث عن الارض والناس .

٢ - الصراع بين المسيحية والاسلام .

٣ - لتوزيع القبلى للمسلمين .

٤ - الظواهر الخاصة للاسلام فى المنطقة .

وهكذا يكون الرجل قد تعقب فى ثلاثة أقسام رئيسية من كتابه ، تاريخ كفاح الاسلام ضد أنصار الكنيسة المسيحية التى تكونت فى القرن الرابع الميلادى ، أى قبل ثلاثة قرون من ظهور الاسلام فى بلاد العرب .

يقول روبرت بوم فى تقده لكتاب تريمنجهام (١) : « ويبدو أن تريمنجهام فى كتابته للقسم الثانى من كتابه ، لم يكن على علم بتحرر الاجراء من عامة الناس ، ولا باعادة تنظيم المجتمع القبلى فى منطقتى (ناسفا) و (أجوردات) بوسنطة الادارة العسكرية البريطانية باريتريا سنة ١٩٤٨ .

وأبرز ما فى كتاب تريمنجهام ، ايضاحه لتطور استهواء الاسلام للجماعات من الرحل ، ثم من أنصاف المتحضرين فى المنطقة العالية فى شمال الحبشة وايريتريا ، وحيث لا يمكن أن يضىء الاسلام ويتألق بدرجة أكبر مما للتعاليم والمعتقدات الوثنية اجتذب الاسلام الناس بالقصص الاسلامى وبالاسس للنظم الدنيوية طبقا للتشريع الذى فى صلب الدين . ولكن فى الحبشة وحدها واجه الاسلام منافسا قويا فى الكنيسة المسيحية التى كانت رمزا القومية الحبشية ، هذا الرمز الذى قوى من اصرار سكان الهضبة على مقاومة كل جهود الغزو الاسلامى !!»

على أنه فى ضوء التقسيم الذى قدم فيه تريمنجهام كتابه يجب أن نعرض له بالبحث اليوم فقط . . ومن الضروري أن نوضح هنا أن هذا العرض سيقصر على مناقشة تطور الاسلام فى الحبشة ، والجماعات

(١) ميدل ايست جورنال طبع أمريكاشياء سنة ١٩٥٣ مجلد ٧ العدد ١ ص ١١٣ . «روبرت بوم» متخصص فى الشؤون الافريقية بادارة الابحاث للشرق الادنى وجنوب آسيا وافريقية فى وزارة الخارجية الامريكية .

الاسلامية فيها ، دون الخروج بالبحث الى النواحي الفرعية الاخرى التى اطالت من دراسة تريمنجهام ، وأوضح محاولته للخلط بين الدين والسياسة فى اكثر من مكان من كتابه الكبير .

الارض والناس :

والحديث عن الارض والناس فى دراسة « الاسلام فى الحبشة » أعقد منه فى دراسة مثل دراسة « الاسلام فى السودان » ، ذلك لان الاصطلاح « شمال شرقى افريقية » يستخدم فى صور متعددة متباينة ، على أنه فى كتاب تريمنجهام يمثل المثلث العظيم الذى يحد من الشمال الشرقى بالبحر الاحمر وخليج عدن ، ومن الجنوب الشرقى بالمحيط الهندي ، ومن الجنوب بكنيا ، ومن الشمال الشرقى والشرق بالسودان . وفى هذه المنطقة الفسيحة توجد خمسة أقاليم رئيسية هى :

١ - الهضبة الشمالية : وتقع فيها أرض التيجرى وأمهرة وجوجام وشاو .

٢ - وادى الشق الشرقى الذى يجرى من منخفض الدناقل .

٣ - منخفض الدناقل الذى يحد من الشمال والشرق بالسلسلة الجبلية التى تلاصق الساحل حتى خليج تاجورا ، ومن الجنوب بجنال هرر ، ومن الغرب بحافة الهضبة الحبشية .

٤ - الكتلة الوسطى بين منخفضى الوادى الشقى وهضبة الجبال - صومالى .

٥ - هضبة الجالا - صومال : وتنقسم الى ثلاثة أقاليم منفصلة هى :

الهضبة الداخلية - الهضبة الوسطى - الاقليم الساحلى . ومع أن هذه المنطقة تتعرض لخمسة

أجواء متباينة ، ففيها الجو الحار القليل الامطار فى الشتاء عند الساحل الاريتري . وفى الجنوب الشرقى على ساحل المحيط الهندي جومماثل غير أن الامطار القليلة تتساقط صيفا . وفى الوسط والجنوب والغرب يمتاز جو « أوجادين » ومنطقة بحيرة رودولف بحرارة شديدة وبمطر قليل . أما فى الشمال الغربى فان الجوالحبشى يسيطر على كل الهضبة التى تحمل ذلك الاسم وتتفاوت درجة الحرارة من القيقظ اللافح الى البرد القارص . ومع هذا يمكن اجمالاً القول بأن الاقاليم المرتفعة تتعرض لموسم مطير من ابريل الى سبتمبر ، أما الفترة من أكتوبر الى مارس فمعدومة الامطار عدا أرض « شاوا » و « كافا » و « جيمبا » و « جيمبرا » حيث تسقط الامطار فى أى وقت من السنة . أما فى المنحدر الجنوبى الشرقى والمتجه نحو المحيط الهندي ، وكذلك فى الجزء الاكبر من (بوران) فان موسم الامطار ينقسم الى قسمين : من مارس الى مايو ، ومن أكتوبر الى نوفمبر .

وتتوافر فى المنطقة أيضا كل صور التباين الجيسى والثقافى واللغوى ، ومع أن الكلمة التى ترمز الى السكان فى تعريف العرب « حبشى » تعنى « الخليط » ، الا أنها فى الواقع لا تكفى لحقيقة وصف حال السكان . ونحن لانعرف الا القليل عن السكان الاولين الذين كانوا يقيمون فى الاراضى المنخفضة تاركين المرتفعات غير مسكونة . وفى تاريخ غير معروف غزيت افريقية بموجات حامية - قوقازية جاءت من جنوب بلاد العرب . وترجع هذه الموجات الى نفس المجموعة التى منها أكثر أهل أوروبا ، ويعتبر المصريون فى عهد ما قبل الاسرات ، و « البجة » اليوم أحسن من يمثل هذا الجنس . ويعرف حاميو شمال شرق افريقية هؤلاء الناس باسم « كوشيت » .

المنطقة	مسلمون	مسيحيون	وثنيون	جملة السكان
اريتريا - أثيوبيا	٣٥٩ر٠٠٠	٣٩٠ر٠٠٠	١٦ر٥٠٠	٧٦٥ر٥٠٠
الهضبة الحبشية	٣٠٠ر٠٠٠	٢٩٠ر٠٠٠	—	٣٢٦ر٠٠٠ (٢)
الجالا	٥٠٠ر٠٠٠	٢٠٠ر٠٠٠	٨٠٠ر٠٠٠	١٥٠٠ر٠٠٠
هرر	٧٨٠ر٠٠٠	٣٠٦ر١٧٠	٤١١ر٦٦٣	١٥١٧ر٨٥٣
الدناقل	٥٠ر٠٠٠	—	—	٥٠ر٠٠٠
ش. غ. مارجين	٧٥ر٠٠٠	—	٨٠ر٠٠٠	١٥٥ر٠٠٠
ج. ع. مارجين	٤٠ر٠٠٠	٥٠ر٠٠٠	٤٠٠ر٠٠٠	٤٩٠ر٠٠٠
الصومال الكبير (١)	١٤١ر٣٩١	٢٠٠	١٠ر٠٠٠	١٥١٥ر١٠١
	٣٢٤٥ر٣٩١	٣٨٤٦ر٣٧٠	١٧٣٨ر١٦٣	٨٨٨٩ر٩٢٤

القرنان الثالث عشر والرابع عشر ، وعرفت المنطقة الوسطى الداخلية المسيحية ، فنشأت حضارتان احدهما تلاصق ساحل البحر الاحمر ، ثم تدور للجنوب مع سير المحيط الهندي ، والاخرى للداخل مع منابع النيل الاعظم الشرقية .

توزيع الدين :

وكما أن شمال شرقى أفريقيا يعتبر « معرضا » متحفا للسلاطات واللغات ، فهو كذلك منظمة اختلاط ديني . ومما لاشك فيه أن هذه المنطقة التي كان يعيش « الكوشيت » الحاميون فيها أصلا قد تأثرت بالامتزاج الديني ، بسبب قربها من الشرق الأدنى ، مكان وموطن الاديان الثلاثة . . ولهذا فان المسلمين والمسيحيين أكثر عددا من الوثنيين ، وكحديث عام ، فان توزيع الاديان في المنطقة هو كما يلي :

على أنه يجب أن يعرف أن اب الدين في هذه المنطقة ، كما هو في كل الشعوب البدائية ، أقرب الى الممارسة

على أنه عن طريق التزاوج أوجدت مجموعات من الزنوج الحاميين : أي الزنوج الذين تتوافر فيهم دماء حامية ، وتتابعت الموجات . . كل تدفع الموجات التي سبقتها للداخل نحو أرض الزنوج ، ثم جاءت موجات أخرى من الساميين من جنوب الجزيرة العربية بين القرن العاشر والقرن الرابع قبل الميلاد ، وعدلت هذه الموجات من كل صور الحياة الثقافية لسكان الاراضى العالية . وقد انتشر هؤلاء الساميون في الهضبة العالية للشمال ، ولما كان هؤلاء يعملون في زراعة الارض ، فقد استقروا حيث هم . كما نزلت جماعات منهم للجنوب ، واندفعت جماعات أخرى للجنوب الشرقى حول هرر . ويوضح تاريخ الهجرات في المنطقة : أن من الممكن لمجموعة صغيرة من المهاجرين أن توجد في ظروف خاصة تغييرا كبيرا في الحياة الثقافية للبلاد ، وخاصة بين المستوطنين المستقرين المرتبطين بالارض .

وقد تأثرت البلاد فترة طويلة بالآثار الاسلامية ، حتى كان

(١) الصومال الصغير . المناطق التي كانت تعرف باسم الصومال البريطاني والفرنسي والایتالي .
(٢) فيهم ٦٠ر٠٠٠ من « الفلاشا » .

وعاداتها ، وحتى في احتفالاتها . ولم تؤثر في الحياة المعنوية للاهلين الا بأقل ما يمكن من صور التأثير (ص ٢٣ من الكتاب) .

على أن هذه العزلة الجغرافية جعلت الارض كلها بمعزل عن تطورات التقاليد الكنسية في باقى العالم المسيحى ، ولم تغب صورة العبادة الوثنية من حياة الناس ، بل بقيت في الظلال الخلفية كصورة مبسطة لآلهة الخير والشر . ولم تعمل الكنيسة على مقاومة العناصر الوثنية ، بل أن بعض رجال الدين ظلوا يعتقدون بسطوة هذه الآلهة الوثنية ، ويعملون كأساطين للسحر .

يقول الدكتور (سيروللى) أن آلهة القبائل الكوشيتية في جنوب الحبشة - الارض التى غزاها الاحباش - بقى الغزاة والمغزون يعتقدون في آلهة الوثنية ، وكأنها تابعة للاله الاكبر الذى يؤمن به الغزاة (ص ٣٧) ، بل الاكثر من ذلك أن المسيحيين ظلوا يتبعون تعاليم الموسويين ، وخاصة في مسائل التفرقة بين الذبائح (الكثير) و (الطريف) ، وكذلك في الواجب على الرجل أن يتزوج أرملة أخيه ، وفي احترام (السبت) احترامهم ليوم الأحد .

الاسلام :

والمنطقة مدار البحث في كتاب تريمنجهام تحيطها بلاد اسلامية ، فالاسلام دين شمال السودان ومصر وبلاد العرب وكل المنطقة الساحلية في شمال شرقى أفريقيا ، ثم ان النفوذ الاسلامى من أيام النبى عليه الصلاة والسلام اتصل بهذه الارض منذ نزلها المهاجرون الاولون من طغيان قريش ، على أن دراستنا للاسلام في الحبشة يجب أن تجيء في ثلاثة أقسام :

القسم الاول - القسم التاريخى . لنوضح كيف جاء الاسلام ، وكيف

من أن يكون عقيدة وايماننا (!!) ولهذا فإن أول ما يعنى به المسلمون والمسيحيون على السواء ، أن يتابعوا الحياة في الصورة التى تضمن معاونة القوى المجهولة لهم وتجنبهم غضبها عليهم (!!) وذلك من المؤثرات الوثنية التى لم تذهب بعد من أذهان الناس . .

المسيحية :

ولما كانت المسيحية الدين الرسمى للدولة في اثيوبيا ، وهى دعامة القومية الحبشية ، فليس من الممكن الا لمسلم بتاريخ الاسلام مالم تتوافر معرفة طيبة بتاريخ المسيحية ، والباحث في تاريخ الاسلام بالحبشة يحس بنفوذ المسيحية في كل مكان حتى في هرر ، معقل الاسلام حيث بنيت الكنيسة على أنقاض المسجد الذى دمره الاحباش (ص ٢٢ من الكتاب)

وقد بدأت المسيحية كدين رسمى لمملكة اكسوم قرابة سنة ٣٥٠ بعد الميلاد بتأثير الثقافة المسيحية ، ولكنها لم تنتشر الى أبعد من حدود البلاد ، وارتبطت الكنيسة منذ البداية بكنيسة الاسكندرية ، ثم قل ارتباطها بالكنيسة البيزنطية ، بعد أن احتل المسلمون سواحل البحر الاحمر ، وسيطروا على بيزنطة ، وبقيت الكنيسة الحبشية مرتبطة بالكنيسة المصرية منذ ذلك التاريخ .

وفي المدة بين سنة ٦٥٠ وسنة ١٢٧٠ بعد الميلاد ، انتشرت المسيحية نحو الجنوب بمعجزة ، وسادت المسيحية كل المناطق الحبشية الاصلية ، ولكنها لم تلبث أن بدأت تمر بمرحلة من مراحل الاضمحلال ، وخاصة فيما بين منتصف القرن الثامن عشر ومنتصف القرن التاسع عشر ، وحتى بعد هذا عندما بدأ النفوذ العربى يؤثر في البلاد بدرجة أكبر في مختلف نواحي الحياة ، بقيت الحياة الدينية جامدة الطابع في تقاليدھا

انتشر ، وكيف قام الصراع للسيطرة على الارض والناس ، هذا الصراع السياسى الذى يزعم تريمينجهام أنه صراع بين المسيحيين والاسلام .

القسم الثانى - القسم الاجتماعى :
لايضاح طبيعة الحياة الاسلامية ، والبناء الاجتماعى والدينى للمسلمين

القسم الثالث - لتابع الثقافة الدينية والمظاهر الخاصة بالاسلام فى المنطقة جملة واحدة ، وخاصة نستوضح التقاليد والعادات ، وطرق المتصوفة (القادرية - الاحمدية - الراشدية - الميرغنية - التيجانية - السمانية) .

والواقع أن دراسة تاريخ الاسلام فى الحبشة ترتبط بتاريخ المسيحية فيها . ومن ثم فان من الاهمية بمكان، أن نتابع تطور هذا التعديل الثقافى الذى كان نصيب الكوشيت الرعاة الذين سادوا منطقة فى شمال الهضبة الاساسية للبلاد نتيجة للهجرات السامية ، هذه الهجرات التى تعتبر أهم مجموعاتهما « الحبش » الذين جاءوا من اليمن ، ونزلوا الاطراف الشمالية من أرض تيجرى ، والذين أعطوا المجموعة كلها الاسم الذى وسمت به .

والواقع أن الزراع لا يتحولون قط الى رعاة رحل ، ولهذا عبر اليمانيون البحر الضيق ، ولكنهم لم ينزلوا على طول السهول الساحلية، حيث تستهوى الارض بالرعاة ، بل تقدموا للداخل ونزلوا بأرض الهضبة فى المنطقة التى تعرف اليوم باسم اريتريه وتيجرى، ليوجدوا المزارع المثمرة بعد أن نظموا وسائل الرى ، ولهم بهذا سابق خبرة .

أليسوا هم الذين أقاموا سد مأرب والذين أدخلوا صناعة المعادن ؟ واستأنسوا الحيوانات وأحسنوا تربيتها ؟ ثم جاءوا بزراعات جديدة ،

ومن ثم كانت الاراضى اليالية مركز حضارة جديدة ، وساد الحبش كل القبائل الاخرى ، وكانت اكسوم عاصمة لها ، وفى ثلاثة قرون متتابعة استطاعت اكسوم أن تمد حدودها للغرب وللشمال، ووصلت اغاراتهم الى مروي ، حيث أقام الملك عرشا هناك رمزا لهذا النصر .

ونحن لا نعرف الا القليل عن دين اكسوم ، ولكنهم كشعب زراعى، فانهم عرفوا مراحل السنة تبعا للاحتفالات الدينية . وفى فجر القرن الرابع الميلادى دخلت المسيحية مصر فى حكم قسطنطين ، ثم دخلت المسيحية مملكة اكسوم فى تاريخ لاحق لهذا عن طريق الاتصال المباشر بالتجار المسيحيين ، وعن طريق العلاقات التجارية والبحرية مع امبراطورية بيزنطة .

وكان التحول الى المسيحية هو الحادث الثورى فى تاريخ الحبشة ، وعن طريق هذا التحول قامت صلات ثقافية بين « اكسوم » وبين دنياس البحر المتوسط ، كما قامت روابط سياسية بينها وبين الدولة البيزنطية التى كانت تعتبر نفسها حامية للعالم المسيحى ، وكان تحول اكسوم الى المسيحية عاملا فى غزو اليمن، وجنوب البلاد العربية بعد دفاع عن « الحمير » من نصارى تيجران سنة ٥٢٣ ميلادية ، وبنى أبرهة قائد ملك اكسوم كنيسة فى صنعاء لاجتذاب العرب اليها بدلا من الحج بمكة . وتتوالى الحوادث بسرعة على ما يروى الرواة ، وعلى ما يقص القرآن فى سورة « الفيل » على ما قدمناه فى مطلع هذا التقديم لكتاب تريمينجهام .

على أن رحلة أبرهة كانت خطا عظيما ، لأنها دفعت زعماء حمير لدعوة الفرس الى النزول بالبلاد .

ففى سنة ٥٩٠ ميلادية ، كان هؤلاء سادة حمير وعدن وأجزاء

وناقش النجاشي المسلمين في أمر دينهم ، وأعجبه ايضاح جعفر بن أبي طالب . فأطلق للمسلمين حريتهم في الإقامة . وظلوا في البلاد حتى عادوا بعد أن استتب الأمر للنبي في مكة .

وهنا يقص تريمنجها م قصة ارتداد عبيد الله بن جحش زوج أم حبيبة بنت أبي سفيان . . كما يذكر اغارة العرب على الساحل الأفريقي أيام عمر بن الخطاب ، وكل هذه الصفحات يكتبها تريمنجها م ثم يعود فيقول : ان كل المراجع مبهمه غامضة وعلى اية حال فان المسلمين لم يركبوا البحر الا في تاريخ متأخر ، وعندما ركبوه احتلوا الجزر التي بساحل « مصوع » فكان هذا أول رأس كوبرى للإسلام ، أدى الى احتلال المناطق الساحلية التي مكنت المسلمين من اختراق الحانجز المجهول لبدأوا تسربهم لداخل شرقى افريقية .

على أن العزلة التي سببتها غزوات الاسلام لم تكن هي وحدها التي قضت على مملكة اكسوم ، ولم تكن هي كذلك وحدها التي وجهت المسيحية للجنوب ، وأبعدتها عن الساحل في النصف الاول من القرن الثامن الميلادي ، بل كان هناك العامل الآخر القوي ، ذلك هو « البجعة » قبائل البجعة الرعوية ، التي كانت في ذلك الوقت قد اضحت عاملاً فعالاً في شئون المنطقة بين النيل الاعظم والبحر الاحمر .

فقد عمد البجعة بسبب فقر بلادهم الى الاغارة على الاراضي الاكثر ثراء على النيل ، وعلى أطراف الهضبة الحبشية . وفي احدى هذه الاغارات اجتازوا حدود اكسوم ونهبوا القرى ، وأسرع الناس نحو الجنوب تاركين « اكسوم » العاصمة كعاصمة ثقافية فقط للبلاد ، ولم يستطع أهل اكسوم المحافظة على استقلالهم الا في المناطق

أخرى من بلاد العرب ، بل وأجزاء من ساحل أفريقية . وفي سنة ٦٠٢ ميلادية ، غزا الفرس كل بلاد العرب وبقيت اليمن تحت سيطرتهم ، حتى غزاها المسلمون في العام الثامن للهجرة ، ونتيجة لغزو الفرس لليمن ، تعرضت سلامة طرق التجارة في البحر الاحمر للخطر ، وبدأ اضمحلال مملكة اكسوم .

الاتصال الاول بالمسلمين :

وشهد القرن السابع الميلادي مولد الاسلام وانتشاره ، ودخل الناس في دين الله أفواجا ، وتمكن محمد عليه الصلاة والسلام من جمع العرب كلهم على كلمة واحدة ، يعبدون الها واحدا وبدأت جحافل المسلمين تنشر الاسلام في الامصار المجاورة ، وكانت هذه الغزوات الاسلامية نقطة تحول في تاريخ اكسوم ، فقد عزلت تماما عن أوربا ، وبقي مكانها الجغرافي لقرون مجهولا تماما من الاوربيين .

وقد كتب « جيون » في هذا يقول :

« نام الاثيوبيون ما يقرب من ألف سنة ، وقد نسوا العالم الذي نسيهم . . كانت كل صلات اكسوم بالكنيسة القبطية بالاسكندرية وحدها ، أما صلاتهم بالدولتين المسيحيتين في (مقره) و (علوه) فكانت عدائية . ولكن لما كان الناس في اكسوم محاربين يعملون في الزراعة ، ولادراية لهم لا بالتجارة ولا بالبحر ، فانهم لم يحسوا بهذه العزلة ، فقد كانت تجارتهم في المدن الساحلية تسير بوساطة اليونانيين واليمنيين والمصريين » .

وبدأ محمد عليه الصلاة والسلام يدعو الناس الى الدين الجديد ، وأوذى المسلمون الاولون . فهاجر بعضهم الى الحبشة ، وأرسلت قريش مبعوثيها الى النجاشي ليرد المسلمين الى بلادهم

الجبليّة العالية من أرض «التيجري» فلا تنتشر المسيحيّة في السهول الشماليّة ، بل تتقدم ببطء في الأراضي الوعرة للجنوب والجنوب الغربي . . . وهنا يدخل تاريخ المسيحيّة مرحلة الابهام والغموض والنقل عن المصادر . . . ويضطرّ تريمنجهام أن ينقل عن (كشوف البلدان) لليعقوبي ، وعن (المروج) للمسعودي ، وعن ابن سليم الاسواني نقلا من (خطط المقرئزي) وعن ابن حوقل ، ينقل عن هؤلاء وصف الموقف السياسي في شمالي المنطقة بين النيل والبحر الأحمر . ويسير مع اليعقوبي في كشوف البلدان منحدرًا للجنوب ليصف مملكة النجاشي والرخاء الذي عرفته ، والبلدان التي ازدهرت في هذا العصر ، ولا خلاف بين هذه المصادر كلها الا في بعض ما أطلقتته على البلاد من مسميات ، ولكن الذي يعنينا من هذا الوصف : (تحول بعض البجّة الوثنيين الى الاسلام «الحداريب» ، وأن الحبش في الارض بجنوب النيل الأزرق و جنوب غربي «شاوا» ، وكانت تحكمهم سيّدة . . . كما نعرف من تاريخ هذا العصر أن البجّة كانوا يهددون الحبشة المسيحيّة بالغزو ، وأن هذا التهديد كان أقدم من تهديد الاسلام لها ، وأن الاحباش قد بعثوا بطيريركية الاسكندرية يطلبون أسقفًا جديدًا - أبونا - لمنح الغفران المقدس ولتهدئة قلق أفراد الشعب الذين يعيشون في فترة اضطراب تنهوى فيها العروش وتضع سيادة الامم) .

التوسع الاول للاسلام :

وفي هذا الوقت وضحت حاجة الحبشة الى الدفاع ضد التغفل الاسلامي ، وفي المدة بين القرنين العاشر والثاني عشر ، كانت مملكة الحبشة ضعيفة ، ولهذا فانها كانت بالتبعية أمد توسع الاسلام في شمال شرقي أفريقيا ، ففي الشمال كان

الاسلام يتقدم ببطء بين البجّة الوثنيين ، وقد اختلفت كتابات الادريسي والمقرئزي بين (١٩٥٤ - ١٤٤٢) على مدى انتشار الاسلام بين البجّة ، والاحباش الذين يقيمون في المناطق الساحليّة ، على أنه قد صحب هذه الحقب من السنين ازدياد في التجارة العربيّة ، واتساع في تجارة الرقيق من الداخل الى الموانئ الساحليّة ، وقد أدت هذه التجارة ، ورحلات الحج الى الحجاز الى توثيق الروابط بالعالم الاسلامي كما احتجز رواق في الجامع الازهر ، وجزء من الجامع الاموي بدمشق للطلاب من زيلع وما حولها في شمال شرقي أفريقيا .

وانشئت مستوطنات اسلامية وسط البلاد المسيحيّة في الاراضي العاليّة .

على أن الصراع بين المسيحيّة والاسلام يكشف عن حقيقة هي : أن الكنيسة القبطيّة كانت في الايام السوداء تقف أحيانًا الى جانب الاسلام (ص ٦٣) ، وتعمل مع حكام مصر المسلمين في تعيين أساقفة للحبشة يعملون للنهوض بمصالح المسلمين في الحبشة ، حتى ليقول تريمنجهام أن الاب ساويرس (١٠٨٠ م) الذي عينه البطيريك كيرلس الثاني بأمر الوزير بدر الدين الجمالي أنشأ سبعة مساجد في الحبشة ، فلما أن ضج الناس من عمله ، قال : انه يفعل هذا لصالح التجار العرب . ولكن ملك الحبشة سجنه ، وهدم المساجد السبعة . . !

ومع هذا تتابع انتشار الاسلام ، حتى غطت الدول الاسلاميّة منطقة فسيحة من الارض بين ساحل البحر وبين الاطراف الغربيّة للهضبة الوسطى في جانب ، واطرافها الشرقيّة في جانب آخر . ويعزى هذا النجاح الى

المعركة ضد هذا الركن من العالم .
٤ - استتقرار البرتغاليين في
الارض وتزاوجهم بالاحباش ، ووصول
أساقفة من الجزويت لتحويل الاحباش
للكثلكة ، الامر الذي كاد يسبب تفكك
الوحدة الكنسية التي عمل لها الكثيرون
من ملوك الحبشة عدة قرون .

وقد استمر هذا العامل الاخير
حتى جاء فاسيلا داس واتفق مع
المسلمين للدفاع عن الحبشة ضد
النفوذ الغربى للبرتغاليين على نقيض
السياسة القديمة ، سياسة السيطرة
على موانئ البحر الاحمر ، لتأمينها
ضد اعتداء المسلمين (ص ١٠٠-١٠١) .

ويكتب الرحالة بونسيه طويلاً في
وصف الحال في هذا العصر ، كما يكتب
عن اتصالات فاسيلا داس بأمام اليمن
ووصول عالم مسلم الى الحبشة ،
ويكتب بروث الذي زار البلاد سنة
١٧٠٠ ، يكتب مؤكداً هذه الاتصالات
ويقول : أن عدد المسلمين في جوندار
٣٠٠٠ مسلم .

ويبدو أن هذه الاتصالات قد أثارت
يوحنا الاول ابن فاسيلا داس ، وليوحنا
في المطولات دراسة لا محل لها هنا
في هذه الصفحات ، تكشف عن تعامله
على المسلمين على نقيض سياسة أبيه .

وقد عقد يوحنا مجلساً مسيحياً
في جوندار لبحث أحسن السبل
للقضاء على هذا الاضطراب الدينى (١)
وفي سنة ١٦٦٨ أصدر يوحنا أمراً
بموافقة المجلس بضرورة اخراج
الفرنجة من نسل البرتغاليين من البلاد
أو تحويلهم الى الكنيسة الوطنية ، كما
حرم المجلس سكنى المسلمين في
مساكن تجاور مساكن المسيحيين في
جوندار ، ولهذا تحول المسلمون الى
سكنى المنطقة التي بناها لهم اسماعيل
المتوكل امام صنعاء سنة ١٦٤٨ ، على
ضفاف جوندار ، وقد قصد يوحنا
منع انتشار الاسلام في قلب عاصمة

العلاقات التجارية مع موانئ البحر
الاحمر ومصر ، كما يعزى الى الخلاف
بين الجماعات الحبشية في الداخل ،
والى تنافس الاسر القومية في البلاد .
وفي هذا الامد نفسه تبأنت علاقات

الحبشة بمصر ، فحينما يبعث ملك
الحبشة يطلب تعيين أسقف ، وحينما
يبعث مهدداً بأن يقوم بتدبيرات مضادة
للممالك والسلطنات الاسلامية التي
تقع على حدود بلاده . وشغلت هذه
التقلبات السياسية طوال المدة من
حكم ركن الدين بيبرس ١٢٧٤ م ،
الى حكم الناصر محمود ١٣٣٨ م ، ثم
الى حكم الناصر برفوق ١٣٨٧ ، اى
أنها شغلت مايزيد على المائة سنة .

ولكن في الواقع كانت هناك ناحية
أخرى من هذه الصورة بالنسبة للحبشة ،
فقد ازداد اتصالها بالعالم المسيحي
الخارجي ، واذا كانت قد بدأت مرحلة
دفاع في الصراع (!) بين المسيحية
والاسلام ، فقد بدأت في الواقع مرحلة
من التوسع الاسلامي في القرن السادس
عشر الميلادى .

القرن السادس عشر :

والواقع أنه يجب أن ننظر الى
عمليات القرن السادس عشر من زاوية
أخرى ، لان عوامل جديدة قد دخلت
الميدان يمكن اجمالها فيما يلى :

١ - بدأت سيادة العثمانيين تطل
على العالم الاسلامى .

٢ - بدأت قوة البرتغال الجوية
والبرية تصل الى بحر العرب ، والى
ضفاف الهند في قلب المحيط
الهندي .

٣ - كانت السلطنات الاسلامية
حول الحبشة قد بدأت تنقسم ،
وكان كل من السلاطين يعمل بمفرده
نجد الحبشة ، دون تنسيق الجهود
الى الاقل للاحتفاظ بالوضع القائم
حتى تنتهى الغمة ، بدخول البرتغاليين

المملكة المسيحية بالتبشير ، ويبدو أن القانون لم يكن مؤثرا لانه جدد اصداره ثانية سنة ١٦٧٨ .

وفي سنة ١٧٣٥ حدث الاصطدام بين الاحباش والفنج ، واصابت الاحباش هزيمة منكرة تجاه سنار ، وكان للهزيمة أثرها ، مما مكن من تقدم الاسلام في عصر (الاقليمية) عصر الاقطاعات من فجر القرن الثامن عشر حتى بداية عصر الوحدة سنة ١٨٥٥ بحكم كاسا الذي غير اسمه الى تيودور ، التماسا لاثبات صحة حديث قديم : بأن ملكا يحمل اسم تيودور يحطم الاسلام ، ويستعيد بيت المقدس (ص ١١٧) ، على أن التقدم كان له طابع جديد هو طابع انتشار الدين في قلب بلاد المسيحية نفسها دون ما اهتمام بكسب الارض أو القضاء على حكم مسيحي . ويقول الرحالة الذين كتبوا عن هذا العصر : ان سبب نجاح الاسلام في المناطق المسيحية إنما يرجع الى السيادة المعنوية ، وان كان من المشكوك فيه أن يكون هذا العامل مؤثرا في مثل هؤلاء الناس ، يقول روبيل في كتابه بالمانية

طبع فرانكفورت سنة ١٨٤٨ : ان المسلمين كانوا أكثر نشاطا من المسيحيين ، وكان أغلب أطفال

المسلمين يجيدون القراءة والكتابة على النقيض من أطفال المسيحيين الذين لا ينالون نصيبا من التعليم ، الا اذا وجهوا الى العمل في الكنيسة ، والى أنه عند الاحتياج الى من يتولى عملا هاما رئيسيا في البلاد ، كان الاختيار يقع دون أي تردد على مسلم (ص ١١٣) .

وتبدأ مرحلة من مراحل الصراع لا علاقة لها بالدين ، لانها ترتبط بالسياسة والحرب والاستعمار ، وتصل الى الحبشة حملة انجليزية بقيادة الاميرال ناجير ١٨٦٧ ، وتبدأ حرب أخرى بين مصر والحبشة ، ثم حرب بين حكومة الامام المهدي وخلفائه ، وهنا يبدأ الايطاليون تسربهم في داخل افريقية من شمال المنطقة ، ويبدأ الانجليز والفرنسيون حركة مماثلة من الشرق ، وهنا ينسى تريمنجهام تعليقه الاول على القتال بين العرب والحبش ، لانه ينظر الى عمليات دول الغرب على أنها كانت لاعتبارات استراتيجية ، وهي اعتبارات عندي أنها كانت الدافع الاول منذ بدأ استيطان جماعات من حمر للمنطقة الساحلية ، وأن الدين كان وسيلة من وسائل البقاء والاستيطان

محمد عبد الفتاح ابراهيم
عميد أركان الحرب

the rising tide of National liberation in other parts of the continent have flung the peoples' leaders in jail. In places like Rhodesia and Nyasaland they have also banned the African Congresses.

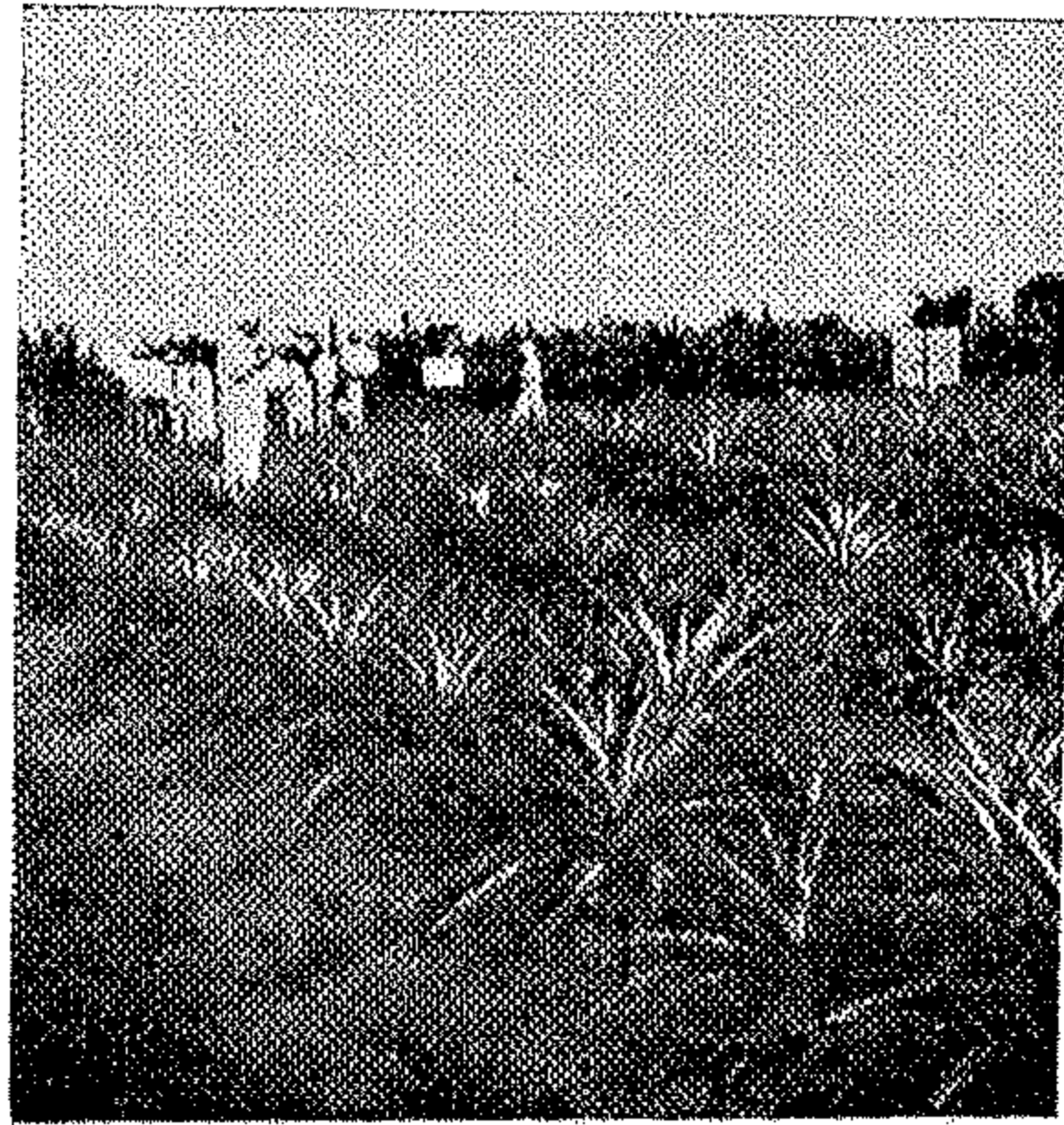
These however are actions of desperate men. There is a proverb in my country which says that «a beast gives one final kick when it dies.»

Even when there were dark clouds on horizon, the people in South Africa continued to struggle and draw inspiration from their victorious brothers in other parts of Africa, in

particular the anti-imperialist stand of the United Arab Republic under the leadership of President Nasser as well as the stand of Ghana, under Prime Minister Nkrumah. Today the sun of the struggling people of Africa has risen whilst that of the imperialists is setting.

Permit me Mr. Chairman to convey fraternal greetings on behalf of the oppressed people of South Africa on this great day.

Long live the struggle for National Liberation and Freedom in Africa!



زراعة الاناناس

Kiafrika katika Accra, waka zungumza na kuzingatia vizuri mambo ya kuwaletea uhuru wa nchi zao na kuipinga istimanri. Mkutano huu wa Accra na vile walivyoshikana mkono mmoja dola za Afrika na zilivyovinjari kuipinga istimari, na zinavyo kabili mambo ya Ulimwengu

huu wa sasa katika kupunguza machukizi baina ya madola na kupunguza hamu zao za kuunda na kujizatiti kwa silaha za kuangamizana na kuweka kiwango cha silaha, ni faida kubwa iliopatikana na masiki lizano ya Mkutano wa Bandung.

**Speech delivered on the Occa-
sion of African Freedom Day,
April 15, 1959.**

One of the arch-British Imperialists, Cecil Rhodes who lived in South Africa and gave his name to Rhodesia after conquering and plundering that country, had big ambitions. His ambition was to hoist the British flag all the way from Cape Town to Cairo, thus completing the enslavement of the continent right along the length of its body.

However Cecil Rhodes died before these insidious plans were accomplished. And indeed imperialism which he and others championed is breathing its last breath in Africa.

It is therefore clear that the noble task of uniting the continent will fall on the people of Africa themselves. The day is near when we shall pave a real road of brotherhood from Cairo to Cape Town, also from Asmara to Accra, and from Morocco to the Congo.

We are celebrating today

« Africa Freedom Day, » at a time of an unprecedented upsurge of National independence and freedom movements in Africa. The past few months since the historic All African People's Conference have already witnessed angry independence demonstrations in many African territories in Nyasaland, Congo, Uganda etc.

The situation in Africa is characterised by the upsurge of the peoples enthusiasm of determination on the one hand, and on the other, hand by the declining fortunes of the imperialists.

We in South Africa, although constituting the majority of the population are deprived of our birth rights by a minority of white settlers. They have subjected the people to the most brutal and tyrannical race oppression, unparalleled in the world today.

The white settlers in Southern Africa frightened by

warabu zaidi ya nusu milioni. Silaha na zana za ukatili za Kimerekani zinamiminika mfululizo upande wa Magharibi wa Iriyan (New Guinea) pande za Mashariki ya Mbali ulipo jiweka kwa nguvu utawala wa kigeni wa kiholandi.

Hao wanaojitawalisha juu ya watu kwa nguvu napasina haki yoyote walijaribu lakini hawa kuweza kuvunja umoja wa madola ya Asia na Afrika, kwa kila njia na vitimbi, kwa kutisha dola hizo au kwa kuzilazimisha kwa nguvu na kitisho ikiwa kila dola inamachukizi juu ya mwenziwe na kuiona adui dola nyingine, ili zipate kuingia ile mikataba yao ya uadui, kama mkataba wa Baghdad (Baghdad Pact) na wa Kusini ya Mashariki ya Asia (SEATO). Na ule uadui wa kijinga waliosharikiana pamoja dola tatu, Faransa, waingereza na Israel (Majahudi) katika mwaka 1956, ulikuwa ni mwanzo wa uadui kutendewa watu wa Misri na hao walio kuwa wakiwatawala watu Misri na wakawatoa. Kabla kukauka damu ya mashahidi wa Kenya na Kusini ya Yaman waliouawa bure na waistiimari, kwa kuu-pigania uhuru wao, waistiimari wanaendelea tu kutisha dola za Kiasia na Kiafrika, ili kuzuia kule kuporomoka hio istimari huko Kenya na kuvunja nyoyo na hima za watu walivyo vinjari kutetea na kupigania uhuru baada ya Mkutano wa Ban-

kuzingatia kwao, hivyo vitimbi vyao havikuongoka. Hawakusita kwa haya wala kwa ulivyo-shindwa uadui wao juu ya Misri, wanaendelea tu bado na ubaya na kuwapiga vita wale wanaotaka kujigomboa na dung. Lakini kwa uovu wa utumwa wa utawala wa kigeni. Uovu na vita hivyo havina mfano wake katika ukatili na dhulma na ubaya wanaofanyiwa binadamu. Wafaransa wamekiteketeza kwa mizinga kiji-ji cha Sidi Yusuf Tunisia pamoja na watu wake wnyonge wasio taka ugomvi. Haya hayakuwatosha waistiimari, bali wanayaingilia mambo ya ndani ya nchi za Indonesia yasio wahuu ndewe wala sikio. Tena hivi kar buni ule utajiri wa kiamerikani unaotaka ukusanye peke yake faida za biashara umetaka kupyaingilia mambo ya ndani ya nchi za waarabu na kuzitia utumwani nchi hizo kwa hila za ile misa da yao walio ita jina hili : «Mipango ya Eisenhower-Dallus » na kwa zile sifa nzuri nzuri za kutegea watu waikubali mipango hiyo; lakini wapi, yote hayo hayakufaa. Watu wa Mashariki ya Kati na ya Mbali wamekwisha amka hawakudanganyika tena na mipango hiyo, bali wameichukia kikweli Kweli, kwa vile ilivyokuwa ni chambo cha kuwategea.

Mwaka jana siku ya 15 April walikutana wajumbe wa dola za

kuishi pamoja kwa salama na amani, ingawa kila dola ina siasa yake, na hali maalumu za maisha, huko ndiko kunakokwitwa kusikilizana na kuishi kwa salama na amani baina ya madola yote.

Nia nzuri, umoja na masikilizano yaliotokea katika Mkutano ya Bandung juu ya fikra za kuishi kwa salama baina ya madola yote, yalitia nguvu sana zile dola za Asia na Afrika na zilisaidia vile vile kupunguza nguvu upinzani na chuki baina ya madola. Faida kubwa ilio tokea katika Mkutano kwa dola za Asia na Afrika katika kupigania uhuru wao, na kwa vile walivyo zindukana na kudai uhuru wao wananchi wa Tunisia, Algeria, Morocco, Ghana na Sudan.

Kwa muda huu wa miaka mine tangu Mkutano wa Bandung, wameweza milioni arubaini za wanachi wanaokaa katika nchi za eneo la kilometa milioni tatu muraba kujifungua na minyororo ya utumwa na maoneo ya utawala wa kigeni, wakajihukumu wenyewe na kufanikiwa na kustarehe na uhuru. Si hayatu, bali huu Mkutano wa Bandung umeweza kuzidisha heshima na kusikilizwa wale wajumbe wa dola za Asia na Afrika katika Mkutano wa Umoja wa Madola, na nguvu za wajumbe hao zinaendelea kuzidi kila mwaka.

Uliipoanza Mkutano wa Ban-

dung, dola kumi na saba tu za Asia na Afrika zilizokuwa katika mikutano ya dola za Ulimwengu, leo zimo dola ishirini na tisa za Asia na Afrika katika mikutano hiyo. Tangu dola hizi kupata uhuru wao zimezidisha sana pato na mali ya nchi zao, baadhi ya dola hizo zimeweza kuendeshe wenyewe zile kazi zinazoleta faida, ikawa hiyo faida inawafaa wenyewe wananchi, na Serekali yao wananchi vile vile ikastawi kwa vile wananchi walivyotia mikononi mwao zile kazi za kuzidisha pato la nchi zao, kama zina- vyoendelea mbele na kustawi nchi hizi: India, United Arab Republic (Umoja wa Jamhuri ya Warabu), Burma na Indonesia.

Lakini istimari inatuonesha kuwa haikubali kufuata wata- kayo wananchi katika nchi yoyote ile iliopo, ingawa wame- vinjari vilivyo wananchi kuuta- ka uhuru wao. Hivi tunaona baada ya miaka mine tangu Mkutano wa Bandung namna ya watu walivyochaga kupiga- nia uhuru wao, na namna wali- vyopania hao wanaowatawala watu kwa nguvu kuwanyima haki zao na uhuru wao, na vile vibaraka vyao vinaojipendelea nafsi zao kwa kuwadhili wa- nanchi wenzao. Haya yote ya- naendelea bado, na kila namna ya chuki inaendelea huko Ke- nya, na Kusini ya Bara Arabu, ambako istimari imeteketeza

MIKA MINE TANGU

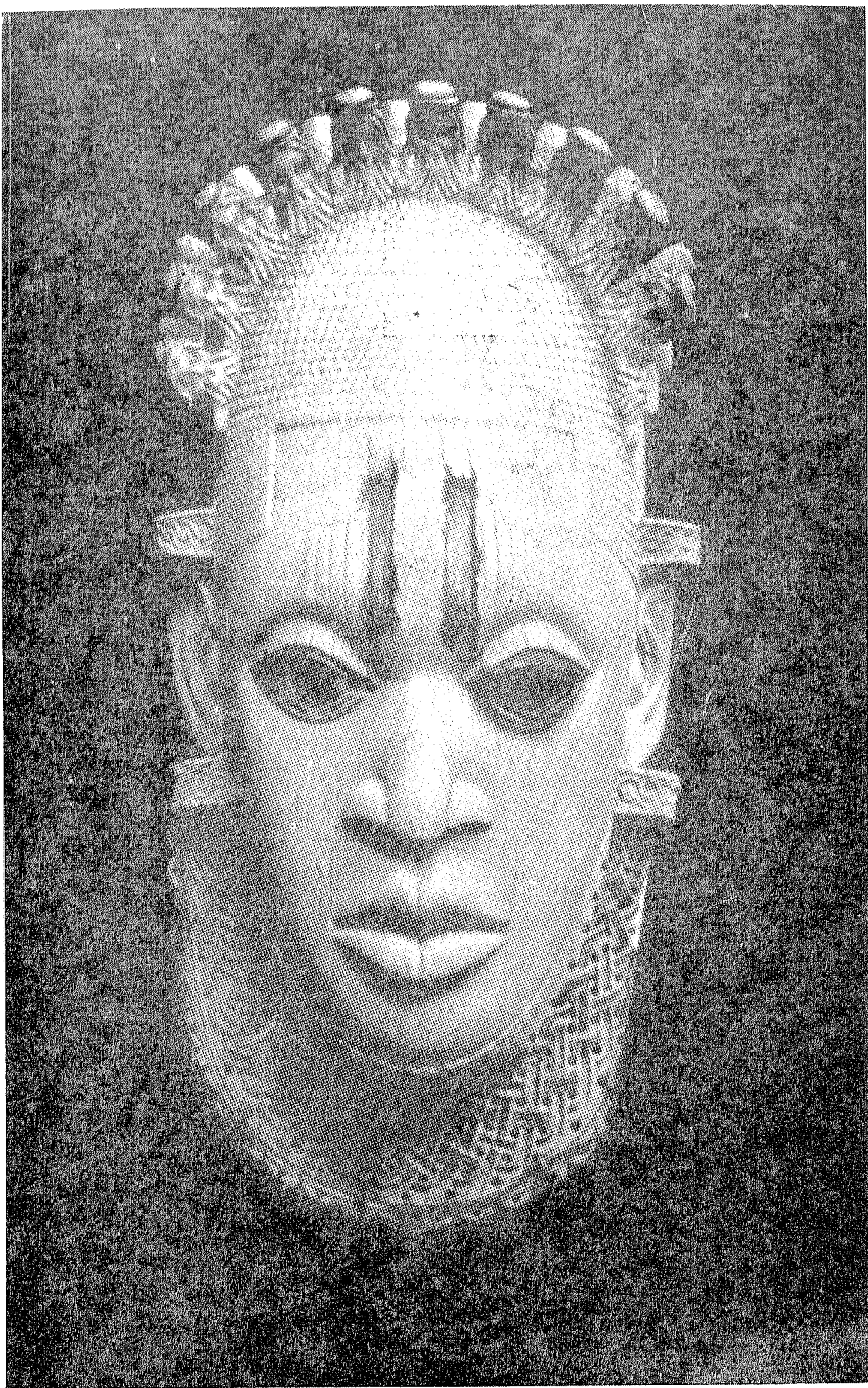
MKUTANO WA BANDUNG

Leo limezindukana Kontineti la Asia lote baada ya usingizi mrefu ulioendelea nusu ya karne; leo ulimwengu wote unaona vitimbi vya mpango uliokwisha zake wa utawala wa kigeni (Istimari); na leo ni siku ya mpampazuko wa dola za Afrika na Asia zinazojitawala wenyewe. Utawala wa kigeni (Istimari) haukuleta kheri yoyote juu ya madola haya, ila unafanya vituko na kuendelea navyo vituko nivyo ili vizuwie na kuakhirisha mporomoko wa utawala wa kigeni. Huu utawala wa kigeni ndio uliovunja maendeleo na kupinga njia za pato za kuzidisha mali ya nchi hizi za Mashariki. Lakini wapi vituko hivyo havifai tena, kila mwaka watu wanaona kwa macho yao namna ya watu wa livyoamka na kuvinjari kuipinga ile mipango wa utawala wa kigeni inayozuia maendeleo yao.

Huu Mkutano wa Bandung, uliokuwa siku ya 18 April, 1955, ni uwongozi mkubwa wa njia za uhuru, ambao wameukubali watu wote wa Asia na Afrika. Siku hii walikutana wakubwa na mawaziri walio na madaraka ya mambo ya nje ya dola ishirini na tisa za Asia na Afrika, ili kutoa rai zao na kuyazingatia na kuyafikiri yale mambo waliosharikiana nayo wote na yaliowalazimu kusaidiana pa-

moja ili waitunze salama na wawe wote mkono mmoja kui pinga istimari kwa namna na sura zake zote. Basi katika hayo walio kutania na kuyazingatia pamoja hao wakuu na mawaziri wa dola hizi yalikuwa ni kuonesha wazi wazi pasina kificho, vitimbi, nia mbaya, na mizungu ya utawala wa kigeni. Baadae wakawafikiana wote pamoja kuyatangaza yale mambo muhimu waliokubaliana kuyafanya ambayo yatawazidisha nguvu na faida baina ya dola za Asia na Afrika zote, katika mambo ya siasa, utamaduni na elimu, na ya njia za kuzidisha pato la dola hizo Wakalitaka vile vile lile Baraza la Amani likubali uwanachama wa dola za Afrika na Asia katika Umoja wa Madola. Hao wakuu na mawaziri waliokuta na Bandung walionesha wazi wazi machukizi yao makubwa juu ya silaha za kuteketeza na kuangamiza miji na watu kama mabomu ya atomi na haidrojiini na kadhalika; na vile vile walionesha namna ya uchukizwao mkubwa juu ya madola yanayo jizatiti na silaha kama hizi.

Na katika mambo waliokubaliana vile vile ni hamu yao kubwa kutaka salama itapakao ulimwengu mzima na madola yote yasaidiane pamoja kwa



من روائع الفن الافريقي

2nd Year

No. 19

June 1959



Nahdatu

AFRIQUIAH

IN THIS ISSUE

- A NEW CONSPIRACY IN THE HEART OF AFRICA
- WEST AFRICAN COUNTRIES SCIENTIFIC CONFERENCE
- ISLAM IN ETHIOPIA
- FOLKLORE IN GHANA
- AFRICAN POETRY

السنة الثانية

العدد ٢٠ - يوليو ١٩٥٩



نهضة أفريقية

في هذا العدد

- افريقية في خطبة الرئيس
- الاسلام في الحبشة
- دور الزوج في المسرح الامريكى
- الايقاع الافريقى
- نقد الكتب

التمن ٣ فروش



من روائع التماثيل الافريقية

نهضة أفريقية

تهدف هذه المجلة الى :

- ١ - تنمية الوعي القومى الافريقى .
- ٢ - التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .
- ٣ - نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل افريقى فى مجاله الحيوى

وللمشاركين الحق فى :

- ١ - الحصول على المجلة بانتظام وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض .
- ٢ - الافادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الامكان .

● ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .
● ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها . .

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة افريقية
٥ شارع أحمد حشمت - الزمالك
بالقاهرة

تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨

الاقليم المصرى
بالجمهورية العربية المتحدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى
دار أخبار اليوم للتوزيع :

٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا :

لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمن العدد ٣ قروش



نهضة افريقية
مجلة شهرية
للتقافة الافريقية

رئيس التحرير
محمد عبد العزيز اسحق

فكرة ..

(١)

حولت مجلة ((نهضة افريقية))
الدراسة الافريقية الى دراسات جادة
منهجية . حتى لقد أصبحت مرجعا
وبهذا غطت منطقة فراغ ثقافي بأمانة
.. وكم كان يسر أسرة تحرير المجلة
حينما ترى ثمار ما تكتب عمقا ، وفهما
في انتاج كل من يتعرض لهذا اللون
من الدراسة ، ولكنها رأت أخيرا بعض
الكتاب ينقل عنها نقلا يخل بالأمانة
العلمية ، ولقد كان آخر أنباء هذا النقل
ما جاء في كتاب ((أوغندا في طريقها
الى الاستقلال .. لأحمد صوار)) فقد
نقل مقالا بنصه من العدد (١٨) للدكتور
عبد العزيز كامل .

وكم كنا نود ألا يسيء الى المطبعة كما
أساء الى الأمانة العلمية . فقد نقل
حتى الأخطاء المطبعية !! .

(٢)

حرص بعض رسامي ((الكاريكاتير))
وخاصة الأستاذ ((صاروخان)) على أن
يقدموا لنا ((قدرا كبيرا)) داخله رجل
أبيض ((يغلي)) ومن حوله بعض
الافريقين يتغزلون في القيمة الغذائية
لهذا اللحم .

وهذا الى جانب اساءته لاخوان لنا
يتنافى مع أبسط الحقائق العلمية .
فالمعروف أن البيض هم الذين وضعوا
في الماضي كل القارة الافريقية في قدر
كبير .

حينما لو قلب الرسامون الفكرة ،
وأطلعونا على الواقع الحقيقي للقارة
الافريقية في صدق وأمانة .

((عبده بدوي))

محتويات العدد

- افريقية في خطبة الرئيس :
٣ الأستاذ : محمد عبد العزيز اسحق
أزمة في أوغندا :
٨ للسيد جون كاليه
١٣ المتحضرون الزائفون :
القهوة بين آسيا وافريقية :
١٥ للأستاذ : محمد محمود زيتون
نقد الكتب :
١٩ للأستاذ : عبده بدوي
الايقاع الافريقي :
٢٩ للأستاذ سليمان جميل
الافريقي في إنجلترا :
٣١ للأستاذ : عزيز مثرى عبد الملك
٣٤ ليبيريا :
أساطير من الكهرون :
٣٧ للأستاذ بهجت ابراهيم دسوقي
٣٩ الأقنعة في افريقية :
دور الزوج في المسرح الأمريكي :
٤٣ للأستاذ : عبد الواحد ابراهيم
٥٢ كلمات وصور :
٥٩ جولة حول القارة الافريقية
الاسلام في الحبشة (٢)
٦٦ للعميد (ا.ح) عبد الفتاح ابراهيم



بفام : الأستاذ محمد عبد العزيز اسحق

رئيس الجمهورية العربية المتحدة
خطابه الجامع على مئات الآلاف من
السامعين ، المتلهفين ، الممتلئين
حيوية المتأججين حماسا ، بدت من
الرئيس ومضات افريقية أصيلة ،
أعادت الى الاذهان ما خطته يراعتة في
(فلسفة الثورة) من تصوير مركز
عميق لوضع الجمهورية العربية
المتحدة كدولة واعية بوضعها المادي
والمعنوي والتاريخي في هذه القارة
العظيمة ، وأعلن في صراحته النفاذة
خطل الأوضاع التي أدت الى تحكم
مليون أوربي في ٢٠٠ مليون افريقي
وهذه الحقيقة وحدها تمثل أخطر
المشكلات في مستقبل القارة الافريقية
وحولها تدور المعركة الفاصلة الكبرى
بين قوى التحرر ، وقوى الاستعمار .
فمن المعلوم أن الاستعمار يتراجع

في الأسابيع القليلة التي سبقت
٢٣ يوليو ، وهو يوم الثورة المصرية
التي أطاحت بنظام رجعي فاسد ،
ومهدت السبيل الى انطلاقة التحرر
والقوة والتقدم أمام الشعب المصري ،
ثم أمام شعوب الدول العربية المتحدة ،
ثم أمام الشعوب المستضعفة في
افريقية على وجه الخصوص . في تلك
الأسابيع القليلة شهدت القاهرة
سلسلة من الانتفاضات الافريقية
الرائعة على هيئة تلك الاحتفالات
والمهرجانات التي أقيمت تأييدا
لقضايا أوغندا وكينيا واقليم تشاد ،
ثم مؤازرة لأقاليم عربية تواجه افريقية
وتربطها بها منذ فجر التاريخ أوثق
الصلات ، ألا وهي أقاليم الجنوب
العربي .

وحيثما أشرق يوم الثورة ، وألقى

يوما بعد يوم ، تحت ضغط الوطنية العارمة فى الشرق والغرب والوسط والجنوب ، وأنه ، أى الاستعمار كثيرا ما يسلم ازاء ذلك الضغط بالحقوق السياسية ، مكتفيا ببعض المزايا الاقتصادية ، وفى أحيان أخرى يظهر الخديعة والنفاق والمغالطة ، فيعرض ما يسميه « اصلاحات » دستورية أو اجتماعية أو صحية ، ويزعم أنه يمد يد التعاون الى أهالى البلاد المحكومة الى أن تنهض بلادهم على أقدامها .

ومن البلاد بلاد بلغ بها الوعي القومى حد كشف الزيف والمغالطة ، فنراها تصر على أن تنال حقوقها كاملة غير منقوصة ، وتوالى الكفاح الى أن تجبر الاستعمار على أن « يحمل عصاه على كاهله ، ويرحل ! » على حد تعبير الرئيس جمال عبد الناصر ، ومنها بلاد يؤثر زعماءها التدرج والمسالة ، على نحو ما فعل الزعماء الذين قبلوا « دستور ديجول » وارتضوا ، مؤقتا ، أن تكون بلادهم « جمهوريات » داخل نطاق « المجتمع الفرنسى » بالرغم مما تصرخ به شعوبهم من طلب الاستقلال الكامل « فورا » ولكن المشاهد ، بوجه عام أن الاستعمار اما أن يندحر أو يتقهقر فى بطنه ، فى جميع أنحاء القارة ، ما عدا أجزاء معينة ، نراه يقاتل فيها قتال المستميت ، ولا يتراجع الا على الدماء والاشلاء . وهذه الاجزاء هى

التي ركز عليها الرئيس الاضواء فى خطبته الجامعة ، حينما أشار الى المتوطنين البيض الذين لايزيد عددهم عن ٤ ملايين .

فقد تراجعت فرنسا ، سياسيا ، فى جميع أنحاء امبراطوريتها ، ولكنها تكابر وتعانده وتقاتل فى الجزائر ، وتأبى أن تعترف لهذا القطر الافريقى العربى بأى حق فى الحاضر ، أو المستقبل فى أن يقرر مصيره بنفسه . انها تأبى ذلك فى الوقت الذى تعترف فيه ، فى « دستور ديجول » بحق السنغال وساحل العاج وداهومى وجميع مستعمراتها الافريقية فى الانضمام أو الانفصال عن فرنسا .

فما الذى جعلها تكيل للجزائر بغير ما تكيل للسنغال وأخواته الافريقيات ... ؟

انهم المستوطنون الاوربيون الذين أنشبوها مخال بهم فى مقدرات الجزائر وخيراتها ، والذين اغتصبوا ، على مر السنين كافة الحقوق الدستورية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وتركوا ، وهم لا يبلغون المليونين « عدا عشرة ملايين من الجزائريين ، فى حضيض الفاقة ، والجهل والاضطهاد والاستغلال ، ووجدوا من فرنسا وأساطيلها وجيوشها خير أداة لاغتصاب الحقوق والتنكيل بأصحاب البلاد الاصليين .

ومن سخيرة القدر أن نعلم أن

أكثر هؤلاء المتوطنين الذين يوصفون بأنهم « فرنسيون » ليسوا في الأصل « فرنسيين » وإنما هم خليط من حثالة الافرنج ، بعضهم فرنسي والباقي جاء ، بتشجيع فرنسا من جزر البحر الابيض المتناثرة ، من مالطة وكورسيكا وصقلية ، ومن اسبانيا والبرتغال ، وعدد كبير من يهود المغرب الاقصى الذين اتخذوا من التجنس بالجنسية الفرنسية « سلاحا أبيض » يغمدونه في صدر الشعب الجزائري ، ويقتطعون أراضيه الخصبة ، ورواياه اليانعة ، المليئة بالخيرات ...

ولهذا فقد اضطر الشعب الجزائري منذ وطئت أرضه أقدام الغزاة ، وبدا أنهم جاءوا « ليتوطنوا » الى القيام بالثورات الدموية التي استمرت أحداها ، وهي ثورة الزعيم عبد القادر نحو ستة عشر عاما ، واضطر الشعب أخيرا الى هذه الثورة المجيدة التي اشتعل أوارها منذ خمس سنوات ، والتي وقف فيها بقوة ايمانه وأسلحته المحدودة أمام الجيوش الجرارة ، لفرنسا ومستعمراتها ، والأسلحة الجبارة لحلف الاطلنطي ...

وأصبح من الواضح حتى الآن ، أن فرنسا ، لن تسلم بحقوق الجزائر الا راحة مهزومة ، في حين سلمت ، ساخطة ، باستقلال غينيا ، بل أظهرت بعد السخط ، شيئا من الملاينة ، وأخذت تمد غينيا بالمعونة الفنية والاقتصادية والادارية ..

واننا لنجد مثيلا لهذه الحالة ، حالة « التوطن الاوروبي على أرض القارة الافريقية ، لدى الاستعمار البريطاني في شرق أفريقية ولدى ما يسمى « باتحاد وسط أفريقية » ...

فعلى الرغم من تشبث الانجليز بنفوذهم المزروع في أوغندا وتنجانيقا فانهم يتراجعون يوما بعد يوم أمام المد الوطني المتزايد ، وقد أصبحوا ، وخصوصا في أوغندا ، على وشك التسليم بأوفر قدر من المطالب الوطنية وهم هنالك « يحفرون الخنادق » تمهيدا للانسحاب المنظم ، وسترا لهيبة الامبراطورية ...

أما في القطر المجاور ، وهو كينيا فالامر يسير في اتجاه مضاد ...

انهم يؤيدون في كينيا ، ويعززون موقف « المتوطنين » الذين لا يزيد عددهم عن ٦٠ ألفا في مواجهة نحو ثمانية ملايين من الكينيين الافريقيين . يعززون قضية واضحا بطلانها ، ويرجحون كفة النهب والاعتصاب ومحاولات ابادة الجنس ، ويخرقون حقوق الانسان ، ويطردون الملايين من أراضيهم الخصبة ، ويحشدونهم حشد الانعام وراء الاسلاك الشائكة ، لكي يتمتع آل ٦٠ ألف أوروبي « ومنهم أيضا كثير من اليهود » بالمغانم المساوية ، والثمرات المنهوبة في حراسة الاستعمار البريطاني ... وهذه المشكلة ، مشكلة الاستيطان

الاوروبى فى كينيا ، هى التى أدت الى الثورة الدامية التى سماها الانجليز «**ماو ماو**» ولئن كانت المشكلة لم تحل ، وظهرت بعدها فى كينيا تيارات قومية ، مسالمة تؤمن بالتفاوض والتفاهم مع الاستعمار ، الا أن الاستعمار ما يزال خائفا يترقب ، ومن أمامه المستوطنون البيض ... ما يزال خائفا يترقب من الزعيم العظيم الأعزل «**جوهو كنياتا**» الذى غادر السجن فى الشهر الماضى وبادر الاستعمار الى القبض عليه من جديد ، وأودعه معسكرا للاعتقال على تخوم صحراء الشمال بين كينيا والصومال ومن الواضح ، هنا أيضا ، أن وسائل «**الضغط السلمى**» التى أفلحت فى جلاء البريطانيين عن كثير من مستعمراتهم فى غرب أفريقية لن تفلح فى اقناعهم بترك كينيا لأصحابها . والسبب الجلى ، هو وجود هؤلاء السادة الافاضل من المستوطنين البيض ..

واذا تركنا هذه المنطقة الى ما يتأخمها جنوبا ، وجدنا داء «**التوطن الابيض**» يتسرب الى «**اتحاد وسط أفريقية**» الذى جمعت فيه بريطانيا بين روديسيا الشمالية ، وروديسيا الجنوبية ونياسالاند ، على الرغم منهم جميعا ، فى قيد واحد ...

ولقد كانت بريطانيا ، وما تزال تهدف من وراء ذلك الى تجميع جهود

المتوطنين وتركيزها بحيث يتحكمون فى السلطة المركزية لتلك الاقاليم الغنية الشاسعة ، ويفتحون الباب على مصراعيه للمزيد من المهاجرين الاوروبيين الى أن يأتى اليوم الذى يصبح فيه ذلك الاتحاد دولة أوروبية «**سكسونية**» فى قلب أفريقية ...

ولقد رأى الافريقيون رأى العين اقتران ذلك الخطر الجسيم فى الاراضى الخصبة بروديسيا الجنوبية ، حيث استولى على أكثرها بضعة آلاف من المهاجرين البريطانيين ، وشهدوا بذور المأساة فى مناجم النحاس بروديسيا الشمالية حيث تستقدم الشركات ال «**أنجلو - أمريكية**» جميع عمالها «**المهرة**» من الخارج (أى من البيض) وتمنحهم أجورا تقارب رواتب «**الوزراء**» فى بعض بلدان أوروبا ، ولا تأذن للعامل «**الاسود**» الا بأعمال الحفر والتنقيب الشاقة ، وتدفع له أجرا حده الاقصى ستة جنيهات (اذا كان صاحب أسرة وفيرة العدد) ...

وقد ظلت السياسة المرسومة ماضية فى طريقها ، الى أن اقترب موعد الاستفتاء على قيام ذلك الاتحاد المشبوه ، فهب الوطنيون يظهرون سخطهم ، وينظمون صفوفهم للقضاء عليه ، قبل أن يقضى عليهم ، وفقد الحكام البيض صوابهم ، وتخيلوا المتظاهرين أسودا مفترسة ، فأعملوا

فيهم القتل والتنكيل ، وأبطلوا
منظمتهم واعتقلوا زعماءهم ، وأعلنوا
اصرارهم على انفاذ المشروع ، مشروع
الاتحاد ، رغم أنف الملايين من الوطنيين
الافريقيين ...

ولقد أوهم المستوطنون العالم
الخارجي ، واجتهدوا أن يوهموا
أنفسهم أنهم أحمداوا الزحف الوطني ،
ولكنهم وهم يرون أنهم بقع متناثرة
في خضم أفريقي لا نهائي ، لا يكاد
يغمض لهم جفن ، وإذا ما راود أحدهم
النعاس - على حد تعبير مراسل
بريطاني - فانما يغفى وبندقيته في
يمينه ...

ومع هذا فانه لا يبدو أن بريطانيا
تنوى التراجع في هذا الميدان بالذات
أو تنوى إعادة المستوطنين الى صوابهم
واقناعهم بالتزام ((مبدأ المشاركة))
الذي نص عليه دستور الاتحاد ..

أما عن المأساة الكبرى التي لم
يشهد التاريخ لها مثيلا والتي تجرى
حلقاتها في اتحاد جنوب أفريقية ،
فقد كلت الاقلام ، وجفت المحابر ،
واضطربت ازاءها هيئة الامم المتحدة
نفسها ولم تجد لها حتى الآن مخرجا .

وما تزال الاقلية الاوروبية التافهة
هناك تلزم ملايين الافريقيين بسكنى
الاحراش ، والحصول على ما يمسك
رمق الجسم ، ولا يغنى شيئا في غذاء
العقل ، وتعتبرهم رجسا لا يجوز له

سكنى المدن ، ولا غشيان معايد البيض ،
وتمنح صاحب العمل الابيض حق
استبقاء الاجير الاسود رغم أنه
وبالأجر الذي يحسده ... وهذا هو
الاسترقاق في أوضح معانيه ..

ولا تبدو ها هنا أيضا أية بارقة
من الامل في أن يثوب حكام جنوب
أفريقية البيض الى الصواب أو
ما يقارب الصواب ، وانما هم يمعنون
كل يوم في وضع المزيد من قوانين
التفرقة العنصرية التي تنافي البشرية
والحضارة والتقدم وكرامة الانسان .
هذه ، هي في الواقع ، نقط الخطر
القادم في سبيل سعى أفريقية ، الى
التحرر والاستقلال ، وهي التي
لخصها الرئيس جمال عبد الناصر في
خطبته ، غداة عيد الثورة .

وانه لمن حسن الطالع أن يؤكد
زعيم أفريقي عظيم سبق له أن وقف
مع شعبه ، فأوصد باب القارة الشمالي
في وجه الاستعمار ، أن يؤكد وقوف
بلاده الى جانب الشعوب الافريقية
المكافحة ، وأن يمد بالفعل يد المؤازرة
الى تلك الشعوب والى زعمائها
المجاهدين ، وأن يعلن استنكاره لهذا
الوضع الجائر ، وضع المستوطنين
الاوروبيين ازاء أصحاب البلاد
الاصليين ، وأن يبشر أفريقية المكافحة
بأن ذلك وضع شاذ ، مصيره الى
الزوال .



بقلم السيد جون كاليه

أوغندة هي آخر بلد في قائمة المستعمرات التي تلجأ فيها الحكومة البريطانية الى خلق الموقف السياسي الذي تستخدم فيه وسائل الارهاب والعنف . وسيسجل التاريخ على حكومة المحافظين القائمة في الحكم هذا العار الذي جللت به جباه البريطانيين ويبدو أن الحكومة البريطانية جد حريصة على أن تقيم مجزرتين في وقت واحد ، حتى أن « الجمعية البريطانية لمقاومة أعداء الحرية » قد أوصت لينوكس بويد - وزير المستعمرات - بأن يبعث بجنود الامبراطورية الى حيث يكون الاستعمار في خطر ، أو تكون الحرية على عتبة البلاد .

« لقد ضاعت قبرص » .. هكذا صاحت هذه الجمعية ، « ولكنه بالرغم من كل ذلك . فان كلا من اليونان وتركيا أعضاء في حلف شمال الأطلسي . ولا بد أن نضع ذلك موضعه من الاعتبار » . ولذلك فان الجمعية حفظا منها للسيد

لينوكس بويد أخذت تمده بتأييدها . ان الأحكام العرفية حين رفعت في قبرص انما كانت محاولة « ملء الفراغ » - على حد التعبير الاستعماري - وفي الحال أعلنت الأحكام العرفية في نياسالاند وروديسيا الجنوبية . والسبب المعروف دائما هو : ان الشعب قد طالب بحريته ، ومن هنا ينشأ التناقض . فان الحرية التي تقررت حلا لمشكلة شعب قبرص حرم منها الشعب الأفريقي في نياسالاند والروديسيات فخلقت نفس المشكلة في وسط أفريقية .

وفي كينيا - كان في اعلان الأحكام العرفية حرمانا للشعوب الأفريقية - اذ أن كل المستعمرات البريطانية قد تأثرت بها - وذلك في خلال السنوات السبع الأخيرة .

وها نحن نرى الأحكام العرفية تزحف متلصصة الى أوغندة ونياسالاند . ففي هذه البلاد لا يجد الاستعمار لنفسه مستقرا أو مقاما ، وفي هذه البلاد يمكننا أن نرى صورة ضئيلة للاتفاق العنصري ، أو أننا على الأقل لانصطدم بحالة تعصب البيض ضد من ليسوا بيضا .

وقد وقفت هذه البلاد دائما حاجزا بين بريطانيا المستعمرة وبين حكومات المستوطنين الدهماء المتحجرين ، كما يتمثل حكمهم في كينيا وروديسيا الجنوبية . وقد كان الاشتراكيون

والعمال في الراى العام البريطانى
يعتبرون دائما أن استقلال «المحميات»
انما هو دليل على الاتجاه البريطانى
الانسانى وأساس قوى للصدائة ،
والتعاون بين هذه البلدان وبين «البلد
الأم» أى بريطانيا العظمى !! .

ونتيجة لضغط الراى العام ، ومحاولة
الاتفاق الماكرة بين المستوطنين
والوطنيين ، نجد هناك ما يبشر بأن
الأحكام العرفية في كينيا سترفع ان
عاجلا أو آجلا . وبنفس القاعدة
التقليدية نجد أن هذه الأحكام لابد أن
تعلن في بلد آخر ، وكان اليوم هو
دور أوغندا ، ولابد من تتابع الحلقات.

الدور على المحميات :

تختلف دساتير المستعمرات
البريطانية نظريا ، تبعا لحالة كل بلد
على حدة ، ولكنها في الواقع تقوم جميعا
على أساس سياسة استعمارية
متشابهة . فالاختلاف مثلا بين
المستعمرة والمحمية انما هو الى حد
كبير اختلاف تاريخى في أساليب
الاحتلال الاستعمارى .

وبالرغم من وجود الاختلاف الكبير
بين « المحميات » نفسها بالنسبة
لمرحلة التطور الادارى والاجتماعى
والثقافى الذى حصلوه في فترة الغزو
البريطانى فانها جميعا تتسم بسمات
تتفق في عدة أمور :

فشعوب « المحميات » وهى على
ثقة من أن بريطانيا على درجة من

الشرف تكفى لأن تجعلها ترتبط
باتفاقاتها . أى أنهم نظروا دائما الى
مستقبلهم كأنما هو في أيديهم ، وأنه
بالتفاهم المتبادل ستنتهى بريطانيا
« حمايتها » .

وعندما تصبح هذه الشعوب على
عتبة الاستقلال تلجأ الى هذا الالتزام
نحو الشخصية الافريقية مثل الحال
في أوغندا ونياسالاند .

وقد كان من الأدلة الواضحة عن
افتقار بريطانيا الى المسئولية الاخلاقية،
ازاء الاتفاقات المعترف بها أن بريطانيا
قد جرت نياسالاند الى اتحاد وسط
أفريقية لصالح المستوطنين الأوروبين
كما أعلنت الأحكام العرفية في هذه
« المحمية » منذ مطلع هذا العام ، ومنذ
شهرين كررت نفس أخطائها في
« محمية أوغندا » . ان الدور الآن هو
دور المحميات . فمن ذا يستطيع بعد
الآن أن يثق في الحكومة البريطانية ،
في مؤامراتها أو تعصبها ضد الشعوب
الأفريقية ؟ ! ان هذه الدولة التى أخلت
بالعدالة منذ عدة قرون ترتكب أبشع
الأعمال الوحشية في عصرنا الحديث.

وهناك صيحة تميز كل اجتماع
يدعو له الاستعماريون أو أعوانهم هو
أن « أفريقية قد ضاعت » . نعم لقد
ضاعت في نظر شعوبها . ولكن ماذا
بعد ذلك ان هذا الخوف هو الذى
يهيج الاستعماريين الى حد الهستيريا .
وهذا الرعب نفسه هو الذى يدفعهم

الى ارتكاب أبشع الجرائم التى تلتخ
وجه العالم المتحضر لا بالنسبة لشعوب
أفريقية فحسب ، بل والرأى العام
العالمى كله .

أما وقد فقدت بريطانيا آسيا وها
هو غرب أفريقية على الأبواب كما أنه
من الواضح أن الاستعمار سيصبح فى
ذمة التاريخ ، وأن استقلال أفريقية
قد أصبح ضرورة تاريخية ، فإن
الحكومة البريطانية باستخدامها
للأحكام العرفية إنما تحاول أن تفوق
المد الأفريقى المنطلق نحو الحرية
والكرامة القومية .

وقد فشلت بريطانيا فى خلق
« اتحاد شرق أفريقية » (على نمط
اتحاد وسط أفريقية) لتربطه مع
سلسلة اتحادات المستوطنين التى
لا تنتهى ، كما أنها تخشى الآن انحلال
اتحاد وسط أفريقية نفسه ، ولذا
أعلنت الأحكام العرفية فى أوغنده
ونياسالاند لتخلق للمستوطنين
الأوروبيين جوا مماثلا فى هذه البلاد ،
مادامت ليست لهم مطالب معينة
تبرر الضغط على هذه الشعوب .

لقد أعلنت الأحكام العرفية لتطلق
يد الحاكم العام فى اشاعة الرعب والظلم
والفوضى لاطالة عمر حكمهم فى هذه
المنطقة .

ومثل هذه الاجراءات السخيفة
كاملان حالة الطوارئ فى أوغنده
ونياسالاند عقابا لهم على مطالبتهم

بالحرية لا تؤدى الى بقاء الوضع
السياسى فى شرق ووسط أفريقية على
ما هو عليه فحسب ، حتى يستفيد
الاستثمار الاستعمارى البريطانى من
هذه البلاد الغنية ، وإنما هو كذلك
لنشر الأمن لحكومات المستوطنين
الأوروبيين فى كينيا والروديسيات
وجنوب أفريقية والكنغو ، وكل البلاد
التي يهملها أن يوجد بجوار كل منها
« غانا » أخرى .

فأوغنده ونياسالاند حين تصبحان
بلدين مستقلين لن تستطيعا أن تقبلا
أن يكون هناك شعب أفريقى له كرامة
انسانية ويكون فى الوقت نفسه مواطنا
من الدرجة الثانية داخل بلاده ، فاذا
ما أعلنت بريطانيا الأحكام العرفية فى
هذه البلاد ، لتتخاشى هذا الوضع ،
فإنها ولا شك مخطئة تماما .

مؤامرة مخجلة فى أوغنده :

عملت الحكومة البريطانية على
عرقلة الكفاح الوطنى فى أوغنده عرقلة
تامة منذ عام ١٩٥٣ ، أو العمل على
تضييع الوقت فى خلال هذه
السنوات الثلاث . وقد عمل حزب
المؤتمر الوطنى على اعلان مطالبه مرة
بعد أخرى ، منذ عام ١٩٥٢ - ١٩٥٥
وهى فترة المقاومة البطولية التى قادها
الحزب الوطنى ، وكانت الحكومة
البريطانية تعمل دائما طيلة هذه الفترة
على ايجاد سبب لاتهامه أو استفزازه.
وقد كانت مطالب الحزب معقولة

ولها ما يبررها لدرجة أن حكومة « المحمية » لم تواتها الشجاعة على مقاومتها ورفضها ، كما لم تستطع أن تجعل من نفسها مسئولة عن قبولها وتنفيذها . ولذا حاولوا خلق منافسات بين الأحزاب الوطنية السياسية ومنظمات الحكومة المحلية ، وذلك بقصد تحطيم الوحدة التي تسعى أوغندا إلى تكوينها مستقلة وذلك على أسوأ الفروض . أما أحسن الفروض ، فهو خلق فوضى وصراعات داخلية تطيل من حكم بريطانيا للبلاد إلى ما لا نهاية . وقد كشفت هذه المؤامرات عن وجهها في عدة أحداث هامة داخل البلاد . فعلى الرغم من أن الحكومة قد اضطرت إلى الاستسلام لطلب حزب المؤتمر الوطني عن الانتخابات المباشرة التي كانت تعرف أنها سيكون لها أثر وطني هام في المجلس التشريعي ، ولذا فقد قدمتها بيد وسحبها باليد الأخرى . فبينما مر قانون الانتخابات من المجلس التشريعي راحت الحكومة تتخذ أسوأ الإجراءات ضده ، فطلبت من الحكومات المحلية التي تعتبر منظمات حكومية غير منتخبة أن تعارض الانتخابات في مناطقها ، وكان نتيجة ذلك نتائج بعيدة الأثر . فقد سلطت التنظيمات القبلية غير الديمقراطية على الانتخابات ، فعملت بمساعدة البريطانيين على إثارة الكثير من وسائل الاستفزاز .

وبينما راحت الحكومة تتظاهر بتوحيد أوغندا من خلال مجلس تشريعي مركزي تتوحد وتتفق فيه كل عناصر الأمة راحت الحكومة في الوقت

نفسه تقبل - ان لم تقبل تشجع - ابعاد منطقة بوغندا الهامة عن هذه الوحدة .

وبينما زعمت أن بوغندا جزء مكمل لأوغندا واعتبرتها اقليما أو منطقة من البلاد اذا بالحكومة البريطانية تعمل على تنمية الحكم الاقليمي في بوغندا ، وتنكر على المناطق الثلاث الأخرى هذا الحق .

وبينما كانت الحكومة البريطانية تؤكد لشعب أوغندا أن بلاده ستتطور إلى « دولة أوغنده المستقلة » كوحدة سياسية واحدة ، اذا بالادارة البريطانية نفسها تشجع وتشارك في مفاوضات أحد أطرافها بعض دوائر أوغندا ، والطرف الآخر هو الحكومة البريطانية بقصد الاحتفاظ بالاستقلال القبلي .

فهل هناك نشاط أكثر أجراما من مثل هذا النشاط الذي تقوم به دولة متحضرة ومحترمة في العالم مثل إنجلترا ؟ اننى أستطيع أن أفهم مبدأ « فرق تسد » ولكن كيف يمكن الاستفادة من مبدأ « فرق واخرج ! » وعلى ضوء القومية الافريقية النامية ، هلا تتصور إنجلترا أن أوغندا المقسمة يمكنها أن تتحد بعد خروج الاستعمار ؟ وفي هذه الحالة ، كيف سيذكر شعب أوغندا الحكم الاستعماري . وحتى اذا وضعنا الانفصال موضع الفرض في أوغندا ، على نحو ما ترى بوضوح في الشرق الأوسط ، فماذا تأمل بريطانيا تحقيقه في بلادنا ؟ والمد التاريخي يظهر بجلاء أن أى سياسى لابد أنه سيختار اختيارا حكيما بين أى القوى التي يريد الارتباط بها . وواضح في أوغندا أن الاقطاع والقبلية والداعين إلى الانفصالية

قد حددوا مصدر مصالحهم ،
وان لم يستعينوا بالاستعمار
فسيصبحون فى ذمة التاريخ . أما
ما سيقوم به الجيل الصاعد من الوطنيين
الافريقيين التقدميين ، فهو ضرب
المحافظين والانفصاليين فى أوغندا ضربة
قاضية مفاجئة .

وتحاول الحكومة البريطانية فى
أوغندا ، وهى فى عنادها التقليدى
ازاء مطالب حزب المؤتمر الوطنى ، أن
ترتبط مع أى قوة دون النظر الى
هدفها ، بقصد العمل على تعطيل
استقلال أوغندا بصورة أو بأخرى .
وضرب المؤتمر الوطنى الذى يعمل على
الاستقلال المباشر لأوغندا المتحدة انما
يكافح ضد استفزازات القبلية
والاقليلية . وحزب المؤتمر حين يصطدم
بالقوى المحافظة حول استراتيجية
الاستقلال الوطنى انما يتبع أقصى
الوسائل التى بلغت حد طرد
« **موسازى** » (رئيس الحزب السابق)
الذى راح يتعلق بأذنان القبلىة .

ولم تكتف الحكومة البريطانية باظهار
سعادتها من تطور الصراع بين المحافظين
الرجعيين وبين الوطنيين - وهى البذرة
التي زرعتها بنفسها - وانما ذهبت
الى حد أبعد من ذلك وهو التعاون
مباشرة مع الرجعيين ، ومن الشواهد
المفيدة فى هذا الصدد ، أننا نجد كبار
المسؤولين فى الحكومة البريطانية مثل
المقيم البريطانى فى بوغندا - يحضر
اجتماعا لما يعرف الآن « بالحركة
الوطنية الأوغندية » كما نشرت
الصحف أن المقيم البريطانى وغيره ممن
يعطفون على الحركة الوطنية قد انضموا
الى مجموعة المحافظين .

ليس غريبا أن يصير الرجل الذى
كان منذ ثلاثة شهور يحاكم الشعب
ويتهمه ، مناصرا ومؤيدا ؟ .

لقد وضعت الحكومة البريطانية
خطتها الاقتصادية بطريقة تناصر بها
غير الافريقيين . والآن فان الرجعيين
حين ينظمون حملة منفردة - ولست
هنا بصدد التعرض لتوقيتها أو هدفها
السياسى - لمقاطعة الاقتصاد الأجنبى
المنظم على هذا النحو ، فهل من العدل
أن تجيب بريطانيا على ذلك بشكل
مسرعى فى اعلان الأحكام العرفية ،
والتضحية بالأمة كلها على جريمة
ارتكبتها الحكومة نفسها ، ثم تأخذ فى
قتل من يلومونها على ارتكابها .

الحل الوحيد : أن الحل الوحيد
المعقول والعملى كذلك لمشكلة أوغندا،
والذى سيكون فى صالح الشعب
الأوغندى والبريطانى معا هو أن تتفق
الحكومة الاستعمارية مع الوطنيين
وعلى رأسهم حزب المؤتمر الوطنى
والمنظمات الشعبية التقدمية الأخرى .
ووقف عناصر الفوضى واعادة المجالس
التشريعية فى الحكومات المحلية واعادة
الصفة الوطنية والتمثيل الديموقراطى .
هذا هو الحل المعقول ، وأية عرقلة
له أو تأخير لا يؤمل أن يأتى بديل له
أكثر منطقية أو عمليا .

انه الأفضل للسياسة البريطانية
أن تتفاوض مع الأحزاب الوطنية فى
أوغندا ، لأن هناك شيئا مؤكدا هو أن
الحرية والوحدة والاستقلال لبلادنا
ممكن أن تتأخر حقا ، ولكنها لا يمكن
أن تلغى !

المشغولون الزائرون

لقد حققت الاعتداءات الوحشية المفجعة على المواطنين الملونين في بريطانيا بعض الخدمات اذ أظهرت وحشية البريطانيين وحبهم للأذى والقسوة ، كما كشفت عن فساد نظم التربية والتعليم في بريطانيا - هذه النظم التي فشلت في اعداد البريطانيين ، لكي يكونوا مواطنين عالميين ، فبدلاً من أن تثير في نفوسهم حب الثقافة والاطلاع أو تغرس في قلوبهم محبة شعوب العالم أجمع على اختلاف أجناسهم نجدها تغرس في نفوس البريطانيين الحققد والتحامل ، وتغريهم بالمغالاة الكاذبة الخطرة في تقدير قيمة مجتمعهم الضيق المحدود ، وفي ادعاء فضائل ومحاسن ليست لهم ولا وجود لها بين الأهليين ، وأن الشعب البريطانى ليشب ويتقدم به العمر دون أن يسمع بما حققه الجنس البشرى في القارات الأخرى من أعمال عظيمة جليلة ، فان ثقافة الجماهير في بريطانيا لتقف عند حد مشاهدة مباريات كرة القدم أيام الجمع وتتبع فضائح الناس في صحف يوم الأحد ، ولا فرصة لديهم حتى للتفكير في العوامل والقوى التى تؤثر في حياتهم اليومية .

وان نتيجة هذا النظام التعليمى الفاشل بالاضافة الى المعلومات السامة التى تمتلىء بها أفلام السينما لترى بوضوح قصة الفراغ القاتل ، وانعدام الهدف الذى يغاينه جزء كبير من شباب العالم الغربى مما سهل على الفاشست استخدام هذا الشباب التافه نفسياً ، وغير الناضج عقلياً فى ايقاع الرعب والأذى بالأجناس البشرية البريئة، وأن من شهد قيام حركة الشباب النازى فى ألمانيا ليذكر بأشمئزاز هذه المواد الخام التى أصبحت فيما بعد عصابات النازى القاتلة المجرمة ، وانى لأعتقد أن فى مقدور الحكومة البريطانية أن تجد الوسائل والطرق التى تعلم بها هؤلاء الأطفال قبل أن يصبحوا خطراً يهدد البشرية والمدنية .

ان دين بريطانيا على رعايا مستعمراتها معروف جيداً ، فلماذا اذن - مادامت بريطانيا جادة فى سداد هذا الدين الأدبى والاقتصادى وفى تحسين علاقاتها بالملونين - لا نسمع عما قامت به هذه الشعوب الملونة من خدمات للجنس البشرى عموماً وللبريطانيين بصفة خاصة ؟ ولماذا اذن كان علينا أن نستمع الى حديث فى الاذاعة للحاكم فويس بعيد

قيام الاضطرابات بأسبوع واحد ،
بينما لم نستمع إطلاقاً الى شيء من
الأعمال الجليلة التي حققها هذان
الرجلان في الميادين الأخرى ؟

لماذا لم نستمع الى وجهات نظر
عظماء الرجال في عصرنا أمثال شابلن
وأينشتاين وأرثر ميلر وبيكاسو
وسارتر ؟ ان من السهل اقتباس بعض
ما قاله كل هؤلاء ، وجميعهم قد
أدلى بتصريحات دامغة ضد التعصب
العنصري ، فلقد ذكر «جون بول سارتر»
في مقال حديث عن الأدب المعاصر : «ان
جزءاً كبيراً من روائع الأدب الفرنسي
الآن من عمل المؤلفين الأفريقيين
والكاريبيين وانتاجهم وليس هناك من
شك في أن المؤلفين السود هم أهم
العناصر التي نهضت بالشعر في القرن
العشرين » .

ان الفنان يسبق جيله ، ولقد
مضى على دخول الفن الأفريقي
والموسيقى الأفريقية أوروبا نحو من
خمسین عاماً ، حتى أصبح من الحقائق
المسلم بها ، والتي لا تقبل الجدل ان
الفنان الأسود قد قام بدور فعال خالد
في تشكيل الفن الغربي ؛ ففي وسط
الفراغ الروحي والركود الانساني
قدم الفنان الأسود ، ومعه أحلام
جديدة ، وأحاسيس مستحدثة ، وثروة
طائلة من الفن الشعبي ، ولقد استغل
الفنان الغربي كل هذا ، وكان من أهم
عوامل شهرته ونجاحه أنه يحاكي الفن
الأفريقي ، وينسج على منواله .

ان من المحال أن تفصل بين الفن
والسياسة ، فالفن جزء هام من الحياة
وهو في الحقيقة أكثر مما يظن معظم الناس ،
وان الفنان الأوروبي بتقليده للفن
الأفريقي قد تنبأ مقدماً بالدور الهام
الذي سيلعبه الجنس الأفريقي في
المستقبل ، وستكون رسالة الأفريقي
ومهمته أن يطهر العالم من النفاق ،
ومن التحكم في حرية الرأي ، ومن شهوة
تملك ما للغير ، ومن الميل الى
التخريب والهدم ، مما جعل الحياة
على الأرض جحيماً لا يطاق .

ان العالم الغربي لا يقنع باسائة
معاملة الأفريقيين وظلمهم فحسب ، بل
انه ليعترك شعراءهم وفنانيهم يموتون
جوعاً على أكوام الفضلات ، في الوقت الذي
يتحكم فيه الرأسماليون والصوص
والانتهازيون والنفعيون ، والضباط
السابقون ، والقنبلة الهيدروجينية في
مصائرهم - وسيحفر هؤلاء الناس
وأشباههم قبر البشرية بأيديهم ، ان
كل مهمتهم نهب موارد العالم بحجة
الدفاع عن المدنية التي لم يشتركوا في
تحقيقها ولم يهتموا بها ، بل هم على
أتم استعداد للتضحية بها في سبيل
منفعتهم .

ان التغيير الكامل لا يمكن أن يحققه
الا رجل جديد ، يبشر بمبادئ جديدة
للحب والحياة والأخاء ، ومن غير
الأفريقي يقدر على صنع ذلك ؟ بعد
أن قاسى من المدنية الأوروبية وما فيها
من نقائص ورذائل الشيء الكثير .

القهوة بين آسيا وأفريقيا

للأستاذ : محمد محمود زيتون

ويسود لونه ، ثم تدور عليه الرحا ، وبعد ذلك يذرى فيخلص البن من قشره ، وينقل هكذا الى بقاع المعمورة وأما البن الذى يترك قائما على أصوله حتى يتم نضجه ، فانه لا يدش بالرحى بل يقشر باليد ، ويترك حتى يجف كالزبيب ، وأهل اليمن يغلونه فى الماء ثم يشربون منقوعه باردا فى الصيف ، فتفيد منه أبدانهم ، وهو أغلى ثمنا من النوع الذى يصدرونه الى الخارج بالقناطير المقنطرة .

ومن خواص شجرة البن أنها تبلغ أقصى ارتفاعها وهو ثمان أذرع ، وتعمر ثلاثين سنة ، كما أن القهوة تنعش القلب ، وتزيل الكسل والحمول وتعين على السهر ، وتمنع من الصداع والزكام ، وتهضم الطعام اذا شربت بعد الاكل بساعة .

والقهوة نوعان : قشرية وبنية ، فالاولى من قشر البن فقط أو منه مع حبه المقلو والأخرى من البن المدقوق أو المسحوق يغلى فى الماء حتى تخرج خاصيته ، وللناس فيما يشربون مذاهب ، فمنهم من يشرب القهوة مضافا اليها بعض السكر ، ومنهم من

اكتشفت القهوة فى بداية النصف الثانى من القرن السابع الهجرى فى بلاد اليمن ، حين ظهرت أشجارها فى (وصاب) و (نهارى) فوق الجبال عند (زبيد) ، وبعد شيوعها فى بلاد العرب انتقل استعمالها الى مصر ، حتى اذا كانت سنة ٩٦٢ فتح أحد الدمشقيين مقهى بالقسطنطينية ، فاجتمع عنده الناس وخاصة العلماء وشربوها ، ومن ثم انتقلت الى أوروبا وشاع استعمالها فى جميع أرجاء المعمورة .

وشجرة البن الذى تستخرج منه القهوة تشبه شجرة الكريز وثمرتها ، غير أن ورق الاولى أسمك وأشهى طعما ، وتتميز شجرة البن بأن أوراقها خضراء قاتمة ، وأزهارها بيضاء تخرج اثنتين اثنتين أو ثلاثا ثلاثا ، وفى وقت الخضرة يكون الثمر غضا ومرا ، فاذا احمر كان طعمه أشبه بطعم اللبن الحامض ، فاذا تم نضجه احمر لونه ومال الى السواد ، غير أنه غالبا ما يجمع قبل نضجه ، وينشر فوق الاسطح المستوية للمنازل حتى يجف

يشربها بدونه ، ومنهم من يشربها في
فنجان كبير ، ومنهم من يشربها في
فنجان صغير .

واهتم المؤلفون بأصل كلمة «قهوة»
ونار الجدل واحتدم بين الفقهاء والأمراء
والمحتسبين حول تحليلها وتحريمها ،
وصدرت الكتب . ورسمت الفتاوى ،
وضربت من أجلها رقاب وخربت بيوت
ورمى شاربوها بالكفر والزندقة ، ثم
أبيحت لهم ، ثم حرمت عليهم ،
واختلفوا في أصل اشتقاقها ، فقال
الفخر أبو بكر بن أبي يزيد في كتابه
« اثار النخوة بحل القهوة » انها من
الاقهاء وهو الكراهة أو الاقعاد ، ومنه
سميت الخمرة قهوة لانها تقعد
شاربها عن النوم ، وتكرهه في الطعام
كما تكلم عنها « دى ساسى » في كتابه
« الانيس المفيد للطالب المستفيد »
وأسهب في فصول عنها الشيخ عبد
القادر بن محمد الانصارى الجزيرى
في كتابه « جمع الشذور من منظوم
ومنشور » ، وغير هؤلاء كثير .

وكان أول ظهورها باليمن فاستعملت
كالقات المعروف هناك باستعماله الى
يومنا هذا ، وأول من استعمالها الشيخ
على بن عمر الشاذلى اليمنى ، وفطن
اليها الصوفية فاستعانوا بها على
السهر على يد جمال الدين الزنجانى
اليمنى المتوفى سنة ٨٧٥ هـ وقد
اشتهر بالزهد والتقوى ، وانتقلت الى
الحبشة والجبرت (زيلع) ، ومصر
وغيرها من البلدان .

ويقول الشيخ شهاب الدين بن عبد
الغفار ، ان القهوة لم تظهر في مصر

قبل العشر الاول من القرن العاشر
الهجرى ، فكانت تشرب بالرواق
اليمنى بالازهر ، فكان المجاوزون به
من أهل اليمن يشربونها هم ومن
يساكنهم بهذا الرواق من أهل
الحرمين ، ثم انتشرت في أوساط
الفقراء من أهل الذكر ولا سيما في
ليلتى الاثنين والجمعة ، فتوضع في
صحاف من الفخار يغترف منها رئيس
الحلقة ويسقيهم بنظام أثناء الذكر ،
كما يسقى الحاضرين من العوام .

وعرفت القهوة في كل مكان دون
انكار فكانت تحتسى في البيوت
والاسواق جهارا لا خفية ، بمكة
وبالمسجد الحرام بالذات وبالمدينة .
وصارت تقدم في بيوت الاكابر
والاعيان للضيوف ، وصار القوم
يتلذذون بنكهتها ، ثم أنشئت المقاهى
التي كانوا يطلقون عليها اذ ذاك
« بيوت القهوة » وقد اقترن فيها
شرب القهوة بالغناء والطرب والرقص
ولعب الشطرنج والميسر والقمار ،
وكان الرجال والنساء يجتمعون فيها
وكانت الموبقات ترتكب باسمها ، فلما
صار ضحاياها من السكرى والبغايا
من الكثرة بحيث لفت ذلك نظر الفقهاء ،
دعوا الى تحريمها ، ومصادرة أدواتها
وتعزيز شاربها ، واعتبار بيوتها
كالخمارات والمواخير سواء بسواء .

وفى سنة ٩١٧ هـ كان بمكة أخوان
أعجميان يعرفان الطب ، أنكرا القهوة
وقالا بتحريمها ، فثار بهما أهل مكة
فرحلا عنها الى مصر ، وعلم بأمرهما
الشيخ شمس الدين محمد الحنفى

الخطيب فما زال يغرى بهما السلطان
سليم الاول حتى قتلها بالسيف ،
وعاد فأوعز الى الامير خير بك
المعمار باش مكة ومتولى الحسبة بها
فأبطلها من الاسواق ومنع الناس من
شربها ، وصادر أدواتها ، فصار
الناس يتناولونها فى بيوتهم ،
لا يجرون على شربها جهرة ، وبينما
هم كذلك اذ ورد من مصر مرسوم
السلطان قانصوه الغورى بحلها ،
فانخذل خير بك ، واستعلن شاربوها
وقال بعضهم شامتا بالشيخ الخطيب :
قهوة البن حرمت

فاحتسوا قهوة الزبيب

ثم طيبوا وعربدوا

وانزلوا فى قفا (الخطيب)

وقال آخر :

قهوة البن حرمت

فاحتسوا قهوة العنب

واشربوها وعربدوا

والعنوا من هو السبب

رقصة خير بك طريفة ، فانه لما كان
محتسبا بمكة من قبل الغورى مر ليلة
٢٣ من ربيع الاول سنة ٩١٧ ، فطاف
بالكعبة الشريفة ، ثم شرب من ماء
زمزم ، وعاد الى بيته ، فرأى فى
طريقه جماعة فى ناحية من المسجد
حول السيفى قرقماس الناصرى ،
فما ان رأوه حتى أطفأوا الفوانيس
الموقدة ، فأثاروا الشبهة حولهم ، فلما
أرسل اليهم خير بك وجد بينهم شيئا
يتعاطونه على هيئة شراب مسكرو وجدهم
يديرون كأسا بينهم يسقيهم بها
قرقماس الذى زعم أنه يقيم مولدا
للنبي صلى الله عليه وسلم ، فأنكر

المحتسب ذلك عليهم وسأل عن هذا
الشراب فأخبروه أنه شراب اتخذ فى
هذا الزمان يأتى من اليمن يسمى
القهوة ، ذاع وشاع فى مكة ، وسرعان
ما انعقد مجلس الشرع من القضاة .
فأفتوا جميعا بأن هذه الهيئة التى
يجتمع عليها الناس لشرب القهوة
وارتكاب الموبقات مما حرم الله .

وأما حب البن فشأنه شأن النباتات ،
والاصل فى الشرع الاباحة ، ما لم ينص
على الحكم أو يثبت الضرر ، وجىء
بالاطباء فقررُوا أن القهوة مفسدة
للبدن ، وختم الشهود ، ووقع القضاة
ونودى فى مكة بمنع تعاطى القهوة .

هذا ولم يشذ عن القضاة الموقعين
القائلين بالتحريم الا مفتى مكة الشيخ
نور الدين بن ناصر الشافعى ، فقد
جهر برأيه واستمسك به ، فسمع
ما يكره ، ولقى العنت والأذى ،
وشنع على القضاة ، ورماهم بالنفاق
واتقاء شر الامير بينما هم الذين كانوا
فى طليعة شاربىها .

وسرعان ما جهز هؤلاء القضاة
سؤالا وجهوه الى علماء مصر
يستفتونهم فى أمر القهوة وقصدهم
طبعاً احراج موقف خصمهم العنيد الذى
يعارضهم ويشنع عليهم .
وصدر مرسوم السلطان الغورى
بعد فتوى علماء مصر تقتبس منه
مضمونه وقد جاء فيه : « وأما القهوة
فقد بلغنا أن أناسا يشربونها على هيئة
شرب الخمر ، ويخلطون فيها المسكر
ويغنون عليها بآلة ويرقصون ويسكرون
ومعلوم أن ماء زمزم اذا شرب على هذه

الهيئة كان حراما ، لهذا منع التظاهر بشربها والدوران بها فى الاسواق » ومن ذلك يتبين أن الهيئة التى لازمت شرب القهوة أنكرها الذوق والشرع ، فى حين أن القهوة ذاتها لم ينص المرسوم على منع تعاطيها ، بدليل أن السلطان لم يمنع ذلك فى مصر .

وفى سنة ٩١٨ قدم مكة الامير قطلباى خلفا لخير بك ، فشاع شربها واشتهرت أكثر مما كانت قبلا ، وفى سنة ٩٣٢ قدمها محمد بن عراق ، فهاه ما يرتكب مع القهوة فى بيوتها من محرمات فأشار على الحكام بإبطالها مع التصريح بها فى ذاتها ، حتى توفى سنة ٩٣٣ ، فعاد الامر كما كان ، وظلت القهوة أفضل تحية تقدم للاكابر والامائل ، وأفتى بحرمتها الشيخ شهاب الدين بن عبد الحق السنباطى ، فثارت عليه العامة ، وندد به الشعراء حتى قال بعضهم :

ان أقواما تعادوا

والبلا منهم تاتى

حرموا القهوة عمدا

قد رووا أفكا وبهتا

ان سألت النص قالوا :

(ابن عبد الحق) أفتى

يا أولى الفضل اشربوها

واتركوا ما كان بهتا

ودعوا العذال فيها

يشربون الماء حتى

وكانت بيوت القهوة عامرة بروادها

ولا سيما فى رمضان ، وفى ذات يوم

من سنة ٩٤٥ انقض رجال الشرطة

على من كان بها واستاقوهم فى الحديد

والحبال وباتوا فى أشنع حال اذ ضرب كل واحد منهم سبع عشرة جلدة ثم أطلق سراحهم وعاد الى احتسائها فى القاهرة طلبية العلم وأساتذتهم والصالحون وأهل الفتوى أنفسهم ، وأصحاب الدروس بعد أن لمسوا فيها تجديد النشاط وذهاب الكسل ، وهاه در مادحها اذ يقول :

يا قهوة تذهب هم الفتى

أنت لحادى العلم نعم المراد

شراب أهل الله فيها الشفا

لطالب الحكمة بين العباد

نطبخها قشرا فتأتى لنا

فى نكهة المسك ولون المداد

ما عرف الحق سوى عاقل

يشرب فى وسط الزبادى زباد

حرمها الله على جاهل

يقول فى حرمتها بالعناد

فيها لنا تبر وفى حانها

صحبة أبناء الكرام الجياد

كالبن الخالص فى حله

ما خرجت عنه سوى بالسواد

هذه لمحة خاطفة عن الدور الذى

قامت به القهوة فى التاريخ بين آسية

وأفريقية ، وما كان فى حلها هنا

وتحريمها هناك من طرائف ، سجلها

الادب العربى فى شعر رائع متحرر

من كل قيد ، وحسبنا من وراء ذلك

كله ما كان ولا يزال للقهوة من أثر فى

تقاليدنا الاجتماعية المشتركة ،

وعوائدنا العامة على الرغم من قفزاتها

الرائعة منذ أكثر من خمسمائة سنة

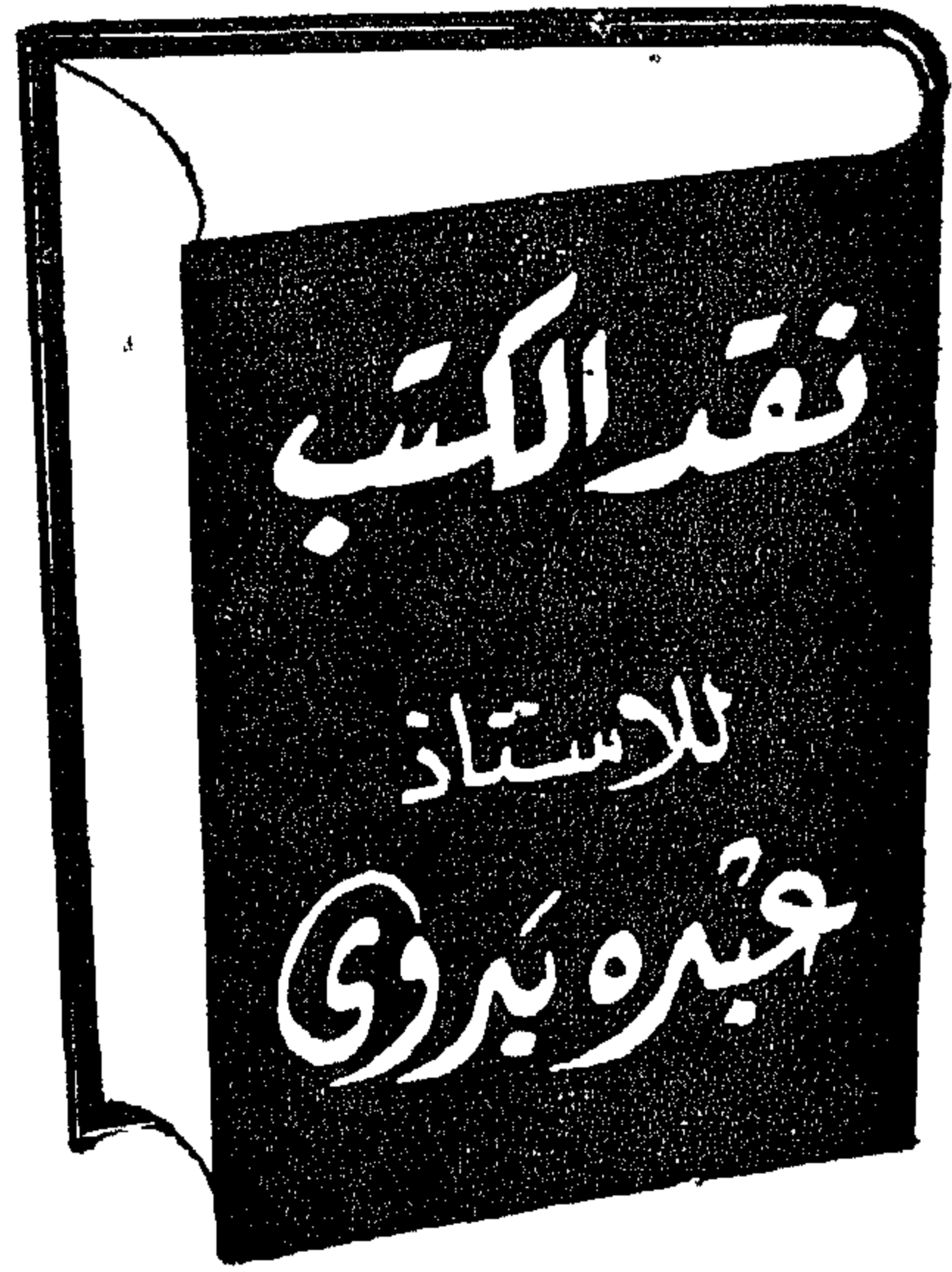
فيما بين اليمن والحجاز والحيشة

ومصر والشام .. ثم انتشرت من ربوع

آسية وأفريقية الشقيقتين الى أوروبا ..

بالبحث أن يرجع فيه المؤلف الى المحفوظات التاريخية في لندن . كما رجع الى المحفوظات الموجودة في القاهرة . فقد توجد في تأشيرة رئيس ما يلقي الضوء على كثير من الحقائق ، وما يغنى عن كثير من الوثائق والمراجع ..

وقد بدأ المؤلف الفصل الأول بتفسير لكلمة « الاستعمار » من الوجهة القاموسية ، ومن الوجهة التي أوردها الدكتور محمد عوض محمد في كتابه « الاستعمار » والمذاهب الاستعمارية من أنه : « العمل أو مجموعة الأعمال التي من شأنها السيطرة أو بسط النفوذ بواسطة دولة ، أو جماعة منظمة من الناس على مساحة من الأرض لم تكن تابعة لهم ، أو على سكان تلك الأرض ، أو على الأرض والسكان في آن واحد » . ثم انتهى الى ان المقصود بالاستعمار في العصر الحديث « هو استيلاء دولة على قطر من الأقطار وإدارة شئونه ، أو استثمار مرافقه المختلفة ، اما بيد مهاجرين يرحلون اليه ويقطنونه ، واما بيد سكانه الأصليين ، واما باشتراك الفريقين . ومن المسلم به أن الدولة المستعمرة تضمن في هذا العمل لنفسها ولقومها أعظم فائدة تستطيع الحصول عليها » ولا أدري لماذا أصر المؤلف على أن يكون الاستعمار من « الدولة » على « القطر » ؟ ولماذا لا يكون الاستيلاء مثلاً من دولة على



من الكتب الجادة التي أثرت المكتبة الافريقية حديثاً كتاب « المنافسة الدولية في أعالي النيل » للدكتور على ابراهيم عبده .

فالموضوع له أهمية ضخمة ، لأنه يرتبط بعملية التدمير النفسى للقارة الافريقية ، وتوزيعها على الدول الأوروبية . كما يرتبط في الوقت نفسه بمشكلة المياه في أعالي النيل .

وقد حدد المؤلف فترة البحث بما بين عامى ١٨٨٠ ، ١٩٠٦ ، لأن ظروف القارة قد تشكلت الى حد كبير في هذه الفترة بعمليات التسابق الغربى . ورجع الى كل المصادر والمراجع التي لا غنى للكتاب عنها . وكم كان موفقاً حين قدم لنا دراسة سريعة عن هذه المراجع والمصادر في نهاية كتابه .. الا انى اعتقد انه كان من الأجدر

دولة أو العكس ؟ وهناك فرق بين المصطلحين .

ومهما يكن من شيء فكلمة « الاستعمار » قد شغلت الكثيرين في هذا العصر . حتى لقد اختار الأستاذ « فتحى رضوان » لهذا النوع من الحياة كلمة « الاستخراب » . والأجدر بنا أن نتركها كما هي . فقوانين اللغة العربية يمكن أن تنطبق على هذه الكلمة . فمن بين مسمياتها ما يطلق عليه « أسماء الأضداد » ، ومن هذا اطلاقهم على الملدوغ كلمة السليم . واطلاقهم على الأسود كلمة الأبيض . ! هذا ولا أحسبنا كنا نتعرض لشيء من هذا لولا أن المؤلف نفسه قد بدأ كتابه بهذا التدقيق اللغوى !

والاستعمار في نظر المؤلف له درجات : فهناك « **الاستعمار المطلق** » . وهناك عدة أنواع من الانتداب ، والحماية ، والوصاية . ويمكن تقسيم الاستعمار الى عدة أنواع أهمها « **الاستعمار الاستغلالي** » الذى يوجد عادة فى الأقاليم الاستوائية ، والمدارية المنخفضة ، والمناطق الكثيفة بالسكان فى الأقاليم المعتدلة كما هى الحال فى كثير من المستعمرات الإفريقية الاستوائية والمدارية ، ومدغشقر .

وهناك « **الاستعمار السكنى** »

الذى تصلح أحواله الجوية لاقامة الأجانب ، ومثال ذلك شمال إفريقيا بالنسبة للفرنسيين ، وجنوب إفريقيا بالنسبة للإنجليز .

وهناك « **الاستعمار الحربى** » الذى تدفع اليه حساسية الموقع .

على أن هناك عدة عوامل قد تدفع الى الاستعمار . فقد يجد سكان الجبال أنفسهم مدفوعين الى احتلال السهول ، وقد تجد الدول المغلقة نفسها فى حاجة للوصول الى المنافذ ، والبحار المفتوحة ، وقد تجد الدول الصناعية أنها لابد لها من تصريف منتجاتها ، وقد يبلغ ببعض الدول الطموح الى تكوين وحدة جغرافية طبيعية ، كما هى الحال فى فرنسا فى غرب إفريقيا ، وقد تدفع الدول الى الاستعمار الرغبة فى تأمين مواصلاتها الى مكاسبها فى الأطراف البعيدة !

والاستعمار فى كل أعماله التدميرية يدعى لنفسه عدة حقوق فهناك « **حق القوة** » الذى لا يعترف بالضعف من حوله ، وهناك « **حق العنصرية** » كادعاء البيض بأنهم أحق بالسيادة على السود ، وهناك « **حق الاحتلال الأول** » بمعنى أن المحتل لم يسبق فى البلاد التى يضع يده عليها ، وهناك « **حق الاحتلال بالتعاقد** » الذى يقوم على التفرير بالسطاء من الجماعات ، والناس ، وهناك « **حق الاستعمار نتيجة الحرب العادلة** » كأن يضار انسان أو شيء لدولة ، فتقوم هى بعملية اعتداء شاملة على شعب بأسره ، ووطن بأكمله . وهناك « **حق الاستعمار بالتقادم** » الذى يتمثل فى طيلة المدد

التي تقيمها الدولة المستعمرة في البلاد، وهناك « **حق الاستعمار في نشر الحضارة** » كأن تفرض دولة وصاية ثقافية على دولة أخرى ! وأخيرا فهناك ما يسمى بالاستعمار من أجل « **حق الحياة** » فقد تسوق ضرورة العيش دولة الى الرغبة في ايجاد متنفس لها بالاستيلاء على دولة أخرى .

وبهذه الألوان من تشريع الاستعمار ظلم الانسان أخاه الانسان وعرفت ألوان منه منذ بدء الوجود . فكانت وجهته في العصور القديمة تأمين الحدود ، والبحث عن موارد الثروة ، والتوسع . وفي العصور الوسطى تراه محصورا في البحر المتوسط . أما في العصور الحديثة فقد أصبح عالميا اذ استعمر الأوروبيون في القرون الأخيرة مساحة تبلغ نصف الكرة الأرضية .

* * *

وقد تعرض المؤلف لأسباب تأخر كشف افريقية ، فذكر أن افريقية لم تعرف كقارة الا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر . أما حافاتها . وهوامشها فقد كانت مطروقة من الناحية البحرية . ويعتبر المصريون القدماء أول الرواد في اكتشاف هذه القارة ، فقد عرفوا السودان والحبشة ، والصومال ، وتوغلوا في ساحل افريقية الشرقى . أما الفينيقيون فقد استقروا في شمال افريقية ، وأمكنهم في القرن السابع قبل الميلاد الوصول الى البحر الأحمر . كما أسسوا عدة مراكز تجارية

على الساحل الغربي لافريقية . ويقال أن القرطاجنيين قد داروا حول افريقية وقامت بينهم وبين غرب القارة علاقات تجارية .

وكذلك استطاع الاغريق ان يتوغلوا في قلب القارة ، وأن يصلوا الى ما يسمى بالكمرن الآن .

وبعد الاغريق عرفت مصر زحف الفرس على يد « قمبيز » الذي لم تقف أطماعه عند مصر ، وانما أرسل رسله الى الحبشة ، وفكر جديا في الوصول الى أعالي النيل . وكما قام صراع بين فارس واليونان فقد قام صراع حاد كذلك بين روما وقرطاجنة انتهى أخيرا بانتصار روما وتوغلها في افريقية . فقد حكمت الشمال افريقي كله من مراكش الى مصر ، ومدت حدودها الى الحبشة ، وملتقى النيلين الأبيض والأزرق ، ووصلت تجارتها بزنجر ، وفي عام ١٥٠ م رسم بطليموس خريطته الشهيرة للعالم ، وصور فيها نهر النيل نابعا من بحيرتين بالقرب من خط الاستواء .

وحين ظهر الاسلام نرى العرب يسرون غربا ، ويسيطرون على ساحل افريقية الشمالى ويشبون منه الى اسبانيا ، ولم يقف بهم الأمر عند الشمال وانما توغلوا في القارة وحاربوا النوبة ، ووصلوا في القرن العاشر الى مصب « السنغال » ، و « كانم » ووصلوا في القرن الحادى عشر الى

« دارفور » ، ثم غطوا بلادا كثيرة من القارة بتجارتهن .

وقد كان على المؤلف أن يتمهل عند الحديث عن معرفة العرب لأفريقية ، كما تمهل عند غيرهم ، ولكنه خطف الحديث عنهم ، وحين تكلم عن معرفتهم القديمة بشرق أفريقية رجح أن أقامتهم على الساحل « كانت مؤقتة ولأغراض تجارية » ، وأن حركة المد العربى لم تعرف الا فى عهد الدولتين الأموية والعباسية بسبب الضغط على المناوئين للحكم فى كل من الدولتين . ثم أخذ النفوذ العربى يقوى ويشتد فى العصور الوسطى فى ساحل الزنج .

ونحن نرى أن العرب عرفوا أفريقية الشرقية فى عهد مبكر جدا قبل الاسلام ، وأنه كانت لهم عدة نقاط هناك أهمها زنجبار ، وأن حركة المد لم تقتصر على التجارة كما يراها المؤلف . وإنما دعت إليها عدة هجرات يمنية قديمة دفعتها ظروف الحياة الى الاسكان فى أفريقية ، وأن من أقدم القبائل العربية الضخمة التى غطت مناطق كبيرة فى الحبشة قبيلة « الحبشات » التى سميت الحبشة باسمها ، وقبيلة « بنى عجازى » التى لا تزال لغتها معروفة الآن فى اثيوبيا باسم « العجيز » كما هاجر « الأنباط » فى هذا الوقت المبكر الى أفريقية حاملين معهم لغة « آرامية » هى اللغة النبطية وكذلك هاجر الحضارمة الى

أرض البجة ومعهم إحدى اللغات اليمنية فهم يرجعون فى أصولهم البعيدة الى « حضرموت » .. كما أن هجرة المسلمين فى أول أمر الدعوة لم توجه للحبشة بالذات الا لتلك الأواصر القديمة ، وعمليات الهجرة المستمرة بين العرب وهذه البلاد .

وقد عثر فى منطقة البحر الأحمر على جماجم تدل على أن عبور العرب لأفريقية كان فى وقت مبكر جدا . وهكذا نرى أن صلة العرب القدماء بأفريقية لم تكن صلة سطحية للتجارة ، وإنما كانت عملية مد طبيعى للحياة فى هذه البلاد .

ومن الغريب أن الجزء الذى خصه الدكتور على إبراهيم عبده للحديث عن معرفة العرب لأفريقية عامة ، ولشرق أفريقية خاصة ، وهو الذى يبدأ من ص ٢٩ الى ٣٨ لم يستند فيه الى مصدر أو مرجع . على خلاف ما سار عليه الكتاب فهل نفهم من هذا أن الرجوع الى المصادر العربية القديمة شئ لا يحتل لما فيها من نقص فى التوثيق ، والفهرسة ، وأن الرجوع الى المراجع العربية الحديثة لا يعطى القارىء شيئا لأنه لم يعد لدينا الصبر على استخراج ما فى تراثنا من حقائق ؟

وقد ذكر لنا المؤلف أن حركة الكشف الجغرافى تعتبر ثمرة طبيعية لعصر النهضة الأوروبية الحديثة ، وأن

البرتغال كانت أسبق هذه الدول الى عمليات الكشف ، وأن دوافع الاستعمار قبل عام ١٨٠٠ كانت تتراوح بين العوامل الدينية ، والاقتصادية ، والعاطفية . أما عملية الاستغلال الاقتصادي فلم تظهر على حقيقتها الا في العشرين سنة الأخيرة من القرن التاسع عشر لأن مقاليد الأمور كانت في هذه الفترة في أيدي طبقات التجار ، وأصحاب المصانع ، والرأسماليين ، مما ترتب عليه أن تغتصب إنجلترا من افريقية مساحة تبلغ ٣٢٥ مليون ميل مربع يعيش عليها من السكان ٤٦ مليوناً ، وأن يكون نصيب فرنسا أربعة ملايين من الأميال المربعة ، سكانها يتجاوزون ٥٠ مليوناً ، ويكون نصيب ألمانيا مليون ميل مربع يسكنه ١٥ مليوناً .. ، ولم يقف الأمر عند هذه الدول الثلاث ، وإنما تعداها الى البرتغال واسبانيا . ثم ذكر المؤلف أن مصر ضمت السودان اليها في عهد « محمد علي » ، وتوسعت في افريقية في عهد « اسماعيل » ، وأن إنجلترا منسدة النصف الأول من القرن التاسع عشر كانت تبعث برسلها الى افريقية في زى مبشرين ، مكتشفين ، وأن من أهم هؤلاء الذين لعبوا دوراً خطيراً في هذه البلاد « صامويل بيكر » الذي تعرف على « اسماعيل » ، وحصل منه على « فرمان » ليكون رجال حكومته في مساعده ، ثم دخلت

الحكومة معه في مباحثات اشترك فيها ولى عهد إنجلترا ، وانتهت بأن وقعت معه الحكومة عقداً يخدمته أربع سنوات تبدأ من ١/٤/١٨٦٩ وقد أساء فيها الى كثير من السكان ، وانتهت بنتائج تافهة . ولم تأخذ الحكومة من هذه النتيجة درساً . فعينت مكانه « غردون » الذي بدأ عمله بمحاربة الاسلام في هذه البلاد ، وما تكاد تنتهى مدته . حتى استدعاه الخديوى ثانية وقلده منصب الحاكم العام للسودان فذهب الى هناك ليقضى على الحكم المصرى في هذه البلاد الذى سماه في احدى رسائله « حكم قطاع الطريق » . ثم نراه يستقيل في عام ١٨٧٩ .

فاذا ما قامت الثورة المهدية هناك بعد عامين نرى الحكومة البريطانية تفرضه على الحكومة المصرية ليقوم بعملية الاخلاء ، وما يكاد يصل الى البلاد حتى يقع في عدة أخطاء ، وتظهر عداوته سافرة ضد الحكم المصرى في هذه البلاد ، وتترك البلاد للحركة الثورية الجديدة .

وفي عام ١٨٨٠ نجد الوضع هناك على الصورة الآتية :

١ - لا تزال كسلا ، وكيرن ، ومصوع ، والساحل الشرقى ، وهرر في قبضة مصر .

٢ - بدأت الدول الاستعمارية الأوروبية تقوى نتيجة لحادث الكنفو

البلجيكي الذي أدى الى احتلال فرنسا لتونس . كما ظهرت نتيجته أيضا في احتلال إنجلترا لمصر عام ١٨٨٢ .

٣ - بدأت الدول الأوروبية تهتم بحوض النيل والبحر الأحمر من الناحيتين الاستراتيجية والاقتصادية.

٤ - بدأت إيطاليا تهتم بأفريقية ووضعت عينيها على تونس ولكن فرنسا سبقتهم اليها ، ومن هنا نراها تتحول الى الحبشة ، وشرقي افريقية .

وفي الوقت نفسه بدأت بريطانيا تتخذ سياسة تحول دون هجوم فرنسا ، وإيطاليا ، والحبشة على أعالي النيل . ولم يقف الأمر عند حد هذه الدول وانما كانت هناك كذلك ألمانيا وبلجيكا ، وكل منهما تحاول الاستيلاء على جنوب السودان ، بينما كانت سياسة إنجلترا تتمثل في قول « جلاد ستون » « وموقعنا الآن في مصر سوف يكون كنواة لامبراطورية في شمال افريقية سوف تنمو وتلمسو .. حتى ترتبط في النهاية عبر خط الاستواء بناتال ، وكيبتون . ولا داعي لأن نذكر شيئا عن ترانسفال ونهر الأورنج في الجنوب . أو عن الحبشة وزنجبار التي سوف نبتلعها في طريقنا .. » .

وتحقيقا لهذه السياسة فقد أعلنت إنجلترا حمايتها على أوغندا . عام ١٨٩٤ ، ودخلت مع بلجيكا في معاهدات لتحديد ممتلكاتها ، واستخلصت منها فكرة احتلال منطقة « بحر

الغزال » في جنوب السودان التي ستكون الثغرة التي سينفذ منها الفرنسيون فيما بعد .

ثم وضع لنا المؤلف حقيقة العلاقات الانجليزية الفرنسية . وكيف عملت فرنسا مع ألمانيا على تحطيم المعاهدة التي تمت بين إنجلترا وبلجيكا . وان إنجلترا قد خشيت من اتفاق فرنسا مع ألمانيا ، وقامت فيها سياسة ترمى الى عدم الاحتكاك بفرنسا وكذلك قامت فيها سياسة أخرى تلقى الأضواء على سياسة فرنسا التي ترمى الى بلوغ « نهر النيل » عن طريق « بحر الغزال » ، والى محاولتها تحطيم المشروع البريطاني الذي يرمى الى ربط « الكاب » بالقاهرة بمشروع آخر يرمى الى وصل الاطلسي بالبحر الأحمر في خط من النفوذ الفرنسي . وقد أصابوا حينما شبهوا ذلك بقطع الكمثرى الافريقية بالعرض قبل أن تقوم بقطعها إنجلترا بالطول !

وقد عملت « فرنسا » بجهد للوصول الى أغراضها فكسبت ود روسيا وعقدت بينها وبين الكونغو اتفاقا في ١٤/٨/١٩٨٤ وقد ترتب عليه أن صرحت في ١٢/٢/١٨٨٥ بأن اتفاقها مع الكونغو يضمن لها دخول وادي النيل « والوصول الى وادي النيل من الجنوب هو الوسيلة الوحيدة ، التي ستمكننا في يوم ما من حل المسألة المصرية وفق مصالحنا » ، وأن فرنسا

فعلت ذلك في الجنوب للضغط على الانجليز حتى يحترموا وعودهم بشأن الجلاء عن مصر في الشمال .

أمام هذا التصميم الفرنسي، وعملية التقريب بين السياسة الفرنسية والبلجيكية، ومحاولة التوسع الإيطالي في الحبشة وتخرج مركزها . فكرت بريطانيا جديا في استرداد السودان ، وحظيت بتأييد ألمانيا .

ومن هنا نراها تدفع الحكومة المصرية دفعا الى اعادة فتح السودان ، ونرى مصر تحشد ميزانياتها ورجالها ، لخوض هذه المعركة التي لم تلق حماسا من الشعب ، وقد لاقى الجيش المصري في طريقه كثيرا من المصاعب . كما تحملت الخزانة في مصر أكثر مما تستطيع ، وأخيرا انتهى كل هذا بلون غريب من الحكم هو الحكم الثنائي .. ففي ١٨٩٨/٩/٤ لم ترفع على سراي الحاكم العام الراية المصرية فقط ، وإنما رفعت الى جوارها الراية الانجليزية !

ذكرنا أن سياسة فرنسا كانت ترمى الى جلاء الانجليز عن مصر ، وحينما فشلت في هذه الخطة قررت الوصول الى أعالي النيل لترغم انجلترا على ايجاد حل للقضية المصرية ، وكيف أنها بددت جهود انجلترا في محاولتها التقدم من ناحية الكونغو الفرنسية ، وأن آخر حلقة في هذه السياسة المعادية لانجلترا في هذه الفترة كانت

ارسالها حملة الى أعالي النيل . وقد وضع هذه الفكرة الجنرال مانجان أحد أعضاء حملة مارشان بقوله : ان الغرض من حملة مارشان هو « ازالة أى ادعاء للانجليز لاحتلالهم لمصر ، ولنضع حدا لحلم أصدقائنا الأعزاء الذين يريدون أن يربطوا مصر برأس الرجاء وممتلكاتهم في شرق افريقية بممتلكات شركة النيجر الملكية » .

وقد تحركت هذه الحملة في ٧/٢٤ من ١٨٩٦/ « لوانجو - loango » . وكان قوامها مائة وخمسين جنديا سنغاليا ، وكانت أولى العقبات التي تصدت لها بعد مشقة الطريق هي ثورة وطنية في مناطق الكونغو السفلى . ثم انتهى أخيرا الى « فاشودة » في مساء يوم الأحد الموافق ١٨٩٨/٧/١٠ . حيث رفع العلم الفرنسي على بقايا قلعة مصرية هناك ! وحيث قدم له البلجيكيون كثيرا من المساعدات . وفي الوقت نفسه حاولوا الاتصال بالخليفة «التعايشي» في أم درمان محاولين كسب رضاه في مقابل مساعدته ضد الحملة المتقدمة اليه من الشمال بأمر الانجليز !

كما عملوا على كسب رضاء ملك الحبشة ، وزينوا له عملية التقدم من الشرق والمطالبة بالصفة العليا من أعالي النيل ، ونبهوه الى خطر تقدم الانجليز نحو السودان ، والى تلك الصلة العميقة بينهم وبين الإيطاليين الذين كان الأحباش يكرهونهم كل الكره .

على ان انجلترا كانت متنبهة لكل هذه التحركات فأرسلت حملة بقيادة « مكدونالد » من اوغندا للوصول الى « فاشودة » قبل « مارشان » وكذلك جهزت حملة أخرى من أوغندا بقيادة « مارتير » لمحاولة مقابلة عملية الفتح القادمة من الشمال . ولكن النجاح لم يحالف هاتين الحملتين .

ولكن انجلترا ما كادت تقبض على مصاير الأمور في السودان ، وتقضى على جيش الخليفة حتى أمرت كتشنر بأن يتقدم في النيلين الأبيض والأزرق ، والايترف بأية حقوق لفرنسا أولللحبشة في وادي النيل ، وقد تقدم فعلا « كتشنر » فتقابل مع « مارشان » عارضا عليه الانسحاب ولكن « مارشان » رفض الانسحاب . فما كان من كتشنر الا أن رفع العلم المصرى على الطرف الجنوبي من « فاشودة » ، وأمر فرقة سودانية بالبقاء هناك . وأرسلت وزارة الخارجية الانجليزية الى وزارة الخارجية الفرنسية بأن « كل المناطق التى كانت تابعة للخليفة . قد انتقلت الى الحكومتين الانجليزية والمصرية بحق الفتح » وأنها مصممة على اتمام مشروع قيام امبراطورية تبدأ من البحر المتوسط ، وتنتهى الى رأس الرجاء الصالح ، حتى لو أدى ذلك الى دخولها فى حرب مدمرة مع فرنسا .

أما فرنسا فقد رأت نفسها فى وسط

أزمات داخلية عنيفة ، وأنها غير مستعدة حربيا للمجازفة فى دخول الحرب ، وأن موقف « مارشان » محفوف بالأخطار ، وخاصة بعد أن فشل الأحباش فى مساعدته ، كما ظهرت فى الوقت نفسه نية الروس فى عدم الوقوف الى جانبهم . ومن هنا فلم يكن بد من سحب بعثة « مارشان » الذى تم فى ١١/١٠/١٨٩٨ .

وقد كان وقع هذا الانسحاب شديدا على مصر ، وعلى الحركة الوطنية فيها . فقد كانت مصر تعلق الكثير من الآمال على صلاية فرنسا فى موقفها ، وكانت مصر تدرك أن فرنسا ان تخلت عن موقفها فستترك انجلترا يدها فى مصر والسودان . ولكن ما كاد هذا الجلاء يتم حتى سارع بعض الساسة بالخضوع التام لانجلترا ، ويمكن أن نرى صدى هذا الحادث فى قول مصطفى كامل :

« ان الأحوال السياسية سيئة

للفاية ، بعد مسألة فاشودة وقد أظهر بعض الكبراء الجبن وكادوا يخونون بلادا أحسنت اليهم بما لا يحلم به غيرهم ، ولكنى ثابت على خطتى حتى الممات ، لأن اعتقادی أن ثمر الدفاع وان لم يجنّه المدافع الأول أو الثانى فلسوف يجنيه مصرى على مدى الأيام ، وأنا اذا لم نقتطف ثمر عملنا وجهادنا فى حياتنا فاننا على الأقل نضع الحجر الأول لمن يبنى بعدنا » .

كما يظهر هذا في قوله : لمدام آدم
« فاشودة ! انها الضربة القاضية ! لقد
قلت في رسائلي قبلا ان غير واحد من
ساسنة فرنسا قد أفهم الخديوى
والوطنيين المصريين أن فرنسا ستتدخل
لصالح مصر سريعا وبصفة حاسمة ،
وإننا لهم أنبعثه مارشان هي الحاملة
لراية استقلال مصر ، فصاروا جميعا
يعتقدون أن تحرير وطنهم سيأتى من
السودان ، ولكن حادثة فاشودة قضت
على آمال الوطنيين المصريين » .

ثم قدم لنا المؤلف في الباب الأخير
التسويات النهائية التى تمت على أثر
الصراع الذى دار حول مصر والسودان ،
وكيف أنه انتهى بتوقيع مصر وبريطانيا
على اتفاقية السودان فى ١٩/١/١٨٩٩ ،
وكيف اعترف فى هذه الاتفاقية بما
للانجليز من حق فى السودان ، وبعلم
يرفع لهم ، وبحاكم منهم يسيطر على
البلاد ، وأن هذا كان على يد « بطرس
غالى باشا » عن الحكومة المصرية ،
واللورد « كرومر » عن الحكومة
الانجليزية ، وأن كثيرا من الوزراء قد
قبلوا المشروع دون أن يطلعوا عليه .
ومع أن المؤلف قد اعتمد فى تنفيذ
المعاهدة على ما كتبه الدكتور عبد
الرازق السنهورى ، والدكتور راشد
البراوى ، إلا أنى كنت أحب أن يضيف
اليهما ما كتبه الأستاذ زهير جرانة عن
هذه الاتفاقية .

وأن الخطوة الثانية فى هذه التصفية
النهائية كانت الاتفاق الانجليزى
الفرنسى فى ٢١/٣/١٨٩٩ ، وأنه بهذا

الاتفاق نرى أن فرنسا قد فقدت
الأمل فى الوصول الى شاطئ النيل ،
وامتداد نفوذها من الصومال الى
الكونغو . بينما تحقق فى الوقت نفسه
حلم « رودس » فى وصل ممتلكات
بريطانيا بين الشمال والجنوب ، فيما
عدا هذا الممر الضيق بين بحيرتى
« ادوارد » و « تنجانيقا » .

وفى ١٥/٥/١٩٠٢ تم الاتفاق بين
بريطانيا والحبشة ، وتم فى هذه
الاتفاقية دخول النيل الأبيض ،
والأجزاء السفلى من العطبرة ، والنيل
الأزرق ، والسوبات داخل دائرة
النفوذ البريطانى ، وألا يحق للأحباش
تشديد أى عمل على النيل الأزرق
وبحيرة تسانا ونهر السوبات
من شأنه منع تدفق المياه الى النيل ،
وأن تؤجر أرض بجوار ايتانج Itang
على نهر بارو للحكومة السودانية ،
والحصول على ترخيص بمرور خط
حديدى داخل أراض حبشية .

.. وفى اليوم نفسه ١٥/٥/١٩٠٢
عقدت معاهدة أخرى بين ايطاليا ،
والحبشة ، وانجلترا عينت فيها
الحدود بين الحبشة ، واريتريا ، وبين
السودان واريتريا . كما عقدت معاهدة
أخرى عام ١٩٠٦ بين بريطانيا وفرنسا
وايطاليا والحبشة ، بعد أن أحتج
الأحباش على الاتفاقية المالية الخاصة
بالخط الحديدى الذى مر ذكره فى
المعاهدة السابقة ..

ثم لما أدركت انجلترا خطر ألمانيا
نراها تقوم بعملية تقريب بينها وبين

فرنسا . لذا نرى أن المفاوضات تجمع بينهما في صيف ١٩٠٣ لتسوية الخلافات الناشبة بينهما ، ولإطلاق يد الانجليز في مصر ، ويد الفرنسيين في مراكش ، وقد كان من نتيجة هذا الاتفاق الودى توطيد العلاقات بين الدولتين في الحرب العالمية الأولى ، والثانية ، حتى لقد احتفل بمرور خمسين عاما على هذا الاتفاق فيما بعد ..

وأخيرا تسوى انجلترا مشكلة الحدود بين السودان وبين الكونغو .

وبهذا الفهم العميق للصراع الدولى فى أعالى النيل يقدم لنا الدكتور على ابراهيم عبده كتابه . ولن يقلل من قيمته الكبيرة التزامه دائما خطية الدفاع عن الجانب المصرى ، والسودانى ، فقد ارتكبت بلا شك عدة أخطاء كبيرة من الساسة فى هذه الفترة ، ولا عدم القطع فى مسائل تظهر فيها الحقيقة واضحة . ولتأخذ مثلا على هذا تأرجحه فى القطع بإعادة الفتح ، فهو يذكر ما قاله تشرشل من أن سبب الفتح هو ضغط الرأى العام لأخذ الثأر لغوردون . أو أنه انزعاجهم بسبب زيادة نشاط الخليفة فى شرق السودان . بينما الدافع الحقيقى للفتح كان وصل ممتلكاتهم بين الشمال والجنوب ، وإبعاد فرنسا عن هذه المنطقة ، وما كان لتشرشل أن يوضح هذه الغاية وهو السياسى الداهية . كما أن قوات الخليفة ما كانت لتستعصى عليها فى أى فترة

تريد القضاء عليها . وقد رأينا المؤلف يقول : أن معظم المديرين كانوا من الانجليز ، بينما نرى أن كل المديرين كانوا من الانجليز ، وأن كل « المأمورين » كانوا من المصريين .. كما صور لنا المؤلف أن اتفاقية ١٩٠٣ كانت لإطلاق يد الانجليز فى مصر مقابل إطلاق يد الفرنسيين فى مراكش بينما نراها كانت اتفاقا عاما على إطلاق كل من الدولتين يدها فيما اغتصبته وعدم الاعتراض على أى لون من ألوان السياسة تنتهجه كل من الدولتين .

ثم هناك عدة مصطلحات ذكرها المؤلف كقوله : « ديم زوبير » وصحتها « ديم الزبير » ، وكقوله بلدة « كودك » وصحتها « كدوك » وكإطلاقه لقب « الدراويش » على أنصار الخليفة ، والحقيقة أن هذا الاسم كان يطلق عليهم فى أول قيام المهديّة ، ثم عدل فى أيام المهدي الى « الأنصار » وعرفوا بهذا ، وقد اعتمد المؤلف على الدقة فى الأسماء فلم يقل « غردون » كما هو الشائع وإنما ذكر اسمه دائما « جوردون » ولم يقل « تانا » ، كما تنطق بها ألسنتنا وإنما ذكر الاسم الحقيقى لها وهو « تسانا » وكذلك ذكر كلمة « سامويل » بدلا من « صمويل » .

.. فإذا أضفنا الى هذا أن هذا الكتاب قد نال به المؤلف درجة الدكتوراه مع درجة الشرف أدركنا ما للكتاب من قيمة ، وأنه سد فراغا ثقافيا فى المكتبة الافريقية .



للأستاذ سليمان جميل

يرقص وهو ممسك بعصا طويلة رفيعة، وخلفه خمسة من الرجال يقلدونه في حركاته ، رافعين أرجلهم اليمنى وأيديهم قليلا إلى الأمام مثله ، بينما نشاهد أسفل الصورة حيوانا يرمز إلى الغزال الذي يعبر عن مصدر الحركة الراقصة .

وكحقيقة تاريخية ، فإن القارة الأفريقية هي أولى القارات التي نشأت فيها مظاهر فن الموسيقى ممثلة في الإيقاع .. ذلك الإيقاع الذي تجدد بطريقة تشبه الكلمات والجمل ، ورسم أشكال من التفكير والتقاليد ، والانطباعات السلوكية التي ارتبطت كنوع من الموسيقى بالدين ، ولعبت دورا هاما في تكوين الشخصية الأفريقية .

والموسيقى في التاريخ مرتبطة أشد الارتباط بالإنسان ، منذ كان الفن في حياة القبيلة الأولى متحدا كقوة ممثلة في الإيقاع .

وذلك يوضح لنا كيف أن عنصر الحركة هو المادة الأساسية في مختلف

أن عناصر الموسيقى في العلم الحديث هي : الإيقاع ، والميلودي ، والهارموني ، والتلوين الصوتي .. ولم تكن الموسيقى البدائية منذ أقدم العصور البشرية تشتمل على أكثر من عنصر واحد من هذه العناصر هو « الإيقاع » وذلك عندما تكونت لدى الإنسان البدائي وسائل القرع على الطبول ، ليعلن عن خطر يدهمه ، أو ليستعملها عندما يجتمع للرقص .

ولم يكن الإيقاع في مجتمع ما قبل التاريخ محدد الأبعاد ، كما كان عاريا من عنصر اللحن . وتكونت الرقصات الأولى في المجتمع الأفريقي « مجتمع الصيد » من إيقاعات مضطربة مبعثرة تحاكي حركات الحيوانات التي كان الإنسان في الغابات يصطادها ، ويقلد حركاتها بطريقة تلقائية .. ولوحة « رقصة المرأة » المنحوتة على الحجر ، والتي قلدها الرسام « جورج ستاو » عام ١٨٦٧ تعتبر من أقدم الرسوم التي تصور لنا رقصة الأفريقيين في جنوب أفريقية .. وفيها نرى رجلا

الجاز هي النموذج الحي للإيقاعات المعقدة التركيب ، ونحن في هذا المجال نود لو أن الناقد « آرون كوبلاندز » كان قد أضاف الى تطبيقاته المدونة أمثلة من موسيقى زنوج ولاية « نيو اورليانز » الأمريكية ، هؤلاء الزنوج الذين انتقلوا الى الدنيا الجديدة عندما لجأ مستعمروها الى شحن عدد كبير من الأيدي العاملة الافريقية للعمل في اعداد التربة البكر للزراعة ، وسائر أعمال البناء الأخرى . وفي واقع الأمر فان أغاني زنوج أمريكا ورقصاتهم هي أسس اللهجة السيكيوياتية ، وتشكيلات الإيقاع المركب في موسيقى الجاز الأمريكية . ونظرة بسيطة الى مؤلفات الجاز الحديثة تكشف لنا عن نوعين متباينين من هذا التأليف . فبينما نشعر بروح السطحية والصخب والمراهقة قد طغت على مؤلفات الموسيقيين الأمريكيين من السلالة الأوروبية ، نشعر بمؤلفات زنوج أمريكا عميقة الأثر ، انسانية غنية باصالة الإيقاع ، والميلودي نابعة من وجدان القارة السوداء ، المناضلة من أجل الحرية والمساواة .. ولا شك في أن ألحان الزنوج الدينية ، وألحانهم التي مارست حياتهم في العمل هي دعامة الموسيقى القومية الأمريكية ، وعامل من أهم العوامل المؤثرة في ثقافة الأمريكيين بصفة عامة ، بجانب ذلك فان ألحان زنوج أمريكا قد غزت بلاد العالم المتحضر لقوة شخصيتها الإيقاعية والميلودية ، بحيث أصبحت خصائص الموسيقى الافريقية هي التي تشكل أغاني البشرية ورقصاتها في القرن العشرين . .

صور الفن التي أفرغ فيها الانسان حياته عبر القرون المتعاقبة . والإيقاع في حياة افريقية الحاضرة مادة فنية مركبة مركزة التعبير ، تشير الى قمة التطور الموسيقي الذي يعلق عليه الناقد الموسيقي الأمريكي « آرون كوبلاندز » بقوله « انه لا يجب أن نعتقد أن التطور الذي أحرزه عنصر الإيقاع في موسيقانا المعاصرة - بحيث أصبح هذا الإيقاع معقد التركيب - أمر كان مجهولا حتى حياتنا الحاضرة ، بل على العكس فان هذا اللون من الإيقاع يعرفه قارع الطبول في القارة الافريقية من قديم الزمن » .

وفي التأليف الموسيقي الحديث ، فان الإيقاع هو العمود الفقري الذي يرتكز عليه جسم الموضوع الفني وهيكله ، بل ان الإيقاع يكفى وحده كعجينة فنية لخلق تمثال موسيقي متكامل البناء ، تفيض منه الحياة . ولقد ألف الموسيقار المجري « بلابارتوك » كنشرتو لمجموعة الآلات الإيقاعية ، بحيث عبر بلغة الإيقاع وحدها ، دون اللحن عن موضوعه الموسيقي العالمي . ولا يفوتنا أن ننوه أن « بلابارتوك » قد زار مصر وأثر بألوان الإيقاع في موسيقانا ، ولا سيما أيقاعات الزار الافريقي .

ونعود الى آراء المؤلف الموسيقي الناقد « آرون كوبلاندز » فنجدده وهو يتحدث عن الإيقاع المركب في الموسيقى الحديثة يعطى أمثلة مدونة لهذا الإيقاع من أعمال مؤلف موسيقى الجاز الأمريكي « جورج جرشوين » ، وهو يعنى بهذه الأمثلة أن موسيقى

الأفريقي في إنجلترا

المتاعب التي يقاسيها في سبيل البحث عن عمل
للاستاذ عزيز مئري عبد الملك

سفنهما الى إنجلترا ، احدهما هندي والآخر افريقي ، ولكنهما علما أن الاتحاد الوطني لرجال البحر يعترض على تشغيل الرجل الأسود في السفن البيضاء ، وقد زادت بهما قائمة الضحايا من البحارة الملونين المحرومين من كل حق ، والذين تزخر بهم أحياء ليثربول وكارديف وشرق لندن اذ قدما ضحيتين جديدتين للفرقة العنصرية . والجدير بالملاحظة أن السفن التجارية البريطانية تحضر هؤلاء البحارة الافريقيين الى إنجلترا ، ثم تطردهم من العمل دون رحمة أو مبالاة ، وأن أصحاب السفن يسرهم أن يروا المئات من رجال البحر الافريقيين العاطلين حولهم وتحت تصرفهم ، كما يعمل الاتحاد الوطني لرجال البحر على عدم استخدامهم مرة أخرى على أية سفينة ، ويظل هؤلاء البحارة المساكين محرومين من كل معونة ، لا أمل لهم في العودة الى بلادهم ، ولا عمل لهم في إنجلترا ولا حق لهم الا أن يموتوا في صمت واستكانة وهدوء .

ومما يزيد في آلام هؤلاء الناس من

دعنا نستمع الى الناطق بلسان الاتحاد العام لعمال النقل في مقاطعة «ميدلاند» المستر جيم ليسك سكرتير الاتحاد ، وهو يتحدث أمان التليفزيون بمحطة الاذاعة البريطانية فيقول :

« ان أهل المستعمرات قدرون تفوح منهم رائحة نتنة ، ومن واجبنا حماية نساءنا منهم بارسال هؤلاء الملونين الى بلادهم فوراً » ثم يستطرد قائلاً « ان استخدام الملونين تشجيع مباشر للفساد ، سوف يمنع الرجل الأبيض المحترم من استعمال سيارات النقل ، ومن يدري ما قد يحدث لبناتنا ؟ اليس من المحتمل أن يشرب أحد الملونين من نفس الكأس التي يشرب منها سيده الأبيض ! ومن منا يستعد لمجابهة مثل هذا الخطر ؟ »

وليس اتحاد عمال النقل هو الوحيد الذي يحرض على كراهية الأجناس ، فان الاتحاد الوطني للبحارة قد قام بعدة اضرابات وقدم عدة احتجاجات ، وأثار شغباً انتهى بقتل الكثير من الافريقيين ، ليحول دون استخدام بحارة من الملونين ، وفي يوليو من العام الماضي قدم بحاران استدعتهما

غير الأوربيين ما تفيض به المقالات في الصحف من سخرية وتهكم ، فتدعى أن الملونين يشاهدون في ملابسهم الأنيفة وعرباتهم الفاخرة، وهم يزورون مكاتب العمل ، بينما الحقيقة والواقع أن الآلاف من الأفريقيين العاطلين يجوبون الطرقات في أسمالهم البالية ، بحثا عن عمل ، ويطرقون الأبواب يوميا يستجدون أصحاب العمل الواحد بعد الآخر ، وهم محرومون من معونة الأصدقاء ، مفلسون لا يملكون أجر العودة إلى بلادهم .

وكذلك يرفض اتحاد العمال المهرة قبول عضوية الملونين متعللا بأتفه الأسباب ، أما اتحاد العمال العاديين فيصر على أن يكون لكل عامل ملون مهاجر بطاقته الشخصية ، في الوقت الذي يصمم فيه على حرمانه من العمل ، ولقد نقل عامل من جاميكا بعد أن ظل يعمل في مناجم ويلز الجنوبية اثني عشر عاما إلى مناجم درهام ، ولكن أخوانه عمال مناجم درهام اضطربوا لكي يحرموه من العمل معهم ، وهكذا طرد المسكين وأصبح عاطلا غير مرغوب فيه ، بالرغم من أنه عضو في الاتحاد ، ولقد توالى الاضرابات لتعين ملون في محطة كنجز كروس ، ولافريقي عين سائق سيارة أجرة مما جعل الأفريقيين يفهمون جيدا أن لا عمل لهم، وأنهم غير مرغوب في بقائهم في إنجلترا . وبالرغم من أن الصحافة الانجليزية

ومحطة الاذاعة البريطانية تخفى هذا العداء السافر الذي يكنه اتحاد العمل والحركة العمالية ضد الأفريقيين تحت طلاء زائف ، فإن الأفريقي المهاجر يحسه ويلمسه طول حياته ، فإذا كان يبحث عن عمل فإن الاتحاد يرفض اعطائه بطاقة ، ومكتب العمل يقول له : لا توجد وظائف خالية للملونين . وأصحاب العمل يقولون له : لا يمكننا تشغيلك حتى لا يتوقف باقي العمال عن العمل وحتى عندما ينجح في الحصول على عمل ويعمل جاهدا للاحتفاظ به تراه يتعرض لضغط دائم مستمر من اخوانه وزملائه في الاتحاد حتى يتمكنوا من طرده ، ويتجدد الاضطهاد كل يوم ، فمن اهانات وإذلال يتعمده معه زملاؤه في العمل إلى اضراب منظم مرسوم القصد منه طرد الأفريقي من وظيفته وأن الأفريقي وحده هو الذي يمكنه التعبير عن الذعر والفرع الذي ينتابه لقاء عمل أجره جنیهات معدودات في جو مليء بالمرارة ، ووسط عداء مستمر يتعرض فيه العامل الأفريقي إلى مقاطعة زملائه وهمساتهم الساخرة وإهاناتهم المتوالية حتى يعجز العامل عن تحمل كل هذه المظالم فيقع فريسة للأمراض العقلية والعصبية .

إن الحرب تشن على الملونين يوميا ما دام هناك أفريقي في إنجلترا ، أما عدد الضحايا فيفوق الحصر ، وفي

وقت، ما خلت وظائف ثلاث بينما كان نصف العمال الافريقيين عاطلين عن العمل يضيعون زهرة شبابهم في بحثهم غير المجدى عن عمل، يجوبون الطرقات ويقرعون أبواب المصانع الواحد بعد الآخر، متضرعين الى أنصاف المتعلمين من الانجليز حتى يتكرموا عليهم بأى عمل مهما كان قدرا أو حقيرا، وينفقون الساعات الطوال يوميا، أمام مكتب العمل فلا ينالهم الا الازلال والتحقير من الموظفين الجهلة الذين يملأون جحور مكاتب العمل الموبوءة .

ان هذه المعاملة السيئة الخالية من كل رحمة أو انسانية لتلقن العامل الافريقى درسا لن ينساه، وكأنها تقول له : لا حياة لك في وطنك ولا في وطننا وليس لك من وسيلة لكسب عيشك هنا، أو هنالك الا اذا نجحت في استخلاص افريقية من يدنا نحن اللصوص، واسترجعتها لك ولأخوانك وأنتم أصحابها الشرعيون، لقد اغتصبنا منكم ووطنكم، وان من يرفض منكم خدمتنا والعمل من أجل منفعتنا وتقديم المواد الخام لنا لن نتركه يعيش فى هذا العالم، ولكنكم متى أصبحتم سادة فى بلادكم سيتوفر لكم العمل، وتطيب لكم الحياة كرجال، وبدلا من الاستجداء على أعتابنا سعيا

وراء أقدر الأعمال وأحطها، ستتعلمون كيف تتحكمون فى الطاقة الذرية ! وكيف تحولون بالعلم والصناعة افريقية الى بلد يعمه الرخاء وتسوده الطمأنينة وترفرف عليه السعادة !

وعند ذلك سird الافريقى قائلا : « وأنى أشكر لكم هذا الدرس النافع المفيد، وأنى لأسف من أجلكم أيها البريطانيون، فأنتم أهل رفاهية وفخفخة، وان بلادى رغم غناها لتعجز عن توفير هذه الحياة الهينة لكم، وان أول درس يجب على ان تعلمه هو ان ألقى بكم بعيدا الى وطنكم، ان كتبكم لم تفدنى فى قليل أو كثير، ولكن أعمالكم هى التى علمتنى ماكنت أجهله، لقد عرفتني من هو صديقى ومن هو عدوى، ولسوف تندمون على تلقينكم لى هذا الدرس النافع، وأن كل اذلال تحمليته وكل اهانة تعرضت لها سيجعلنى اذكر هذا الدرس ولا انساه أبد الدهر، اذ هو راسخ فى نفسى ومحفور على صفحات قلبى، وأنتم يامن ترفضون الآن السماح لى بمجرد العيش معكم يجب أن تعلموا ان حياتكم متوقفة على، وعندما أستغل المواد الخام التى أملكها لمصلحتى وليس لمصلحتكم خبرونى بربكم كيف تتمكنوا من الحياة ؟ » .

((جمعية الاستعمار الامريكية)) منادية بعدم مساواة السود بالبيض ، وبالرغبة في ترحيلهم نهائيا عن البلاد الى موطن أجدادهم ، وقد استجاب الساسة هناك لهذه الفكرة ، وقامت بعثة الى افريقية فاكتشفت هذا المكان وتحاللت على شراء هذه الدولة الضخمة من الامراء المحليين بما لا يزيد عن عشرة جنيهات دفعتها البعثة في صورة هدايا بسيطة ، وساذجة لهؤلاء الامراء المحليين في البلاد .

وبمقتضى هذا الاتفاق تدفق كثير من الافريقيين الذين يعيشون في الولايات المتحدة الامريكية . مستوطنين في أول أمرهم على طول الساحل . ثم حين اشتد ضغط الوافدين توغلوا في الداخل حيث المستنقعات الراكدة ، وغابات « المانجروف » و « السافانا » وآلاف الاميال المغطاة بالادغال ، ولكن طاقة الانسان الجبارة استطاعت أن تغير وجه الحياة هناك ، وأن تجعلها صالحة للسكنى ، وكثير من ألوان الزراعة ، والصناعة .



رئيس الجمهورية



تلتقى في « مونروفييا » عاصمة ليبيريا في هذه الأيام عدة وفود تشكل الحياة في القارة ، ومشكلاتها ، ورغبتها الصادقة في استخلاص حقوقها المغتصبة ، وفي تحقيق عدالة انسانية تامة .. وليبيريا ليست دولة ضخمة . فمساحتها على الساحل الغربى للقارة لا تتعدى ١١١٠٠٠ كيلو متر مربع . كما أن سكانها يقدرون بمليونى نسمة ، وقد كانت قبل تشكيلها الحالى منطقة مهملة يتنازعها عدة أمراء محليين . لأن تاريخها الحقيقى يبدأ فى السابع من شهر يناير عام ١٨٢٢ حينما وصلت اليها بعثة استكشافية لمعرفة هذه الأراضى ومدى صلاحيتها لاستيطان الافريقيين الذين يعيشون فى أمريكا ، والذين رغبت السلطات هناك فى التخلص منهم بعد أن ألغيت تجارة الرقيق ، وأصبحوا يريدون مباشرة الحياة الحرة الكريمة هناك . ومن هنا فقد قامت جمعية تسمى

وقد أخذت هذه البلاد شكلها النهائي كدولة حرة فى يونيو عام ١٨٤٧ بعد أن تمردت على نظام الكومنولث الأمريكى الذى كانت تخضع له . فقد قامت فى البلاد جمعية قوية استطاعت أن تضع دستوراً للبلاد ، وأن تنادى فى ٢٦ يوليو عام ١٨٤٧ بقيام جمهورية ليبيريا المستقلة ، وقد احتفل فى ٢٦ يوليو الماضى هناك بالذكرى الثانية عشرة لتأسيسها . ولقد أحدث إعلان استقلالها فى هذا الوقت المبكر أثراً طيباً فى نفوس سكان الدول الأفريقية المجاورة . فقد بدأوا يحسون بأنفسهم ويتحسسون قيودهم فى غيظ وألم ، ويمدون عيونهم الى هذا البلد الذى كان كجزيرة حرة وسط بحر كبير من المستعمرات البريطانية ، والفرنسية .

والبلاد تتشكل من عنصرين أولهما هذا العنصر الأفريقى القادم من أمريكا الذى يسمى أهله أنفسهم - بالليبيريين الأمريكين . وهم يسكنون فى الأماكن المتحضرة ، وينتشر بينهم التعليم ، وتسند اليهم أكثر الوظائف الهامة فى الدولة . ويعين رئيس الجمهورية دائماً من إحدى هذه الأسر المسماة بأسرة « تابمان » أما المناطق البعيدة فتضم أهل البلاد الأصليين ، وهم ينتمون فى حقيقة أمرهم الى ثلاث مجموعات لغوية هى الماندى Mande وكوا Kua ، ووست بانتو West

Bantu وتشكل هذه القبائل التى لا تقوم بعمل حاسم فى إدارة الدولة تسعين فى المائة من مجموع السكان ، وهى تحتفظ فى داخلها بالتشكيلات القبلية ، وبالخضوع لزعيم ينصب مدى الحياة ، ولا يحق لأحد عزله سوى رئيس الجمهورية .

وليبيريا تعتبر متخلفة الآن اقتصادياً فالزراعة فيها متخلفة . فبينما توجد فى الحزام الساحلى مزارع ضخمة تمتلكها فئة من الرأسماليين هناك نجد أن البقية من الناس تجاهد على أول الامر لتخليص الأرض من الإحراش الاستوائية التى تنتشر بكثرة ثم تعمل من جديد لاستنبات الموز ، والذرة ، والكاسافا ، والبن ، والمطاط ، وأشجار الزيت .

وقد عثر فى أثناء الحرب العالمية الثانية على كميات كبيرة من رواسب الحديد الخام بالقرب من « مونروفا » مما ترتب عليه نمو صناعة التعدين ، وامتصاصها لكثير من الأيدي العاملة . وإلى جانب هذا الفقر الاقتصادى فى الجانبين الزراعى ، والصناعى نجد أن مقدرات البلاد فى أيدي الشركات الأجنبية ، وخاصة الشركات الأمريكية ، فإذا علمنا أن المطاط يكون ٧٠ فى المائة من صادرات البلاد . هالتنا الحقيقة التى تقول ان شركة « فايرستون » تملك جميع مزارع المطاط هناك تقريباً . فمزارع هذه الشركة تغطى هناك مساحة قدرها ٣٨

فالمشكلتان الرئيسيتان الآن في
ليبيريا هما :

أولا : تحكم رأس المال الاجنبى -
وخاصة الامريكى - فى اقتصاديات
البلاد واستنزاف خيراتها ، وامتصاص
مواردها بعيدا عن سكان البلاد
الاصليين .

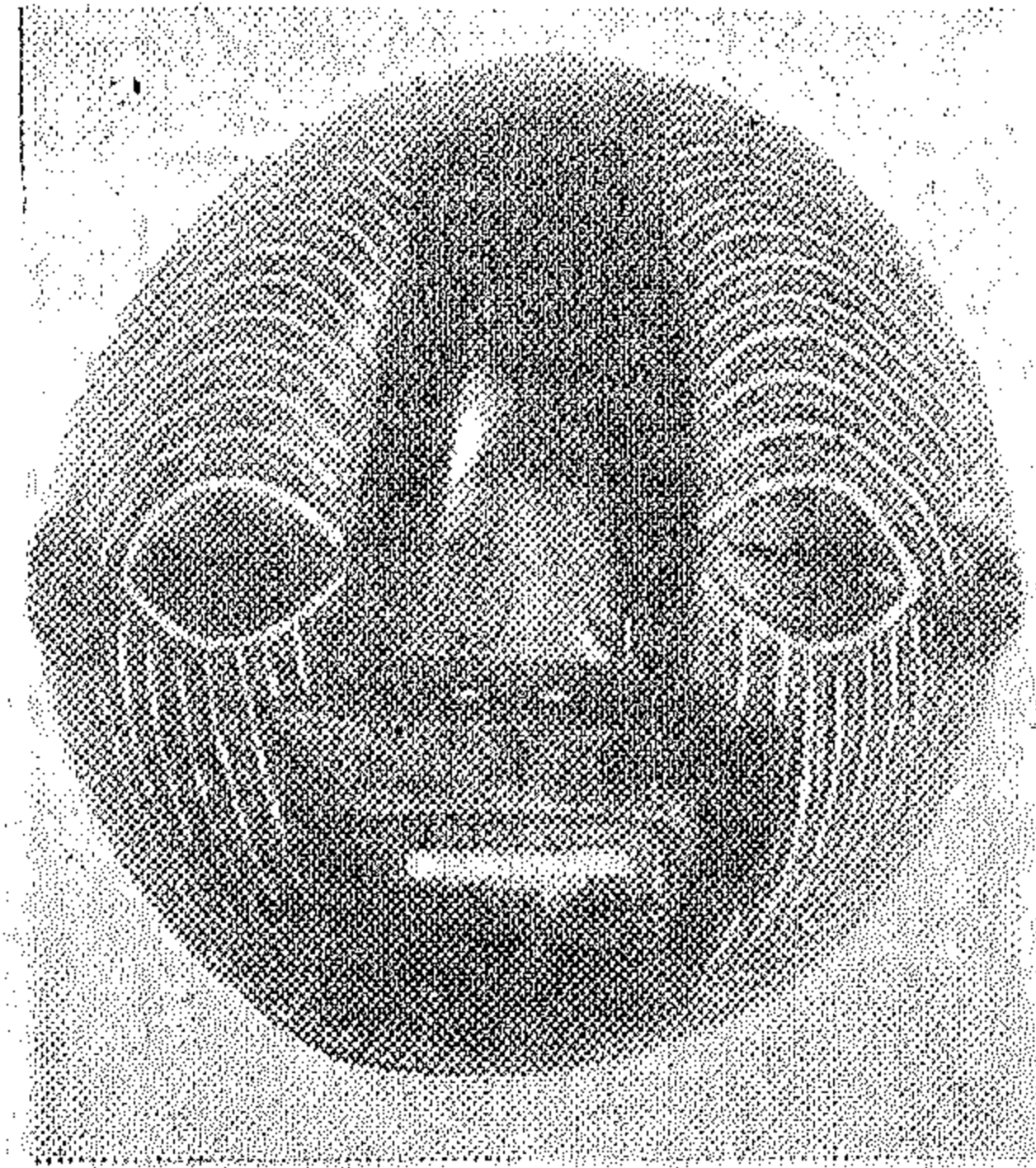
ثانيا : هذه الفجوة الكبيرة بين
الافريقيين من أهل البلاد ، وبين
الافريقيين الوافدين من أمريكا والذين
يملكون مصير البلاد - على قلتهم -
ويضعون أنفسهم وبلادهم فى خدمة
المصالح الاجنبية هذا ، وتكن الوعى
الجديد فى القارة ، والنظر فى حل
المشكلات الافريقية حلا جماعيا .
يستطيع أن يخدم ((القضية الافريقية))
العادلة فى هذه البلاد .

ومن أجل هذا وغيره قام مؤتمر
((مونروfia)) فى ليبيريا .

ألف هكتار . بينما لا يمتلك أصحاب
البلاد الا سبعة آلاف هكتار فقط .

وقد توصلت هذه الشركة الى
غايتها حينما منحت الحكومة قرضا
يبلغ خمسة ملايين دولار . فى مقابل
استغلال الشركة لحوالى ٤٠٠٠٠٠
هكتار من الارض ، وبعض التسهيلات
الآخرى .

والشركة الى جانب هذا تملك أكثر
من ثلث الطرق العامة هناك ، وترتبط
ببنك « مونروfia » الذى يملك حق
اصدار الاوراق المالية فى ليبيريا . والى
جانب هذه الشركة الضخمة التى
تقتصد موارد البلاد توجد بعض
الشركات الاخرى الصغيرة كشركة
« سينورى » التابعة لمانيا الغربية ،
والتي تقوم سياستها على استغلال
مزارع الموز ، وأشجار الزيت .





للأستاذ بهجت إبراهيم دسوقي

يحكى أنه كان فى قديم الزمان
وسالف العصر والوان ، اله
يسمى « فمباكا » تعبده قبيلة
« مبوم » . وكان المعبد الذى يعيش
فيه الاله فى جبل « تجنها » قرب
مدينة « غوندرى » . ومما يزعم أنه فى
هذا الجبل غابات وفى الغابات غار كبير
وفى داخل الغار بحر كبير وفى البحر
مركب نحاسى به بوق ، وبجانب باب
الغار توجد صومعة الكاهن ، وهذا
الكاهن هو الذى يحكم البلاد ويسمونه
بلغتهم « بلسكا » . وهذه الصومعة
وذلك الغار لا يصلهما الا « بلسكا » وحده
وأتباعه من الكهان يقفون بجوار الغار
وحينما يحين موعد زيارة « بلسكا »
للاله فانه يخلع ملابسه كاملة عند
دخوله الغار ، ومما يزعم أن أتباع الاله
« فمباكا » من الآلهة الآخرين يحضرون
الى « بلسكا » ملابس أخرى يلبسها ، ثم

يركب الكاهن المركب ويصحبه الآلهة
ويمسك الكاهن المجداف مع الآلهة ،
ويسIRON داخل البحر مسافات كبيرة
فى الظلام . وتوجد داخل هذا البحر
قبة من النور ، فاذا اقترب المركب
منها ينادى الكاهن بأعلى صوته
« غاغوين » أى (يا الهى) . وفى هذه
الأنثناء يرتفع دخان من أعلى القبة
ويغشى هذا الدخان الكاهن ، فاذا كان
الكاهن سييء النية فان هذا الدخان
يحرقه ، واذا كان حسن النية يظهر
له الاله (فمباكا) جالسا على كرسى
من الذهب ، يقول له « جيجى كوامى »
أى تعال يا عبدى . ثم يقول « ويمى
مهيما » أى اسألنى أعطك . ثم يبدأ
الاله باخباره بما حدث لشعبه وبما
سيحدث له ، ويخبره عن أحوال
الزراعة ، وهل ستحدث مجاعة أولا ،
وبعد ذلك يأمره باحضار فتاة بكر
يعينها له الاله ليرميها الكاهن فى نهر
« وينا » ويبيت الكاهن فى هذه
المنطقة ثلاثة أيام . وفى هذه الاثناء
يقوم الأهالى بعمل كثير من الخمر من
الذرة الشامية ، وذلك فى العاصمة ،
ويدعون الناس من كل مكان ، واذا
أراد أحد الاهالى أن يستفسر عن أمر له
فانه يسأل الكاهن قبل ذهابه ليسأل
له الاله ، ويشرب الأهالى الخمر لمدة
شهر قبل ذهاب الكاهن وبعد رجوعه ،
ويضربون الطبول ويرقصون على
نغماتها . ومن الآلات الموسيقية التى
يضربون عليها نوع يسمى « جا »

وينفخون فى الأبواق . ويلبس الكهنة لباسا من خيوط الشجر ويرقصون ، ومكان رقص الكهنة لا يحضره النساء ، لأنهم يزعمون أن هذا الرقص اذا رآته المرأة فانها تموت فى الحال .

ويرقص النساء فى القرية رقصا اسمه (بوى) ويضربون على طبل مرتفع وينشدون أناشيد تعبر عن ايمانهم وعقيدتهم وولائهم للاله (فمباكا) والكاهن (بلكا) ويرقص الكهنة التابعون للكاهن الاكبر - وهم حكام جميع المناطق - حول هذا الجبل الذى كان بداخله الكاهن الاكبر ، وفى رجوع الكاهن ، حينما يصل الى باب الغار فانه يخلع الملابس التى ألبسه اياها الآلهة ، ويرتدى ملابس الكهنة التى كان قد خلعه فى بدء رحلته ، ثم يحمله الكهنة فى محمل مغلق لا يراه أحد الا الكهنة ، ويعودون به الى منزله ويضعونه فى محرابه ، ثم يدخل عليه الكهنة متفردين ليخبرهم ((بلكا)) بما حدث به الاله ((فمباكا)) ولا يراه الكهنة ولكن يسمعون صوته فقط ، فيخبرهم بما حدث فى قبائلهم وبما سيحدث لهم ، ومن هم أعداؤهم ومن هم أحبابهم ، ويذبح الشعب ذبائح كثيرة بهذه المناسبة من أجل الاله ((فمباكا)) .

ويصرخ . وهذا دليل على صدق كلام الكاهن ((بلكا)) وعلى أن الاله فمباكا راض عنه . وفى صباح هذه الليلة التى حضر فيها الرسول يظهر الكاهن ((بلكا)) للكهنة ، ويهنئونه ويسجدون له ثم يأمر باحضار الفتاة البكر التى أمر باحضارها ليفي بما طلب منه ثم يزينونها ، ويلتمس الأهالى منها البركة ويقدمون لها التهاني . لاختيار الاله لها ، ثم يرمون بها فى نهر ((وينا)) ثم يظهر الكاهن ((بلكا)) للأهالى بعد شهر واحد، ويحضرون لمباركته وتهنئته . ومن يسعد برؤية الكاهن ((بلكا)) ثم يعود لبلاده فان الناس يلتمسون منه البركة لانه رأى مرضى الاله ، ثم يحضر الأهالى حوالى مائة فتاة بكر من بنات الكهنة ويقدمونهن هدية للكاهن ((بلكا)) كجوار له . وللكاهن ((بلكا)) ما يقرب من ألفين من النساء . ويوجد بيئته شجرة اذا أراد أن يجتمع بنسائه فانه يلمس هذه الشجرة بجزء من جسمه فتعطيه القدرة على أن يجتمع بما يقرب من عشرين امرأة ، وهذه الشجرة تسمى ((جفى)) . ويقال ان بعض هذه الاشجار ما زال موجودا عند قبيلة ((مبيوم)) وكذلك بعض هذه التقاليد .

وتوجد هذه القبيلة الآن فى ((غوغندرى)) وفى ((مرى)) و ((نى تبانى)) و ((تنجر)) و ((كونشا)) و ((سمبا)) .

وبعد سبعة أيام يرسل الاله ((فمباكا)) رسولا من قبله يصيح ليلا

الأقنعة في أفريقيا

يمثل القناع قوة خفية من قوى القارة الأفريقية : فيه تقام المراسيم ، ويرهب كل من يخرج على التقاليد المتوارثة للقبيلة . أو الجماعات السرية . كما يتصل اتصالا وثيقا بالقوى الروحية والأسرار التي تنطوي عليها القارة .

وزيادة على هذا فقد أصبح لونا من ألوان الفن الذي يعطي صورة واضحة لنفسية الفنان الأفريقي الأصيل . وطبيعة الحياة ، والظروف الاجتماعية من حوله .

على أنه قد تحول في الأيام الأخيرة الى ((سلع تجارية)) تلقى رواجا في كل بلاد العالم . وبدأت في الوقت نفسه كل الجهات المهتمة بالفنون تهتم به ، وتقييمه ، وتستخرج من خلاله الدلالات النفسية والاجتماعية العميقة .

ومن هنا بدأ يدخل المنازل بجوار الأعمال الكبيرة للفنانين العالميين .

ونحن هنا نقدم بدورنا عدة ألوان من هذه الأقنعة من أكثر من مكان في افريقية .



قناع من الكونغو



قناع من ليبريا



قناع من الكمرون

دور الزوج في المسرح الأمريكي

للأستاذ : عبد الواحد ابراهيم

بالتأليف المسرحي خادما في أحد فنادق سان فرانسيسكو ، ولم تكن مسرحياته التي يكتبها الا تسجيلا صادقا لواقع عاش فيه ، وتجربة عملية مر بها ، وقد عرض مسرح برودوى عام ١٩٢٥ قصته المسماة « المظاهر » وهى دراما تستعرض فى دقة وعمق حياة خُدم الفنادق ، بكل ما فيها من المواقف الانسانية الحساسة ، وقد لقيت هذه المسرحية اعجابا من الجمهور ، حتى أن عرضها على مسرح برودوى قد استمر ثلاثة أسابيع كاملة عام ١٩٢٥ ، ثم أعيد عرضها مرة ثانية خمسة أشهر عام ١٩٢٩ على المسرح نفسه .

ووالاس تيرمان : كاتب قصة ممتاز، ويعتبر ثانى زنجى بعد أندريسون قدم له البرودوى مسرحية ناجحة استمر عرضها فترة لا بأس بها ، وقد اشترك تيرمان مع أحد الكتاب البيض فى وضع مسرحية تدور حول مظاهر الحياة التى يعيشها العالم .

وفرانك ويلسون : هو واحد من جماعة الممثلين الزوج الذين تحولوا

يلعب الزوج دورا ايجابيا فعلا فى مختلف مجالات الحياة الأمريكية ، وليس ثمة شك فى أنهم قد أسهموا وما زالوا يسهمون فى حقل النشاط المسرحي بجهود فنية موفقة ، ساعدت - كما سنرى فيما بعد - على تطوير الحركة المسرحية بتغذيتها بالموضوعات الجديدة التى انفرد الكتاب الزوج باجادة حبكتها الفنية .

ولقد ظهرت من بين الزوج مجموعة ضخمة من الكتاب الدراميين الذين قدموا للمسرح الأمريكى طائفة من الروائع الفنية حظيت بتقدير النقاد واعجاب الجماهير ، وعرض بعضها فى برودوى التى تعتبر مركز الاشعاع المسرحي فى الولايات المتحدة ، وسنقتصر هنا على بعض هؤلاء الكتاب الزوج الذين قدم مسرح برودوى بعضا من انتاجهم .

فكارلاند اندريسون : الذى توفي عام ١٩٣٩ يعتبر أول زنجى كتب لونا جديدا من الدراما الرائعة لمسرح البرودوى ، وهذا الكاتب كان يعمل قبل أن يشتغل

الى كتابة المسرحيات ، وقدم مسرح الأميرة في برودوى عام ١٩٢٨ روايته « موسى الوديع » ولكن عرضها لم يستمر طويلا ، وعاد ويلسون مرة ثانية الى التمثيل حيث اشترك في بعض المسرحيات ممثلا ناجحا على مسارح برودوى .

وهول جونسون : هو مطرب زنجى ، كان يعمل مديرا لأحدى جوقات المنشدين ، وكتب للمسرح نوعا من الدراما الشعبية الخفيفة منها « الارتعاشة الصغيرة » التى نجحت نجاحا منقطع النظير حتى أنها عرضت ١٢٦ مرة على مسارح برودوى عام ١٩٣٣ . وكان جونسون قد كون جوقته بـ الموسيقى عام ١٩٢٥ ، وظلت هذه الجوقة تلعب الموسيقى الرئيسية التى تصاحب التمثيل فى كثير من المسرحيات الكوميدية التى قدمها البرودوى .

وتأتى بعد ذلك مدرسة الكتاب المسرحيين الزنوج الحنديثين الذين أخذوا يعرضون على مسارح البرودوى طائفة من التمثيليات ذات الطابع الذى يتميز بالخصائص الذاتية لطائفة الجنس الأسود ، وأهم هؤلاء الكاتب : **ميخائيل :** وكان هذا الكاتب يشغل أولا وظيفة مدير ادارة الترفيه بـ.س للتليفزيون وقدم ثلاث روايات من شوامخ المسرحيات العالمية ، شاهدها رواد مسرح البرودوى ، ونالت اعجاب

الجمهور على اختلاف ميولهم وأذواقهم ، وحصل على منحة قدرها ٥٠٠٠ دولار ، قدمتها له الكونجهايم ، تقديرا له على رواياته الابداعية التى تقدم بها فى العام الماضى . وقد انتهى ميخائيل أخيرا من كتابة ثلاث مسرحيات جديدة تصور احداها حول حياة البيرت وليمز .

دوين بير : وهو يشغل وظيفة رئيس ادارة التمثيل فى جامعة لعلها هافارد وقام بتأليف أربع مسرحيات من النوع الطويل ، كما كتب عشر مسرحيات أخرى من المسرحيات ذات الفصل الواحد . وقدم مسرح الجامعة مجموعة من انتاجه الفنى . وآخر مسرحية كتبها هذا الدرامى هى « ما وراء الأسطورة » .

جورج نورفورد : ويعمل مخرجا فى شركة ن.ب.س للتليفزيون وقد استمر ٢١ عاما يؤلف للمسرح ، ويكتب الروايات التمثيلية ، الا أن البرودوى لم يقدم واحدة منها ، بالرغم من أن مسرح الجايلد قد اشترى منه حق تقديم روايته الشهيرة « زعيم الأسرة » ولهذا الكاتب مسرحية تعتبر أحدث ما كتب وهى « فلنقل آمين » .

وليم برانس : درس وليم فن كتابة المسرحية فى جامعة الشمال الغربى ، وله طائفة من المسرحيات الناجحة ، أهمها « ميدالية من أجل والى » ١٩٥١ ، و « غلطة نبيلة » ١٩٥٤ ، وقد قام برانس أخيرا باعداد رواية « باقة

من الزهور لأودمو» وهي رواية تعتمد على القصة التي كتبها «بيتر أبرهامز» احد كتاب القصة في جنوب افريقية.

بل جون : وهو ممثل ظهر كثيرا على خشبة المسرح في بعض الروايات الهامة، وله في عالم التأليف الدرامي عدة مسرحيات أشهرها « الماركيز بين الأعشاب الطويلة » وتعتبر هذه القصة باكورة انتاجه الفني ، وقد اشتراها منه مسرح الجايلد لاجراجها وتقديمها .

أليس تشيلدرس : وهي كاتبة تخصصت في كتابة الرواية الفكاهية، وقد وافق مسرح جايلد على عرض مسرحيتين لها ، هما : « الذهب عن طريق الأشجار » وقد عرضت عام ١٩٥٢ ، وقصة « تشويش في الذهن »، عرضت عام ١٩٥٥ ، وأحدث مسرحية لها هي « لباب جوز الهند » .

تيودور وأرد : له مسرحية بعنوان (Our land) وقد عرضت هذه الرواية على مسرح جايلد في برودوى عام ١٩٤٧ ، وتحكى هذه الدراما قصة عبيد تحرروا ، واستقر بهم المقام في احدى الجزر الواقعة على شاطئ جورجيا ، وقد درس وارد فن كتابة المسرحية وحصل على لقب الزمالة من مؤتمر المسرح الدولي ، وقدمت جماعة كتاب المسرح الزوج عام ١٩٤٩ قصته المعروفة « الضباب البيضاء » .

لانجستون هايس : عرضت مسرح

البرودوى خمس روايات ناجحة من أعماله ، ونالت مسرحيته « الولد الملون » اعجاب عشاق المسرح ، حتى أن البرودوى استجابة لرغبات الجماهير ، ظل يعرضها مدة عام كامل، ثم استمر عرضها بعد ذلك مدة ثمانية أشهر متواصلة على المسارح الأمريكية الأخرى ، وله روايات ناجحة ، أخرى منها « المنشد » ، « المنقذون » ، « جزيرة المتاعب » ، « الحواجز » .

تشارلز سابري : اشترك هذا الكاتب مع جوير جونسون - وهو أحد الدراميين البيض - في كتابة مسرحية «مدام باتريسون» وعرضت هذه الرواية على مسارح البرودوى عام ١٩٥٤ . وسابري هذا زنجى فنان، ولد في مقاطعة كينتوكى ، وكان يعمل - قبل ان يشتغل بالتأليف المسرحى - راقصا في فرقة كاترين ولهايم .

ريتشارد رايت : أول زنجى يكتب القصة التي تحظى برواج ، قل أن يحوزها كاتب أبيض من عمالقة الأدب المسرحى في العصر الحديث ، ولقد اشترك مع بول جريرين في كتابة رواية «الولد المواطن» قدمها مسرح برودوى، وقام بدور البطولة فيها « لندالى » واستمر عرضها ٨٣ يوما متواصلة . وريتشارد لا يحب التجربة ، وقد قال مرة « اننى لأشعر بأننى فى منزلى عندما اكون فى المسرح » .

لويس بيترسون : صاحب قصة « خطوة العملاق » الشهيرة وهو

صديق حميم لالان باتون ، أحد كتاب جنوب أفريقية القصصيين البارزين ، وقد عرضت روايته « خطوة العملاق » على مسرح برودوى ، كما عرضت ثلاث مرات على مسارح نيويورك ، وتقوم هوليوود الآن باخراجها على الشاشة ، حيث تلعب فيها « جوهنى ناش » المغنية المعروفة دور البطولة . وقصة « خطوة العملاق » تتناول حياة شاب صغير يعيش فى مدينة نيوانجلند يكتشف فى نفسه الشعور العنصرى الذى يفرضه عليه المجتمع الأبيض الذى يحيط به :

* * *

وبعد ، فهذا عرض سريع لمجموعة من كتاب المسرح الزوج الذين فرضوا أنفسهم على المسرح الأمريكى بكفاءتهم الفنية ، واقلامهم المبدعة الخلاقة فى مجتمع أبيض يحارب فيه الانسان أخاه فى الإنسانية ، لا لشيء اقترفه سوى أن طبيعة البيئة التى ولد فيها قد لونت جلده وبشرته بلون غير أبيض .

وكان بودنا أن نتناول كل كاتب على حدة ، وأن ندرس شخصيته الفنية ، ونتاجه الأدبى والمسرحى فى ضوء المقاييس العلمية ، والمناهج الموضوعية ، لكى نحدد دوره الفعال فى ميدان التطور الفنى للحركة المسرحية فى أمريكا ، ولكننا سنكتفى هنا بتقديم الكاتبة الزنجية .

لورينى هانزيرى : الذى يشهد موسم ١٩٥٩ فى برودوى إحدى روائعها الشامخة ، وهى قصتها « زبيبة العنب فى ضوء الشمس » فخلال تاريخ مسرح برودوى الطويل لم ينجح من المسرحيات التى وضعها كتاب من الزوج نجاحا كاملا سوى عدد قليل منها ، ولكن ليس ثمة شك فى أن الموسم المسرحى فى برودوى عام ١٩٥٩ سيشهد حدثا خطيرا ، لأن أول عمل خلاق مبدع تقوم به فتاة زنجية على مسارح برودوى فقط ، بل لأن مسرحية « لورينى هانزيرى » « زبيبة العنب فى ضوء الشمس » تعتبر إحدى المعالم فى تاريخ المسرح الأمريكى ، وهذه المسرحية بجانب ما تمتاز به من روح التسلية الرفيعة ، وقوة حبكتها الفنية ، وملاءمتها لموضوعها فهى مسرحية تمثل الأبعاد الزنجية ، فى كل زاوية من زواياها . فالممثل الذى قام بدور البطولة فيها هو « سيدنى بويتز » : وهو فنان زنجى حظى باعجاب كبير جدا فى جميع أنحاء العالم لمهارته فى الأداء . وكان مخرج هذه الرواية هو : **لويد ريتشاردز** وهو أحد الزوج الذين ولدوا فى شيكاغو .

ولقد لاقت هذه المسرحية استحسانا واعجابا كبيرين أثناء عرضها فى ولايات نيوهافن ، وكون ، وفيلادلفيا

وشيكاغو ، قبل عرضها على مسارح البرودوى ، وذلك لأنها من الروايات الدرامية التى تمتاز بالحرارة والحماس واثارة العواطف لحياة الزوج الذين يعيشون فى القطاع الجنوبى من شيكاغو، وهى البيئة التى ترعرعت فيها المؤلفة، وسجلات عنها أولى ثوراتها الذهنية .

ولقد صبت « هانزبرى » فى هذه المسرحية كثيرا من مشاعرهما العاطفية التى كانت تحس بها حيال مشكلات الزوج الذين يعيشون فى المدن ، والذين يكافحون من أجل بقائهم ووجودهم فى مجتمع يسوده الرجل الأبيض ، لقد ملأت هذه الموضوعات كل ذرة فى كيان الزنجية المثقفة الواعية فسارت فى كتابتها مقتفية تقليدا خلقتة جماعة محدودة العدد من كتاب المسرحيات الزوج ، الذين عرض انتاجهم على مسارح البرودوى من قبل . ومما يجدر ذكره وملاحظته هنا : أن مسارح البرودوى لم تعرض فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية مسرحيات كتبها الزوج سوى خمس منها فقط ، ولم يكن لواحدة منها أثر يذكر ، اللهم الا مسرحية « خطوة العملاق » التى كتبها « لويس بيتريس » وكسب منها دخلا مرضيا للغاية عندما أنتجت سكتوديوهات السينما . و « هانزبرى » واحدة من اعظم كتاب المسرح الزنجى ، كسبت شهرة عظيمة لكتابتها الدرامية للمسرح الفنى . وهانزبرى التى تبلغ

من العمر خمسة وعشرين عاما ، والتى تلقت تعليمها العالى فى جامعة ديسكونسين تعتبر واحدة من جماعة الدراميين الزوج الذين كسبوا مهارتهم الفنية عن طريق الدراسة والعمل المتواصل فى مسارح الجامعة ، ومسارح الجالية الزنجية .

وبعد أن انتقلت « هانزبرى » الى مدينة نيويورك عام ١٩٥٠ ، وتزوجت بمؤلف الأغانى « روبرت نمراف » كتبت أربع مسرحيات ، كانت على حد قولها « تمرينا عمليا لها على تأليف المسرحية » قبل أن يستقيم لها الأمر فى كتابة مسرحية تتناول فيها حياة الزوج المعاصرين بصورة كاملة ، وكان رأيها دائما هو أن معظم كتاب الدراما من البيض قد فشلوا تماما فى تناولهم الشخصيات الزنجية فى كل بعد من أبعاد حياتهم . وكانت « هانزبرى » تشعر بأن من واجب كتاب المسرحيات الزوج أن يصححوا هذا التشويه التقليدى ، لحياة الزوج وشخصياتهم ، الذى سار عليه المسرح الأمريكى فترة طويلة من الزمن ، وأن يصوروا الزوج تصويرا كريما أميناً وموضوعيا باعتبارهم نماذج انسانية كاملة ، وأن يواجهوا المشكلات المعقدة التى ولدتها نغمة عنصرية الأبيض والأسود ، بروح ايجابية قوية ، حتى يستطيعوا أن يحافظوا على انسانياتهم فى مثل هذا المجتمع المضطرب الصاخب الذى تختل فيه مقاييس

القيم الفاضلة . أما وقد استطاعت هذه الكاتبة هي ومعاصروها من الزنوج أن يقدموا على مسارح البرودوى مثل هذه النماذج المتكاملة بصفة متواصلة، فإنهم بذلك يكونون قد نجحوا فعلا في أن يفتحوا أمام المكافحين من كتاب المسرح الزنوج قلعة حصينه ظلت حوالى الخمسين عاما هدفا عز مناله.

ومن المعروف أن مسرح «برودوى» لم يعرض أية مسرحية كتبها درامى زنجي أكثر من عام ، بل إن العرض الذى استمر عاما كاملا هو فقط مسرحية «الولد الملون» للكاتب الزنجي الشهير «لانجستون هايس» بالرغم من أن السجلات والحقائق تؤكد أن جمهور البرودوى اللماح قد أبدى إعجابه الشديد بالمسرحيات التى قدمها تسعة من الزنوج ، من ذوى المواهب الخلاقة والطاقات الفنية المشحونة بالوعى والادراك الناضج . وبالرغم من أن هناك طائفة من كتاب المسرح الزنوج

لم يظهر انتاجهم بعد على مسارح البرودوى ، إلا أنهم قد ألفوا عددا من المسرحيات التى تبرز ما عندهم من مهارة أصيلة ، وحساسية مرهفة ، وفهم صادق لكل المشكلات الفنية الخاصة بصناعة الكتابة المسرحية . ومن البارزين من بين هؤلاء «جورج تورفورد» مخرج شركة ن . ب . س للتليفزيون ، الذى جلبت له روايته الجديدة «فلنقل آمين» شهرة عريضة جعلت بعض المخرجين يفكرون فى تقديمها على الشاشة البيضاء .

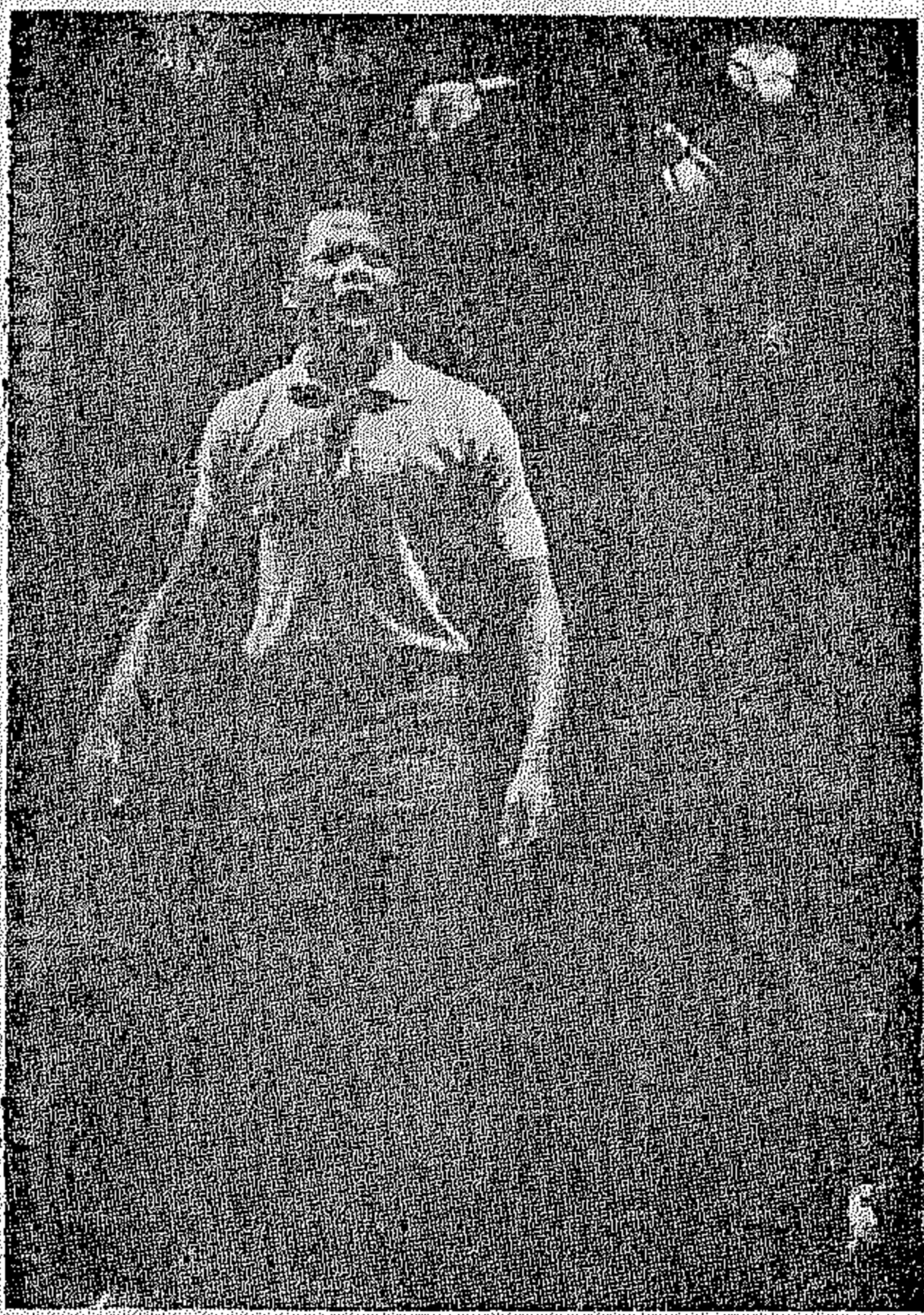
ونجاح قصة «زبيبة العنب فى ضوء الشمس» على مسارح البرودوى فى هذا العام يعتبر انتصارا ساحقا لجيش الكتاب الزنوج الذين ظلوا يكافحون زمنا طويلا ، كى يخترقوا حدود العالم الأبيض . وعندما يزول هذا الحاجز الظالم على يد «هانزبيرى» سيخرج من ورائه ومن خلفه عباقرة الابداعيين من طوائف الزنوج .

* * *

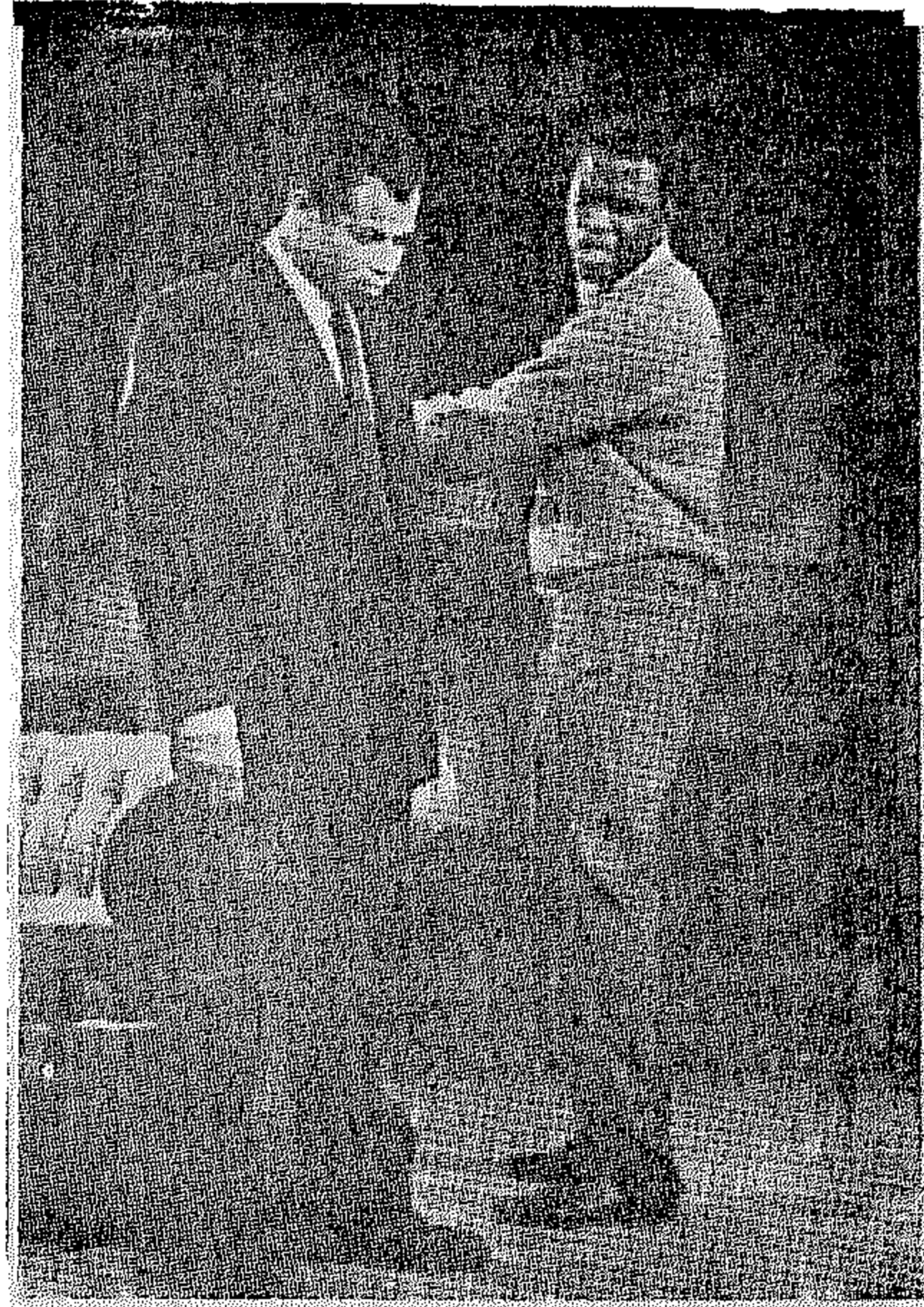
«أوسنقدم بعض المشاهد الرائعة من مسرحية «هانزبيرى» التى ستوقف الكثيرين على ما فيها من ابداع . وأن الغد لهم فى كل ألوان المعرفة ، وكل ألوان الفن . فما أشد الجذور الأفريقية فى أى أرض تضرب فيها ، ففيها الاصاله ، والعمق والانسانية : »



ابتسامة مريحة مشرقة تلقيها والددة أسرة يانجر « كلاوديا ميكفيل » على هدية عيد الميلاد ، وهي تنظر الى البطاقة التي وصايتها من ابنها والترلي (سيدني بويتز) بينما وقفت زوجته رث (روى ديك) وولده ترافيس راي (جلاين تورمان) واخته بيرنيشا (ديانا ساندس) يتطلعون اليها . وسرعان ما تحولت هذه اللحظة السعيدة الى لحظة المأساة وذلك عندما عرفوا أن والترلي قد أضاع مبلغ ١.٠٠٠ دولار من تركة والده .



ويعلم « والترلي » بقصة ضياع هذا المبلغ عندما يخبره صديقه (لوني) باختفاء الشريك الثالث ، وهنا يجن جنونه ، ويتحول الى مخلوق فاقد العقل والوعي .



ويعود « والترلي » الى منزله مخمورا ، يقف على مائدة المطبخ يلقي خطابا طويلا . ويعتبر هذا المشهد من أقوى مظاهر المسرحية كلها . واشدها عنفا .



مؤلفة قصة « زبيبة العنب في ضوء الشمس »



«لورين هانزيرى» وهى تسمع الى النقدالذى يوجه الى بعض أجزاء مسرحيتها ، وقد رفضت « بيرى » أن يقوم رجل أبيض باخراج روايتها وأعطت حق الاخراج للويد ريتشاردز الذى يعتبر أول زنجى يخرج رواية لمسرح برودوى ، وقد قالت هانزيرى « ان البيض لا يعرفون ما فيه الكفاية عن حياة الزنوج حتى يقوموا بتقديمها » .



وتنهار الأم مسر يانجر عندما تكتشف أن
ابنها قد أضاع هذا المبلغ الكبير الذي كان تعقد
عليه الآمال من مال زوجها المتوفى .



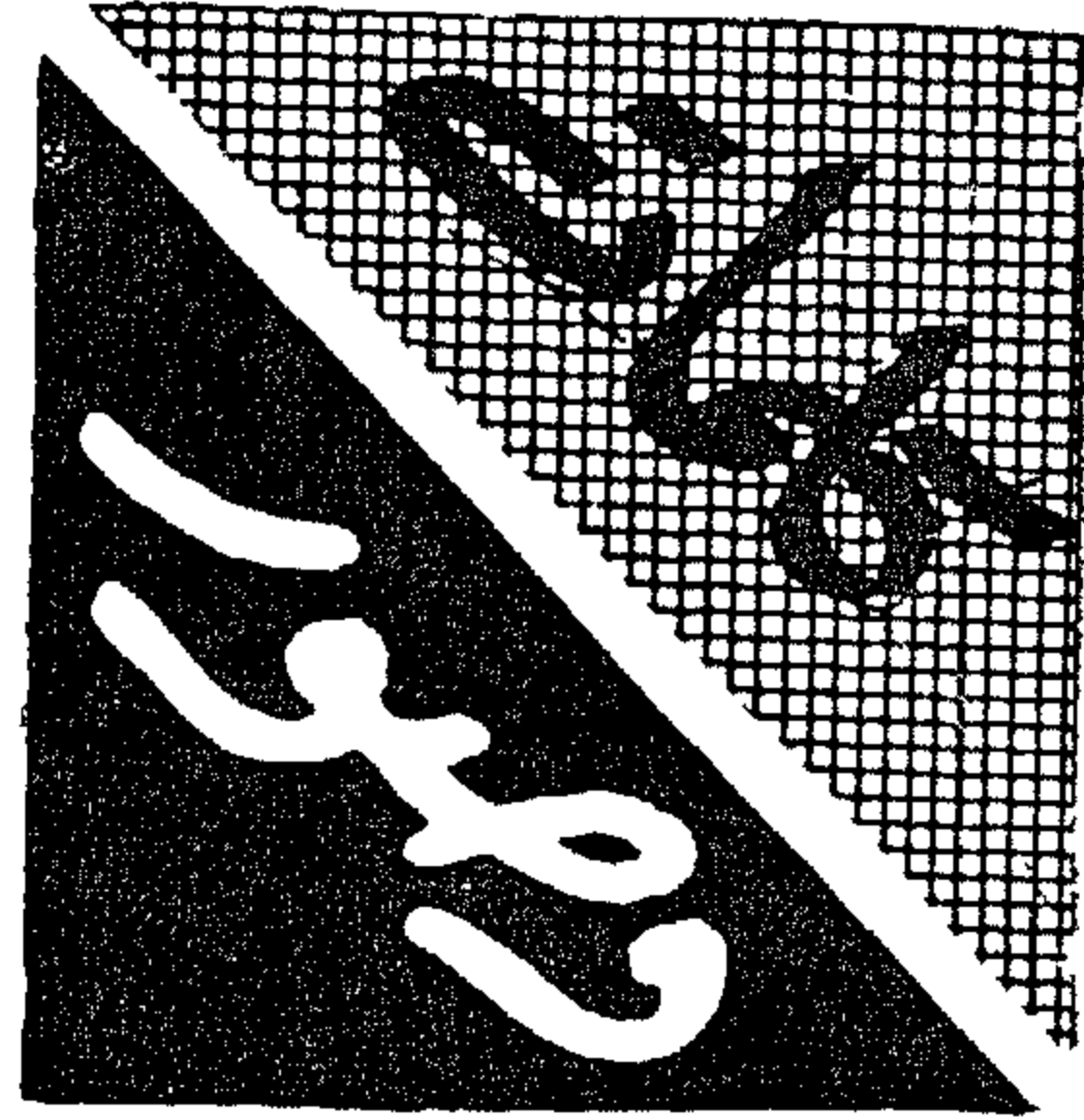
ويرتهى «والترى» الابن بين ذراعى زوجته
حيث يجد العزاء عندها ، فهي التي تعودت
دائما أن تسمعه عبارات التشجيع والعزم لأنها
هى الوحيدة التي تفهم سر غضبه وثورته .



«هانزبيرى» المؤلفه أثناء الاستراحة تناقش بطل الرواية «سيدنى بويترا» فى الشخصية التى
يقوم بها فى المسرحية ، ومما يجدر ذكره أن هذه الدراما ليس فيها من شخصيات الممثلين البيض
سوى رجل واحد يلعب دور الوسيط العقارى الذى يطلب من أسرة « يانجر » أن تباع منزلها
الجديد .

الى لارض . وكان هذا سبب عمارة
الأرض .

أما قبائل « البامبارا » فتري أن
الكون كان في أول أمره فراغا ضخما
يتحرك تلقائيا حول محورين دائريين
في اتجاه عكسي . وأنه قد انطلقت من
هذا الفراغ طاقة هائلة تكون عنها
العقل ، وأن قوة الذبذبة هي السبب
في وجود العالم ..



أبو نواس

تعدت شخصية الحسن بن هانيء
المعروف بأبي نواس حدود اللغة
العربية الى اللغة السواحلية التي
تنتشر في شرق وبعض جنوب افريقية
عن طريق الرواية على لسان العرب
الذين وفدوا على هذه البلاد ، فهو
يعرف عند الزنجباريين باسم
« كيبو نواسي ، وبنواسي ، وبانواسي ،
وأبا نواسي » وهم يلبسونه شخصية
الأرنب لذكائه ، ودقة حجه .. على أن
مقطع « كي » في الكلمة « كيبو نواسي »
تصغير لكلمة الشاعر في اللغة
السواحلية لأنهم يتخيلونه نحيل الجسم
بالغ الذكاء .

شعر

يعكس شعر الزنوج في أمريكا
القلق والضياع الذي يفرضه ضغط
الحياة هناك على نفوسهم ، وهذه
التفرقة العنصرية الحادة التي تفرض

فكرة الكون

شغلت فكرة الكون الافريقيين من
قديم . فقباثل « الدوجون » تعتقد
أن الاله Amma رمى في الفضاء كرات
من الطين فتناثرت في الفضاء على
شكل نجوم ، وكذلك رمى بكرتين
بيضاوين تغلف الاولى دائرة من
النحاس الاصفر ، وتغلف الثانية
دائرة من النحاس الابيض . وانهما
قد استقرتا في الفضاء شمسا وقمر .
أما الكرة الأخيرة فقد تحولت الى
« الأرض » ، ودحاها من الشمال
الى الجنوب في صورة أنثى .

كما يعتقدون أن أجدادهم كانوا
يسكنون السماء ، ويتناولون أنواعا
ثمانية من الحبوب كانت مباحة لهم ،
ولكنهم افتقدوها في يوم من الايام
فتناول اثنان منهم حبوب « الفونيو »
المحرمة واضطرا الى الفرار من السماء

مشكلة الأرض

لم يقف الاستعمار عند حد وضع يده على الطاقات الصناعية الموجودة في القارة ، وإنما وضع يده كذلك على « الأرض » خاصة في تلك البلاد التي تصلح لسكنى الأوربيين . وللاستعمار طرق كثيرة في عملية الاغتصاب هذه .

فهنالك قانون السلطة القضائية الأجنبية الذي صدر عام ١٨٩٠ والذي يخول الدولة المعتدية حقاً مطلقاً في تملك ما تشاء .

« وهناك » مكتب الأراضي « الذي » يحق له الاستيلاء على ما يشاء من الأرض كأراضي المناجم أو المزارع دون تعويض ، وهنالك عملية المصادرة باسم قوانين الدفاع الحربي .

وقد يلجأ البريطانيون الى بعض الحجج القانونية . فيستأجرون هذه الأراضي بمبالغ زهيدة ، ولمدة طويلة . أما طريقة الفرنسيين في عملية الاستيلاء فتقوم على عملية الاغتصاب المباشر دون العمل بما تأخذ به انجلترا نفسها من هذه الحجج التي تراها واهية .

ولعل أقسى أنواع النهب هذه هي اجلاء الاهالي عن الاماكن الخصبة وتسليمها الى الأوربيين . كما حدث من اجلاء قبائل « الكيكويو » عن الاراضي المرتفعة في كينيا وتسليمها للأوربيين .

عليهم ألوانا قاسية من العيش ومن الشعراء الذين يعكس شعرهم الواقع الاجتماعي المرير هناك . الشاعر « فينتون جونسون » فهو يقول :

« كم أنا مجهد من بناء المدنية للآخرين

فليشدني الكوخ القديم على بقاياها

ولتمتليء ملابس البيض بالتراب والوحل

ولتهوى كنيسة المعمدان الى فجوة سحيقة
اي اهلي .

القوا باطفالكم الى النهر

فلقد رزقتنا المدنية بالكثير منهم

يوكر واشنجتون

يعتز الافريقيون بهذا الرجل الذي ينتمي اليهم أشد الاعتزاز فقد عاش في الفترة بين ١٨٥٠ ، ١٩١٥ ووضع منهجاً تربوياً يتفق وقدرات الافريقيين موضحاً فيه أن الطفل الاسود في أي مكان في العالم لا يقل في ذكائه واستعداده عن الطفل الأبيض ، وأن « التمييز العقلي » خرافة لا تثبت أمام التجربة العلمية كالتفرقة العنصرية .

وقد وضع في منهجه أملاً للأجيال القادمة من الافريقيين ، وأن الغد سيكون لهم ، وأنه يجب ألا تعوقهم عن تقدمهم الاجتماعي قسوة الحياة ، وقسوة الظروف عليهم .

كما نادى بعملية الامتزاج الكاملة بين التقدم العقلي ، والنمو الجسمي . فهو يسمى بحق « بينستالوزي الاسود » .

وهكذا نرى أن هذه المشكلة من أعقد المشكلات فى افريقية وأنه يجب أن تعود الأرض الى أصحابها .

مسخرية

عند النظر فى أمور تنجانيقا أمام لجنة الوصاية التابعة لهيئة الأمم المتحدة فى مايو عام ١٩٥٤ قال « كريشنا منون » ان الشعوب الافريقية تعيش فى ظروف اجتماعية قاسية . ولا ضرب مثلاً لذلك . فالطفل الافريقى يتكلف تعليمه فى العام ثمانية جنيهات وخمسة وعشرين قرشاً فى الوقت الذى يكلف فيه الطفل الأبيض ما يزيد على ٢٢٣ جنيه فى نفس المرحلة . فهل نفهم من هذا أن قدرات الطفل الأوروبى من الضعف بحيث تحتاج الى مجهود يعادل أربعين مرة ما يتطلبه تعليم الطفل الافريقى ؟

بيان

من البيانات التى خدمت القضية الافريقية هذا البيان الذى أعده « و . ي . ب دوبا » وقد وجه الى الدول الاستعمارية ، وتبناه الاتحاد الافريقى الذى عقد فى مانشستر بانجلترا عام ١٩٤٥ وقد جاء فيه « ان أعضاء المؤتمر الافريقى الخامس يعتنقون السلام وهل يمكنهم غير ذلك وأبناء القارة الافريقية قد أصبحوا ضحايا للقسوة ، والظلم ، والعبودية عدة قرون .

ولكننا صممنا على أن نكون أحراراً . فنحن نطالب بحقنا فى التعليم وحقنا فى الحصول على مستوى اجتماعى رفيع ، وحقنا فى التعبير بحرية عن أفكارنا ، ومبادئنا ، وعواطفنا ، وحقنا فى خلق وإبداع صور الجمال . فاذا حرمانا من كل ذلك كان علينا أن نموت لنحيا .

نحن نطالب لبلادنا بالحكم الذاتى وبالاستقلال .

نحن لا نشعر بالخجل من أننا احتملنا الظلم وصبرنا عليه زمناً طويلاً فنحن على استعداد للتضحية والكفاح من جديد لتصحيح ما قمنا به من أخطاء ولكننا لسنا على استعداد لان نساق بعد اليوم فنكون أداة للقياس بأحقار الأعمال وأدناها . فنرقد بفقرنا وجهلنا ، أرساقنا كاذبة ، واستعماراً بغيضاً .

نحن ضد احتكار رؤوس الأعمال ، وضد حكم الثروة الخاصة ، والصناعة الخاصة من أجل الربح فقط .

نحن نرحب بالديمقراطية الاقتصادية . فهى الديمقراطية الحقيقية الواحدة .

ومن هنا سوف نشكو ، ونلتمس ، وننتهم ، حتى يرى العالم حقيقة الحياة التى نحياها . ومن أجل رفع مستوانا سوف نقف جميعاً جبهة واحدة ، ونطرق كل الطرق التى توصلنا الى حقنا . »



صورة تاريخية للكاباكا



نسبة التعليم بين السود والبيض في جنوب أفريقية



مقاعد في أفريقية مخصصة للأوروبيين



فارسان من قبيلة « الهوسبة »



فرنسا الدخيلة

احصائيات

١ - تعتبر فرنسا أول الدول التي تضع يدها على مساحات ضخمة في أفريقية . فهي تضع يدها على مساحة تبلغ ١٥٠٢٢ر٤٠ ميلا مربعا . تسكنها ٦٠٠ر١٥٢ر٤٤ نسمة ، وسياسيتها تقوم على عملية «الامتصاص» . فهي تضع في سياسيتها تحويل الافريقيين على مرور الزمن الى فرنسيين .

٢ - تأتي انجلترا بعد فرنسا . فهي تضع يدها على مساحة قدرها ١٩ر٧١٩ر٢٠ ميلا مربعا تسكنها ٤٥ر٦٢ر٤٣٣ر٦٢ نسمة ، وسياسيتها تقوم على الاستنزاف ، والتمسك ببقائها أطول مدة ممكنة .

٣ - تحتل الكونغو من أفريقية مساحة تبلغ ٩٢٤ر٣٠٠ ميل مربع ويسكنه اثنا عشر مليون نسمة ، وتقوم سياسيتها على مقاومة التدمير باتاحة بعض الفرص الاقتصادية للسكان .

٤ - وتملك البرتغال مساحة حوالى ٧٧٨ر٠٠٠ ميل مربع تسكنها ٩ر٥٠٠ر٠٠٠ وسياسيتها قريبة من سياسة فرنسا .

٥ - أما اسبانيا فتملك مساحة قدرها ٧٠٠ر١٣٤ ميل مربع تسكنها ٥٠٠ر١٤٩ر٠٠٠ نسمة وسياسيتها قائمة على اغتصاب حقوق الأهالى .

النيل

اشتق اسم النيل من اسم أحد الفراعنة العظام المسمى « نيلوس » . وقد أعجب اليونانيون بالنيل فأطلقوا اسمه على إحدى مدنه ، كما شيدوا له هيكلًا قام فيه النيل على هيئة شيخ على قاعدة سوداء ، وقد رمزوا بهذه القاعدة الى الحبشة .

وهناك اعتقاد يسمى «ليلة النقطة» بمعنى أن هناك نقطة سحرية تسقط في النيل في يوم موعود فيتسبب عنها ارتفاعه . وكان القدماء يهتمون بهذا اليوم ويتفرغون فيه للهو والمسامرة . كما تصنع النساء أقراصا من العجين بعدد أفراد الأسرة ثم توضع على سطوح المنازل . فمن تشقق قرصه قضى عامه في سلام ، وأمن من الأمراض ولا يزال لهذه المعتقدات بقايا في ريفنا المصرى .

الشعر الشعبى

من معانى هذا الشعر ما قاله أحد السودانيين واصفا نفسه «من يريد معرفتى على حقيقتى فأنا كالبحر تدفقا وكرما ، ومن يريد أن يجعلنى تابعا له فلن يستطيع لاننى كغصن الشوك لا يمكن الإقتراب منه ، ومن يريد أن يجاورنى فسيرى منى لينا كلين النباتات بعد المطر ، ومن يستشيرنى يجد عندى الحكمة والرأى الصائب .»

مجلة حول القارة الافريقية

شعب طيب

فصل الى فصل فتحدثنا عن الاساطير والخرافات التقليدية التي عبرت الاجيال والقرون وما زالت تحتفظ بقدسيته وقيمتها بين افراد البوشمان وتروى لنا كيف أن هذا التيار الاسطوري لا يزال يوجه قبائل البوشمان في مختلف مجالات حياتهم وتقص علينا مسز توماس قصة ميثولوجية خلاصتها « أن شعب البوشمان يعتقد بأن سحب السماء فيهمس المذكر والمؤنث ، وأن ارواح الموتى تتخذ مسكنها في هذه السحب . وأفراد القبائل التي تولد في السحب الشمالية والغربية يولدون بدون « ركة » ولذلك فانهم يظلون الى الابد في شكل عمودي كما هو الحال في قبائل الدنكا .

كما يعتقدون بأن خسوف القمر ليس الاعملية تقوم بها الأسود ، حينما تضع مخالبا في ثنايا سطح القمر . فالأسود في نظر الافريقى من البوشمان لها احساس فوق مستوى الاحساس الانسانى بالمناطق والجهات وهذا الاحساس يجعل الاسد قادرا على العثور على طريقه الذى يصل به

عاشت « مسز توماس » عاما كاملا بين قبائل « البوشمان » واختلطت بمعظم طوائف هذه القبائل ، وجاست خلال صحراء « كالاهارى » ثلاث هرات ، وكانت - كما تذكر في كتابها - تحاول أن تدرس تقاليد هذا الشعب وعاداته وطبائعه دراسة مباشرة على الطبيعة . وتقول مسز توماس : ان القلب الاجتماعى الذى تتكيف فيه جماعات البوشمان تتحكم في شكله عوامل أهمها الحاجة الى الطعام والماء ، فحيث توجد الابار التى يروون منها ظمأهم ، ويعثرون بجانبها على ما يقتاتون به ، تتركز جماعتهم وتستقر أحوالهم الى فترة من الزمن ، وعندما يشند بهم الجوع ويفتقدون الماء فلا يجدونه ويصبحون في صراع مع الموت - يظهر - حينئذ المغامر الذى يغدو بطل القبيلة وقائدها فهو يمسك بحربته المسمومة ، وفي شجاعة البدوى الحر يتقدم الصفوف لينقذ الجماعة من هجوم الظمأ والمسغبة .

وتشتغل مسز توماس في كتابها من

من خلال هذا الرماد ، تماما كما يلعب الضوء من خلال حركة احتكاك قطع الثلوج بعضها ببعض . »

أمريكيون من أصل أفريقي :

قامت جماعة من الأمريكيين الذين ينحدرون من أصل أفريقي بتأسيس جمعية تهدف الى دراسة الاوضاع العامة والعمل على تحسين مستوى أفريقية ثقافيا وفكريا ، وتحديد الدور الذي يجب أن تسهم به هذه القارة الكبيرة في حضارة كل من أوروبا وأمريكا .

وقد أطلق المؤسسون على هذه المنظمة اسم « الجمعية الامريكية للثقافة الافريقية » وتعتبر هذه الجمعية احدى فروع المؤسسة الدولية للدراسات الافريقية التي تأسست في باريس عام ١٩٥٧ .

ومن المتوقع أن تبعث هذه الجمعية بوفد يمثلها في حضور جلسات الجمعية الدولية كما أن هذه الجمعية الامريكية الافريقية تضع في مرحلة التنفيذ مشروع اصدار عدد من مجلة « أفريقية المعاصرة » التي أنشأها « (ليون ديوب) » في باريس عام ١٩٤٧ والتي يتولى هو وبعض العناصر الافريقية المثقفة الاشراف عليها واصدارها بصفة منتظمة ، وهي تعالج كثيرا من المشكلات التي تواجه أفريقيا المعاصرة ، وتوضح للرأى العام

الى احدى مناطق الصحراء حيث يكون قد أخفى احدى بيضات النعام في رمالها منذ سنتين مضتا .

ان كل عبارة سجلتها الكاتبة تحمل في مضمونها دلالة واضحة على أصالتها ومقدرتها في اجادة تدوين أدب الرحلات . ولنسمعها وهي ترسم بالفاظ شعرية موسيقية صورة الصحراء فكانها تقدم ديكورات ملونة جميلة .

كان الليل قد بدا يرخي غلالات العتمة الباهتة ، وكانت الشمس لا تزال ترسل خيوطها الواهنة الصفراء المتألثة على القلوات الممتدة الى أبعد من السراب ، وبدت الصحراء كجبل شهاب ملتهب ، ثم غربت الشمس تماما فتركت أثارا من لونها البرتقالي في تلك الثيران المتناثرة أمام خيام سكان الصحراء وقد التف بعضهم حولها يرجونها الدفء ويظهون على حاراتها لحوم الصيد التي اقتنصوها .

ثم نسير مع الكاتبة فنلمح في كثير من فصول مؤلفها حساسية الفنان وظلال الصور الكلامية الملونة .

« مشى الرجل الافريقي من تحت كتلة الخشب المحترقة ، وقد تطاير جزء منها فتدلى في فروع شجرة أخرى وتناثر الرماد الأبيض هنا وهناك ، وفجأة أقبل ضوء الفجر فأخذ يلعب

العالمى حقيقة الاوضاع والقضايا
الافريقية .

ولا شك فى أن عددا كبيرا من
الزنج الامريكيين الذين اشتهروا
بامتيازهم وتفوقهم فى مختلف مجالات
الفنون والأدب والتاريخ والعلوم
الاجتماعية ، لا شك فى أن هذه
العناصر الطيبة ستسهم بجهودها
الفعالة فى تزويد هذا العدد بالكثير
من الابحاث والموضوعات القيمة .

والمعروف أن هذه الجمعية الامريكية
قد اتسع نشاطها فى الولايات المتحدة
بصورة واضحة حتى انها قد استطاعت
أن تقدم مساعدات لها أهميتها للمركز
الثقافى الافريقى الذى أقيم فى
« يروكلين » ، وكان لهذه المساعدات
أثر كبير فى مضاعفة نشاط هذا
المركز .

ولم تكتف هذه الجمعية بما تقوم
به من هذا النشاط بل انها قد قامت
أيضا بوضع برنامج ثقافى شامل
يهدف الى تقديم سلسلة من الابحاث
التي تتناول فيها بطريقة علمية
مدرسة مدى تأثير الفكر الافريقى
على مختلف مظاهر الحضارة الغربية ،
وذلك لتقوية عوامل التبادل والصلات
بين العلماء والباحثين من الافريقيين
والامريكيين .

وتعمل على انجاح فكرة المهرجان
الدولى للثقافة الافريقية ، كما أن
دورها فى الترحيب بكل افريقى يصل
الى الولايات المتحدة أمر لا يكاد ينكر
فما من افريقى يزور أمريكا سواء أكان
من العلماء أم من رجال الاعمال

الا وتستقبله هذه الجمعية وتقدم له
كل التسهيلات التي تساعد على
تحقيق الهدف الذى جاء من أجله .

ومما هو جدير بالذكر أن معظم
مؤسسى هذه الجمعية من الامريكيين
الافريقيين يشغلون مناصب هامة فى
المجتمع الامريكى ويقومون بدور فعال
فى شتى حقول النشاط الثقافى
والتربوى فى مختلف أنحاء الولايات
المتحدة ، فمستر « ليوهانز بيرى »
يعمل أستاذا لكرسى التاريخ الافريقى
فى جامعة « هوارد » ، وهو فى الوقت
نفسه مستشار رابطة الطلبة الافريقيين
فى هذه الجامعة ، ومستر « ديدنج »
كاتب معروف ، والدكتور « كليمنت »
يشغل وظيفة رئيس جامعة أطلنطا
الخ .

وهذه الظاهرة الجديدة تدل على
وعى جديد بدأ يظهر بين أبناء شعوب
افريقية ، وهو يؤكد بلا ريب وجود
حركة البعث الافريقى التي أخذت
طلائعها تبشر بمستقبل زاهر ينتظر
هذه القارة الكبيرة .



« جوزيف أوڊينتون »
افريقى فى قصر بكنجهام

وعدم رضاها عن نظام الحكم السياسى الذى تطبقه حكومة جنوب افريقية . وأبناء شرق افريقية عندما يقومون بهذا الاجراء لا يريدون به الا افهام البيض المستعمرين الذين يتحكمون فى مقدرات منطقة الجنوب واستنزاف خيراتهم على أن الافريقى الاسود قد اكتمل وعيه ، ولن يسمح بعد اليوم بأن يكون البقرة الحلوب التى يستدر الابيض ضرعها عندما يريد .

ولقد تحدث مستر « بويلا » سكرتير عام اتحاد عمال كينيا فقال « ان اجتماع زعماء اتحادات زنزابار وكينيا وتنجانيقا وأوغنده سينعقد فى كامبالا فى خلال الأسابيع الأربعة القادمة وذلك لكى يضع تفاصيل برنامج المقاطعة » كما قال أيضا « ان فكرة المقاطعة هذه كانت موجودة فعلا أثناء انعقاد مؤتمر الشعوب الافريقية فى أكرا ، وقد حظيت هذه الفكرة بموافقة وفود الدول الافريقية كلها عليه » .

وأذاعت حكومة « جامايكا » بأنها قررت فعلا مقاطعة كل البضائع التى تنتجها جنوب افريقية ، كما حذت حذوها أيضا اتحادات نقابات غانة وأعضاء الحركة الوطنية فى أوغنده ، وأصدر المجلس العام للغرف التجارية فى غانة بيانا الى جميع الشركات الاعضاء يدعوهم فيه الى توقف طلب استيراد بضائع من جنوب افريقية .

صدر قرار بتعيين الشاب الغانى « جوزيف وأدينتون » الذى يبلغ من العمر ثمانية وثلاثين عاما مساعدا للملحق الصحفى لقصر بكنجهام .

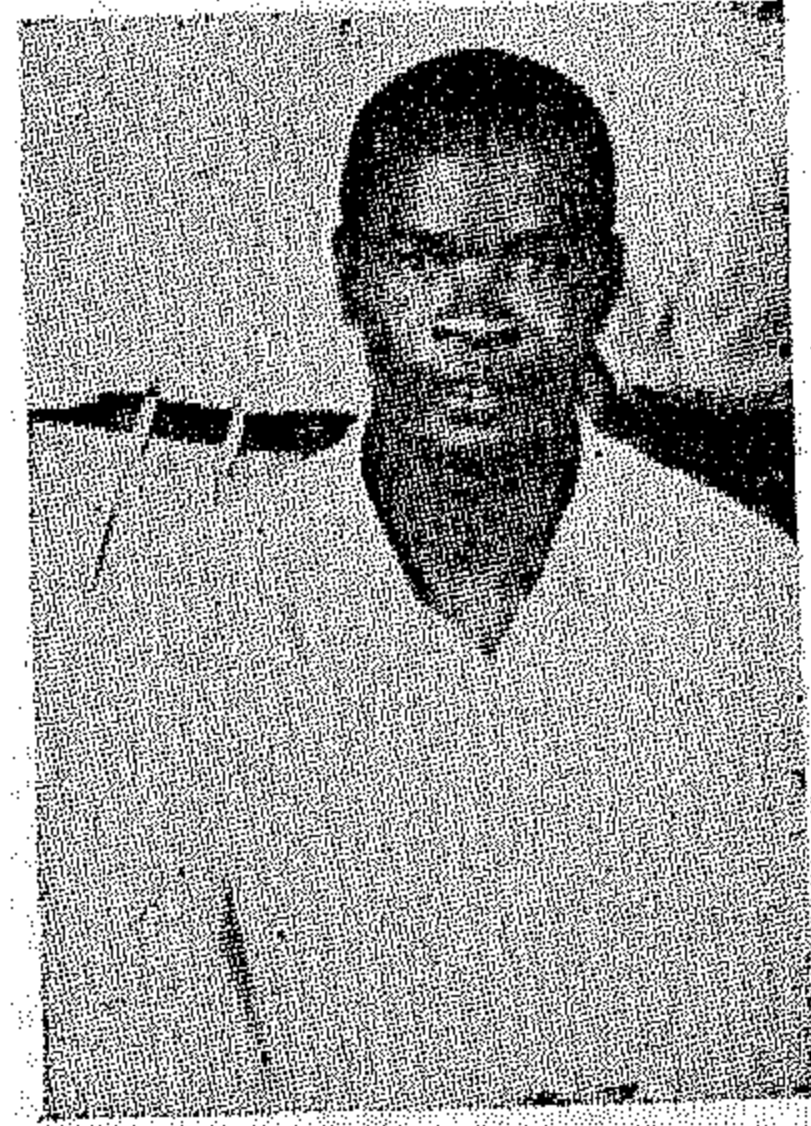
وتعتبر هذه أول مرة يتولى فيها افريقى منصبا هاما فى القصر الملكى البريطانى .

وتقول بعض الصحف الامريكية ان الغرض من وراء تعيين « جوزيف أودينتون » فى هذا المنصب الخطير ليس لأنه من دول الكومنولث التى تمثل الرابطة السياسية مع بريطانيا ، بل لأن « اليزابيث » قد قررت أن تزور غانة فى شهر نوفمبر القادم ، وسيقوم جوزيف باعداد البرامج والتنظيمات الخاصة بهذه الزيارة ، وربما - وهذا محتمل جدا - يستقيل هذا الشاب الغانى من وظيفته الجديدة بعد أن يؤدي دوره فى المهمة التى كلف بها .

الافريقى لا يعادى أخاه !

لم يكن القرار الحكيم الذى اتخذته النقابات والهيئات التجارية فى مناطق شرق افريقية بخصوص مقاطعة بضائع جنوب افريقية ، لم يكن هذا القرار - كما وصفته الصحف الاجنبية المغرضة - مظهرا من مظاهر الغيرة والعداوة بين افريقى وافريقى بل كان فى الواقع ردا عمليا تعبر به العناصر الواعية فى افريقية عن استنكارها

والمعروف أن هذه البضائع لم تكن تجد لها منافسا في سوق منطقة شرق افريقية ، ومعنى هذا انهيار اقتصاد جنوب افريقية اذ أنها كانت تعتمد الى حد كبير في تصريف منتجاتها على أسواق منطقة الشرق ، وليس هناك سلاح نحارب به أعداء القومية الافريقية أخطر من السلاح الاقتصادي فقد جربته كثير من الدول التي أرادت أن تحافظ على كرامتها الوطنية فنجحت وانتصرت على أعدائها ، ولقد وجدت هذه الحركة صدى قويا في مختلف مناطق افريقية ، وستنجح هذه الحركة الاقتصادية كما نجحت كل الحركات السياسية فالحرية التي نطالب بها نحن أبناء افريقية ليست فقط هي الحرية السياسية بل ان التحرر الاقتصادي هو أساس كل تحرر يهيء لنا مستقبلا كريما زاهرا .



« رجب صالح سالم »
شباب من كل أفريقيا

من زَنزبار وفد الى الاقليم الجنوبي شباب لم يتجاوز الخامسة والعشرين من عمره يشغل وظيفة سكرتير عام نقابة البحارة في شرق افريقية ، وعضوية الاتحاد الدولي لعمال النقل وعضوية اتحاد وسط وشرق افريقية لعمال النقل . ويقول الشاب الزنباري « رجب صالح سالم » ، اننى أقوم الآن بتكوين المنظمة العمالية لشمال افريقية ، كما اننى سأبذل كل ما لدى من جهد لاعداد اجتماع شامل في كينيا يضم كل زعماء النقابات والاتحادات التجارية وذلك لوضع أسس برنامج مقاطعة بضائع جنوب افريقية .

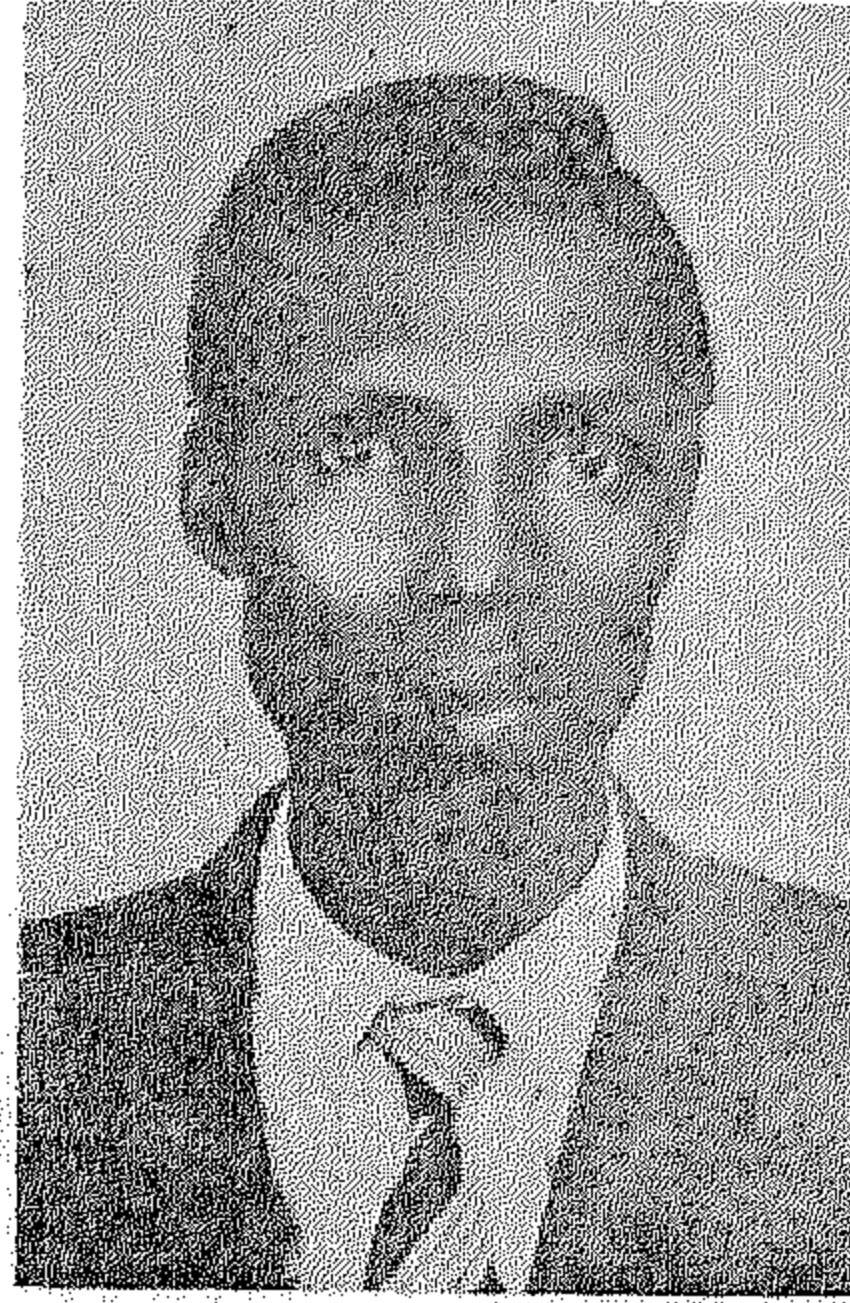
وقد وجه السيد « رجب صالح سالم » نداء الى جميع المشتغلين بالحركة النقابية الدولية والى مختلف المنظمات السياسية يطالبهم فيه بالوقوف بجانب أبناء شرق ووسط افريقية في كفاحهم من أجل حرية بلادهم . ويقول السيد رجب صالح « ان الافريقيين الذين نجحوا في وضع أسس ثابتة للتعاون المثمر سينجحون مرة أخرى في تحقيق هدفهم الجديد ، ان طريقنا يسير دائما نحو الحرية والاستقلال ، ولن نستطيع قوة على وجه الارض ان تثنيانا عن عزيمتنا .

افريقية سياسيا واقتصاديا وثقافيا ،
وأعلن تأييدي المطلق لقرار المقاطعة
الذي اتخذته دول شرق افريقية .

و « ميشيل داماتا » نموذج
لشباب الافريقي المثقف الذي يفهم
فى وعى ناضج قضايا الشعوب
الافريقية ، انه يؤمن بمستقبل قريب
جدا تتمتع فيه القارة الافريقية
بحريتها الكاملة ، واستقلالها الذى
لا تشوبه شائبة ، ويدرك أهمية
الدور الخطير الذى ستلعبه هذه
القارة فى تاريخ الجنس البشرى
القادم ...



« دكتور موهجى ناجوروجى »
رئيس التطور فى افريقيا .



وافريقي آخر :-

هو « ميشيل داماتا » ، مواطن
كينى استقال أخيرا من خدمة الحكومة
السودانية ليكرس وقته وثقافته
لخدمة قضية بلاده وشعبه ، انه الآن
يمثل الاتحاد الافريقي الكينى فى
الدول العربية ، ويتصل بكل الهيئات
والمنظمات فيها ليحصل منهم على
تأييد أبناء وطنه الذين يكافحون فى
بسالة وشجاعة للقضاء على الاستعمار
وأعدائه ، لا فى كينيا فحسب ، بل
فى كل زاوية من افريقية كلها .

ان « ميشيل داماتا » يقول اننى
سأعمل على عقد مؤتمر صحفى فى
بلاد شرق افريقية نناقش فيه موضوع
المقاطعة وكيف يمكن تنفيذها بطريقة
دقيقة للغاية . ويقول : اننى باسم
السكرتارية الخارجية للاتحاد الافريقي
الكينى أطالب بمقاطعة حكومة جنوب

هذا المستشفى فقط ، بل انهم سيعملون على تطويره وتوسيعه والعناية به كما لو كان ابنا لهم جميعا » .

ويعلق مندوب التايم على حديثه مع الدكتور ناجوروجي بقوله « ان قصة الدكتور الشاب ليست الا قصة البطولة التي اخذ الأفريقيون يحققونها في كل مجال ، انها قصة العناصر الجديدة التي بدأت تظهر في مختلف حقول العمل من اجل المستقبل الأفضل لشعوب هذه القارة »

اما كيف قرر هذا الشاب ان يدرس الطب وان يصل الى هذا المستوى الكبير في دراساته وابحاثه ، فلذلك قصة اشبه بالخرافة . فقد أصاب « مونجي ناجوروجي » مرض في قدمه وهو صغير وخشى والده ان يكون هذا المرض سببا في كساح الصبي واقعاده ، فأدخله المستشفى الاسكتلندي في كينيا وهناك عالجه أحد الأطباء بمهارة فائقة حتى شفاه من هذا المرض . وفي حجرة العمليات كان مونجي ينظر دائما الى أنابيب الاختبار التي يملؤها الأطباء بهذه السوائل الملونة ويتعجب منها ، وأخيرا قرر ان يعرف سر هذه الأجهزة الغامضة بعد ان يخرج من المستشفى ، وكانت هذه بداية الطريق الذي اجتازه مونجي بعد ذلك حتى أصبح طبيبا ماهرا .

ليس الاصلاح السياسى فى أية دولة من الدول هو الوسيلة الوحيدة التى تكفل رفح مستوى الشعب واكتمال نموه وتطوره ، بل لا بد وأن تصاحب البعث السياسى نهضات تشمل كل جوانب الحياة فنحن لا نستطيع أن نتصور وجود جماعة تتمتع بكل أسباب الحرية السياسية ثم تتخلف فى ميدان النشاط الاقتصادى أو الاجتماعى مثلا ، ولا شك فى أن هذه الحقيقة واضحة تماما فى أذهان الجيل الجديد من أبناء أفريقية . وقد كتب مندوب مجلة تايم الأمريكية يقول : « عاد الى كينيا الشاب » مونجي ناجوروجي « ابن أحد رجال قبائل الكيكيو ، وقابلته على ظهر السفينة التى كانت تقله الى بلاده بعد أن قضى فترة تمرين طويلة فى مستشفيات الولايات المتحدة ، ولقد قال لى مونجي « اننى أحس بأن أحلامى قد بدأت تتحول الى واقع ملموس وحقيقة واضحة لقد اعتزمت أن أنشئ بمجرد وصولى الى كينيا مستشفى يضم خمسين سريرا على الأقل ، وسيكون هذا أول مستشفى افريقى يقيمه ويديره افريقيون لحما ودما ، ان أهم شىء فى كينيا الآن هو إثارة الافريقيين لكى يتولوا شئونهم بأنفسهم انهم جميعا ممثلون رغبة واستعدادا ولكنهم فى حاجة الى التوجيه ، اننى متأكد بأنهم لن يساعدونى فى إقامة

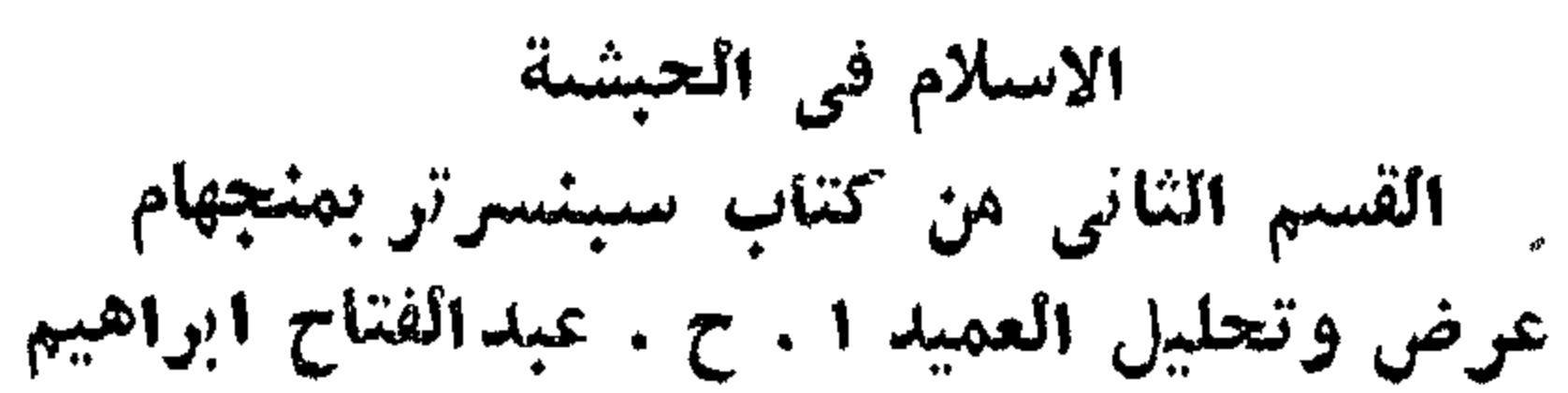
السياسة البريطانية في أفريقية المتقلبة :

هذا كتاب جديد وضعه « السير أندريه كوهين » ، وكتبت عنه التايمز اللندنية تقول :
كانت شخصية « أندريه كوهين » بعد الحرب تعتبر من أظهر الشخصيات التي تقف على المسرح الأفريقي السياسي ذلك لأنه كان يشتغل حاكما في أوغندا وظل في هذه الوظيفة فترة طويلة من الزمن اتاحت له دراسة كثير من المشكلات التي تعيش فيها القارة السوداء ودرس عن كثب معظم الأوضاع

القائمة في مختلف مناطق أفريقيا . ثم دعى السير أندريه كوهين لالقاء سلسلة من المحاضرات على طلبة جامعة الشمال الغربي في الولايات المتحدة فألقى أربع محاضرات عرض فيها بالتحليل التفصيلي والعرض الموضوعي صورة واضحة لأفريقية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، ثم أصدر هذه المحاضرات في كتاب ظهر حديثا بعد أن كتب « ادلاي ستيفنسون » مقدمة رائعة له . ونظرا لأهمية هذا الكتاب سنقدمه ملخصا تلخيصا وافيا في العدد القادم ان شاء الله .



7



ولا الحدود الجغرافية ولا التنظيمات
الادارية الاقليمية كانت فواصل وقف
عندها امتداد المعتقدات الدينية في هذا
الركن من القارة .

وفي أعلى هذه الطبقات الاسلامية
يجيء « أهل السنة » ما في هذا من
شك ، ولكن الغريب انه مع قرب المراكز
الاسلامية في بلاد العرب ، فان نفوذ
أهل السنة ما زال ضعيفا ، ولربما كان
هذا بسبب أن السيادة التي تمتعت
بها الممالك الاسلامية من « الكوشيت »
مكنتها من أن توجد نوعا من الثقافة
الدينية خرجت منها اشاعات متعددة
الطوابع والاتجاهات ، وفيما عدا المدن
الساحلية حيث تشتد سواعد أهل
السنة كانت مدينة هرر وحدها هي
التي حفظت كيانا خاصا لسكانها
والمناطق من حولها ، تبعا لاتباع الناس
التعاليم المستمدة من القرآن الكريم ،
ومن تعاليم الرسول عليه الصلاة
والسلام في تحفظ واصرار ، دون
افساح لمجال الاجتهاد بين الأئمة .

وقد تعدد المظاهر المتحفظة هنا
وهناك في هذه المنطقة المستطيلة
الوضع ، والتي تمتد لأكثر من ألف
ومائة ميل بين ايريتريا في الشمال
والصومال وكينيا في الجنوب ، ولكن
مع هذا كان يزحف نفوذ « باطنى »
خفى ، - قد زادت سرعته بخاصة في
القرن الماضى - هو نفوذ طرق المتصوفة ،

الاسلام والنظام القبلى :

ومع أن الاسلام من ناحية المبدأ

قلت في تقديمى لكتاب « الاسلام في
الحبشة » لسبنسر تريمنجهام (١) انه
في تاريخ غير معروف جاءت موجات
« حامية - قوقازية » من جنوب بلاد
العرب ، وترجع هذه المجموعة الى نفس
المجموعة التي منها أكثر أهل أوروبا ،
ويعتبر المصريون في عصر ما قبل
الأسرات و « البجة » من سكان شرق
السودان اليوم أحسن من يمثل هذه
الموجات التي تعرف باسم « كوشيت » ،
والفكرة التي استهدفها من هذا
الحديث اليوم ، ايضاح أننا في دراستنا
للإسلام في الحبشة وشرق افريقية
سنضطر الى أن نميز بين عدة
مجموعات تنتشر في اتجاه أفقى في هذا
الركن من قارة افريقية ، وتنفر بين
مجموعات أخرى من الناس في مناطق
الالتقاء في اتجاه شمالى جنوبى فوق
الهضبة الوسطى للشرق من كل روافد
القبلى الاعظم : ، حتى تصل الى الرافد
الأبعد للغرب من روافد نهر جوبا
وسط أرض الصومال ، وتتقابل
الجماعات الاسلامية والجماعات
المسيحية في الشمال والوسط ، ثم
تلتقى بالجماعات الوثنية في الوسط
والجنوب بين نهر « حواش » ورافد
« جانال دوربا » الفرع الأبعد للغرب
لنهر جوبا ، ثم تسير للغرب من الحدود
السياسية بين الصومال وكينيا في خط
أقرب الى أن يكون عموديا ، ويبعد عن
الحدود ما يقرب من ثمانين ميلا ،
وهكذا تدرك أنه لا الحدود السياسية

لا يضع موضع التقدير التباين القبلى أو بمعنى أدق القومية القبلية ، فالمسلمون اخوة ، والناس سواسية كأسنان المشط ، ولكن الواقع أن الناس فى هذه المنطقة كلها يقدمون التبعية القبلية حتى على المشاعر والارتباطات الدينية ، ومن العادة أن تبدو المظاهر الانعزالية المتنافرة - ان لم نسمها الكراهية القومية - فى المناطق التى يضطر الناس من عدة قبائل الى أن يتعاملوا معا ، وأن يعيشوا جنبا الى جنب ، وفى مدن المنطقة كما فى كل المراكز الحضرية من افريقية المسلمة لا يؤدى اتباع قواعد الاسلام بالناس الى وحدة الزعامة الدينية بل لا يؤدى الى وحدة التبعية المذهبية بين مختلف الطوائع الثقافية ، ومع أن كل الناس يعتبرون مسلمين .. والرغم من أنهم قد يرتبطون معا بسبب أو بآخر الا أنهم لا يختلطون معا اختلاطا تمازجيا فى مجتمع متمثل الطوائع والاتجاهات ، **فلكل مجموعة من الناس أولياؤها وزعمائها وأماكن العبادة الخاصة بها** ، وتعتبر مدينة هرر المثل الجيد لهذا ، فان سكانها فيما عدا الالفى مسيحي الذين يعيشون فيها يتكونون من اثنى عشر ألف هررى أى من سكان المدينة الأصليين ، ومن خمسة عشر ألفا من الجالا ، ومن ألف من الغرب ، وألف أو أكثر من الصوماليين ، ولكل من هؤلاء اتجاهاتهم الدينية ، ويتجمع أفراد كل جماعة من الناس فى مساجدهم

الخاصة ليؤدوا الصلاة ، وراء أئمتهم ، بل لكل من هذه الجماعات المدارس الخاصة بها لتحفيظ القرآن الكريم . ويختلف وضع المرأة ومكانتها فى هذه المجتمعات بقدر تأثيرها بالطابع الاسلامى الأصيل ، وكلما تغلغلت عقيدة أهل السنة فى منطقة كلما هبط مستوى المرأة فيها (!!) ولكن مع هذا توجد بعد استثناءات ، تستحق التقدير ، فان مكانة المرأة بين أهل هرر وبين الكثيرين من « تبارتى » Tebariti « أعلى من مكانتها بين جماعات كثيرة أخرى فى العالم الاسلامى ، وقد جاء فى تقرير قديم كتبه فى القرن التاسع عشر ضابط مصرى اسمه محمد مختار (١) : « ان كل أهل هرر - عدا أميرها لا يبنون بأكثر من زوجة واحدة ، والطلاق غير معروف بين النساء ، وكل نساء المدينة فضليات وعلى جانب كبير من العفة ».

المظاهر الاسلامية فى المنطقة :

على أن المظهر الاسلامى فى بعض المناطق يتضح فى الموظفين الرسميين ، كالقضاة والوعاظ والطلاب الذين درسوا الدين فى هرر وجيبها ومدن الساحل ، والذين تلقوا العلم فى القاهرة أو الحجاز ، وكل هؤلاء عندما عادوا أنشأوا مدارس لتحفيظ القرآن ، وكان

(١) راجع « ملاحظات على مديرية هرر » إصدار مجلة الجمعية الجغرافية (الحدوية) ص ٣٦٥ - ٣٦٧

لهؤلاء كما كان للأسر التي يرجع أفرادها بأصولهم إلى العرب وإلى المهاجرين الذين نزلوا البلاد من اليمن ومن غيرها من البلاد الإسلامية المجاورة ... الأثر الأكبر في تقوية الدين الإسلامي، وفي استخدام رجال الدين الذين يعرفون أبناءهم بأمور الدين .

و ((الشيخ)) أو ((الفقيه)) كلمة عادية في الشمال من البلاد ، وفي الصومال يقولون لم ((الوداد)) ، وفي هرر وبين البجالة يعرفون رجال الدين بكلمة ((الكبير)) ، وكل هذه الكلمات تعني شيئاً واحداً هو الرجل الذي يتولى تعليم الصغار القرآن ، والعادة أن الرجل يمتلك قطعة أرض يزرعها له طلابه الذين يعرفهم بأمور الدين .

ولكن هنا يتضح الطابع الوثني للحياة قبل الإسلام ، فإن هذا الفقيه، الفقير ، الوداد ، الكبير ، يمارس السحر ويستخدم الأدعية والأحجية لشفاء المرضى ، وللاتصال بأرواح السلف الصالح من القديسين والأولياء وطبعي أنه كانت المدن مركز الحياة الإسلامية المنظمة ، وفي المدن توجد المساجد ، أما في القرى فيبعد الأهليون مناطق من الأرض في ظلال الأشجار لإقامة الصلاة ، وفي جنوب الحبشة عندما لا يعمل الرجال في الحقول فإنهم يجتمعون في منتصف النهار لأداء الصلاة ، فإذا ما انتهوا من صلاتهم تجمعوا في حلقات لمضغ (القات) والتمتمة بالأوراد (!!!) .

ومن الصعب أن نعرف إلى أي مدى يصوم الناس رمضان ، والرجال الذين لا يعيشون في مناطق إقامة ثابتة لا يصومون في الغالبية ، والقليلون هم الذين يذهبون إلى مكة للحج ، ولكن أولئك الذين يتولون عملاً دينياً ، وبخاصة الذين يتولون تدريس الدين يذهبون دائماً إلى مكة (يحجون البيت الحرام) لأن هذا الحج يزيد مكانتهم .

ويحضر الناس صلاة العيد صبيحة اليوم الأول للعيد الكبير ، عيد التضحية ، وبعد سماع خطبة الإمام يعودون إلى دورهم لذبح الضحايا من الخراف ، ويفرقون الجزء الأكبر منها على الفقراء ، وفي عيد الفطر وفي العيد الأضحى يرتدى المسلمون الثياب الجديدة ، ويزورون قبور الأسلاف وأضرحة الأولياء ، ويقومون بزيارة الأهلين ، أما الذين ينخرطون في سلك بالطرق المتصوفة ، فيحضرون حلقات الذكر التي تمتد طوال أيام العيد ، وفي أديس أبابا (كانوا) ينظمون سباقاً للفروسية لثلاثة أيام في سهل (فيليوها) .

والقوانين الإسلامية ، التي تنظمها الشريعة هي الأصل والمرجع في المسائل العامة والخاصة بين المسلمين ، ولكن للتقاليد القبلية وللعرف نفوذهما القوي بين الأهلين ، وتستند كل القوانين الوضعية التي تضعها الحكومات والتي هي من مخلفات حكم الغرب إلى الشريعة ، وإلى التقاليد .

انتشارها في قارة افريقية بين الشعوب البدائية الثقافية مرت أهدافها وروحها بمرحلة تالية من مراحل الانتقال ، لتتمشى مع العقلية الفجة البدائية للأهلين ، ولم يعد الأمر يتطلب أى مطالب خاصة قبل الانضمام للطريقة ، وكل ما يحتاجه الفرد هو أن يحفظ أصول الطريق ، وأن يقسم يمين الولاء للشيخ ، ولم تعد حاجة للقيام بطقوس خاصة ، ولا أداء صلوات معينة ، ولا صيام أيام محددة ، وكانت حلقات الذكر تعقد وتؤدي لأهداف نفسية بدنية .

في التاريخ لطرق المتصوفة :

يقول صاحب كتاب « مسالك الأبصار » الذي جمع الحقائق عن طرق المتصوفة في شرقى افريقية (١٣٣٢ - ١٣٣٨ ميلادية) « انه لم تكن في الممالك الاسلامية السبع في جنوب الحبشة مدرسة وحدة ولا خانقاه ولا رباط ولا زاوية ، وأن « القادرية » هي اول طرق المتصوفة نزل بها الى البلاد مهاجرو اليمن وحضرموت ، وانتشرت في مصوع وزيلع ومقديشو ، ومن ثمة وطدت أقدامها في المدن الساحلية ، ان الذي جاء بها الى هرر من الأشراف اسمه عبد الله العيدروس الذي مات في عدن سنة ٩٠٩ هـ ل هجرة سيد الخلق ١٥٠٣ من ميلاد عيسى عليه السلام . ولم تعرف البلاد طريقة أخرى من طرق المتصوفة حتى القرن التاسع عشر .

ومن ثمة كان من الضروري أن ينتظم الناس في عقد المذاهب الاسلامية المختلفة ، ولكن الناس في هذه المنطقة اجمالاً يتبعون ثلاثة مذاهب فقط هي : مذهب الشافعى ، مذهب مالك ، ومذهب الحنفية .. ، **فالجالا** ، وأهل **الصومال** شافعيو المذهب ، وهم الكثرة في **الحبشة** والقلّة في **ايريتريا** ، وجل أهل ايريتريا وبخاصة **بنى عامر** مالكيو المذهب ، بسبب أن علماءهم جاؤا أصلاً من شرق السودان ، أما سكان المنطقة الساحلة للبحر الأحمر ، ومنطقة **هرر** فحنفيو المذهب ، كما يوجد بعض الزيدية من أتباع الامام زيد بين اليمنيين .

طرق المتصوفة :

وهكذا يصل بنا المطاف الى طرق المتصوفة المرحلة الثانية ، بعد التقسيم للمذاهب الاسلامية . على أن الفكرة وراء طرق المتصوفة - على ما يقول تريمينجهام - أن المؤمن الذي يرغب أن تكون له صلة بالله جل شأنه يحتاج الى توجيه شخص له سابق صلة بالله ، ويكون الله سبحانه وتعالى قد منحه البركة ، ومن ثمة يستطيع أن يكون وسيطاً بين الله وبين مريد الطريقة ، وتنتقل البركة من منشئ الطريقة الى ابنه بالوراثة ، ويستمر انتقال البركة ، وتتابع الرئاسة على نظام التوارث أبا عن جد ، وإبنا عن أب . على أنه مع تطور هذه الطرق ، ومع

مظاهر خاصة للإسلام في الحبشة وشرقي افريقية :

لقد قطع تريمنجهام من كتابه ستا وأربعين بعد المائتين من الصفحات ...، ولكننا نصل معه في الحديث لنقف أمام الفصول الأخيرة التي تحدث فيها عن « المزارات » فيما أسماه (عبادة القديسين) ، و (الحج الى مزار الشيخ حسين في جوبا) للجنوب الشرقي من جبل أبي القاسم عند ملتقى مناطق (بالي) و (اوجادين) والجنوب الغربي من منطقة هرر وعلى مسافة مائتي ميل للجنوب الغربي من مدينة هرر نفسها ، ثم « صور السلوك الديني » أو بمعنى أدق : الأوضاع التي لرجال الدين في المجتمع الذي يعيشون فيه وتأثر هذه الأوضاع بالطابع الوثني الذي كان للأهلين أصلاً ، تبعاً للحياة التي عاشوها قبل أن يتحولوا من الوثنية الى الاسلام ..

والحديث هنا يتطلب مني دقة ، لم يكن تريمنجهام ملزماً بها ، ولم يكن على ما يبدو يفكر فيها ، وهو يندفع في الحديث والوصف تبعاً لموقفه هو من الاسلام والمسلمين .

وهنا نجد أنفسنا في الواقع نواجه صورة مكررة مألوفة ، صورة زيارة قبور السلف الصالح ، وهي صورة قد تختلف النظرة اليها ، ولو حاولنا أن ندرك الفلسفة الأصلية وراءها .

وقد لا يكون من حقي هنا وأنا أعرض حديث تريمنجهام ان أعقب

أو أعلق بأكثر مما يحتاجه العرض .
وتريمنجهام نفسه يقول ان المسلم يؤدي الصلاة لله .. ، ولكن هؤلاء (القديسين) الأولياء أناس قد تقربوا الى الله في حياتهم الدنيوية ، والى هنا لا غبار على ما يقوله تريمنجهام ، ولكنه يخرج من هذا ليقول ان الناس يعتقدون أن هؤلاء الأولياء بعد الموت يقومون بدور الحلقة ، الصلة ، بين الله وبين العالم المادي ، وان هؤلاء الأولياء يعيشون في المكان الذي توفوا به ، كما يزورون المناطق التي أفوها ، ويظهرون للمريدين في أحلامهم ، ومع أن المتحفظين من أهل السنة في شرق افريقية يتجنبون الشرك ، إلا أن الغالبية تؤمن بقوة هؤلاء الأولياء ، ويعتبرونهم مورداً من موارد البركة التي يعملون للحصول عليها .
وفي شرق افريقية كما في أي مكان آخر من العالم الاسلامي من النادر أن ولد هؤلاء الأولياء في الأماكن التي توجد فيها قبورهم ، لقد جاءوا كلهم من بلاد بعيدة ، وكلهم قد قالوا انهم من نسل الرسول عليه السلام ، وقد اشتهروا جميعاً بالتقوى وكلهم حصلوا على قسط كبير من علم الدين ، وكلهم كانوا على أتم أهبة لاطهار الخوارق بما لهم من قوة ، وقد كان لكل هذا أثره في الناس الذين عاشوا بينهم سواء في القرى أو في السهول ، أو في المدن ، أو في الصحراء ، فالصورة واحدة ، كانوا يقومون بالتعليم وامامة الصلاة ، ويشفون المرضى وينزلون المطر ،

ويمنحون البركة ، فلما ماتوا كون اولادهم أسرات مقدسة ، فلقد ورثوا البركة واستثمروها واستغلوا اعتقاد الناس فيها .

وقد أقام المريدون للأولياء المزارات الكثيرة التى تلمع جدرانها البيضاء فى السهول الواسعة التى تحيط بها ، أو تبدو مشعة بالضوء اذا ما كانت فوق قمم الجبال ، وفى داخل كل من هذه المزارات نجد قبر الولي الصالح مع آيات من القرآن الكريم فوق القبر وعلى الجدار الخارجى ، كما نجد فى داخل الضريح بعض آثار الشيخ وصفحات من القرآن ، وكتاب الأوراد .

ولزيارة الضريح غرضان : الزيارة تشريفا للشيخ ، والزيارة التماسا لمعاونته وتطلبا لبركته .

وتنتشر المزارات والأضرحة فى المدن الساحلية وفى هرر حيث وطد الاسلام أقدامه منذ بعيد ، وأشهر أولياء هرر الأمير نور بن المجاهد ، منقذ المدينة بعد انهيار جيوش الامام أحمد ، ولزيارته عيد كبير يجىء فى شهر ربيع الاول الذى يسميه أهل هرر « نادى مولود »

ويتتابع الحديث فيما لا حاجة لنا به من احاديث الأضرحة والنذور والهبات وما يناله منها حارس الضريح ، وما يخرج للأتباع والمريدين ، وهى صور ليست من الدين ، ولكن كتاب

الفرنجة التى يتحدثون عنها يخلطون بينها وبين الدين ، على نحو معيب أو مريب قل ما شئت ، فليس من السهل الميسور أن ننسب حسن النية لكل فرد

مظهر التقاليد القديمة قبل الاسلام:

والذى لا شك فيه أن «الكوشيت» من سكان تلك المنطقة ، أولئك الذين تحولوا من الوثنية الى المسيحية ثم الى الاسلام ، بل لعلمهم يكونون فى عصر سابق للمسيحية على ما يقول تريمنجهام قد تحولوا الى الموسوية كانوا فى البداية من الوثنيين .

وكانت أهم المظاهر الدينية عند « الجالا » هى « ودجا » أى اجتماع الأسرة أو الجماعة للصلاة ، ويصحب هذه الصلاة الجماعية حفل يؤكل فيه الخبز أو الحنطة المجروشة ، وتحسب القهوة أو الشراب المنقوع ، كما قد يضحي بشاة احتفالا لهذا الجمع ، فلما جاء الاسلام بقى الجالا يؤدون صلاة الجماعة ، ولا يزالون يقولون لصلاة العشاء « ودجا » .

على أن نفوذ الطوائع السابقة للاسلام أكثر وضوحا فى الواقع بين الجماعات التى تعمل فى الزراعة ، والتى ترتبط حياتها بزراعة الأرض والقاء البذور وحصد المحصول ، ومن ثمة بقيت بينهم التقاليد الوثنية القديمة لأعياد اليوم الاول للعمل فى زراعة الأرض واليوم الاول لجمع المحصول ، والتقاليد

they themselves had sown, but they went to the extent of openly associating themselves with the traditionalists. One of the interesting examples was that officials of the British Government, of such a high rank indeed as the Resident of Buganda, attended a meeting of the now prescribed Uganda National Movement. It was also reported in the press that the Resident like other sympathisers subscribed to the collection of the traditionalists.

Is it not strange that the same man should three months later persecute the people he had encouraged and supported.

The British Government has planned the economy in such a way as to favour non-Africans, Now when the traditionalists, in a desperate effort organise a campaign — and here I am not commenting on its timing management or political objective — to boycott such a foreign controlled economy, is it fair that Britain should answer by a theatrical staging of Emergency hence victimising the whole nation on a crime committed by a government that exploits, and kills those who blame it for doing so.

ONLY SOLUTION

The only reasonable and in fact practical solution of the Uganda problem in the interest of both the Uganda and British peoples is for the Colonial Government to come to terms with the Nationalists, as vanguarded by the Uganda National Congress, and other popular progressive organisations; refrain immediately from inciting confusion in the country; restore local Governments to their right place and consolidate on the Legislature by giving it a national and supreme character in its powers and undiluted democracy in its representation.

This is the only feasible short-cut towards a reasonable solution of the Uganda problem and delaying its solution does not offer any prospects for any more reasonable or indeed acceptable alternative.

It is up to the historical statesmanship of the Government of Great Britain to come to real effective negotiations with the Political Parties in Uganda, for one thing is certain : freedom, unity and independence of our country can be delayed but not prevented.

and respected world power like Britain be more criminal? I can understand the device of divide and rule, but how profitable is divide and quit? In view of the current of African Nationalism, could Britain be sure that a colonially-divided Uganda would not reunite after the imperialists quit? In that event what would be the memories of the Uganda people of the colonial rule? Even for the sake of argument if Balkanisation was exercised in Uganda as we clearly see its legacy in the Middle East what aftermath could Britain hope for in our country? In view of the tide of history it would appear prudent for any statesman to make a wise and intelligent choice as to which force to associate with in any country. And in Uganda it is obvious the protagonists of feudalism, tribalism and provincialism have simply outlived their usefulness. In fact were they not propped up by imperialism their existence would now be history. What may, the genuine Nationalists the Africanists, the progressive young generation will

deal traditionalism and the division of Uganda a fatal blow.

BRITISH COUGHT BY THEIR OWN TRICKS

In their traditional stubbornness to demands of the Uganda National Congress, the British government in our country has never associated itself with any force, irrespective of the aims, provided it had the criterion of a policy aimed at delaying Uganda's independence in one way or other.

The Uganda National Congress, working for the immediate independence of a united Uganda challenged any advocates of tribalism and provincialism. This traditionalism recently when it conflicted with the Nationalist strategy for independence of Uganda, UNC had to adopt stern measures which included among other things the expulsion of Mr. Musazi, who naturally ran to join the files of the staunch supporters of tribalism.

The British Government was not only so happy at the development of the conflict between the traditionalists and the Nationalists, the seed of which

prolong the British rule in the country indefinitely.

These intrigues have found expression in several important events in our country. Although government was obliged to yield to the Uganda National Congress demand for direct election, which it knew, if universally effected Congress, would have a greater national impact in the country via the Legislature, it gave it with one hand and removed it with the other. While the Uganda Election Law was passed in the Legislature, the Government in a most unprecedented action asked local governments, which are unelected institutions to veto elections in their areas. The result of this option was obviously a foregone conclusion. You could hardly see how undemocratic tribalist institutions would enforce a democracy that is displayed in a dubious manner by its British advocates. The evil inherent in this option could only be appreciated against the background that when the British government levies any tax in Uganda the local government institutions are never asked to

approve let alone to exercise a verdict.

By pretending to unite Uganda through a Central powerful Legislature to which the whole nation would owe allegiance, the same British Government has accepted, let me not say encouraged, the absence of the important Province of Buganda on this body.

While preaching that Buganda is an integral part of Uganda, ranking as one province of the country, the British Government has developed a provincial Government in Buganda and denied that to the other three provinces of the country.

Assuring the people of Uganda that their country will develop as a united whole towards an "independent African State of Uganda", the same administration has encouraged and participated in the negotiation of constituent parts of Uganda on the one hand, and the British Government on the other with the objective of attaining tribal independence.

Surely could any activities on the part of a civilised country

State of Emergency was declared in order to give a free hand to the Governor to let loose a wave of terror, injustice and confusion so as to better rule these countries longer.

Such wicked measures as the adoption of crisis law in Uganda and Nyasaland, as a penalty against their demand for freedom, does not only keep the political situation in East and Central Africa in status quo, obviously for the benefit of the British Colonial exploitation in these rich countries, but it is also an open appeasement to the Settler Governments in Kenya and the Rhodesias and the governments of South Africa and the "Belgian" Congo, all of which have been constantly worried by the "creation of other Ghanas" in their vicinity.

It is true the independent African States of Uganda and Nyasaland cannot and will not tolerate the subjection of the African people to human indignity and conferring upon them second-rate citizenship in their own country. If the British declared Emergencies in these coun-

tries in a bid to avert such a situation they were completely mistaken.

SHAMEFUL PLOT IN UGANDA

The British Government has kept the Nationalist struggle in Uganda in complete frustration since 1953 and in a position of marking time since the last three years. The Uganda National Congress has tabled demand after demand since the end of the 1952-5 mass resistance staged by this heroic genuine Nationalist Party but the British Government has always found excuse to be obstinate and provocative.

So justified and proper were the demands of the Congress that the "Protectorate" government was neither courageous to challenge them nor reasonable to accept them. They, therefore resorted to the creation of rivalries between the National Political Parties and the Local Government institutions with a view of at worst, destroying Uganda as a united independent state and at best creating confusion and local conflicts which would

possibility, and unscrupulous demonstration of tramping on recognised agreements, that Britain dragged Nyasaland in the settler-inspired Central African Federation, declared a State of Emergency in that "Protectorate" early this year and has last month repeated the same to the "Uganda Protectorate". It was now the turn for the Protectorates. Who can ever depend on the British Government, full of intrigues, malice and injustices against the African people? This nation, which has for centuries preached justice and fairplay, is committing the most uncivilised atrocities of our time. Oh God deliver us but forgive them for they know not what they are doing.

ATTEMPT TO CREATE SETTLERISM COUNTERPART IS THE CAUSE

"Africa is lost" that is the catch word that characterises every gathering sponsored by imperialists or their fellow-travellers. Yes, it is lost in favour of its own people. And what next? It is this fear that stirs the im-

perialists to the point of hysteria. It is such a fright indeed that it pushes them to commit the most criminal atrocities in the face of a civilised world and in the teeth of opposition not only of the African people, but also of universal public opinion.

Having lost Asia and with West Africa on the door out, and obviously conscious of the inescapable fact that colonialism is anachronistic and that the independence of Africa has become a historical necessity, the British Government, by the traditional use of Emergencies is desperately attempting to block the irresistible African tide to freedom, dignity and nationhood.

As she failed to federate East Africa and therefore tie it by settler chains on the colonial chariots indefinitely and now fear stricken of the crumbling of the Central Africa Federation Britain has declared a State of Emergency in Uganda and Nyasaland so as to create settlerism counterpart in these countries; since there were no settler demands to justify frustrations of the African peoples. A

countries we can assess a sense of racial harmony or at least we are not struck by the white-against-non-white outburst.

These countries have always acted a buffer between metropolitan colonial Britain and the demagogic diehard settler governments as exemplified by Kenya and Southern Rhodesia. The British Labour and Socialist sector of the public have always regarded the independence of "Protectorates" as a British gesture of humanitarianism and a deep foundation of lasting friendship and co-operation between these countries and the "Mother Country".

— Great Britain that is.

As a result of public pressure and as a tricky compromise between settlers and Nationalists there are signs that the Emergency in Kenya may sooner than later be lifted. As tradition has it, crisis was to be declared in another country. It was Uganda's turn and the chain continues.

TURN FOR THE "PROTECTORATES"

British Colonial Constitutions theoretically vary in several

aspects according to individual territory, but in practice these are based on a similar broad colonial policy. The difference for instance between a colony and a protectorate is largely the historical methods of colonial occupation.

Although there are wide differences amongst the "Protectorates" themselves, depending on the degree of administrative, social and cultural stage of development which they had attained by the time of British colonial invasion, they all tend to have some characteristics in common :

People of the "Protectorates", confident that Britain is honourable enough to be bound by her agreements, have always regarded the future of their countries as their own and that by mutual consent Britain would terminate her "Protection". On the threshold to freedom, therefore, they have naturally to live to their obligation to the African Personality in the case of Uganda and Nyasaland.

It was in a clear proof of her absolute lack of moral res-

STATE OF EMERGENCY IN UGANDA: PLANNED CRISIS

Uganda is the latest addition to the list of British occupied countries where the British Government has once again responded to a political situation by means of intimidation, violence and terrorism.

The present conservative British Government will sink in history with the most shameful record for the Britons. As if anxious to keep two human butcher houses at any one time, the "British-Society-for the Destruction-of Freedom Fighters" scrupulously keep lobbying the British Government and commanding Lieutenant Lennox-Boyd to fly troops wherever colonialism is in danger and freedom on the threshold. "Cyprus was lost" the Society reflects, "but after all there were Greece and Turkey, both members of Nato, to consider" the Society for the preservation of Lennox-Boyd consoled its counterpart.

When Emergency was lifted in Cyprus, in an effort to pre-

vent the "creation of a vacuum", to describe the matter in a typical imperialist language, another one was soon to be declared in Nyasaland and Southern Rhodesia. Reason: People demanded freedom. The paradox now comes. The same freedom decided, as the solution of the Cyprus problem, was denied the African people in Nyasaland and the Rhodesias so as to create a similar Central African problem. You would have the impression that the British way of life is to create problems; artificial, nefarious and inhuman.

In Kenya a State of Emergency has frustrated the African peoples, for it hardly affects other people in British Colonial Africa, for the last seven years.

We see now these Emergencies creeping stealthily in the Agreement States of Uganda and Nyasaland. In these countries, we observe that colonial settlement was neither minima, or non-existent. We note that in these



تمثال برونزی من نیجیریا

2nd. Year

Issue No. 20 - July 1959



Nahdātu | **AFRIQUIAH**

IN THIS ISSUE

- AFRICA IN PRESIDENT NASSER'S ADDRESS
- ISLAM IN ETHIOPIA
- NEGRO ROLE ON THE AMERICAN THEATRE
- BOOK ANALYSIS

السنة الثانية

العدد ٢١ - أغسطس ١٩٥٩



نهضة أفريقية

في هذا العدد

- سياسة المؤتمرات في افريقية
- التنافس الانجليزى الالماني في أوغندا
- روديسيا ونياسلاند
- مصر الفرعونية وشرق افريقية
- البوشمن
- نقد الكتب

الشم ٣ قروش



افريقية الغاضبة



نهضة إفريقية مجلة شهرية للتقافة الأفريقية

رئيس التحرير
محمد عبد العزيز اسحق

نهضة إفريقية

تهدف هذه المجلة الى :

- ١ - تنمية الوعي القومى الإفريقى.
- ٢ - التعارف بين الإفريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الإقليمية .
- ٣ - نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهتم كل إفريقى فى مجاله الحيوى

وللمشاركين الحق فى :

- ١ - الحصول على المجلة بانتظام وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض.
- ٢ - الافادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الامكان .

● ترحب « مجلة نهضة إفريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .
● ليس من الضرورى ان تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها ..

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة إفريقية
هـ شارع أحمد حشمت - الزمالك
بالقاهرة

تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨

الإقليم المصرى

بالجمهورية العربية المتحدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى
دار أخبار اليوم للتوزيع :

٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا :

لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمن العدد ٣ قروش

فكرة ..



تؤكد فرنسا أنها ستفجر قبيلتها
النرية في الصحراء الكبرى الأفريقية ،
وهذا الى جانب كونه اعتداء صارخا
على حياة الملايين في هذه القارة . فانه
في الوقت نفسه يعتبر تدميرا لثروة من
حقى القارة أن تنتفع بها . ففى ((تندو))
تم تحديد مكان منجم للحديد سوف
تستخرج منه عدة مليارات من الأطنان،
وفى ((هو جار)) تم الحصول على مناجم
هائلة من القصدير ، واليورانيوم ،
وكثير من المعادن الأخرى . كما اكتشف
أن هذه المنطقة غنية بالمياه الجوفية
التي لو أمكن رفعها بالوسائل الحديثة
لأصبحت هذه الصحراء ((جنة
الأفريقيين !)) .

على أن بعض الجيولوجيين قد
أثبت أن هذا المكان في العصرين
الحجريين القديم والحديث كانت توجد
به بعض أنواع الزراعة ، كما وجدوا
في هذا المكان آثارا نقشت عليها سفن
شراعية وكثير من مظاهر الحياة .
كالصيادين ، والرعاة ، ومناظر الحصاد .
ومن هنا يجب أن يقف الأفريقيون
جميعا في وجه هذا الاعتداء الصارخ
وأن يحيطوا هذه المنطقة بقلوبهم ،
وعزمهم . ففيها غدهم .

((عبده بدوى))

محتويات العدد

- ٣ سياسة المؤتمرات في افريقية :
للأستاذ محمد عبد العزيز اسحق
- ٦ بين مصر الفرعونية وشرق افريقية :
للدكتور عبد العزيز كامل
- التنافس في أوغندا :
للدكتور جلال يحيى
- ١٥ نقد الكتب :
للأستاذ عبده بدوى
- ٢٨ البوشمن :
للأستاذ محمود سليمة
- ٣٦ كينيا في صور :
لمحة من تاريخ مراكش
- ٣٩ ترجمة الأستاذ عزيز مبرى
روديسيا ونياسالاند :
للدكتور على ابراهيم عبده
- ٥١ الاستعمار البريطانى في أوغندا :
للدكتور عبد العزيز الرفاعى
- ٦٠ عقائد وفن :
للأستاذ حلمى شعراوى
- ٦٦ كلمات وصور
- ٧٤



بفلم : الأستاذ محمد عبد العزيز اسحق

عليها السلطات القائمة بهذه التقسيمات الحادة التي كانت تجري وفقا لمصالحها، واتفاقياتها مع الدول الأخرى . دون أن يكون للأب حق في أن يجمع أولاده المتفرقين تحت نظره ، وقلبه ، وحبه . وقد بالغ المستعمرون في هذه القطيعة ، واجهزوا بأيد قاسية على عواطف الناس ، ومشاعرهم ، وتلك الوشائج الإنسانية التي تربط الناس بخيوط من الرحمة ، وتولد في قلوبهم المعاني الرقيقة التي تلتقي أشعتها جميعا في الكلمة الخالدة الكبيرة : كلمة ((الإنسانية !)) .

ومن خلال هذا كله عملوا على تحطيم الحضارات الإفريقية العريقة ، وشككوا الإفريقين في تاريخهم ، وتقاليدهم ، وفنونهم ، وآدابهم ، ولغاتهم ، ومن خلال هذا « التدمير المدبر » فرضوا عليهم لغاتهم ، وطرق

إذا نظرنا الى الماضي من عدة سنوات لنلقى نظرة شاملة الى القارة الإفريقية ومدى ما يعرفه بعضها عن البعض الآخر . وجدناها « قارة مقفلة » لا تعرف الدولة المجاورة ما يدور لدى الأخرى . بل ان الدولة الواحدة كانت لاتعرف شيئا عن نفسها فشمال « السودان » كان لايعرف شيئا عن جنوبه ، وشرق « نيجيريا » كان لايعرف شيئا عن غربه ، وهكذا .

ولم يكن هذا جهلا بالأوضاع السياسية ، ولا جريا وراء العزلة ، واقبالا على الحياة المحلية المحدودة ، ولكنه كان خطة مدبرة تصدر تعليماتها من بريطانيا ، وفرنسا ، وبلجيكا ، وإيطاليا ، وإسبانيا ، والبرتغال . فما أشد ما كان يحب الإفريقى أخاه في أى مكان في القارة . فضلا عن أسرته الواحدة التي كان يفقدها بما تفرضه

حياتهم ، ونظم مجتمعاتهم ، وحسبوا أنهم بما لديهم من سلطة قد وصلوا الى أعماق القارة ، ودمروا نفسياتها ، وأصبحت لهم القدرة على تشكيلها من جديد .

وفي سبيل هذا نراهم قد أهدروا كثيرا من القيم ، وخرجوا عن كل ما يميز الانسان من الحيوان . فنراهم يحشدون أبناء القارة الى الحروب التي يخوضونها ، ويلقون بهم في المقدمة حتى يتقوا بهم من كل الأخطار فاذا ما انتصروا على أشلائهم ، وعادوا بدونهم - وحتى بدون ذكريات عنهم - الى بلادهم نراهم يقومون بعملية عقاب أخرى لأهلهم وذويهم كأن ما قدموه من « موت » في سبيلهم لم يكن كافيا . فيعاملونهم على أنهم غرباء في بلادهم ، ويفرقون بينهم وبين أبناء البلاد . فاذا ما ارتفعت جبهة سوداء ضخمة تطالب بالعدالة ، وبالمساواة وبشيء من تقدير « الانسان » نراهم يضربون عليها بالقضبان الجامدة !

ثم يعودون من جديد لاستنزاف خيرات البلاد لأجيال قادمة كأنما يريدون أن يعاقبوا الأجيال الافريقية التي لم تأت بعد ، فنراهم يدمرون الاقتصاد الوطنى ، ويغتصبون كل كنوز الأرض المدفونة ، ويبعدون الأهالى عن الأراضى الجيدة ، ويصدرون كل المواد الخام الى بلادهم . وبهذا يجنون على افريقية لأجيال قادمة .

ومن خلال كل هذا نراهم يربطون اقتصاديات البلاد باقتصادهم ، ويشعرون الأهالى بأنهم غرباء عن بلادهم ، وأنهم أصحاب الحق المطلق في هذه البلاد تحت ألوان من الاستعمار

تتردد بين الاستعمار المطلق ، والاستعمار الاستغلالي ، والاستعمار السكنى ، والاستعمار الحربى ، وكلها تشكيلات القصد منها تدمير القارة ، واستغلال مواردها لأجيال متعاقبة . ولكن « ومضة الحرية » التي تولد مع الانسان ، والتي تنتصر دائما على العواصف ، والأعاصير ، وتعرف كيف ترتفع هادية .. ومثبتة الأقدام على الطريق . عرفت أخيرا كيف تتقابل مع الومضات الأخرى ثم تشق في عزم واصرار طريقا من نور ! طريقا من حرية !

فقد تلفت الافريقيون الى أنفسهم، وعرفوا أن الأيدى الوحيدة لا يمكن أن تحمل النور ، وأن كل قطر لابد أن يخرج من قلبه يدا ، ثم تتلاقى هذه الأيدى جميعا ، وتلتحم في قبضة مصرة تشد بها على « المشعل الكبير » الذى يجب أن يعم بنوره كل افريقية : المدينة ، والقرية ، والصحراء ، والغابة . ثم أخيرا « النفس الافريقية » التي أعشوشبت بالظلم ، وأظلمت بالانكسار !!

وقد أضاءت حركات التحرر التي ظهرت أخيرا كل مكان في افريقية . فنجاح غانة ، وغينيا وغيرهما قد أعطى للافريقيين كثيرا من الثقة في أنفسهم ، وفي غدهم ومن هنا رأينا هذه الثقة في أكثر من مكان بافريقية . فمصر الافريقى الآن مرتبط بمصير أخيه الافريقى الآخر في كل مكان في القارة سواء أكان هذا الأخ غارسا رمحه كما في « الكونغو » . أو مترصدا به كما في « روديسيا » . أو يهيم به كما في

((أوغندة)) . أو منتظرا به متوعدا كما
في ((صوماليا)) .

.. ولقد كان من أهم مظاهر فكرة
التساند الإفريقي . هذا الوعي الجديد
الذي بدأ يعم القارة بأن قضاياها
متشابكة ، وأن سياستها جميعا تنبع
من طبيعة مشكلات القارة كلها ، وأن
الدول التي لاقت نصيبا من الاستقلال
يجب ألا تنعزل عن الدول الأخرى التي
ما زالت تخوض في دماء المستشعدين
من ابنائها . فالكيان الإفريقي موحد ،
وموجود ((كتكتلة ضخمة مصمتة))
يحسها المكافح ((الجزائري)) وهو
يفوص في دماء الفرنسيين في شمال
القارة ، ويلمسها المجاهد ((الكونفي))
وهو يقف في جبهة طويلة سوداء
تصرخ بأنه لا مكان للبلجيكيين في وسط
القارة ، ويقبض عليها المواطن في جنوب
إفريقية وهو يشور على التفرقة
العنصرية ، والضغط الاقتصادي في
أقصى جنوب القارة !!

وقد كان كل هذا ثمرة طبيعية لهذه
المؤتمرات الإفريقية التي انعقدت في

أكثر من مكان ، والتي تبادل فيها
الساسة ، والمواطنون وجهات النظر
الواحدة ، ثم انتهوا جميعا إلى أن
قضية الحرية واحدة ، وأن إفريقية
اليوم مشكلة واحدة يقف لحلها كل
أبناء إفريقية ، دون قبول للتجزئة ،
أو الحلول الجزئية إفريقية لابد أن
تكون للإفريقيين .

ولقد توج أخيرا هذه المؤتمرات
ذلك المؤتمر الأخير الذي يلمع كنقطة
ضوئية كبيرة في قلب ((مورافيا))
عاصمة ((ليبيريا)) . فقد تدفقت
العواطف الإفريقية منه كشلال يهدر
فسمعنا منه نفمة الاعتراف
((بالجزائر)) ، والثورة على التفجير
الذري في الصحراء الكبرى ، ومساندة
الشعوب الإفريقية . التي لم تنل بعد
استقلالها ، والاتجاه نحو سياسة
إفريقية موحدة شعارها ((الحرية
الإفريقية ، والسلام لكل العالم)) .

وهكذا تكسب إفريقية كل يوم
انتصارات جديدة بفضل هذا اللقاء
المستمر بين ابنائها .



بين مصر الفرعونية والشرق الأفريقي

للدكتور عبد العزيز كامل

يرتفع الآن مد تجررى استطاع أن يهز قواعد الاستعمار هذا عنيفا اضطرب معه الى الخروج عن وقاره المصطنع ، والقاء أقنعتة المزيفة ، والكشف عن طبيعته العارية ، فحرق القرى وسفك الدماء ، والقى بالأحرار في النفي والسجون ، وشرذ الأسر الآمنة . ولا يزال بعض دعااته - بالرغم من هذا كله - يتغنون بمآثر الحضارة الأوروبية ، وعبء الرجل الأبيض في ترقية القارة السوداء !!

والعوامل الجغرافية - بعامة - تتغير أهميتها النسبية مع تطور الحياة البشرية . ففي العصور القديمة كانت العوامل الطبيعية أشد تحكما في الانسان . بل ان قصة الحضارة - في كثير من جوانبها - لا تعدو تطور التفاعل بين الانسان والبيئة وازدياد سيطرته عليها . فقد كان الانسان في العصور القديمة مقيدا في انتقاله بمعالم الأرض اليابسة الى حد بعيد ، كان البحر عنده عقبة ترتفع مع أمواجها مخاوفه ، ولما اشتد عوده استطاع أن يركب البحر دون ابتعاد كبير عن اليابسة . ثم تطور بالحياة فاستطاع أن يقتحم اللجة ، واتخذ طريقه في البحر معتمدا على نجوم السماء وما كشفه العقل من وسائل . ولما جاء

هناك اتجاه استعماري يرمى الى التقليل الى أدنى حد ممكن من أهمية الروابط الأفريقية عبر الصحراء ، ويعتبر إشباع هذا الاتجاه مصر وشمال افريقية منطقة متميزة ، يطلقون عليها اسم افريقية البحر المتوسط ويعزلونها حضاريا وتاريخيا وجغرافيا عن بقية القارة . والهدف السياسى الذى يكمن وراء هذا الاتجاه واضح ، فهو يحاول أن يثبت في أذهان الأفريقيين الذين يعيشون جنوب الصحراء أنهم يمثلون عالما بشريا منفصلا ، تحده الصحراء من الشمال ، والمحيط الهندى من الشرق ، والأطلسي من الغرب ويحاول أن يعزلهم - عقليا وعاطفيا - عن الشطر الشمالى من القارة ، فى الوقت الذى يبذل فيه أقصى الجهد لتفتيت المجموعات البشرية جنوب الصحراء ، ليحول دون تماسكها وتعاونها ، وليسهل عليه استغلالها ، والسيطرة عليها سياسيا واقتصاديا .

وهذا المقال محاولة لعرض بعض العوامل الجغرافية التى ساعدت على تمكين الروابط الحضارية بين أجزاء القارة عبر الصحراء فى العصور القديمة ، مع العناية بمنطقة معينة بالذات : هى شرق افريقية ، حيث

عصر الطيران استطاع الانسان أن يختزل المسافات ، وأن يعدل من الأهمية النسبية للمواقع . وأصبح يعبر الجبال والمحيطات والغابات والصحارى فى يسر ، فقلت أهمية هذه الظواهر كعوائق طبيعية ، وبرزت أهمية العامل البشرى . بل ان العامل البشرى نفسه قد استطاع أن يتخطى بعض العقبات التى وضعها الاستعمار فى طريقه ، فقلت فى افريقية وآسيا أهمية الفروق اللغوية واللونية والبيئية ، واتجه الجميع نحو اهداف مشتركة ، وآمنوا معا بالسلام العالمى ومحاربة الاستعمار .

العامل الأول : طرق عبر الصحراء
والصحراء فى النصف الشمالى من افريقية نطاق ضخم يزيد معدل عرضه عن ١٠٠٠ كيلو متر ، ويمتد بعامة ، بين خطى عرض ٥٢٠ ، ٥٣٠ شمالا ، والى شماله اقليم البحر المتوسط بمطره الشتوى ، والى جنوبه الاقليم السودانى بمطره الصيفى . ويبدأ هذا النطاق من المحيط الأطلسى فى أقصى غرب القارة حتى البحر الأحمر شرقا ، ويعبر القارة ليشمل مساحات ضخمة من جنوب غرب ووسط آسيا . هذا الى نطاق صحراوى فى شرق القارة فى اقليم الصومال .

والصحراء الكبرى فى افريقية شديدة الجفاف ولا تكاد تسقط عليها أمطار الا فى الأطراف الشمالية التى تتأثر بمطر الشتاء ، والأطراف الجنوبية التى تتأثر بمطر الصيف ، كما تتأثر الأطراف الغربية المطلة على المحيط الأطلسى ببعض رطوبة المحيط .

وهناك فروق بين الأجزاء الداخلية فى الصحراء .. فروق فى الارتفاع تؤدى الى تباين مناخى ونباتى وفروق فى التكوين تؤدى الى قيام الواحات كمراكز استقرار بشرى .

من المنتظر اذن أن تكون موارد المياه محدودة جدا ، وأن يصبح فى شمال القارة نطاق جاف لا ينبض بالحياة الا فى الواحات المتناثرة التى تتخذها القوافل معالم للسير بين اقليم البحر المتوسط شمالا ، والاقليم السودانى جنوبا .

وكان من الممكن أن تصبح الصحراء أعمق تأثيرا من الناحية البشرية ، لولا عوامل أخرى تمثل تناقضا جغرافيا مع جفافها ، وسكونها الموحش :

ففى الجزء الشرقى من هذا النطاق يمتد نهر النيل من هضبتى شرق افريقية واثيوبيا ، ويمر بالاقليم السودانى ، ثم يعبر الصحراء ليلقى بمائه فى البحر المتوسط . واستطاع هذا النهر أن يوفر لمصر تربتها وماءها ، كما اعطاها هى وشمال السودان ميزات لا توجد فى المناطق التى استمد منها النهر مقوماته .

فهو ينحت تربته من سفوح الحبشة العالية الوعرة ، ويعود فيرسبها فى سهل فيضى مستو . وهو يحمل ماءه من قلب القارة . والنيل فى منابعه العالية ليس أساس الزراعة ، وان استخدمت - هناك - البحيرات والمجارى المائية كمصايد للأسماء وطرقا للتجارة . واستطاع النهر أن يكون فى واديه الأدنى بيئة زراعية ليست فيها مشكلات مناخية ، كالتى تركها وراءه فى منابعه .

رأس الدلتا . ولكل من هذه النقط مميزاتا المكانية الخاصة ، وان جمع بينها الرباط النيلي . وستتضر هذه الطرق المتجهة جنوبا الى ان تجاور في سيرها النهر الى حد كبير ، فهو المورد المائي الرئيسى الذى استطاعت القوافل في العصور القديمة ان تعتمد عليه .

وعند الأطراف الجنوبية لمصر تتشعب الطرق امام القوافل ، وفي تشعبها تتحكم فيها عوامل المطر ، وتوزيع الأودية الجبلية واتجاهها . ففي الشرق ترتفع جبال البحر الأحمر ، وتنحدر منها الى وادى النيل أودية ضخمة تدل على مناخ كان أوفر مطرا . وتمتد هذه الأودية في الحوض من أقصى الشمال حتى قلب السودان الشرقى . وهى في الوقت الحاضر تمثل تدرج المناخ في هذا الجزء من القارة . وهى جافة في الشمال ، وقد تحمل في بعض الظروف الشاذة فيضا مفاجئا من الماء يهدد القرى الآمنة في أدنى مصر . وفيضان الأودية الشمالية - ان حدث - كان في فصل الشتاء . ثم يشتد الجفاف كلما اتجهنا جنوبا في صعيد مصر . ويعود احتمال الفيض المفاجئ في الأودية الجنوبية ، وهو هنا خاضع لنظام المطر السودانى الصيفى . ثم تتدرج الأودية الجافة الى الأخوار ذات الفيضان الصيفى كـ « خور القاش » ، و « خور بركة » اللذان ينبعان من مرتفعات ارتريا ، وفيضانها واسع الذبذبة . وأخيرا نصل الى روافد النيل الحبشية بفيضاتها الصيفى ، ثم الروافد الاستوائية . الدائمة الجريان ، مع ذبذبات فصلية محدودة الأهمية والمدى .

العامل الثانى : هو البحر الأحمر . ويمثل محورا صالحا ، وسيلته السفن يقابل المحور النيلي العذب . وهذان المحوران يبدوان من مصر شمالا . ولم يكن بينهما في العصور القديمة تنافس ، وانما كان بينهما تكامل ظهرت بعض آثاره في شرق القارة جنوب الصحراء . ولنعرض الآن كلا من هذين المحورين في شئ من التفصيل .

المحور النيلي :

أكثر ما يستلفت النظر في مصر : التباين الكبير بين الأرض السوداء التى كونها النهر ورمال الصحراء ذات اللون الأحمر التى تحف بها من الشرق والغرب . وكما يقول الدكتور ولسن : « يستطيع أى انسان أن يقف واضعا إحدى قدميه في الأرض الخصبة المزروعة ، بينما يضع قدمه الأخرى فوق رمال الصحراء المجذبة . فاذا ما ألقى بناظريه نحو وادى النيل أحس بضجيج الحياة وزحامها ، فاذا التفت الى تلال الحجر الرملى لم تقع عينه الا على فضاء مقفر لا حياة فيه » .

ومع أن واحات الصحراء في مصر قد شاهدهت ، واحتفظت بأقباس من الحضارة المصرية ، فقد كانت كالأقمار تدور في فلك حوض النيل الأدنى وترتبط به .

ومن الطبيعى اذن ان تتركز الحياة في مصر تركزا شديدا ، وأن تتركز - تبعا لذلك - طرق الاتصال مع الجنوب في هذا الجزء ، بحيث تبدأ منه وتنتهى اليه وأن تعددت نقط الالتقاء على المحور نفسه . فقد تكون في أطرافه الجنوبية عند الشلال الأول أو في منطقة « ثنية قنا » أو تكون في « أسيوط » . أو تتابع سيرها حتى

وتحدد الأودية بين النيل والبحر الأحمر طرق التجارة . ومن قديم تتبعها القوافل من مصر واليهما . ومن اطراف مصر الجنوبية يمكن أن تتبع القوافل مجموعة « أودية العلاقى » و « قبقة » الى ارض « البجة » فى السودان الشرقى . وتنتهى هذه المجموعة الى النيل عند بلدة « كرسكو » ومن الممكن أن تتبع القوافل طريق النهر الى الجنوب حتى التقاء النيلين الأزرق والأبيض ، وتستطيع متابعة النيل الأبيض جنوبا أو تصعد مع النيل الأزرق الى أطراف الهضبة الحبشية ، وبهذا تتجنب منطقة السدود النباتية فى جنوب السودان ، وتتابع السير الى هضبة افريقية الشرقية . ومع أن منطقة السدود كانت ولا تزال عقبة لها أهميتها فى المواصلات البرية والنهرية ، الا أن بعض القبائل التى تعيش فيها الآن كالنوير ، تحتفظ حتى الآن بتقاليد رعوية تستوقف النظر . ويذكر الدكتور « سلجمان » فى دراسته للقبائل النيلية . أن « النوير » يعدلون من اتجاه قرون ماشيتهم بطريقة خاصة ، فيجعلون القرن الأيسر متجها الى الداخل بينما يتركون القرن الأيمن على اتجاهه الأصلى ، فيصبح للقرنين اتجاه واحد . واورد فى كتابه عن القبائل الوثنية فى السودان النيسى ص ٣٥ صورة لهذا التقليد الرعوى عند النوير مرافقة للوحة فرعونية من سقارة ترجع الى الأسرة الخامسة أى الى القرن السابع والعشرين قبل الميلاد . والتشابه بين ما عند النوير الآن وما حفظته الآثار المصرية القديمة

يمكن أن يلقي ضوءا على خطوط التأثير الحضارى وامتدادها جنوبا . وقد يكون انتقال هذه المؤثرات من مصر الى منطقة السدود مباشرا . وقد يكون الى أوطان سابقة استقر فيها النوير ثم هاجروا منها الى اوطانهم الحالية حاملين معهم هذه التقاليد الرعوية . والوطن السابق للجماعات النيلية - كما يقترح سلجمان - كان هضبة شرق افريقية . ومنها انبعثت موجات الهجرة المتتالية التى استقرت بها هذه الجماعات فى اوطانها الحالية . وأيا كان الطريق المقترح ، فان الحقيقة الكبيرة التى تعاو هذه الآراء هى التشابه القوى بين الأثر المصرى القديم ، والعوائد التى ما زال النوير يتبعونها حتى الآن .

ومن الممكن أيضا أن تتبع المؤثرات طريقا ثالثا ، فمن الأطراف الشمالية للنظام السودانى ذى المطر المصيفى تستطيع القوافل التجارية أن تبتعد عن النيل متجهة نحو الغرب والجنوب الغربى الى ما يسمى الآن « كردفان » و « دارفور » .

وبهذا نرى المحور النيلى يتشعب فى أطراف مصر الجنوبية والسودان الشمالى فى ثلاثة اتجاهات رئيسية أولها يميل الى الشرق ، والثانى يتابع السير نحو الجنوب والثالث يميل نحو الغرب . وتستطيع القوافل الكبيرة أن تختزل بعض ثنيات النيل فى ترحالها معتمدة على ما تحمله من مؤن ، اما القوافل الصغيرة والبدائية فهى اشد ارتباطا بالنهر وجريانه .

والمحور النيلى بهذا يتعامد على النطاق السودانى ، كما تعامد على

النطاق الصحراوي . والارتباط بالنهر في النطاق السوداني ليس كبير الخطر وبخاصة في الأجزاء الجنوبية ، حيث يطول موسم المطر ، ويفزر معدله السنوي ، وتشعب روافد النهر ، وتعدد الأخوار التي تنتهي إليه أو تنتهي دونه ، وتكثر البطائح التي تستطيع الاحتفاظ بالماء في الجفاف فترة تطول أو تقصر . ويستطيع السكان الحصول على الماء من الآبار القريبة الغور ، وغير ذلك من الوسائل التي يحفظون بها الماء بعد انقطاع المطر . وبهذا يتخذ الاستقرار البشري هنا محورا أفقيا يعبر القارة من الغرب الى الشرق . ويتعمد النيل على هذا المحور . والتقاء هذين المحورين - النيل والسوداني الرعوى - يمثل منطقة استقرار لها خطرهما في افريقية . وبهذا كانت المؤثرات الحضارية تنتقل من مصر جنوبا متبعة النيل في النوبة وشمال السودان ، ثم تنتشر في النطاق السوداني مستخدمة نسيجها من الطرق المتشابكة التي تصل الى أغوار افريقية . ويهمنا الآن من هذه الطرق : الطريق الذي كان يتبع النيل الأزرق الى الأطراف الغربية لهضبة الحبشة ، ثم يتابع سيره جنوبا الى هضبة شرق افريقية ، وهو الذي رجحه «سلجمان» لوصول المؤثرات المصرية الى منابع النيل الاستوائية .

البحر الأحمر :

وقد غلب الطابع التجارى على هذا الطريق البحرى ، وهناك ظاهرة تسترعى الانتباه وهى : أن معظم اتصال مصر بشرق افريقية عن طريق البحر الأحمر كان عند القصير الحالية ،

بدلا من أن يكون عند السويس ، ويرجع هذا التحديد الى عوامل جغرافية يمكن أن نجملها فيما يلى :

١ - ان البحر الأحمر في جملته خطر على الملاحة . وسجل المصريون هذه الخطورة في أدبهم القديم ، ففي قصة «الفريق» نقرأ وصفا للبحرية المصرية ومخاطرها في البحر الأحمر ، يرويه بحار تنسب القصة اليه : « حدث لى شخصا عندما أقلعت ... فى سفينة ذرعها ١٢٠ طولا و ٤٠ عرضا وكان فيها ١٢٠ بحارا من نخبة المصريين . وكانوا يتعرفون السماء ، وكانوا يتعرفون الأرض ، وكانت قلوبهم أثبت من قلوب الأسود ، وكانوا يتنبأون بالعاصفة قبل أن تحدث ، والزوبعة قبل أن تمر . وقد هبت العاصفة ونحن مازلنا فى البحر ، وقبل أن نصل الى الأرض ، قامت الريح فضاغت من شدتها ، وجاءت موجة ذرعها ثمان ارتفاعا ، وحملت من على سطح السفينة مع الصارى . وبعد ذلك غرقت السفينة ولم يبق الا واحد من الذين كانوا فيها .. » .

مع هذه الخطورة العامة للملاحة فى البحر الأحمر ، فان جزءه الشمالى اشد خطورة ، بسبب أعاصير البحر المتوسط ، التي تتخذ اتجاهها متعامدا على اتجاه البحر الأحمر ، وهى فى الشتاء أكثر تواترا من بقية السنة . ومن المحتمل أنها كانت فى العصر الفرعونى أكثر حدوثا من الوقت الحاضر تبعا للظروف المناخية التي كانت سائدة وقتئذ ، مع ملاحظة أن السفن كانت أصغر حجما . وأشد المناطق خطورة كانت عند رأس محمد

حيث تنفرج الرياح الجنوبية التي تجتذبها الأعاصير في اتجاهين نحو خليج السويس والعقبة . ويحسن أن نذكر أن الرياح المنتظمة كالموسمية والتجارية ليست خطيرة على الملاحة إلا إذا بلغت سرعة غير عادية . أما الخطورة فتأتى من الأعاصير لأن اتجاه الرياح فيها سريع التغير ، وهو الذى يحدث في الجزء الشمالى من البحر الأحمر ، ولذلك تحاشى المصريون هذا الجزء بقدر الامكان .

٢ - ويقترب النيل من البحر الأحمر عند « ثنية قنا » . وهذه أقصر شقة برية ، هى ومنطقة السويس . وقصر المسافة البرية كانت له أهمية في عمليات نقل الخشب لبناء السفن في البحر الأحمر . هذا فضلا عن الأودية الجبلية التى يمكن استخدامها في المواصلات مثل وادى الحمامات ، ومن الممكن البحث عن بعض الماء في بطونها .

٣ - ثم ان هذه المنطقة كانت مطروقة للباحثين عن المعادن كالذهب والنحاس .

٤ - و « ثنية قنا » منطقة استقرار زراعى لها أهميتها ، ومن قديم اختارها المصريون لعواصمهم .

كان طريق القصير يوصل المصريين الى بلاد « بونت » ومع تعدد الآراء والاختلاف في تحديدها إلا أنها كانت تشمل - بعمامة - شرق افريقية ، واليمن والحبشة وارتيريا . وتهمنا الآن الصلة القديمة بين مصر وهضبة شرق افريقية ، وهى صلة استمرت من أقدم عصور التاريخ .

تغيرات التوجيه التجارى والحضارى:

الذى يجمع بين المحورين البحرى

والنيلى : انهما يتجهان نحو الجنوب ، وكأنهما بذلك يمثلان اتجاهها تجاريا وحضاريا واحدا ، يرمى الى ربط مصر بالأقطار الجنوبية بعمامة . وكان هناك توجيه تجارى وحضارى آخر يرمى الى ربط مصر بأقطار الشام والعراق وما وراءه في هضبة ايران أو بعارة اخرى يربطها بمناطق الاستقرار البشرى في شمال الجزيرة العربية . وجانب من هذا الاتصال كان عن طريق البحر المتوسط ، ومعظمه كان عن طريق « شبه جزيرة سينا » برا .

والروابط التجارية والثقافية بين مصر ، وكل من شمال الجزيرة العربية وبلاد « بونت » تعرضت لتغيرات كثيرة عبر التاريخ ، وبخاصة في العهد الفرعونى . فقد يحدث أن تقوى الروابط في وقت ما مع عالم البحر المتوسط وشمال الجزيرة العربية ، بينما تتحول العلاقات التجارية في وقت آخر نحو بلاد « بونت » في الجنوب . وهناك من الأدلة ما يدعو الى القول بوجود علاقة ما ، بين تغير التوجيه التجارى لمصر ، واتجاهها نحو بلاد « بونت » ، والتغيرات المناخية في شمال الجزيرة العربية . ففترات الرخاء يصحبها عادة نشاط تجارى بين مصر وحضارات شمال الجزيرة العربية ، وهضبة ايران . بينما فترات الجفاف وقلّة الأمطار تدعو الى الاضطراب وقلّة الأمن . والاستقرار والأمن ضروريان لانتعاش التجارة . وفي كثير من الأحيان يفرض الجفاف القبائل الرعوية في شمال الجزيرة العربية بغزو مصر ، وبخاصة أجزاءها

الشمالية. وكرد فعل لهذا الغزو تقوم أسر قومية في مصر العليا ، وتدعم مركزها في منطقة « ثنية قنا » . وقد سبق تحليل موقع هذه الثنية .. فهو يجعلها اصلح اجزاء وادى النيل في مصر للتجارة مع الجنوب ، والاتصال به برا وبحرا . وضعف القوة السياسية في مصر نتيجة للغزو الشمالى تعادله عادة زيادة في قوة « ثنية قنا » ومنزلة « طيبة » الدينية ، وهذا يزيد الحاجة الى البخور والعطور التى تستخدم في الطقوس والأحفال الضخمة . وهكذا نجد العوامل الطبيعية والسياسية والدينية تشجع في بعض الفترات على توجيه مصر نحو الجنوب . ويظل الأمر كذلك حتى تتجدد ظروف ملائمة في شمال الجزيرة العربية ، تقلل من خطر الصحراء ، وتفتح ابواب التجارة من جديد مع السهول الشمالية .

هذه العلاقة المقترحة بين العوامل المناخية ونظرة مصر التجارية وعلاقاتها الخارجية في العصور القديمة ، كانت عرضة للتغير بتدخل عوامل بشرية أخرى - كحفر قناة السويس مثلا - وبابتداء العهد الاسلامى انتهى عمليا تأثير هذه الذبذبات المناخية في تغيير توجيه العلاقات الخارجية ، وأصبح موقع مصر كمعبر رئيسى بين الشرق والغرب أكثر أهمية من علاقاتها التجارية الخاصة مع جيرانها . وأصبح هذا الموقع هو المسيطر على الجغرافية التاريخية لمصر في ذلك العهد .

قصة الأقزام :

هناك عدد من الآثار المصرية ذكرت فيه بلاد « بونت » ، ويبدو أن أقدمها « مخطوط ساحورع » الملك الثانى في

الأسرة الخامسة (٢٦٧٣ - ٢٦٦٠ ق . م) ، ويذكر أن الحملة البحرية عادت بأحمال من المر ، والمعادن النفيسة والأشجار الغالية . وسلكت الحملة طريق البحر الأحمر أمام « ثنية قنا » ومن هناك ذهبت الى « أرض الذهب والعطور » والأرجح عند كثير من العلماء أن هذه الأرض كانت في شرق افريقية ، حيث أن بلاد العرب لم تكن مشهورة بذهبها ، كما يرى « دكتور رويش » .

والى هذا العهد نفسه يمكن أن ترجع نقشا آخر على عمود في المتحف المصرى (رقم ٣٠٧٤) عثر عليه في « ابيدوس » ويذكر هذا النقش احضار قزم من بلاد « بونت » ، ويميل معظم المؤرخين الى ارجاع هذا الأثر الى « ساحورع » أى الى الأسرة الخامسة أيضا .

وكذلك أحضر بعض فراعنة الأسرة السادسة الأقزام ، واهتموا بها ، وكان لاحضار الأقزام هدفان ، أولهما : دينى ، والثانى : اجتماعى . أما الهدف الدينى فيتعلق بالعقيدة المصرية القديمة ، فالفراعنة كانوا يعتبرون انفسهم أبناء الاله « رع » ، وبهذا أصبحت ذواتهم وأمتعتهم - وبخاصة ملابسهم لها أيضا صفة القداسة . وكانوا يحرصون على أن لا يلى أمر هذه الملابس خادم من حجم عادى ، لئلا تسول له نفسه أن يستخدمها ، ولهذا فضلوا أن يقوم الأقزام بحفظ هذه الملابس ، والاشراف على صيانتها . ومن آثار مصر القديمة نعرف أنه

كان في الأسرة الخامسة قزم ذائع الصيت اسمه « سنب » كان يحمل لقب الحارس الأكبر لجميع الثياب

الملكية» وكان غنيا جدا . ويرى دكتور « رويش » أنه من المحتمل أن القزم « سنبل » أحضر من شرق افريقية . أو من وسط افريقية عن طريق الشرق ذلك لأن مواطن الأقزام الحالية محدودة جدا ، ولعلها كانت في الماضي ، أوسع انتشارا منها في الوقت الحاضر . وفي منطقة جبل « كلمنجارو » في شرق افريقية سيق الأقزام « البانتو » كما تروى هذا أقاصيصهم التقليدية . وما زالت بقية من الأقزام تحيا في تنجانيقا مجاورة للشاطئ الجنوبي لبحيرة « إياسى » ويعرفون باسم « كويننجو » . هذا هو الهدف الديني من احضار الأقزام ، أما الهدف الاجتماعى فكان الترفيه في البلاط الملكى ، وكانت الحملات البرية التى تبدأ من مصر متبعة المحور النيلى تستطيع أيضا احضار الأقزام ، كما تدل على هذا آثار الأسرة السادسة .

وصف بلاد بونت :

وكانت أوسع الحملات البحرية شهرة حملة بلاد « بونت » فى عهد « حتشبسوت » وقد سجلها المصريون على جدران معبد الدير البحرى . وأبحرت السفن المصرية محملة بمصنوعات مصر المتحضرة من حلى وأدوات وأسلحة . واتجهت على طول شاطئ البحر الأحمر الى رأس القرن الافريقى ، ثم تابعت الرحلة جنوبا . وهناك بجوار « جبل العطور العظيم » الذى يقع على شواطئ « البحر العظيم » - ولعله المحيط الهندى ، ألقت السفن المصرية مراسيها ، وتبعسا لوصف الحملة ، يشبه هذا الجبل هرما ضخما له درجات عملاقة . ويسكنه أقوام

غرباء فى أكواخ مبنية على أعواد . وكانت منازلهم تشبه القباب الصغيرة ، ويتخذونها من سعف النخيل . وتحف بأحد جانبيها أشجار النخيل والعطور . وعلى فروع الأشجار كانت تحيا طيور غريبة . وفي ظلال الأشجار ترعى قطعان كبيرة من الماشية .

ولقد دهش سكان « بونت » من جراءة البحارة المصريين : « كيف وصلتكم الى هنا ؟ الى هذا البلد الذى لا يعرفه الناس ؟ ، هل أتيتم من طرق السماء ، أو سافرتم بالبر ، أو بالبحر ؟ » ولم تخل رسوم « الدير البحرى » التى سجلت هذه الحملة من بعض المداعبات اللطيفة . فقد صورت زوج حاكم « بونت » مفرطة السمن ، وخلفها خمار صغير وديع ، ثم كتبت فوقه هذه الجملة المختصرة ، « الحمار الذى يحمل زوجته !! » . ولا يزال للسمن تقدير فى معايير الجمال الافريقية . أما ملامح الزوج والأبناء فكانت افريقية نموذجية .

ومن بلاد « بونت » حملت السفن الى مصر تبر الذهب والعاج ، وأكداسا من العطور والأخشاب الثمينة ، ومجموعات من القردة وحيوان الصيد والجلود وريش النعام .. وهذا كله مما يرجح أن هذه الرحلة كانت الى الشاطئ الافريقى .

ويذكر رينهاردت : « اننا نسمع عن بعض مبان حجرية متميزة غريبة ، فى « ماتا باليلاند » وهى روديسيا الحالية هذه المباني عثروا عليها هناك فى زمبيوية » وكانت محل نزاع بين العلماء .. فى فريق منهم أن حضارة زمبيوية يمكن تفسيرها فى ضوء بيئتها

المحلية دون افتراض جاليات أجنبية جاءت من وراء البحار ، وأن طريقة البناء لاتدعو الى الظن بأن بناتها قوم غير السكان الأصليين . من هؤلاء العلماء « ماك ايقر » و « پوش » و « شوفيلد » و « كيتون طومسون » فهم يرون أنه ليس ثمة آثار تدل على أنه قد أقامت في زمبويه جاليات من شعوب بحرية قديمة كالفينيقيين والمصريين والعرب الجنوبيين ، الا أن رينهاردت يعارض هذا الرأي ، ويميل الى ربط هذه الآثار بالفينيقيين القدماء ، ويذهب الى أبعد من هذا ، فيقول : « ان الأكثر احتمالا ، أن هذه المباني اقامها عمال مصريون للموظفين المصريين ، الذين كانوا يشرفون هناك على مناجم الذهب . ويعزز رأيه هذا بأنه في عام ١٩٠١ أمكن العثور في «ماكالانجار» وتقع غير بعيد من جنوب نهر الزمبزي على تمثال من الطين المحروق على صدره خاتم « تحتس الثالث » .

وآخر الآثار المصرية القديمة عن بلاد « بونت » جاءنا عن طريق « هيرودوت » ، ويذكر أن « نخاو » الذي حكم مصر فيما بين ٦٠٩-٥٩٣ ق . م . أرسل سفنا لتدور حول افريقية ، ومن المعروف أنه أول فرعون سك العملة . وكانت بيضية الشكل من الذهب تحمل خاتمه . وفي مدة قصيرة شاع استعمال هذه العملة . و أراد « نخاو » أن يعرف اتساع افريقية ، فأرسل هذه الحملة ، وسارت في البحر الأحمر ، وعادت بعد ثلاث سنوات عن طريق جبل طارق ، وتحدث ملاحوها عن قبائل غريبة تعيش على شواطئ افريقية ، وعن

عاداتهم ، وطرائق معيشتهم ، وعن حيوانهم وزراعاتهم ، وأنهم زاروا بلاد « بونت » ليحصلوا على الطعام والشراب . ومن المحتمل جدا أنهم انتهزوا هذه الفرصة لتبادل انتاجهم مع القبائل الكثيرة التي تسكن الشاطئ .

فالصلة بين مصر وشرق افريقية قديمة التاريخ ، وهناك روابط أخرى حضارية في أوغندة توضح لنا التأثير المصري على تقاليد الحكم واحفاله ، وهي ما زالت موجودة عند «النيورو» وكذلك ما زال « الماساي » في شرق افريقية يحتفظون ببعض العادات المصرية القديمة في الزينة .

وبالرغم من أن الاستعمار حاول تمزيق قارتنا الى قطع صغيرة سهل عليه ازديادها فان الصلابة الافريقية أثبتت أنها أقوى من انياب الاستعمار واسلحته ..

وفي أوغندة الآن ، كما في اقطار شرق افريقية ، وبقية القارة ثورة آخذة في الارتفاع والحرارة على كل هذه الأوضاع الفاسدة .. واذا كانت روابطنا القديمة مع شرق القارة .. مع أوغندة وتنجانيقا وكنيا وزنجبار قاصرة على تبادل التجارات ، وبعض المؤثرات الحضارية ، فان هذه الروابط الآن آخذة في القوة والنماء .. انها الآن تتبادل عطورا من نوع جديد لاتحرقها أمام الكهنة ، وانما هي عطور المجيد والحرية الجديدة .. عطور كهنتها محاربون ، و أناشيدها دعوة الى الحياة، تحملها أمواج الأثير بعد أن كانت تحملها أمواج المحيط .

أصول الشافى

الانجليزى فى افريقيا

للدكتور : جلال يحيى

الاهمية التجارية بالحصول على المواد الخام التى تأتى من داخل القارة بشكل عام ، ومن أوغندا بشكل خاص وبتصريف المصنوعات البريطانية فيها وازدادت هذه الأهمية الاقتصادية مع مرور الزمن بزيادة عدد التجار الهنود - وكانوا كلهم رعايا بريطانيين حينئذ - فى شرق افريقية ، وبتهيئتهم للحملات والقوافل التى تتوغل فى الداخل وتتجر مع أوغندا .

ولم تمنع سيطرة حكام أقوياء على الساحل الافريقى الشرقى الانجليز من محاولة التدخل فى شئون هذه المنطقة ، وفرض أنفسهم عليها ، ومنع غيرهم من الأجانب من غرس نفوذهم فيها ، تأميناً لخطوطهم الاستراتيجية من ناحية ، وبحثا وراء السيطرة على موارد الاقليم من ناحية أخرى ، فقد تدخل الانجليز ضد الفرنسيين ، ومنعهم من غرس نفوذهم ، وشجعوا فى الوقت نفسه تجار الهنود على الإقامة فى هذه المنطقة ، والاتجار مع الداخل خصوصاً وأن شرق أفريقيا لم يكن الا شريطاً ضيقاً على الساحل ، تطلوه صحارى تتخللها طرق القوافل ، ولكنها تؤدى فى النهاية الى هضبة البحيرات الدائمة الخضرة ، الفريزة

لم تنزل ألمانيا الى ميدان الاستعمار الا فى نهاية عام ١٨٨٤ ، أى فى تلك الفترة التى اشتهرت فيها أوروبا بالتكالب والتناحر على المستعمرات ، وبوضع بعض الخطوط العامة والرئيسية لتنظيم تقسيم الأراضى الافريقية على الدول الأوروبية دون أن يؤدى ذلك الى حروب بينها . وكان هذا هو سبب نزول ألمانيا الى الميدان كدولة استعمارية تؤيد سياستها بجيوشها وأساطيلها ان لزم الامر ، ولكن بعض الالمان كانوا قد مهدوا لذلك منذ بعض الوقت ، وشاركوا فى بعثات الاستكشاف والبعثات التبشيرية ، وتقدموا بدراسات لحكوماتهم حتى قبل الوحدة - وطالبوها بتنفيذها . وكان اهتمامهم بأوغندا هو امتدادا لاهتمامهم بزنزبار وشرق افريقية - تلك المنطقة التى كان لانجلترا فيها نفوذ واضح ، وسيؤدى ذلك بطبيعة الحال الى تنافس انجليزى ألمانى فى تلك المنطقة .

عرفت انجلترا أهمية شرق افريقية من النواحي الاستراتيجية والتجارية منذ اقامتها فى الهند - وارتبطت الاهمية الاستراتيجية بطبيعة الحال بسلامة الخطوط البحرية ، والحصول على القواعد اللازمة لها - كما ارتبطت

الأمطار ، والننى تمناز بشرواتها النباتية والحيوانية . فلم تكن محاولة الانجليز السيطرة على شرق أفريقية اذن الا محاولة للسيطرة على الموارد الاقتصادية والبشرية فى هذه الهضبة أى فى أوغندا .

ازداد النفوذ البريطانى فى شرق أفريقية بشكل واضح بعد انهزام فرنسا فخلا لها الجو . واعتمدت على قوة أساطيلها وتفوقها البحرى ، وأجبرت السيد سعيد على أن يحد من تجارة الرقيق . وكان هذا هو أول عمل تهدف منه انجلترا الى اضعاف الاقتصاد الافريقى فى الوقت الذى تلبس فيه ثياب القديسين الأوائل ، وتدعى العمل من أجل رفاهية الإنسانية ! .

كون الرقيق عنصرا هاما فى الاقتصاد الافريقى ، ولازما للزراعة ولخدمة القوافل وحراستها . واستخدم التجار والزراع العرب الرقيق فى أعمالهم . وكانوا من الناحية الاقتصادية عبارة عن جزء هام من رأس مالهم ، وكانوا من الناحية الحربية قوة لا يستهان بها ، خصوصا وأن هؤلاء العرب الذين توغلوا فى داخل القارة كانوا يستخدمون الأسلحة النارية ، ويستطيعون الوقوف أمام المستعمرين الأجانب . فعمدت انجلترا الى التدخل فى هذه المسألة ، اضعافا للعرب . وتمهيدا لفرض سيطرتها عليهم ، واستغلال بلادهم لمصلحتها . واختارت لذلك اسم « الإنسانية » و « تحرير الرقيق » واعتمدت فى برنامجها على قوة أساطيلها وتفوقها البحرى . اضطر حكام شرق أفريقية الى

الموافقة على تحديد تجارة الرقيق فى أول الامر أى أنهم نفذوا جزءا مما طلبته انجلترا منهم ، وكانوا لا يستطيعون الا أن يعملوا تدريجيا ، حتى لا يقضوا على الأسس ويحطموا الدعائم التى يقوم عليها اقتصاد بلادهم . وسيزداد ضعف هؤلاء الحكام مع مضي الوقت وتنتهز انجلترا فرصة الخلافات المحلية بل والعائلية لتوطيد نفوذها فى هذه المنطقة وتزيد من القيود التى تفرضها على تجارة الرقيق انتظارا للفرصة السانحة للاستيلاء على الاقليم ، واستغلال موارده بعد أن تحطم نظامه الاقتصادى ، وتفصل بين الحاكم والمحكوم ، وتتدخل لحماية الحكام من شعوبهم وتعرض عليهم أمر استغلال البلاد بدلا منهم وباسمهم وتعطيهم بقايا مائدتها . ولن يتمكنوا أمام القوة من الرفض أو المقاومة ، خصوصا وأنهم قد اضطروا للعمل مع المستعمر ، وبعدت الشقة بينهم وبين الشعوب التى يحكمونها .

واستندت انجلترا فى سياسة توسع نفوذها صوب الداخل على المستكشفين ورجال التبشير . ويعتبر ليفنجستون من أهم الشخصيات التى ظهرت فى هذا العصر والتى ساهمت بنصيب وافر فى تعريف انجلترا بهذه المناطق . ولقد تمكن من أن يعبر القارة الافريقية من الغرب الى الشرق فى عام ١٨٥٦ فى رحلة استغرقت منه ما يقرب من العامين ، وأثارت اهتمام الجغرافيين فى العالم أجمع بهذه المناطق . وانتهز فرصة مقابلة رأى العام له فى انجلترا مقابلة الأبطال لكى يطلب بذل جهوده لمساعدة

الشعوب المتأخرة فى وسط القارة . وشرح ليفنجستون أهمية العثور على طريق قصير يسمح لرجال التبشير وللتجار الاوروبيين بسهولة التوغل حتى يصلوا الى المناطق المرتفعة التى تصلح لسكنى الرجل الأبيض . ولم يخف عن أحد أنه سيرجع ، لكى يحاول فتح طريق المسيحية والتجارة الى وسط القارة . وكان حديثه عن التجارة الأوروبية يعنى القضاء على تجارة العرب التى اتفق مؤرخو الغرب على أنها لم تقم الا على تجارة الرقيق ، وعلى استخدامهم فى القوافل . ولم تبخل حكومة انجلترا عليه بالمال ، وصوت مجلس العموم على اعانة مالية تبلغ خمسة آلاف جنيه لتجهيز حملته الجديدة ، تلك الحملة التى واصل فيها الكتابة عن ضرورة اقامة احدى بعثات التبشير هنا وصلاحيه تلك المنطقة بعينها لاقامة الأوروبيين . وأخذ يطلب من وزارة الخارجية أن تتدخل رسميا ، وأن تعمل على اقامة « مستعمرات » فى هذه المناطق يشرف عليها الأوروبيون ويقوم الافريقيون فيها بالعمل . وكان معنى الغناء تجارة الرقيق هو أن يتمكن الاوروبيون من العثور على أجراء يوميين دون أن يشغلوا جزءا هاما من رأسمالهم فى شراء الأيدي العاملة أى الرقيق حسب النظام السائد حينئذ .

وفى الوقت نفسه قامت حملة استكشافية أخرى بالسير صوب أوغندا برياسة برتن وسبيك ، ولكن برتن اضطر الى البقاء فى طابوره ، تلك المدينة التجارية العربية الهامة نظرا لمرضه بالمalaria ، وسافر سبيك شمالا

صوب بحيرة فيكتوريا بمفرده . وبعد عودة هذا الأخير الى انجلترا كلفته الجمعية الجغرافية البريطانية باستكشاف بحيرة فكتوريا ومعرفة ما اذا كان النيل ينبع منها حقا . فعاد مرة جديدة عن طريق طابوره فى حملة جهزتها كل من حكومة بريطانيا والسلطات البريطانية فى الهند ، وصحبه فيها هذه المرة الضابط جرانت ولقد تمكن سبيك من الطواف حول البحيرة ومن رؤية ملكها متيسا فى سنة ١٨٦٢ . ثم زار مساقط رييون واتجه شمالا صوب البحر الأبيض المتوسط . مارا بالسودان . وكلفت انجلترا بتريك بمقابلته عند غندوكرو كما أن السير صامويل بيكر أتى من مصر وسار جنوبا لاستكمال استكشاف المنطقة . وتقابلوا جميعا فى جنوب السودان .

وهكذا ارتبطت حركة استكشاف أوغندا ومنابع النيل برجال التبشير مثل ارتباطها برجال الاستكشافات الجغرافية - وقام بها عدد من الانجليز من طريقين : الأول - من سواحل شرق أفريقية غربا صوب هضبة البحيرات . والثانى - مع النيل جنوبا فى السودان - وسيكون لهذه الخطوط دلالتها الكبيرة ، بل انها ستعطى نتائج فائقة الأهمية فى وضع أسس السياسة البريطانية الاستعمارية فى أوغندا - ملتقى السهمن ، وهدف المتوغلين صوب الداخل .

ولم يكن البريطانيون وحدهم فى ميدان التبشير والاستكشاف ، بل كان هناك غيرهم وخصوصا من الألمان ، ادعوا المجيء للأسباب نفسها وخدموا

بالنسبة لبلادهم الأغراض الاستعمارية التي سعى الانجليز اليها . شارك الألمان من جانبهم في نشاط عمليات الاستكشافات ، وحركات التبشير في هذه المنطقة ، ونجد أن كراب وربمان يؤسسان مراكز للتبشير بالقرب من ممبسة ، ثم يقومان برحلات الى داخل القارة بحثا عن المراكز التي تصلح لاقامة الرجل الأبيض . وقام روشر بالسفر الى الداخل مارا بطابوره ، ولكنه قتل وجاء بعده فون دير ديكن الذي تمكن من الصعود على جبل كليمانجارو . وعمل ألماني آخر هو برنر على الاتفاق مع حاكم ويتو على وضعه تحت الحماية الألمانية في عام ١٨٧٠ ، بالرغم من أن هذه المسألة بقيت سرا حتى سنة ١٨٨٥ .

ظهرت المعالم العامة لخريطة شرق افريقية وأوغنده نتيجة لنشاط هؤلاء المستكشفين وأولئك المبشرين . وكانت مذكراتهم ومراسلاتهم في غاية الأهمية بالنسبة لتعريف بلادهم بقيمة هذه الاقاليم . وقد حاولوا ادخال الحضارة والتجارة في افريقية في الوقت نفسه وكان هدفهم المؤكد هو السيطرة على البلاد بما فيها من موارد ، وتكييف تفكير الأهالي ونظرياتهم العامة ومثلهم ولم يكف ليفنيجستون عن التحدث عن الامكانيات الاقتصادية للمناطق التي يمر فيها ، فتحدث عن زراعة القطن هنا وهناك ، ووجود الذهب أو النحاس في تلك المنطقة ، أو بالقرب من تلك القرية . واهتم سبيك أيضا بالناحية الاقتصادية ، خصوصا وأن سلطات الهند كانت ترغب في زيادة

تجارتها مع كل هذه المنطقة . ورأى غيره أن هذه البلاد ستصبح سوقا للمصنوعات البريطانية وهكذا . وتحدث آخرون في صراحة عن ضرورة اقامة « مستعمرات » رغم أنهم من رجال الدين - أو يدعون أنهم من رجال العلم . وأصرروا على حرية التجارة ، وضرورة القضاء على تجارة العرب حتى يتمكنوا من التوغل في الاقاليم . ونادوا بالقضاء على تجارة الرقيق تمهيدا للوصول الى أغراضهم وتشابه في ذلك كل من الانجليز والالمان . ولكن الحكومة البريطانية كانت تشجع حركات التوسع الخارجي في ذلك الوقت ، بينما أصررت الحكومة الألمانية بعد الحرب السبعينية مع فرنسا على ضرورة بناء مركزها في أوروبا ، دون التفكير في تضييع الجهود فيما وراء البحار .

وعملت انجلترا على التمهيد لسيطرتها على السواحل الافريقية المؤدية الى أوغنده ، وذلك عن طريق هدم الاقتصاد الافريقي ، ولبست مسوح الرهبان وادعت أنها جاءت للقضاء على تجارة الرقيق . وحاولت تطبيق ذلك على البحار ، ثم تطبيقه على الساحل . وأعطت قواد سفنها سلطات واسعة لتفتيش سفن الأهالي في عرض البحر . واقتيادها الى أقرب محكمة بحرية سواء في عدن أو في مدينة الرأس في جنوب افريقية ، وذلك لمحاكمة ملاحيتها ومصادرة ما عليها من رقيق ، فتقوم المحكمة باعلان حريتهم ، وتسلمهم للعمل كعمال أجراء عند أصحاب المزارع أو في محطات التبشير . وكثيرا ما استسهل قواد

السفن الحربية البريطانية أمر محاكمة السفن الأفريقية في أعالي البحار ، والحكم بإدانتها ، وتنفيذ الحكم فيها توا ، أى تقوم مدفعية الأسطول باغراقها بدلا من تفتيشها وتعريض أرواح البحارة الأوروبيين لخطر طعنات خناجر العرب . ولم يؤد هذا العمل الا للقضاء على البحرية العربية الأفريقية ، وحرمان الأفريقيين من سلاح قد يساعدهم في وقف نزول المستعمرين الى الساحل ، أو في الحصول من الخارج على الأسلحة النارية والذخائر اللازمة لمقاومة المعتدين ، ونجحت انجلترا في ذلك نجاحا كبيرا .

ولقد قامت دولة افريقية في ذلك الوقت بمحاولات جريئة لتوحيد جزء من البلاد الأفريقية داخل نطاق واحد وتكوين كتلة اقليمية يمكنها أن تقف في وجه الدخلاء الأجانب . وكانت هذه الدولة هي مصر التي عملت على توحيد السودان وسواحل البحر الأحمر وهرر وسواحل المحيط الهندي ومنابع النيل في أوغندا معها في كتلة واحدة يتمتع الأهالي فيها بنفس الحقوق ، ويخضعون لنفس الالتزامات ويشارك بعضهم بعضا في المصير . عملت مصر على ضم أوغندا أو الاتحاد معها ، ورأت في الوقت نفسه ضرورة السيطرة على سواحل المحيط الهندي ، حتى تضمن مخرجا طبيعيا سهلا لهذه المنطقة يسهل عليها أمر الاتصال بها عن طريق البحر الأحمر في الوقت الذي ترتبط فيه معها بنهر النيل ، ولكن مصر أخطأت في اسناد هذه المهمة الى ضباط من الأجانب وثقت فيهم ، ولم

تر أنهم يخدمون مصالح بلادهم الاستعمارية قبل أى شيء آخر . أسندت مصر مهمة السير جنوبا مع النيل الى السير صامويل بيكر ، ثم الى غردون وعهدت الى هذا الأخير بفتح طريق يصل بين هضبة البحيرات وأوغندا وبين ساحل المحيط الهندي . وكان على انجليزى آخر هو ماكيلوب أن يسهل له المهمة من جانب البحر . ولكن غردون لم يتحرك من أوغندا - وتدخلت انجلترا رسميا لاجبار مصر على الانسحاب من سواحل المحيط الهندي ، بدعوى أنها تتبع سلطان زنبار .

واضطرت الحكومة الخديوية الى الرضوخ والى الانسحاب . وأخذ الانجليز يستعدون لانتهاز الفرصة والبدء في استغلال الاقليم الممتد من المحيط الهندي الى أوغندا باسم سلطان زنبار ولصالح الامبراطورية البريطانية - وأسرعوا بتقديم مشروعاتهم ، ولكنها لم تؤد الى نتيجة ايجابية سريعة .

ثم زاد تكالب الدول الاستعمارية على أفريقية وخشيت انجلترا تدخل البلجيكيين أو الفرنسيين ، ولم تفكر جديا في امكان وقوع منافسة عنيفة بينها وبين ألمانيا في هذه المناطق ، خصوصا وأن الحكومة الألمانية كانت تظهر وكأنها لا ترغب في الحصول على مستعمرات .

وازداد النفوذ البريطانى في أفريقية بعد احتلالها لمصر سنة ١٨٨٢ ، ومحاولتها التدخل في شئون السودان واحتلاله عسكريا ، فأجبرت مصر على إخلائه ، على أثر الثورة المهدية ،

وأرسلت حملة ولسلى التى ادعت أنها ذاهبة لانقاذ غردون المحاصر فى الخرطوم . ولكن نوار السودان تمكنوا من الاستيلاء على عاصمة بلادهم ، وقتل الحاكم الأجنبى ، واضطرت انجلترا الى سحب قواتها من شمال السودان فى وقت اكفهر فيه جو السياسة الدولية ، وهددت فيه روسيا بالهجوم على الأفغان وشمال الهند . وفى هذا الوقت بالذات نزلت ألمانيا الى الميدان وكلها تحد لانجلترا . نزلت للحصول على مستعمرات مثلها مثل بقية الدول الأوروبية ، واعتمدت فى ذلك على قوتها الحربية والاقتصادية وعلى اقتناعها باضطرار انجلترا للتسليم أمامها - وسيكون ميدان التنافس بين الدولتين ممتدا من السواحل الأفريقية الواقعة على المحيط الهندى حتى هضبة البحيرات الاستوائية - حتى أوغندا .

عينت ألمانيا « جيرارد رولفس » قنصلا لها على سواحل شرق أفريقية وبدأ قلق انجلترا فى الظهور خصوصا وأنه كان معروفا برغبته فى الحصول على مستعمرات لبلادها ، وأنه وصل الى مقر عمله على سفينة حربية طافت به حول رأس الرجاء الصالح . وأرادت انجلترا أن تلفت نظر ألمانيا الى أن سلاطين شرق أفريقية كانوا يخضعون للنفوذ البريطانى ، وأن لانجلترا مركزا خاصا فى بلادهم نظرا لعملهم على الغاء تجارة الرقيق ، ونظرا لوجود عدد كبير من الرعايا الهنود فى هذه المناطق ولكن ألمانيا دفعت بأن هذا النفوذ لا يتعارض مع استقلال هؤلاء السلاطين كما لا يمنع ألمانيا من عقد معاهدات

تجارية معهم تشبه تلك المعاهدات التى عقدوها مع الدول الأجنبية الأخرى . وكان مؤتمر الكنفو قد اعترف فى ذلك الوقت باستقلال زنجبار ، ورغب فى الحصول على تعهدات بحرية التجارة مع الداخل ، مع أوغندا والكنغو . عبر بلاده . فاضطرت انجلترا الى التراجع ، وذكرت ألمانيا أن مهمة قنصلها الأولى فى مياها شرق أفريقية هى محاولة اغراء السلطان على الانضمام الى اتفاقية برلين ، واعلان حرية تجارة الترانسيت فى بلاده . وحاولت ألمانيا الحصول على تأييد انجلترا لها فى هذه المهمة - ولم يسع انجلترا الا الموافقة ، وهى لا تعلم أن الالمان قد رسموا خطة محكمة سيفوت تنفيذها على انجلترا ما كانت تحلم به من السيطرة على كل هضبة البحيرات الاستوائية ومنابع النيل ومخارجها على المحيط الهندى وهى أملاك سلطان زنجبار .

وفى ذلك الوقت كان أحد المستكشفين الألمان وهو كارل بيترز يعمل بكل نشاط فى الاقليم الذى يفصل بين هضبة البحيرات والساحل وكان يعمل من أجل « جمعية الاستعمار الألمانى » التى أسسها ونجح فى الحصول على بصمات الأهالى والمشايخ على اثنتى عشرة « معاهدة » تعطى لجمعية السيادة على منطقة واسعة وتمنحها كل أراضيهم وما عليها من منشآت ، لاستخدامها فى صالح الاستعمار الألمانى . وحرص هذا المستكشف بطبيعة الحال على أن يذكر أن هؤلاء المشايخ هم « سلاطين » و « ملوك » مستقلون . وعاد كارل

بيترز بسرعة الى ألمانيا في وقت أخذ فيه بسمارك يتهم انجلترا بالعمل على عرقلة نشاطه « المشروع » في عرب أفريقية . وكان بسمارك يعرف أن انجلترا لن تقوى على معارضته في ذلك الجو الدولي المكفهر بعد سقوط الخرطوم . فما ان وقعت الدول المجتمعة على نصوص اتفاقية مؤتمر برلين حتى حصل بسمارك على توقيع الامبراطور الألماني على مرسوم بوضع جميع الأراضي التي تناولتها « معاهدة » بيترز تحت الحماية الألمانية وكلف هذا المرسوم شركة الاستعمار الألمانية بإدارتها واستغلالها . ولم يكن هذا المرسوم يتعارض أقل معارضة مع اتفاقية مؤتمر برلين إذ أنه أعلن أن هذه الأراضي تقع الى غرب ممتلكات سلطان زنبار ، دون تحديد لها . ورأت انجلترا أن هذه المحمية الجديدة ستفصل بين الساحل وبين هضبة البحيرات وأوغندا في الداخل ، وتقضى بذلك على مشروعها للسيطرة على هذه المنطقة عن طريق سواحل أفريقية الشرقية . حقيقة أنه لم يكن لهذه المحمية أية مخارج بحرية ، ولكن انجلترا بدأت تفهم معنى محاولة ألمانيا ضم سلطان زنبار الى الدول الموقعة على اتفاقية برلين ، والحصول منه على تعهد بالموافقة على حرية تجارة الترانسيت عبر بلاده .

زاد قلق انجلترا ، وظهر خوفها من النشاط الألماني ، وحاولت استغلال سلطان زنبار في عملية وقف التوسع الألماني - فنجد أن هذا السلطان يحتج على ألمانيا ، ويرسل إحدى الحملات العسكرية بقيادة هاتيو ، القائد العام

البريطاني لقواته ، لتوكيد سيادته على منطقة كليمانجارو ولعقد المعاهدات مع رؤساء الأهالي ، وتوزيع الاعلام عليهم . وخشيت انجلترا كذلك من نشاط الألمان في الجزء الشمالي من الساحل عند ويتو التي كانت تخضع للسلطان سيمبا الذي كان لا يحترم سلطان زنبار كثيرا ، ولا يرضى برضوخه لأوامر الانجليز . وكانت مدينة هامة من الناحية الاستراتيجية ، وتشرف على طريق يوصل أيضا الى هضبة البحيرات وأوغندا .

رأت ألمانيا بوضوح الدور الذي كان القنصل العام البريطاني يقوم به فاحتجت عليه ، واضطرت انجلترا الى اصدار أمرها الى قنصلها بالبقاء من « وراء الستار » وبعدم اشتراكه أو اشراك قناصله رسميا في الحملات التي حاول بها السلطان بسط نفوذه داخل القارة . وقام هذا القنصل بشرح الحالة جيدا لحكومة بلاده ، وأقنعها بضرورة تأييد السلطان الذي لن يتمكن من الصمود أمام الخطة الألمانية ، كما أفهمها أن نتيجة ذلك ستكون القضاء على النفوذ البريطاني في شرق أفريقية والقضاء على مشروعات البريطانيين وأحلامهم في الداخل . ولكن انجلترا لم تكن قادرة في ذلك الوقت على الصمود أمام ألمانيا ، فأصرت على ضرورة تطبيق تعليماتها السالفة وضرورة بقاء القنصل العام من « وراء الستار » حتى لا تثير مشكلات وتعقيدات أمام حكومة بلاده .

وبالرغم من هذه الأوامر فإن القنصل البريطاني تدخل لدى السلطان سيمبا وكتب له شارحا ضرورة البقاء خاضعا

لسلطان زنبار ، ومحدرا آيآه من
الاجانب الذين يحضرون لديه ، ومهددا
له فى حالة عدم تطبيق هذه النصيحة
كما أنه انتهز فرصة مجيء سلطان
أوبيا الى زنبار ، وحاول اغراءه على
اعلان خضوعه للسلطان برغش . ولكن
الألمان كانوا أسرع من الانجليز فى
العمل ، وتوصلوا مع سيمبا الى تحويل
معاهدة الصداقة المعقودة بينهما الى
معاهدة حماية ، ولم يعرف القنصل
العام البريطانى بهذه المسألة الا بعد
أن قام امبراطور ألمانيا بالتصديق على
هذه المعاهدة . ووجد نفسه أمام الأمر
الواقع ، فى الوقت الذى طالبت به بلاده
فيه بعدم الاصطدام ، وبعدم خلق
مشكلات وبالبقاء من « وراء الستار »
وفى ذلك الوقت سقط القناع الذى
كانت السياسة البريطانية تختفى
وراءه ، وطلب القنصل العام البريطانى
من بلاده انتهاز أول فرصة سانحة
للحصول على « محمية » بريطانية فى
شرق افريقية ، مع ميناء أو مخرج
بحرى . ولكن انجلترا لم تكن تستطيع
تنفيذ ذلك خصوصا وان « سيمبا »
كان قد اطلع الألمان على الخطاب الذى
أرسله القنصل البريطانى اليه ،
وأصبح من حق ألمانيا أن تتهم انجلترا
بالقيام بأعمال تتنافى مع العلاقات
الودية بين البلدين . فاضطرت انجلترا
الى التراجع أمام ألمانيا التى واصلت
نشر الاتفاقيات التى بصمها بعض
الأهالى ، وقبلوا بها وضع الحماية
الألمانية على بلادهم .
أرسلت ألمانيا قطع أسطولها الى مياه
شرق افريقية ، وأعلنت أنها ستجبر
سلطان زنبار على التحدث معها بلهجة

تليق بها ، وذلك بالرغم من علمها
بالنفوذ البريطانى المتغلغل فى هذه
المناطق ، ومعرفتها أن السلطان كان
يتحدث فى ذلك الوقت بما يمليه عليه
الانجليز ، ولم تستطع انجلترا مقاومة
ذلك ، وانهارت الخطة والسياسة التى
سارت عليها منذ سنوات .

ولكن ألمانيا لم تكن تسعى الى اذلال
بريطانيا ، خصوصا وان امكانية
التقرب من فرنسا كانت بسيطة ،
ولا تقوم على دعائم ثابتة . فانتهاز
بسمارك الاقتراح البريطانى الخاص
باجراء مباحثات ومفاوضات عامة بين
البلدين ، تشتمل على كل المسائل
المعلقة بينهما بما فى ذلك مسألة
« ممتلكات سلطان زنبار » أى مسألة
شرق افريقية ، والوصول الى هضبة
البحيرات وأوغندا ووافق عليه . كما
أن انجلترا عرضت على ألمانيا مشروعاً
أعده بعض رجال الأعمال البريطانيين
كان يرمى فيه الى استغلال مناطق
معينة فى شرق افريقية ، ويحاول
التوغل صوب الداخل الى جبل كينيا
ومنه الى بحيرة فكتوريا ، لمحاولة
الوصول الى الخرطوم عن طريق
الجنوب ان أمكن ذلك . وكان هذا
الخط فى جزئه الاول شبه مواز لخط
التوغل الألمانى ، ويشتمل على مشروع
اقامة سكة حديدية تسهل الاتصال مع
الداخل . عرضت انجلترا هذا المشروع
على ألمانيا ، وشرحت مزاياه ، وذكرت
انها لن تشجعه ما لم تتأكد من أنه
لا يتعارض مع المصالح الألمانية فى هذه
المنطقة . فقدرت ألمانيا لانجلترا موقفها
وأن ذلك سيساعد على موافقة ألمانيا
على المفاوضة مع هذه الدولة ، بالرغم

من أن المستكشفين الألمان كانوا يواصلون نشاطهم على الطرق المؤدية الى أوغندا .

أبلغ قائد الأسطول الألماني السلطان برغش أنه يرغب في التفاوض معه لعقد معاهدة . ولكن كان على السلطان أن يسحب أولا احتجاجه على الحميات الألمانية في داخل القارة ، ثم يسحب حمياته التي أرسلها الى هذه المناطق ، وكانت ألمانيا ترغب في الحصول على ما تطلبه في أقرب وقت ممكن . فاصطفت قطع البحرية الألمانية أمام الميناء ، وصوبت مدافعها الى الساحل وفي هذا الوقت استلم القنصل العام البريطاني من حكومته برقية توجهه فيها الى أن يوحى للسلطان بقبول طلبات ألمانيا مع الاحتجاج عليها ، وذلك بعد أن قبلت الحكومتان الأوربيتان التحقيق في حدود الأراضي التابعة للسلطان الأفريقي ، وامتدادها صوب الغرب تمهيدا لأقسام الباقي فيما بينهما ، واضطر القنصل العام البريطاني الى القيام بالمهمة المكلف بها وظهر أمام السلطان رياء الوعود الأجنبية التي أفهمته لمدة سنوات طويلة أنه صديقها ، وأنها ستحميه ضد كل معتد ، بل ستحميه من كل تآثر من شعبه ، وظهرت له نتائج أخطائه من الاعتماد على الأجانب ، وفهم أنهم لم يؤيدوه الا لحاجة في نفوسهم ، ورأى أنهم يضحون بمصالحهم ومصالح وقوع أي تعارض بين مصالحهم ومصالح من لا يقدر على مقاومتهم . واضطر السلطان الى الاعتذار كما اضطر الى المفاوضات ، وسيضطر الى الاعتراف بالحميات الألمانية في الداخل . وكان

خدلانه خذلانا للسياسة البريطانية . تقدم الأميرال الألماني باقتراحاته للمفاوضة ، وأيده القنصل العام البريطاني في موقفه . بل انه رأى أن الشروط الألمانية شروط معقولة . ذلك أن ألمانيا كانت قد اقترحت أن يحافظ السلطان على أن تظل نسب الضرائب التي يجبيها على الساحل كما هي . واقترحت أن تتركه في الأرباح التي تأتي من داخل القارة ، ونصت على أن جميع التجارة التي ترد الى سواحل افريقية الشرقية تدفع ضريبة قدرها ٥٪ ، ولكنها قيدت السلطان في فرض الضرائب على مواد الاحتكار ، واقترحت دفع مبلغ سنوي نظير اعفاء هذه المواد من الضرائب ، وأخيرا فانها طلبت اعفاء تجارة داخل القارة أي تجارة الترانسيت من كل الرسوم . لكن القنصل العام البريطاني نفسه اقترح على الألمان اتخاذ ميناء دار السلام طريقا للوصول الى محمياتهم في الداخل ، ولكنه طلب أن تعترف ألمانيا بأنها جزء لا يتجزأ من أملاك السلطان . وكانت انجلترا تخشى من الناحية الاستراتيجية من أن تقوم ألمانيا بإنشاء قواعد بحرية وبحرية لها في هذا الميناء ، وفي ويتوني الشمال مما يؤثر بلا أدنى شك على تفوق عدن ، بل على خطوط المواصلات الإمبراطورية البريطانية ، وعلى سيادتها في مياه المحيط الهندي ، ويمكنه أن يضرب الإمبراطورية البريطانية ضربة قاضية . اذا تأزم الأمر مع ألمانيا في يوم من الأيام . ولذلك فان انجلترا قد اقترحت على ألمانيا ألا تقوم بتحسين ميناء

دار السلام أو تسليحها أو استخدامها قاعدة حربية أو بحرية ، وكانت ألمانيا أبعد نظرا من انجلترا ، فوافقت على هذه الفكرة ، وادعت أنها لن تقوم الا بإنشاء مخازن تجارية ومخازن للفحم والتموين في هذا الميناء ، أى أنها وافقت على الاستيلاء على القاعدة على ألا تسليحها فورا .

وأخيرا رأى السلطان أن الأمور تدار بين الدولتين الاوروبيتين دون حاجة اليه الا للتوقيع على المعاهدات بعد الاتفاق على نصوصها فيما بينها . لذلك فانه لم يعارض فى عقد معاهدة تجارية جديدة مع ألمانيا بمجرد أن اقترح عليه القنصل العام البريطانى ذلك - وتطلبت هذه المعاهدة ، بطبيعة الحال ، تغيير كل المعاهدات القائمة مع الدول الأخرى ، وخصوصا مع انجلترا ، ولم يبد السلطان فى ذلك أية ممانعة .

ولم يكن من السهل تنفيذ المعاهدات التجارية التى عقدتها كل من ألمانيا وانجلترا مع السلطان دون تحديد ممتلكاته فى شرق أفريقية ، خصوصا وأن هذه المعاهدات قد نصت على دفع الرسوم فى موانئ السلطان ولكنها نصت أيضا على تجارة الترانسيت بين ممتلكات السلطان والمناطق الواقعة الى غربها ، مما استلزم تحديد هذه الممتلكات وتلك المناطق .

وتكونت لجنة دولية انجليزية ألمانية فرنسية للقيام بهذه المهمة . وكان ممثل انجلترا فيها هو **الكولونيل** كتشنر الذى عمل فى المخابرات البريطانية فى شمال السودان حتى

ذلك الوقت ، والذى سيصبح السردار الانجليزى للجيش المصرى فيما بعد أما ممثل ألمانيا فكان هو **شميت** القنصل الألمانى فى القاهرة . وأما ممثل فرنسا فكان هو قنصلها فى بيروت ، ثم انتدب بعده **رافراى** من رجال القنصلية الفرنسية العامة بالقاهرة . وظهر من هذا الاختيار نفسه ارتباط المصالح الأوروبية فى سواحل شرق أفريقية ، وفى الداخل عند أوغندا بمسألة وادى النيل والمسألة المصرية ، ارتباطا من النواحي الاستراتيجية والاقتصادية ، بل سياسة التوسع الأوروبى فى ذلك الجزء الهام من افريقية .

أظهرت الحكومات الثلاث تفاؤلها من هذه اللجنة ، وأملها فى الوصول الى قرارات اجماعية سريعة ، ولكنها تناست فى ذلك أن كلا من حكومتى لندن وبرلين قد حددت موقفها من المسألة ، بشكل لا يسهل عليها أمر التراجع ، أو اتخاذ قرارات فى حرية تامة . ذلك أن الحكومة البريطانية كانت قد أعلنت أن ممتلكات **زنجبار** تمتد من المستعمرات البرتغالية فى الجنوب حتى **بوت دونفور** فى الشمال أما الحكومة الألمانية فانها كانت قد أعلنت أن سلطة **زنجبار** الثابتة لا تتجاوز **جزر زنجبار** والجزر المحيطة بها ، وأنه ليس للسلطان أية سلطة على السواحل ، وأنه لا يمكن التحدث عن أى حقوق له فى داخل القارة . وعلى أية حال فلقد كان على هذه اللجنة أن تبحث الأماكن التى تخضع لسلطان **زنجبار** ومدى امتداد سلطته نحو الداخل .

بدأت اللجنة أعمالها بأن اتفقت على خضوع جزر زنجبار والجزر التي تقع على مسافة تقل عن ١٢ ميلا عنيا لسلطان زنجبار . ولكن المصاعب أخذت في الظهور بعد ذلك . وبدأت هذه المصاعب عند بحث علاقة السلطان باللجنة . خصوصا وأن كلا من ألمانيا وفرنسا كانتا ترغبان في عدم اشتراكه على قدم المساواة في أعمالها . واختار السلطان ماتيوي ، القائد الانجليزي لقواته ، لتمثيله في هذه اللجنة ولكن المندوبين الألماني والفرنسي رفضا الاعتراف له بحق المناقشة . وأبلغاه أنه قد استدعى لمجرد الادلاء بالبيانات المطلوبة فثارت ثائرة كتشنر . واضطر السلطان الى سحب ممثله الانجليزي من اللجنة ، وظهر خوفه من نياتها ، واستفسر منها عن الهدف من انعقادها ثم أبلغها ضرورة قصر أعمالها على تحديد مناطق الحماية الألمانية ، **لا مناطق سيادته هو . ولكنه لم يكن** بقادر على المقاومة طويلا إذ أنه كان على الأعضاء أن ينفذوا ما جاءوا من أجله ، وكانت كل من انجلترا وفرنسا مضطرة الى عدم الاصطدام مع ألمانيا . ثم ظهرت مشكلة جديدة أمام اللجنة وهي معرفة ما اذا كان الجزء الساحلي الواقع بين ميناءين متتاليين من موانئ السلطان تابعا لهذا السلطان أيضا . وأيد الانجليز بطبيعة الحال نظرية تبعيته لزنجبار . وغضبت ألمانيا من هذا الموقف وشكت كتشنر الى حكومة لندن ، واضطرت الحكومة البريطانية الى التراجع برشاقة ، معلنة أنها لا ترغب في التدخل في قرارات أعضاء اللجنة الذين لهم صفة القضاة ، ولكن

الحكومات ليست مجبرة أبدا على التقييد بوجهة نظر مندوبيها . مما يعتبر اعترافا ووعدا بعدم تمسك حكومة لندن بكل ما سيقدره كتشنر . وقامت اللجنة بزيارة السواحل الافريقية ، ولم تكن ألمانيا قد انتهت من عقد المعاهدات مع الأهالي في داخل القارة ومن جمع بصماتهم على اتفاقيات الحماية . وأعلن بسمارك ذلك . وكانت ألمانيا قد عقدت معاهدات مع سلطان أوبيسا في الشمال لتسهيل استغلال شركة الاستعمار الألمانية لأراضيها ، ورأت انجلترا أن هذه المعاهدات الأخيرة تهدد مع المعاهدات التي عقدت الى الجنوب من ذلك الاقليم بقطع كل صلة بين سواحل زنجبار وهضبة البحيرات وأوغندا مما يحرم الأمبراطورية من مجهودها ونشاطها ومن أحلامها باستغلال أعالي النيل . فاضطرت الى الادعاء بزيادة تجارة الرقيق ، وأيدت سلطان زنجبار في ارسال حملات عسكرية للداخل للقضاء على هذه التجارة غير المشروعة . ورأت ألمانيا أن تنقل الجنرال ماتيوي على رأس جنود السلطان لا يهدف الا الى دعم النفوذ الانجليزي ، فاحتجت عليه ، وأعلنت أنه مناوره بريطانية مكشوفة لتغيير الوضع القائم واضطرت انجلترا بطبيعة الحال الى التراجع . وكانت ألمانيا تستطيع الحصول على ما تريده دون موافقة انجلترا ، ولكنها كانت تفضل العمل معها حتى تحصل على اعتراف رسمي بنفوذها هناك ، وكان هذا هو السبب الرئيسي في موافقة ألمانيا على استمرار العمل في هذه اللجنة . وكانت انجلترا

تخشى من جانبها أن تنفض ألمانيا يدها من هذه اللجنة مما يعطيها كل حرية للعمل . ويحرم انجلترا من مناقشتها أو الاعتراض عليها إلا إذا أرادت أن تدخل مع القوات المسلحة الألمانية في حرب علنية .

ولم يكن من السهل على أعضاء اللجنة الوصول إلى قرارات اجماعية عن حدود ممتلكات زنربار ، نظرا لتشبث كل من المندوب الانجليزى والمندوب الألماني بأرائه . وغيرت فرنسا مندوبها ، ووصل المندوب الجديد ((ليمير)) لكى يؤيد وجهة نظر كتشنر دون أن يقوم بزيارة السواحل . واضطر بسمارك إلى التدخل وأعلن أنه ليست هناك أى ضرورة لكتابة قرارات اطلاقا ان لم تكن هذه القرارات اجماعية . وأن عليهم كتابة ما اتفقوا عليه ، وأن يتركوا ما اختلفوا عليه لكى يسوى بالمفاوضات بين الدول المختصة فى أوروبا . وخشيت انجلترا من جديد أن يعمد بسمارك إلى الحصول على حرية العمل فى كل هذه المناطق إذا لم تصل اللجنة إلى تقرير ما يريده ، وعمدت ألمانيا إلى محاولة شراء مستعمرات فرنسا وأفهمتها أنها لن تعارض فى وضع جزر الكومور تحت سيادتها . وخشيت انجلترا من العزلة ومن الهزيمة الصريحة ، فاتفقت مع حكومة باريس على التراجع ، وعلى ارسال أوامرها إلى مندوبيهما ، وهى تنص على ضرورة العثور على قرارات اجماعية . ولم يكن هذا بالأمر الصعب إذ أن اللجنة اجتمعت وكتبت قرارات المندوب الألماني وكأنها قراراتها بالاجماع .

ولم يكن هذا التحديد إلا تمهيدا للتقسيم ، وأخذ عدد من رجال الأعمال وأصحاب رؤوس الاموال البريطانيين ينادون بضرورة البدء فى التوغل صوب هضبة البحيرات وأوغندا ، واستغلال هذه المناطق ، ووافقوا على أن يكون عمل ألمانيا فى هذه الجهات موازيا لعملهم أى أنهم ضغطوا على حكومة بلادهم للاتفاق مع ألمانيا ، واقتسام الاسلاب بدلا من قيام صدام لن تخرج انجلترا منه الا خاسرة . خصوصا وأن الحاميات المصرية الموجودة فى مديرية خط الاستواء كانت ترفض تنفيذ الأوامر البريطانية والعودة إلى الساحل ، وكانت تحت قيادة أمين باشا الألماني الاصل ، وفكر الانجليز فى ضرورة الاستيلاء على ميناء مهمبة حتى يوازنوا استيلاء ألمانيا على دار السلام . وكتب كتشنر نفسه شارحا الأهمية الاستراتيجية لهذا الميناء ، وارتباط ذلك بالقواعد الاستراتيجية البريطانية على قناة السويس وعند عدن وزيلع وبربرة . كانت انجلترا اذن مستعدة للاتفاق مع ألمانيا ، خصوصا وأن موقف فرنسا لم يكن وديا بالنسبة لها فى المسألة المصرية ، ووافقت على المفاوضة مع ألمانيا بمجرد أن اقترحت ألمانيا ارسال أحد خبراءها إلى لندن لتولى المسألة . واتفقت كل من حكومتى لندن وبرلين على حدود ممتلكات سلطان زنربار ، كما أقرتها ألمانيا ، وتعهدت انجلترا بتأييد ألمانيا فى مفاوضاتها المقبلة مع السلطان للحصول على امتيازات منه فى ميناء دار السلام ، وبالتوسط بين الشركة الألمانية

والسلطان لانهاء الخلاف القائم بينهما بسبب **كليمانجارو** . وقسمت السولتان الاقليم بأكمله الى منطقتي نفوذ لكل منهما ، وتعهدت كل منهما بعدم التدخل في منطقة الأخرى .

حصلت ألمانيا على الجزء الجنوبي من الساحل ، وعلى مخرج لمنطقة ويتو وأصبحت منطقة النفوذ الانجليزى محاطة بألمانيا من الجنوب ومن الشمال فى الوقت نفسه . وأصبح الباب مفتوحا أمام ألمانيا صوب هضبة البحيرات وأوغندا . وكان هذا نصرا حاسما لبسمارك ، وكان قد كسب ذلك منذ اليوم الذى استولى فيه ثوار السودان على الخرطوم وهزوا مركز انجلترا فى كل امبراطوريتها . ولكن بسمارك أعطى لانجلترا فرصتها للتقهقر دون اذلالها . فحصل على اعتراف انجلترا بالحماية الألمانية على جزء هام من شرق افريقية . ولم يخسر كثيرا من اعترافه بمنطقة النفوذ الانجليزى فى الشمال أو النفوذ الفرنسى على جزر الكومور . وكان يسعى فى حقيقة الأمر الى الوصول الى بحيرة فيكتوريا والى أوغندا .

أما انجلترا فانها حصلت على الجزء الشمالى ، الممتد صوب الداخل بين جبلى كينيا وكليمانجارو وتتلوه بلاد أوغندا الخصبة على السواحل

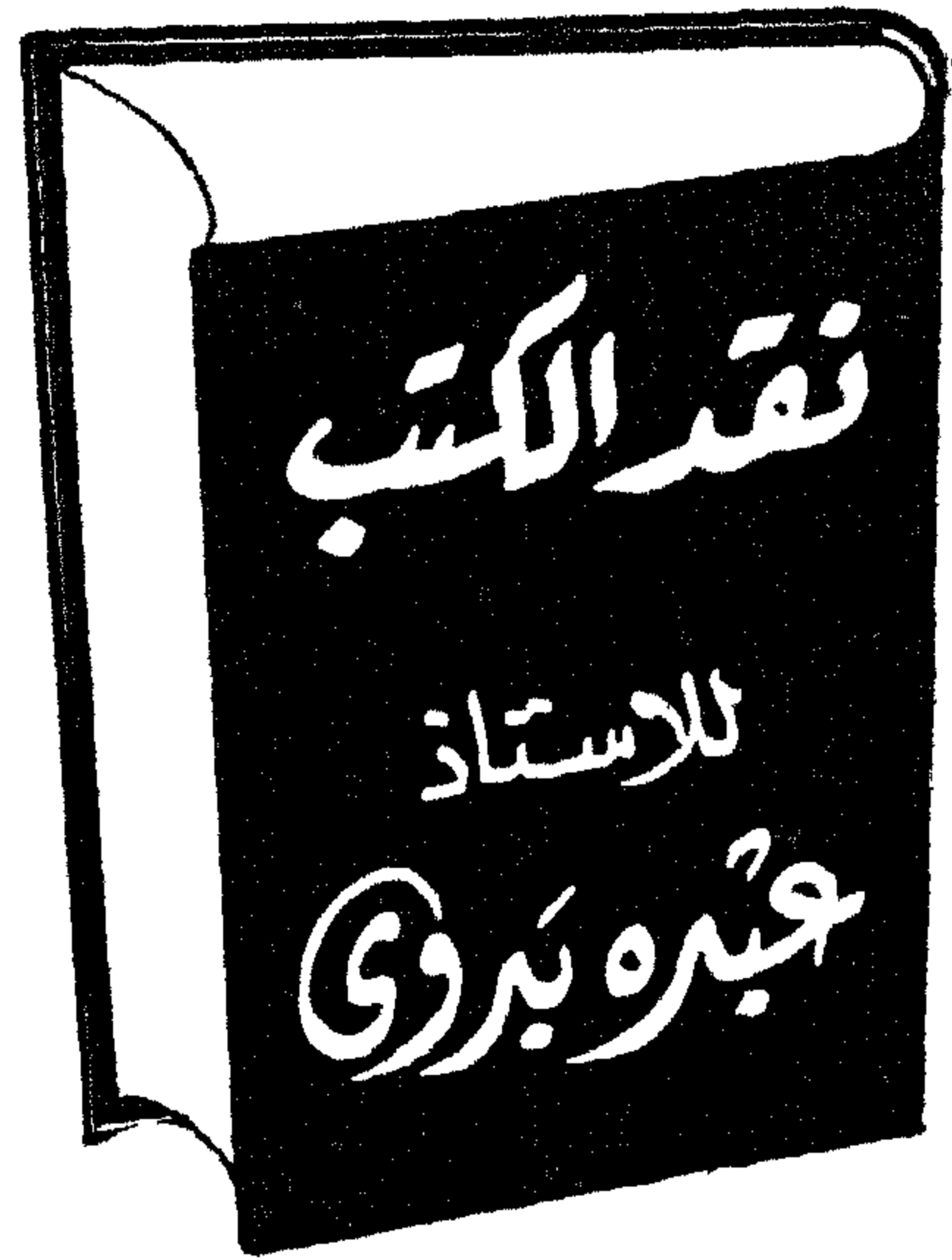
الشمالية لبحيرة فيكتوريا ، والتي تتصل بدورها بمناطق أعالي النيل . حقيقة أن أمين باشا كان يحكم هذا الاقليم ، ولكن انجلترا ستنظر اليه نظرها الى « موظف مصرى » يجب عليه أن يخضع لأوامر حكومة القاهرة ، المحتله فى ذلك الوقت ، والتي تحتم عليه الانسحاب والعودة لمصر تاركا بذلك المجال خاليا أمام البريطانيين . وهكذا سيبدأ دور جديد من التنافس الانجليزى الألمانى فى أوغندا يتعلق بالجنود المصريين وبقائدهم الألمانى فى مديرية خط الاستواء المصرية ، ويتصل بالمسلمين ، وبعثات التبشير البروتستانتية والكاثوليكية فى هذه البلاد . وسنسمع فى هذا الطور الجديد عن « حملة استانلى » لانقاذ أمين باشا ، كما سنسمع عن مشروع انشاء سكة حديد بريطانية تصل ممبسة وأوغندا . ولن يقف الألمان مكتوفى الأيدي أمام الانجليز فى هذا الطور الجديد من أطوار التنافس على أوغندا - وإن كان الأمر سينتهى بسيطرة انجلترا على الجزء الشمالى من بحيرة فيكتوريا وهو أوغندا ، وسترضى ألمانيا بالسيطرة على الجزء الجنوبى منها المواجه لهذه المحمية البريطانية الجديدة .

والسيطرة على موارد تموينهم في هذه المنطقة . وفي الوقت نفسه يحاولون زيادة التدخل في شئون مصر ، والعمل على تقلص نفوذها نهائيا في هذا القطاع . أما نهاية الفترة فقد كان في عام ١٨٨٨ حين تم اتفاق الانجليز مع فرنسا .

وقد كنت أود أن يقوم المؤلف بتقدمة صغيرة عن هذه البلاد بحيث يعطى للقارئ فرصة تحصيلها في ذهنه . وبخاصة أنه يقدم شيئا جديدا للقارئ العربي الذي أجبرته ظروفه السابقة على أن لا يتعرف على هذه البلاد ولكن المؤلف يجذب القارئ جذبا لا الى الصومال كوحدة ، وإنما لقطاع كان تحت الحماية المصرية ، وفي فترة زمنية قليلة جدا . ولا أعرف لماذا أسرع المؤلف بتقديم هذا الكتاب على هذه الصورة مع أنى أعرف أنه يعد الآن كتابا يقدم فيه الصومال تاريخيا في كل مراحلها السابقة ؟

ومهما يكن من شيء فقد أوقفنا الكتاب على أن دور فرنسا في هذه المنطقة لا يبدأ بعام ١٨٨٤ حين احتلت ساحل الصومال ، وإنما سبق بعدة مراحل . أهمها تلك الحملات التي كانت تختفي وراء الاستكشافات العلمية ، والتي أعطت لبلادهم صورة عن الحياة في هذه المنطقة ، وأنه يجب ألا تسبق الدول الأخرى فرنسا الى هذه « البلاد المفتوحة » .

وقد بدأت هذه الحملات مصبوغة بالطابع الفردى عام ١٨٣٥ . ثم أخذت طابعا رسميا مرسوما عام ١٨٤٦ ، وأن من أهم هؤلاء المستكشفين العالم



لم تلق افريقية عند الكتاب العرب من العناية ما تلقاه الآن . فقد قامت باسمها مجلة ، وتوفر عدد من الكتاب على دراسة القارة في جوانبها كافة . ومن هؤلاء الكتاب اللامعين الذين يوفدون المكتبة الأفريقية بين الحين والحين الدكتور جلال يحيى . وآخر كتاب صدر له كان كتاب « التنافس الدولي في بلاد الصومال » .

وهو يقصد بالصومال تلك البلاد التي تمتد من « زنجبار » جنوبا حتى « باب المندب » ، وهى القطاع الذى خضع فى فترة من الزمن للإدارة المصرية ، وكون معها وحدة سياسية فى القرن التاسع عشر .

أما الفترة الزمنية التى تعرض لها الكتاب فهى أواخر عام ١٨٨٣ حين فكر الانجليز جديا فى اجلاء المصريين عن هذه المنطقة بعد القضاء على حملة « هيكس باشا » فى كردفان مستهدفين فى هذا تأمين نفوذهم فى « عدن »

الفرنسي « روشيه ديريكور » الذي بدأ رحلته عام ١٩٣٩ ، وزار « تاجورة » ، و « شوا » وحظى بصداقة الملك « سهلا سيلاسي » ، وكيف أنه عاد ثانية عام ١٨٤٢ حيث تمكن من الحصول على توقيع « سهلا سيلاسي » على اتفاقية تعطي فرنسا الكثير من المزايا السياسية ، والتجارية في هذه المنطقة . وكيف أنه أدخل « الدين » للوصول الى معتقداته فذكر أن أهالي هذه البلاد ، وبخاصة الطبقة العليا من المجتمع يرتبطون مع فرنسا بعلاقات وثيقة تقوم على « (الدين) » ، وأن امتداد العرب في شمال القارة قد منع هذه الصلة بين الأحباش والأوروبيين . وأنه يمكن بالحبشة السيطرة على مصر فنداء واحد من أحد الأحباش يكفي لتعبئة الحبشة كلها ، وزحفها على مصر « مجددة بذلك غزوات الهكسوس !! » . كما يمكنها بمساعدات فرنسا اخضاع شعوب « (الجالا) » التي تقيم جنوب وغرب الحبشة . والتي كانت تحاربها سنويا لاختضاعها ، واستغلال مواردها . ثم أخيرا إجبارها على اعتناق المسيحية .

فرنسا كانت ترمي - الى جانب احتفاظها بقاعدة بحرية على البحر الأحمر - الى فتح أبواب للتجارة ، والى اقامة محطة للتموين ، ومخزن للفحم لتزويد بواخرها المترددة بين أوروبا ، والشرق الأقصى . وقد ساعدها على ذلك أن قطاعا كبيرا من كاثوليكى بلاد « (تجرة) » بالحبشة كان يسعى للتحالف مع فرنسا ، وأن بعض الرؤساء في الحبشة ، والصومال كان يسعى لتأكيد هذه الصلة . تحت ضغط

كراهية الانجليز . وقيام بعض العناصر المناوئة لهم .

حتى لقد اضطر « النجاشي » أن يبيع بلاده في مقابل احتفاظه بالعرش ، وأن يوقع مع فرنسا تلك المعاهدة الجائرة التي تضمنت ما يأتي : -

١ - تنازل الملك الافريقى الى الامبراطور الفرنسى عن كل ذلك الجزء من بلاده ، الواقع بين حافة جبل « (جوادم) » مارا بسهل « (زولا) » ومحيطا بخليج « (عادولى) » حتى جزر « (أوده وديسك) » اللتين تدخلان في تلك المنطقة .

٢ - يطلب حماية فرنسا على مملكته التي تمتد على شاطئ البحر الأحمر حتى زيلع .

٣ - تعهد الملك الافريقى بأن ينفذ خلفاؤه ورعاياه هذه المعاهدة .

٤ - تعهد بأن يعطى أى صك امتياز آخر لأية دولة أوروبية دون الحصول على موافقة امبراطور فرنسا .

٥ - الاعتراف به كملك شرعى لبلاد الحبشة .

وقد كان من أهم الدوافع التي دفعت النجاشي الى توقيع هذه المعاهدة نمو قوى « (تيودور) » الذى كان يطالب بالعرش . والذى كانت من ورائه انجلترا تسانده ، وهكذا كانت انجلترا وفرنسا وراء كل الأحداث في هذه المنطقة التي تم النصر فيها أخيرا « (لتيودور) » ، مما ترتب عليه « (تجميد) » المعاهدة السابقة التي كانت ما تزال سرية خوفا من مجاهرة انجلترا بالعداء ولفت نظر « الباب العالى » بواسطة انجلترا الى ممتلكاته في هذه المنطقة . على أن النجاح الوحيد الذى كان

لفرنسا في هذه المنطقة هو تثبيت أقدامها على خليج «أوبوك» وأراضيها بالقرب من عدن ! فقد اشترت هذه المنطقة بما يعادل ٥٠٠.٥٠٠ فرنك من الزعماء المحليين وعلى رأسهم « ودنى أحمد أبو بكر » ، وأقامت احتفالا ضخما لعملية التسليم هذه ، ورفع العلم الفرنسي .

وقد غضبت الانجليز لامتداد النفوذ الفرنسي الى هذه المنطقة ، وبخاصة ممثلهم في « عدن » الذي صرح بأن الفرنسيين قد وضعوا أيديهم على أراض تابعة للدولة العثمانية ، وحينما ردد هذه الكلمات « أحمد باشا » الحاكم التركي على « حديدة » أفهمه « شيفر » الفرنسي أن الانجليز قاموا بمثل عملهم حينما استولوا على جزر « موسى » و « ايفات » فما كان من الحاكم التركي الا أن أظهر دهشته لهذه الأخبار .

وقد فكرت فرنسا في جعل « أبوك » ميناء تستغنى به السفن عن عدن . كما فكرت في اعطائه لمصر مقابل ملكية المبنى الذي تشغله قنصليتها في القاهرة ، ولكن ظهر لها أخيرا أن منطقتها قاحلة ، وإن ميناءها ليست له قيمة ، وأنه لا مستقبل لها ، ولكنها كانت راضية بعض الرضا لأنها كانت ترقب انجلترا بعينها ، وتشهد تحركاتها في هذه المنطقة .

ولكن بمرور الزمن ظهرت لفرنسا أهمية «أوبوك» حينما رأت «ايطاليا» تتدخل في هذه المنطقة ، وتثبت أقدامها على خليج « المصب » ، وحينما رأت نمو النفوذ الانجليزي في « عدن » ، ومحاولات مصر الدائبة لتأكيد حقوقها

على سواحل البحر الأحمر ، وتغلغل نشاط الشركات في الحبشة . ومن هنا نراها تتقرب الى الملك « منليك » وترسل اليه هدية مكونة من سيف ، وثلاث قطع من النسيج ، ونظارة مقربة مما يستعمل في البحرية . كما نراها تسمح لرعاياها باستغلال هذه المنطقة .

ولكنها تصطدم بمصر التي كانت قد أدركت خطر وجود انجلترا ، وفرنسا ، وايطاليا في هذه المنطقة ، ومن هنا نراها تقوم بعملية تثبيت ساريات يرفرف عليها العلم المصري على طول الساحل الأفريقي . كما أنها أرسلت زورقا «مصوع» الى «أوبوك» وهناك أقام أحد الضباط ساريتين يرفرف عليهما العلم المصري .

وقد ثارت فرنسا لهذا الحادث ، وقدم قنصلها في القاهرة ملاحظاته للخديوى الذى ذكر بأنه يجهل كل شيء عن هذه المسألة ، وأن مصر لم تعترف باستيلاء فرنسا على «أوبوك» ولكن مصر لم تر التشدد في هذه المنطقة خوفا من تضامن فرنسا ، وايطاليا ضد مصالحها فيها ، ولأن تأييد انجلترا كان نظريا لا يمكن الاطمئنان اليه . زيادة على أن ظروفها الداخلية كانت معقدة ، والبلاد على أبواب الثورة العرابية !

ثم تعرض المؤلف في الباب الثانى لتدخل بريطانيا . فذكر أن فكرة اخلاء السواحل الأفريقية من المصريين قد تبلورت في ذهن السياسة الانجليزية قرب نهاية عام ١٨٨٣ . حينما قضت المهديّة على حملة « الجنرال هكس » في كردفان .

ذلك لأن إنجلترا لم ترد وقف نفوذها عند « عدن » بل أرادت أن تصل إلى « بربرة » لتضمن سيطرتها على موارد التموين ، ولأنها كانت تسعى جاهدة عن طريق قنصلها في مصر إلى وضعها في حدود ضيقة مرسومة ، والاستيلاء على أكبر قدر من امبراطوريتها المتغلغلة في افريقية . ومن هنا فقد نادت باخلاء « الصومال » ، وكان أول من نادى بها « الميجر ف هنتر » الذي كان يشغل وظيفة المقيم السياسى المساعد في « عدن » ، وقد حول رأيه إلى لندن « السير ايفلينج بارنج » . فقد كان هذا الرأى يخدم فكرة « اخلاء السودان » وقد كنت أحب أن يقف هنا المؤلف وقفة ليعطى للقارىء فكرة واضحة عن حقيقة الصراع في هذا الجزء من افريقية ، وكيف أنه كان خطة مرسومة لايخراج مصر من مناطق نفوذها ، وليربط بين عمليتى الاخلاء في الصومال ، والسودان . ويشير إلى عملية التسلل الانجليزى بين الجيش ، وكيف أرسلت مصر أحد الضباط الانجليز إلى « هرر » لدراسة الحال هناك ، وتوفير بعض الحاميات فاذا به يعود ليطلب بارجاع هذا الاقليم إلى حكامه السابقين - تماما كما تكررت الحادثة في السودان - حتى لقد وافقت إنجلترا بسرعة على الخطة دون مناقشة لها . كنت أحب الحديث عن هذا ولكن المؤلف يجذب القارىء بسرعة دون أن يعطيه فرصة للتأمل . كأنما التاريخ هو مجرد القباء سريع للمعلومات .

.. وفي الوقت الذى دعت فيه تركيا

لمباشرة سلطاتها على موانئ الساحل المصرى فى البحر الأحمر وأن تحتلها بجنودها . نراها تجعل من هذه الفكرة ستارا كثيفا . ثم تأخذ فى تنفيذ خطتها بسحب القوات المصرية من كل نقاط الارتكاز على امتداد ساحل الصومال من « باب المندب » حتى « رأس حاقون » بما فى ذلك موانئ « تاجورة » و « زيلع » و « بربر » . ضاربة بالاتفاقية الانجليزية - المصرية المعقودة عام ١٨٧٧ عرض الحائط . ومن هنا لا أرانى أميل إلى رأى المؤلف الذى يقول ان قصد إنجلترا من عودة تركيا إلى هذه المنطقة هو استغلالها ضد الثوار السودانيين أو محاولة تطويقهم من قواعد تحتلها إنجلترا بالفعل .

فالثوار ما كانوا يمتنعون على إنجلترا لو أرادت القضاء عليهم . والدارس لسياسة إنجلترا فى السودان يعرف أن إنجلترا كانت راغبة فى بقاء الحال فيه على ما هى عليه . بل لقد عملت على بقاء الحال هناك حتى تستطيع أن تنفذ خطتها بواسطة مصر ، وأن تبرر فى الوقت نفسه موقفها أمام الرأى العام العالمى . وبخاصة فرنسا التى كانت تعارض سياستها فى أول الأمر .

فدعوتها لتركيا - مهما كان الغرض منها - تعتبر جانبا من خطتها السياسية التى ترمى دائما إلى كسب الرأى العام إلى صفها ، ولو أرادت تركيا التنفيذ - وحالتها كانت لا تسمح - لوضعت إنجلترا أمامها الصعوبات التى تجبرها على الانسحاب . وبخاصة أننا نعرف أنها أمرت باخلاء السودان دون الرجوع إلى تركيا ، وأنها لم تكن تثير حقوق السيادة التركية الا لتوقف الفرنسيين عن تقدمهم .

ومن ثم نرى انجلترا في ١٨/٦/١٨٨٤ ترسل الى « الميجر هنتر » أنه يجب عليه « أن يسهل عمل الترتيبات الخاصة بانسحاب الادارة المصرية من ساحل الصومال وأن يعمل على مواجهة كل امكانية للاخلال بالنظام المحلى أو الاحتلال الأجنبى . وذلك بتنفيذ الاتفاقات مع مشايخ القبائل المحلية » .

وقد بدأ « هنتر » الاتصال بالزعماء المحليين ، وبدأت وحدات من الأسطول البريطانى تتحرك في هذه المنطقة . كما أخذت قاعدة « عدن » في اعداد الرجال والمهمات ، وأمكنه الحصول على موافقة الرؤساء بالمحافظة عليهم نظرا لقرب انسحاب الحاميات المصرية ، وعلى ألا يتنازلوا . أو يبيعوا . أو يتركوا دولة أخرى تحتل جزءا من أراضيهم . رغم معارضة الأهالى ، والتجار وحتى الأجانب في جلاء القوات المصرية ، وعناد الجنود المصريين ، ومقاومتهم للأوامر التى صدرت اليهم ، ولكن الخامية في آخر الأمر أجبرت على ترك « بربرة » . ثم أجبرت على ترك « هرر » بعد أن رضخ « نوبار » لأوامر الانجليز . رغم مصالح مصر الكثيرة في هذه البلاد ، ورغم تعلق السكان بهم حتى لقد قام تجنار هرر من المسلمين والأجانب بالكتابة الى الحكومة في مصر بأن البلاد ستقع في الفوضى بمجرد خروج السلطات المصرية منها ، واذا كان قرار الحكومة الخديوية نهائيا فانهم سيضطرون الى الهجرة مع القوات المسحبة تاركين أموالهم للسلب والنهب » ولا يمكن للحكومة أن تقبل

ذلك مع شعورها الفائق بالعدالة » ، ولكن كل هذا زيادة على صرخات الحاكم المصرى هناك لم يثن من عزم الحكومة الخديوية . فقد صممت تماما على اخلاء البلاد .

ولقد كانت ترتيبات الحكومة الخديوية تتلخص فيما يأتى :

أولا : أبلغ نوبار باشا رئيس مجلس الوزراء أبو بكر باشا حاكم زيلع بخطاب سرى أن قرار اخلاء هرر من القوات المصرية هو قرار قديم ولكن الحكومة كانت قد احتفظت به سرا حتى لا يتسبب نشره في سريان الفوضى بين القبائل التى تسكن هذه المنطقة . وفي نفس الوقت كلفت حكومة القاهرة الميجر هنتر بالاشراف على انسحاب هذه القوات ، واتخاذ كل الاجراءات اللازمة لتأكيد وضمان هدوء البلاد في المستقبل وبعد سفر الجنود . وكانت تعليمات نوبار الى أبو بكر باشا تكشف عما يدور في فكره ، من أنه يتوقع عدم اطاعة الأوامر التى يصدرها فطلب من أبو بكر باشا أن يستخدم سلطته ونفوذه المحليين في تلك المنطقة ، وأن يساعد الميجر هنتر في المهمة التى عهدت له بها حكومة الملكة . أما فيما يخص انسحاب القوات من هرر فكان على أبو بكر أن يحتفظ به سرا لأنه كان « على هنتر نفسه أن يقرر الوقت المحدد لهذا الانسحاب والطريقة التى سيتم بها » .

ثانيا : وضع نوبار باشا اللواء على باشا حاكم عام هرر تحت أوامر الميجر هنتر ، وأبلغه أن الخديوى قد كلف هذا الميجر بالاشراف على كل ما يتعلق بزيلع وهرر ، وكان على هنتر أن

يذهب الى زيلع للاشراف على عملية المحافظة على النظام والأمن بين رجال القبائل ، ولذلك فانه سيتصل باللواء على باشا وسيكون على هذا اللواء طبقا لأوامر الخديوى أن ينفذ جميع التعليمات التى سيصدرها الميجر **ثالثا :** تؤيد القوات البريطانية سلطة الميجر هنتر ، وفى نفس اليوم الذى صدرت فيه التعليمات السابقة أبحرت الحملة البريطانية من عدن الى زيلع . **رابعا :** كلف رضوان باشا الحاكم العام السابق لهرر بتنفيذ عملية اخلاء هرر .

خامسا : صرحت الحكومة الانجليزية للميجر هنتر بوقف صرف مرتب كل موظف مصرى لا يحترم الأوامر . أو يعمل على خلق المصاعب أمامه ، وأعطت نفس هذه السلطة للميجر هيث قائد الحملة البريطانية التى نزلت فى زيلع .

وهكذا تمت هذه الجريمة فى عنف وقسوة .

وقد أسرع فرنسا أمام هذه الضربات الانجليزية المذهلة الى عقد معاهدة مع سلطان « تاجورة » فى ١٨٨٤/٩/٢١ وضع بمقتضاها بلاده تحت تصرف الفرنسيين وبهذا أضاف الى مستعمرة « أوبوك » أهمية سياسية وتجارية ، وبوضع الفرنسيين « تاجورة » تحت الحماية أصبحوا يسيطرون على طريق هام للتجارة الداخلية فى البلاد .

وبالرغم من أن الفرنسيين كانوا على استعداد لترك تاجورة للانجليز . الا أن الانجليز لم يظهروا استعدادهم لضمها اليهم . فقد أرادوا أن يستفيدوا

من توسع الفرنسيين حول « أوبوك » ، وتوسع الايطاليين حول « عصب » حتى لا يكونوا وحدهم أمام الراى العام المعتدين على حقوق السلطان .

وفى خلال هذه الفترة دخل منافس رابع فى المنطقة هو «ألمانيا» . فبعد أن احتلت فرنسا «تاجورة» أثار القنصل العام فى القاهرة مع « نوبار باشا » موضوع حقوق السيادة العثمانية على سواحل البحر الأحمر وخليج عدن . وقد أثار هذا الاستفسار قلق الدول الأوروبية على مصير هذه المنطقة .

فقد دخلت « ألمانيا » السباق الاستعماري فى غرب افريقية وشرقها فجأة . فقد كسبت الى صفها سلطان زنجبار ، وهددت الخطط الانجليزية التى تقضى بالمحافظة على سواحل المحيط الهندى كمنطقة لنفوذها ، وكنقطة وثوب لداخل القارة ، وأعلى النيل .

وقد اضطرت انجلترا لهذا التدخل الألمانى ، واضطرت الى ابقاء « أبى بكر باشا الصومالى » حاكما على «زيلع» خوفا من استيلاء ألمانيا عليها . وبخاصة انه يعتبر قاعدة هجوم مركزة على قواعدها فى « عدن » ، لهذا ولغيره نراها تسرع فتزود رجالها بالأعلام وبالتعليمات الخاصة بعقد المعاهدات مع المشايخ على طول امتداد الساحل ، وداخل الصومال . وسرعان ما استجابت لهذا التغير قبائل « حبر تلجعة » و « العيسى صومال » ، و « حبر جر هاجيس » .

وفى الوقت نفسه نرى فرنسا تسرع فتحل «قبة الخراب» والساحل الممتد بينها وبين « امبابو » ، وتوقع

في ١٨٨٥/١/٥ معاهدة مع بعض « الشيوخ » تفتح بمقتضاها المنطقة الكائنة بين سلطنة « العوصا » وبلاد « الصومال » بحيث يمكنهم الوصول الى أبواب « شوا » دون طلب التصريح من أحد . فالطريق أمامهم مفتوح !

كما تمد « ايطاليا » نفوذها فتحمل في ١٨٨٥/٢/٥ « مصوع » .

وبالرغم من أن علاقة ايطاليا بفرنسا كانت في أول أمرها حسنة الا أنها سرعان ما تعقدت حين تضاربت مصالحهما حين جلاء القوات المصرية عن الصومال فبدأت ايطاليا تهتم بالفرنسيين في « تاجورة » ، وتدعى اغتصابهم لمنطقة « خور انجار » فالعقد الذي وقع مع المشايخ لم تدخل فيه هذه المنطقة ، وأن المشايخ في هذه المنطقة طالبوا بالاطلاع على العقد القديم مع فرنسا ، وانهم يطلبون الحماية من ايطاليا ضد هذا التعسف الفرنسي . وطالبت بحل هذه المشكلة على يد قائد « أوبوك » الفرنسي ، وقائد عصب الايطالي .

وقد استجابت فرنسا لهذه الفكرة ولم تسفر المحادثات عن رأى يرضى الطرفين ، وان كانت ايطاليا قد نجحت في اثارة بعض المشايخ على فرنسا . مما اضطرها الى تقوية مستعمرتها في « أوبوك » . ولكن المشايخ مالبثوا أن هداؤا لأنهم لم يكونوا « يعلمون معنى بيع أراضيهم في القانون الدولي . أو بيع بعض الحقوق خصوصا وأن هذه الاتفاقيات كانت ترضى غرورهم الشخصى ، وتلقبهم بألقاب السلطنة وتمنحهم السيادة . وكان من الطبيعى أن يسير هؤلاء المشايخ مع من يدفع أكثر من الآخر » .

هذا ولا تعتقد أن المؤلف يقصد المعنى الحقيقى لكلمة « السيادة » في قوله « ان الأجانب كانوا يمنحونهم السيادة لأنهم كانوا مشلولى الحركة ، وموضوعين تحت الرقابة الأجنبية دائما ، ولا يحق لواحد منهم أن يتصرف تصرفا لا يرضون هم عنه » . وفي الكتاب الكثير من هذه العبارات التى لا تعطى معانيها الحقيقية . وكل مانطلبه من المؤلفين وبخاصة « أساتذة التاريخ » أن يترثوا في تأليفهم وأن يستعيدوا ما يكتبونه قبل الدفع به الى المطبعة .

ومهما يكن من شىء فقد أساء هؤلاء الرؤساء الى أنفسهم ، والى بلادهم فقد كانوا يطلبون الحماية لأنفسهم . وبهذه الوسيلة تم استيلاء الفرنسيين أخيرا على « امبادو » وعلى « زيلع » .

ولكن نرى أخيرا أن حكومتى لندن وباريس تتفقان في أكتوبر عام ١٨٨٥ على المحافظة على الوضع الراهن في مناطق نفوذهما المطلة على خليج عدن وقد أقرت هذه المعاهدة فى صالح الطرفين على حساب المواطنين فى هذه البلاد . وفى فبراير عام ١٨٨٨ أنهت الاتفاقية بينهما صفحة من الصراع الذى دار بحدة فى شرق افريقية عامة ، والصومال بخاصة . بينما استمرت حالة التوتر بين ايطاليا وفرنسا لعدم قيام حدود مرسومة تفصل مناطق نفوذ كل من الفريقين ، ولوجود روح التنافس بين الدولتين .

والذى يلفت النظر الى الكتاب أنه يحتوى على وجهات النظر الفرنسية ، والانجليزية ، والايطالية بأمانة . أما وجهة النظر المصرية ، والتركية فلا تكاد توجد فيه ، ولعل نظرة واحدة

على « المصادر » تلقى الضوء على هذا . ويمكن تطبيق هذا على الدور الذي لعبه السكان في هذه المنطقة . وخاصة أن المؤلف يركز دائما على المستعمرين والمشايع . أما الناس أنفسهم فلا يوجد شيء يدل عليهم ، ومن المؤكد أن الناس كانت لهم وجهة نظرهم ، وأن بعضهم قاوم نفوذ « المشايخ » وأنهم تمسكوا بالحكم المصرى بعيدا عن رؤسائهم . ولعله قد آن الأوان لأن تتغير وجهة نظر « التاريخ » في اصدار الأحكام من وجهة نظر الحكام فقط .

وأخيرا فالكتاب يضيف جديدا الى المكتبة الافريقية . اما اطلاق الأسماء من وجهة النظر الغربية كزنجبار بدلا من الكلمة التى استعملها العرب وهى زنجبار ، وأما الأخطاء التعبيرية ، والمطبعة المتكررة فيقولون انها لاتنقص من قيمة الكتاب .

* * *

للشاعر الأفريقى « أرماتو »

اهتفوا بهذا فى الغابات
من التلال الى الأحرار
دعوا العالم يردد هتافكم
ان الهنا أسود
شعره مجعد وعيناه بنيتان
وشكله جميل مهيب
خلقنا على صورته ومثاله
ان الهنا أسود
أسود من ظلام الليل الدامس
ومن الفسق المعتم والفجر غير الشمس
أعلنوها على العالم أجمع
ان الهنا أسود !
أنظروا ان الهنا حى برنزي اللون
قوى البنان مهيب الطلعة
ساعده أقوى من بنى البشر
وطوله يعلو على هامة الناس
هل تقف يا الهى ضدنا أنت أيضا ؟
انظر الينا فان الناس تسخر منا
وحثالة القسوم تاعننا
فى الأرض التى أعطينا اياها
أيها الآله القوى العادل
خبرنا سبحانه هل أنت معنا أم علينا ؟ !
أصدمتوا أيها العبيد
ان الهنا أسود !

الصفات الجسمانية :

قصر القامة التي تبلغ حوالى ٦٠ بوصة ، والأيدى والأقدام صغيرة ، وبشرتهم صفراء تميل الى السمرة ، وجلد أجسادهم مجعد وشعر الرأس قصير يتكور فى عقد صغير فيترك أجزاء جرداء بين هذه العقد ، والرأس متوسط هابط القمة والوجه مسطح ، والجبهة بارزة والأنف أفطس والعينان ضيقتان والأذن بدون « صرصور » وكلما اتجهنا شمالا يزداد طول القامة ويفمق لون الجلد ويكبر الرأس والوجه نتيجة لاختلاطهم « بالبانسو » .

خسارة علمية :

ومما يدعو الى الأسف أن عادات هذا الجنس الاجتماعية لم تدرس ولم تبحث بحثا وافيا منذ حوالى ثلاثة أجيال وذلك قبل الصراع بين هذا الشعب وبين الجنس الأبيض الذى تحالف مع البانتو لمحاربة البوشمن لتقليل عدده وهدم حضارته .

أقسام البوشمن :

ينقسم البوشمن الى ثلاثة أقسام رئيسية : -

١ - البوشمن الشماليون .

٢ - البوشمن الجنوبيون .

٣ - سكان الوسط .

وينقسم كل قسم الى عدد من القبائل المتفرقة وكل قبيلة تتكلم لغتها الخاصة وتحمل اسما خاصا . وعلى الرغم من هذا فانهم جميعا يشتركون فى الاحتفالات .

النظام الاجتماعى :

والبوشمن نظام اجتماعى بدائى خاص . فالمجتمع عندهم هو الجماعة التى يتراوح عددها بين ٥٠ ، ١٠٠



بقلم محمود سليمان

تتنوع الأجناس فى جنوب افريقية لأن بعض جهاتها تعتبر من مناطق العزلة التى تلجأ اليها السلالات المستضعفة ولذلك نجد فى جنوب افريقية أقدم العناصر الجنسية التى وفدت الى هذه القارة مثل «البوشمن» و « الهوتنتوت » .

ومن المعروف أن البوشمن وصلوا الى أوطانهم الحالية نازحين من الشمال ، وقد كان أسلافهم أوسع انتشارا اذ كانوا يحتلون الجزء الأكبر من شرق افريقية ووسطها ، والدليل على ذلك واضح مما اكتشفه العلماء من آثار فى « تنجانيقا » و « أوغندا » و « جنوب السودان » . ورغم ذلك كله لا يوجد دليل قاطع يدفعنا الى أن ننسبهم الى الزوج الافريقيين الموجودين فى غابات وسط افريقية . وقد ثبت فعلا أن المواطنين فى جنوب وغرب الساحل بمنطقة «الكاب» لم يكونوا الا « البوشمن » الذين اعتادوا حياة خاصة متبعين فى ذلك بعض تطورات الحضارة الملائمة للمنطقة الساحلية التى حلوا بها ويمتاز البوشمن بمظهر خاص يفرق بينهم وبين أى جنس آخر باستثناء الهوتنتوت .

شخص ، وتتجمع هذه الجماعات الصغيرة في وحدة تسمى القبيلة التي يكون لها غالبا لغة موحدة . وبالرغم من هذا فان كل جماعة في هذه القبيلة تكون مستقلة عن الجماعة الأخرى . اذ تدبر كل منها شئونها الخاصة بها . وكل جماعة في القبيلة مقسمة الى أسر .

وكل أسرة مكونة من الزوج والزوجة والأولاد .

والسلطة في الجماعة تكون لأكبرهم سنا ، وأمهرهم ، وأقواهم عقلا ، وفي بعض قبائل الشمال الغربى يتزعم كل جماعة زعيم وراثى لا يملك أى نفوذ الا فى قيادة الجماعة فى الحروب والصيد .

طرق المعيشة :

ان حياة البوشمن تعتمد على جمع الجذور ، والتقاط الفاكهة ، والديدان ، وصيد الحيوانات ، ولا يعرفون الزراعة أو تربية الماشية معرفة تجعلهم يعتمدون عليها من الناحية الاقتصادية . وهذه الحياة .. تستدعى الرحلة والانتقال والتجوال فى حدود خاصة متفق عليها بين هذه الجماعات .

المسكن :

يسكن البوشمن منازل نصف دائرية فى أكواخ مصنوعة بطريقة غير منتظمة من جذوع الأشجار ، ويقوم النساء بعملية بناء هذه المساكن التى تقام دائما بجوار موارد المياه ، وكل عائلة لها مسكن خاص .

السهم المسممة :

تستعمل قبائل البوشمن الكثير من الأسلحة والأقواس ، والأسهم المسممة التى يسقونها السم المستخرج من

الثعابين وبعض النباتات ويستعملون كذلك الحراب ، والعصى المدببة للصيد «والفخاخ» لصيد الحيوانات .

النساء :

الوظيفة الرئيسية للنساء هى جمع الخضراوات والفواكه وتضع المرأة غطاء يحفظ عورتها من الأمام والخلف . وتزين بحلقات مصنوعة من الصدف .

هذا وتتميز بعض القبائل بعضها عن بعض بالخطوط الملونة باللون الأسود والأحمر على وجوههم .

الاحتفالات والطقوس :

يقوم البوشمن بعمل الاحتفالات والطقوس الدينية عند بلوغ أولادهم سن الرشد وهم لا يعرفون «الختان» . وعندما يبلغ الصبية سن « البلوغ » يؤشر على جباههم بخطوط هى عبارة عن جروح بواسطة أطباء القبيلة ويعيشون بعد ذلك فى عزلة لمدة شهر أو شهرين يعملون خلالها أعمالا شاقة تحتاج اليها القبيلة ، والبنات كذلك يقمن فى مدة العزل بعمل أنواع خاصة من الطعام .

وتقام عند بعض القبائل فى الجنوب العربى طقوس دينية عمادها الرقص من نوع خاص وفى أثنائه يلبس الذكور قرون الحيوانات على رؤوسهم ، وبعد هذا الاحتفال يسمح لهؤلاء الصبية والبنات بأن يتزوجوا .

الزواج :

ان نظام تعدد الزوجات بين قبائل « البوشمن » شائع وغير ممنوع ، وفى بعض القبائل يستطيع الصبى اختيار عروسه من جماعة غير جماعته ، ومن شروط الزواج أن العريس يجب أن يقدم رداء خاصا من الجلد يسمى

الرقص :

والرقص هو شعار الفرح عندهم وهو الوسيلة المتبعة عندهم للتسلية وإقامة بعض شعائرهم الدينية ، ويتبعون في الرقص طرقا مختلفة ، فمنها تقليد بعض الحيوانات أو الأشخاص الذين يقدسونهم ، وفي بعض الأوقات يلبسون الجلود ، ولهم الحان يتغنون بها ، وهم يستعملون الطبول في أفراحهم وعباداتهم .

والبوشمن الجنوبيون يعتبرون أكثر القبائل رقيبا تدل على ذلك النقوش الموجودة على جدران أكواخهم الصخرية والأواني التي يخزنون فيها المياه ، وهي تمثل مناظر الرقص وبعض مشاهد الطقوس الدينية ، وبعض الآلهة المشبهة بأشخاص لها رعوس الحيوانات .

الاختلاط :

ولم يحدث اختلاط البوشمن بالأوروبيين تغيرا ما في عاداتهم أو حياتهم البدائية التي يعيشونها ، ولم يستطع البوشمن التعود على الزراعة أو التجارة .

الاستعمار :

زحف الاستعمار الى البوشمن .. فاتخذ منهم الخدم ، والعمال ، وهم يقومون بواجبهم على الوجه الأكمل اذا عوملوا بلطف ولكنهم يهاكون بسرعة اذا عوملوا بقسوة وعنف ، لأنهم لم يتعودوا مثل هذه الحياة وبوصول الجنس الأبيض الى جنوب أفريقيا اضطر البوشمن الى الخروج من أماكنهم التي استوطنوها أحقابا طويلة من الزمن وعاشوا مضطهدين من جيرانهم الذين حاربوهم وغلبوهم على أمرهم .

« الكروس » ، ويشترط في بعض القبائل أن يصطاد الزوج ثورا وحشيا ويقدمه هدية الى أهل عروسه في حفل الزواج .

ويعيش العروسان بعد زواجهما عدة شهور مع أهل العروس . ويتبع الأطفال دائما آباءهم ، والأرامل يتزوجون مرة ثانية والزوج الثاني مسئول عن أطفال الأرملة ، واذا لم تتزوج الأرملة فان أهل زوجها يتحملون مسؤولية أطفالها.

قتل الأطفال :

من عادة البوشمن أن يفترق الأخوة الصبيان عن أخواتهم البنات عند البلوغ ويحظى الطفل بعناية أمه مدة ثلاث أو أربع سنوات من العمر .. واذا أنجبت الأم طفلا آخر قبل أن يبلغ الأول سنته الثالثة فانه يقتل ولذلك نجد المتوسط الأعلى للأطفال في الأسرة ثلاثة أطفال .

دفن الموتى :

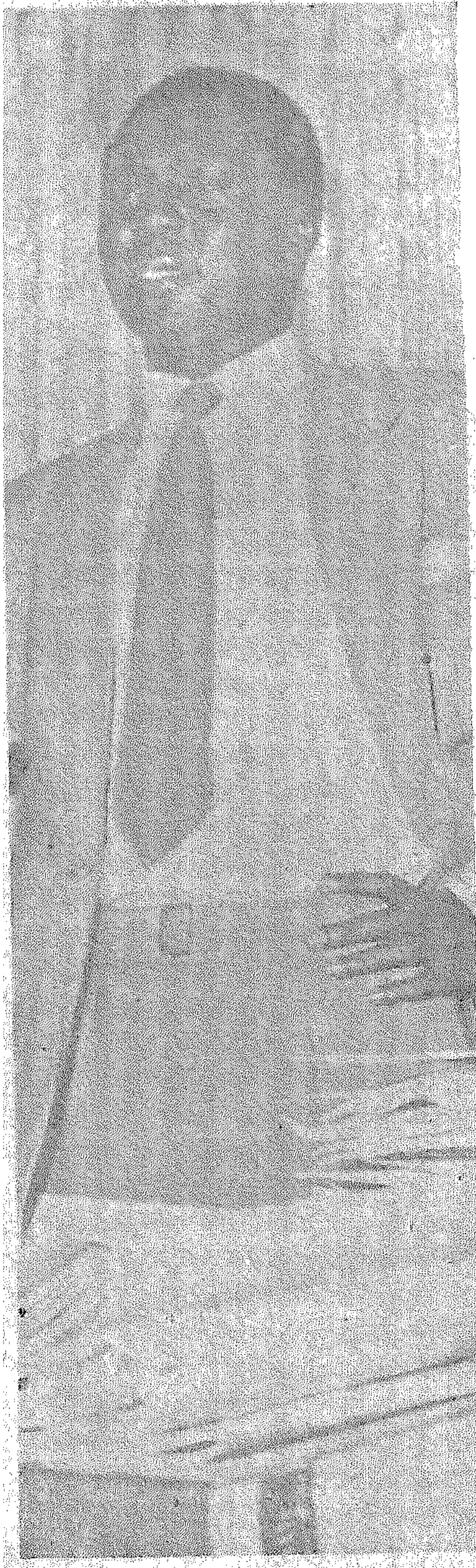
عند الممات تدفن الجثة بجانب الكوخ والركبتان مرفوعتان الى أعلى وتوضع كل أمتعة الرجل ومخصصاته بجواره ، ثم ترص الحجارة على المقبرة لتحميها من نبش الحيوانات .

التشريط عند البوشمن :

يوجد من البوشمن رجال ونساء متخصصون في الطب ومهمتهم الأساسية هي القيام بعمل التشريط في الطقوس الدينية الخاصة بسن البلوغ .

عقائد البوشمن :

والعقيدة المعروفة عند البوشمن هي عبادة القمر وبعض الأحجار ولهم بعض الآلهة وكل اله له اسم خاص : كما يعتمدون في حياتهم على الصيد .



توم مبيويا

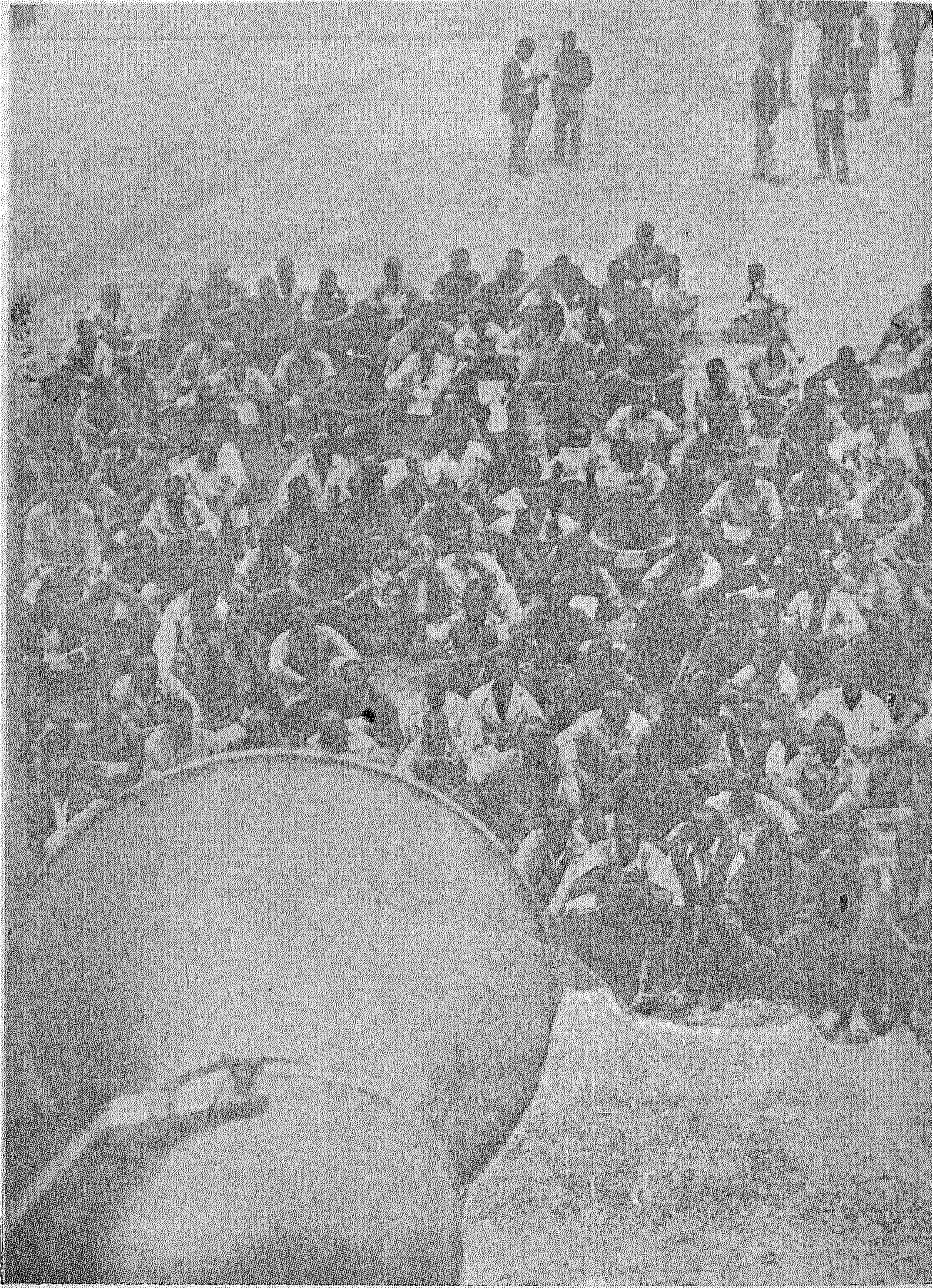
كينيا

مع أن ((كينيا)) تعيش اليوم في مأساة دامية . فمواردها في يد الانجليز ، وحقوقها السياسية مهددة ، وقادتها خلف القضبان ، وأرضها الجيدة في أيدي الغاصبين . الا أن شيئاً واحداً فيها لم يصيه التدمير . فهو في لمعة الفضة ، وترصد الرمح ، وتجمع القبضة . ثم في الغابات الكثيفة التي تتجمع حول هذا السر الكبير .. ((سر الحرية !!)) .

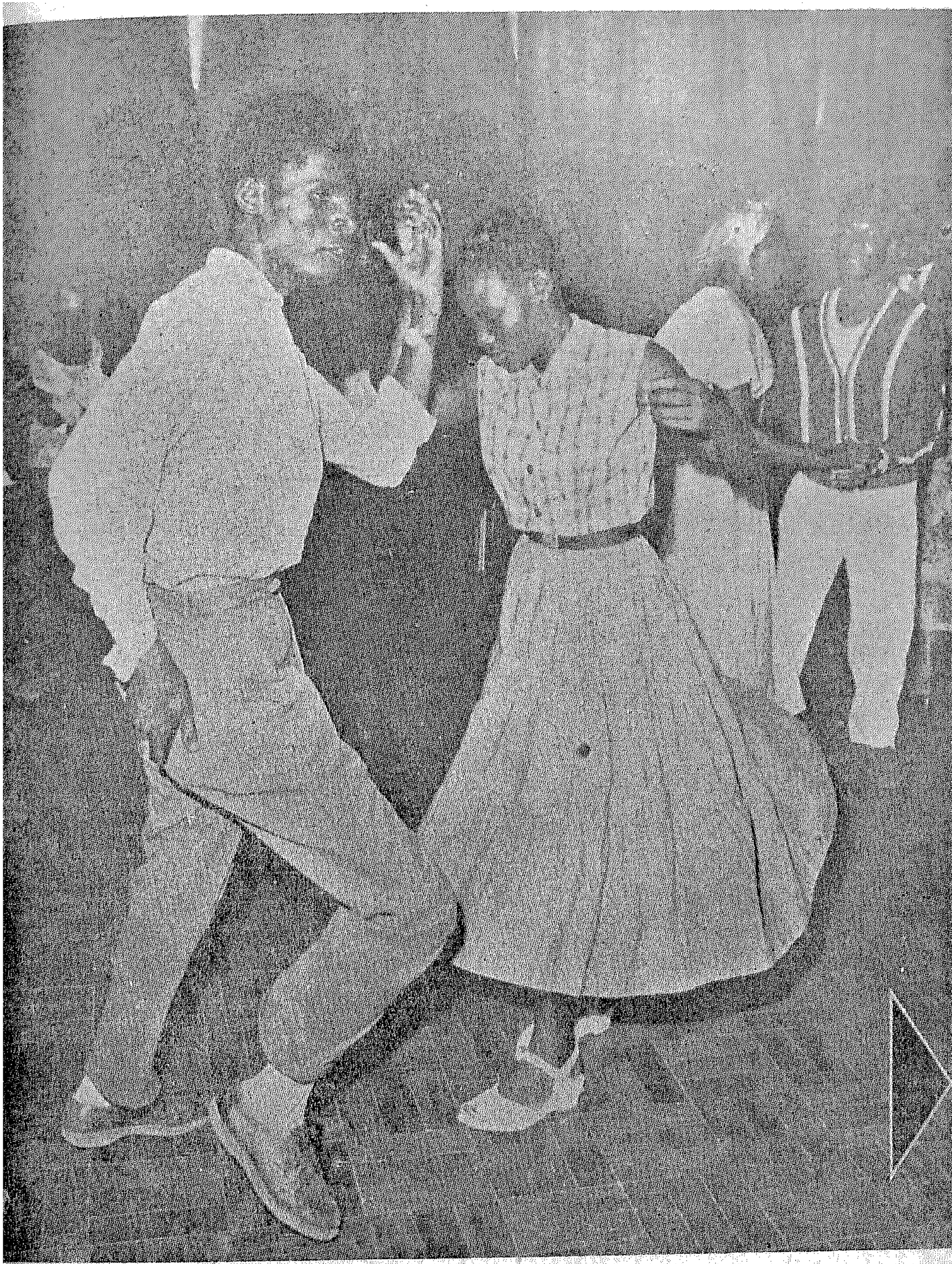
ولقد ضحى الكثيرون من أهل هذه البلاد من أجل هذه الحرية ، وتشهد بذلك السجون التي تضم الكثيرين ، كما تضم القائد الأفريقي العظيم ((جومو كنياتا)) ، ولكن الصحو الآن بدأ يغمر كل مكان في هذه البلاد ، وبدأ كل مواطن يفضل الموت على الحياة بدون حرية ، ومن هنا خرج من أعماقهم قادة يعبرون عن آمالهم ، وحققهم في الحياة ، ومن هؤلاء القادة الذين تسلموا المشعل من ((جومو كنياتا)) الزعيم الشاب ((توم مبيويا)) وقد صرح أخيراً بمعنى كبير من المعاني الإنسانية في قوله ((.. في الوقت الذي نؤكد فيه أن كل شيء في هذه البلاد ينتمي إلى الأفريقيين . نؤكد أننا لأنسعى لكي نخرج إلى الوجود عنصرية سوداء . فكينيا المستقبل لن تسمح لسيادة شيء فيها سوى الحقوق الديمقراطية . ومن هنا فسيعامل كل أبيض كما أعامل أنا ، وكما يعامل أولادي تماماً نعم لن نعاملهم كما عامونا لأن أفريقية عادلة !!)) .



جوموكنيسانا يصادف أحد المواطنين بين الحراس



أحد السجون الذي يضم مئات من الكينيين



جانب من جوانب المرح ،

ملحة من تاريخ مراكش

المراكشي أو المغربي ويحتمل أن يكون الفينيقيون هم أول من اكتشف مراكش من الأجانب في الماضي كما كانت ميللا أول ميناء لهم في الطريق إلى قادش ثم تبعهم القرطاجنيون فأقاموا محطات تجارية عديدة على امتداد الساحل تشمل تطوان وطنجة وأرزيلا ولاراشي وشيلا كما قام الرحالة القرطاجني هانو في القرنين السادس والسابع قبل الميلاد برحلة بحرية إلى سيراليون أقام أثناءها مراكز تجارية في المهدية وموجادير وغيرهما من الأماكن على امتداد ساحل المحيط الأطلنطي ولقد اكتشفت في العصور الحديثة بقايا هامة للمدينة البونية في طنجة ولكسوس .

ولقد تبع القرطاجنيون الرومان الذين تركوا آثارهم في المدن العديدة العظيمة التي أقاموها في طنجة ولكسوس وشيلا وتامودا وثاموسيدا وباناسا وخاصة في قوليوبوليس كما منح الامبراطور أغسطس مدينة طنجة حقوق وامتيازات المدينة الرومانية . وفي عام خمسة وعشرين قبل الميلاد حكم جوبا الثاني - وهو من البربر الذين تثقفوا بالثقافة الرومانية والذي تزوج كليوباترا سيلسينا وهي ابنة أنطونيوس وكليوباترا ملكة مصر - كل الأراضي التي كانت معروفة في ذلك العهد باسم موريتانيا الشرقية واتخذ قوليوبوليس

يرجع تاريخ مراكش إلى الماضي السحيق فان البقايا الكثيرة من الآثار المتحجرة والرسوم المحفورة على الصخر والكهوف السكنية وآثار العصر الحجري لتقوم دليلا على وجود الانسان في مراكش في عصور ما قبل التاريخ والبربر هم أول الأجناس التي عرفت بسكنى مراكش وكانوا يسمون أنفسهم بالأمازين أو الرجال الأجرار وأصلهم الحقيقي مازال مجهولا وقد مارس هؤلاء البربر الزراعة والرعي وكانوا يتكلمون لغتهم الخاصة بهم والتي يمكن تتبع بقاياها في اللهجات المراكشية المحلية في وقتنا هذا كما كانوا على صلة بشعوب البحر الأبيض المتوسط منذ أقدم العصور وفي القرنين الثالث عشر والرابع عشر قبل الميلاد قاموا بغزو الدلتا وحاربوا المصريين الذين كانوا يعرفونهم باسم الليبيين ولقد كان للبربر ثقافتهم الخاصة . ونظمهم الاجتماعية التي يمكن تتبع آثارها في مراكش اليوم وخصوصا في بناء القرى وصناعة الأواني الخزفية والنسيج والصناعات اليدوية التقليدية وهم نفس الناس الذين يعرفهم اليونان والرومان تحت اسم النورمنديون أو المغاربة وبمرور الزمن وتوالي العصور اختلط هؤلاء القوم بالمهاجرين الجدد من الشرق والجنوب والأندلس وكونوا ما يعرف الآن بالشعب

عاصمة له وكانت قلايوبوليس تقوم على مساحة أربعين فدانا تغطيها المباني الفخمة والقصور الشاهقة والمعابد الضخمة والأسواق الغنية المزدهرة ولقد اغتال الامبراطور الروماني كاليجولا بطليموس ابن جوبا الثاني فقامت بعد ذلك ثورة محلية انتهت بتقسيم ادارى جديد سنة ٤٤ بعد الميلاد وحكم فارس روماني مقاطعتي تنجيتانيا وموريتانيا حتى القرن الثالث الميلادى ثم انهارت هذه الدولة وتبعها غزو من الساحل الشمالى فى القرن الخامس الميلادى .

وصول العرب

وحوالى منتصف القرن السابع الميلادى كان كل ما تبقى من المقاطعة الرومانية تنجيتانيا وموريتانيا هو مدينة سيتا التى كان يحكمها كونت جوليان باسم امبراطور القسطنطينية ولم يحاول البيزنطيون طيلة مدة حكمهم اقامة أى سيطرة سياسية على المقاطعة ولكن نفوذهم الثقافى والتجارى كان يمتد جنوبا حتى مدينة قلايوبوليس كما دخلت المسيحية مراكش فى منتصف القرن الثالث الميلادى حيث حققت نجاحا ملحوظا ولهذا عندما وصل العرب من الشرق الى مراكش كان عدد المسيحيين واليهود كبيرا ولو أن الاغلبية الساحقة من السكان ظلت على معتقداتها الوثنية القديمة .

وفى النصف الثانى من القرن السابع الميلادى حدث ما اعتبر نقطة التحول فى تاريخ مراكش وما ترك طابعه وأثره عليه طيلة الأجيال المقبلة ففى عام ٦٨٢ وبعد أن اجتاحت القائد العربى عقبة بن نافع شمال افريقية كله وحبل الى

أبواب مدينة سيتا حيث قدم له حاكمها البيزنطى الكونت جوليان طاعته وخضوعه ومن سيتا اندفعت جحافل عقبة بن نافع المظفرة فى طريقها الى سوس ثم تقدمت غربا حتى وصلت الى شواطئ المحيط وتروى الأساطير أن القائد العربى المنتصر خاض بجواده أمواج المحيط وأشهد الله أنه لم تبقى فى الغرب اراض يملكها ولا نفوس يهددها الى دين الاسلام . ولم يكن عقبة بن نافع ورجاله دعاة حرب وفتح وانتصار فحسب بل كانوا رسلا لنشر الاسلام واللغة العربية وسرعان ما انتشر الدين الجديد بين البربر وفى عام ٧٠٥ وصل جيش عربى آخر بقيادة موسى بن نصير فدعم ما حققه عقبة بن نافع من انتصارات حربية ودينية واجتماعية لدرجة أنه عندما قام القائد المسلم البربرى طارق لغزو الأندلس فى عام ٧١١ انضوى تحت لوائه آلاف المراكشيين وعبروا معه المضيق الذى يفصل شمال افريقية عن بلاد الاسبان ونزلوا على النتوء الصخرى البارز على شاطئ اسبانيا والذى ما زال يحمل اسم القائد العظيم وهو جبل طارق .

الأدارسه

اشتق اسم أول أسرة اسلامية حاكمة فى مراكش من اسم مؤسسها مولاي ادريس بن عبد الله بن الحسن ابن على من سلالة سيدنا على وزوجته السيدة فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ترتب على هزيمة العلويين على يد الخلفاء العباسيين فى الشرق أن اتخذ مولاي ادريس من شمال افريقية ملجأ له وملأذا وعندما

وصل في عام ٧٨٨ هـ الى شمال مراكش قابله رؤساء القبائل الذين كانوا يسكنون المدينة الرومانية القديمة « قوليوبوليس » بكل ترحاب واجلال ونظرا لما كان عليه مولاي أدريس من علم وحكمة وتقوى فقد امتد نفوذه الى القبائل المجاورة وعمت تعاليمه عن الاسلام كل المقاطعات المجاورة مما مكن أتباعه قبل أن يمر وقت طويل من تنصيبه ملكا على البلاد فداعت شهرته وانتشرت تعاليمه وسادت النظم الاسلامية والثقافة العربية وفي عام ٧٩٣ توفي مولاي أدريس بعد أن دس له السم عملاء عدوه الخليفة هارون بن الرشيد ولازال جثمانه الطاهر مدفونا في مدينة صغيرة تحمل اسمه وهي مركز الحج يحج اليه أتقياء المسلمين كل عام حتى أيامنا هذه .

وفي عام ٨٠٤ نصب ابنه أدريس الثاني الذي ولد بعد وفاة والده مولاي أدريس وتولى تثقيفه وتعليمه راشد أحد أتباع والده المخلصين ولما كان هذا الملك الصغير عبقريا موهوبا فقد سار على نهج والده بكل همة وعزم حتى وسع رقعة مملكته غربا الى نهر سيبو وشرقا الى سهول سيس كما نقل عاصمة ملكه الى مدينة فاس التي أصبحت مركزا للتجارة والثقافة في مراكش لأجيال عديدة اذ تجمع في هذه المدينة التي طبقت شهرتها الآفاق العلماء ورجال الدين والفنانون وجلهم من اللاجئين العرب الهاربين من الحكم العباسيين ولم يكن أدريس الثاني مؤسساً لمدينة فاس فقط بل أنه أول من أقام الدولة المراكشية اذ أنه وحد

عددا من القبائل التي كانت مستقلة في الماضي وجعل منها جميعا مملكة موحدة تقوم على أسس سياسية ودينية واجتماعية سليمة .

المرابطون

ثم جاءت أسرة المرابطين وهي ثاني أسرة عظيمة وليت حكم مراكش ويستق اسمها من الكلمة العربية المرابطون أى أعضاء الرباط أو القوات المحاربة المرابطة هم رجال حرب أشداء جاءوا عبر الصحراء من السنغال وقد اعتنقوا الاسلام في القرن التاسع الميلادي كما يعرفون أيضا باسم الملتمين نظرا لتعودهم وضع لثام على وجوههم وبعد أن أقاموا سلسلة من الحصون القوية التي كانوا يمارسون فيها شعائرهم الدينية وتماريناتهم الحربية اجتاحوا صحراء موريتانيا واحتلوا أقاليم الدرا والتافيلالت والسوس والثادلا المراكشية وفي عام ١٦٠٢ أسس قائدهم يوسف بن تاشفين عاصمة ملكه في مدينة مراكش كما حاصر فاس عام ١٠٦٣ تم امتدت فتوحاته الى نهر مولوايا شمالا ومن هناك عبر الريف الى طنجة وفي نفس الوقت كان الخيالة المرابطون يحملون رسالة الاسلام الى شواطئ نهر النيجر والى السنغال ومسينا وغرب نيجيريا . وعند ما زاد ظلم الملك الكاثوليكي ألفونس السادس وكثر اضطهاده لأمرأء سيقييل وبوداجوز وجيرانوا باسبانيا استنجد هؤلاء بيوسف بن تاشفين الذي خف لنجدتهم ونزل باسبانيا واستأصل شافة الجيوش المسيحية ثم ما لبث أن فرض سلطانه على كل الأندلس

فبدأ بذلك عهدا من التبادل الثقافي والعلمي بين الممالك الإسلامية في الأندلس وبين مراكش مما كان له أبعاد الأثر في الحياة المراكشية والفكر المراكشي لأجيال عديدة تالية وفي القرن الثاني عشر جمل الملك المرابطي على ابن يوسف مدن مراكش وفاس وغيرهما من مدن شمال إفريقيا بالمباني الفخمة والآثار العظيمة على النظام الأندلسي كما قام غيره من ملوك المرابطين بحفر الترع والقنوات وغرس الحدائق في طول البلاد وعرضها وما زال اسم يوسف بن تاشفين مذكورا خالدا ليس فقط من أجل فتوحاته وانتصاراته فحسب بل وأيضا لكروم النخيل الشاسعة التي غرسها والتي لا تزال باقية في مراكش حتى يومنا هذا .

الموحدون

بعد أن دالت دولة المرابطين بعد حكم ملكهم على بن يوسف خلفتهم في حكم مراكش أسرة جديدة عرفت باسم الموحدين وهم كاسلافهم المرابطين كانوا مصاحين دينيين يقوم مبدؤهم الديني على إيمانهم بوحداية الله ومن هذا المبدأ اشتق اسمهم فعرفوا بالموحدين ولقد أسس هذه الأسرة ابن تومرت وهو أحد أبناء عشائر مسعوده العظيمة في جبال أطلس العليا فبعد أن تلقى العلم في الجامعات الإسلامية في الأندلس ومصر وسوريا رجع ابن تومرت الى تنبال في جبال أطلس كمصلح ديني وسياسي وتمكن في عام ١١٢٥ من تأسيس أسرة حاكمة خلفت أسرة المرابطين في الحكم ولقد تمكن ابن تومرت من إقامة دولة نظامية في جبال أطلس لها مواردها المالية المنتظمة التي

كان يجبيها من الضرائب ولها جيشها القوي النظامي من المحاربين المتدينين الأشداء . وجاء بعده خليفته عبد المنعم الذي لقب عند تنصيبه ملكا بلقب أمير المؤمنين فواصل فتوحاته وانتصاراته الحربية كما نجحت خطته السياسية فوحد كل الأقاليم المراكشية تحت سلطانه كما استولى على المدن الرئيسية في الأندلس والجزائر وتونس وليبيا حتى أن الصلوات كانت تقام باسمه في الجوامع من تريبولي حتى قرطبة ولقد كانت هذه الفترة هي العصر الذهبي لتاريخ مراكش فقد أسس الملك عبد المنعم أعظم امبراطورية إسلامية في الغرب وجدت حتى الآن كما نجح في إقامة هذه الامبراطورية الإسلامية العظيمة على أسس اجتماعية واقتصادية ثابتة كما نشر العدل والنظام والقانون في ربوع امبراطوريته الشاسعة .

ثم أعاد نظام الضرائب الذي بدأ في عهد الرومان كما كون أسطولا بحريا قويا وكذلك أسس المدارس والجامعات ونشر الثقافة الأندلسية في كل شمال إفريقيا .

ولقد كان أول خلفائه جديرا به إذ تولى أبو يعقوب يوسف الحكم من عام ١١٦٣ - ١١٨٤ وكان ملكا قويا محبا للفلسفة والفنون جمع في بلاطه أساطين العلماء ومشاهير الفلاسفة من كل المراكز الإسلامية في العالم وفي عام ١١٨٤ خلفه أبو يعقوب يوسف المنصور وظل ملكا حتى ١١٩٩ فأقام التحصينات على الحدود الشرقية للمملكة كما هزم الكاستيليون في موقعة الكاروس عام ١١٩٥ وخصص كل ما جمعه من غنائم وأسلاب في هذه

عن المدن الرئيسية في الأندلس ثم اتجه أبو يوسف يعقوب إلى الشرق فامتد ملكه إلى وسط الجزائر .

ومع هذا فقد اشتهرت أسرة المرينيين كما اشتهرت أسرة الموحدين بأنهم يجمعون إلى شهرتهم الحربية وقدرتهم على الحكم والتنظيم حبهم للبناء والتعمير ورعايتهم للفنون والعلوم .

ولقد انفرد ملوك هذه الأسرة بقدرتهم على الانشاء والتعمير وتشجيعهم للفنون حتى أنه لا تخلو مدينة واحدة من مدن مراكش من أثر من آثارهم كما أن أبو يوسف أول ملوكهم قد أنشأ بمفرده مدينة جديدة بالقرب من العاصمة فاس عرفت باسم فاس الجديدة .

ثم شيد فيها جامعا وقصرا وأسكن فيها قواته المحاربة وخدمه وحشمه المدنيين كما شيد في كل مدينة من المدن المراكشية فاس ومكناس وسيل ومراكش وسيتا جامعا ومدرسة . ومن أعظم ملوك هذه الأسرة أبو الحسن الذي عاش من سنة ١٣٤١ إلى ١٣٤٩ وكان المهندسون والمعماريون ورجال الصناعة في عهده أحب الناس إليه وأكثرهم حظوة عنده ويقال أنه كان يجمعهم من بعيد وقريب ويسكنهم في أحسن المساكن ويكسوهم أفخر الثياب ويدفع المثل عنهم أثناء عملهم بالفرق الموسيقية التي تسمعهم أعذب الألحان وبمشاهير المطربين الذين يغنون لهم بأصوات شجية أحلى الأغاني فلا عجب إذن وهم يعملون في مثل هذه الظروف المؤاتية أن كان انتاجهم من الحمامات

الحرب لاتمام المباني الشاهقة التي بدأها والده ولإقامة العمارات الضخمة التي أنشأها هو مثل الجامع العظيم الذي يعرف في مدينة الرباط باسم برج حسن كما نقل الموحدون عاصمة ملكهم إلى مدينة الرباط حيث لا تزال بقايا الجامع العظيم - وقد مات يعقوب المنصور قبل أن يتم بناءه - تقوم دليلا ناطقا على ما بلغته هذه الأسرة من عظمة في فن البناء والمعمار كما يشهد بذلك أيضا برج جiralda وجامع الكتبية في مراكش .

وكذلك اشتهر الملوك الموحدون والسرينيون من القرن الحادي عشر حتى القرن الرابع عشر بأنهم رعاة العلم والعلماء ولقد ظهر في عهدهم من مشاهير العلماء العالميين ابن رشد وابن طفيل الفيلسوف والادريسي العالم الجغرافي وابن خلدون المؤرخ وابن بطوطة الرحالة وكلهم اما من أبناء مراكش أو ممن ذاعت شهرتهم وظهرت كفاءتهم فيها .

المرينيون

عندما بدأ الملوك الموحدون في الضعف والانهيار طلبوا المعونة والمساعدة من شعب شديد قوى في الصحراء يعرف بالمرينيين وقد تمكن هؤلاء في منتصف القرن الثالث عشر من تولى حكم مراكش وكان ملوك هذه الأسرة الأوائل من الإداريين الحازمين والمحاربين الأشداء فأقام أول ملوكهم أبو يحيى (١٢٤٨ - ١٢٥٨) عاصمة ملكه في مدينة فاس ومهد الطريق لابنه أبو يوسف يعقوب الذي وسع حدود مملكته فشملت درا وسوس كما نجح في إجلاء الأمراء المسيحيين

والفنادق والنافورات والمستشفيات والكبارى والحصون والمباني العامة اما لم يسبق له مثيل في الفن والجمال والأبهة والعظمة وبينما كانت أسرة الموحدين تبنى الأبنية القوية الضخمة من أجل الحرب والعقيدة كانت أسرة المرينديين تبنى من أجل الجمال والفن كما كانوا يشيدون على مهل وبدون عجلة ورغبتهم انتزاع الاعجاب والتقدير من كل من يشاهد مبانيهم ولقد قدم هؤلاء لفن المعمار في شمال افريقية ما قدمه القوط لهذا الفن في أوروبا ومن عجب أن ذلك تم في عهد متقارب واحد هنا وهناك .

كذلك نشط المرينديون في تجارتهم في أوروبا كما اتخذوا الوسائل لمقاومة خطر قراصنة البحر المتزايد ولقد حدث مرة أن نجح القراصنة الأسبان في دخول مدينة سيل وفي حمل الغنائم والأسلاب منها فلى ينس المرينديون هذا الدرس أبدا ثم بدأوا في اقامة بوابة هائلة على النهر الموصل للمدينة حتى يمكن للسفن المراكشية وقت الخطر أن تدخل الى المدينة في حراسة اسوار المدينة ولا شك أن هذا العمل قد أثبت أهميته وفائدته خلال القرون المتعاقبة في وقت لم تكن فيه قوانين موضوعة للبحار كما كانت القرصنة من الأخطار الشائعة ضد التجارة الدولية .

السعديون

في أواخر القرن الرابع عشر ازداد ظلم الأمراء المسيحيين في الأندلس كما زادت هجرة العرب من الشرق الى مراكش مما كان يتطلب سياسة حكيمة ونظاما حربيا قويا لم يتوفرا

للملوك الميرنديين فلانت شوكتهم وضعفت قوتهم رغم كثرة عددهم ووفرة مواردهم فورثتهم في الحكم أسرة قوية جديدة من درا استولت على مقاليد الحكم وتركت طابعها وأثرها في تاريخ الأمة المراكشية .

ولقد تميزت هذه الفترة أيضا بحدث هام هو هجرة المسلمين من أسبانيا بعد أن طردهم الأمراء هناك واستيطانهم في مراكش واضافتهم عنصرا جديدا لسكان مراكش الأصليين كما نجح الأسبان والبرتغاليون في القرن الخامس عشر في اقامة محطات وحصون في نقاط مختلفة على سواحل مراكش وأزاء هذا الخطر المتزايد من الغزو الأجنبي لمراكش هبت حكومة السعديين وكان أول الأعمال الجليلة التي حققتها هي طرد الفازين واقصائهم عن مراكش فبعد أن هزموا سوس عام ١٥١٠ احتلوا مراكش ١٥٢٠ وفاس عام ١٥٤٨ كما نجحوا في طرد البرتغاليين من أغادير عام ١٥٤١ ومن أجلائهم عن سافي وأزيمور حتى لم يبق للبرتغاليين عام ١٥٧٨ سوى حصن مازاغان كذلك حصن السعديون حدودهم الشرقية ضد الأتراك الذين كانوا قد احتلوا في ذلك العهد باقى شمال افريقية .

ولقد كان أحمد المنصور الملقب بالذهبي أعظم الملوك السعديين وقد حكم مراكش من ١٥٧٨ الى ١٦٠٣ وقد نجح في حفظ مراكش سليمة من الغزو التركى كما قوى الحصون الاستراتيجية على طول حدود مملكته وكذلك أعاد تنظيم الجيش على النظام التركى كما شجع صناعة السكر من

القصبة في اقليم سوس وهاوزمعا فتح
لمراكش أسواقا مربحة في أوروبا الغربية
كما سحر حملة الى تمبكتو في السودان
سنة ١٥٩١ فعادت منتصرة محملة
بالغنائم الهائلة من الذهب والعاج
والنفائس الأخرى ولقد استغل هذه
الأسلاب في تجميل عاصمته مراكش
حيث بنى مدفنين جميلين باقيين
حتى الآن يضم أحدهما رفات والدته
إلى منسعوده كما يعتبر الآخر من
نفائس فن المعمار في مراكش ويقوم
دليلا على ما بلغه هذا الفن من جمال
وفخامة ودقة في هذه الفترة وفي
ردهات هذا المدفن ترقد رفات سلاطين
السعديين وعائلتهم ومعها جثمان
أحمد المنصور الذهبي نفسه .

العلويون

أما الأسرة الحاكمة التي قدر لها أن
تتولى حكم مراكش خلال الثلثمائة
سنة التالية والتي ينتسب إليها جلالة
الملك محمد الخامس الذي يتولى حكم
مراكش الآن فقد نشأت في سبيل مملكة
العاصمة القديمة لمقاطعة تافيلالت
وكانت هذه الأسرة تحيا حياة الزهد
والتقوى والتهجد حتى أخرجها انحلال
آخر ملوك السعديين من عزلتها
فنهضت تبشر بإصلاح ديني عاجل
ويسرعان ما تمكنت من السيطرة على
مراكش كلها .

وكان مولاي راشد أول ملوك هذه
الأسرة وخلفه مولاي اسماعيل الذي
أتم الفتوحات التي بدأها والده ودعمها
بما جعل اسمه مشهورا معروفا في
العالم المتمدين ولقبه بـ "مولى
اسماعيل المعاصر" للملك لويس الرابع
عشر في فرنسا . وقد تربع على عرش

مراكش من عام ١٦٧٢ حتى ١٧٢٧
ونظرا لما اتصف به من عقيدة دينية
سليمة وروح وطنية وثابة وطاقة هائلة
من النشاط وعزيمة حديدية لا تلين
فان ما حققه من وحدة وما أقامه من
نظم إدارية حازمة وما كونه من جيش
نظامي قوى قد حفظ لمراكش حريتها
واستقلالها من الغزو الأوربي والغزو
التركي كما حصن كل المواقع الحربية
الهامة في المملكة وخاصة المدخل
الاستراتيجي لنهر سيبو في المهديّة كما
أسس مدينة مكناسه واتخذها عاصمة
لملكه وما زالت أسوارها الشاهقة
وقصورها الفخمة وغيرها من الآثار
تشهد بعظمة هذا الملك العظيم في البناء
والتعمير كما تنطق الحصون التي
شيدتها والقناطر التي أقامها وثكنات
الجنود التي بناها والجوامع والمدارس
التي أسسها بعظمته الحربية وقدرته
الفائقة في التنظيم والتدبير . وفي عهد
مولاي اسماعيل تم لمراكش اجلاء
الأسبان عن آخر حصونهم في المدينة
الساحلية لاراتش كما تحقق لها
استرجاع طنجة عقب جلاء الانجليز عن
هذا الميناء عام ١٦٨٤ كما فكر هذا
الملك العظيم في عقد تحالف حربي مع
لويس الرابع عشر ملك فرنسا ضد
اسبانيا ولكن المفاوضات فشلت نظرا
لعدم رغبة ملك فرنسا في الوقوف ضد
ملك كاثوليكي مثله وبعد أن ساد
الضعف عقب وفاة مولاي اسماعيل
عام ١٧٧٢ لفترة من الزمن عاد الى
مراكش عهد من القوة والاستقرار على
يد السلطان العلوي مولاي سليمان
الذي تم في عهده عقد عدد من
المعاهدات والاتفاقيات التجارية

عزل مراكش وفتحت بذلك الطريق الى فرض الحماية الفرنسية على مراكش عام ١٩١٢ ولقد دامت هذه الفترة من الحكم الأجنبي أربعة وأربعين عاما . وكذلك احتل الاسبان بالاتفاق مع الفرنسيين الجزء الشمالى من مراكش كما وضعت طنجة تحت اشراف لجنة دولية . ولقد طالب المراكشيون بقيادة عبد الكريم بالاستقلال فى اصرار وعناد وقاتلوا فى حرب الريف من أجله من عام ١٩٢١ حتى عام ١٩٢٦ ثم تجدد الصراع من أجل الاستقلال التام لمراكش وفى الثانى من مارس سنة ١٩٥٦ استرجعت مراكش سيادتها الكاملة بزعامة وقيادة الملك العلوى صاحب الجلالة محمد الخامس الذى بدأ صفحة جديدة فى تاريخ مراكش العريق الطويل .

ترجمة عزيز عبد الملك . عن الانجليزية

مع دول أوروبا العظمى كما أدركت مراكش عظمة الولايات المتحدة الأمريكية وهى دولة ناشئة حين ذاك فعقدت معها أول معاهداتها عام ١٧٨٦ كما تحالف السلطان مولاي عبدالرحمن مع آخر حكام الجزائر المستقلين الأمير عبدالقادر فى صراعه ضد الغزو الفرنسى وعقب الهزيمة فى موقعة أزلى اضطر الملك المراكشى الى الكف عن القتال واحتل الفرنسيون كل الأراضى الجزائرية عام ١٨٤٤ كما فرضوا الحماية على تونس عام ١٨٨١ ثم ركزت الدول الأوروبية مدفوعة بجشعها الاستعماري جهودها على مراكش وبدأت محاولاتها للتدخل فى شئون مراكش الداخلية وبعد عدد من المعاهدات السرية والعلنية تمكنت الدول الأوروبية من فرض سياسة الباب المفتوح على مراكش مما أثر فى تجارتها ثم تمكنت الدول الأوروبية من

للشاعر الافريقى ((ارمانو))

لقد رأيت مرة صبية سوداء جميلة
جالسة على جانب الطريق حزينة وحيدة
فقلت لها :

أيتها الصبية الصغيرة السوداء الجميلة
لم تجلسين على جانب الطريق وحيدة حزينة ؟
فأجبتنى : « لست حزينة ولا وحيدة
ولكنى أعيش يا سيدى بين الصم والبكم
أرقب بضجر هؤلاء الموتى الذين لا يستحون
مما يجعل قلبى الشاب يبرد ويكف عن الخفقان » .
أن الهنا أسود !



للدكتور : على ابراهيم عبده

تقع روديسيا في النصف الجنوبي من قارة افريقية ، ولا تطل على البحر ، ويحدها من الشمال الكنفو البلجيكي ، ومن الشرق موزمبيق ونياسالاند ، ومن الجنوب اتحاد جنوب افريقية ، ومن الغرب مستعمرة جنوب غرب افريقية وأنجولا ، ويقسم نهر زمبزي روديسيا الى قسمين :

أولا - روديسيا الشمالية :
ومساحتها ٣٤٧٦٨٠ ميلا مربعا ، وعاصمتها مدينة لوساكا Lusaka التي ترتبط بخط حديدى مع الكنفو البلجيكي في الشمال وبولاوايو Bulawayo في الجنوب . ومن أشهر مدنها لجنجستون Livingstone وندولا Ndola ، وبروكن هيل Broken Hill

وعدد السكان في روديسيا الشمالية نحو مليونين ، منهم نحو خمسين ألفا من الأوروبيين . ويعيش ٨٥ في المائة من هؤلاء الأوروبيين في الشمال الغربى للمستعمرة بجوار خط السكة الحديدية والشمال الغربى من روديسيا الشمالية غير معروف تماما فيما عدا المناطق التى بها المزارع الكبيرة ومدن التعدين ،

التى تعتمد اعتمادا كبيرا في غذائها على هذه المزارع . ويقطن نحو ألف من البيض الشمال الشرقى لروديسيا الشمالية ، وهؤلاء قصرُوا جهودهم على زراعة الدخان ، ومثلهم كمثل الأوروبيين في كل المستعمرات الافريقية ، فهم المسيطرون على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية هناك . أما الافريقيون فليست لهم حقوق تذكر ، اذ يملك البيض في روديسيا الشمالية ٤٧ مليون فدان ، هى خير اراضيها مناخا وتربة . ويملك الافريقيون مثل هذه المساحة تقريبا مع أنهم نحو عشرة أمثال البيض . هذا بالإضافة الى أنه من الجائز اجلاء الافريقيين بعيدا عن أرضهم في أى وقت اذا ما تطلب اكتشاف المعادن ذلك ، بدون مراعاة لآى اعتبار أو ظروف معيشة هؤلاء الافريقيين .

وعدد القبائل في روديسيا الشمالية نحو خمسين قبيلة ، من أشهرها وأعظمها شأنًا قبيلة الباروتشى Barotse التى تقطن منطقة باروتشلاند Barotseland ، ومنها قبائل التونجا والايلولوسى . وقبائل لوسى أكثر هذه القبائل كلها تقدما . وعلى العموم فحالة هذه القبائل في منتهى البؤس والشقاء ، لا من الناحية الاقتصادية فحسب ، بل أيضا من الناحيتين الثقافية والاجتماعية . فعلى الرغم من وجود مليونى افريقى في روديسيا الشمالية ، كما سبقت الإشارة لا يوجد بها الا مدرسة ثانوية واحدة ، كما لا يوجد بها صحف افريقية على الاطلاق . ويلاحظ أن السلطات الاستعمارية البريطانية أنشأت هناك

محطة قوية للاذاعة ، تذيع باللغة الانجليزية وبلغات قبائل روديسيا الشمالية المختلفة . ولا نشك في أن لهذه المحطة أثرا كبيرا على التوجيه الفكرى للأفريقيين هناك .

والمناخ الاستوائى واضح تماما فى روديسيا الشمالية ، ولذلك فإن جوها غير صحى ، اذ تنتشر بها أمراض الملاريا والدوسنتاريا والحمى السوداء ، فيما عدا المناطق المرتفعة جدا فى الشمال .

وتعتبر روديسيا الشمالية من أغنى الأقطار الأفريقية بالمعادن ، ففيها ثروة هائلة من معدن النحاس ، وهى احدى أقاليم العالم التى تنتج هذا المعدن بكميات وفيرة ، بل من المحتمل أن تصبح أكبر منتج للنحاس فى العالم كله . وبها أربعة مناجم رئيسية للنحاس ، هى بحسب ترتيب أهميتها شانجا وموفولريا ورون أنتيلوب وروكانا . وقد أخرجت هذه المناجم عام ١٩٥٥ نحو ٤٥٠ ألف طن من النحاس ، قدر ثمنها بنحو مائة وثلاثين مليون جنيه ، وهذا المبلغ يمثل ٩٣٪ من قيمة صادرات البلاد ، وبلغت الأرباح من هذه الكمية ٤ مليون جنيه . كما أن روديسيا الشمالية تنتج معادن الكوبالت والزنك والرصاص واليورانيوم بمقادير كبيرة .

ثانيا - روديسيا الجنوبية :-

ومساحتها ٣٣٣.١٥٠ ميلا مربعا ، أى نحو نصف مساحة روديسيا الشمالية تقريبا . وهى تكون جزءا من هضبة جنوب افريقية . وارتفاعها يتراوح بين ٤٠٠٠ ، ٥٠٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر . ومن أبداع

المناظر فى روديسيا الجنوبية مناظر شلالات فكتوريا على نهر زمبىزي ، تلك الشلالات التى يزيد عرضها على ميل ، وارتفاعها أكثر من ضعف شلالات نياجرا . وهى متباينة الارتفاع فى أماكن مختلفة ، ويتراوح ارتفاعها بين ٢٥٦ ، ٣٤٢ قدما ويمكن سماع دوى هذه الشلالات من بعد عشرة أميال على الأقل . ورشاشها يرتفع لدرجة كبيرة حتى يمكن رؤيته من بعد خمسين ميلا . وتحيط بمنطقة الشلالات غابة كثيفة ، أصبحت مأوى آمينا لأنواع كثيرة من الحيوانات والطيور ، ولخصب التربة وتنوع المناخ فى روديسيا الجنوبية ينمو بها الكثير من المزروعات المختلفة . فتنتج هذه البلاد الذرة والقمح بكميات وفيرة . كما أن الدخان والبرتقال من أهم المحصولات هناك . وبسهول روديسيا الجنوبية أكثر من مليونين ونصف رأس من الماشية ، هذا بالإضافة الى أعداد كبيرة من الأغنام والماعز ، ولذلك أنتجت البلاد سنة ١٩٤٠ مليونى جالون من اللبن ، ومليون دسنة من البيض ، ونصف مليون رطل من الزبد ، وكميات كبيرة من الجبن .

ومن ناحية الثروة المعدنية تنتج روديسيا الجنوبية من الذهب ما قيمته نحو ثلاثين مليوناً من الدولارات سنويا . كما أن روديسيا الجنوبية تعتبر احدى دول العالم التى تنتج معدن الكروم بكميات كبيرة . كما تنتج أيضا كميات ضخمة من الفحم ومعدن الأسبستوس Asbestos والبلاطين . وعاصمة روديسيا الجنوبية هى مدينة سالسبورى ، وهى مدينة حديثة يبلغ

عدد سكانها نحو ٦٢ مليوناً ، وتقع على الهضبة على ارتفاع ١٨٦٥ قدماً . ومن أهم مدنها أيضاً بولاوايو Bulawayo ، التى يبلغ عدد سكانها نحو أربعين ألف نسمة . وعدد السكان فى روديسيا الجنوبية ٢٠٠٠ ٢٣٣ ٢ نسمة ، منهم ١٦٠ ألفاً من البيض وكما فى روديسيا الشمالية هم المسيطرون على الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فى البلاد .

وقد بدأ التاريخ الحديث لروديسيا فى أواخر القرن التاسع عشر مع سيسل رودس ، أكبر شياطين الاستعمار فى افريقية ، فلم تكن روديسيا قبل ذلك منطقة معروفة من مناطق العالم المتمددين . ولم يكن يتركها سوى بعض رجال الارساليات والتجار . ثم جاءها الرجل الأبيض من أرض اتحاد جنوب افريقية ، عندما انتشرت أنباء مناجم الذهب والمعادن النفيسة التى تحويها أرضها بين المغامرين . وكان قد سبق ذلك ما أشيع عن أنها أرض كنوز الملك سليمان التى ذكرتها الأساطير ، والتى شجع على تناقلها وجود خرائب زمبابوى Zimbabwe ، التى تقع على هضبة ماشونالاند Moshonaland المرتفعة ، والتى لا يعرف لها تاريخ ، وأن كان يقال : أن قبائل هاجرت من جزيرة العرب أو من الهند فى القرن الثامن الميلادى هى التى قامت بانشائها . والملك الذى وجد رودس حين قدم البلاد أول مرة فى عام ١٨٨٨ اسمه لوبنجيولا Lobengula

وسيسل جون رودس انجليزى ، ولد فى ستراتفورد Stratford بمقاطعة هرفردشر Herfordshire فى

٥ يوليو سنة ١٨٥٣ . وكان والده قسيساً له اثنا عشر طفلاً ، مات أحدهم من الاسراف فى شرب الخمر . وكان مفروضاً أن ينضم سيسل الى السلك الكنسى ، ولكنه أصيب بمرض السل فنصحته الأطباء بالذهاب الى جنوب افريقية ، فهاجر الى ناتال سنة ١٨٧٠ ، وهو فى السابعة عشرة من عمره ، لا يستشفى فحسب ، بل ليبحث أيضاً عن الثروة والمال فى مناجم الماس . وعندما بلغ السابعة والعشرين أصبح مليونيراً ، وأنشأ شركة دوبر للتعدين De Beers Consolidated Mines Ltd. تلك الشركة التى أخذت تنمو الى أن أصبحت من أعظم شركات التعدين فى العالم ، ثم دخل ميدان التنقيب عن الذهب ، فأسس شركة مناجم الذهب ، واستطاع أن يسيطر على الشركات الأخرى التى تعمل فى هذا الميدان ، كما استطاع أن يوسع دائرة أعماله حتى شملت ما يسمى الآن باسم روديسيا . وفى عام واحد أصبح ملكاً للذهب والماس فى جنوب افريقية . ودخل ميدان السياسة فأصبح رئيساً لوزراء مستعمرة الكاب فى سنة ١٨٩٠ . وكان رودس طموحاً الى درجة كبيرة ، وفى بعض الأحيان وصلت أفكاره الى درجة الجنون ، فكتب وصية يضع فيها ثروته كلها تحت تصرف وزارة المستعمرات البريطانية للانفاق منها على جمعية سرية الهدف منها نشر الحكم البريطانى فى جميع أنحاء العالم ، وذكر أن من جدول أعمال هذه الجمعية السرية احتلال بريطانيا لكل أرجاء القارة الافريقية ، والبلاد المقدسة ووادى نهر

الفرات : وكل أمريكا الجنوبية وجزر المحيط الهندي التي لم تمتلكها بريطانيا العظمى بعد وجزر الملايو وشبه جزيرة الصين واليابان ، واسترداد الولايات المتحدة في النهاية ، بحيث تصبح جزءا لا يتجزأ من الامبراطورية البريطانية. وكتب رودس بحثا في ضم عالم الكواكب والأجرام السماوية الى بريطانيا . ولم تقف مطامع رودس عند هذا الحد ، بل كان يحلم بإنشاء خط حديدي يمتد من مدينة الكاب في أقصى جنوب القارة الافريقية الى مدينة القاهرة في الشمال ، وعرض أن يدفع من جيبه الخاص نفقات انشاء خط تلغرافي بين مدينة سالسبوري عاصمة روديسيا الجنوبية التي أسسها في احدى حملاته وبين أوغندة . ومات رودس سنة ١٩٠٢ ، وهو في سن التاسعة والأربعين ، وترك ثروة قدرها ٥ مليوناً من الجنيهات ، ولم يترك ولدا واحدا . والمهم أنه استطاع في سنة ١٨٨٨ أن يخدع ملك روديسيا ، الملك لوبنجيلولا ، فيجعله يتنازل له عن مساحة من الأرض تبلغ نحو ٧٥ ألف ميل مربع في مقابل مائة جنيه شهريا وألف بندقية وعدة صناديق من الذخيرة . والعجيب أن رودس بعد هذا الاحتيال على الملك ، أخذ عددا من أبنائه الكثرين ليستخدمهم كخدم خصوصيين . ثم أنشأ رودس شركة جنوب افريقية لاستثمار الأرض الجديدة في عام ١٨٨٩ ، وجمعت الشركة عددا من المغامرين ، ساعدتهم وفتحت أمامهم باب التقدم ، حتى تم للشركة في مدة نحو سبع سنوات ضم كل روديسيا الجنوبية اليها ، وذلك

بعد أن قامت حربان بين الشركة والأهالي الوطنيين ، الأولى كانت في سنة ١٨٩٣ ، والثانية في سنة ١٨٩٦ .

أما في روديسيا الشمالية فيقال : ان زعماء القبائل تقدموا من تلقاء أنفسهم الى البريطانيين بطلب الحماية . وقد أطلق اسم روديسيا - نسبة الى سيسل رودس - على كل روديسيا باقليمها سنة ١٨٩٥ . وقد استمرت شركة جنوب افريقية البريطانية تحكم روديسيا الشمالية والجنوبية حتى سنة ١٩٢٤ ، أي السنة التي ضمت فيها روديسيا باقليمها الى التاج البريطاني ، وبذلك سد الطريق أمام أطماع البرتغاليين في وصل مستعمراتهم موزمبيق في شرق افريقية بمستعمراتهم أنجولا في غرب افريقية .

أما نياسالاند فتقع في شرق روديسيا الشمالية ، ويقع الجانب الأكبر منها على الشواطئ الغربية والجنوبية لبحيرة نياسا ، التي اشتق منها اسمها . ونياسالاند منطقة مستطيلة يبلغ طولها نحو ٥٢٠ ميلا ، ويتراوح عرضها بين المائة والخمسين ميلا . ومساحة نياسالاند ٣٦٨٢٩ ميلا مربعا ، وتتكون من عدة هضاب تفصلها عن بعضها وديان الأنهار التي تصب في بحيرة نياسا . وأعلى هذه الهضاب هي هضبة ملانجي Mlange في الجنوب ، التي يتراوح ارتفاعها بين ٨٠٠٠ و ٧٠٠٠ قدم . وبحيرة نياسا نفسها على ارتفاع ١٦٤٥ قدما فوق مستوى سطح البحر . والأقاليم التي تقع على شواطئها رطبة جدا وغير صحية ، ولا تلائم سكنى الأوروبيين . وفي هذه الأراضي المنخفضة

تسببها وفي وديان الأنهار تنمو النباتات المدارية بغزارة ، وخاصة طول شاطئ نهر شير Shire ، الذي يعتبر مصرفا لماء البحيرة ويصب جنوبا في نهر زمبيزي . ويمتاز سطح الهضاب بالأعشاب ومجاري المياه والبحيرات والغابات الصغيرة . وهواء هذه الهضاب بارد منعش ، وأحيانا يسقط الصقيع أثناء الليل ، ولذلك يرغب المستوطنون البيض في نياسالاند في الإقامة هناك ، وفصل الأمطار في نياسالاند يستمر من نهاية شهر نوفمبر الى نهاية شهر مارس ، ويتراوح متوسط المطر السنوي بين ٤٠ ، ٨٠ بوصة . وبالرغم من أن المناطق المرتفعة في نياسالاند صحية المناخ ، فإن مرضى الملاريا والحمى السوداء ينتشران في المناطق المنخفضة وخاصة في الوديان وعلى طول شاطئ بحيرة نياسا . أما الموارد الطبيعية في نياسالاند فتختلف عن كثير من أجزاء افريقية الغنية بثروتها المعدنية ، إذ أن نياسالاند تعتمد اعتمادا كبيرا على الزراعة ، ومن محاصيلها الرئيسية الدخان والقمح والقطن والأرز والشاي . وعدد سكان نياسالاند نحو ٢٤٠٠٠٠٠ نسمة ، منهم أربعة آلاف من الأوروبيين ، الذين يقطنون الجهات المرتفعة . وأهم القبائل الافريقية في نياسالاند هي قبائل الأنيانجا Anyanja ، ولهذا السبب جعلت الحكومة النيانجا Nyanja اللغة الرسمية للبلاد ، بالرغم من أنه توجد لغات كثيرة هناك ، منها لغات الياو Yao والتمبوكا Tumbuka والكوندى Konde والسواحيلي Swahili . وعاصمة نياسالاند هي

مدينة زومبا Zomba ، التي يبلغ عدد سكانها نحو ثمانية آلاف نسمة . ومن أشهر مدنها مدينة بلانتيير Blantyre التي يبلغ عدد سكانها نحو تسعة آلاف نسمة ، وتقع على ارتفاع ٣٥٠٠ قدم فوق سطح البحر ، وهي مقر للجمعيات التبشيرية .

ويعتمد تقدم نياسالاند لدرجة كبيرة على تقدم المواصلات بها ، بحيث يمكن ربط الأقاليم التي تنتج المحصولات بالبحر . وفي سنة ١٩٣٥ أنشئ كوبرى على نهر زمبيزي عند تشنديو Chindio ، تم بواسطته الاتصال عن طريق السكة الحديد بين بحيرة نياسا وميناء بيرا Beira في موزمبيق . وبجانب الخط الحديدى يوجد في نياسالاند طريق رئيسى معبد للسيارات طوله نحو ألف ميل ، وطريق آخر معبد ، ولكنه قصير يربط مدينتى بلانتيير وزومبا ببعضهما . وفيما عدا هذين الطريقين لا توجد في نياسالاند طرق مرصوفة ، وبقية الطرق القائمة فيها وعرة جدا ، والسير فيها نوع من المخاطرة بل هو مجازفة تماما في موسم الأمطار . على أن هذه الطرق على وعورتها تمتد بمناطق جبلية جميلة جدا ، وتنحدر أحيانا من ارتفاع ثلاثة آلاف قدم الى شاطئ البحيرة . وبالإضافة الى ذلك توجد في نياسالاند عدة مطارات ، والاتصال الجوى يربطها بمدينة بيرا في موزمبيق ومدينة سالسبورى في روديسيا الجنوبية .

والتاريخ الحديث لنياسالاند يبدأ باكتشافها بواسطة الرحالة المكتشف الانجليزى لڤنجستون Livingston الذى وصل اليها في سنة ١٨٥٩ وخالط

أهلها ، ثم أرسل الى مواطنيه يدعوهم الى هذه البلاد لتأدية رسالتين : أما الأولى فهي التبشير بالديانة المسيحية ، وأما الثانية فهي التجارة ، وفرصها كثيرة وسانحة في هذه الأرض البكر . ووجدت دعوة لثنجستون صداها وتحققت بشقيها . فقد استجابت الكنيسة الاسكتلندية للشق الأول من الدعوة ، فأرسلت بعثات تبشيرية ظلت تقوم فيها برسالتها الدينية والاجتماعية ، فبنت الكنائس ، وألحقت بها المدارس التي تعطي أبناء البلاد قسطا قليلا من التعليم . وأما الشق الثاني من دعوة لثنجستون ، فقد تحقق على يد تجار من جلاسجو أنشأوا في نياسالاند شركة البحيرات الافريقية لبيعوا المنتجات الأوروبية في الاقليم ، ويصدروا منه الموارد الخام . ونياسالاند لم تفتح ، كما فتح غيرها من أقاليم افريقية ، بحد السيف ، وإنما فتحها المبشرون ، وغزتها الارساليات الدينية غزوا سليما لم ترق فيه الدماء ، ثم أرسل رودس السير هاري جونستون في سنة ١٨٨٩ ومعه عشرة آلاف جنيه الى نياسالاند . واستطاع جونستون أن يخدع رؤساء القبائل ويجعلهم يقبلون معاهدات تجعل من بلادهم محمية بريطانية . وتم ذلك في سنة ١٨٩٢ .

وفي أكتوبر سنة ١٩٥٣ فرضت بريطانيا على شعوب روديسيا الشمالية وروديسيا الجنوبية ونياسالاند اتحادا فيدراليا أطلق عليه المستعمرون اسم اتحاد روديسيا ونياسالاند أو الحزام النحاسي ، وكان حلقة جديدة من حلقات الاستعمار . وقد لقي هذا

الاتحاد معارضة شديدة من الوطنيين في روديسيا الشمالية ونياسالاند ، نظرا لنفوذ الأوروبيين القوي في روديسيا الجنوبية ، ولذلك خشوا أن يمتد هذا النفوذ القوي الى دولتيهما . ومع ذلك فقد كانت السياسة الاتحادية الفيدرالية قد رسمت في لندن منذ أمد بعيد ، ولم يبق الا أن تنفذ ، وقد نفذت في ذلك الوقت . وحمل لواء معارضة الاتحاد في روديسيا الشمالية منذ ذلك الوقت حزب الكونجرس الافريقي وزعيمه هاري نيكومبيولا . وقد تعلم في مدرسة الاقتصاد بلندن ، وأدركت حكومة الاتحاد مدى أثره على الجماهير ففرضت قيودا على حركاته الى حد منعه من الذهاب الى روديسيا الجنوبية عام ١٩٥٤ . ولكن بلغت به الجراة والرغبة في خدمة بلاده أن دعا الى مؤتمر افريقي عام حضره مندوبون من كينيا وأوغندا وتنجانيقا وزنجبار وروديسيا بقسميها ونياسالاند ، الا أن المؤتمر فشل بسبب تدخل السلطات البريطانية ، وانتهى الأمر بالقبض على نيكومبيولا في يناير ١٩٥٥ والحكم عليه بالسجن لمدة شهرين مع الأشغال الشاقة .

وأصبح حزب الكونجرس الافريقي في روديسيا الشمالية يلقي اضطهادا شديدا من جانب الحكومة ، والصراع بينه وبين الأحزاب الأوروبية هناك يدور حول اعطاء الحريات العامة للافريقيين ، وتسلم الوطنيين بمقاييد الحكم في بلادهم ، والقضاء على الاضطهاد العنصري والمساواة بين العامل الأبيض والعامل الأسود في الأجور . كما حمل لواء معارضة اتحاد روديسيا -

نحو صيحة الشعوب الافريقية ، التي ترددت في القاهرة وأكرا ، بأن افريقية للافريقيين ، أصيبت السلطات الاستعمارية بالذعر الشديد ، فدبرت في أوائل هذا العام خطة لتمكين البيض ، الذين يحكمون روديسيا الجنوبية ، من السيطرة الكاملة على نياسالاند وروديسيا الشمالية . وكانت أولى مراحل الخطة الاستعمارية ، هي اعلان اكتشاف مؤامرة مزعومة ، قيل ان حزب المؤتمر الوطنى الافريقى فى نياسالاند هو الذى دبرها للذبح البيض جميعا والقائهم فى البحر ، وان الدكتور باندا ، رئيس هذا المؤتمر ، وضع مع زملائه تفاصيل هذه المذبحة فى اجتماع سرى عقدوه فى الغابة القريبة من مدينة زومبا . ولكن الدكتور باندا قند هذه المزاعم فقال : « اننا لا ننوى أبدا ذبح البيض أو القاءهم فى البحر . ولكن هناك بعض الأوربيين ، الذين يريدون ان يظلوا سادة ، وأن نظل نحن عبيدا لهم . وأفضل لهؤلاء أن يرحلوا من نياسالاند . ان هذه هي بلادنا . هذه هي ديارنا ووطننا . وفى ديارنا ليس هناك سادة وعبيد . اننا مصممون على أن نكون أسيادا فى بلادنا . واذا لم تصل لندن الى حل سريع لهذا الموقف ، فسنلجأ لطرق أخرى لتحقيق مطالبنا » . ولكن بالرغم من ذلك فقد أعلنت السلطات الاستعمارية فى أوائل شهر مارس الماضى حالة الطوارئ فى نياسالاند ، وألقت القبض على الدكتور باندا ، ونقل الى روديسيا الجنوبية . كما اعتقل نحو مائة وخمسين من رجال حزب المؤتمر الافريقى هناك . وفى ظل حالة الطوارئ التى أعلنت ، أخذت

نياسالاند فى نياسالاند منذ انشائه حزب المؤتمر الوطنى الافريقى فى نياسالاند ، الذى خرج الى الوجود عام ١٩٤٤ ، وأحس الأوروبيون بخطره السياسى ، وأخذوا يحاولون أن يوقعوا بينه كهيئة قومية وبين زعماء القبائل ، قائلين ان زعماء الحزب يريدون القضاء على سلطة زعماء القبائل وتركيز مقاليد الزعامة فى أيديهم . ولكن كل هذه المناورات فشلت ، واضطرت السلطات المسئولة الى الاعتراف بقوة حزب المؤتمر الوطنى الافريقى فى نياسالاند كقوة سياسية قومية افريقية ، وخاصة بعد أن شد شعب نياسالاند أحزمته على بطنه ، وراح يجمع البنس والبنسين ليجمع تكاليف الرحلة لبعض مندوبيه ليسافروا الى لندن ليعارضوا الاتحاد مع روديسيا الجنوبية ، خوفا من سيطرة البيض على السود ، ولقد حدث منذ سنتين اتصال بين حزب الكونجرس الافريقى فى روديسيا الشمالية ، وحزب المؤتمر الوطنى فى نياسالاند . ودور هذا الحزب الأخير يرمى الى تحقيق نوع من التفاهم والتجاوب بين قبائل نياسالاند والهيئات الافريقية الوطنية ذات الصبغة السياسية ، وذلك عن طريق تعليم الشعب وتلقينه واجباته وحقوقه . ثم ان هذا الحزب لا يؤمن بالكفاح السلبى ، ولا يتورع أن يستخدم القوة فى سبيل تحقيق مطالبه فى مساواة الرجل الأسود بالرجل الأبيض فى جميع ميادين الحياة .

ولما انتشر الوعى القومى فى اتحاد وسط افريقية ، أى فى روديسيا ونياسالاند ، واتجه الافريقيون هناك

قوات الأمن تطلق النار على جموع
الافريقيين ، فقتلت منهم عدة مئات
وان كانت السلطات الاستعمارية تقدر
عدد القتلى بنحو خمسين . وسرعان
ما سادت نياسالاند اضطرابات عنيفة،
وتدفق الافريقيون من الغابات
مسلحين بالحرايب ، وبكل ما وصلت
اليه ايديهم ليقتلوا وموا الارهاب
الاستعماري ، واستخدمت السلطات
القوات والطائرات لقمع الثورة ، وقام
البوليس بحملة اعتقالات وتفتيش
واسعة النطاق في مدينتي زومبا
وبلانير في ظل حالة الطوارئ التي
أعلنت بأمر السير روى ويلينسكى ،
رئيس وزراء اتحاد روديسيا -
نياسالاند . وكان بين المعتقلين أورتون
شيرا ، المحامي الافريقى الوحيد في
نياسالاند . وهو المستشار القانونى
للمؤتمر الوطنى الافريقى . وكان الهدف
من القاء القبض عليه حرمان أكثر من
مائة من الافريقيين المعتقلين من حق
الدفاع ، لأنهم وكلوه قبيل اعتقاله
للدفاع عنهم عند تقديمهم للمحاكمة.
كما كان من بين المعتقلين عدد كبير
من الموظفين ، بينهم الطبيب الافريقى
الوحيد ، ليظل الجرحى والمصابون من
الافريقيين تحت رحمة الاستعماريين.
وصدرت أحكام سريعة على بعض
المعتقلين ، بعد محاكمات صورية ،
فحكم على بعضهم بالسجن مع الأشغال
الشاقة لمدة خمس سنوات . وفى ابريل
الماضى ألفت بريطانيا لجنة للتحقيق
فى أسباب الاضطرابات فى نياسالاند
وقد نشرت هذه اللجنة تقريرها فى
٢٣ يوليو سنة ١٩٥٩ ، وأثبتت بطريقة
رسمية أن لاصحة لما ادعته الحكومة

الاستعمارية فى نياسالاند من
وجود مؤامرة دبرها حزب المؤتمر
الوطنى الافريقى لاغتيال الأوروبيين
هناك .

وأعانت لجنة التحقيق البريطانية
انه ليس ثمة دليل على وجود هذه
المؤامرة ، وقالت ((لقد رفضنا الدليل
الذى تقدمت به الحكومة)) ، وأضافت
((اننا رأينا واستمعنا الى المصدر
الرئيسى الذى استقت منه الحكومة
أبناء المؤامرة ، ووجدنا أن الدليل الذى
يسوقه غير مقنع)) . واستطردت فى
تقريرها تقول : ((ان هذا الدليل
لا يثبت بأية حال كيف تأكدت حكومة
نياسالاند من وجود هذه المؤامرة)) .
وأضافت تقول : ((اننا لا نعتقد أن
هناك أى شيء يمكن أن نسميه مؤامرة ،
أو حتى خطة لمؤامرة)) . كما قالت
اللجنة فى تقريرها ((انه لم تتم أية
محاولة لاغتيال أوروبى واحد خلال
حوادث الاضطرابات ، علما بأنه كانت
هناك مناطق بأكملها لا يسيطر عليها
سوى رجال حزب المؤتمر الوطنى
الافريقى)) . وأضافت اللجنة أنها تعتقد
أن الحكومة أمرت باعتقال جميع
المسؤولين فى حزب المؤتمر الوطنى حتى
قبل أن تعلن أن هناك مؤامرة مدبرة
لاغتيال الأوروبيين .

والدكتور باندا ، الزعيم الافريقى،
الذى قاد كفاح شعب نياسالاند ، وانتهى
به المطاف فى هذه المرحلة من مراحل
الكفاح الى أحد سجون روديسيا
الجنوبية ، عاد الى وطنه فى الصيف
الماضى ، بعد أن قضى ثلاثين عاما فى
المنفى ، فبايعه شعبه على الزعامة
لبواصل كفاحه من داخل الوطن ،

الشمالية ، وهو السير آرثر بنسون ، أمر في النصف الأول من شهر مارس الماضي بحل حزب زامبيا الوطني هناك ، واعتقال جميع أعضائه ، بدعوى أن زعماء الحزب يلقون خطبا نارية ويطالبون بأن تكون افريقية للافريقين وحدهم . وأنهم يدعون الى مقاطعة الانتخابات التي كان يحاول الاستعماريون اجراءها في يوم ٢٠ مارس ، وكان حزب زامبيا الوطني قد كشف للافريقين المؤامرة الاستعمارية لتزييف ارادتهم عن طريق الانتخابات . وفي روديسيا الجنوبية قامت أيضا الثورات والمظاهرات ، حتى أن هوايتها ، رئيس الوزراء هناك ، أمر بتعبئة جميع السكان البيض ، واعتقال أكثر من مائتين من الزعماء الافريقين ، واصدار القوانين التي تخول للحاكم البريطاني سلطات مطلقة لوقف نشاط الافريقين وحل منظماتهم .

وفي الوقت الذي يلجأ فيه الاستعماريون الى هذه التدابير الفاشية ، دفاعا عن مصالحهم غير المشروعة وعن سيطرتهم على أرض مفتتحة تظهر أفكار ومشروعات جديدة للتخلص من الموقف ، منها مشروع يرمى الى تقسيم نياسالاند وروديسيا الى قسمين : أحدهما للبيض ويضمهم الى اتحاد جنوب افريقية ، والثاني للافريقين ويظل تحت حكم وزارة المستعمرات . ولكن هل يقبل الافريقيون في روديسيا ونياسالاند هذه المشروعات ؟ لا شك أنهم كالأفريقين في كل منطقة أخرى من القارة يقولون : « ان الأرض أرضنا والسيادة فيها لنا » .

وليضع فوق الأرض الافريقية موضع التنفيذ ما كان يدعو اليه وهو في لندن ، حيث كان بيته ملتقى نكروما وغيره من قادة الكفاح الافريقي . وبعد عودته طاف بين القبائل ووحيد الصفوف ، ونفث الحياة في حزب المؤتمر الوطني ، الذي أصبح رئيسه ، والذي طالب باستقلال نياسالاند وانفصالها عن اتحاد روديسيا . أما السير روي ويلينسكي ، رئيس وزراء الاتحاد ، فينحدر من أسرة بولندية مهاجرة ووالده نصف يهودي ، وهو ضخم الجثة ، كان ملاكما هاويا في الماضي ، ولم يتلق تعليما يذكر ، بل كان يعمل في أحد الفنادق ، ثم اشتغل سائقا بقطارات السكك الحديدية ، ثم انخرط في الحركة العمالية ، فأصبح رئيسا لاتحاد عمال السكك الحديدية لشمال روديسيا ، وهو اتحاد للعمال البيض . والتحق بعد ذلك بحزب شمال روديسيا ، وأصبح رئيسه ، ثم رئيسا للوزارة في شمال روديسيا ، ثم نائبا لرئيس الاتحاد ، ثم أخيرا أصبح رئيسا لوزراء الاتحاد . وهو لا يحب الافريقين ومن أكبر أنصار اضطهاد السود وجمعهم في مجتمعات وأحياء خاصة بهم ، ويؤمن بأن مصير البيض قد تحدد في الاتحاد ، وأن عليهم أن يبنوا دولة مستقلة لهم ، والا فانهم سوف يطردون ، كما طردوا من الهند ومصر .

والثورة في الواقع لم تقتصر على نياسالاند ، بل امتدت أيضا الى روديسيا الشمالية والجنوبية ، حتى أن الحاكم البريطاني في روديسيا

الاستعمار البريطاني والحركة الوطنية في أوغندة

للدكتور عبد العزيز الرفاعي

جزءا كبيرا ، لا يزيد متوسط ارتفاعها عن ألف متر عدا الاجزاء المنخفضة. التي تحف بالاراضي الاخمدودية ، أما ما بها من جبال ، فجبل الجن الواقع شمال شرق بحيرة فكتوريا ، تم جبل رونزوري الواقع بالقرب من بحيرتي ادوارد وألبرت ، وهو جبل شاهق الارتفاع ، صعب التسلق تكاد تغطيه السحب بصورة دائمة .

أما مناخ أوغندة فهو حار رطب. الا في المرتفعات ، غزير الامطار في انتظام في معظم أيام السنة ، اذ تكنو سطحها مراعى السافانا التي لعبت دورا كبيرا في تكييف الحياة البشرية في هذه البلاد ، أما غابات أوغندة فهي وان كانت محدودة بسبب الارتفاع الا أنها في أشكالها وألوانها تزخر بألوان من الحياة ، ففيها تتدافع الاشجار وتتنافس صعودا الى أعلى من أجل ضوء الشمس والحياة ، وفيها تنفجر التربة عن نبت جديد كل يوم يجدد موات الحياة النباتية ، ويسمو كل نبت فوق بقايا غيره ويخلق عاليا ليصطدم بغيره بعيدا في الهواء ، وتتشابك الاغصان ، ويمرح بينها الطير ، ويبدو الطير في روعة الفراشة ،

بدأ اهتمام أوربا بأفريقية ، منذ أواسط القرن التاسع عشر ، استجابة لمقتضيات الثورة الصناعية بها . وقد أخذ التنافس الاستعماري على امتلاكها بين دولها منذ سنة ١٨٧٠ ، وعندئذ سعت كل دولة الى أن تقطع أوصالها وكانت أوغندة ضمن ما سعت بريطانيا الى اضافته الى امبراطوريتها الشاسعة لتستكمل به حلقات استغلالها للشعوب وتضييق عليهم في أقدارهم ومصائرهم وأوغندة محمية تحتل جزءا كبيرا من هضبة شرق أفريقية ، تبلغ مساحته ٩٤ ألف ميل مربع ، وهي مساحة تمتد على جانبي خط الاستواء ، تساوى تقريبا مساحة ألمانيا الغربية ، وقد ضمت اليهما مملكة قديمة تمثل الآن احدي مديرياتها الاربع وهي يوغندة . ويحد أوغندة من الغرب الكونغو البلجيكي وتشترك معه في بحيرتي ألبرت وادوارد من منابع النيل ، وتشمل من بحيرة فكتوريا الواسعة ، ذلك المنبع الثالث لهذا النهر - الجزء الشمالي والشمالي الغربي ، هذا بالاضافة الى اشتغالها على بحيرة كيوجا .

وهي اذ تحتل من الهضبة الافريقية

كما تبدو الفراشة في حجم الطير . كل هذه الحياة المتلونة ، تبدو جليلة في كل مكان تقريبا ، ولا سيما عند شلالات مرشيزون ، وبجانب ذلك يبدو مظهر الانسان في بذل مجهوده لتغيير وجه الأرض بالزراعة وغيرها .

فهناك النبات على اختلافه ، وهناك الطير والحشرات والزواحف والحيوان على اختلاف ألوانه ، مما يرمز الى غزارة الحياة في هذه البلاد .. ولكن مما يستلفت النظر حقا كثرة النمل في جميع أنحاء أوغنده وهي تملأ الطرقات في أكوام شامخة يبلغ ارتفاعها من ١٢ الى ١٥ قدما ، تقيم بيوتها من الطين الاحمر الفاتح الذي يلائم طبيعة التربة .

أما سكان أوغنده ، فيبلغ عددهم ٢٥٠.٠٠٠ نسمة وغالبيتهم من الافريقيين من شعوب البانتو وتبلغ نسبة هذه العناصر ٩٩٪ يختلط بهم عدد من الهنود يبلغ عددهم ٣٠٠.٥٠٠ نسمة ، أما الاوروبيون البيض فلا يمثلون الا اقلية أغلبها من البريطانيين تعدادهم ٧٦٠٠ نسمة ، يوجد بينهم ما لا يقل عن ١٢٠٠ مبشر ، وقد انتشرت بينهم المسيحية ، حتى بلغ عدد المتدينين هنالك ٢٥٠.٠٠٠ نسمة .

ويؤلف الهنود في أوغنده جالية نشيطة ثرية ، ولكنهم لا يتمتعون بالسلطة السياسية والثقافية التي يتمتع بها الهنود في كينيا مثلا .. هذا وتعتبر غنتيبة العاصمة الادارية ومقر الحكومة الرئيسي ، أما كنبالا فهي العاصمة التجارية لهذا الاقليم .

بداية الاستعمار : يرجع توغل الاستعمار البريطاني في أوغنده الى

تاريخ توغله في هضبة شرق افريقيا ، أي الى عهد استكشاف معالمها .

ولقد كان المستكشف سبيك أول رجل أبيض ، يخطو الى أوغنده سنة ١٨٤٥ وقد اكتشف بعد سنوات قليلة ، أن بحيرة فكتوريا هي منبع النيل ، ولما جاء بعده ستانلي ، كان أول من جاب شواطئ هذه البحيرة الكبيرة وأثبت أنها وحدة مائية لا خمس بحيرات كما كان الاعتقاد . ولقد فتح ستانلي الطريق للمبشرين فتوافدوا بعده واستقروا وذلك بعقد ميثاق مع ملك بوغنده

ولم يكن لهؤلاء البوغنديين ملك فحسب ، بل كان لهم بجانب ذلك مجلس ونظام للعدالة وبرلمان ، وقانون للفروسية والشجاعة وكانوا يعيشون حياة قبلية متجانسة

وقد بدأ المبشرون يفسدون بكثرة بعد سنة ١٨٧٧ وكان أول مبشريهم بريطانيًا بروتستانتيا ثم فرنسيًا كاثوليكيًا . وقد راحا يضمن المريدين في نشاط كبير ، ومع ذلك نفذ التجار العرب قبل سبيك الى بوغنده ، وخلفوا آثارا اسلامية قوية ، ومن ثم أصبح الصراع في سبيل السيطرة الدينية ثلاثيا .. لذلك لم يكن لاحتماله أثر مذكور ، ولكن حدث بين سنتي ١٨٨٨ - ١٨٩١ أن قام الافريقيون الكاثوليك بنهب الكنائس البروتستانتية وأحرقوها ، كما أشعل البروتستانتون النار في الكنائس الكاثوليكية ونهبوها وقد هرب اذ ذاك موانجا حاكم بوغنده مع الكاثوليك الفرنسيين

وكان الكابتن لوجارد في ذلك الوقت يغزو البلاد لصالح شركة شرق

افريقية البريطانية الامبراطورية، وقد عقدت بريطانيا سنة ١٨٩٠ اتفاقية مع ألمانيا لاقتسام النفوذ في اقليم الهضبة ، ومن ثم دخلت كينيا وأوغندا تحت لواء بريطانيا وانضوت تنجانيقا تحت النفوذ الالماني . وفي سنة ١٨٩٣ ضمت بريطانيا بوغندا رغم انتقاد الرأي العام المعادي للاستعمار في لندن ، وبعد صراع كبير وضعت بريطانيا يدها على هذه الشركة ومن ثم امتد سلطانها الى أوغندا وبوغندا فيما بين سنتي ١٨٩٤ ، ١٨٩٦ حيث أعلنت الحماية على اغندا ثم استكمل استعمار البقية الباقية من أوغنده سنة ١٩٠٠ بمقتضى شروط معاهدة تسمى : « اتفاق أوغنده » ، وهي معاهدة كفلتها الملكة فكتوريا ، وتلا ذلك وصول السير هاري جونسون مندوبا خاصا وأقام صرح الادارة القائمة بها حاليا ، وقد احتفلت اذ ذاك مجلة « بنشن » بهذا الاتفاق ، ونشرت صورة هزلية لجون بول وهو يرقب في تبرزم وشعور بالرضا ، طفلا افريقيا جديدا يولد بين ذراعيه .. ولقد أصبحت المحمية بعد ذلك مشكلة من أربع ممالك قوية ترتبط بمعاهدات مع بريطانيا ، وتعتبر بوغنده أكبر تلك الممالك وأهم مديرياتها . أما الحكم في المحمية فتكون من حاكم ومجلس تنفيذي وآخر تشريعي .

ولقد كان لبريطانيا أسلوبها الخاص في ذلك ، ابتدعه اللورد لوجارد الذي يعتبر من أبرع بناء الامبراطورية البريطانية فقد أنشأ في أوغندا نظاما يقتضى أن يتولى فيها البريطانيون

مناصب الحكم ، بينما يقوم الافريقيون بالعمل ، ويتحملون مسئولية الاعمال البغيضة مثل : جمع الضرائب . وينفق البريطانيون ما يجمع من أموال من أجل الادارة المحلية . وقد لام ذلك الحكم غير المباشر ويتجاوب مع هدف بريطانيا ورغبتها في التمكن من استقرار الحكم البريطاني ، لممارسته بين قبائل ذات تقاليد متأصلة في الزعامة .

وبجانب ذلك حاولت بريطانيا تسير دفة اقتصاد البلاد بشكل يتجاوب مع البيئة في شكله ويمكنها في موضوعه من وضع ثمرات الاقتصاد في يدها .

نشأة الحركة الوطنية :

يعمل النظام السياسي البريطاني على تنمية النزعة الاستغلالية الكامنة ، ويهيئ الفرصة للسكان للتدريب العملي لادارة شئونهم ويعاون على الاحتفاظ بالنظم الافريقية مما كان سببا كبيرا لانماء النزعة الوطنية ، فقد كانت أساليب بريطانيا في ادارة اقتصاد البلاد عاملا مهيئا لنمو هذه النزعة التي تمس كيان السكان مسا مباشرا .

فلقد كان للاقتصاد كما كان لغيره اثره في قيام الحركة الوطنية في افريقية وهو اقتصاد يقوم أساسا على الزراعة والارض ، والمعادن والمناجم . وقد لعب كل من هذه الالوان دوره في افريقية : كل بلد حسب نوع الثروة المستغلة به ، وكان دور الزراعة كبيرا في أوغندا ، اذ الزراعة هي أساس الاقتصاد في أوغندا فتبلغ نسبة مساهمة الأوغنديين في الانتاج الزراعي ٩٤٪ (احصاء

سنة ١٩٥٠) فى حين تبلغ نسبة
الاوروبيين ٦٪ فقط . ولتعليل ضالة
هذه النسبة نقول : انه حين دخل
المستعمرون افريقية وجدوا الاحوال
الزراعية تسير فيها على أساس المنهج
البدايى المعروف بالزراعة المتنقلة .
ومعنى ذلك أن المزارع كان يفلح قطعة
من الارض عددا من السنين ويتركها
بعد أن يضعف انتاجها ليفلح غيرها ،
تاركا أرضه الاولى للشمس والمطر
والراحة ، لتعود اليها امكانياتها
الزراعية ، ثم يعود اليها بعد فترة ،
تاركا أرضه الثانية للعملية نفسها
وهكذا .. ولعل الجهل بهذه النظم
البدايية هو الذى حدا بالمستعمر
الاوروبى الى اصـدار تشريع باسم
قانون الاراضى الخالية ، وبه أصبح
من حق كل أوروبى تملك كل أرض
غير مستغلة على اعتبار أنها ليست
خاضعة للملكية أحد .

أما فى المستعمرات الانجليزية فقد
طبق قانون الارض الخالية فى بعض
المستعمرات ، ولم يطبق فى غيرها ،
ويرجع عدم الاتساق فى السياسة
الانجليزية الى عوامل بيئية ، ففى
أوغندا بالرغم من كونها هضبة عالية
فان الظروف التاريخية لمالك البانتو
المزارعين حول البحيرات النيلية مثل
الباچندا والبتيورو ، وشدة مراس
القبائل الرعوية الأخرى مثل الهيمبا
وقبيلة الاشولى واللانجو Lagn
كل ذلك قد حال دون اقامة وطن
انجيزى فى أوغندا بجانب انتشار
مرض النوم الذى لم يشجع الرجل
الأبيض على امتلاك الاراضى الزراعية
بها .

ولا جدال فى أن بريطانيا فى
محاولاتها توطيد أقدامها فى أوغندا فى
ظل الحكم غير المباشر الذى يبرز
طبيعة الاستعمار السافرة الى حد
كبير ، وفى محاولاتها ترك الاراضى فى
أيدى الوطنيين ، ثم العمل على جنى
ثمارها من وراء مجهوداتهم - كانت
تعمل على استنبات بذور الشعور
الوطنى فى قوة ، وتكوين الشخصية
الأوغندية الحديثة وتهيتها للوثوب فى
وجهها يوما ما .. فلم يستطع هذا
الاستعمار أن يصمد طويلا بحقيقته
المؤلة أمام الوطنيين ، ولم يكن مخلصا
فى توجيه هذا الاقتصاد ، الا لمصلحة
الرأسمالية البريطانية ، مما نـمى القلق
فى نفوس الأوغنديين على مصيرهم فى
الوقت الذى كانت فيه بريطانيا من جهة
أخرى تمكنهم من الهيمنة على بلادهم ،
وتزيد فيهم النزعة الموروثة فى الاعتداد
بالذات والتطلع الى الاستقلال .

ولقد استطاعت بريطانيا أن تحيل
أوغندا الى مزرعة لزراعة القطن
لحساب المصانع البريطانية ، كما
سيطرت على سائر الحاصلات الزراعية
الأخرى : كالبـن والطباق والشاى .
وقد اقتضاها الامر العناية بطرق
النقل ، فهى تشرف على الزراعة ،
وتهتم بتأميم القطن وتسويقه ونقله
الى الخارج ، وقد نجم عن ذلك قلة
المحصولات الغذائية ، وارتبط
الأوغندى بالاقتصاد البريطانى . كل
ذلك كان من طبيعته أن ينمى القلق
فى نفوس السكان لانه لن يكون
مصدر خير لهم فى جوهره ما دامت
لا تسيطر عليه أيد أفريقية ، ولا يقل
تحكم الادارة الاستعمارية فى التعدين

فى اثاره هذا القلق عن تحكمها فى السيطرة على القطن وغيره .. لذلك فان وسائل الحكم البريطانى اذا كان من طبيعتها أن تمكن بريطانيا من جنى الثمار العاجلة ، فانها كانت تهيب الوطنيين للوثوب يوما فى قوة فى وجه هذا اللون من الحكم القائم على الدهاء والاستغلال .

وقد شعرت بريطانيا بهذا التذمر الذى أخذ يستشري فعلا بين الافريقيين فحاولت توجيهه الى صراع مع الاسيويين المسيطرين الى حد كبير ، على الكثير من الاعمال التجارية وحلج القطن ، ولكنه كان يرمز الى قلق وتذمر موجه الى أصل الداء ، الى الاستعمار البريطانى ووسائله التى تقوم على استرضاء الافريقيين بالوسائل التى لا تمس جوهر أهداف الاستعمار .

ولقد بدا وميض الشعور القومى فى أوغندة ينبجلى خلل الرماد ، ثمرة تفاعل عدة عوامل منها : الابقاء على النظام القبلى ، وتمكين الاوغنديين نسبيا من ممارسة شئونهم الداخلية ، والسماح لهم بملكية الاراضى مع سهولة اتصالهم بالعالم الخارجى مما تمى فيهم النزعة الاستقلالية الوطنية .

وكان موقف بريطانيا فى تسيير دفة الاقتصاد لصالحها محكما قويا لتوحيد مشاعرهم القلقة ونموها ، وازدياد الرغبة فى الاستقلال . وقد تجلّى ذلك واضحا فى علاقتهم بنظام الحكم ومن يمثله فى أوغندة فى كثير من الحالات وحقا لم تكن اذ ذاك أحزاب سياسية بالمعنى المعروف فى أوغندة غير أنه كانت هناك منظمة وطنية سياسية رئيسية ، هى المعروفة بالمؤتمر الوطنى

الاوغندى الذى يزيد عدد أعضائه عن مائة ألف عضو تقريبا .

وبالرغم مما امتازت به أوغندة مدة من عدم التوتر السياسى العنيف فقد نشبت ثمة اضطرابات بين سنتى ١٩٤٥ و ١٩٤٩ ، فاعتيل فى السنة الاولى أحد رؤساء الوزارات .

ولم يكن هدف الحركة قلب نظام الحماية ، ولكنها ان كانت قد بدت اضطرابات موجهة ضد أمراء الاقطاع اليوغندى ، واقطاع الكاباكا أكثر منها ضد الانجليز . فقد كانت مظهرا للآلام المتزايدة التى عمل على ايقاظها انتشار أضواء المعرفة الحديثة بين ربوعها مما مكنها من روح النقد والاحتجاج .

أما زعماء المؤتمر فقد كانوا من الوطنيين الذين يدركون أهمية الاصلاح فلم يأخذوا ما شاء كوهين حاكم المحمية أن يدخله من الاصلاح الديمقراطى للمجلس التشريعى دون نقد ، وانما شكوا من أنهم لم يستشاروا فى ذلك واتهموا اصلاحاته بالسطحية والمظهرية وبأنها تحمل بين جنباتها الرياء ، بل اعتبرت ذلك محاولة للتفريق بين أبناء أوغندة .

ولقد أثار استقلال السودان نيران الوطنية الاوغندية اذ يعتبر البوغنديون أنفسهم على مستوى السودان نفسه من حيث التقدم ولا غرو فاحساسهم قوى نحو العدالة والديمقراطية ، كما أنهم على درجة لا بأس بها من الحضارة - وان كانت أصولها غربية - بالنسبة لجيرانهم

وقد حدث فى يونية سنة ١٩٥٣ أن ألقى لتلتون وزير المستعمرات

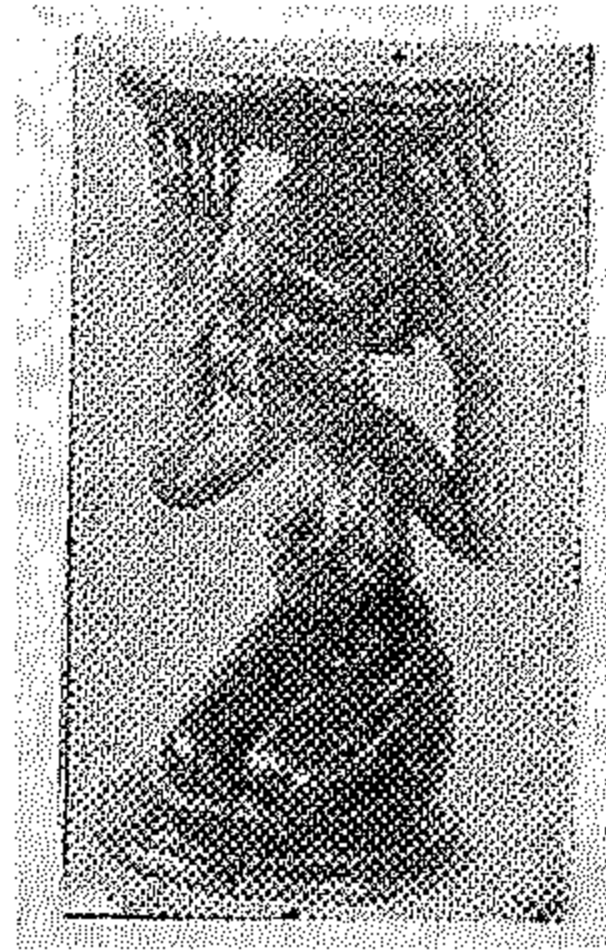
البريطاني خطابا في لندن ، ذكر فيه عرضا أن شرق أفريقية قد يتحد يوما ما اتحادا فيدراليا ، وبمعنى آخر أن كينيا وتنجانيقا وأوغندة قد تلتئم جميعا في اتحاد . وقد كان تأثير ذلك في نيروبي كبيرا .. اذ بدا منه اتجاه بريطانيا لإنشاء مستعمرة بيضاء في شرق أفريقية ، وجاء رد الفعل في أوغندة سريعا وعنيفا وخاصة عند البوغنديين الذين خشوا ضمهم بالقوة الى كينيا أن يتحولوا الى الخضوع للمستوطنين البيض ، فطالب الكاباكا « هلك » بنوع خاص من الاستقلال لبوغندة ، ليضمن لها عدم الانضمام الى بلد آخر . ورفض بهذا التعاون مع كوهين .. فما كان من كوهين الا أن عزل الكاباكا في ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٥٢ ، فأحدث ذلك قلقا شديدا في بوغندة .

وتحت ضغط الظروف السائدة تراجع البريطانيون أخيرا وأعلنوا السماح للكاباكا بالعودة الى أوغندة ، وكان قد رحل من قبل الى لندن . ولكن بشرط أن يوافق البوغنديون على شروط أهمها بقاء بوغندة جزءا من أوغندة ، وقبول الكاباكا الاوضاع الدستورية ، ولكن بالرغم من ذلك لم يهدم الشعب بل أعلن غضبه وسخطه من الحكم البريطاني القائم ونواياه .. عندئذ مضت بريطانيا في استرضائهم

فحاولت زيادة أعضاء المجلس التشريعي سنة ١٩٥٤ لتسترضى هؤلاء الثائرين فرفعتهم من ٣٢ الى ٥٦ عضوا كان منهم عشرون أفريقيا بدلا من ثمانية ، ثم أعلن بعد ذلك وزير المستعمرات في مجلس العموم في ٢٢ يولية سنة ١٩٥٥ أن الخلاف الاساسي حول دستور بوغندة قد تم حله ، وأن الكاباكا سيعود في أقرب فرصة الى بلاده .

ولقد كشف موقف بريطانيا من الكاباكا عن طبيعة الحكم البريطاني الجارح ، فتمى ذلك من القلق والبرم الموجه نحو الاستعمار البريطاني ، فقد بدا للوطنيين البوغنديين سوء نواياه . وفي ظل ذلك أخذ البريطانيون يواجهون محنة وحيرة في حكم البلاد لقد أصبح للأوغنديين قضية وطنية يجدون في حلها بما يحقق أهدافهم ، أما أعز أمانيهم فاقامة جمعية تأسيسية ينتخبها الشعب ليمارس بها سلطاته ويكسح عن طريقها نير الاستعمار .

وأقصد كان للثورات التي اشتعلت في البلاد المحيطة بأوغندة من أجل التحرر ، آثارها في اشعال جذوة هذه الروح ودفع الحركة الوطنية الى الامام والتحرك للوثوب في وجه الاستعمار البريطاني الغاشم ، لتزيح عن صدرها أثقاله الجاثمة ، وتستقبل أوغندة عندئذ الحياة الحرة الكريمة .



وهذا خلاف النص الأدبي الشفوي، أو
الآحن الموسيقى المتغير .

من أجل ذلك أصبح من اليسير إلى
حد ما ، وعن طريق فن النحت
وحده ، أن نعرف في العصر الحديث
التراث الإفريقي من عصر قديم .
وقد كان لحركة الاستكشاف الأوربي
في أفريقية في العصر الحديث أهميتها
في معرفة العالم بهذا التراث ، وإن كان
العرب قد سبقوا أوروبا في معرفة
أفريقية ، إلا أنهم لم يهتموا كثيرا
بمعرفتها عن طريق الفنون بقدر
اهتمامهم بنشر الإسلام مثلا ، وحتى
الأوروبيين أنفسهم لم يبدؤوا في بداية
الأمر اهتماما بهذه الفنون . فنحن
نعرف أن البرتغاليين قد دخلوا مدينة
بنين ، وهي عاصمة مملكة بيني
القديمة المعروفة حاليا باسم نيجيريا،
وذلك سنة ١٤٧٢ وحملوا من هناك
كثيرا من التماثيل وغيرها ومع ذلك فلم
نجد لهم بها عناية ، حتى عرفتها
المتاحف الألمانية في مدينة (ULM)
في القرن السادس عشر .

وقد تبع حركة الاستكشاف حركة
أخرى هي الدراسات «الانثروبولوجية»
التي حاولت أن تخدم العلم بمعرفتها
مختلف الظواهر الإنسانية في القسرة
كما خدمت الاستعمار عن طريق
معرفة الشعوب معرفة جيدة سهلت
للمستعمرين قيادتها وتوجيهها . وقد
قامت التماثيل بدور ذي بال في هذا
الشأن ، لأنها كما قلنا تحتفظ بتاريخ
طويل يكشف عن طبيعة التراث
البشري في المنطقة ، ولأنها من ناحية
أخرى أصبحت أكثر المواد الفنية
توافرا في بعض المناطق ، « لان دخول



للأستاذ حلمي شعراوي

الحياة الإفريقية زاخرة بالفنون
كما هي زاخرة بالعقائد والطقوس ،
وكما شكل الإفريقي معتقداته وأديانه،
كذلك شكل الكلمة والصوت والمادة ،
وكما صدرت عنه الموسيقى والغناء ..
الخ ، فاحتفظت كلها بروحه وعكست
أنماط حياته ، كذلك صدر عنه فن
آخر كان أكثر قدرة على الحياة وذلك
لبقاء مادته ورسوخ تقاليده من ناحية ،
ولارتباط مضامينه بأكثر ما يدور
عليه فلك الحياة الإفريقية من معتقدات
ومقدسات من ناحية أخرى .. ذلك
هو « فن النحت » .

وقد كان هذا الفن من أكثر الفنون
التي خدمت حضارات إفريقية من
حيث تعريفها للعالم الخارجي ،
ف نماذجها وجودها الخارجي عند
صانعيها ، ويمكن للغريب أن ينفرد
بها لدراساتها ، كما أنها نماذج
محسوسة يمكن أن تثير التساؤل
المباشر والفهم المباشر كذلك ، وفوق
هذا فإنه يمكن الاحتفاظ بها حتى
يتناولها أكثر من باحث بالدرس ،

كثير من القبائل في دين الاسلام مثل قبيلة « سينوفو » أو « باجا » غرب أفريقيا جعلهم يعتبرون التماثيل اوثانا يجب التخلص منها ، ولذا اخذوا يبيعونها للانشروبولوجيين والموظفين الأوروبيين « كما يقول اليوت اليسوفون (مجلة اطلانطيك) وسهل ذلك عليهم بالطبع دراستها ، اذ ان فنا كالموسيقى أو الغناء كان يعتبر أحيانا من الطقوس السرية التي يجب الا يطالع عليها أحد ، كما حدث ذلك نفسه لبعض نماذج من التماثيل . ثم اخذت متاحف أوروبا بعد ذلك تعنى بجمع نماذج هذا الفن . ومن أهم هذه المتاحف المهمة بجمع أعمال المثاليين الافريقيين : « متحف الجامعة في فيلادلفيا » و « متحف الفن البدائي في نيويورك » ، كما أن هناك متحف « جوس » في نيجيريا نفسها ، وهناك قسم الاتنوجرافيا بالمتحف البريطاني ، ومتحف الانسان في باريس .

ومما زاد في أهمية فن النحت الافريقي بين الفنون الأخرى في هذا العصر بالذات أنه هو والموسيقى يؤثران في الفنون الحديثة تأثيرا ملموسا ، وتشهد أعمال كبار الفنانين في العالم بذلك . ولئن كانت موسيقى ((الجاز)) هي اللون الفني الذي يكشف عن أصل أفريقي بوضوح ، فإن النحت لم يبد في شكل معين مثل الموسيقى ، وإنما كان للنحت الأفريقي أثره على أعمال كبار الرسامين والمثاليين أمثال بيكاسو وبراك ودبراك وماتسي . الخ ، وكان ذلك هو أكثر ما لفت النظر الى الفنان الأفريقي المثالي .

ومن الجدير بنا ان نتناول « تكنيك » هذا الفن بالدراسة حتى نرى فيه ما جعله موضع نظر الفنانين العالميين ، ولكن ذلك كان يعتبر تجاهلا لما وراء هذا التراث الفني من تراث عقائدي هو الذي وهبه هذا الوجود وكما أن العقائد المصرية القديمة هي التي تكمن وراء الاهرامات والتماثيل الضخمة ، كأعمال فنية خالدة ، فإن وراء التماثيل الأفريقية كذلك عقائد من هذا النوع ، حري بنا أن نعرفها حتى نتعرف أولا على مضمون الفن قبل أن ندرس شكله ، ولذا خصصنا هذا المقال لدراسة المضمون العقائدي لفن النحت في أفريقية على أن نفرد مقالا آخر للأساليب الفنية في النحت الأفريقي ، الا أننا نلفت النظر هنا الى أننا نركز بحثنا على غرب أفريقية ، لما لاقتة هذه المنطقة من وفرة في دراسة معتقداتها ، وفن النحت فيها على وجه الخصوص .

ذلك أن الافريقي تغلف عقائده كل شيء في حياته . ولئن كانت بعض التماثيل ليس لها مضمون خاص ، الا أنها « لعب » أو « غرائس » للأطفال أو نوع من الزينة الشخصية أو الاستخدام المنزلي أو اتخذت منها « الأقنعة » المنحوتة التي تستخدم في التهريج ، فإن الأمر ليس دائما كذلك ، لأن الافريقي يقع تحت رحمة « اعتقاده » في هذه التماثيل في كل لحظة من حياته ، بل وقبل مولده . فأمه تصلي خلال حمالة لتمثال يمثل « حامى الطفل » الذي لم يولد بعد ، وتصلي لتمثال آخر ليساعدها خلال الولادة ، وثالث يقبع خارج الكوخ ،

وإمامه طاسة لمساعدتها حين تعجز عن العمل . كما نرى تمثالا آخر وضع لمراقبة الطفل عند ولادته ، فإذا ما كانا توأمين فإن تمثالا آخر وجد لحمايتهما مما يصيبهما من المكروه . . . كما أن أغشية الأواني تصاغ في شكل توتم أو حيوان خرافي ، يعتقد أنه يحمي ما في الإناء من طعام ، كما يحمي آكله .

ويتجه بعض الكتاب الفنيين حين يناقش أثر المعتقدات على الفنون في أفريقية إلى اتهام هذا الأثر بأنه يضيق مجال الفنان ، كما يضيق من وجهة نظره ، ويجعل لديه من المسببات العقلية والانفعالية ما يفسد « الجمال الفني » البحث ، ولكن هذه القضية لا تبدو سليمة لأول وهلة ، ذلك أن العقائد الدينية أو غير الدينية عند شعوب أفريقية - غير الموحدة - إنما تصدر عن مفاهيم شعبية عن الوجود والطبيعة ، أو تصدر عن شاكل اجتماعي معين يفرض أنماطا من السلوك والاعتقاد والفنون ، وهكذا نجد أن المعتقدات انعكاس لطبيعة الحياة ، والفن إنما يأتي كذلك ، وهذه قضية لاتعيب الفن في شيء وهي نفسها التي تكاد تكون صلب القضايا الفنية الاجتماعية اليوم . ثم إن العقيدة - في رأي سيجي - وإن كانت تضيق مجال الفنان إلا أنها تركز انفعالاته ، فيبدو ذلك في قوة تعبير التماثيل . كما كان لبعض العقائد أثر في خلق أساليب فنية بعينها أو ألوان فنية خاصة لاداء وظيفة عقائدية مثل أهمية « القناع » في النحت ، وهو لون فني يرتبط بعقائد سحرية، ونظم الجمعيات

السرية القبلية ، كما نستري بعد .

وأسلوب النحت المصرى وهو الأسلوب الفنى العريق ليس صادرا عن « اتجاه جمالى » خاص بالمصريين فى ذلك الحين ، وإنما هو صادر عن طبيعة المعتقدات المصرية حينذاك . حتى أن كاتباً مثل « سيجى » فى كتابه عن « النحت الأفريقى » يذكر تشابها بين المعتقدات الأفريقية والمصرية القديمة وأثر ذلك فى النحت فيقول : « لقد اعتقد المصرى فى بقاء الروح وجسمها فى التماثيل ، كما يعتقد الأفريقى - فى غرب أفريقية - بروحية الأشياء والمادة ، و « روح الطائر المصرى » تشبه روح الحيوان التوتمى الأفريقى ، والتماثيل التى كان المصريون يضعونها فى القبر تشبه فى معناها تماثيل الأسلاف الأفريقيين . وفكرة المصري عن « الكا » التى تمثل الجوهر الخالد الشخصية تشبه فى غرب أفريقية فكرة « النياما » - أى القوة الروحية - (وتسمى كرا Krà عند الأشانتى) .

وكما نظر المصريون إلى الرأس كمركز للقوة الروحية ، وضخم مثالوهم رأس التماثيل ، كذلك فعل مثالو غرب « أفريقية » . وهكذا نجد العقيدة فى جهتين من أفريقية حين تتشابه تنعكس بصورة متشابهة على فنونها وهو أمر جدير بالاعتبار ما دمنا لانستطيع أن ننكر القيمة الفنية للتراث المصرى فى النحت مثلا .

من أجل ذلك كله سنعرض لأهم العقائد عند قبائل غرب أفريقية - كمثال قد يكون عاما أو خاصا - باعتبار أن هذه العقائد نتاج لعقلية أفريقية ، تصدر عنها الآداب والفنون،

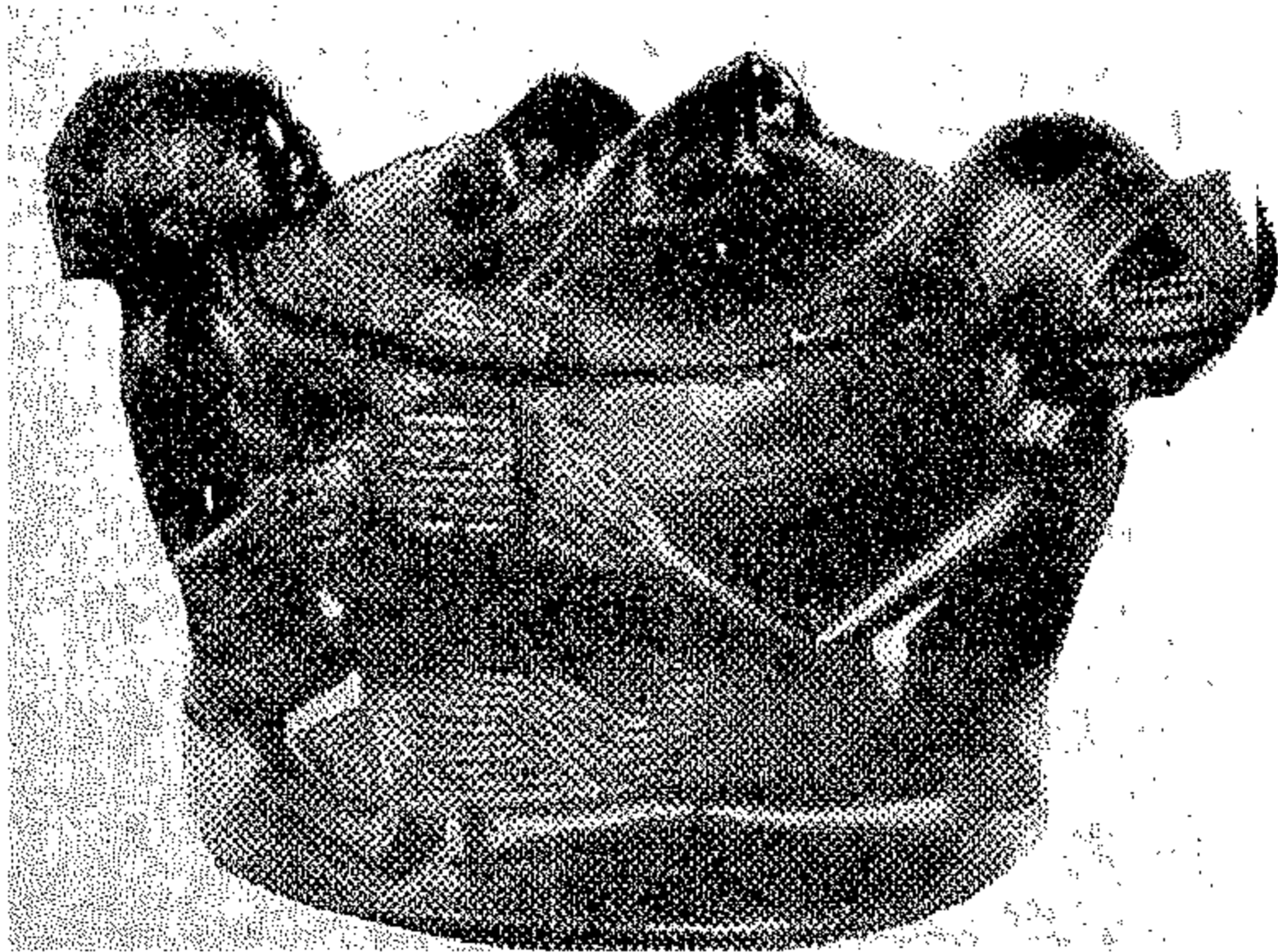
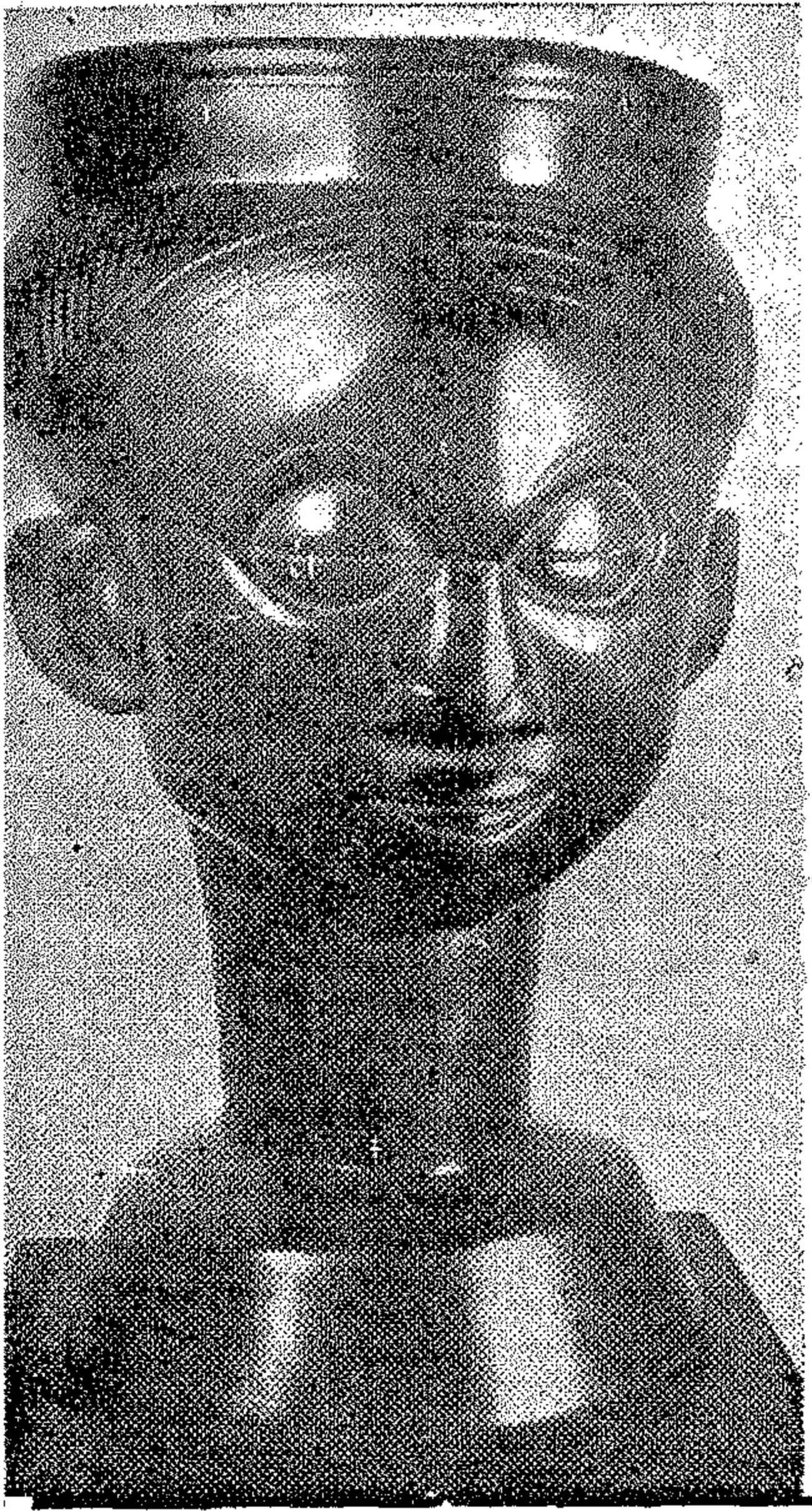
كما تصدر عنها هذه المعتقدات :
 « ولیم فاج » للروح العامة
 للعقلية الأفريقية التي تتمثل في حيوية
 الألوان الفنية قائلًا : ان التفكير الأفريقي
 مشروط بأفكار الأفريقيين عن طبيعة
 الوجود ، ونظريتهم في ذلك : أن
 الوجود « عملية » وليس « حالة » ،
 وطبيعة الأشياء في حركتها أو طاقتها
 لا في مادتها . وقوى الروح الانسانية
 أو الحيوانية أو النباتية أو في مختلف
 العوالم يؤثر بعضها في بعض ، وعن
 طريق استخدام هذه الأرواح يمكن
 للانسان أن يؤثر في حياته الخاصة أو
 في حياة الآخرين .

هذه الفكرة العامة تؤدي بنا الى أن
 نفهم روح العقائد بعد ذلك وخاصة
 اذا عرفنا أن هناك طرفين مهمين تتمثل
 فيهما هذه الروح العقلية ، الطرف
 الأول هو الاتجاه الروحي أو الحيوي
 Animism ، وما ينتج عنه من
 معتقدات السحر والتمائم .. الخ .
 والطرف الثاني هو عبادة الأسلاف ،
 ويكاد يكون بدوره نتيجة للطرف الأول
 لا مقابلا له . ولكل من هذين الاتجاهين
 أثره في خلق التماثيل واستخدامها
 ومدى الاعتقاد فيها . ولنعرض لكل
 منهما وأثره في شيء من التفصيل :

أولا - الاتجاه الروحي أو الحيوي :
 وهو الاعتقاد بأن « الروح » تقطن كل
 الأشياء - حية كانت أو جامدة -
 والانسان في ذلك مثله مثل الحيوان
 والنبات والجماد . وهذه الروح
 ليست مادة ترى ، وانما هي « فكرة
 وإرادة » كما يقول سيچي . وهي
 نفس الفكرة التي ما زالت باقية الى
 الآن عند الأطفال حين يلعبون

« بالعراس » على أنها « قرينة » لهم
 في الحياة يتحدثون اليها ويشاركونها
 أسلوب الحياة اليومي . ومن الغريب
 أن تتضح هذه الفكرة أكثر وأكثر لو
 تناولناها كما تبدو في فن النحت الذي
 نحن بصددده . فكثر من التماثيل
 يقوم من أساسه على الاعتقاد في
 « الروح » أو « القوة الروحية » أو
 « النياما » كما تعرف في غرب أفريقية
 و « قوة التمثال أو القناع تبدو في
 عقيدتهم - أكثر واقعية من قوة الكائن
 الحي ، وهؤلاء الذين يمتلكون تماثلا
 يعتقدون أنهم يملكون قوة يمكن أن
 تحميهم أو أن يعتمدوا عليها حتى في
 تحسين حالتهم » (ص ١٩ النحت
 الأفريقي) . والمثال لا « يرمز » بتمثاله
 الى فكرة مثل تمثال المسيح الذي
 يقال أنه رمز القداسة ، وانما التمثال
 الأفريقي هو « الروح » نفسها . أي
 أن النحات الأفريقي يعتقد أنه يخلق
 الحياة نفسها ولا يرمز اليها ، ولذلك
 يعتقد أن التمثال له قوة وأثر سحري
 يمكن استخدامهما مباشرة ، ولذلك
 قلنا أن من نتائج الاعتقاد الروحي
 الاعتقاد في السحر ، ومن هنا وجب
 تناوله بالتفصيل .

ثانيا - السحر : السحر يعرف بأن
 يكون للكلمة أو الحركة أو التمثال
 قوة جلب لمساعدة القوى الخرافية
 للانسان أو لتعطيه قوة لتوجيه قوى
 الطبيعة السرية ، فهو فن الاتحاد
 والآفة مع الطبيعة واستخدام أسرارها .
 وقد يكون السحر أبيض ، فيستخدم
 في تحسين خصوبة الأرض أو النسل
 أو دفع سوء الحظ ، أما السحر الأسود
 فيستخدم في إلحاق الشر بالآخرين .



بعض الصور التي توضح جوانب هامة من
قدرة الفنان الافريقي ، وارتباط فنه بمعتقداته،
وبالحياة الاجتماعية من حوله .



وبالرغم من أن السحر يأخذ شكل الاعتقاد على هذا النحو إلا أنه نتيجة لاعتقاد ، وليس اعتقادا بذاته ، فهو يختلف بذلك عن الدين . ومن مظاهر هذا الاختلاف أن الطقوس الدينية تتصل بالأحداث مثل البلوغ والزواج والموت ، أما السحر فيجربى في الأحداث غير المرئية للحياة ، كالمرض والجفاف .. الخ . والسحر عند الأفريقى يحل محل الصلاة في الأديان المعروفة ، التى يقصد بها استجلاب القوة ، والتمثال السحرى الذى لا يحقق هذه النتائج يهشم ويحل محله غيره . وبمناسبة التهشم نذكر أن الأفريقى فى استخدام التماثيل لأغراض سحرية يعتقد أن ما يجريه عليها سيجرى على الأصل ، فإذا شكل تمثال لعجل ثم كسرت رقبتة ، اعتقد أن ذلك يعنى ذبح العجل الأسمى أو الوحش الذى يريده ، وقد يشرح ذلك ما ذكرناه من اعتقاد الأفريقى فى أن التمثال هو الروح وليس « صورة » لها . ويذكر سيجى « أن الانثروبولوجيين قد خسروا عددا كبيرا من أعمال النحت الهامة نتيجة لهذا الاعتقاد . اذ أن كثيرا منها قد حرق أو كسر » .

ثالثا : الاعتقاد فى الأوثان أو التماثل : (Fetishism) والكلمة ليست من غرب أفريقية ولكنها من اختراع العلامة دى بروسى البلجيكى فى مقارنته بين تماثيل العادات المصرية وتماثيل غرب أفريقية ، وقد اشتقها من كلمة « فتاح » المصرية على ما يرى سيجى . وتنطبق كلمة « فتشيه » بالذات على التماثيل ، ولكنها تشمل كذلك كل ما له قوة

سحرية . والأفريقى يخاف من الروح الشريرة أكثر من الوحوش ، ويخاف من « تمثال » الأسد أكثر من الأسد نفسه ، لأنه يستطيع الدفاع عن نفسه ضد الوحوش ، أما ضد « الأرواح » فدفاعه الوحيد هو السحر ، أو قوة الروح الكامنة فى « التمثال » . وأى شئ تؤدى عليه طقوس سحرية يعتبر « وثنا » أو « تميمة » فقد يكون قطعة من الخشب أو العظم أو الحجر .. الخ وتخدم كل « تميمة » غرضا معيناً ، فالمحارب يحتاج الى تماثيل لحمايته ضد الموت بالرصاص أو الفرق أو ضد التمساح ، فيعلق عددا منها حول رقبتة .

رابعاً - استخدام التماثيل فى

العرافة أو الكهنة : وهى ما يعرف برمى العظم أو ما نسميه نحن « قراءة البخت » ، فعند قبيلة جابون مثلاً بغرب أفريقية يمسك العراف بسلسلة مليئة بالتماثيل الصغيرة المصنوعة من العظام ، وتسمى « نجومبو » ويبلغ عددها أحيانا تسعين قطعة لكل منها معنى خاص ، فواحدة على شكل كلب تمثل روح الميت ، وأخرى فى شكل انسان تمثل الطفل ، وأخرى طويلة تمثل المسافر .. الخ . وموضع هذه الأشياء فى السلسلة ، يسمح للعراف أن يعرف مصير الانسان .

خامساً - الميثولوجيا : وهى أساطير

تتضمن تاريخ الشعوب وآدابها بما لم تتضمنه الوثائق . وقد كانت الأساطير موضوعا خصباً « للنحت الرمزى » على ما يرى سيجى . وتحمل الأساطير أحلام القبيلة المعبرة ، ورأيها فى المستقبل ، ومخاوفها ،

وأمجادها . ويحمل الرمز الأسطوري
النابع من « اللاشعور » مفاهيم
روحية وايدولوجية كثيرة . والأقنعة
والزينات في الأعمال الفنية لها أصلها
الأسطوري . وتكون الأساطير مصدرا
لخلق أنماط فنية معينة في النحت مثلا
بسبب التطور الميثولوجي لفكرة الاله ،
أو تتابع خلق الكون .. الخ .

الطرف الثاني : عبادة الأسلاف أو الموتى : لعبادة الأسلاف قيمة كبيرة
عند معظم القبائل الافريقية ، ذلك أنها
تنبع من عدة مفاهيم هامة ، مثل
الاعتقاد في « روحانية الوجود » من
جهة ، وخلود الأرواح من جهة أخرى .
وروحانية الوجود تتمثل في الاعتقاد
في « التوتم » الذي هو أصل القبيلة ،
سواء كان حيوانا أو نباتا أو غير ذلك ،
والقبيلة تتمثل أولا في شيوخها
ورؤسائها الذين يمثلون روح التوتم
ويتوارثونها ، ولذلك يأخذ الرؤساء
مركزا ممتازا يجعل القبيلة عند موت
رئيسها تتبعه بمن كان معه من الخدم
والزوجات والعبيد ليصاحبوه في العالم
الآخر . وكانت رأس الميت تحنط ،
وتبقى أثناء الاحتفالات لأن « القوة
الحية » أو الروح تستقر في الرأس ،
وكذلك كانت تبقى في صورة أناء
يشربون منه ، ومن يشرب منه
يكتسب القوة - قوة الميت - ولذلك
لجأ النحاتون الى عمل تماثيل لرءوس
الموتى ، وبدلا من أن يصحب الميت
الأحياء الذين كانوا معه أصبح ينحت
بعد ذلك أجساما وتماثيل مشابهة .
يمكن أن ترتد لها الروح يوما ما . كما
تصنع تماثيل الأسلاف لتمثل هذه
القوة الحية ، ويعبدها التابعون ،

ويقدمون لها القرابين . ويذكر سيجي
من تقاليد بعض قبائل غرب أفريقية
« أنهم يحتفظون أحيانا بجسد أب
القبيلة ، ولكن جرت العادة أن يقام
له تمثال أو قنصاع ، ويعتقدون أن
التمثال يحتفظ بقوة صاحبه الروحية
ولكن ذلك يحدث بعد أن يقام له
طقس خاص لتحل الروح في مكانها من
التمثال الجديد » ويلاحظ اليسوفون
أن التماثيل التي ينحتها المثالون في
القبائل لأسلافهم تختلف في الحجم
والتنفيذ عن أصولها ، وهو يرجع ذلك
الى أن أساس الاعتقاد في التمثال ليس
لحجمه أو شكله ، وإنما لروح السلف
التي ستحل فيه ، وهي الجديرة
بالاحترام والتقدير . ويختلف ذلك
الى حد ما عن طبيعة التماثيل المصرية
التي كانت تدفن في المقبرة بجوار الميت
لتحل فيها الروح اذا ما جاءت يوم
البعث ولم تجد جسدها ، فتحل في
شبيهه التمثال . ولذلك كان يجب أن
يكون الشبه كبيرا بين الجسم
والتمثال . وسندرس هذه النقطة
بتفصيل أكثر من ذلك حين نتناول في
مقال خاص « الأسلوب الفني » في
النحت .

بقى الآن أن نتناول شكلا اجتماعيا
له في حياة القبيلة أثره ، ذلك لأنه
نتاج لطابع عقائدي قلى معروف ،
ولكنه يكون غنيا بألوان الفنون المختلفة ،
كما هو غنى بالطقوس . ذلك الشكل
هو الجمعيات السرية التي تقوم في
القبيلة على أساس عقائدي ، وتؤدي
دورا خاصا تعتقده القبيلة ، وترضى
عنه بالرغم من سرية حتى على أفراد
القبيلة واحتفاظ السحرة والعرافين به

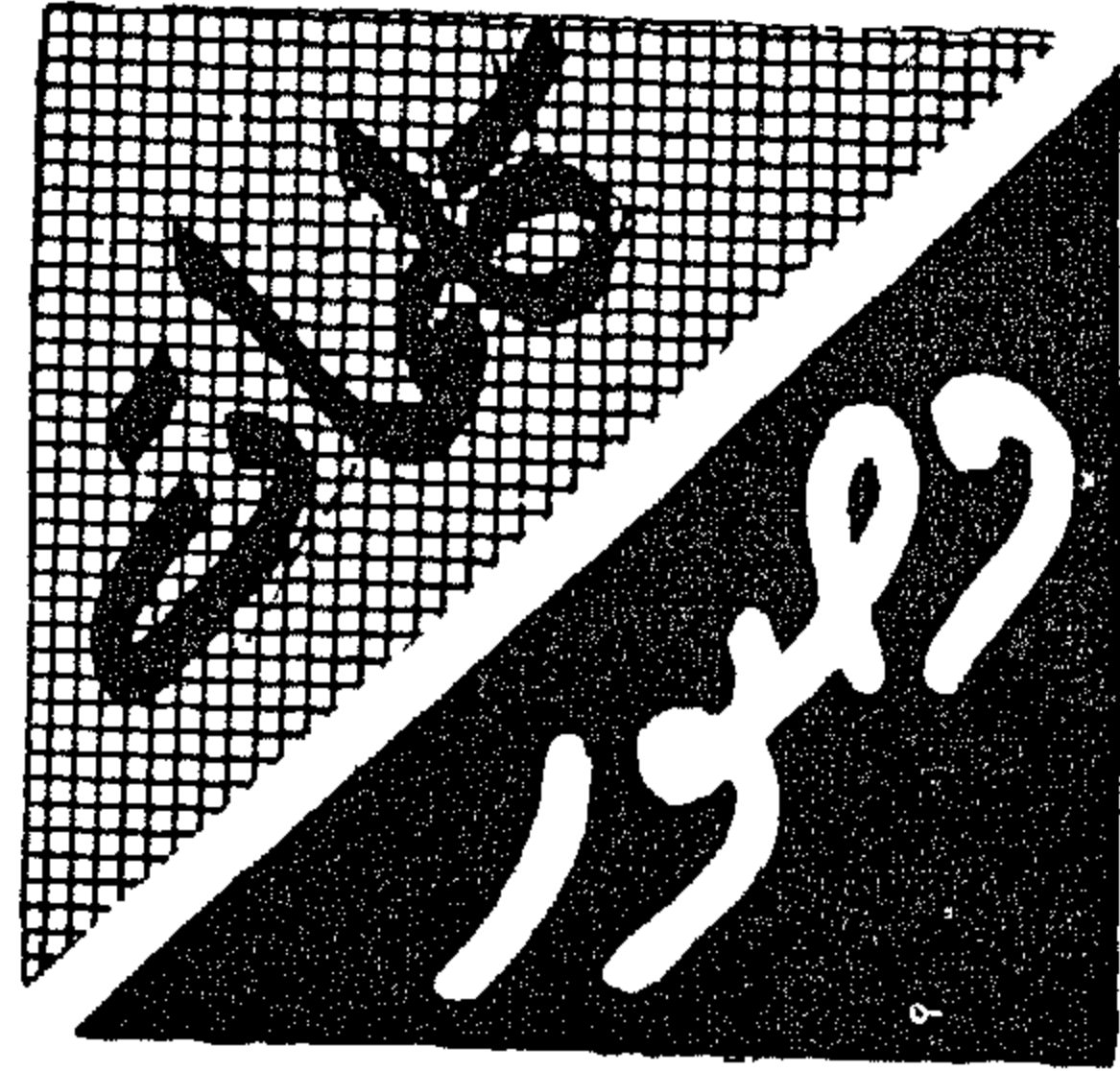
وتقوم هذه الجمعيات بضم أبناء القبيلة من مختلف الأعمار لتعلمهم تراث القبيلة وعقائدها ، كما تقوم بالاحتفال فى مناسبات أعياد القبيلة الاجتماعية مثل احتفالات البلوغ والزواج .. الخ . ويتدرج فيها أعضاؤها درجات يعرف كل منهم المرحلة التى هو فيها ، ويقوم بدوره فى الاحتفال على هذا الأساس . وما يهمنا من هذا الشكل بالنسبة لفن النحت هو أن كل فرد فى مرحلة معينة يلبس « قناعا منحوتا » يمثل مرحلته ، وتصبح قيمة الفرد لا فى شخصه هو ، بل فى القناع الذى يلبسه ، وهو الذى يحدد درجته أمام القبيلة . ويصبح القناع بذلك لا مجرد رمز أو إشارة وإنما تكمن فيه القوة الروحية ، كما تكمن فيه كذلك « قوة القانون » ذلك لأن الأحكام تصدر فى الاحتفال من ذوى الأقنعة الذين يمثلون أرواح الأسلاف . ومن يلبس القناع ، فإن ذلك يعنى التحاقه بالقوة الحامية للقبيلة . وحين يموت صاحب القناع يحل محله شخص من نفس الدرجة ، وبذا تستمر سلطة القانون .

وتبدو قيمة « القناع المنحوت » السحرية فى كل مناسبة اجتماعية هامة مثل احتفال البلوغ مثلا . فعندما يبلغ الصبى هذا السن يلتحق بالجمعية السرية فى القبيلة ، وهذه بدورها تقيم

احتفالا كبيرا تقلد فيه الشاب قناعا جديدا يناسب مرحلته التى بلغها ، ويعنى ذلك أنه أصبح شخصية جديدة جديرة بالتقدير والاحترام الجمعى .

وبعد ، فقد عرضنا الآن لألوان من العقائد الأفريقية ، واللوان من تأثيرها على فن النحت . ولا ينتظر القارئ أن نؤكد له أن المعتقدات هى المؤثر الوحيد على هذا الفن ، وإنما هناك مؤثرات أخرى كثيرة قد يكون منها المناخ أو الموقع الجغرافى أو الجنس .. الخ ، والواقع أن لهذه العوامل جميعا أثرها فى فن كالنحت ، ولكن التراث العقائدى يبدو أثره بشكل ملحوظ ، والإنسان إلى حد كبير نتيجة تراثه الجماعى الذى هو بدوره نتيجة عوامل كثيرة هى « المرحلة الاجتماعية » كما يرى « دوركايم » ، أو هى أساليب الحياة ووسائل الانتاج المادية والتاريخية . ولكن الذى يجعلنا متمسكين بأثر العقائد هو أننا سنبين فى مقال تال كيف أثر ذلك على الأسلوب الفنى نفسه أو ما يسمونه بالتكنيك ، فحجم التمثال ، وطريقة النحت ، ومادة التمثال نفسها ، وأنواع التماثيل .. الخ ، كل ذلك قضايا جديرة بالمناقشة ، لنكشف عن ابداعية الفنان الأفريقى فى تراثه الفنى المتنوع .

ولكن سرعان ما وجد نفسه مدفوعا بقوة الأمواج - كأن يدا تعطيه الحياة - الى احدى الجزر المتناثرة التى ما كاد يراها حتى تهلل الفرح فى نفسه ، ووجد فى نفسه أملا ، وفى جسمه قوة وأخيرا وجد نفسه يصارع الموت من حوله ثم ينتصب فى زهو ، وسعادة مخوضا فى الماء الذى غدا ضحلا تحت قدميه ثم معانقا شاطئ النجاة .



قصة فرعونية :

وفى الجزيرة وجد كل ما يمسك عليه الحياة . فالشمار تتدلى فوق رأسه ، والطيور ، والأسماك يستطيع أن ينال منها ما يشاء ، ولم يكن يعكر عليه صفو حياته الا تلك « الوحدة » القاسية التى كانت تقرض أيامه ، وتكاد تصيبه بالجنون ، وبينما هو يفكر فى حاله سمع دبيب حية ضخمة تقترب ، وتقترب فى هيئة مذهلة للعقل فقد كان طولها خمسة عشر مترا ، وبعد أن استعرضت نفسها أمامه . عادت لترفع رأسها . ثم تقربها منه . ثم .. ثم تقول له فى صوت لم يميزه « من الذى أتى بك الى جزيرتى ؟ » .

وما يكاد الملاح يسمع هذا حتى ينهار على الأرض ، ويحاول الابتعاد عنها ، ولكنها تقترب منه . ثم تفتح فمها . ثم تطبق عليه فى حنو ، وتكرر عليه نفس السؤال .

ويدخل شئ من الأمن فى نفس الملاح فيقص عليها قصة طموحه ، وحبهِ للتوغل فى البحر ، والأمانى التى كان يعقدها على وصوله الى « صوماليا » فتتمسح به فى شفقة ثم تسأله الإقامة معها فيجيب .

من الآداب المصرية القديمة التى تلقى ضوءا على الصلة القديمة بين مصر ، وأفريقية تلك القصة المكتوبة بالهـيروغليفية على بردية فى متحف « بطرسبرج » بعنوان « البحار الفريق » وتدور حوادثها حول بحار مصرى طموح كان يحلم بالسفر الى البلاد البعيدة ، وقد واثته فرصة السفر فى بعثة مسافرة الى الصومال على ظهر سفينة ضخمة يبلغ طولها حوالى ستين مترا ، وقد سارت هذه السفينة فى أمان ، والبحارة عليها فى سعادة غامرة ، يستشرفون بين الحين والآخر بلاد « صوماليا » ، وعندما لاحت لهم من بعيد ، وأضاءت وجوههم البسمات ، ونظر كل الى أخيه مهنئا هبت عاصفة مدمرة اقتلعتهم من السفينة ، وحطمتها فى قسوة ، وعنف .

وقد وجد البحار نفسه وحيدا فى الماء ، ورأى أشلاء السفينة وهى تغوص ، فأسلم نفسه بين الماء للقدر ،

ويجد الملاح نفسه في يوم من الأيام يسألها عن قصتها فتقص عليه أنها كانت زوجة طيبة تستمتع بالحياة وسط زوجها ، وأولادها ، وأقاربها ، وفي يوم من الأيام دفع البحر الى الجزيرة بامرأة غريبة عن أهل الجزيرة وما كادت تستقر فيها حتى أشعلت الفتنة بين الرجال ، والغيرة بين النساء ، والحقد بين الأولاد مما تسبب عنه أن السماء سخطت عليهم ، وكانت علامة سخطها أن أسقطت عليهم شهابا دمرهم جميعا ، ولم ينج أحد من هذا التدمير سوى « الحية » .

وما كادت تنتهى من هذه القصة حتى وجد الملاح نفسه في حزن شديد لمأساتها ولكنها أرادت أن تسرى عنه . فتنبأت له بأن سفينة مصرية ستصل عن قريب الى هذه الجزيرة بعد شهرين ، وأنه سيعود فيها الى زوجته ، وأولاده ، ولن يلاقى الموت الا في وطنه !

فما كاد يسمع هذا حتى انحنى أمامها شاكرا ، ذاكرا لها أنه سينقل قصتها لفرعون مصر ، وأنه سيرسل اليها الكثير من هدايا بلاده ، وبعد شهرين حضرت السفينة ، وتلقى من الحية هدايا كبيرة منها العاج ، والأخشاب ، والقردة فشكرها وسار بفرح الى بلاده ليقص هذه القصة في « مصر » التي خلدها هي الأخرى - اعترافا منها بالجميل - على ورقة بردى .

قصة شعبية سودانية :

كان أحد الماوك المحايين في السودان يملك بغلة ، وكان يطلق سراحها مما تسبب عنه ازعاج المزارعين الفقراء .

فقد كانت تجرى في حقولهم فتحطم الزروع ، وتميل بين الحين والآخر لتأكل ما تجده في شراة غريبة .

وقد اجتمع المزارعون الفقراء ، وقرروا أن هذا الحال لا يمكن السكوت عليها ، وأنهم لابد أن يقوموا بعمل ايجابي يحمي قوتهم ، ورزق أولادهم من هذه البغلة ، وقد اهتموا أخيرا الى أن يرفعوا الأمر الى الملك ، ولكنهم حين فكروا فيمن يقوم بعملية الإبلاغ هذه تجمد لسانهم ، وأوشكوا أن يعودوا الى دورهم منكسرين ، وخيال مزارعهم المحطمة في خيالهم ، ولكن واحدا منهم قال أنا أستطيع أن أكلمه في هذا الأمر فأعجبوا بشجاعته ، وشهدوا له بالشهامة ، والذكاء .

وبينما هم يتبادلون مدحه في حماس قال لهم « ولكن لابد أن نتحمل التبعة جميعا » فقالوا له « وكيف نتحملها جميعا والأمر كله كلمة أو كلمتان ترفعان الى الملك » .. فقال لهم « انى سأقول وحدي الكلمة الأولى ، وعليكم الذى سأقول فيه « البغلة » تكملون انتم « حطمت زرعنا » .

فاتفقوا على هذا ، وساروا في عزم ، وتصميم الى الملك . فلما رأوه سلموا عليه ، وانحنوا أمامه ، ولما سألهم عن طلبهم ، وسبب مقدمهم ، رفع الرجل الأول رأسه وقال الكلمة المصطلح عليها وهى « البغلة » وانتظر أن يتفوهوا بعد أن كررها ثلاث مرات ولكنهم صمتوا . وهنا ضاق الملك بهذه الكلمة التى كررت وصاح فيه « مالها البغلة؟ »

فأجاب الرجل وهو ينظر في وجوه أصدقائه في حرد ، وغضب « أنها يامولاي وحيدة ، وقد جئنا لكم

لتشتروا بعض البغال الأخرى حتى
يتكون منها قطيع كامل » فشكرهم
الملك على هذه الفكرة الطيبة ، وأصدر
أوامر سريعة تقضى بشراء قطيع كامل
من البغال ! .

السلطان تيراب :

يروى أن السلطان «تيراب» سلطان
کردفان كان يحب المرح ، وألوان
الغناء ، والرقص ، وأن الشباب
والشابات كن يجتمعن في بيته للرقص
والغناء ، وفي يوم من الأيام وجد شابا
وشابة ينتحيان جانبا ثم يشيران
إليه ، فدعاهما إليه ، وقربهما منه .
ثم سألهما عن سبب اشارتهما إليه
فقال الشاب «لقد سألتها أن تتزوجني
فقلت : كم تدفع لي مهرا ؟ . فقلت : لها
انى رجل فقير لا أملك قوت يومى ،
ولكنى أملك شيئا كبيرا عزيزا على
هو - السلطان - ثم أشرت اليك -
فهل تقبلين الزواج منى على ما أملك ؟
فقلت : فى فرح غامر وهى تشير
إليك : قبلت المهر والزواج » .

فسر الملك وقال للفتاة : أرضيت بى
مهرا ؟ . قالت : نعم . فقال لها : وهل
تقبلين الفداء وأنا أفدى نفسى ؟ فلما
أجابته بالإيجاب أمر بعقد العقد ،
وأغدق عليهما الأموال ، وقربهما من
نفسه !

الأدب الشعبى :

لم يقف الأدب الشعبى فى المعارك
التي خاضتها البلاد ضد الانجليز
منعزلا ، وانما أسهم مساهمة كبيرة فى
المعركة بلغت السهلة الساذجة ،
وأفكاره النابضة الحرة . ومن هذا
اللون ما كتبه « يعقوب بن صنوع »
أحد رواد الصحافة فى مصر منددا بما

فعل به الانجليز عند فتح السودان ،
ومسجلا لنفسه صفحة خالدة لم
يرسم مثلها لنفسه الأدب الفصيح فقد
كتب فى عام ١٨٨٩ .

«لأبد بلغكم ياخلان، ما فعلته القساة
الانكليشان . بمدينة أم درمان بجثة
محمد أحمد بطل السودان .. الى متى
تحلم على الانكليز يارحمن .. ياما هم
وحوش . ياسلام عليهم متى قدروا
ما يعفوش .

نراهم اليوم يفتحون مقابر الأبطال ،
ويخرجون الميت ويفعلون به أشنع
الأفعال ، وفعلهم ده المشئوم . أجروه
فى المهدي المرحوم ، أخرجوه من قبره ،
وأمام أهله وناسه ، بيدهم النجسة
قطعوا رأسه ، وأعطوه لابن أخى غردون
الجنرال الخسيس ، اللى فى عهد المهدي
مات فى أم درمان فطيس !! » .

مكنسة :

يتميز الافريقيون بالبساطة ،
والعمق فى الوقت نفسه ، ولعل مما
يوضح هاتين الخاصيتين فى نفوس
الأفريقيين تلك الهدية البسيطة التى
تقدمت بها قبيلة الدكتور «هاستنجر
باندا » حين قدم الى بلاده ليقودها فى
معركة التحرر التى تخوضها روديسيا .
اذ أنه ما كاد يهبط من الطائرة حتى
تقدم اليه زعيم القبيلة ، وفى يده هدية
يتقدم بها باسم بلاده ، ولقد كانت
الهدية ترمز الى طرد المستعمرين
بقسوة من البلاد . لقد كانت
« مكنسة ! » .

دكتور وليم ادوارد دى بوا :

من الحركات التحررية التى تدين
لها افريقية ، وتعتبر نقطة ضوئية فى
تاريخ كفاحها تلك الحركة التى قام بها



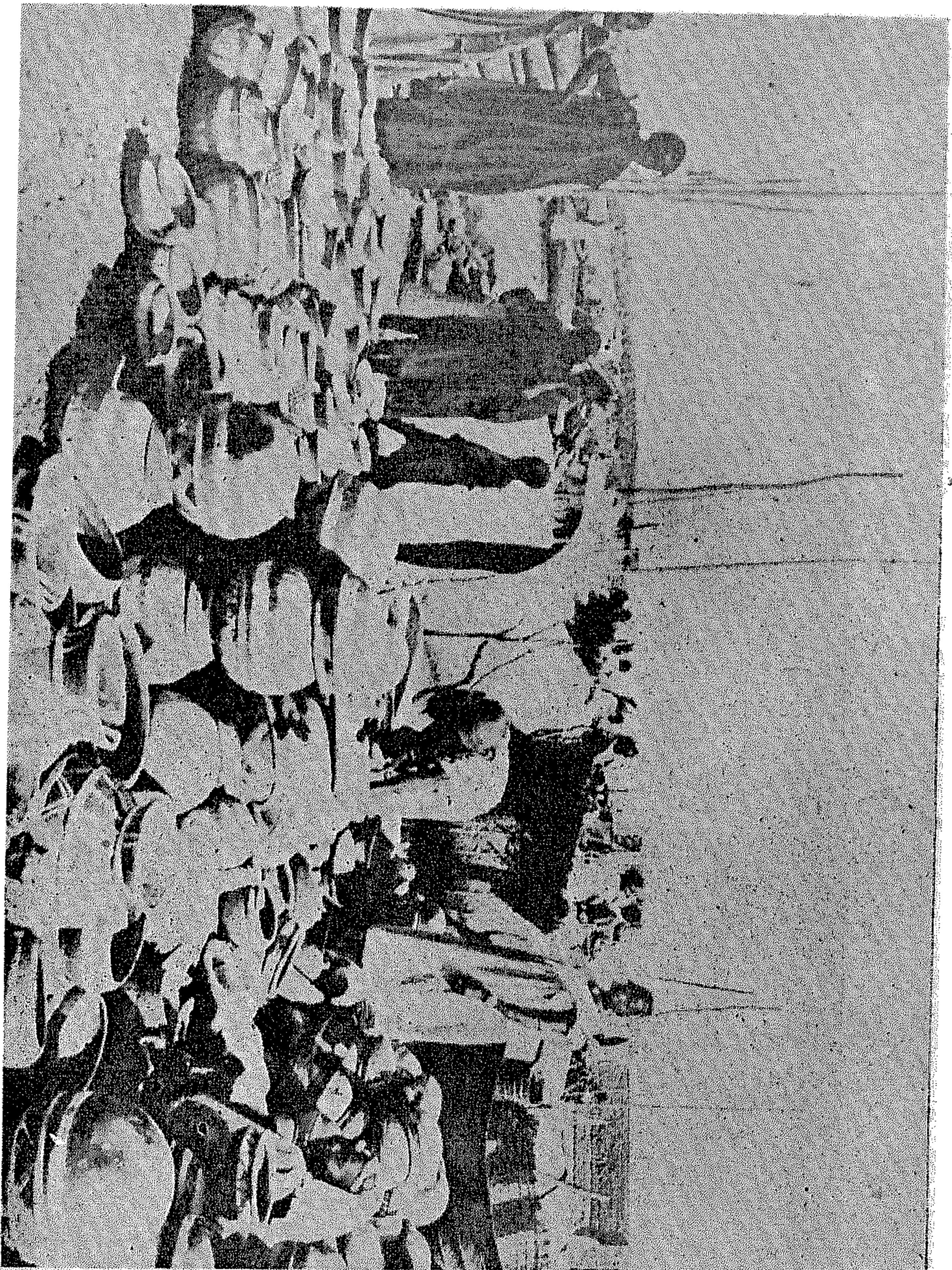
« وليم ادوارد دي بوا » أحد مواليد أمريكا والذي قام بتدريس التاريخ والاقتصاد في جامعة « اتلانتا » فقد شغل نفسه في مطلع هذا القرن بقضية الزنوج المضطهدين في أمريكا على أساس من القانون . فقد ذكرهم بالمادتين ١٤ ، ١٥ من دستور بلادهم الذي يؤكد المساواة السياسية بين البيض والزنوج .

ومن أجل هذا عقد عدة مؤتمرات عام ١٩٠٥ ، وفي عام ١٩٠٦ ، ١٩١٩ ، وفي هذا المؤتمر الأخير ذكر المؤتمرين في باريس أنه بينما كان الزنوج يموتون من أجل قضاياهم . كانت تعليمات الأمريكيين في الحرب تؤكد لجنودها أنه لا يجب أن يتناولوا طعاما مع الزنوج ، ولا يجب أن يصفحهم . إلا بالقدر الذي يسمح لهم باصدار الأوامر ..

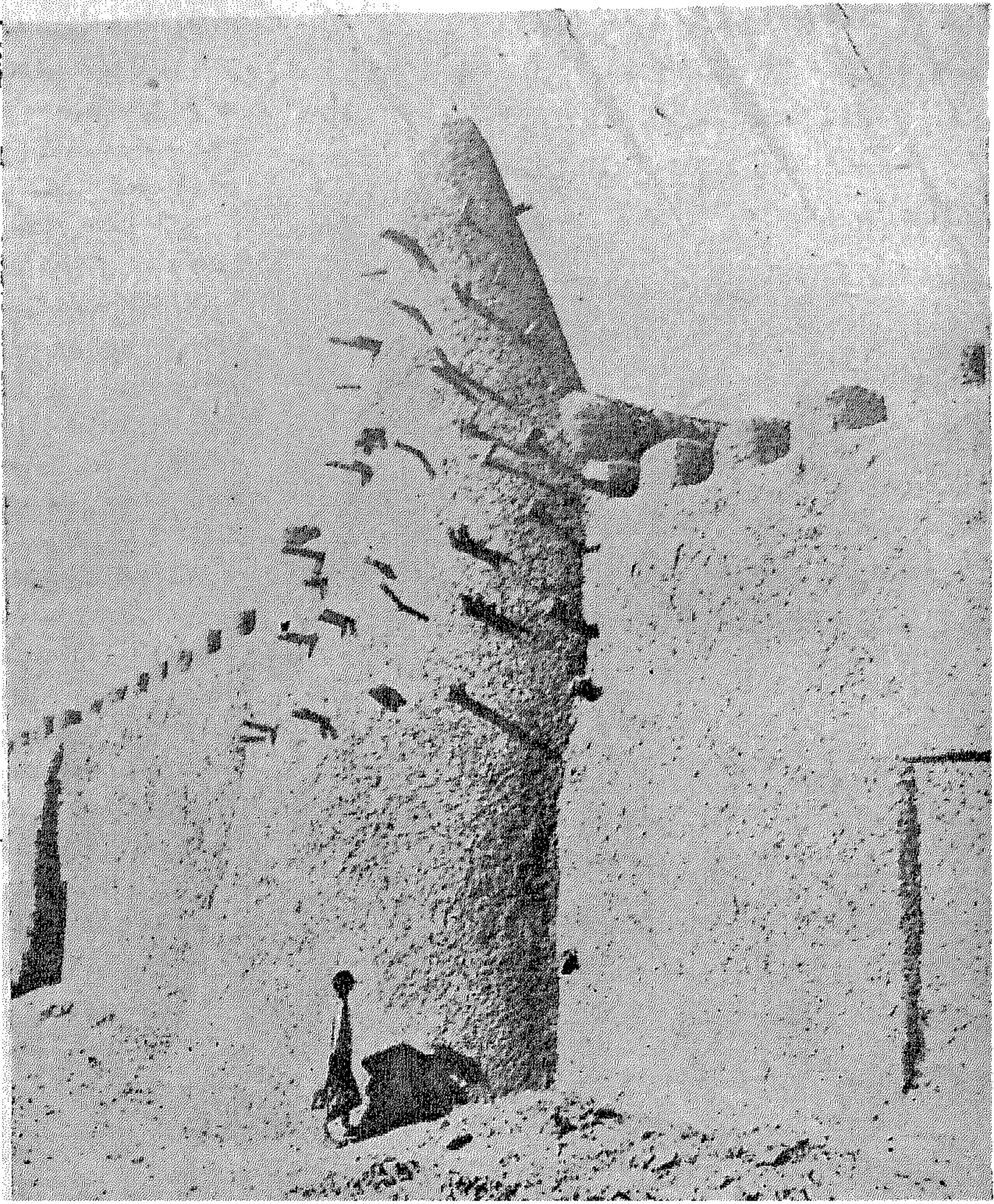
على أنه خرج من دعوته الخاصة بالسود في أمريكا إلى الأفريقيين في بلادهم وهكذا يعتبر دكتور « وليم ادوارد دي بوا » أحد رواد الحركة الوطنية .

دعوة:

وجه الرئيس « جمال عبد الناصر » دعوة إلى كل من الزعيمين الأفريقيين « سيكوتوري » رئيس وزراء غينيا ، والدكتور « توبمان » رئيس جمهورية ليبيريا لزيارة الجمهورية العربية المتحدة . ويتفاعل الأفريقيون بهذه المقابلة ، ويعتبرونها تأكيداً للروابط النامية بين كل جزء من أجزاء افريقية، وخطوة أكيدة في العمل من أجل صالح كل الدول الافريقية .



صناعة الفخار في افريقية



من أنظمة المباني الشعبية



قصيدة:

من أقوى القصائد العربية التي الدكتور محيي الدين صابر التي
تعرض لحقيقة المحنة في كينيا قصيدة يقول فيها:

كلها « ماو ماو » يوم النهضة
فلتذقها « بريطانيا » مرة
جرعة مسمومة في جرعة
طالما احكمت القيد لنا
ثم سامتنا جحيم الدلة
ورمت وحدتنا طاغية
انما قوتنا في « الوحدة »
واستباحتنا جنودا قحما
في حروب ضد الإنسانية
جاء بالانجيل منهم معشر
قيل عنهم من دعاة الرحمة
حرمونا جنة ليست لهم
واستفلوا أرضنا كالجنة
أرجعوها وخذوا انجيلكم !
لنعش في أرضنا الطيبة
شفلت رهبانكم عن ربهم
ضيعة البن ، وحقل الحنطة !
وهوى حكامكم في حماة
ومشت « كينيا » بحكم الرشوة
بعثم اجدادنا قرصنة
امس خلف البحر بيع السلعة !
وبنيتهم هرما من كذب
وجالستم انتمو في القمة
واقمتهم بيننا مجتمعا
همجي الرأس والقاعدة !

استنزاف :

لقد استنزفت بعض الدول
المستعمرة كثيرا من الدول الافريقية،
وقضت على اقتصادها لأجيال قادمة .
ففى « مدغشقر » الآن ترتكب جريمة
في حق شعبها الآن . ذلك لأن الفرنسيين
يغمرون هذه الأرض بطبقة من
المغامرين ينقبون عن « الأحجار
المشعة » التى يكمن فيها ٢٠٪ من
اليورانيوم و ٦٠٪ من الثوريوم حتى
لقد انتشرت بينهم كلمة تكرر على كل
لسان هى « مدغشقر يكفى أن
تنحنى ، وتمد يدك لتكون من الأثرياء »
على أن الجريمة لاتقف عند هذا ، وانما
تتعدى الى السكان أنفسهم لأنهم
يسخرون في جمع هذه الأحجار

الأهالى . ومن العادة أن العامل لا يقوى
على هذه العملية الا مدة معينة
لاصابته بالاشعاع مما يجعله غير قادر
على العمل بعد ذلك .
الله :

بعض القبائل الافريقية تجسم
« الله » تعالى ويرونه في صور متعددة
مرتبطة بتاريخهم ، وواقعهم
الاجتماعى والنفسى فقبيلة « البامبارا »
تراه في صورة كائن مائى يميل الى
الشقرة واللون النحاسى . كما
أن له قدرة على الظهور في عدد كبير
من الكائنات . أما مكانه المفضل اليه
فهو نهر « النيجر » .

ويعلل أهل « توجو » تباعده عن
الناس لأنهم في الزمن الماضى لوثوا
سماءه بأيديهم وأفكارهم القذرة ، وفي
غرب « الكمرون » تسميه بعض
القبائل « نيامبى » ، وقد يسميه
بعضهم باسم « الموت » لأنه يدمر
الحياة ، ويظن بعضهم أنه يعيش في
باطن الأرض بجوار الموتى ، بينما يرى
البعض أن مكانه السماء حيث
لايستطيع انسان أن يصل اليه ،
ويستحسن التبثل اليه حين ينمو الهلال
والدعوة القوية التى توجه اليه بأيد
مرفوعة هى « أنا لست من عبادك
الخشعين ! » ويقولون انه لم يهبط الى
الأرض الا مرة واحدة نزل فيها على
نسيج العناكب حاملا الرجل والمرأة
لاسكانهما الأرض .

أما فى كينيا فيعتقد البعض فى اله
عظيم يسمى «مولونجو» وانه مسيطر
على كل شىء ، وموجود فى كل مكان ،
وان له أربعة عروش أحدها على قمة
جبل « كينيا » !



من ثورات النساء في افريقية

2nd. Year

Issue No. 21 - Aug. 1959



Nahdatu

AFRIQUIAH

IN THIS ISSUE

- CONFERENCE POLICY
IN AFRICA
- ANGLO - GERMAN
COMPETITION IN UGANDA
- RHODESIA AND NYASALAND
- PHARAONIC EGYPT AND
EAST AFRICA
- THE BUSHMEN
- BOOK ANALYSIS

السنة الثانية

العدد ٢٢ سبتمبر ١٩٥٩

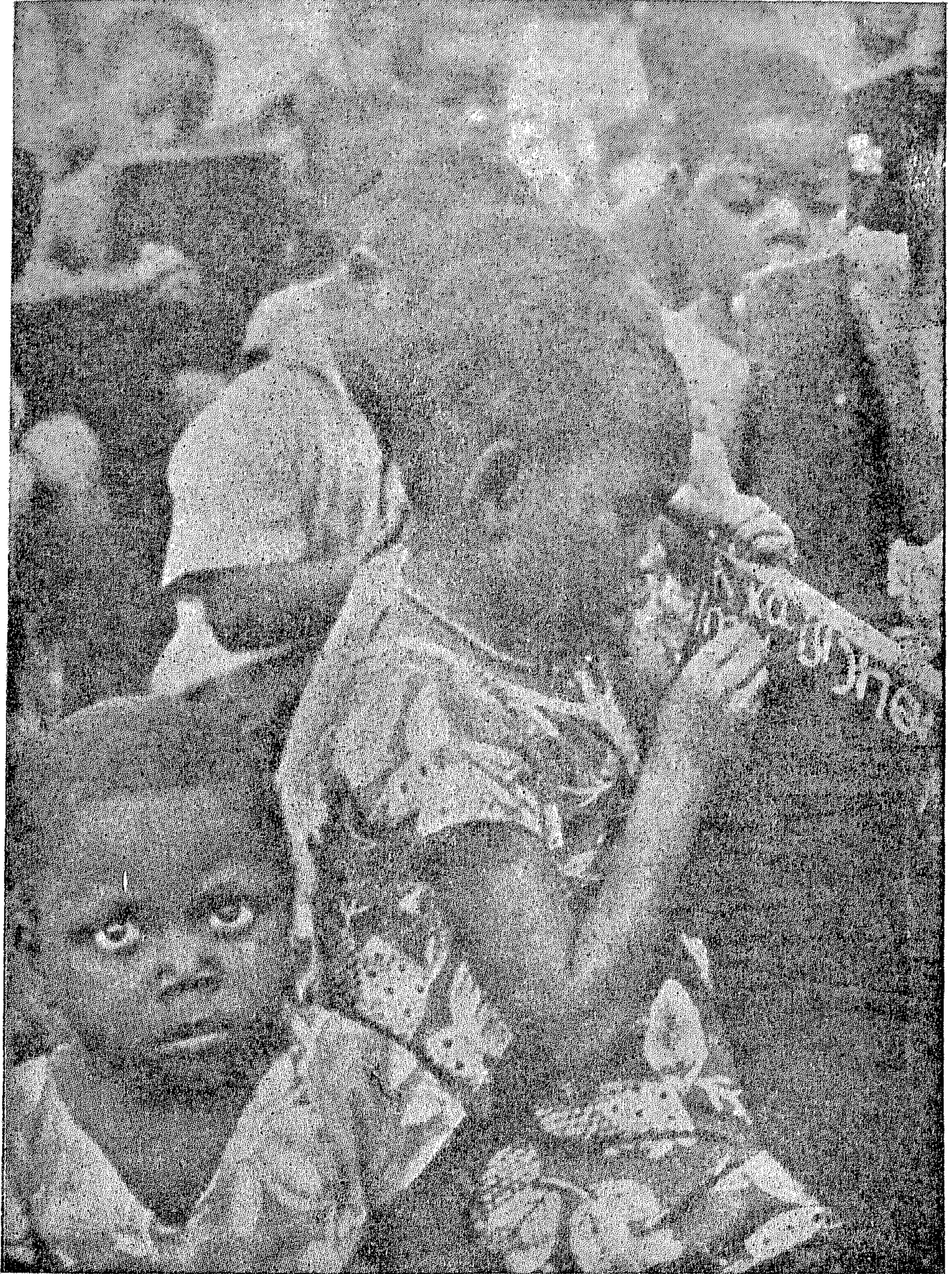


نهضة أفريقية

في هذا العدد

- من أمرا الى مونرويا
- العرب في شرق افريقية
- من القصص السودانية
- من روائع النغم الافريقي
- نقد الكتب

العدد ٣ قروش



تعليم الأطفال في افريقية

نهضة إفريقية

تهدف هذه المجلة الى :

- ١ - تنمية الوعي القومى الإفريقى.
- ٢ - التعارف بين الإفريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .
- ٣ - نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل افريقى فى مجاله الحيوى

وللمشتركين الحق فى :

- ١ - الحصول على المجلة بانتظام وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض.
- ٢ - الافادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الامكان .

● ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .
● ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها . .

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة افريقية
٥ شارع أحمد حشمت - الزمالك
بالقاهرة

تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨

الاقليم المصرى

بالجمهورية العربية المتحدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى

دار أخبار اليوم للتوزيع :

٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا :

لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمن العدد ٣ قروش



نهضة إفريقية
مجلة شهرية
للتقافة الأفريقية

رئيس التحرير
محمد عبد العزيز اسحق

فكرة ..

يغالى بعض الأمريكيين في الترويج لنظرية ((الأجناس)) ، والقول بانحطاط الشعوب الملونة ، ولهم في تطبيق هذه الفكرة التي لا تقوم على أساس علمي مغالاة تحطم القيم المضيئة في قلب الانسان . حتى لقد وقف في يوم من الأيام السناتور الأمريكى ((بيلو)) في الكونجرس مرتعدا حينما ترددت نغمة أن هتلر كان أول من طبق عمليا قوانين التفرقة العنصرية .

فقد ذكر هذا السناتور ((بفخر !)) أن أمريكا سبقت ألمانيا في هذا المجال ، فقد عملت على إبادة السكان الأصليين ، واعتنقت عملية إبادة الهنود عن طريق التخلص من المال في أيام العطلات ، وأيام الأحاد .

وتذكرنا هذه الأفكار المشوهة بالأحداث التي تظهر في أول كل عام دراسي بأمريكا . حين تنادى بعض الولايات في حدة ووحشية بأنه لا مجال للأطفال السود في مدارس تضم الأطفال البيض . متخذة في كل ذلك وسائل يرتعد منها الضمير الانساني ، وقد سمعنا أخيرا أن آخر ((التقلبات)) الأمريكية في هذا السبيل هي تلك التي قامت بها ولاية ((كارولينا الشمالية)) فقد كتبت على الأرض في كل الطرق المؤدية إلى المدارس عبارة ((عودوا إلى بيوتكم أيها الزنوج !)) .

ألا يحق للعالم كله أن يوجهه هو الآخر شعارا للأمريكيين يقول فيه : ((عودوا إلى انسيانيتكم أيها الأمريكيون !)) .

عبد الله بن روى

محتويات العدد

- من آكرا الى منروفيا :
٣ للأستاذ محمد عبد العزيز اسحق
العرب في شرق افريقية :
٧ للدكتور جلال يحيى
من روائع النغم الافريقى :
١٦ للأستاذ سليمان جميل
نقد الكتب :
١٨ للأستاذ عبده بدوى
الجانب النفسى في التفرقة :
٢٧ للأستاذ محمد عثمان
حركات التحرر في افريقية :
٣٣ للأستاذ محمد عبد المنعم يونس
السودان في صور :
٣٩ البحر الأحمر :
٤٣ للأستاذ سمير عطا
جمهورية مالي :
٥٠ للأستاذ بهجت ابراهيم الدسوقي
من القصص السودانى :
٥٣ للأستاذ عباس خضر
كلمات وصور :
٥٥ كتاب الشهر :
٦٣ للأستاذ محمد عبد الفتاح ابراهيم

من أكرأ إلى مونرو وقيا

بقلم: الأستاذ محمد عبد العزيز إسحق

و « التكتيك » العمل الملائم الذي يكفل الانتقال من مرحلة كفاحية إلى المراحل التي تليها مستضيئة بتجارب الماضي وخبرة الحاضر المشترك في صراع الاستعمار .

ولهذا فان انعقاد مؤتمر «(مونرو وقيا)» في أوائل أغسطس عام ١٩٥٩ لم يكن مفاجأة لأحد سواء في صفوف الاستعمار أو في دوائر الشعوب الافريقية المناضلة وانما كان خطوة طبيعية ، بعد «(أكرأ)» ، تتلوه ولا ريب خطوات أخرى قد أخذت براعمها تبدو للناظرين في «(كوناكري)» ، فلن تتوانى «(غينيا)» الفتية النابضة بعناصر الفتوة عن الأخذ بنصيبها المقدور في ميدان التحرر الافريقي ..

ونعود إلى حديث «(مونرو وقيا)» فنرى أنفسنا وقد تأهبنا للسفر من القاهرة ، ولم نجد ، كالعادة ، طريقا جويا مسيرا يخترق بنا القارة من عاصمة الجمهورية العربية المتحدة إلى عاصمة ليبيريا ، بل وجدنا أنه لامندوحة لنا عن الذهاب إلى الغرب الافريقي عن طريق أوروبا ، وهكذا هبطنا روما ، في

حينما اختتم مؤتمر أكرأ للشعوب الافريقية أعماله بقراراته المشهورة التي اتخذها في شهر ديسمبر الماضي ضد «(النزعات القبلية)» و «(الحدود المصطنعة)» و «(الزعامات التقليدية البالية)» وسياسة «(التفرقة العنصرية)» التي أيد فيها شعب الجزائر المناضل ، وأدان سياسة الاستعمار المبنية على الدس والوقية بين ما يسمى «(افريقية البيضاء)» و «(افريقية السوداء)» ، كان من الواضح في أكرأ ، في ذلك الحين «(ان مؤتمر الشعوب)» لم «(ينته)» بإصدار هذه القرارات وب عقد النية وحشد الجهود لتحقيقها وتنفيذها ، وكان في وسع المراقب السياسي أن يرى «(براعم)» مؤتمر جديد تنبثق من فروع هذه الشجرة الفتية القوية العروق التي نسميها «(الوطنية الافريقية)» ..

ذلك أن الشعوب الافريقية وحكوماتها على السواء قد انتزعت لنفسها زمام المبادرة ، وأخذت تضع «(الاستراتيجية)» السياسية

وجعلوا اسم دولتهم ((ليريا)) مشتقا من اللفظ اللاتيني الدال على التحسر من الظلم ، اشارة الى ما كانوا يعانونه في بلاد ((العم سام)) ، ومع ذلك فقد أطلقوا على عاصمتهم اسم أحد الكبراء الأمريكيين فأسموها ((مونروفا)) ، وسموها مقر برلمانهم ((الكابيتول)) تيمنا ، فيما يبدو ، بمقر الدار النيابية الأمريكية ، وأطلقوا على مقاطعات بلادهم أسماء الولايات الأمريكية ، وأقربها الى ((مونروفا)) مقاطعة ((فرجينيا)) .. !

والمدينة نفسها ، مدينة جميلة الموقع تقوم على مجموعة من النتوءات الصخرية المتشابكة التي تطوقها مياه المحيط وتخرقها أنهار واسعة تجري من الأدغال الداخلية الى الشاطئ ، وتتناثر على النتوءات اليابسة بيوت و « فيلات » واطئة ذات سقوف ملونة ، وتتخللها مساحات واسعة متناثرة من الأرض الجرداء التي يهطل عليها المطر أكثر شهور السنة ، وتواز الحرارة المطر فتبعث خمائر النماء النشطة في الأرض الجرداء فتغطيها بالخضرة المتشابكة حيناً ، وبأشجار « جوز الهند » و « نخيل الزيت » الباسقات • حيناً آخر .

وفي صباح اليوم الرابع من أغسطس تقاطرت الى « دار الكابيتول » وفود الدول الافريقية المستقلة ، وتناثر في ممراته وأبائه ممثلو الشعوب التي جاءت تعرض قضاياها وتدعو أخواتها الرشيدات الى أن تأخذ بيدها ، وفي جو من الحماس والتضامن الأخوي ، اتخذ الرئيس الليبيري ((تابمان)) مقعده .

قيظ خائق ، ومن هناك طرنا الى « لشبونه » فوجدنا الصيف القائل أيضا تدعمه رطوبة ثقيلة الوطأة ، وماهى إلا هدأة قصيرة في عاصمة البرتغال حملتنا بعدها مجنحة جبارة أخذت تغلو حتى استقرت فوق السحاب ، وجعلت منه ، تحت أبصارنا ، جبالا وهضابا ووديانا ، بيضاء ورمادية وحمراء ، وجعلتنا نخشى القمم المدببة المنتصبة في جوف السماء أن تلمسها الطائرة فينالها العطب والهلاك ..

وبعد ساعات تزيد عن العشر عددا وتزيد عن الدهور طولا ، هبطت بنا الطائرة في جو معتم عاصف مطير ، فقد انتقلت في خلال تلك الساعات من فصل الصيف في البرتغال الى فصل الشتاء في ليريا ، وعلى ضوء الثريات المرتعشة في مطار « روبرتسفيلد » تحسنا طريقنا على سلم الطائرة ، وكنا وفودا كثيرة التقت بالصدفة العابرة في مطار لشبونه ، وماهى إلا لحظات حتى كانت قوافل السيارات تندفع بنا الى مدينة « مونروفا » التي تبعد عن مطارها الرئيسى بأكثر من ثمانين كيلومترا ، عبر طريق يخترق الأدغال ومزارع المطاط .

وفي نهاية الطريق ، صوب البحر المحيط ، وجدنا « (مونروفا) » ذات التاريخ العجيب والمفارقات الطريفة ، فهي عاصمة دولة هاجر أسلافها تحت ضغط الاضطهاد الأمريكى الأبيض ولجأوا ، طلبا للحرية ، الى الشاطئ الافريقى المقابل ، وجعلوا شعارهم حتى اليوم « (من أجل الحرية جئنا الى هذا المكان) » ،

في صدر القاعة المستديرة التي أعدت للمؤتمر ، وتقدم رئيس وزراء مراكش من منصة الخطابة فأعلن افتتاح المؤتمر واقتراح أن يرأسه ممثل حكومة الدولة المضيفة ، ووقف الرئيس ((نابمان)) فألقى خطابا إنسانيا ضافيا ، وتوالت « خطب الافتتاح » التي استطاع السامعون أن يستشفوا منها الاتجاهات العامة للحكومات الافريقية ازاء القضايا الخطيرة المعروضة على المؤتمر ، وعلى رأسها ((قضية الجزائر)) .

وقد استغرق القاء الخطب الافتتاحية فترتين صباحيتين أعلنت في خلالها ((غينيا)) اعترافها بحكومة الجزائر المؤقتة ، واستنتج المؤتمر ثم استوثقوا بعد ذلك ، من أن الظروف لم تأذن للحكومتين الافريقيتين الباقيتين حتى الآن بالاعتراف بالحكومة الجزائرية ، وهما : أثيوبيا وليبيريا .. بل انه حدث عندما أجمعت الوفود على رفع العلم الجزائري على مبنى المؤتمر ، وقامت فعلا برفعه ، في احتفال مهيب ، أن بادر الوفد الليبيري فأصدر بيانا عاجلا أكد فيه أن مساهمته في هذا العمل لا تعنى الاعتراف بالحكومة الجزائرية ، وأن هذه مسألة لا تزال قيد البحث ...

وبعد يومين من الخطب التي استعرضت الاتجاهات العامة قسم المؤتمر أنفسهم الى لجنتين رئيسيتين : اللجنة الأولى لقضية الجزائر والتفجيرات الذرية ، واللجنة الثانية لبحث القضايا الافريقية العاجلة كقضية الكاميرون ونياسالاند وكذلك لسماع الشكاوى من وفود الشعوب

التي جاءت لتعرض المظالم وأفاعيل الاستعمار في بلادها .

وقد أنجز المؤتمر أعماله بنجاح ، ففازت الجزائر باعتراف دولة شقيقة جديدة ، وتقرر عرض قضيتها من جديد على الأمم المتحدة ، واستنكر المؤتمر تجارب فرنسا الذرية في الصحراء الافريقية ، وأوصى حكومات القارة بجمعها أن تقف بكل الوسائل المحكمة في وجه تلك التجارب الوحشية. وارتأى المؤتمر أن الأوضاع الحالية في الكاميرون تبعث على القلق فان قرار الأمم المتحدة بمنح الكاميرون استقلاله في العام القادم لابد أن تسبقه اجراءات ديموقراطية تكفل عودة الحياة الطبيعية الى البلاد وتطهرها من آثار المظالم الفرنسية وتتيح للشعب أن يختار الحكومة التي يريد ..

وقد أدان المؤتمر سياسة العسف والنفاق التي تتبعها بريطانيا في اتحاد وسط افريقية وفي أوغندا ، وأوصى بضرورة الافراج عن المعتقلين المعذبين في كينيا ، واستمعت اللجنة الثانية لشكاوى مندوب ((أنجولا)) الذي تحدث باسم بلاده وباسم المستعمرة البرتغالية الكبيرة الأخرى ((موزمبيق)) وكشف للجنة عن أساليب البرتغال في الحيلولة دون بحث الأمم المتحدة لقضايا المستعمرات البرتغالية بأن عدلت الدستور البرتغالي ونصت فيه على أن البرتغال ليس لديها مستعمرات ، وإنما هناك « مقاطعات برتغالية هي جزء من أرض الوطن فيما وراء البحار » ... وأخذت تفعل ما تشاء في مستعمراتها ، وتعتبر ذلك أعمالا « داخلية » لا شأن بها للمنظمات الدولية .. واستنكر

التي ترمى بذور التفرقة والشك وتنمى عوامل التبغض بين الدول الافريقية، فعملوا بأقصى ما يستطيعون على الاحتفاظ حتى النهاية بروح التضامن وظهروا أمام العالم أخوة يسعون الى هدف مشترك واحد ..

ولم يفل من عزيمة المؤتمرين كذلك، ما ترامت أنباءه في المؤتمر من محاولات فرنسا وبريطانيا تثبيت أقدامهما في الأقاليم التي تقرر أن تنال استقلالها في العام القادم ، فان فرنسا ، مثلا ، تحاول أن تعقد ، منذ الآن ، اتفاقيات سرية مع بعض الزعماء الموالين لها في « توجولاند » و « الكاميرون » ، وهي اتفاقيات تتيح لها بعد « الاستقلال » أن تحتفظ بنفوذها هناك ، وأن تقيم ما تشاء من « قواعد عسكرية » ...

كما ترامت أنباء المحاولات البريطانية في نيجيريا وكيف نالت « شركة شل » امتيازاً للبحث عن البترول في نيجيريا الشرقية ، على مساحة من الأرض تبلغ خمسين ألف ميل مربع « أى نحو مساحة ليبيريا » ، وأن مدة ذلك الامتياز تسعة وتسعون عاما ..

ولكن الحكومات الافريقية كانت تعلم عام اليقين أن الاستعمار لن يقف مكتوف الأيدي ازاء الحركات الاستقلالية وأنه لن يتراجع بغير قيد ولا شرط وإنما يحاول التثبيت « بالامتيازات » و « الاتفاقيات المتعسفة » ، وهي أى الحكومات الافريقية - موقنة في الوقت نفسه أنه حينما يصبح مصير البلاد فعلا في أيدي شعوبها ، فان تلك الاتفاقيات والامتيازات لن تعدو أن تكون هشيما تذروه الرياح ..

المؤتمر سياسة البرتغال التي تزعم أن مستعمراتها « جزء من أرض الوطن » ثم تشترك مع بريطانيا وفرنسا في جميع المؤتمرات التي تنظم استغلال المستعمرات الافريقية واستعبادها .. ولم تكن ليالى المؤتمر أقل نشاطا وحيوية من أوقات الصباح والظهرة، فحينما انتهت الإجتماعات توالى الدعوات لحفلات التعارف والأمسيات الساهرة ، وهى الحفلات التي بدا فيها ميل اخواننا الليبريين الى الاستمتاع بأطياب الحياة حيثما وجدوا الى ذلك سبيلا ، كما أبدت لنا تمسكهم الشديد بالمراسم والشكليات التي تجبرك على ارتداء ثقل الملابس والتمنطق بشتى الأربطة - فى الجو الذى لا يطيق فيه الانسيان أكثر من جلده حفاظا على التقاليد الغربية المرعية ..

وقد انفض المؤتمر ، وودعنا مونروفا ، فى جو من التفاؤل المعقول، والشعور بأن الحكومات الافريقية قد استطاعت أن تدفع بقضايا التحرر خطوة جديدة الى الأمام ، وأن تتخطى عقبات لا يستهان بها ، فقد اتخذت « غينيا » مثلا قرارها بالاعتراف بالحكومة الجزائرية فى نفس الوقت التى كان يزورها فيه وفد اقتصادى فرنسى لتسوية مشكلات خطيرة عاجلة لها أثرها القوى على الحياة الاقتصادية فيها . ومع ذلك أقدمت غينيا على الاعتراف بحكومة الجزائر ، وزمجت فرنسا ، ولم يوفق وفدها الاقتصادى بعد ذلك فيما قدم بشأنه الى « كوناكرى » ...

ولم يكن المؤتمر يتوقعون أن يكون مؤتمرهم بمنجاة من التيارات الأجنبية

العرب في شرق افريقية

بقلم الدكتور جلال يحيى

اعتزازهم بعروبتهن وباسلامهم .
وسنجد ان هؤلاء المسلمين الافريقين
سيكونون أشد بأسا على أعداء
الاسلام من العرب أنفسهم .

توغل العرب في شرق افريقية
متبعين كل الطرق التي سمحت لهم بها
الطبيعة ، فساروا جنوبا في محازاة
السواحل الغربية للبحر الأحمر بعد
أن فتحوا مصر . وساروا حتى سواكن
ومصوع الحالية ولم يكن هذا السير
سهلا اذ أن عقبات متعددة كانت تقف
في سبيلهم ، ولكنهم واصلوا السير
حاملين معهم العنصر العربى والروح
الاسلامية الجديدة الى تلك المناطق .

وعبر غيرهم « البحر الأحمر » من
جدة الى السواحل الافريقية . كانوا
يحملون التجارة هذه المرة على خلاف
الأولين الذين اشتغلوا غالبا بالرعى .
وهكذا جاءت التجارة لكي تدعم صلات
العرب بشرق افريقية . كانت هذه
التجارة موجودة بطبيعة الحال قبل
مجيء الاسلام وعملت بعد ظهوره على
توثيق الروابط ودعمها بين سكان
ضفتى البحر الأحمر . جاء التجار
العرب بمثل جديدة وبروح جديدة
وشعر الافريقى باخلاصهم وعرف
أمانتهم مما رفعهم في نظره وجعله يميل
الى الانسحاب اليهم والتقرب منهم
وكان أسلم طريق لذلك هو دخوله
نفسه في الاسلام .

عرف العرب شرق افريقية واتصلوا
بها منذ أقدم العصور حتى قبيل ظهور
الاسلام . وعملوا على الاتجار معها
وسارت سفنهم تحمل منها واليها
البضائع في البحر الأحمر وخليج عدن
والمحيط الهندي . وأخذوا ينقلون
التجارة بين بلاد هذا الاقليم من القارة
الافريقية ، وبين الهند وبلاد الشرق
الاقصى .

عرف العرب اذن أهالى شرق
افريقية واتصلوا بهم وتزاوجوا منهم
ونشأ عن ذلك اختلاط بين الأجناس
السامية والحامية في هذه المنطقة ، كما
نتج عنه تبادل الآراء والمذاهب التي
نشأت في كل ناحية من نواحي هذه
المنطقة .

ثم جاء « الاسلام » وساعد على
خروج العرب من جزيرتهم مندفعين
بحماس دينى منقطع النظير شاعرين
بالمهمة التي عهد الاسلام بها اليهم
وكلفهم بها وهى نشر دين الله الحنيف
فى أرض الله الواسعة . وشاءت الظروف
أن تكون الجزيرة العربية جذباء قاحلة
بالنسبة للأقاليم التي تجاورها وساعد
ذلك العرب بطبيعة الحال على عدم
التوقف بل وعلى عدم العودة الى
الجزيرة العربية . فنشأت جاليات
عربية فى أماكن مختلفة من شرق القارة
ثم اتصلت هذه الجاليات بالأهالى من
القبائل المختلفة وتكونت أجيال جديدة
من المخلطين اعتزوا بافريقيتهن مثل

وعبر بعض العرب جنوب الجزيرة
من اليمن الى بلاد «عدل» «والصومال»
وقاموا بنفس الدور الذي قام به
زملاؤهم في الشمال . كان العرب قد
استخدموا هذا الطريق للوصول الى
الحبشة منذ أقدم العصور ولم يكن
بوغاز باب المندب عائقا كبيرا يمنع
العرب من الوصول الى الحبشة أو
الأحباش من الوصول الى جنوب
الجزيرة العربية وان امتداد حكم
الحبشة على اليمن قبيل ظهور الاسلام
وهجرة بعض المسلمين الى الحبشة
لدليل على سهولة استخدام هذا
الطريق .

كان العرب الذين استخدموا الطريق
البرى والطريق البحري الأول في
غالبيتهم من سكان وسط الجزيرة
وغربها ، أما من استخدم الطريق الثانى
فكانوا في غالبيتهم من اليمنيين ولقد
قام هؤلاء اليمنيون بالاتصال ببلاد
الصومال في أسفار موسمية واتصلوا
بغيرهم من شعوب جنوب الجزيرة
والعمانيون ببقية سواحل افريقية
الشرقية حتى زنجبار وموزمبيق .

ومع ازدهار الاسلام كدين ونظام
ودولة زاد نشاط العرب وخصوصا
سكان جنوب الجزيرة في كل البحار
المحيطة بهم ، وسيظهر تفوق العمانيين
في هذا الميدان أكثر من غيرهم
وسيصبحون مع مرور الزمن البحارة
العرب الذين يحملون تجارتهم ويحملون
معهما لواء العروبة والاسلام الى كل
السواحل المحيطة بهذه البحار من
سواحل شرق افريقية وهى ما تهمنا
بنوع خاص حتى سواحل الهند
والملايو والصين . ثم جاءت أجناس

أخرى مسلمة غير الأجناس العربية
ونزلت الى هذا الميدان وأيدت بذلك
هذا التوغل العربى في اسلاميته وان
كانت قد أظهرت استقلالها عنه في
عروبتة .

وصل العرب والمسلمون الى شرق
افريقية زرافات وحملوا معهم ، الى
جانب تجارتهم ، عقائدهم ومذاهبهم
التي سادت في بلادهم نتيجة لظهور
الاسلام وما تلاه من نشوء الفرق
الاسلامية المتعددة .

كان الاسلام في أول أمره يفضل
الاشراف المنتمين الى ذرية الرسول، مما
تسبب في نشوء حركات الشيعة التي
استندت الى حد ما الى نشأة الحركات
الشعبوية اذ أن الشعوب الاسلامية
غير العربية أرادت بطريقة أو بأخرى
أن تتخلص من طبقة الاشراف العرب
خصوصا وأنها كانت تعتبر نفسها
أكثر رقيا ومدنية من عرب الصحراء.
ثم نشأت بعد ذلك الحركات
الديمقراطية الاسلامية التي رفضت
الاعتراف بمركز الاشراف من ناحية
وبالحركات الانفصالية غير العربية من
ناحية أخرى ونادت بضرورة المساواة
وتحكيم القرآن بين الجميع .

وصلت نماذج من هذه الفرق
والمذاهب الى شرق افريقية الواحدة
تلو الأخرى وتحكمت في ذلك عوامل
مختلفة منها الاقتصادي والسياسى
والدينى والزمنى اذ أنها لم تصل في
وقت واحد .

كون العرب مدنا على الساحل
الافريقى أو سيطروا عليها بنفوذهم
ان كانت موجودة من قبل . وكانت
هذه المدن مستقلة بطبيعة الحال
أحداها عن الأخرى وتشبه ، الى حد

بعيد، المدن الحرة التي أنشأها اليونانيون والفينيقيون في جهات مختلفة من البحر الأبيض المتوسط . عملت هذه المدن على الاتجار في منتجات داخل القارة ووسطها ، وكذلك في منتجات الهند والشرق الأقصى . وكان للعرب السيطرة عليها خصوصا وأنهم كانوا هم البحارة الذين ينقلون هذه المنتجات في سفنهم وكانوا في نفس الوقت التجار أى أصحاب رءوس الأموال هذا زيادة على تفوقهم في النواحي المدنية والأخلاقية وفي ميدان العقيدة .

اختلفت هذه المدن الواحدة عن الأخرى في أحيان كثيرة في المذهب أو الفرقة التي تنتسب إليها ولكن هذه الفروق لم تكن ذات خطر كبير على مستقبل العلاقات بين العرب والأفريقيين خصوصا وأن العرب لم يجبروا الأهالي على الدخول في ديانتهم من ناحية وإنما قصرُوا نشاطهم معهم على الميدان الاقتصادي تجاريا كان أو زراعيا . فلم يشعر الأفريقي اذن باختلاف بين طوائف العرب خصوصا وأن الأحداث الدولية تعرض سكان شرق افريقية بما فيهم من عرب وزنوج لأخطار أجنبية عملت على توحيد صفوف العرب وعلى زيادة اتحادهم بالأفريقيين لدفع الخطر الأخير .

كان مجيء العرب اذن الى شرق افريقية يعتبر نوعا من أنواع الامتداد الطبيعي للحركة ظهور الاسلام فحسب، بل ولتقارب هذه المناطق الواحدة من الأخرى وضرورة اتصالها ببعضها اذ أن كلا منها كانت تكمل الأخرى .

شاء الحظ أن ينزل العرب في المناطق

الساحلية التي هي في واقع الأمر المناطق الفقيرة من القارة : تلك السهول الساحلية التي تمتد من شرق السودان شمالا الى بلاد عدل والداقل ثم بلاد الصومال الى الشاطئ المواجه لجزيرة زنبار . ودفع ذلك العرب الى ضرورة التوغل في داخل القارة بحثا عن المناطق الغنية ومنتجاتها وسيكون هذا بداية الاحتكاك الطبيعي بين العرب والشعوب الافريقية . ذلك الاحتكاك الحضاري الذي سترك أثره في هذه الشعوب والذي سينعكس على حياتهم المادية والسياسية فيما بعد .

حاول العرب التوغل داخل هضبة الحبشة وكان من الطبيعي أن يصطدموا بسكان المناطق الجبلية الذين يمتازون مثل العرب بحبهم للحرية . احتك سكان الصحراء بسكان الجبال وحاول كل منهم أن يسيطر على المنطقة . كان سلاح كل من الطرفين هو الدين فأعلنوه ورفعوا رايته عالية لكي يكتلوا وراءهم القوات الشعبية اللازمة للوصول الى أهدافهم . وساعد الموقف الدوي العالمي على اتخاذ هذا اللون من ألوان الصراع . ذلك أن الحروب الصليبية كانت في حقيقة الأمر قد انتهت منذ فترة طويلة ولكن ظهور عصر النهضة في أوروبا واتجاه شعوب هذه القارة نحو البحث عن العالم الجديد وعن طرق المواصلات ودخولهم في حركة الاستكشافات الجغرافية كانت قد أوصلت البرتغاليين الى رأس الرجاء الصالح وإلى المحيط الهندي وإلى الهند . وظهر واضحا أن أوروبا ستحصل على تجارة الشرق الأقصى دون أن تمر في المنطقة التي يسيطر

عليها المسلمون في شرق البحر الأبيض المتوسط . شعرت الحبشة بأن شخصيتها متميزة عن شخصية المسلمين الذين أخذوا يحيطون بها من السودان ومن سواحل البحر الأحمر ومن بلاد عدل . ورأت أن تتصل بدول أوروبا المسيحية وخصوصا البرتغال التي وصل بحارتها في ذلك الوقت الى مياه المحيط الهندي .

كانت الأساطيل البرتغالية قد فرضت سيطرتها العسكرية على موانئ ومدن العرب التجارية على طول سواحل شرق افريقية وظهر أنها المحليف القوى الذى يستطيع مد يد المعونة الى الحبشة . وشعر العرب بدورهم بحركة التطويق والتحكم الذى بدأ البرتغال القيام به في مياه المحيط الهندي وأرادوا التنفيس عن ذلك بسيطرتهم على القارة نفسها والأقاليم الداخلية بما فيها الهضاب . تكتلت قوى المسلمين والعرب في بلاد الصومال وهرر وتوغلت في منطقة شوا وهددت النظام الاقطاعي القائم في أقاليم الحبشة تهديدا كبيرا . وجاء ظهور الدولة العثمانية في ذلك الوقت مشجعا للمسلمين على السير في جهادهم ، فتسلمت الدولة العثمانية مقاليد الأمور في الشرق الأوسط ووحدت بين بلاده في الوقت الذى تحولت فيه التجارة العالمية ومكاسبها من جيوب سكان المنطقة الى جيوب الأوروبيين . وكان من الطبيعي أن تعمل الدولة العثمانية على توحيد حركة الجهاد الاسلامي . مادام الأوروبيون يواصلون رفع الصليب . شارة ورمزا لحركتهم . وعاون الأتراك ، خصوصا بعد استيلائهم على الحجاز

واليمن ، العرب والمسلمون في بلاد الصومال . وكادت هذه الحركة تنتهى بالنجاح وتمكن من فرض سيطرتها على هضبة الحبشة ، الا أن ظروفها الداخلية وخارجية تعاونت على فشلها . ذلك أن قوة العرب والمسلمين لم تكن كافية في حقيقة الأمر للقيام بما وكل اليهم تنفيذه . وكان ضعف الدولة العثمانية البحري وتفوق البرتغاليين ينذر بالنتيجة .

اتصل الأحباش بالبرتغال وحصلوا على الأسلحة وأوقفوا زحف العرب والمسلمين . وكان عليهم بعد ذلك أن يوقفوا تدخل البرتغال الكاثوليك أنفسهم الذين رسموا سياسة تحويل الأحباش من المذهب الأرثوذكسي الى المذهب الكاثوليكي الروماني . ولكن ما يهمنا هو وقف تقدم العرب في بلاد الحبشة من ناحية وسيطرة البرتغاليين على السواحل الافريقية من ناحية أخرى .

انتهت سيطرة العرب والمسلمين عسكريا على شرق القارة . ولكنهم احتفظوا بالتجارة في أيديهم وزاد تقربهم واندماجهم مع الافريقيين الذين شاركوهم المصير نفسه ، من تحكيم الأجنبى في هذه المناطق . واضطر البرتغاليون رغم سيطرتهم العسكرية الى الالتجاء الى العرب للحصول على منتجات داخل القارة ووسطها وسمح هذا للعرب باستمرار الحياة في افريقية رغم فقدهم امتيازاتهم القديمة . .

ضعفت قوة البرتغال البحرية والعسكرية مع الزمن وضعفت معها سيطرتها على مياه المحيط الهندي . ونزل الى الميدان مستعمرون جدد

حاولوا الحصول على ميراث الامبراطورية البرتغالية كما هو . وكان هؤلاء المستعمرون هم الانجليز والفرنسيين ، ونشأ صراع بين المستعمرين الجدد والقدامى، وظهر هذا في نفس الوقت الذي بدأ العرب فيه يستردون قوتهم في شرق أفريقيا وفي جنوب الجزيرة العربية . استفاد العرب من هذا الصراع الاستعماري ومن الانشقاق في صفوف الأعداء المشتركين وتمكنوا من طرد البرتغاليين من موانئ شرق افريقية ومن توحيد السواحل مع منطقة عمان في جنوب بلاد العرب. ولم يتم هذا العمل الا نتيجة لظهور شخصيات عربية متفوقة استطاعت توحيد الجهود والامكانيات ثم تصويب ضربات قاضية للمستعمرين الأجانب .

عمل كل من الفرنسيين والانجليز على السيطرة على الهند وعلى المحيط الهندي وعلى طرق المواصلات البرية والبحرية المؤدية بين هذه المناطق وبين أوروبا . وكان هذا الصراع الاقتصادي البحت لا يظهر الا تحت ثوب صراع عسكري من أجل السيادة على البحار والحصول على المستعمرات . ولكن الأمر لم يغب عن أذهان العرب في المحيط الهندي وشرق افريقية . وتمكنوا بحذقهم ومهارتهم من تفادي الدخول في هذه المعركة التي كانت تحتم عليهم الخضوع لمن ينتصر . ومكنهم ذلك من الحصول على اعتراف دولي بمركزهم وبدولتهم التي تمتد على جانبي المحيط الهندي .

وفي الحق أن الصراع الانجليزي الفرنسي قد انتهى بشكل خرجت منه

بريطانيا ولها تفوق ملحوظ في المياه التي تطل على سواحل شرق افريقية . وقد أثر ذلك في مستقبل العرب في هذه المنطقة خصوصا وأن امكانيات بريطانيا كانت متفوقة على امكانياتهم وتسمح لها بفرض سياستها بالقوة ان أرادت ، دون أن ينازعها في ذلك منازع .

سيعمل التطور الاقتصادي الدولي على تطور السياسة البريطانية في العالم وستدعى هذه الدولة أنها مكلفة ، قبل غيرها ، بالقضاء على تجارة الرقيق في العالم . ستستند في ذلك الى قوة أساطيلها وبعد مدى مدفعيتها للتحكم في اقتصاديات العالم باسم الانسانية . وستجبر الدول الأخرى كذلك على الاشتراك معها في هذه الحركة التي حاولت تشكيل الاقتصاد العالمي بأشكال جديدة في صالح الدول الاستعمارية وسيظهر هذا واضحا من اتهامات الدول الاستعمارية أنفسها بعضها لبعض حينما ينشب خلاف بين صفوفها . ويمكننا أن نرى فيه رغبة الدول الصناعية في القضاء على الأيدي العاملة التي تفلح حقول القطن في أمريكا وفي القضاء على تلك الجماعات التجارية من العرب التي كانت تعمل على نقل منتجات القارة الافريقية في قوافلها حتى السواحل .

اعتمد العرب على الرقيق في تسيير قوافلهم وفي الزراعة في المناطق الساحلية وكان الرقيق يعتبرون جزءا هاما من رأس مال العرب الذين حاولوا أن يعاملوهم معاملة حسنة طبقا لما أوصت به الشريعة الاسلامية من ناحية ومحافضة على رأس مالهم من ناحية

أخرى . وكان العرب يكونون الطبقة التي تتمتع بالسيادة وتشرف على التجارة في المنطقة الممتدة بين الساحل وهضبة البحيرات . وكانوا زيادة على ذلك هم الطبقة الوحيدة التي تحمل الأسلحة النارية ويمكنها أن تدافع عن البلاد ضد أي دخيل أجنبي . استترت الدول الاستعمارية اذن وراء النزعة الاستعمارية وأعلنتها حربا على العرب بدعوى أنهم تجار رقيق . وعملت أساطيل هذه الدول على وقف حركة الملاحة العربية في المحيط الهندي بدعوى أن سفنها لا تعمل إلا في نقل السلع البشرية على مياه هذا المحيط . أعطت الدول الأوروبية قباطنة سفنها الحق في زيارة وتفتيش السفن العربية ومصادرة ما تحمله من رقيق . ولم تكن هناك محكمة تفصل بين العرب وأساطيل الدول الاستعمارية الا محاكم الأدميرالية الموجودة في عدن ، ورأس الرجاء الصالح وأخيرا في زنجبار . وكم من مرة اختصر فيها الأوروبيون الطريق بمجرد رؤيتهم لأحدى السفن العربية فاتهموها بحمل الرقيق وقضوا باتلاف شحنتها وهي في مكانها في عرض البحر وفتحوا عليها نيران المدافع وأغرقوها واعتدروا للأدميرالية بعد ذلك بأن عملية التفتيش تعرض البحارة الأوروبيين لخطر خناجر الملاحين العرب . عمل الأوروبيون اذن على القضاء على قوة العرب البحرية والحربية في شرق إفريقيا مستترين وراء نزعاتهم الانسانية الكاذبة لتحرير الجنس البشري . وكمما طبقوا سياستهم في البحر عملوا على تطبيقها على الساحل . تقدموا بطلباتهم الى

السلاطين المحليين تحت تهديد مدفعية أساطيلهم واستغلوا الخلافات بين الطبقات والجماعات بل بين أفراد الأسرة الواحدة ، واستخدموا الترغيب والترهيب في الوصول الى مآربهم . وافق سلاطين شرق إفريقيا تحت ظروف خاصة على عقد معاهدات . وأخذ الاستعماريون يتدخلون في شئون المنطقة ويفرضون سيادتهم ونفوذهم تدريجيا على العرب بعد أن قضوا على سفنهم ثم اعتبروهم خارجين على القانون .

أضعف هذا الاعتداء الاستعماري قوة العرب بقضائه على معظم سفنهم وعلى جزء هام من تجارتهم وبمنعهم من الحصول على الأسلحة النارية والذخائر اللازمة لاستمرار تفوقهم على القارة . فاضطر العرب الى أن يتوغلوا في داخل القارة فوصلوا الى حوض نهر الكونغو ووصل بعضهم الى سواحل المحيط الأطلسي نفسه . وحملوا معهم بطبيعة الحال في هذا التوغل عناصر العروبة مع المبادئ الاسلامية .

وبدأت طلائع الأوروبيين من مستكشفين ومبشرين تصل الى سواحل افريقية محاولين تفهم هذه القارة ودراستها ومعرفه امكانياتها وامكانية الاستفادة منها واستغلالها . جاءوا باسم العلم وحملوا الانجيل رمزا لتوغلهم ولكن ذلك لم يمنع العرب من معرفة سر وصولهم والهدف الحقيقي الذي كانوا يسعون اليه .

كان العرب قد رحبوا برجال الاستكشاف والمبشرين الأوروبيين عند وصولهم لأول مرة الى كريمة وطابورة .

قابلوهم بصدور رحبة ولم يعترضوا على نشاطهم . ولكن سرعان ما فطن العرب الى معنى وصول هذه البعثات والى معنى اعتمادها على حملات عسكرية مسلحة بأسلحة نارية . لقد جاءوا للاستيلاء على الاقليم او لفرض أنفسهم عليه . كما أن المعاهدات التى كانوا يعقدونها مع المشايخ المحليين مهدت لرفع اعلام دول أجنبية على القارة وانتهت بحضور ممثلين لشركات استعمارية أوروبية الى القارة وتدخلهم فى أمورها وشئون السلاطين والملوك المحليين وعملهم على عزل بعضهم وتعيين آخرين فى أماكنهم حسبما تقتضيه مصالحهم .

شعر العرب بالخطر الذى يهددهم خصوصا وأن الأوروبيين قد بدأوا فى احكام النطاق حولهم . وظهرت فى هذا الوقت بعض الحركات العربية التكتلية وانتشرت بعض الآراء الاسلامية الثورية التى نادى بالرجوع بالاسلام الى الأصل فى كل من الحديث والسنة وتوحيد صفوف الأهالى ضد الغزاة الأجانب . وساعد ذلك العرب كثيرا على مقاومة الدخلاء المستغلين . ظهرت حركات اتحادية فى شمال شرق القارة واتجهت نحو توحيد المنطقة الممتدة من البحر الأبيض المتوسط حتى منابع النيل ، ومن سواحل البحر الأحمر وبلاد الصومال وسواحل المحيط الهندى حتى حوض نهر الكونغو . وعملت مصر كدولة افريقية على تنفيذ هذه السياسة ونجحت فيها نجاحا كبيرا اذ انها تمكنت من الوصول بالسودان الى حدوده الطبيعية ، وضمت اليه واليها

كل سواحل البحر الأحمر والأقاليم الجنوبية من الحبشة وبلاد الصومال . ثم عملت على الاتصال بين اقليم هضبة البحيرات وسواحل المحيط الهندى . أرسلت مصر حملتها الشهيرة الى بلاد الصومال سنة ١٨٧٥ م ولقيت من الأهالى كل تشجيع وترحيب وأخذ الأفريقيون يعلنون ، بلا خوف ، انهم قد انضموا الى المصريين لكى يخلصوا بلادهم ، من تدخل الأجانب وسيطرتهم عليها . وشعرت الدول الاستعمارية وخصوصا انجلترا بخطورة هذا الاتجاه المصرى الافريقى ، والنتائج التى ستترتب على تأييد الافريقيين له . علمت انجلترا أن قيام كتلة موحدة فى هذا الاقليم سيقضى على نفوذها وسيقف حجر عثرة فى سبيل خط سيرها الى وسط القارة . فعملت على التدخل سياسيا وهددت بالتدخل عسكريا وأجبرت المصريين على الانسحاب من هذه المناطق . وسيكون من السهل على انجلترا أن تواجه أهالى شرق افريقية والعرب الذين يسكنون هذا الاقليم أكثر مما لو كان هناك بعض المصريين يقفون الى جانبهم . وظهرت حركات تحررية عربية اسلامية فى المناطق المتصلة بشرق افريقية . ثبتت انجلترا نفوذها على سواحل زنجبار وقامت باحتلال مصر ولكن ثورة المهديين قامت فى السودان ووقفت فى وجه التدخل الأوروبى الاستعمارى وفى وجه الحكم الرجعى الذى تحالف معه . امتدت آثار هذه الحركة الى عدد كبير من البلدان فى شرق افريقية وعلم الأهالى أن هناك من يجاهد فى سبيل حماية بلاده وفى سبيل

هذه الدول الى اعلان الحصار البحري على كل سواحل شرقى افريقية من سواكن فى السودان حتى حدود تنجانيقا الجنوبية مع مستعمرة موزمبيق البرتغالية ، وشرح اللورد سالسبرى وزير الخارجية البريطانية ورئيس الوزراء للمستشار الألمانى أن هذه الثورة تعتبر ممتدة بشكل موحد . ومستمر من حدود مصر الجنوبية حتى المستعمرات البرتغالية فى الجنوب والكنغو فى الغرب . اعترف « سالسبرى » اذن أن العرب يقومون بحركات ، قد تكون غير متناسقة من الوجهة الاستراتيجية ولكنها متوازية وتهدف الى نفس النتيجة وهى الاحتفاظ بالبلاد ومنع تدخل المستعمرين فيها . ووجد مجهوده الاستعماري فى هذا السبيل مع المجهودات الألمانية بشكل يضمن لهاتين الدولتين فرض سيطرتهم على العرب والأهالى فى شرق افريقية .

وتبلور الموقف بعد ذلك وازداد نشاط الشركات الاستعمارية كما ازداد نشاط رجال التبشير داخل القارة . ووصل هذا النشاط الى أوغندا ورأى المستعمرون أن نجاح العرب فى التقرب من « كاباكا بوجندة » وعلان هذا الملك الافريقى تأييده للمسلمين ودخوله فى الدين الاسلامى خطر عليهم ، اذ أنه سيوحد حركة المقاومة الوطنية فى هذه المنطقة ، ويصلها بالحركة التى يقوم بها التجار العرب فى كريمة وطابورة فى الجنوب مع حركة السودانيين فى الشمال وأنه قد يتمكن من الاعتماد على القوات المصرية التى كانت لا تزال موجودة فى أوغندا

منع الأجانب من الدخول فيها . حقيقة أنه لم تقم هناك ثورات أخرى مماثلة فى نفس الوقت فى شرق افريقية ولكن من الثابت أن أخبار الثورة المهدية قد وصلت عن طريق الحج الى عرب شرق افريقية وبالرغم من أن رجال السنة قد وقفوا من هذه الثورة موقفا واضحا الا أن أحدا لم يكن بقادر على انكار عناصر الثورة فى حركة السودان وعناصر التحرر والرجوع بالاسلام الى بساتته الأولى كامتداد للحركات التطهيرية والحركة الوهابية التى نشأت فى بلاد العرب . وان ما يهمنا من الثورة المهدية هنا هو أنها حاولت منع الأجانب من التدخل فى السودان . ولقد نجحت فيما هدفت اليه عدة سنوات . وحينما اتفقت كل من انجلترا وألمانيا على تقسيم مناطق نفوذها فى شرق افريقية بذلك الخط الذى يفصل بين ممبسة ودار السلام ويسير فى الداخل بين جبلى كينيا وكلمنجارو حتى يقابل بحيرة فكتوريا عند خط العرض الأول جنوب خط الاستواء - اعتقدت انجلترا أنها تستطيع الوصول الى السودان عبر طريق الجنوب واعتقدت ألمانيا أن أحدا لن ينازعها فى حكم المنطقة التى اعترفت انجلترا بأنها لها . ولكن ثورة العرب امتدت فى كل هذه المناطق وبشكل يهدد التوغل الأوروبى فيها . كان ذلك نتيجة لقسوة الألمان وبداية تدخل الانجليز فى شئون العرب والافريقيين . وشعرت الدول الاستعمارية بضرورة استخدام القوة ضد العرب وبضرورة تطويقهم ومنع وصول الأسلحة والذخائر اليهم من السواحل فاتجهت

تحت قيادة أمين باشا . فاضطرت الدول الاستعمارية الى المحاربة من جديد : محاربة العروبة والاسلام في شرق افريقية .

استخدمت الدول الاستعمارية سلاح التبشير والقوات المرتزقة والخديعة والنفاق السياسى للوصول الى مآربها ، وتفتيت صفوف القوميين الافريقيين والقضاء عليهم صفاء بعد صف .

تمكنت الدول الاستعمارية من السيطرة على الموقف في شرق افريقية واستعانت في ذلك بتفوق أسلحتها وقوة امكانياتها المادية وعدم تنظيم الافريقيين لصفوفهم أو توحيد خططهم ومجهوداتهم . كما استفادت من بعض الشخصيات الافريقية التي تعاونت معها ، أى مع الاستعمار جريا وراء المنافع الشخصية أو امتيازات الأسر الحاكمة ، وجبنت عن الانضمام الى الحركات التحررية في القارة . فاستولت الدول الاستعمارية على مقاليد الأمور في كل هذه المنطقة وأخذت في استغلالها وأطلقت لبعثات التبشير كل حرية في العمل حتى توقف تيار العروبة والاسلام وهو التيار الذى يمكن أن

يوحد بين هذه المناطق ومناطق أخرى مجاورة بشكل يجعل الاستعماريين يواجهون تكتلات من الشعوب . ولم يكن من مصلحة المستعمر أن يواجه مثل هذه التكتلات .

كما أنها أطلقت حرية العمل للعناصر البيضاء دون غيرها ، وأيدتها بالشركات الاستعمارية لاستغلال البلاد ، واستنزاف حيويتها . ولقد نجحت هذه الدول الاستعمارية بالفعل في تحويل عدد كبير من الافريقيين الى الديانة البروتستنتية ونجحت في جبر عدد آخر على التحرش باللفات الأوروبية ، ولكنها فشلت في القضاء على العرب وعلى الاسلام في هذه المنطقة كما فشلت في التأثير على الشخصية الافريقية نفسها بشكل يجعل منها تابعا للمستعمر الغربى . ولقد مضى ثلاثة أرباع قرن من الاستعمار الأوروبى في شرق افريقية ولا تزال الحركات قائمة فيها تنادى بالتحرر وبالوحدة وليست ثورات ((الماو ماو)) المتكررة وحركة الغليان التى تسرى في بلاد الصومال وغيرها الا أدلة تثبت بقاء القوى الوطنية وصمودها في الميدان .



من روائع النغم الإفريقي

الأستاذ : سليمان جميل

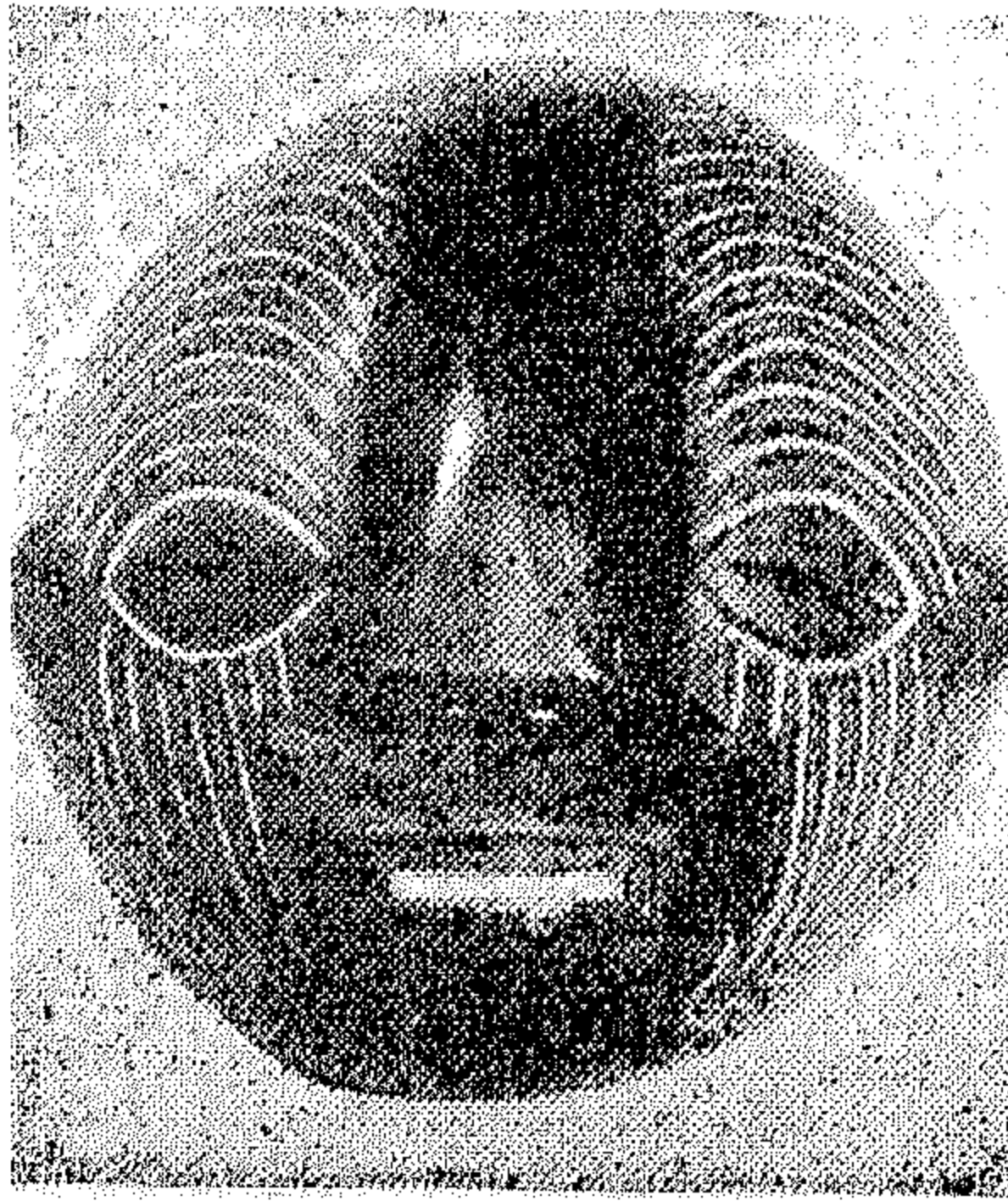
أنواع التأليف الموسيقى ، تبلور في القرن السادس عشر الميلادي ، في شكل مجموعة من الأنغام الراقصة الشعبية الآخذة في التتابع من نفس المفتاح الموسيقى ، وإن كانت في الوقت نفسه متناقضة من حيث التعبير والإيقاع والزمن . ولقد كانت ((المتتابعات)) منذ الأزمان البدائية في العادة تجميع رقصتين متابعتين أو لاهما بطيئة تعطي الإحساس بالفخامة والثانية سريعة مرحلة وحشية ... وتطورت المتتابعات كشكل من أشكال التأليف الموسيقى ، ودخلها أسلوب ((المنيويت)) "Minuet" الذي انتقل بعد ذلك من المتتابعات إلى ((الصوناتا)) "Sonata" كإطار آخر للتأليف الموسيقي . وظلت ((المنيويت)) في مكانها من ((الصوناتا)) إلى أن استعاض عنها ((الموسيقىقار بيتهوقن)) بحركة ((الاسكرتزو)) "Scherzo" السريعة التي ظهرت في سيمفونيته الثالثة «البطولة» .. ولعل ((المتتابعات)) هي أنسب تخطيط للتأليف الموسيقي انسابت خلاله ألحان ((فيلا سوقاندي)) تنبض بحياة إفريقية النابعة من أعماق التاريخ ... وتتكون ((متتابعات إفريقية)) من خمس مقطوعات ، يعزفها الأوركسترا الوترى وآلة

اسم إفريقي لامع في مجال التأليف الموسيقى العالمي . هو ((فيلا سوقاندي)) ولد في نيجيريا عام ١٩٠٥ ، وظهرت مواهبه الموسيقية مبكرة منذ طفولته .. تأثر بعمق بالحن بيئته ، ورقصاتها التقليدية المتنوعة .. ومنذ بدأ دراسته في الكلية الملكية في مدينة ((لاجوس)) بغرب إفريقية أشرف على عالم الثقافة الأوروبية ، وتزود بالعلوم الموسيقية ، وأتقن العزف على آلة الارغن ، وبدأ حياته الموسيقية عازفا على هذه الآلة الفنية العريقة بكنيسة ((لاجوس)) منذ عام ١٩٢٨ حتى عام ١٩٣٤ ... لقد تأثرت ألحان ((سوقاندي)) باللهجة الإفريقية الأصيلة ، وظهر اهتمامه منذ بدأ محاولاته الأولى في التأليف الموسيقي نحو تجميع الألحان الشعبية التي اتخذها مادة لموضوعاته الموسيقية المختلفة .. وتنقل ((سوقاندي)) الفنان الإفريقي الأصيل في مناطق ساحل الذهب يختلط بالناس يغني معهم ألحان أفراح بلاده وأحزانها .. يغني أغانيها للسلم والحرب ... ومع الألحان التي جمعها ((فيلا سوقاندي)) من ساحل الذهب وجنوب نيجيريا كتب أروع مؤلفاته الموسيقية التي اشتهرت في العالم بعنوان ((متتابعات إفريقية)) و ((المتتابعات)) "Suite" نوع من

«الهارب» وتتميز كل مقطوعة عن الأخرى من حيث لون التعبير: كثافته ، ودرجة تنويعه .

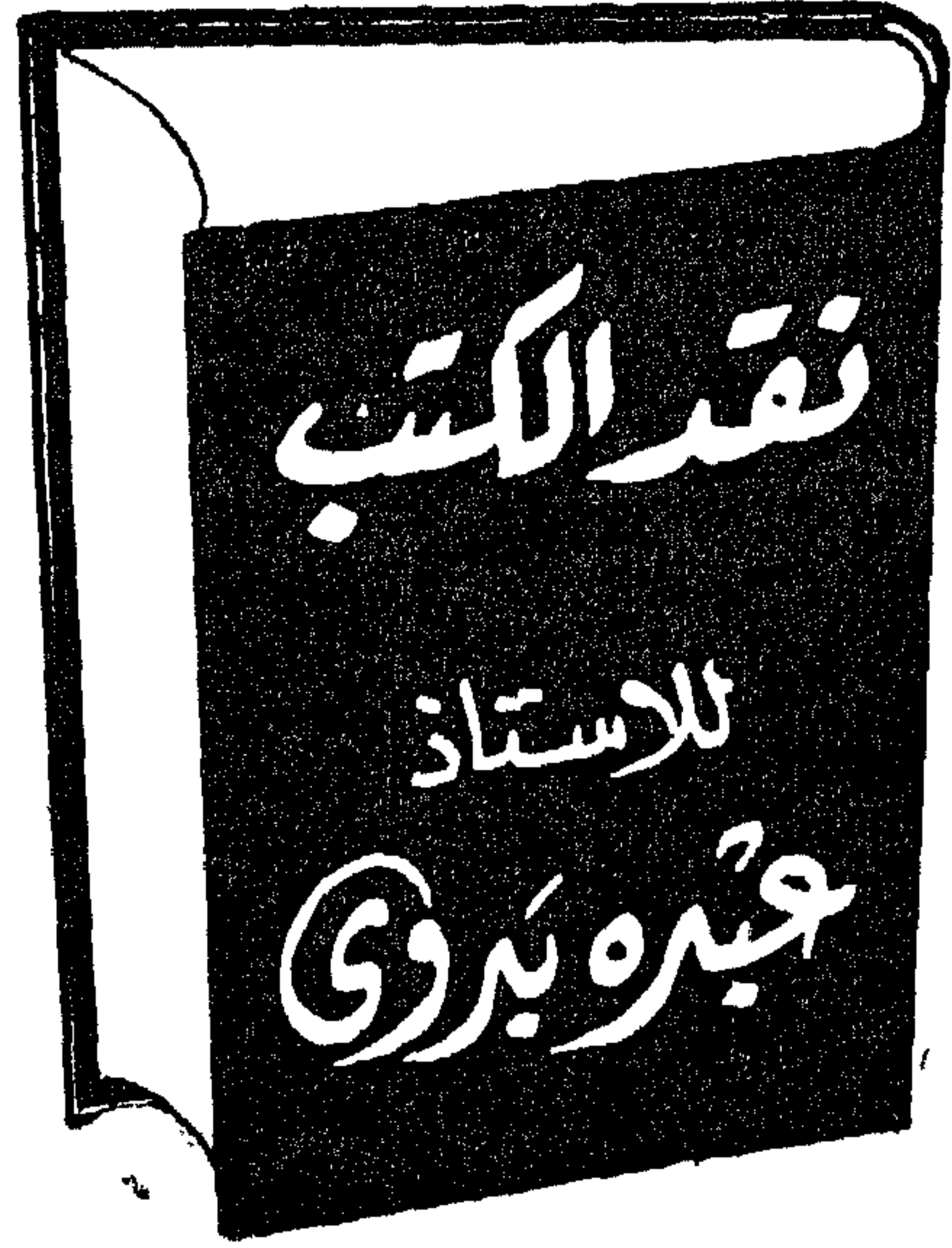
وتتضمن المقطوعتان الأولى والثانية بعض الألحان التي جمعها «فيلاسوقاندى» من غرب ساحل الذهب وعندما تستمع الى «متابعات أفريقية» ستبدأ المقطوعة الأولى من هذه المتابعات برحلة مرحة سريعة تملأ روحك بالمرح والتفاؤل ، وتركز شعورك منذ الوهلة الأولى فى موجة الإدارة الوثابة . ارادة افريقية المتحررة ان المقطوعة الأولى هى «اليوم المرح» .. ومع متابعات افريقية ينقلنا «فيلاسوقاندى» الى لحن غنائى حالم ، تغنيه امرأة فى نيجيريا عند المساء .. وتناجى به طفلها لينام .. هذا اللحن ستفتح له مشاعرك ، وأنت تستمع اليه فى مقطوعة «لولاباى» "Lullaby" وستدرك كيف تأثر

«فيلاسوقاندى» بهذا اللحن الذى رسم به صورة أمه الحبيبة «أفريقية» وعند مقطوعة «أكينلا» "Akinla" يصور «سوقاندى» أسلوب الحياة الراقية ، ويسمع اللحن مرتفعاً راقصاً ، والمؤلف يشكل فى هذا اللحن احساساً بالتناقض عند المستمع ، لتركيز تجاوبه مع أبعاد موضوعه المتباينة . ثم يظهر «فيلاسوقاندى» فى مقطوعة «نوستالجيا» "Nostalgia" أى الحنين الى البيت .. مواطننا افريقيا يقيم فى لندن ، يكتب موسيقاه الى بلاده نيجيريا ، يبتها أشواقه وحنينه . وفى ارسالية غرب لندن ، ليعمل الآن «فيلاسوقاندى» مرتلاً وعازفاً على آلة الارغن .. يقول عنه النقاد «ان هذا الموسيقار الافريقى لا يقدم الألحان والايقات الافريقية لجمهور يتزايد فى العدد فحسب ، بل انه يضيف بها شيئاً هاماً الى عالم الموسيقى» .



وقد أخذ على القصيدة السودانية في هذه الفترة ما يؤخذ على القصيدة العربية القديمة من التزام الوزن الواحد والقافية الواحدة ، والوقوف بالطاقة الشعرية عند حد البيت الذي ينكر ما فوقه وما تحته ، والاهتمام بالمساحة اللغوية التي يشغلها اللفظ دون نظر الى الإيحاءات والظلال ، مع اهتمام واضح بالكلمة المجودة ، ذات الرنين . كل هذا في إطار عام من البلاغة التقليدية الجامدة .

وأما من حيث الأغراض فإراها تحرص على الأغراض القديمة كالمدح والفخر ، والثناء ، والحكمة ، والوقوف على الأطلال ، ووصف الناقة . هذا الى جانب بعض الأغراض التي تفرضها طبيعة العصر كالشعر السياسي ، والرغبة في التحرر ، وفي خلق حياة أفضل . وقد يمكن لهذه الأغراض أن تخلق أدواتها ، وطرق التعبير الخاصة بها ، ولكنه يراهم يقومون بعملية صب الموضوعات في النماذج القديمة الجاهزة التي تشبه هي الأخرى المضامين الحديثة الى الأفكار القديمة المجمدة ((فان وصفوا منظرا طبيعيا يوجد حقا بالسودان فكأننا نسمع شاعرا قديما نجديا أو حجازيا ينظر اليه ويصفه بأسلوبه المحدود ، وان ذموا حياة الخرطوم وفضلوا حياة مراعي البطانة فكأننا نسمع مهاجرا عربيا من الشام أو بغداد يسخر من الحضر ويحن الى حياة الصحراء ، وان نظموا في يوم المؤتمر ، أو حفل الخريجين ، أو احتفال بوفد السودان ، أو في افتتاح مدرسة ، أو دعوا الى تعليم المرأة . فكأننا نستمع الى شوقي أو حافظ ينظم في نظائر



من الكتب الجادة التي تلقى أضواء مثمرة على الشعر في السودان بعامة ، والظاهرة الأفريقية في الشعر بخاصة كتاب ((الاتجاهات الشعرية في السودان)) للدكتور محمد النويهي . فهو يتعرض للشعر في السودان الشمالي الذي يتشكل من الزنوج ، والهاميين ، والعرب ، وان كان الوجه الحقيقي له الآن هو وجه العروبة ، والاسلام . كما يتعرض للشعر الفصيح في السودان ، دون هذا الشعر الشعبي الذي يصور الأعماق الشعبية ، ويعطى القصيدة أبعاد النفسية السودانية الحقيقية .

وقد بدأ المؤلف بالشعر التقليدي المعاصر فوضعه بسرعة حادة أمام القارئ دون أن يقدم له بتمهيد عن حقيقة الشعر العربي في السودان وتطوره حتى في العصرين التركيين . أو عصر المهدي . فبعض الخطوط عن هذه الفترات القريبة كان يمكن أن يستأنس بها القارئ ، وهو يقتحم مباشرة الاتجاهات المعاصرة في الشعر السوداني .

هذه المناسبات في مصر الحديثة .

وقد حدد المؤلف المنابع التي امتيح منها الشعر السوداني فذكر أنها الشعر الجاهلي الصميم ، والأموي ، والعباسي المولد . ثم أخيرا الفترة الحديثة في البلاد العربية وخاصة شعر شوقي ، ولأدري لماذا قفز الشاعر من فترة الشعر الإسلامي دون توضيح هذه القفزة ؟ كما لا أدري لماذا تجاهل شعر الفترة المملوكية ، والعثمانية . خاصة وأنا نرى بدور الشعر في السودان - تبدأ بهذا الشعر . وأن التأثير به في أول الأمر كان أقوى من تأثير أي عصر من العصور ، وأنا نرى تأثيره واضحا في شاعرين من الثلاثة الذين اختارهم كممثلين للشعر في هذه الفترة وهما الشيخ « عبد الله البنا » ، والشيخ « عبد الله عبد الرحمن » فنحن نرى في شعرهما السطحية ، والمعارضات ، والتشطير ، والتخميس ، والتكرار ، والألفاظ الخافتة ، وألوانا من نظم العلوم ، والحقائق التاريخية . والمؤلف كما ذكر ينتهي بنا إلى « خفوت الملامح السودانية تحت هذا الركाम الهائل من التقليد » ومن هنا نراه يشدد عليهم في قسوة ، وإن كنا نرى أنهم في ظل ظروفهم الاجتماعية والثقافية كانوا أسبق من غيرهم في البلاد العربية الأخرى إلى ظهور الملامح المحلية لبلادهم ، وأن دراستهم يجب أن تكون في ضوء ظروفهم الاجتماعية ، والثقافية ، والسياسية . بل لا أذهب بعيدا إذا قلت أن الشعراء السودانيين في هذه الفترة كانوا أسبق من غيرهم في كل البلاد العربية إلى اظهار جوانب عميقة من حياتهم ، ولناخذ مثالا لهذا شاعرا واحدا من

الذين جعلهم المؤلف واحدا من العمدة الثلاثة التي يقوم عليها البناء التقليدي للشعر في هذه الفترة وهو الشاعر :

((محمد سعيد العباسي))

فنحن نراه في قصيدة « سنار بين القديم والحديث » يتعرض لتاريخ بلاده ، ويذكر ملوكها السابقين بعد أن وقف بأطلال قصر كان يسكنه ملك سنار « بادي أبو شلوخ » ثم يقدم لنا صورة عن الحياة في بلاده . كما نراه يرسم بخطوط عريضة أحد مراكز « دارفور » المسمى « مليط » ، و « وادي هور » الواقع غرب السودان ، والذي توجد حوله بعض الآثار العريقة في القدم .

كما نراه يصور بعض العادات الاجتماعية ، فيصور لنا المرأة السودانية التي لا تنادي زوجها باسمه وإنما تقول : يقول لي وهو يحكي البرق مبتسما يا انت ياذا وعمدا لا يسميني :

كما نراه يقول

وخل التريك وهز البوا

تر حبسا على الفادة الناعية مشيرا بهذا إلى عادة اجتماعية معروفة في السودان ، وهي أنه حينما يموت رجل ذو خطر تلبس النوادب لباس حربه ، ويحملن سيفه . ثم يدرن باقيات في البيت ، وقد تستمر هذه العادة خمسة عشر يوما . بل نرى هذا الشاعر يسبق إلى دراسة الشعر الشعبي ، وتضمن معانيه للشعر الفصيح . فنراه حين يسمع في مضارب « أولاد طريف » صوتا رقيقا يقول :

يا اب لونا سمري

يا اب حديثا سمري

(1) الخوذة .

السودان انى . . .
يا الله تجميع شملى
نراه يحول هذه المشاعر السودانية
البيسطة الى شعر فيصيح فيقول :
اللون لون السذهب
والقول حلو الرطب
لى ارب فى ذا الرشاش
يسارب فاقض اربى !
كما نراه يقدم لنا مشاعر الفتاة
السودانية التى تستنجد « بعرافة »
لتعرفها بمكان حبيبها البعيد عنها ،
وتمنيها بريال « مجيدى » فحين
سمعها تقول :

ختانة ختى زيدى
بكريكى بى مجيدى
شوفى اى حبيبنى
فى البلد البعيد !
نراه يحول هذا الى شعر فصيح
فيقول :

عرافة العرب زيدى
ومن ندادك استزيدى
فكيف حال حبيب
امسى بقفسر بعيد !
كما لا نعدم هذه الظاهرة فى شعر
« الشيخ عبد الله البنا » وخاصة فى وصفه
للبطانة ، وكثيرا ما نراه يرسم بضربة
سريعة احدى العادات السودانية
كقوله :

يكاد البشر يقطر من وجوه
لها للضيف ضم والتزام !
والحفاوة بهذه العادة شىء خاص
بالسودانيين .

وفى الوقت نفسه لا نعدم هذه
الظاهرة فى شعر العمود الثالث والآخر
للاتجاه التقليدى ، الشيخ « عبد الله
عبد الرحمن » فى وصفه للنيل الأزرق
وفى قصيدته الطبيعة فى السودان .
والذى أريد أن أخلص اليه أن المدرسة
التقليدية فى السودان لا يقل فى إنتاجها

ظهور الملامح الشعبية عنه فى أى
بلد عربى آخر . وأننا لو درسنا
شعراء هذه المدرسة فى ضوء
الظواهر الاجتماعية ، والثقافية
المعاصرة لهم لوجدناهم ذوى احساس
حاد ببلادهم ، ولا تزال هذه الظاهرة
الحادة تسيطر على شعرهم الحديث
حتى لتعتبر ظاهرة عامة من ظواهر
الشعر السودانى فى كل عصوره ، ومن
هنا ظهر الحنين الدافق فى شعرهم .
وخاصة حينما يغتربون فى احدى البلاد
التي تدين بالتفرقة العنصرية ! .

وقد رأى المؤلف أن دوافع التقليد
ترجع الى محاولتهم بعث القديم تمهيدا
لخلق حضارة جديدة ، وخاصة أن
البيئة العربية لا تختلف كثيرا عن
البيئة السودانية فى طبيعتها ، وظروفها
الاجتماعية ، وأن هذا التشابه قد
أغراهم بهذا التقليد .

كما رأى أن العنصر العربى كان ظافرا
منتصرا « منه الفاتحون ومنه السادة
الذين أسروا العبيد واقتنوا الرقيق
وملكوا الأرض واستولوا على مقاليد
الحكم . فلا عجب أن يحاول أحفادهم
تغليب العنصر السيد على العنصر
المسود فى تكوينهم . ومن الطبيعى أن
يكون شعورهم الأول هو التقليل من
أهمية العنصر المغلوب أو انكاره بتاتا ،
وأن يظلوا على هذا الشعور حتى
يبلغوا درجة من اتساع النظرة تخفف
من نعرتهم العنصرية وتحملهم على
التسوية بين جميع السلالات البشرية »
والقارىء لهذا الكلام يتصور العرب
قوماً فاتحين غزاة دخلوا البلاد فكونوا
من أنفسهم طبقة اجتماعية مستعلية
على أهل البلاد الأصليين .

والذى نريد أن نؤكد هنا أن الغزو

العربى وقف من زمن بعيد عند النوبة العليا ، وأن التعريب السودانى قد تم عن طريق الهجرات من الشرق ، والشمال والغرب ، أكثر مما تم عن أى طريق آخر ، ومن هنا يمكن أن نقول أن عملية الغزو العربى فى السودان كانت عملية « غزو داخلى سلمى » . كما نؤكد أن الظاهرة العامة للسلوك العربى لم تكن الاستعلاء على أهل البلاد ، ولعل ذلك لما فيهم من أنفة قريبة من أنفتهم . بل لقد كانت الظاهرة البارزة هى عملية التقريب من جهة العرب ، ومحاولة الامتزاج بالسودانيين عن طريق التزوج منهم بكل الطرق .

ثم ينتهى المؤلف الى أن هزيمة السودانين أمام الاستعمار الغربى جعلتهم يتعلقون كل التعلق بالاسلام والعروبة، وينصرفون فى كثير من أمرهم عن الثقافة الغربية ، بل ويقفون ضد الدعوة الى الأدب القومى ، وقد أخذ المؤلف عليهم فى هذا العصر الباكر عدم استجابتهم للثقافة الغربية وتمسكهم بالثقافة العربية . ونحن هنا نسأل: أية ثقافة هذه التى يذكرها المؤلف ؟ والتى كان يمكن أن ينفعل بها شعراء هذه الفترة خاصة وأن الاستعمار قريب منهم ، وأن اللغة الانجليزية لم تتمكن بعد فى السنة الناس ، وعقولهم، وأن الانجليز أنفسهم لم يعملوا على تزويد الشعب بثقافتهم الصحيحة . بل بعدوا عنه فى كل مظاهر الحياة ، فالشئ الطبيعى هنا هو أن الشعراء لم يجدوا أمامهم الا الثقافة العربية وليس معنى التغنى بها وبأمجادها أنهم يعادون الثقافة الانجليزية ، والتقاليد

الوافدة عليهم . فالشيخ عبد الله البنا يضرب بهم المثل فى كثير من مظاهر الحياة ، والشيخ عبد الله عبد الرحمن والشيخ العباسى ، ولانعدم فى شعرهم الاعجاب بالثقافة الانجليزية . فالمسألة اذن فى هذه الفترة ليست مسألة انتصار لثقافة ومعاداة لثقافة ، ولكنها مسألة الثقافة السائدة « الموجودة » ، والتغنى بها وبأمجادها .

ثم ذكر لنا أن عدد المثقفين قد تزايد فى الربع الثانى من هذا القرن ، وأنهم لم ينكروا ماضيهم العربى ، وإنما رغبوا أن يكون لهم أدب خاص بهم يحمل ملامحهم ، ويجدون فيه أنفسهم ، وأن هؤلاء المثقفين كانوا نتاجا طبيعيا للثقافة الغربية ، والثقافة المصرية ، وقد كان من أثر هذه الدعوة كتيب «الأديب السودانى وما يجب أن يكون عليه » لحمزه الملك طنبل الذى ظهر عام ١٩٢٨ ، وكتاب « الحركة الفكرية فى السودان والى أين يجب أن تتجه » لمحمد أحمد محجوب الذى ظهر عام ١٩٤١ .

وقد ظهرت فيهما بذور الدعوة الى التجديد فى المضمون والشكل ، والاعتذار عن المقلدين فى الشعر السودانى بقرب ظروفهم البيئية ، والاجتماعية من البيئة العربية ومجتمعها ، وبهذه الصلة العربية الضاربة بجذورها فى أعماق السودان ، كما تعرضا لعمليات التزييف الشعورى ، والمبالغات الغثة فى الشعر، وصلاحيته لكل زمان ومكان مع الوجود الخاص للكينونة السودانية التى تتألف من عدة عناصر ، وعدة ثقافات .

ثم انهما دعوا الى فتح النوافذ على الثقافة الغربية . ففى هذا ضرورة

الدعوة كان يقصد به فصل الأدب السوداني عن الأدب المصري ، وإن الكتاب شغلوا بهذه الفكرة مدة كبيرة ، وقد تبلورت أخيرا في المعركة الأدبية التي دارت في السودان ، وامتدت حتى مصر حين أسهم فيها الأستاذ ((محمد عبد القادر حمزه)) .

فقد دعا الصحفي المصري الأستاذ ((حسن صبحي)) الذي كان يرأس تحرير جريدة النيل الى ما سماه «الثقافة النيلية» ولكن الأستاذ محمد أحمد محجوب انبرى له داعيا الى فصل الثقافة السودانية عن شقيقتها المصرية وأنا هنا أنقل جانبا من تلك المناظرة التي أقيمت بنادى خريجي المدارس بأم درمان مساء السبت ٢٣/٣/١٩٣٥ فقد جاء في كلمة الأستاذ محمد أحمد محجوب « فنحن قوم شدة وكرب بحكم الجبال والصحراء ، وفي طباعنا جد ، ونحن لتشابه الكثير من بقاعنا بجزيرة العرب استطعنا أن نحافظ على الطباع العربية رغم تطرق المدنية إلينا ، فهناك الكرم الحائمي ، وهناك النخوة والشجاعة ، وهناك الخيام تضرب في الصحراء ، والفتاة والمرأة تقوم بواجبها مع أخيها وزوجها .. وهناك الهجرة والتشوق والسفر الطويل فتجار الجلابة لا يعود الرجل منهم من سفر الا الى سفر كلهم جواب أودية . طلاع ألوية . وهناك الاقدام على المخاطر ، لأننا ألفنا الغابات والأدغال وعاشرنا الوحوش والوعول ، ونحن قوم في طباعنا صراحة . وفي الشطر الثاني من وادي النيل تجد اخواننا الذين يمشون على أرض من الذهب . فيهم نعومة ورخاوة ، وفيهم أناقة وظرف .

للعالم الجديد الذي يرتبط بالدول من حوله ، على أنهما في الوقت نفسه لم يريا الذوبان في هذه الثقافة ، وإنما رأيا أن يقبل الناس على هذا اللون من الثقافة . ثم يخضعونها لتكوينهم الخاص ، ولظروف بلادهم حتى تنبثق من خلال هذا التطعيم ثقافة قومية يشاهد السودان من خلالها . وبخاصة أن السودان بطبيعته ، وتاريخه ، وأعماقه يثير المشاعر ، ويقدم لمن يستوحيه فنا خالدا عظيما .

وقد لخص الأستاذ محمد أحمد محجوب هذا في قوله « هذا هو مثلنا الأعلى . حفاظ على ديننا الاسلامي . وتمسك بتراثنا العربي ، مع تسامح شامل ، وأفق فكري واسع ، وطموح يجعلنا نقبل على دراسة الثقافات الأخرى ، وكل ذلك لنحيي به أدبنا القومي ونثير شعورنا بوطينتنا لنصل الى حركة سياسية لن ينكرها علينا احد لأن طبيعة الأحياء توحىها ، والرمي الذي نسير نحوه هو استقلالنا سياسيا واجتماعيا وفكريا » .

ويظهر من هذا الحديث وغيره أن السياسة أسهمت في تشكيل هذه المدرسة ، وأن هذه الأفكار كانت ثمرة طبيعية لشجرة الحرية التي بدأت تضرب بجذورها في البلاد ، وأن كل شيء بما فيه الأدب يجب أن يصب في نهر الحرية الكبير .

وقد أراد المؤلف أن يصور الصراع على أنه موجه ضد الثقافة الغربية العنيفة في السودان . كما حدث في مصر مثلا ، ولكن الحقيقة التي لا بد أن تظهر في هذه الفترة والتي تجاهلها المؤلف هو أن جزءا كبيرا من هذه

كلهم فكه ممراح مهذار . ألفوا البقاء
في مصر فهم لا يطيقون فراقها ، ولوقوع
بلادهم في ملتقى أمم الشرق بالغرب
كانت مهبط كل الأجناس فمصر بلاد
أجنبية فيها اليوناني ، والإيطالي ،
والروسي ، والأسبانيولي ، والهندي ،
والصيني ، ولغتها خليط من لغات
هؤلاء القوم ، وهذا الاختلاط الطافى
جعل الشطر الثانى من القطر سريع
التجرد من الصفات العربية .

ثم ينتهى الى اختلاف كل من
البلدين من حيث الاقليم ، والثقافة . ثم
يخلص من هذا الى أنه « لا توجد هناك
ثقافة مصرية قطه حسين ، وهيكل
كشاتوبريان ، واناتول فرانس ، وسنت
بيف ، وجورج صاند ، والعقاد ، والمازنى
كالكتاب الألمان . أو مارك توين . أو
هازلت . أروماتيو آرنولد . فهم
لا يصدرون عن بلادهم » والثقافة في
مصر لا زالت محاولة وفشلا .

هذه هى الجذور الحقيقية للدعوة
الى قومية الأدب في السودان ، وهذه
هى الحقيقة التى يجب أن تقال .

ومهما يكن من شىء فقد انتهى بنا
المؤلف الى الحركة الرومانتيكية في
الشعر ، فالانطلاق الرومانتيكى يصدر
عن تبرم بالواقع الذى يعافه الشاعر ،
ومن هنا يلجأ الى دنياه العاطفية
القردية ، ولذلك نجد هذا الشعر ملونا
بالقلق ، والحيرة ، والابهام وغموض
المقصد والحزن ، والحنين الى المجهول .
ويعتبر خير من يمثل هذا التيار
أصدق تمثيل الشاعر « **التيجاني**
يوسف بشير » الذى وعى هذه الرؤى
الجديدة السابحة في وجدان وطنه ،
والذى أعطته ثقافته العربية قدرة حية

على أن يكون الشاعر الأول في السودان -
فقد كانت ترفده تلك الثقافات التى
ظهرت في مصر ، والشام ، والمهجر ،
خاصة وأن هذه الثقافات لم تقف
ناتئة في نفسه ، ولكنه صهرها ووضع
عليها طابع روحه .

على أن الحقيقة التى يجب أن تقال
هى أن « **التيجاني** » لم يجتر أحزانه
الفردية ، وإنما استلهم وجدانه الجماعى
في كثير من القصائد مثل « دنيا الفقير » ،
و « رسل الشباب في مصر » ، و « ثورة » ،
و « الخلوة » ، « ثقافة مصر » ،
و « الخرطوم » ، و « الأدب الضائع » .
و « توتى في الصباح » .

وقد قدم لنا المؤلف عدة قصائد
للشاعر وأخذ في دراستها دراسة ذاتية
ممتعة ، ومن هذا اللون من الدراسة
دراسته لقصيدة قطرات التى بدأها
الشاعر بقوله :

قطرات من الندى رقراقه
يصفق البشر دونها والطلاقة
ضمنتها من بهجة الورد أفوا
ف ، ومن زهرة القرنفل باقه
نثرت عقدها أصابع من نو
ر ، وترسلن خفة وأناقة
رب وشى نمقن في صفحة الور
د ونضرن في الربا أنماقه
ومصاييح أسرجتها يد الشمس
وضاء في زهرة خفاقه
يتقطرن أنجما في أكاليل
من الزهر أسرجت أوراقه !

فقد رأى أن الصور في هذه القصيدة
تعبر (أولا) عن الرقة ، متخذا لها
رمزا أساسيا هو لفظة « **الندى** » التى
كررها بمشتقاتها أكثر من مرة ، وفي
كل مرة يعطى لها صورة جديدة نابضة
فهو يسقطها كقطرات ، ويجريها
كنهر ، وينفضها على ألوان كثيرة من

الزهور . كما يحولها الى مزهر صادق
في يد الشاعر ..

كما أنها تعبر (ثانيا) عن الاشراق
والتنوير . فهما عنصران أساسيان
يرمزان الى حقيقتين كبيرتين في نفس
التيجاني وهما « الرقة والاشراق »
الذين أراد أن يغمز بهما عالمه الشعري
الخاص به .

وقد رأى أن الشاعر لم يعرف الحب
الحقيقي للمرأة ، وعرض بالذين ذكروا
أنه أحب فتاة نصرانية بعينها . فكل
غزله يشير الى شوقه أن يكون محبا ،
والفتاة هنا رمز لأشواقه « فحبه في
الحقيقة حلم كسائر أحلامه التي تعوض
حرمانه في واقع الحياة » فحبه جانب
من جوانب انزاله ، ويؤكد هذا بأن
معظم حديثه في الحب موجه الى غير
السودانيات .

ونحن نميل الى أنه أحب فتاة
مسيحية بعينها ، وأنها مرسومة بعناية
في شعره . فالشاعر كان يسكن في حي
(المسألة) بأم درمان وهو غاص
بالمسيحيات . ثم نراه يشتغل بشركة
(سنجر) محصلا للشركة ، وهو
في كل ذلك يضطرب مع كثير من
الاجنبيات ، وأن قلبه الشاب الشاعر
ما كان ليففل التعلق بواحدة منهن ،
والتي أحب من أجلها كل ما يحيط بها
حتى ليقول :

أمنت بالحسن بردا
وبالصداقة نارا
وبالكنيسة عقدا
منفصلا من عداي
إيمان من يعبد الحسد
ن في عيون النصاري

ويرجع أن تكون هذه الفتاة لبنانية
فهو يقول :

يا هذه عمرك الله
هبل سمعت بقيس
فتى يقيس بجنبى
بين سهم وقوس
رمسه ليلى بجفنى
ن وأستعادت بترس
وأنت يا ابنة لبنا
ن تعششين براسى !

وكما أننا لا نوافق على رأى المؤلف
حين يذكر أن عدم تشبيهه ببنات جنسه
يدل على أنه لم يعرف الحب الحقيقي .
لأن المجتمع السوداني في رأينا ما زال
مجتمعا يحافظ على المرأة ، وينكر
التعرض لها . فنحن لا نوافق الدكتور
النويهى كذلك على ما ذهب اليه من أن
كلمة « بريق » في البيت الذى يتغزل
فيه بفتاة سودانية ، والذي يقول فيه:
يؤف عليه شباب الفنو

ن ويبرق في وجنثيه الفصد (١)

تدل على أنه كان يهوى النور ،
ويتعطش اليه تعطشا مستمرا ، وأن
هذا يدل على أنه كان يؤثر أن ينسحب
الى عالمه الوهمى « حيث يحقق بخياله
كل الأمنى التى تعذرت عليه في واقع
الحياة » .

فالذى أعرفه أن كلمة البريق هذه
واقعية . لأن « الشلوخ » تعطى بريقا
ذاتيا ، وهذا يشاهد في الجرح المتعمد .
فاذا زدنا على هذا أن السودانية تضع
على هذه الشلوخ بعض الزيوت العطرية
عرفنا أن كلمة « البريق » ليست رمزا
بل كلمة مفرطة في الواقعية .

وفي الوقت نفسه نؤكد أن الشاعر
لم يكن استبطانيا يجتر أحزانه الفردية
في انزال تام ، وإنما نراه مشاركا في

(١) الفصد : الشلوخ التى تكون
على الوجه .

الكثير من الأحداث ومستلهما وجدانه الجماعى فى قصائده التى ذكرناها وغيرها .

ثم ذكر لنا المؤلف أن الشعر الرومانتيكى قد فقد بالتكرار لمعانه ، وأن رفته تحولت الى ميوعة ، وحساسيته قد بدلت بمرض ، وأن الشعراء قد تحولوا داخليا الى واقع الحياة الذى يهزمهم فى كل آونة وحين ، وأن من الواجب مجابهة هذا الواقع . الذى يمكن فى اطاراته ابراز العناصر السودانية أكثر مما يبرزها الشعر الرومانتيكى ، فكما أن المقلدين يهملون مضامين مجتمعهم المعاصر الى المضامين الذهبية القديمة ، والانحشار فى قوالبها « المجددة » فكذلك نرى الابداعيين يهملون قضاياهم ، وأحاسيسهم الى أبراج عاجية راكدة .

ومن هنا نرى « الواقعية » تشق طريقها فى أول الأمر فى النشر ثم تظهر فى الشعر على يد « جعفر حامد البشير » فى ديوانه « حرية وجمال » مهملا كثيرا من الشعراء الذين يعتبرون أكثر فعالية فى التأثير الواقعى ما عدا هذا الديوان الذى كتب المؤلف مقدمته .

ثم ذكر لنا جانبا من تطور هذا الشعر الى « الواقعية الاشتراكية » مستشهدا بهذا الاتجاه على ديوان « قصائد السودان » لتاج السر الحسن ، وجيلى عبد الرحمن . فقد تفتحا على نمو القوى الشعبية فى مصر ، وتأثرا بهذا المذهب الذى يخضع الأدب والفن لأهداف جادة يلتزمها الفنان .

ثم فرق بين المقلدين فى السودان الذين جعلوا الشعر وسيلة لتحقيق غايات اجتماعية ، ووطنية . من حيث أن المقلدين يريدون استعادة المجد الإسلامى ، والسيادة العربية فى أشكالها القديمة . أما المدرسة « الواقعية

الاشتراكية » فتبتر كل ما يربطها بماضيها ، وأمجادها ، وتضع عينها فى اصرار على المستقبل . فشعر المدرسة الأولى « بعثى » أما شعر المدرسة الثانية « فتبشيري » أى أن المدرسة الأولى مدرسة « كنا » أما المدرسة الثانية فمدرسة « سنكون » ، ومدرسة سنكون هذه تتمثل فى شعر تاج السر ، وجيلى « هما لا يريدان أن يعود العرب سادة ، بل يريدان أن يتحرر جميع العبيد فى أنحاء الأرض ! » وهذه قضية لا أحسب الشاعرين يوافقان عليها ولا أحسب أن شعرهما القديم أو الحديث يدل على هذه الظاهرة . وقد ذكر المؤلف أن المدرسة الواقعية الاشتراكية تتضمن الأخطار الآتية : -

١ - المبالغة فى السعى وراء الأهداف الانسانية الكبيرة الى حد نسيان البيئة ، والمجتمع التى تضمه . مع أن قضايا الأدب يجب أن تصعد من البيئة ، وترتبط بالناس فيها .

٢ - العناية بالأهداف الاجتماعية قد يؤدى الى ذوبان الشخصية الفردية . مع أن الأساس القوى لكل عمل أدبى كبير هو استقلال الشخصيات المنتجة وتميزها عن باقى الشخصيات الأدبية الأخرى .

٣ - التحول الى أدب الشعارات ، والدعائيات السياسية .

ثم تحدث المؤلف عن « العروبة والافريقية » ، وكيف عمل السودان فى أول أمره على تجاهل الظاهرة الافريقية أو انكارها . مع الاشادة التامة بالعناصر العربية ، ثم عمل على اندياح المشاعر الوطنية ودفعها للاتصال بكافة العناصر ، والقبائل فى السودان المترامى الأطراف حتى يقفوا جميعا صفا واحدا أمام الاستعمار ، فاذا ما حقق الشعب السودانى انتصاراته نراه يتخلص من

«العقد» ومن انكار العنصر الافريقى، وقد ساعدهم على هذا الفهم العميق لمسألة النقاء العنصرى، وقوفهم على مدى ما فى التفرقة العنصرية من خرافة. وقد رأى أن من يمثل هذا الاتجاه هو محمد مفتاح الفيتورى الذى أهمل العروبة، وسمى نفسه زنجيا، وأخذ يتحدث عن افريقيته وقد رأى أنه رد فعل على انكار العنصر الافريقى فى الكينونة السودانية مع أن الحقيقة تؤكد أن الفيتورى لم تتمثل فيه الكينونة السودانية الا من جهة الوراثة. أما ثقافته، وحياته واقامته الى وقت قريب فقد كانت عربية مصرية فالسودان بطبيعته، ومجتمعه، ومشكلاته لم يشكل وجدانه، ولذلك لم نر ذكرا للسودان فى شعره. وإنما هى طبيعة «الأسود المأزوم» الذى يقاوم طبيعة الحياة من حوله وقد خلع على الافريقيين - مع انسانيتهن وبساطتهن - مشاعره البغيضة، وحقد العارم على الحياة.

وقد أكد المؤلف أن «مأساته الحقيقية» - أنه ساخط على انتسابه الى السود الافريقيين. وهو فى صميمه يكرههم ويكره انتسابه اليهم.

والمؤلف يقف عند هذا الحد فى الحديث عن الظاهرة الافريقية، ونحن نرى أن الفيتورى لا يمثل الا جانبها المرضى. أما جانبها الوضىء الحقيقى فنراه يتمثل فى شعر الدكتور ((محيى الدين صابر)) وخير ما تمثله قصيدته العظيمة «كينيا» التى تعرض فيها لحقيقة حركة «الماو ماو»، ولصمود «جومو كنياتا»، ولماسى

التبشير، والرق، والتفرقة العنصرية. كما نراه اعتزا فى شعر ((عبدالمجيد الحاج الأمين))، وعمقا فى شعر ((محيى الدين صابر)) ولعل خير من عبر عنها تعبيرا حقيقيا هو الشاعر ((محمد مهدى المجذوب)) الذى أحب حياة الزوج، وتمنى أن يعيش مثلهم طليقا يلف من حول وسطه «السكسك» ويزين جبهته بالودع، ثم يمضى متغنيا على ربابة، وفى عينيه آثار الخمر القوية. دون أن يلقي لوما من «قريش» أو «تميم» وقد عبر عن افريقيته بصراحة فى قصيدته ((المصير))، وفى قصيدة ((فجر كذوب)) التى صرخ فيها: عندي من الزنج أعراق معاندة

وان تشدق فى انشادى العرب!

هذا هو مجمل رأينا فى هذا الكتاب، وان كانت هناك بعض أشياء أخرى كالتعميمات المطلقة، وتناسى بعض الشعراء الذين لهم خطر فى تشكيل الشعر هناك كمحمد المهدي مجذوب، ومحمد محمد على، وأدريس جماع، والعوضى الكريم، والترسل فى نقد قصائد بعض الشعراء، والتركيز عليها دون الخروج من مجموعها بما يعطى فكرة واضحة عن فن الشاعر، فاذا أضفنا الى هذا ضحالة المراجع التى رجع اليها المؤلف، والتى لا يشير الى صفحاتها مع أن الكتاب مقرر على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية بمعهد الدراسات العربية زيادة على قصور المادة الشعرية عن اعطائنا الوجه الحقيقى للشعر السودانى عرفنا أنه يجب على السيد الأستاذ الدكتور أن يقدم لنا شيئا أعمق من هذا فى دراساته المقبلة فهو خير من يقدم لنا هذه الدراسة بحكم ثقافته العميقة، واقامته فى السودان مدة كبيرة كرئيس لقسم اللغة العربية فى كلية الخرطوم الجامعية.

وان كنا فى الوقت نفسه نفيط الشعر السودانى على هذه الدراسات الكثيرة التى يقوم بها أساتذة كبار كالدكتور محمد النويهى، والدكتور عبد المجيد عابدين والدكتور أحسان عباس.

الجانب النفسى فى التفرقة العنصرية

للأستاذ محمود عثمان

وكراهية البيض للزنج لا يجوز بحال أن ندمجها فى باب الحالات الفردية ، اذ هى بلا مرية « ظاهرة » تتسم بالعمومية التى لا تنال من شأنها استثناءات طفيفة . وهذه الظاهرة هى المسماة « بالنجروفوبيا » ومعناها الحالة النفسية من المقت والكراهية التى تراود الرجل الابيض نحو الاسود ، سواء أكان يعرفه ويحتك به أم أنه لا صلة تجمععه به ، بمعنى أن احساسه بالكراهية يخرج من حيز مجتمعه الى كل المناطق والمجتمعات التى توجد فيها جماعات زنجية

وقد لوحظ أن « النجروفوبيا » من الجائز أن تتسع دائرتها وتشمل الرجل الابيض الذى يعصده الزنج ، وينفعل لقضيتهم ، وهو الذى يسمى « صديق الزنج » .

ولنا أن نتخذ من هذا دليلا على أن قاعدة الكراهية للرجل الاسود قد تأصلت فى نفسية الرجل الابيض بحيث صار لديه الاستعداد لمعاداة من يؤازرونه ، ويعطفون عليه ولو كانوا من بنى جلدته .

ولا يتبادر الى الذهن أن الكراهية

لئن كان بعض المجتمعات التى يوجد فيها البيض والسود جنبا الى جنب يعانى كثيرا من الضغط السياسى والاجتماعى ، على أثر المطالبة ببعض الحقوق السياسية أو تعديل بعض الاوضاع الاجتماعية الخاصة بالاسود ، فان مشكلة التفرقة العنصرية لا تمت فى الحقيقة الى أصل سياسى أو اجتماعى بقدر ما تمت الى احساس نفسى بحت ، سيطر على سلوك الرجل الابيض وأفكاره ومواقفه جميعا - بعد أن تشبث بموقفه - بحيث يبدو كثيرا للبعض أن مشكلة التفرقة العنصرية من نوع المشكلات التى يعسر حلها

ومعنى قولنا ان الناحيتين السياسية والاجتماعية تعدان ثانويتين بالنسبة للناحية النفسية اذ المسألة تقوم على أساس أن تفاوت المستوى السياسى وكذلك الاجتماعى للبيض والاسود نشأ عن شعور ب « الكراهية » و « عدم الثقة » بينهما . فعامل البغض أو الحب المفقود بين طرفى النزاع هو الذى حدد بداية التنافر ثم العداء ، وما يزال ذلك الشعور هو الذى يغذى طبيعة المشكلة .

المذكورة تصدر من جانب شخصيات لا تزن الامور ، وتعيش في مجتمعتها حياة عقلية عادية ، فحسب ، بل انها موجودة كذلك عند أغلب المثقفين بصفة خاصة . فقد ورد في كتاب عن حياة مؤرخ انجليزى كان الى وقت قريب يعد شيخا للمؤرخين - وهو ماكولى - ((اثنان أمقتهما الى أبعد حد : سائقى الزنجى ، وذلك الذى يصادق الزنوج ويعاضدهم !)) .

وكما وضع العلماء نظرية عن كراهية الزنوج ، فقد اصطالحوا أيضا - وقد جرفهم الهوى والبحث غير النزيه - على تسمية التمساح فى حب الزنوج ومساعدتهم بـ « داء النجرومانيا » الأمر الذى يوحى بأن من يقف الى جانب الزنجى فى محنته ، يكون كمن أصابته حالة مرضية تخضع للتشخيص وتتطلب سرعة العلاج . وقد صنف « ج. كامبل » كتابا جعل عنوانه - « النيجرومانيا » . وقد جاء فيه : ((من يجرؤ أن يدافع عن حقوق الزنوج بعد أن يعرف ما هى !)) .

تلكم هى النقطة التى ينبغى أن نبدأ منها : وهى أن التفرقة العنصرية ألقيت بذرتها فى بيئة المقت وكن الضغينة ، فان أخذت شكل طبقة سائدة وطبقة مسودة ، أو شكل قرارات حرمان من بعض الحقوق ، أو تنظيم المجتمع تنظيما خاصا بحيث يحتل فيه الزنوج قطاعا معروفا ، فان كل هذا غير قمين بأن يعمينا عن المرتكز الاول ، بحيث يمكن القول

بأن حل هذه المشكلة الممعة فى العسر يمكن أن يبدو للعيان واضحا ، بعد أن ننجح فى ايجاد هذه الحلقة المفقودة وأعنى بها روح الثقة والحب . أما أن تتظاهر الدولة بأنها بسبيل تصحيح الاوضاع العامة ، وهى تعلم أن الابيض لا يحترم الاسود ، وأن هذا الاخير لا يثق فيه ، فهذه مغالطة لا تخفى ، واصرار على عدم النظر الى ((ظهر العملة)) كما يقول المثل الفرنسى . والدليل المادى على هذا أن قانون تحرير الارقاء أو عتقهم (فى أمريكا) لم ينته الى شىء ايجابى ، بل لم يحسم الموضوع ، ولم يغير من وضع الزنجى فقد كان وضعه بعده هو وضعه من قبله ، ولم يكن القصد منه الا الإبقاء على الوضع الاول ، لكن فى اطار من التطور الاجتماعى الشكلى .

والآن فان مسألة تقسيم الاجناس الى طبقات نوعية ، والاعتقاد بتفوق نوع منها على نوع آخر ، مسألة لا تنتسب للعصور الحديثة فقط ، كما قد يتبادر الى الذهن . بل هى مسألة قديمة قدم المجتمع الانسانى . وقد أخذت المسألة شكل « القضية الاجتماعية » منذ القدم بعد أن تعقدت الحضارة ، واتسع أفقها . حتى اضطر مفكرو اليونان - بعد اتصالهم بغيرهم من الامم - الى كتابة آرائهم فى موضوع « الفوارق بين الاجناس » ، ويمثل أرسطو موقف هؤلاء المفكرين تمثيلا دقيقا ، ولنتناول مقولاته فى هذا الباب كخطوة أولى فى بناء الاساس

لهذا الموضوع نفسه ، فأرسطو يحلل
السيادة والتبعية أو العبودية بين
الاجناس على النحو الآتى :

١ - (الطبيعة) ذاتها قدرت على
نفر من الناس أن يحكم ويسود ،
وعلى نفر آخر أن يكون للنفر الاول
خادما وعبدا ، وهذا طالما أنها - أى
الطبيعة - منحت الفريق الاول قدرات
عقلية من نوع يمكنه من سيادته ،
والفريق الثانى منحه قدرات من نوع
يبقيه على عبوديته . وحق القوى على
الضعيف كحق الانسان على الحيوان .

٢ - يجب على الفريق الثانى - أى
الخاضع - ألا يمس هذا الوضع لأنه
هو الذى يحتاج الى مساعدة الفريق
الاول لا العكس . فهو يفرع اليه
يسأله العون والمشورة ، بحكم عقليته
المتميزة .

٣ - الشعوب الفاتحة دائما تتميز
بمواهبها الراقية . واذن فالبرابرة
خلقوا ليكونوا عبيدا ، انظر أرسطو
« السياسة » .

ولن نناقش هنا الدافع الى صدور
هذه المقولات عن الحضارة الهيلينية ،
فهذا شطط عن الموضوع ، وانما يمكن
أن نقول انه بالرغم من البعد الزمانى
المديد الذى يفصلنا عن أرسطو ، فما
زال أغلب كتابات علماء الاجناس
الذين يمدون بنظرياتهم أصحاب
سياسة التفرقة العنصرية - لا يخرجون
كثيرا عن نظرية أرسطو التى سبقت
الإشارة اليها .

والأجدر بنا الآن هو أن ندرك

بعض الحقائق التى ساهمت فى
صياغة العلاقة بين الرجلين الابيض
والاسود صياغة نفسية .

فجاء الزنوج من افريقية الى
المستعمرات الغربية ، تم أولا لخدمة
أساسها نفعى تجارى اقتصادى محلى .
ثم تطور ثانيا فأصبح جلب الزنوج
- فى حد ذاته - تجارة مجزية ،
سواء ليؤدى عن الابيض تجارة أو
ليتاجر هو به .

ثم خطا المجتمع الغربى خطوات
سريعة نحو الشكل الرأسمالى
الحديث . وليس ثمة من ينكر الدور
البارز الذى اضطلع به الزنجى فى
اكمال رسم الملامح الرأسمالية
للمجتمع الحديث . فقد عمل الزنجى
الافريقى فى خدمة السيادة من رجال
الصناعة عملا شاقا ، وبذل من طاقته
الكثير ، ولكن - وهى نقطة ذات بال -
كان الزنجى الافريقى فى عمله الشاق
وطاقته المبذولة ، يعمل فى ظل
احساس بأنه رقيق ، وأن هذا الانتاج
الذى يخرج من بين يديه لا حق له
فيه . أو بعبارة أخرى كان عمله آليا
بحتا ، ومن ثم فقد تمت عملية
استخدامه من غير وعى

واذا نجح الرجل الابيض فى كسب
الشوط الاول ، سهل عليه - بعد
ذلك - فرض سيطرته ، وصعب على
الأسود أن يسترد ما فاتته .

والمشاعر التى سادت المجتمع الذى
يجمع الآن بين اللونين كانت هكذا :

أولا - البيض نحو السود : اعتبار
الزئوج الحالين سلالة أرقاء . واذن
فلا يعقل أن يفكر الزنجى فيدعى
لنفسه الحق فى منحه شيئا كان آباؤه
لا يملكونه

ثانيا - البيض نحو أنفسهم : كان
سلوك البيض وموقفهم مكتسبا من
أنهم هم أيضا سلالة لسادة آمريين
متميزين عمن دونهم . واذن فلا يجوز
لهم التفريط فى وضع صانته لهم
آباؤهم .

**ثالثا - الابيض الفقير نحو الأسود
الفقر :** واذا ما تركنا السادة نجد
أن المرءوسين أنفسهم - من بيض
وسود - تشتعل نيران الكراهية بينهم

وقد تفكر فى عامل الدين ،
ونتساءل عن قصوره فى ايجاد حل
للمشكلة ، أو العمل على أن يقلل من
حدة الجفوة ، ويكسر من تطرفها ،
وهذا أضعف الايمان ، ولكن الواقع
أن المبشرين ، شأنهم فى هذا شأن
أعضاء جمعيات محبى الانسانية
يتسمون عموما بالترفع والحساسية
المفتعلة ، وليست عندهم نية اقحام
أنفسهم فى معترك لا يجيدون الصيال
فيه . وأخشى أن أقول انهم - على
العكس - نفخوا فى جذوة المشكلة ،
وهم وسط الزئوج بشكل مستتر ،
وتحت ستار من الاعمال النافعة
والارتقاء بالبشرية !

ثم خطبها المجتمع الذى يحكمه
الرجل الابيض خطوة حاسمة من حيث

تأثيرها البعيد المدى على نفسية
الافريقى ، ذلك أن المجالات قد تحددت
لتعليمه وتربيته ، وبالتالى لتأهيله .
وهذا التأهيل من البساطة بحيث
كانت الاعمال التى يمكن أن يزاولها
هينة تافهة ، قد لا ترضى عما عسى أن
يعتلج بين جنبيه من طموح ، ونزوع
الى الانطلاق . وهكذا تتربى فيه
أولى درجات الفشل واليأس . وينعكس
هذا الاحساس على كل من جهازه
الادارى والنفسى ، وخاصة أن مسألة
العمل مرتبطة بمسألة الاجر . والاعمال
تجازى بقدرها .

هذا ويعزو بعضهم ظهور بعض
الأسماء الزنجية فى ميدان الصحافة
والأدب فى أمريكا ، الى طبيعة المجتمع
الامريكى نفسه وليس الى دوافع ذاتية
فى شخصية الزنجى .

هذا من ناحية الرجل الاسود ،
أما الرجل الابيض فقد أتيح له أن
يعايش بعض التطورات ، والافكار
التي أثرت بدورها فى نفسيته ،
وسممت نظرياته ، وكان كل هذا
وبالا على وبال ، ونتج عنه استحكام
مخيف لقضية التفرقة العنصرية

لقد قلنا ان نظريات الاجناس الحديثة
لا تختلف كثيرا عما سبقها ، وأما هذه
النظريات فتقوم أساسا على هذه
الحقائق الانثروبولوجية :

١ - الفوارق (الطبيعية) بين
الاجناس من العمق والتحكم ، بحيث
ينبغى أن نقر بوجود فوارق نوعية
بين المخلوقات البشرية

٢ - هذه الفوارق النوعية أو العنصرية لها أيضا أرومة وأصول مختلفة ، وهي منعزلة عن غيرها من الأنواع من أقدم العصور .

٣ - تختص بعض الاجناس بالنبوغ والمواهب التي تعين على الابتداع

٤ - اختلاط الاجناس وتهجينها يساعد على الجفاف العضوى ، ويؤدى الى تقويض الحضارة .

٥ - الاختلاف فى الشكل والمظهر الخارجى من لون وملامح .. الخ . مقرون باختلاف جنسى ، ويتضمن اختلافا عقليا أيضا .

٦ - اما التطورات والافكار المشار اليها ، والتي أثرت فى نفسية الرجل الابيض . فمنها مثلا : ظهور نزعة الحفاظ على الطبيعة الاجتماعية ، ومتعلقاتها من نحو المركز ، والثروة ، والمظهر العام ، وهى اشياء من الواضح أنها مترتبة على الحركتين الرأسمالية والاستعمارية .

ثم ان افراد الطبقة الراقية هؤلاء اطلعوا على آراء سوقية عارية تماما عن الروح العلمية ، وتناولوا مشكلة الفوارق الجنسية من زوايا سطحية تماما . لكن الارستوقراطى الابيض الذى يعرض على مركزه بالنواجد لا يبالي الا بما يبقى على الحالة الاجتماعية كما هي

فالسادة البيض يجب أن يظلوا كذلك ، والطبقات الزنجية كما هي أيضا ، والحقوق والعلاقات والمعاملات لا تتغير ولا تزول .

كذلك ظهرت فى بعض الاوقات مبادئ هى من نبات النزعة التسلطية فمبادئ القرن الثامن عشر التنويرية عن حقوق الانسان ، والمستقبل الأرقى للانسانية ... الخ كانت قد زالت لتحل محلها مبادئ من نوع آخر ، مثل « ابتلع الضعيف قبل أن يبتلعك ! »

ويتمشى مع نقطة الكتابات السوقية الآنفه ، نقطة موازية هى مهاجمة « الداروينية » ورميها بأنها رجعية لا تتمشى مع الاتجاهات الحديثة . وواضح طبعا أن القصد من مهاجمة النظرية لأنها تنزل بالاجناس كافة عن مستوى مشترك .

كذلك وجد مبدأ « البقاء للأصلح » من يحرفه ويصوغه فى شكل « البقاء للأرقى » . ولما كنا قد اتفقنا على أن هناك « نوعية جنسية » تنطوى على « نوعية عقلية » فالبقاء من ثم لواء معقود للأرقى والسيد !

وقف الرجل الابيض فى ملتقى هذه العظائم والاكاذيب العلمية . ولكنه لم يكن مسلحا ضدها ، بل كان مسلحا بما يدفعه الى العمل المادى المتمثل فى اعلان سيطرته على سكان افريقية .

وقد شخض علماء النفس الحالة النفسية التى للرجل الابيض والتى دفعته الى التعبير عن فكرة التفرقة العنصرية بشكل ما . فقد لاحظوا أن اغلاء الجنس من شأن نفسه يلقى

تقديرًا واعجابًا من جانب الامم المتحضرة . على حين أن اطراء الفرد لذاته واعلاءه من شأن نفسه يعد أكبر دليل على الحماسة . وتفسيرا لحالة هي ان الابيض يعانى كبتا لرغبته فى اظهار تفوقه ، ثم يحدث «تحويل» أو «تعويض» لطريقة التعبير ، فتنصب عنجهيته على اظهار سمو جنسه ، من ناحية ثم الحط من جنس آخر من ناحية أخرى . وهذه هي قاعدة « الكراهية » التى تتربى عند الاجناس نحو اجناس أخرى .

والدلالة السيكولوجية الخالصة لهذا التصرف هي أن فى نفسية الرجل الابيض - الذى وصل الى المستعمرات فى غياهب القارات ، واستعبد الرجل الاسود ، وتكدست أمواله - هذا الرجل الكبير تتحرك فى داخله روح طفولية ، تحثه على تأكيد ذاتيته ، فلا يستطيع الا أن يؤكد فوق ذاتية الزوج .

وقد ظن بعضهم مثل «مونتربورج» أن النظريات الخاصة بالاجناس ان هي الا تعويض للفلسفة ، ونتيجة لعصر خال من الفلسفة .

وهم يقولون : ان هذه الروح الطفولية تتحرك فى الرجل الابيض الاستعماري الثرى ، وذلك راجع الى كيت وكيت من العلل والأسباب التى يذكرونها . ولكن ماذا نقول فى « مونتسكيو » ، وهو يضع أسسًا للقوانين والسنن التى للزواج .

ولا أظن أن هناك ما يسعفى لايجاد

تعليل للامر ، فلنقرأ كلامه اذن ، دون أن نعلق بشيء :

« أن أتيح لى أن أدافع عن حقنا الذى تمتعنا به فى اتخاذ الزواج عيبا فانى أقول : ان شعوب أوروبا بعد أن وفدت على سكان أمريكا (الاصليين) تحتم عليها ان تسترق شعوب أفريقية لتكون أداة لها فى استغلال ما تغله هذه البقاع المترامية وهذه الشعوب ان هي الا جماعات سوداء البشرة من أخصم القدم الى قمة الرأس . وأنوفها فطساء للرجة لا يمكنك معها أن ترثى لها ، أو تعطف عليها . ثم انه لا يدور بخلدى . ان الله ، تعالت حكمته ، قد بث روحا - وروحا كريما بالذات - فى داخل جسم جالك السواد ! »

وبعد فان فى افريقية دولا ومجتمعات تلاقى من مشكلة التفرقة العنصرية العناء الكثير ، وان كان هذا يتمثل فى جنوب القارة بشكل خاص ذلك ان جنوب افريقية عرف هذه النزعة التاريخية الحضارية الخاصة بتقسيم المجتمع الى قطاعين يتميز أحدهما عن الآخر ، أو نزعة التفرقة أو التمييز وهى أيضا كانت عند الهيللنيين الذى شطروا مجتمعهم شطرين : أحدهما « متحضر » وهو الذى يتكلم اليونانية والآخر « متبربر » وهو الذى يجهلها ، وهذه الفكرة نجد صداها عند كثير من الامم فى مختلف الحقب التاريخية .

حركات التحرر في أفريقية

للأستاذ محمد عبد المنعم يونس

قارة افريقية قارة عريقة ذات تاريخ حافل مشير ، غنية بثرواتها المعدنية وموادها الخام ومصادر القوى الكهربائية ، تخطو شعوبها في الوقت الحاضر نحو التقدم بخطى سريعة مما أدى الى انتقال معظمها من العصر الحجري رأسا الى العصر الذري ، وقد أصبحت أخبار هذه القارة العريقة لها الصدارة في صحف العالم ، وكثيرا ما تطالعنا الصحف بخبر مشير ينبئ عن ميلاد دولة جديدة تمكنت من التخلص من ربة الاستعمار وتحررت وانضمت الى مجموعة الدول الافريقية المستقلة أو عن قيام اتحاد بين بعض الدول المتحررة أو عن قيام ثورة عنيفة في وجه المستعمر الغاصب الذي استمر الاستغلال والسيطرة واستنزاف موارد البلاد ، أو عن انشاء سد عظيم يوفر مقادير هائلة من المياه المختزنة لوقت الحاجة وييسر الحصول على القوى الكهربائية التي تستغل في قيام شتى الصناعات .. وهكذا .. وقد ساعد فيض الوطنية الجارف الذي يغمر جهات القارة الافريقية على انجاز كثير

من المشروعات الضخمة التي كانت تحتاج أجيالا عدة في فترات وجيزة . وقد لفتت القارة الافريقية أنظار العالم كله بما غمرها من وعى ، نما نموا سريعا في السنوات الأخيرة ، ومن موجات قومية متتابعة زادت ضخامتها واتساعها بصورة لم يكن يتوقعها أكثر الناس تفاؤلا ، وستكون أكثر مناطق العالم خطرا وحساسية خلال العشرين عاما القادمة . وقد شعر العالم أجمع ان تلك القارة قد تأثرت بالعالم العربى الى حد كبير واستجابت لنداءاته التحررية ، ولا عجب فقد كان العالم العربى منذ أجيال كثيرة النافذة التي أطلت منها الحضارة والمركز الذى شع منه نور العلم والمعرفة على تلك القارة العظيمة .

ففى العصور القديمة بلغ قدماء المصريين أواسط القارة وتبادلوا المتاجر مع شعوبها ، ثم عند ظهور الاسلام وقيام الدعوة الاسلامية وما تلاها انتشر العرب فى معظم أجزاء القارة الافريقية. واندمج تجارهم فى معظم شعوبها وأقاموا معها روابط وثيقة ونشروا مع تجارتهم مبادئ الدين الاسلامى الحنيف واللغة العربية وآدابها ، كما حمل الرحالة والجغرافيون العرب أمثال السعدى والادريسى وابن خلدون وياقوت والبكرى وابن بطوطة مشعل المعرفة ، وتعتبر كتاباتهم ذات أهمية واضحة فى تاريخ تلك القارة ، وأثاروا فى المجتمعات التى حلوا بها موجات من الفهم والتفكير والنزوع الى التقدم والرقى .

الى أن قامت حركة الكشف الجغرافى ، وخرج المغامرون والرحالة

والمستكشفون لارتداد مجاهلها والتوغل في داخلها بعد كشف سواحلها فأدركوا أنها قارة مليئة بالخيرات تفيض بالمعادن النفيسة والمواد الخام التي تفتقر اليها الدول الغربية في صناعتها ، فبدأت أفواج رجال الارساليات المسيحية تفد وفي أعقابها التجار والشركات الاستغلالية ثم الجنود بأسلحتهم النارية لتثبيت أقدام هؤلاء المستعمرين .

وقد أدى انقضاض هؤلاء المستعمرين من دول غرب أوروبا على تلك القارة المظلومة واستنزافهم لمواردها ، الى عرقلة سيرها في سبيل الرخاء والتقدم ، وهدف الدول الاستعمارية واحد لا يتغير وهو ابقاء شعوب تلك القارة متأخرة ومتخلفة عن شعوب العالم لتتمكن من الحصول على خيراتها في يسر وسهولة ، لأن بقاءها في ظلمات الجهل يبعدها عن التفكير الواعي المستنير الذي يدفعها الى المطالبة بالتححرر والاستقلال والخلاص من يد الفاصب ، وقد عبر احد الاستعماريين عن حيرته ذات مرة بقوله : « ان تعاليم الافريقيين خطر ، ولكن عدم تعليمهم أشد خطورة » . كما أن تنبيه الافريقيين الى أساليب المستعمرين قد بلغ درجة ماحوطة ، اذ علق أحد المواطنين بهذه العبارة : « عندما قدم الأوروبيون كانوا يملكون الانجيل وكنا نحن نملك الأرض ، أما الآن فقد أعطونا الانجيل وأخذوا منا الأرض » . - وهذا يوضح بجلاء أن قدوم الارساليات المسيحية لم يكن الغرض منه نشر مذهب معين أو دين معين بل كان الهدف منه استعماريا

محضا يرمى الى اغتصاب الاراضى من أهل البلاد الأصليين واعطائها للمستوطنين البيض ، وهكذا اتخذ الغربيون من الدين ستارا يخفى وراءه اطماعهم الاستعمارية وأغراضهم الخبيثة .

وكثيرا ما كان رجال الاستعمار يستغلون سداجة زعماء القبائل الافريقية وبساطتهم لخداعهم ، فكان رجل الاستعمار يرسل أحد أعوانه الى زعيم القبيلة حاملا له بعض الهدايا من الأقمشة المزركشة والمصنوعات البراقة والملابس الغربية ويستأذنه في السماح له ولرجال له باقامة معسكر بضعة أيام ، فيأبى كرم الضيافة على زعيم القبيلة الا القبول ، فيقيم رجل الاستعمار مأدبة غداء فاخرة يدعو اليها زعيم القبيلة ، واثناء هذه المأدبة يتخيم الزعيم بالطعام والشراب ، فينتهز الاستعماري هذه الفرصة ويقدم له ورقة ليوقعها ثم يطلب الى أحد أعوانه قراءتها ، وطبعا لا يفهم زعيم القبيلة شيئا منها لأنها بلغة أجنبية ، لكن الاستعماري الماكر يوهمه بأنها وثيقة لتأكيد الصداقة وتدعيم علاقات الود والأخاء بين الطرفين ، وماهى في الحقيقة الا معاهدة تخول لهذا المستعمر المخادع حق استغلال أرض هذا الزعيم وما عليها ومن عليها الى أقصى الحدود ، وهكذا ينتقل من مكان الى آخر ليكرر هذه المهزلة حتى يتم له امتلاك أجزاء متعددة ، وكان هذا هو الأسلوب الخسيس الذي لجأ اليه المستعمرون الأوروبيون في اغتصاب أجزاء القارة الافريقية .

وقد بلغت أرباح الشركات

الاستغلالية في أفريقية في الخمسين عاما الأخيرة ما لا يقل عن ٤٢٠٠ مليون من الجنيهات ، مع أن العامل الأفريقي الذي يكسب ويكدح في مناجم الذهب أو النحاس أو الماس أو اليورانيوم يتقاضى ثمانية قروش في اليوم ، ولم يقف استغلال المستعمر له عند هذا الحد ، بل حرم عليه وهو في بلاده وفوق أرض وطنه أن يدخل الأندية ودور السينما والمطاعم التي يدخلها السادة البيض المزعومون ، كما أنهم يحرمون عليه المرور في الأحياء التي تخصص للبيض ، وركوب الأتوبيسات التي يركبونها .

فثورة شعوب أفريقية على المستعمر الفاسد أمر طبيعي لابد منه ، لأنها ثورة مشروعة في سبيل التحرر والتقدم وكلاهما طبيعة من الطبائع الأصلية في بنى البشر ، ومن العجيب حقا أن يتولى خمسة ملايين من المستعمرين الأوروبيين السيطرة والتحكم في شعوب تلك القارة البالغ عددها ٢٠٠ مليون .

بالرغم من أن الاستعمار قد لفظ أنفاسه الأخيرة في قارة آسيا وجهات الشرق الأوسط وشمال أفريقية ، فإنه ما زال يعلق آمالا كبيرة في البقاء في قلب تلك القارة التي تفيض بالخيرات والثروات ، ويتمثل هدف الدول الاستعمارية في استغلال تلك الجهات

واستنزاف مواردها بأقل ثمن ممكن ، ويعتقد المستعمرون أن في القيود التي يفرضونها على الحركات التحررية والمنظمات السياسية واتحادات العمال وأساليب الضغط والارهاب والقضاء الوطنيين المتحمسين في غياهب السجون وفرض الأحكام العرفية وما إلى ذلك مما يكفل لهم السيطرة والبقاء ، لكن الشعوب الأفريقية مصممة على الحصول على حقها الطبيعي في الحرية والاستقلال مهما كلفها ذلك من ثمن .

لقد تكالبت عدة دول أوروبية على اقتسام قارة أفريقية فيما بينها وأبرمت معاهدات واتفاقيات نظمت توزيع الغنيمة ، ولكن بانتهاء الحرب العالمية الأولى زال النفوذ الألماني عن تلك القارة ، كما أن الحرب العالمية الثانية أعقبتها إبرام معاهدة الصلح مع إيطاليا سنة ١٩٤٧ وتوقيع اتفاقية الوصاية وبمقتضاها تقلص نفوذ إيطاليا عن مستعمراتها الأفريقية السابقة واقتصر على إدارة صوماليا أثناء فترة الوصاية من ديسمبر سنة ١٩٥٠ إلى ديسمبر ١٩٦٠ ، وأصبحت الجهات الأفريقية التي تنوء تحت ظل الاستعمار الأوروبي تحت نفوذ بريطانيا التي لها ١٤ مستعمرة ، وفرنسا التي يبلغ عدد مستعمراتها ١٣ وبلجيكا التي لها مستعمرة واحدة والبرتغال التي لها ثلاث مستعمرات وإسبانيا التي لها مستعمرتان .

الدول المستعمرة	تعدادها	تعداد الشعوب الأفريقية المسيطرة عليها
١ - بريطانيا	٤٩٠٨١٢٠٠٠	٥٨٠٨٣٤٠٠٢٢
٢ - فرنسا	٤٣٠٣٠٠٠٠٠	٣٢٠٤١١٠٥٠٠
٣ - بلجيكا	٨٠٨٦٨٠٠٠	١٢٠٠٠٠٠٠٠
٤ - البرتغال	٨٠٨٦٥٠٠٠	١٠٠٣٨٨٠٧٦٧
٥ - إسبانيا	٢٨٠٩٧٦٠٠٠	٢٢٤٠١٢٦

ويتضح من هذا البيان أن تعداد معظم هذه الدول الاستعمارية يقل بكثير عن تعداد الشعوب الواقعة تحت نفوذها والتي يتولى الأمور فيها حفنة معدودة من رجال الاستعمار .

ولم يقتصر الأمر على تنافس دول أوروبا الغربية في استغلال أجزاء القارة الأفريقية ، بل ظهرت في الميدان الاستعماري الولايات المتحدة الأمريكية التي زحفت على أفريقية بشكل مقنع حديث يتمثل في الشركات الأمريكية التي تبالغ رؤوس أموالها التي تستثمرها في مشروعات استغلالية ما يزيد على ١٥٠ مليون جنيه كما تقدم الحكومة الأمريكية حوالي ٣٠٠ مليون جنيه لبعض حكومات أفريقية . وقد شهدت السنوات العشر الأخيرة موجات جارفة من الحركات القومية التحررية غمرت القارة الأفريقية ، وقد كللت جميع هذه الحركات بالنجاح وأسفرت عن تزايد عدد الدول الأفريقية المستقلة ، ويوضح البيان التالي الدول التي نالت استقلالها في أعقاب الحرب العالمية الثانية ودخلت في قائمة الدول الأفريقية المستقلة التي تضم الإقليم الجنوبي من الجمهورية العربية المتحدة وأثيوبيا وليبيريا واتحاد جنوب أفريقية .

السولة	تاريخ استقلالها
١ - ليبيا	٢٤ ديسمبر ١٩٥١
٢ - السودان	١٩ ديسمبر ١٩٥٥
٣ - المغرب	٢ مارس ١٩٥٦
٤ - تونس	٢٥ مارس ١٩٥٦
٥ - غانا	٦ مارس ١٩٥٧
٦ - غينيا	٢ أكتوبر ١٩٥٨

من الأمور التي لا يختلف فيها اثنان في الوقت الحاضر أن أفريقية تسير في الطريق إلى ميلاد جديد ، وأعظم ظاهرة تسود حياة الأفريقيين في كل مكان هي القومية ، والثورة التي تجيش في نفوس أبناء تلك القارة ، ثورتهم على سنوات طويلة من الذل والمهانة والبنؤس ، ثورتهم على حياة هي أقرب إلى حياة الحيوانات منها إلى حياة الإنسان ، ثورتهم على فقرهم المدقع في بلادهم التي يفيض كل شبر من أراضيها بالثروة والغنى في حين يستمتع الدخلاء الأجانب بكل ما تجود به هذه الأرض من خيرات وفيرة ، فظواهر الثورة بادية وواضحة في كل مظهر من مظاهر الحياة في أفريقية لأن الأفريقيين لا يرضون بغير الحرية بديلا ، وهدفهم الأسمى التحرر من السيطرة الأجنبية سواء أكان مصدرها تلك الفئة القليلة - من المستوطنين - الأوروبيين - التي تتمتع بخيرات بلادهم - ونعيم ثروتهم أم الحكومة الأوروبية التي تفرض عليهم وهي على بعد آلاف الأميال منهم ؟ وظاهرة الرغبة في التحرر هي اللون السائد في كل مظهر من مظاهر الحياة في أفريقية الآن ، فهي التي تدفع الأفريقيين إلى التعرف ببعضهم بعضا وهي التي فتحت أعينهم إلى أن ينظروا إلى أنفسهم كأمة ذات كيان لا مجرد قبائل متفرقة .

ولقد ظهرت مبادئ كثيرة تدعو إلى الديمقراطية والاشتراكية وتنادي بالتحرر الوطني ولا شك أنه قد حدث تطور جلى شمل جميع أنحاء قارة أفريقية نتج عن عدة أمور منها نمو تجارة الاستيراد والتصدير وتزايد

عدد مزارع المواد الأولية واتساع الاستثمارات وتعدد المناجم ونبشاة طبقات اجتماعية جديدة لم تكن قد ظهرت في القارة من قبل مثل طبقة المستوطنين الأوروبيين والطبقات المتوسطة والعمال الصناعيين الأفريقيين وانتشار مدارس الارساليات المسيحية وتضاعف نشاط المبشرين الأوروبيين ورواج الكتب والصحف والاذاعة ونشأت أجيال مثقفة مستنيرة من شعوب افريقية .

ومما عجل بهذا التطور اشتراك الافريقيين في الحربين العالميتين الأولى والثانية كجنود وعمال واطلاعمهم على آفاق جديدة واتصالهم بحضارات وثقافات كثيرة ، كما كان للأزمات التي قامت في أعقاب الحرب العالمية الأولى أثرها الجلى ، وكذلك ظهور الحركات والأحزاب السياسية التي تزعمتها الطبقة الجديدة من الزعماء الأفريقيين الذين أجمعوا على تغيير الأوضاع وضرورة انسحاب المستعمرين لينال الافريقيون قسطهم في الحياة الحرة الكريمة ويتمتعوا بخيرات بلادهم التي طالما حرموا منها ، فقامت الحركات التحررية التي تهدف الى تغيير الحدود السياسية التي فرضها المستعمر الفاصب ، وتعديلها وفق ما تقتضيه طبيعة الأمور ، ثم بدأت الشعوب الأفريقية التي نالت استقلالها تدعو الى الاتحاد لتأليف جهات قوية تستطيع الصمود أمام مؤامرات المستعمر العنيد فقام الاتحاد الذي نشأ بين دولتي غانة وغينيا ، وأعقبه اتحاد مالي الذي يضم بعض الجمهوريات التي تتمتع بالحكم الذاتي في أفريقية

الغربية الفرنسية وهي السنغال والسودان الفرنسي وفولتا العليا ، وداهومى وتكون أيضا اتحاد جمركى بين جابون والكنغو الاوسط وأوينجى وشارى وتشاد وكلها أعضاء في أفريقية الاستوائية الفرنسية ، وقد حرص كل من هذه الاتحادات على النص بأن بابه مفتوح لانضمام أية دولة افريقية اخرى مما يوضح أن الرغبة أكيدة في التكنل ضد المستعمر .

لكن السلطات الاستعمارية سعت الى تأليف اتحادات زائفة تدين لها بالولاء وتعمل حسب هواها ووفق مشيئتها : في ظاهرها مصلحة الأفريقيين وفي باطنها الدمار والهلاك لهم ، فحاول البريطانيون اقامة اتحاد شرق افريقية من كينيا وأوغندا وتنجانيقا ليتأكد الاستيطان البريطانى في جميع أجزاء هذا الاتحاد ، ولكن شعوب هذه الجهات قاومت هذا الاتحاد بشدة وعنف ولا سيما شعب أوغندا المجيد الذى ادى عناده واصراره بالمستعمرين البريطانيين الى نفي الكاباكا (ملك بوجندا) وقيام أزمة ١٩٥٣ ولم تفتّر عزيمتهم بعد هذا بل دعوا الى اقامة اتحاد افريقية الوسطى من روديسيا الجنوبية وروديسيا الشمالية ونياسالاند ، وكذلك محاولاتهم الأخيرة ادخال الصومال البريطانى في اتحاد مع الصومال الايطالى السابق الذى سينال استقلاله عام ١٩٦٠ وتأليف دولة مستقلة واحدة تدخل في نطاق الكومونولث ، وربما تحدث تسوية سياسية بشأن الصومال الفرنسى تهدف الى ضمه الى هذا الاتحاد المنتظر وتعويض

جميعا اذ يعتبر استقلالها على رأس الأحداث العظيمة في تاريخ القارة الافريقية ، فهي تضم حوالى ٣٥ مليونا من السكان وتعتبر أكبر دولة في قارة افريقية وستصبح رابعة دول الكومنولث من حيث المساحة .

أما الدول الثلاث الأخرى فكلها تحت وصاية الأمم المتحدة ، وقد كانت توجولاند والكمرون من المستعمرات

فرنسا في مقابل ذلك بمنحها مستعمرة غمبيا البريطانية التي تطوقها السنغال فى أفريقية الغربية الفرنسية ، ولو أن ديجول قد صرح أخيرا بأنه يعارض فى منح الصومال الفرنسى استقلاله وبالتالي دخوله فى اتحاد مع الصومالات الأخرى .

ان موجة التحرر والاستقلال طغى مدها على القارة الافريقية فشمها

الدولة	تعداد سكانها	تاريخ استقلالها
١ - الكمرون	٣٢٠٠.٠٠٠	أول يناير سنة ١٩٦٠
٢ - توجولاند	١٣٠٠.٠٠٠	٢٩ أبريل سنة ١٩٦٠
٣ - نيجيريا	٣٥٠.٠٠.٠٠٠	أول أكتوبر سنة ١٩٦٠
٤ - صوماليا	١٣٠٠.٠٠٠	أول ديسمبر سنة ١٩٦٠

الألمانية لكنها صفيت بعد الحرب العالمية الأولى ، أما صوماليا فقد كانت ضمن المستعمرات الإيطالية فى افريقية حتى نشوب الحرب العالمية الثانية وبمقتضى نظام الوصاية تولت فرنسا ادارة الكمرون وتوجولاند كما تولت ايطاليا ادارة صوماليا حتى تاريخ نيلها الاستقلال .

ولم تقف الحركات التحررية عند هذا الحد ولكن الثورات مازالت تغمر بقية أنحاء تلك القارة العريقة ، فالكنغو و كينيا وأوغندا وروديسيا ونياسالاند كلها تطالب بالاستقلال وتسعى الى نيل حقها فى الحرية وستفوز حتما على المستعمر الفاسب الذى آن له أن ((يحمل عصاه ويرحل الى غير رجعة)) .

كلها واجتاحتها الثورات فى كل مكان ، ولا بد للمستعمر من تركها لأهلها اليوم أو غدا ويستعد الزعماء الوطنيون للمعركة التى ستنتهى حتما بانتصارهم وفوزهم .

وافريقية اليوم على عتبة الحرية ولم يبق سوى بضعة شهور قليلة ثم تفتح أبواب الحرية على مصراعيها فى معظم بلادها .

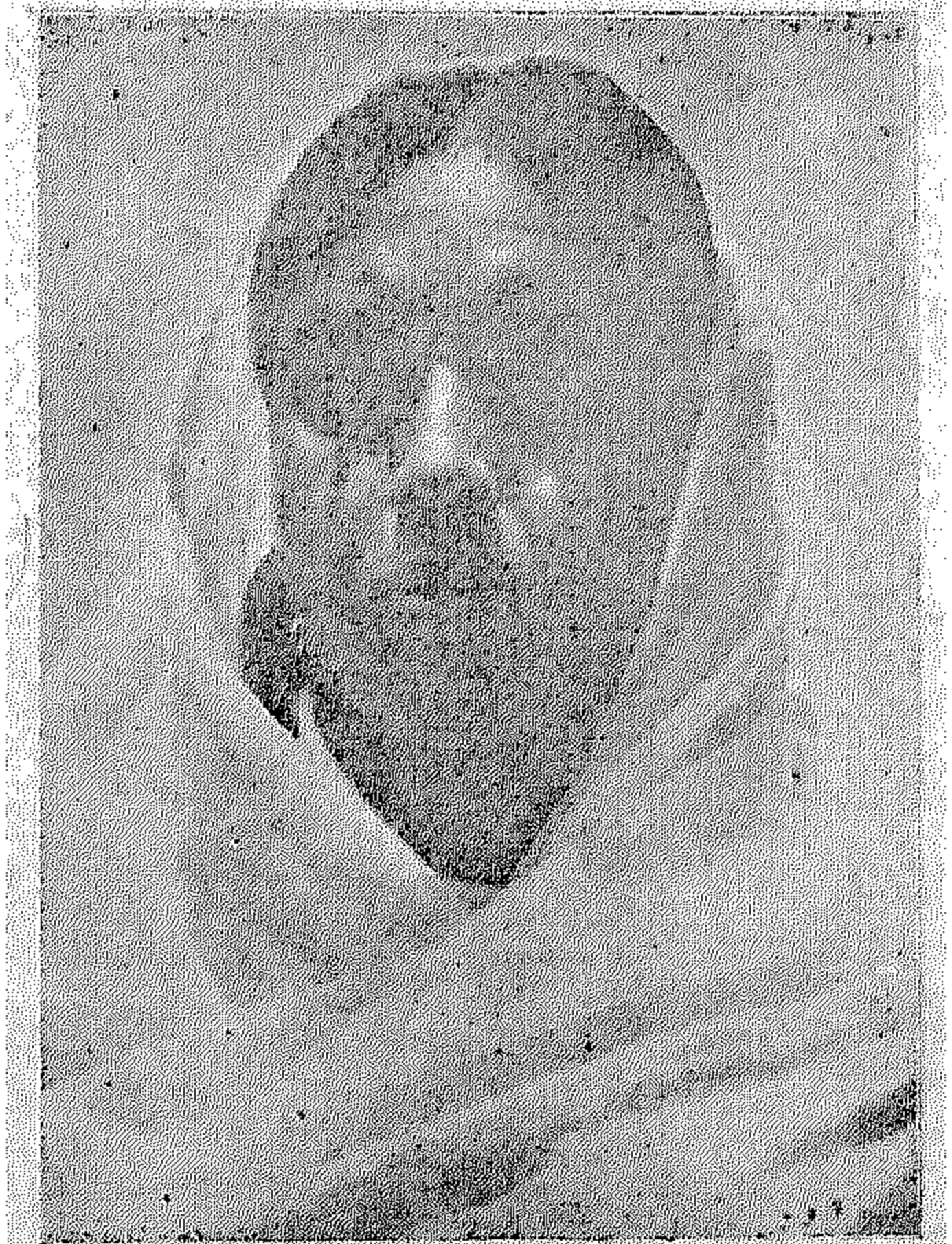
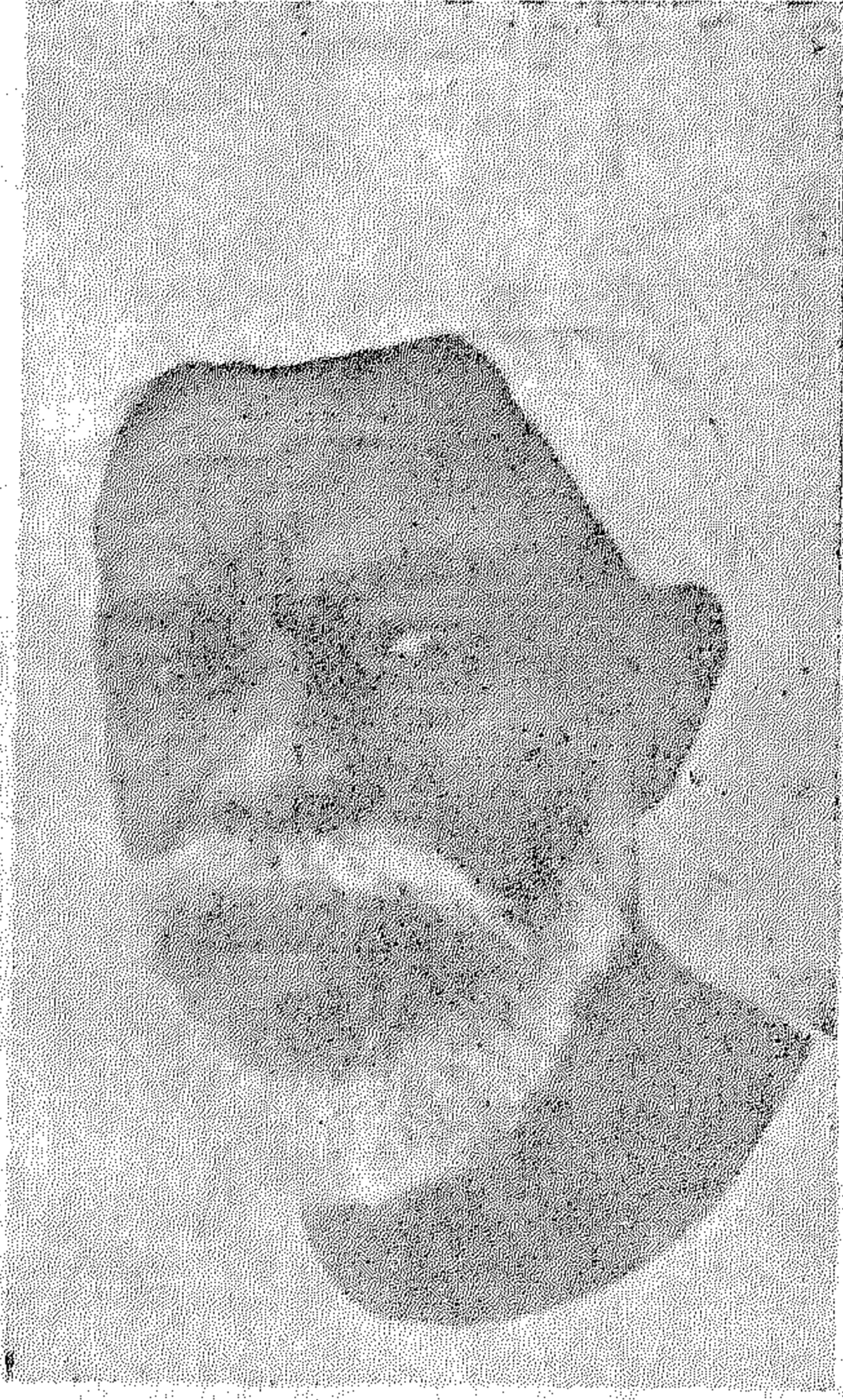
وسينضم الى صفوف مجموعة الدول الأفريقية المستقلة خلال عام ١٩٦٠ أربع دول تضم ما يزيد على أربعين مليونا من الافريقيين يوضح البيان السابق تعداد سكان كل منها والتاريخ المحدد لنيلها الاستقلال .

وتعتبر نيجيريا أهم هذه الدول

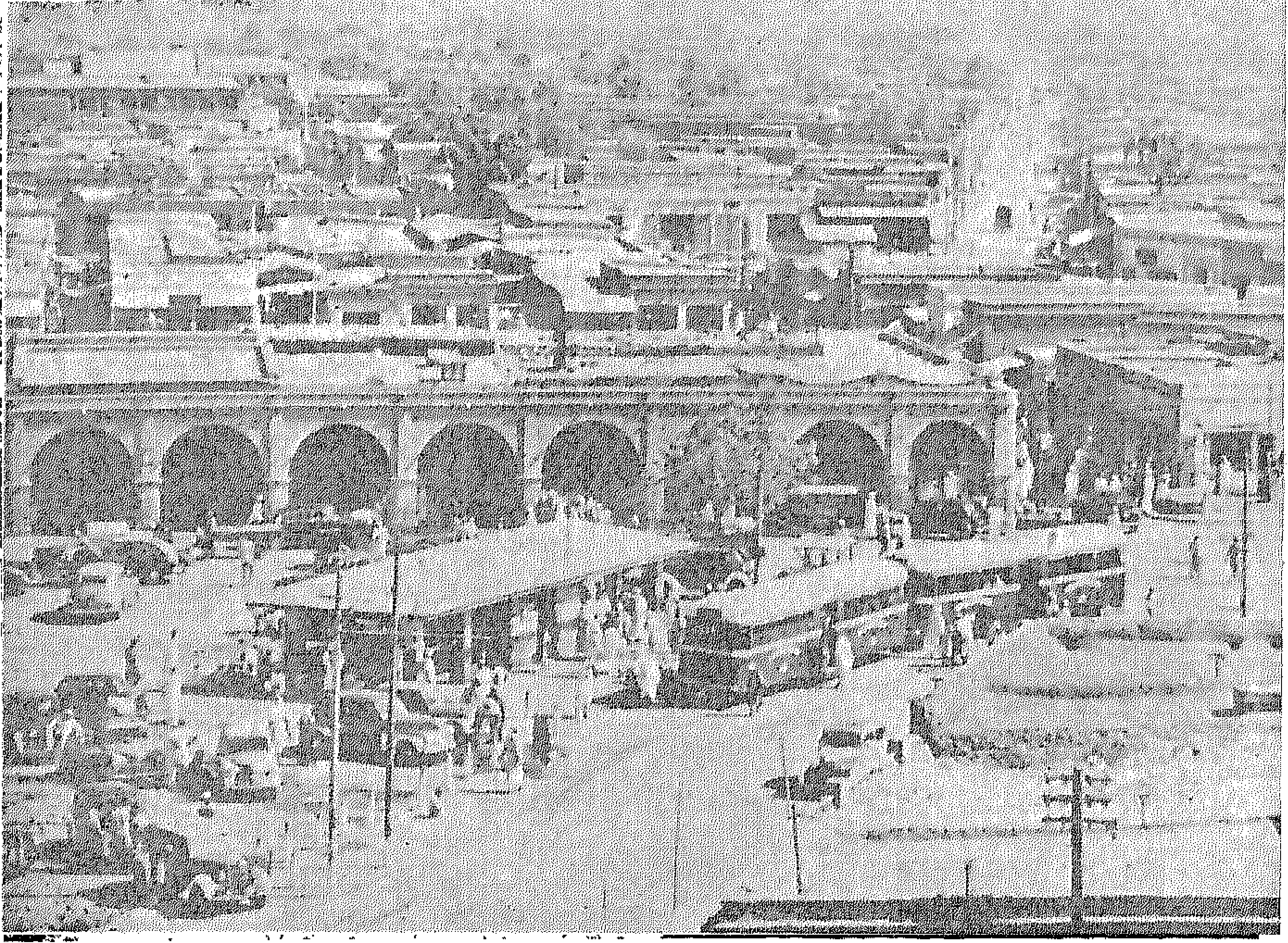
السودان في صو

تقوم في السودان الآن نهضة مباركة تشمل كل شيء فيه ، وتتجدد في كل مرفق من مرافقه فقد بدأت الحياة تدب في أوصاله قوية عارمة بعد أن نال استقلاله . ومن هنا نراه يتجدد في كل مظاهر الحياة ، ويسير بخطى قوية في طريق العزة والكرامة . مدركا في الوقت نفسه أن عليه رسالة نحو جيرانه الذين لم يتحرروا بعد .

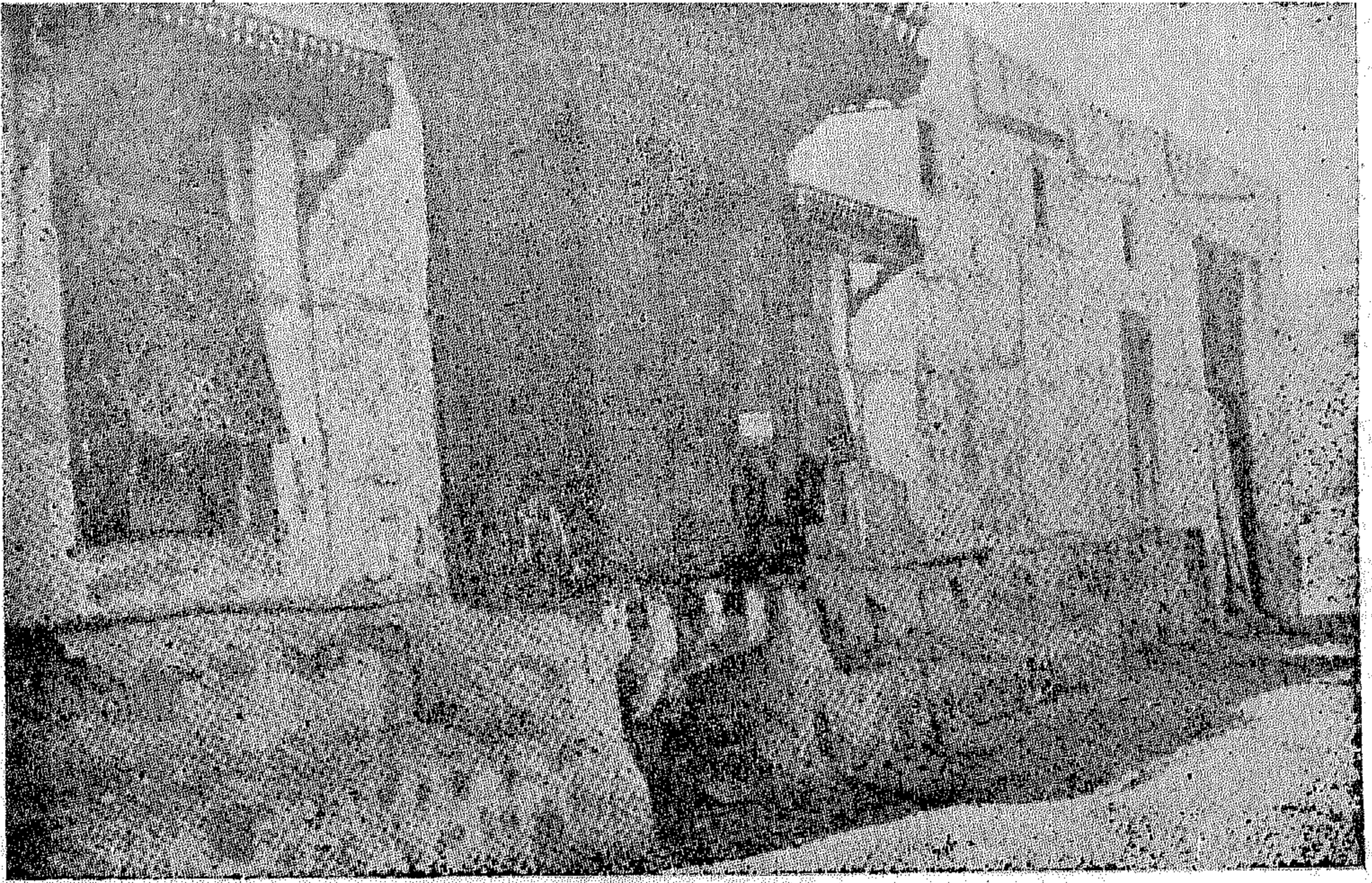
فأفريقية اليوم وحدة من المشاعر، وأحاسيس مترابطة في كل مكان فيها . وبمثل هذا الشعور القوى بالوطن الكبير « أفريقية » نستطيع أن ننال مكاسب .. تلو مكاسب .. وانتصارات بعد انتصارات .. والفد للقارة .



ملاح سودانية



مدينة الخرطوم



من نظام المباني العربية في سواكن



وجه من جنوب السودان



المواصلات في جنوب السودان



التبكير للرزق

البحر الأحمر

ودول العالم القديم

للأستاذ سمير عطا

البلاد . الا أن مفاخرات المصريين في البحر الأحمر ازدادت نشاطا في عهد الأسرة السادسة ، يدل على ذلك الآثار التي وجدت من عهد هذه الأسرة ويؤيده أيضا ... «قصة الملاح الغريق» المشهورة في الأدب المصري القديم ، والتي ظهرت في هذا العصر . ولكن الملاح في البحر الأحمر مالبت أن ضعف شأنها بعد انهيار الدولة القديمة بسبب غارات بدو الصحراء واضطراب الأحوال الداخلية ، الا أن الأسرة الحادية عشرة لم تكد تتولى الأمور في مصر ، حتى أمنت هذا الطريق ، وأعادت الصلة بين مصر وبلاد بنت الى سابق عهدها . وفي عهد هذه الأسرة شقت قناة «سيزوستريس» . وهي أقدم اتصال مائي بين البحرين الأبيض والأحمر عن طريق النيل .. اذ كانت تخرج من فرع النيل الشرقى (الفرع البيلاوزى) عند بوسطة ، وتخترق وادى الطميلات بمديرية الشرقية الى بحيرة التمساح ، فالبحيرات المرة ، فالقلم على شاطئ الخليج المسمى باسمها .

وكان من اثر ذلك . . . أن ازداد النشاط البحرى في البحر الأحمر عن

لم تكن أهمية البحر الأحمر في العالم القديم بأقل من أهميته الفائقة بالنسبة للعالم في العصر الحديث . ولا يمكننا أن ننكر أبدا ، أن البحر الأحمر كان من أهم العوامل التي بنيت عليها أهمية هذه الدول الواقعة على جانبيه . فلولاها لما أصبحت مصر همزة الوصل بين الطرق العالمية كما هى عليه الآن ، وكما كانت من قديم الزمان . بل انها لم تكن تبلغ هذه المكانة في الأهمية . كطريق عالمى بين الشرق والغرب ، ولا يقلل من أهمية البحر الأحمر ، وجود طريق برية أخرى كانت تصل ما بين الشرق والغرب . اذ تبرز هذه الأهمية حقا حينما تضحل هذه الطرق ، وتموت شيئا فشيئا . بينما يظل البحر الأحمر مزدهرا ، يعج بالحركة على مر السنين .

وقد ظهرت البحرية المصرية في البحر الأحمر لأول مرة في عهد الملك ساحورع . وقد استطاع المصريون - حينما نزلوا الى هذا البحر - أن يتصلوا ببلاد النوبة عن طريق أكثر سهولة من الطريق البرى ، لأنهم كانوا يجلبون الذهب والرقيق من هذه

ذى قبل ، فى عهد الملكة «حتشبسوت»
وتحدثنا الآثار المصرية ان هذه الملكة ،
أرسلت حملة تتألف من أربعين سفينة
الى بلاد بنت . ولا تزال أخبار هذه
الحملة مسجلة الى اليوم فى معبد
الدير البحرى ، الذى يرجع تاريخه
الى هذا العصر ..

وقد فكر نخاو عام ٦٠٩ ق م .
فى إعادة حفر القناة ، بعد أن سدت
حتى تنشط المعاملات مع بلاد العرب
وغيرها . ولكنه أوقف العمل كما
يقال : حين تنبأ له أحد الكهنة ..
بأن القناة لن تفيده الا الأجانب ،
وستعود على مصر بالضرر (١) ، أو أن
مهندسيه هم الذين لصحوه بذلك ..
لارتفاع مستوى البحر الأحمر عن
الدلتا . ومع ذلك فقد استغل نخاو
البحر الأحمر فى بعثة من أشهر البعثات
البحرية فى التاريخ القديم وهى
البعثة التى بدأت الطواف حول أفريقيا.
وقد ذكر هيرودوت هذه الرحلة
فى تاريخه الكبير ، وكان الفينيقيون
يقودون هذا الأسطول الذى دار حول
أفريقية حتى وصل الى أعمدة هرقل
(جبل طارق) ، ومنها الى مصر .
وقد استغرقت هذه الرحلة ثلاث
سنوات . ويقال : ان الملاحين قد
نفدت مؤونتهم مرتين ، وانهم نزلوا

(١) يظهر ان هذه النبوءة لم يكن لها نصيب
من الصحة ، فان القناة أصبحت اليوم فى عهد
الجمهورية العربية المتحدة مصدر ثراء عظيم
وخير عميم لمصر وشعبها ، بفضل الرئيس جمال
عبد الناصر وتأميمه للقناة ، وقد بلغ دخل
مصر من القناة ٥٧ مليوناً من الجنيهات ، ولقد
أصبحت مصر بفضل هذه القناة بعد التأميم
فى مركز تحسدها عليه كبريات الدول .

بالساحل الغربى لأفريقية ، فحراثوا
الأرض ، وبذروا الحب وحصدوه .
وليس هناك ما يدل على حدوث قتال
بينهم وبين سكان البلاد التى نزلوا بها .
من هذا يبدو أن المصريين لم تكن
لهم أغراض توسعية أو استعمارية من
وراء هذه الحملات .. وانما كانت
أغراضهم تجارية بحتة ، لأن المصريين
كانوا فى حاجة شديدة الى التوابل ،
والى الطيوب ، وكانوا يجلبون كذلك
المر واللبن . وهذه الأصناف كانت
لازمة للتحنيط فى مصر .. اذ ان
فن التحنيط المصرى كان من صميم
المقيدة المصرية . وقد كان مقصوراً فى
عصر الدولة القديمة على الطبقات
العليا فى المجتمع المصرى ، غير أن ثورة
الدولة الوسيطى وقيام الدولة
الحديثة ، أدت الى شيوع هذا الفن
بين المصريين على اختلاف طبقاتهم .
ولعل هذا يتفق مع اقبال المصريين على
ركوب البحر فى عصر الدولة الحديثة .
فهذه البضائع كانت تجلب من أسواق
اليمن ، والمراكب المصرية كانت تبحر
الى هذه الأسواق فى العصور القديمة.
والدليل على ذلك أن كلمة « بنت »
فى اللغة المصرية معناها « سمرة
اللون » ، وهذه السمرة فى اللون
كانت من خصائص الأجناس القديمة
المحيطة ببوغاز باب المندب ، والدليل
الثانى : أن اقليم حضرموت كان
معروفا طوال العصور التاريخية بأنه
مزرعة اللبان فى العالم القديم ، وهو لا يزال
كذلك حتى اليوم . والبحوث الحديثة
التي قام فيها علماء الآثار بدراسة
الأوصاف التى وردت فى الأساطير
المصرية عن هذه البلاد .. قد دلت -

بصفة قاطعة - على أن بلاد « بنت » ،
هى بلاد اليمن القديمة ، وبلاد
الصومال الحالية . وإذا كانت الوثائق
المكتوبة تنقصنا لتأييد هذا الكلام ،
فإن قيام الحضارة ينهض دليلاً
ملموساً على ذلك ، فعلماء الحضارة
اثبتوا أن فن الرى العربى القديم كان
أشد تأثيراً بالتقاليد المصرية منه
بالتقاليد العراقية ، وأثبتوا أن عمارة
سد مأرب تشبه عمارة السد الذى
أقامه المصريون عند مدخل واحة
الفيوم ، كما أن فن النحت اليمنى
القديم يحمل طابعاً مصرياً بارزاً .

وإذا كان الفينيقيون هم الذين
قادوا الأسطول المصرى فى الطواف
حول أفريقيا ، فإننا نجد صلة
الفينيقيين بالبحر الأحمر لا تقتصر على
هذا العمل الكبير ، وإنما كانت أيلة على
رأس خليج أيلة ، أو خليج العقبة
الحالى ، مدينة ذات شأن عظيم فى
التجارة فى الزمن القديم . إذ كانت
ملتقى القوافل بين مصر والشام وبلاد
العرب . ولذلك فقد جاهد
الاسرائيليون فى الاستيلاء عليها ،
ونجح النبى داود فى فتحها ، وظلت
جزءاً من مملكة يهوذا فى عهد النبى
سليمان . وقد استعان سليمان
بالفينيقيين فى جعل أيلة ميناء ضخماً
تبنى فيه السفن لمزاولة نشاطها
البحرى فى البحر الأحمر ، وقد حصنها
عزرياً وجعل منها ميناء رائعاً كان
ينافس صور فى يوم من الأيام .

ونعود الى مصر فى الدولة الحديثة
حيث نشهد قصة من أروع ما عرفه
التاريخ القديم من قصص .. تلك هى
قصة غرق فرعون فى البحر الأحمر .

وقد يكون هذا الفرعون هو « منفتاح » ،
فقد جاء فى لوح عثر عليه فى طيبة
انه أباد بنى اسرائيل . وقد دعا هذا
بعض المؤرخين الى القول بأنه فرعون
المذكور فى الكتب السماوية ، أما أين غرق
فرعون وجنوده فى البحر الأحمر؟ فقد
نستدل على ذلك .. بتتبع سير
الاسرائيليين حين هروبهم من مصر عن
طريق وادى الطميلات شمال بلبيس
حتى وصولهم الى البحيرات المرة ،
وكانت تمتد شمالاً الى أبعد مما هى
عليه الآن لاتصالها بالبحر الأبيض .
وربما غرق فرعون فى هذا المكان ، أو
فى خليج السويس نفسه .

وبعد اضمحلال الدولة الحديثة
ظهرت قوة النوبيين فى جنوب مصر ،
حتى تولى أمرهم الملك « بعنخى » ،
فرأى أن تكون مصر كلها تحت
حكمه .. ولم يجد طريقاً لفوز
الشمال خيراً من طريق البحر الأحمر .
وكان ذلك أول خطر حربى فى التاريخ
يهدد مصر عن طريق هذا البحر ، ولو
أن هذا الغزو النوبى لا يعد غزواً
خارجياً ... فالنوبة منذ القدم
جزء من مصر و « بعنخى » نفسه كان
نصف مصرى تجرى فيه الدماء
الفرعونية . وبعد عصر « نخاو »
أصبحت حركة الملاحة فى النصف
الجنوبى من البحر الأحمر ، أنشط
منها فى النصف الشمالى على وجه
العموم . فقد شهد جنوب البحر
الأحمر ، فى تلك الآونة ، قيام عدة
حضارات عظيمة فى اليمن والحبشة .
وكانت دولة سبأ ، قد ظهرت فى هذه
الحقبة كقوة عظمى فى العالم القديم .
وساعدت الظروف الدولة السبئية ،

على أن تتبوا مكان الصدارة في المحيط
الدولى ، وتهيمن على طرق التجارة
بين الشرق والغرب . فان مصر بعد
الأسرة السادسة والعشرين ، لم تعد
قادرة على أن تلعب دورا بارزا في
سياسة الشرق الأدنى، وكذلك انتهت
دولة آشور بعد هجوم الفرس من
جنوب بحر قزوين ، وانفردت بابل
بالزعامة في بلاد العراق . وكان ملك
اليهود قد انتهى في اورشليم عام
٦٠٨ ق . م . ، واستطاع البابليون أن
يهزموا المصريين في معركة قرقيش ،
وبذلك بسط البابليون سيطرتهم على
الشرق الأدنى . وانتهاز سبأ فرصة
هذا الصراع الدولى فاستولت على
تجارة العالم القديم ، وتجمعت في
أيديها ، من جراء ذلك ، ثروات طائلة
عن هذا الطريق . وظلت سبأ تحتل
هذا المركز حتى سنة ٢٣٠ ق . م .
حينما أخذت الوثائق القديمة تسجل
لنا خروج بعض القبائل اليمنية على
زعامة سبأ . . . فثارت قتيبان
وحضرموت ، بل أخذت القبائل
المؤسسة لدولة سبأ تتنازع من أجل
العرش . وفي وسط هذا الاضطراب
السياسى . نمت قوة حمير ،
واستطاعت سنة ١١٥ ق . م . ، أن
ترث ملك سبأ وأن توحد القبائل
اليمنية ، وتؤسس دولة حمير ، وتمثل
فترة هذه الدولة العصر الذهبى
للملاحة في البحر الأحمر .

ولا يفوتنا قبل الحديث عن حمير ..
أن نذكر شيئا عن نشاط العراق
القديم في هذه الحقبة . فان صلة
مصر ببلاد العراق لم تكن تقتصر على
الطريق البرى المار بشمال بلاد العرب

وجنوب بلاد الشام ، وانما كانت
السفن المصرية تتخذ من البحر الأحمر
طريقا .. يوصلها الى المحيط الهندى
ثم الى الخليج العربى ، لكى تصل
الى بلاد العراق . ولقد نتج عن ذلك ،
أن أسس المصريون مدينة يثرب ،
كما تدل البحوث الحديثة . فان اسم
يثرب مشتق من اسم الالهة
« أتريس » المعروفة في الديانة
المصرية ، ولم يكن هذا الطريق
مقصورا على السفن المصرية بالنسبة
للعلاقة بين مصر وبلاد العرب والعراق ،
بل كان لبحرية العراق دور بارز في
هذا المضمار . ولقد رأينا في آثار
الحضارات العربية كثيرا من أصول
الحضارات العراقية القديمة منذ فجر
التاريخ . وأول هذه الحضارات هى
الحضارة السومرية والحضارة
الأكادية . وقد اتصل السومريون
والأكاديون ببلاد العرب منذ الألف
الرابع قبل الميلاد ، يدل على ذلك ان
النقوش السومرية والأكادية ورد فيها
اسم موضعين ببلاد العرب هما :
معان وملوخوا ، وقد ثبت بعد الدراسة
والبحث أن هذين الموضعين لهما
فى النصوص السومرية مدلول
يخالف ما فى النصوص الأكادية ، ففى
النصوص الأولى : ظهر أنهما يدلان
على مواضع على شاطئ الخليج العربى
القربى ، وتبين أن البحرية السومرية ،
كانت تصل الى آخر الخليج العربى ،
جلبا للأحجار والأخشاب اللازمة فى
الصناعات القديمة . والنصوص الأخرى
أوضحت أن المقصود بهذه المواضع ..
هو ساحل بلاد العرب كله . ومعنى
هذا أن البحرية الأكادية ، كانت أوسع

نشاطا .. اذ استطاعت ان تدور حول الخليج العربى ، وان تصل الى منطقة السويس . وبذلك اشترك العراقيون منذ القدم فى التجارة القديمة ، وذهبت سفنهم الى أسواق اليمن القديمة ، وظهر أثر هذا الاتصال فى الحضارتين اليمنية والأكادية ، فالقلم اليمنى القديم هو نفس القلم المسمارى الأكادى القديم ، واللغة اليمنية القديمة تشبه الى حد كبير اللغة الأكادية . غير ان قيام الدولة الآشورية غير من هذا الاتجاه البحرى ، وبدأت دول العراق تتجه صوب شرق البحر الأبيض المتوسط . ولم يرض عرب اليمن بهذا الوضع مما دعا الآشوريين الى القيام بحملة شرقية كبيرة عام ٧٢٤ ق.م. ، ورد فيها للمرة الأولى اسم **ثمود وسبأ** ، وذكرت هذه النصوص أن السبئيين دفعوا الجزية للآشوريين .. فلا غرابة اذا راينا الحضارة السبئية تضمحل بعد ذلك شيئا فشيئا . ومع ذلك فان التاريخ قد ترك لنا فى حالات كثيرة .. ما يدل على أن الدول التى تعاقبت على بلاد العراق كانت ، وما زالت حتى اليوم ، ترى أن مجالها الحيوى فى الشرق الأوسط يرتبط كثيرا بمنافذ البحر الأحمر ، وقد شعر بهذا البابليون . ثم الفرس من بعدهم . ولعل الحروب القديمة التى دارت رحاها بين الفرس والروم ، كان من أهم اغراضها السيطرة على هذه الطرق الهامة فى الحياة الاقتصادية فى العالم القديم .

وحينما أخضع «قمبيز» مصر وتولى بعده «دارا» عرش فارس ، اهتم هذا

الآخر بطريق البحر الأحمر اهتماما كبيرا ، وليس أدل على ذلك من أنه **حفر القناة** التى كان « **نخاو** » قد أوقف العمل فيها . ولكن الاسكندر الأكبر سرعان ما هزم دارا ، وقضى على امبراطورية الفرس ، وخضعت مصر لليونان ، وقامت فيها دولة جديدة عرفت باسم الدولة البطلمية . وقد عملت هذه الدولة على ازدهار التجارة فى البحر الأحمر ، وبذلك دخلت فى منافسة رائعة مع دولة الحميرين فى اليمن . وكانت هى المسيطرة على تجارة البحر الأحمر منذ زمن بعيد ، اذ أن تجارة الهند الرائجة كانت تنتقل بحرا حتى شاطئ **حضر موت** ، ثم تنتقل برا من هذا الشاطئ على ظهر القوافل حتى مدينة مأرب عاصمة سبأ ، ثم تنتقل منها الى مدينة مكة ، ثم الى أسواق الشرق الأدنى . ولكن حدث فى أواخر القرن الثانى ق . م . تغير فى طريق هذه التجارة ، وسلكت طريق البحر الأحمر وأخذت هذه التجارة البحرية الجديدة تذهب الى شعب آخذ فى النمو على أنقاض سبأ ، هو شعب حمير لموقعه على ساحل البحر الأحمر . وكان هذا العامل الاقتصادى من أهم العوامل التى ساعدت على قيام دولة حمير ، وعلى انتشار نفوذها فى بلاد العرب . فورثت ملك سبأ ، ووحدت البلاد تحت سيادتها ، ونجح الحميريون فى هذه التجارة البحرية الى حد بعيد ، حتى أصبحوا يحق سادة البحر الأحمر دون منازع .. حتى لقد أطلق عليهم اسم **فينيقيو البحر الأحمر** . والأساطير العربية تذكر لنا .. أن الحميريين

شيشرون يدعو الى تعيين بومبي ،
وانما الذى يعيننا ... هو ما كان
يهدف اليه بومبي نفسه . ولا شك
أنه قد سعى كثيرا لتولى هذا المنصب .
وكان بومبي - الى جانب مقدراته
العسكرية - على علم تام بالأحوال
السياسية المضطربة فى روما ، وما
يدبر فيها من مؤامرات ودسائس ،
ففضل أن يتجه الى الشرق فهو ميدان
بكر لنشر النفوذ الرومانى .. حيث
يكون هو السيد الوحيد لهذا الميدان
تشبها بما فعل الاسكندر من قبل .
ولذلك فانه بدا بالاستعلام عن الطرق
المؤدية الى الهند لكى يستولى عليها
وترك لأسطولة مهمة مطاردة خصم
روما العنيد « متراداتيس » ، بينما
اتجه هو الى بحر قزوين حيث أخضع
شعب « الالبانيين » . وسرعان ما
قامت الحرب الضروس فى أعالي
الفرات بينه وبين البارثيين . وقد
راودت « بومبي » نفسه فى الاستيلاء على
بابل على أثر ذلك ، الا أن الأحوال
فى أرمينية استدعت وجوده هناك
لتنظيم الأقاليم الواسعة التى فتحها ،
ولذلك فقد عاد الى أرمينية ولكن لم
ينس حلمه بالاستيلاء على الشرق
والوصول الى الهند .. ففكر فى طريق
آخر أسهل من طريق بابل وإيران .
ولم يكن أمامه الا البحر الأحمر فجعله
بومبي هدفه الرئيسى فيما يقبل من
حملات . ولعله كان يفكر فى الوصول
الى الهند . ثم الزحف منها على ايران
وبابل ... تسانده جيوش رومانية
أخرى تزحف عليهما من الشمال .
وبدأ تنفيذ خطته بالاستيلاء على
دمشق عام ٦٤ ق.م . ، ثم زحف على

فتحوا بلاد الهند . وهذا يدل على أن
نشاطهم البحرى امتد شرقا حتى
وصل الى بلاد الهند ، بل امتد
نشاطهم البحرى كذلك حتى شمل
شمال أفريقيا ، ويؤيد هذا أن بعض
القبائل المغربية قبل الفتح العربى ،
كانت ترجع أنسابها الى أصل حميرى .

غير أن هذه الحالة لم تستمر طويلا ،
فقد بدأت على مسرح السياسة الدولية ،
ظواهر منافسة خطيرة كانت تنذر
بنهاية عهد السيطرة الحميرية ..
ذلك أن الحميريين حينما سيطروا على
التجارة ، واحتكروا تجارة
التوابل ، رفعوا من أسعارها ،
وفرضوا عليها الضرائب الباهظة
وكان العالم القديم لا يستطيع الاستغناء
عنها ، لذلك فكرت بعض الدول فى
التدخل للقضاء على هذا الاحتكار .
وقد ساعد على ذلك أن قامت فى مصر
دولة البطالمة ، وكانت قوية غنية ،
فأضحت من أسبق هذه الدول الى
منافسة الحميريين فى ميدان التجارة .

واستطاع بطلميوس الثانى - بعد أن
وصل النيل بالبحر الأحمر - أن
يرسل سفنه الى هذا البحر وأن
يشترك فى هذه التجارة الغنية .
وكانت روما فى ذلك الوقت ، قد أخذت
تبرز كأقوى دولة فى العالم القديم ،
وقد تولى بومبي قيادة الجيش الرومانى
فى الشرق بعد خطبة شيشرون الرائعة
المعروفة باسم « الدفاع عن قانون
مانيليوس » التى حث فيها على
تعيين بومبي فى هذه القيادة بعد تمرد
الجنود على القائد السابق « لوكللوس »
ولا يعنينا هنا الدافع الذى جعل

بقية سوريا وانتزع فلسطين من أسرة المكابيين اليهودية غير أن الفوضى كانت تضرب بجرانها في ربوع سوريا مما استنفد الكثير من جهد بومبي في القضاء على العصابات ، وقطاع الطرق في داخل سوريا ، وتدمير حصون القراصنة البحريين على الساحل الى جانب المقاومة الشعبية ضد السيطرة الرومانية . وبعد ذلك أخذ بومبي يعد العدة لغزو البتراء عاصمة النبطيين - وهي من أهم المراكز التجارية القريبة من البحر الأحمر - ففي البتراء مفتاح الطريق الى البحر الأحمر ، الا أن أحد أفراد أسرة المكابيين ثار في اورشليم مما اضطر بومبي الى العودة اليها ومحاربته . وقد استمات اليهود في الدفاع عنها فلم تسقط الا بعد ثلاثة أشهر . ولم يكد بومبي ينتهي من فتح اورشليم حتى اضطرته الظروف الى العودة الى بنطوس في آسيا الصغرى ... لاعادة الأمن فيها . وكان الزعماء في روما ينتظرون آنذاك الى فتوحات بومبي بعين القلق والحسد ، فبدأوا يدبرون المؤامرات ضده . وكان أشدهم في ذلك كراسوس الذي شرع قانونا ينص على فرض الجزية على مصر بادعاء ان الاسكندر الثانى ، أو بطلميوس الحادى عشر ، قد أوصى بها للرومان ... وان الملك الحالى لمصر بطلميوس الثانى عشر أو الزمار ليس وريثا شرعيا .

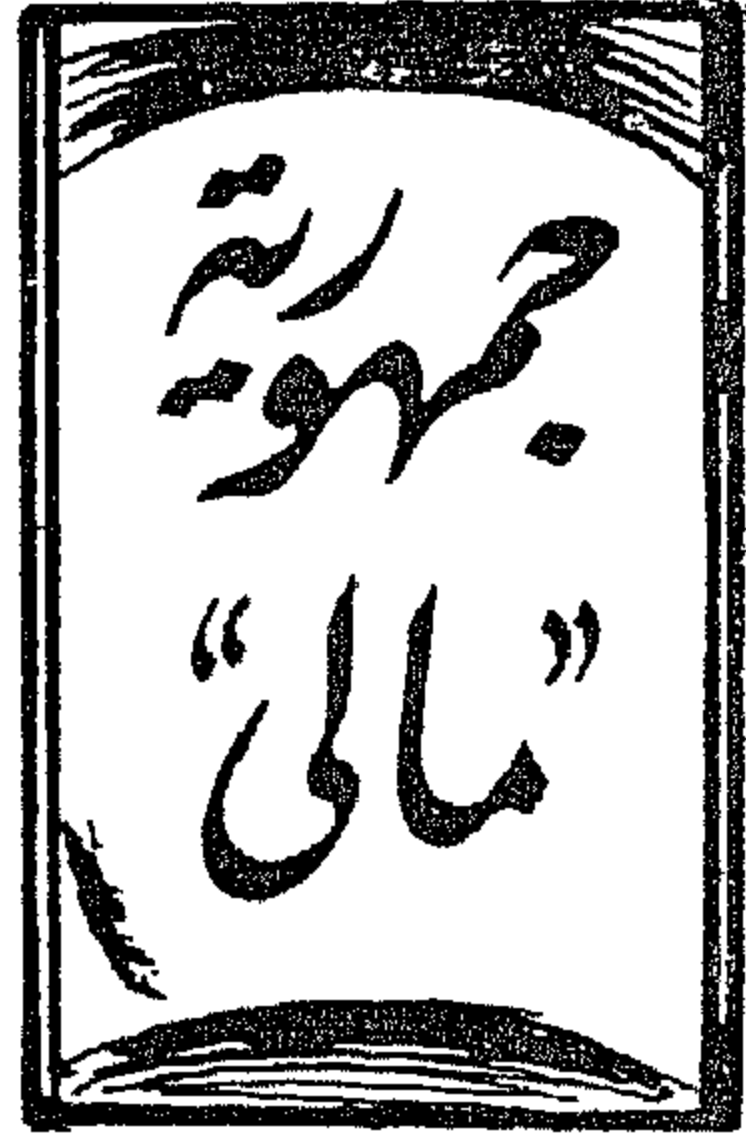
وقد استطاع أحد البحارة الحبشيين أن يدل الرومان على مسالك هذا البحر ، ومن ثم دخلت السفن الرومانية للمرة الأولى المحيط الهندى .

وبينما كان هذا النزاع يدور بين الفرس والرومان ، كان هناك عامل

آخر ظهر في تاريخ البحر الأحمر وهو العامل الدينى . فقد وفدت على بلاد العرب ديانات سماوية - فدخلت النصرانية في القرن الرابع في عهد الملك قسطنطين ، وانتشرت في بلاد العرب . وبنى المسيحيون كنيسة في صنعاء وكنيسة في نجران ، كما وفدت اليهودية على هذه البلاد . وهذا النزاع بين هاتين الديانتين أظهر عاملا جديدا هو النفوذ الحبشى وتطلعه الى بلاد العرب .

وكان تنصر الأحباش سببا في تحالفهم مع البيزنطيين بسبب الدين المشترك .. ذلك أن البيزنطيين قد حلوا محل الرومان الغربيين في التطلع الى الشرق الأدنى ومعابره الى الهند والشرق الأوسط عامة .

ولقد كانت سوريا ومصر في ذلك الوقت باستعمالهما طريق البحر الأحمر ، أكثر بلاد العالم تصديرا لمنتجاتهما وما يرد اليهما من منتجات .. فكانت سوريا تصدر الحرير والخمور والزجاج . وكانت مصر تصدر البردى والبهارات التى تصلها من الشرق الأقصى ، ولكن القرن السابع صحبه كثير من الاضطرابات ، ولاسيما ركوب الصقالة البحر وظهور القرصان فى البحر الأبيض ، مما قلل من نشاط التجارة ، فى القرنين التاسع والعاشر . وبدأت بيزنطة تتجه الى التجارة مع روسيا فبعدت عن الشرق ولكن التجارة البيزنطية - على وجه العموم - كانت منذ القرن العاشر ولا سيما فى القرنين الحادى عشر والثمانى عشر ، قد أخذت فى الاضمحلال . وذلك نتيجة لما حل بها من تضعف ، بما تنازلت عنه من امتيازات بحرية لدولة البندقية .



للأستاذ : بهجت إبراهيم الدسوقي

قام اتحاد حديث في اقليم غرب افريقية الخاضع للاستعمار الفرنسى تحت اسم اتحاد مالى أو جمهورية مالى . وقد كان في بدء تكوينه مكونا من أربع مناطق هي : السنغال ، والسودان الفرنسى ، وداهومى ، وفلتا العليا .

وقديما كانت هناك مملكة تسمى مملكة مالى قامت بعد زوال دولة المرابطين . وكانت هذه المملكة أعظم مملكة من ممالك السودان الغربى . ويذكر ابن خرداذبة في مسالك الألبصار عن الشيخ سعيد الدكالى « ان هذه المملكة الاسلامية الكبرى مربعة طولها اربعة أشهر وعرضها مثل ذلك وجميعها مسكون الا ما قل » .

ولقد ذكر في كتاب العبر أن هذه المملكة تشتمل على خمسة أقاليم :

(١) اقليم مالى (٢) اقليم غانة (٣) كوكو (٤) اقليم تكرر (٥) صوصو .

وكان اقليم مالى يتوسط هذه الأقاليم الخمسة وقاعدتها منى .

ويقع اقليم غانة غرب صوصو ، ويمتد الى ساحل المحيط من جهة الجنوب ويقع اقليم كوكو شرقى اقليم

مالى وحاضرتها كوكو . وتقع تكرر غرب هذه الأقاليم وقاعدتها مدينة تكرر جنوب نهر السنغال .

وأول من أسس هذه المملكة هو سونديا - تاكيتا . وهو من قبائل المانغ وذلك في القرن الثالث عشر الميلادى .

ومن هنا ثبت أن البلاد التى يتألف منها الاتحاد الآن كانت كلها تحت مملكة مالى المذكورة .

واذا نظرنا الآن الى منطقة غرب افريقية نجد أنها تتميز عن المناطق الأخرى من افريقية ، بتقسيمها الى أجزاء متعددة . وقد نتج هذا تطبيقا للخططة الاستعمارية لاستعمار هذه البلاد . فمنذ دخل الاستعمار وهو يجاهد فى تقسيمها وتفتيتها ، ولم يكتف بذلك ، بل عمل على غرس الكراهية والحقد بين القبائل المختلفة وأخذ يستعدى بعضها على بعض .

ولقد مرت هذه المنطقة بتطورات مختلفة لنظم الحكم ، وشاهدت حروبا مستمرة بين القبائل للسيطرة . فمن دولة المرابطين الى دولة مالى الى دولة غانة ، فلما حلت الفترة المعروفة بفترة « الزحف نحو افريقية » بدأ المستعمرون يواجهون فى زحفهم صعابا كثيرة ، وذلك نتيجة لصمود القبائل ووحدتهم والترابط الذى حدث بينهم ، لذلك بدأ المستعمرون فى تنفيذ خططهم القائمة على المبدأ العتيق « فرق تسد » واستطاعوا بهذه السياسة دخول المنطقة .

ومع كل ذلك لم يستطع المستعمرون أن يغيروا من شعور أهل هذه المنطقة ونظرتهم الى حقيقة وجودهم وانهم يكونون شعبا واحدا لمنطقة واحدة لاتفصلها الفواصل المصطنعة . فهذه

الاسماء المختلفة للأقاليم التى تكون المنطقة والتى عمل المستعمرون على فصل كل اقليم منها عن الآخر ، وتكوين شخصية منفردة له ، هذه الاسماء ما زال أهل المنطقة ينظرون اليها على أنها أجزاء لشخصية واحدة هى شخصية شعب غرب أفريقية . ويبدو ذلك من التصرفات التى يأتياها الأهالى فى هذه المنطقة ، من تنقلهم بين الأقاليم المختلفة دون رقيب أو مانع . وليس أدل على ذلك من أننا نجد أبناء القبيلة الواحدة موزعين فى مناطق مختلفة ، كذلك نجد قبيلة الزبرمة وهى من انشط القبائل فى غرب أفريقية ، وقد اشتهرت بتجارة التجزئة ، ومركزها الرئيسى فى داهومى وتعامل مع التجار السوريين واللبنانيين ، فتأخذ منهم ما تحتاج اليه من بضائع ، ثم تنتقل فى باقى المناطق أو تتولى توزيعها دون أن تقف فى طريقها حدود أو موانع أو جوازات أو تأشيرات .

كذلك نلاحظ أن نعمة الوحدة نعمة محبوبة شيقة استخدمت فى المعارك السياسية . ونجد اندفاع الأهالى نحو قبول هذه الفكرة شديدا .

وهذا ما دفع سيكوتورى رئيس وزراء غينيا الى قبول الاتحاد مع غانة ، ولم يمض على استقلاله أشهر .

واذا ما نظرنا الى هذه المنطقة نجد أن بها اتجاهين استعماريين ينضمان فى الاتجاه الانجليزى الذى يعمل على تثبيت أقدام السياسة الانجليزية وحماية المصالح الانجليزية فى المنطقة ، بل يعمل هذا الاتجاه على ضم مناطق خارج النفوذ البريطانى وادخالها فى فلك السياسة البريطانية .

وأما الاتجاه الآخر فهو الاتجاه الفرنسى الذى يعمل على الوقوف فى الاتجاه الأول ، وتثبيت السياسة الاستعمارية الفرنسية ، والعمل على حماية المصالح الفرنسية ، والرد على توسعات الاستعمار البريطانى . ويظهر ذلك فى الاتجاه الفرنسى الحديث من منح استقلال شكلى فى فلك الاتحاد الفرنسى ، كما يتضح من الاتحاد الذى هو موضوع حديثنا وهو اتحاد مالى ، ولكن السياسة الفرنسية سريعة الفشل ، وذلك لأنها تعتمد أكثر ما تعتمد على أسلوب القوة والعنف والسيطرة ، بعكس السياسة البريطانية التى تعتمد على أسلوب اللف والدوران والغموض ، مما يؤدي الى بقائها بعض الوقت .

ومع ذلك فإننا نجد اتجاها آخر حديثا يتجه نحو هذه المنطقة وهو الاتجاه الأمريكى الذى يتمثل فى السيطرة الاقتصادية وخاصة بالنسبة للدول المستقلة ، حتى أن هناك زعماء يؤمنون بالمبادئ الاشتراكية ، ومع ذلك فقد قبلوا هذا الاتجاه الحديث . وكان نتيجة لتكوين اتحاد غانة وغينيا . وخروج احدى دول المنطقة من التبعية الفرنسية ، وتحررها من الاستعمار الفرنسى ، أن أراد الفرنسيون الرد على هذا الاتحاد بتكوين اتحاد من الأقاليم التى صوتت على الدخول فى الاتحاد الفرنسى . وكان أن تكون اتحاد مالى نسبة الى مملكة مالى القديمة . وكان الفرنسيون يأملون أن تدخل الأقاليم السبعة من المنطقة فى هذا الاتحاد ، الا أنه لم يدخله فى بدء تكوينه سوى أربعة أقاليم هى : إقليم السنغال ، والسودان ، والداهومى ، والفلتا العليا . وقد بدأت المشاورات

لتكوين هذا الاتحاد بين الأقاليم الأربعة في ٢٥ من يناير سنة ١٩٥٩. ثم أعلن الاتحاد في ١٨ من فبراير سنة ١٩٥٩ ، ولكن ما ان أعلن هذا الاتحاد حتى بدأت العناصر المناهضة له في الظهور والتكتل ، وخاصة في داهومي ذلك الاقليم الذي كان يغلب كالبركان ، والذي زعم الفرنسيون أن نتيجة التصويت على دستور ديجول كانت فيه ١٠٠٪ بنعم ، فلقد كان هذا الاقليم أول الأقاليم التي خرجت من الاتحاد ، وتبعه فلتا العليا، وكان ذلك في حوالي ٢٨ من فبراير سنة ١٩٥٩ . ولقد تفاعلت عوامل كثيرة من نشاط المنظمات الا أن السياسة الفرنسية العنيفة أدت الى خروج اقليمى داهومي وفتا . ولم يبق في الاتحاد الآن سوى السنغال والسودان تحت زعامة سنيجور .

وكان لزاما علينا أن نتعرض للمناطق الثلاث الأخرى التي لم تدخل الاتحاد وهي ساحل العاج وموريتانيا والنيجر . أما ساحل العاج فان العامل الفعال على عدم دخوله الاتحاد كان عاملا شخصيا ، وهو الخلاف بين أوفوى زعيم حزب التجمع الديمقراطي ورئيس الوزراء وبين سنيجور ، فقد كان أوفوى يأمل أن يتربع على زعامة هذه المنطقة ، ولذلك فهو يقف في وجه كل مشروع يتزعمه سنيجور ، وكذلك الاختلاف الاقتصادي بين اجزاء المنطقة وخاصة بين ساحل العاج والسودان والسنغال .

أما موريتانيا فان وضعها حساس لأن زعماءها يحاولون أن يظهروا في اتجاهاتهم السياسية بمظهر المحايد المتدلين ، ولذلك لم يرغبوا في الدخول

في صراع بين اتجاهات مختلفة ، كذلك فان أغلبية هذا الاقليم من المسلمين ، كما أن مواطني الجزء الشمالى من موريتانيا بيض البشرة ويميلون الى الاتحاد مع مراکش . كل هذه العوامل أدت الى عدم دخول موريتانيا هذا الاتحاد ، أما النيجر فهو أيضا يحاول أن يتسم بموقف المحايد ، وذلك لأن زعماءه تربطهم صداقة وطيدة بأوفوى من ناحية وبسنجور من ناحية أخرى، كذلك ظهور بعض الزعماء الوطنيين الذين هددوا بآثاره قلاقل .

كذلك هناك عوامل في الاتحاد نفسه وهي ضعف الأسس التي يقوم عليها الاتحاد . وافتضاح أمره للأهالي وأنه يسعى الى اظهار شخصية فرنسية بجوار الشخصية الأفريقية وهذا ما لا يقبله الأهالي ، كذلك ما اتضح من ربط الأجهزة الادارية في هذه المنطقة بالجهاز الادارى في باريس ، وما اتضح من محاربة فكرة القومية الأفريقية .

الا أنه مع كل ذلك فان الزعماء الوطنيين بدأوا يحرزون مكاسب من التكتلات الوطنية والثورات الشعبية والمظاهرات العدائية للنظم الفرنسية .

كذلك نرى الهجمات الجريئة للوطنيين وخاصة في داهومي والنيجر والسودان الفرنسى مما دفع الفرنسيين الى الاستعانة بقواتهم المدرعة وسلاح الطيران لخماد هذه الثورات . وبدأ القادة الوطنيون يقودون الجماهرة المكافحة ، ولن يمضى وقت طويل حتى تتحرر هذه المنطقة من ذلك الكابوس الاستعماري البغيض وتعود الأرض الى أصحابها ، ويتحرر الأفريقيون من ربة الاستعمار .

التي كان يلقاها فيها مع البنات ،
ومنفردة أحيانا .

لا ينسى أبدا منظرها في القمر
وما أوحى به اليه من شعر ..

القمر .. والشعر .. هما سبب نكبه
وتعاسته .. أثار الأول لواعج قلبه وحرك
شاعريته وجاء الشعر .. لم يستطع أن
يكتمه ، قاله عشة فرأى صداه في
حمرة الخجل على وجهها .. ثم فاله
لأصدقائه فأذاعوه ..

وردد الناس شعر آدم في عشة ،
ولم يعد جبهما سرا .. وسمع أبو عشة
غزل آدم في ابنته .. واستفزع الأمر ..
ان الحلة كلها تنشد شعر هذا
الشاب فيها .. حقا انه شعر عفيف
ولكن الألسنة الطويلة لابد أن تمتد
الى ما وراءه ..

وتقدم آدم لخطبة حبيبته ، ورفض
الوالد خوفا من أن يقال انه ما زوجها له
الا بعد ما كان بينهما ..

ولم يكتف أبو عشة برفض الخطبة،
بل رحل بأسرته عن الجلة ، وذهبوا
ينتجعون مكانا آخر بعيدا عن آدم ..
أبو عشة ! سامحه الله من أجلها ..
لو كان وافق .. وزوجها له .. لكانت
عشة تعد له الآن ((الجينة)) .. كانت الآن
تحمص البن ، ثم تدقه ، ثم تضعه في
اناء الجينة الفخارى ثم تصبه في الفنجان
من الفوهة المسدودة بالليفة ، فينزل
مصفى .. ويتناول الفنجان من يدها
الحلوة ...

وأفاق آدم من خياله .. ماذا تفعل
القهوة بدون عشة .. ؟ هل تشفيه من
صداعه الأبدى ؟ ليته يشرب نصف
فنجان من يدها .. نصف فنجان فقط !.



للأستاذ عباس خضر

استيقظ آدم من نومه وهو يشعر
بذبذب في رأسه يلح عليه أن يشرب
فنجانا من الجينة القهوة وكان
ذلك في عصر يوم من الأيام التي تمر
به طويلة ثقيلة ، وخرج من الخيمة الى
الفضاء الواسع فأحس بأشعة الشمس
الحامية تتسلط عليه كأنها تدق رأسه ..
وعاد الى داخل الخيمة يبحث عن
عدة الجينة فلا تكاد يده تمسك بشيء
.. فقد سرح فكره في الماضي .. الماضي
القريب قبل أن ترحل عشة مع أبيها
وأهلها ، كان سعيدا بقربها ، يراها في
النهار سارحة بالغنم أو ماشية بين
بيوت الحلة ، ويرaha بالليل مع البنات
الأخريات .

كان يتعمد أن يسوق
غنمه الى جوار غنمها ويتحدث
معه عن أى شيء .. يدلها على المراعى،
ويرجع نعجتها المنحرفة الى القطيع،
ويجري وراء الخروف الشارد ليعيده.
ما أجمل نعجتها . وما أظرف خروفها
الصغير !.

ولا ينسى أبدا تلك الليالى القمرية

أقسم آدم ألا يشرب القهوة الا من
يد عشة .. واعتزم أمرا ..

ركب ناقته ، وربط نفسه على
ظهرها بحيل ، وأحكم الرباط حتى اذا
دار رأسه من عدم شرب القهوة لا يسقط
من على ظهر الناقة ... وسار على هذه
الحال في الطريق الموصل الى الحالة
التي نزلت بها حبيبته مع أبيها وأهلها،
حتى وصل الى هناك في حالة اعياء
شديدة .

وعرفوه ، وكلموه فلم يرد ، وأمسكوا
بزمم الناقة وأناخوها .

— مالك يا آدم .. لماذا تربط نفسك
هكذا .. ما بك ؟ .

لم يجب . بل ظل صامتا ساكنا كأنه
تمثال لا يتحرك ..

وأخيرا لمح عشة ، فدبت الحياة في

جسده وعادت النظرة الواعية الى
عينيه ، وهتف بها :

— عشة ... أريد ((جينة)) ..

وجاءته عشة بالجينة ، وعاش
لحظة سعيدة .. تملأ بحبيبته ورشف
من يدها القهوة ، وكأنه تزود من ذلك
بما يكفيه بقية حياته ..

ونفض الى ناقته وهو ينشد :

((اتعلمت البن وفراجه على جاسي))

((يكون في جنبه موتنكه نحاسي))

((أصل الجابني نص فنجال وماشي))

يقول :

انى تعلقت بشرب البن ، وفراقه
قاس على ، وأحب أن أشربه في ((جينة))
من الفخار لا في كئنه من النحاس ،
والذى أتى بى الى هنا أنى أريد أن
أشرب نصف فنجان من يد حبيبتي
أرجع بعده من حيث أتيت .

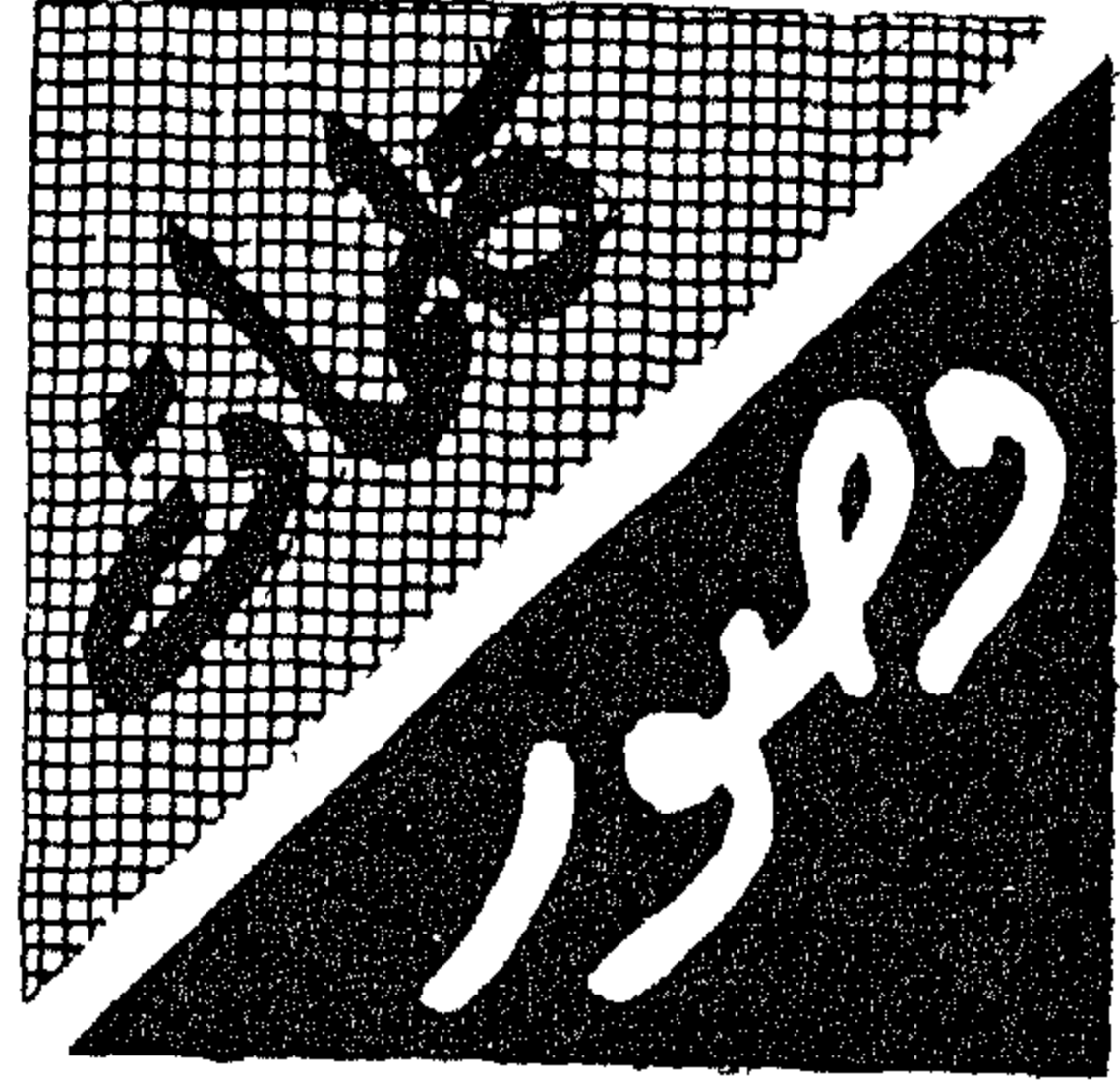


يكون له المزيد مما يقتنى ، وقد اختاروا لعملية الحفر مكانا منخفضا فى مجرى يشق مدينة « الفاشر » من الجنوب الى الشمال ، ويسمى هذا المجرى « خور تندلتى » .

واستمرت دقا الفئوس على صدى الأغاني المتفائلة التى كانت تحلم هى الأخرى بما يعيش فى جفونهم من أمل جميل . واستمر هذا الحذاء الجميل يسوقهم الى باطن الأرض التى بلغ عمقها ستين قامة . وكلما كانت تنداح أمامهم دائرة العمل كانوا يهتزون من الفرح ، ومن الأمل .

وقد أسلمتهم الأيام بعضها الى بعض ، ولم يتسرب اليأس الى نفوسهم وهم يدقون قلب الأرض فى عنف واصرار ، الى أن كان اليوم من الشهر السادس الذى أسلم الفئوس فى سواعدهم الى شئ صلب فى قلب البئر ، وكان هذا الشئ الصلب حجرا ضخما كلما ضربوا عليه زادهم يأسا من وجود الماء . وبالتالي من وجود القمح الذى سيكسو الوديان ، والأذرة التى ستعلو بقاماتها الى الأفق ، والقطعان التى ستجرى هنا وهناك :

وقد رأى السلطان « على دينار » مقدار ما يقاسيه شعبه . فجمع العلماء من بلاده ، وشرح لهم ما وصل اليه الحال فى البئر التى انتهت بجهودهم الى « حجر » . وقد قرروا جميعا فيما بينهم وبين أنفسهم أن على كل منهم أن يكتب آية قرآنية تتفق وحالته النفسية ، وحالة البلاد من حوله ، وأن تكون هذه الآيات على « ألواح خشبية » ثم يؤتى بهذه الألواح الى البئر ، ويصب عليها الماء



أساطير :

تشابه الأساطير فى أفريقية تشابها كبيرا مما يدل على أنها كانت « قارة مفتوحة » ينتقل فيها الناس والأفكار . زيادة على وحدة المشاعر والظروف التى تولد أفكارا متحدة ، وخواطر متشابهة .

فهناك بئر فى « الفاشر » تسمى « حجر قدوة » توجد لها خاصية لا توجد لكل الآبار فى السودان . فحين تكاثر الناس فى دارفور ، واشتد شوقهم الى أن يروا بعض المناطق مزهوة بالخضرة وعلى جوانبها القطعان الغزيرة من الحيوانات فكروا فى زيادة ما يملكون من الماء الذى يعتبر بدوره « كثيرا من الحياة » .

وقد تحدث الشعب فى هذا الى نفسه ، وتخرجت هذه الأفكار فى شوق ومحبة الى أن وصلت الى قصر السلطان « على دينار » الذى كان يحلم هو الآخر بما يحلم به شعبه .

ومن هنا صحت عزمته على القيام بهذا الأمل الكبير الذى راود شعبه ، وعاش معه وهو يقطع الجبال .. وهو يسير على السفوح .. وهو يرجو أن

حتى تتساقط الآيات على هيئة قطرات من نور الى قلب البشر) .

وقد بدأوا في تنفيذ هذه الفكرة يوم الجمعة بعد أن أدوا صلاتهم وتحولوا جميعا الى البشر ، وفي يوم السبت خرجوا من ديارهم وفي صدورهم كثير من الايمان في أن هذا اليوم سيكون حاسما في تاريخهم . وما كادوا يصلون الى البشر حتى تدلى الكثير منهم في قلب البئر ، ورفع كبيرهم الفأس وقد أغمض عينيه على مزرعة جميلة يمتلكها ، وما كادت تسقط حتى تصايح العمال من حوله . ثم بدأت استغاثات بمن في خارج البئر حتى لا يغمرهم ماء البئر ، وقبل أن يفكر من في الخارج . كان الماء في البئر يحملهم في رفق ، وفي حب الى اخوانهم في الخارج الذين كانوا في غمرة الفرح لا يصدقون هذه المعجزة :

ولم يذهب خبر هذه البئر بعيدا فقد كان الناس جميعا مقبلين لرؤية هذه البئر ، وما كاد السلطان « على دينار » يراها حتى كبر باسم الله وأمر باقامة الأفراح في مملكته ، وأصدر أوامره بأن تسمى هذه البئر « حجر قدوه » اشارة الى الحجر الذي « قد » في باطن البئر . وما زالت هذه البئر موجودة الى الآن ، ومسماة بهذه الاسم .

ولم يكتف الشعب باحاطتها بشيء من القداسة ولكنهم أطلقوا حولها أسطورة تقول « من يشرب من ماء حجر قدوه » يعود الى الفأشر مرة ثانية ، ويؤكد الكثيرون هناك في غرب السودان أن هذه البئر لم تخلف أبدا هذا « الوعد ! » .

وكلنا يذكر في مصر تلك الاسطورة الجميلة التي لا تزال تتردد على السنتنا ، والتي مؤداها « أن كل من يشرب من ماء النيل عاد اليه !! » .

تشرشل وأوغندة :

يقف القارئ كثيرا أمام أحد المشاهد المصورة بدقة وعناية في كتاب تشرشل « رحلتى الأفريقية » حتى ليخيل اليه أنه أمام عدة « تابلوهات » تعرض بمهارة فائقة ، ولكنه ما يكاد ينتهي من عملية الاستمتاع هذه حتى يرى في نهاية اللوحة العامة شيئا غير طبيعي ، شيئا يقول له أن كل هذه الألوان من الجمال ليست لوجه الفن . فبينما تراه تقول « لقد توغلت في كثير من الغابات الاستوائية الهائلة في « كويا » ، و « الهند » . وملا قلبي سحرها الموحى . ولكن غابات أوغندة الرائعة محت بجلالها ، وبتنوعها ، وباختلاف أشكالها ، وبالكثرة العظيمة في أنواع طيورها ، وحيواناتها ، وزواحفها ، وبخصوبة أرضها ، وسخاء الثروة الكامنة فيها . كل ما عاش في خيالي من صور الجمال الطبيعي لغابات الهند ، وكويا ، وسائر بقاع العالم الجميلة » ..

بينما تراه يقول هذا تراه في الحال يقرر أن من الخير قيام خزانات ضخمة للتحكم في مياه النيل من هذه المنطقة « فليس في العالم كله مكان كهذا يمكن فيه ببناء بسيط أن تتحكم في مقادير هائلة من الماء » ثم يمضي في حديثه ليؤكد أنه يمكن أن يقوم في هذه المنطقة جهاز - كالجهاز الذي سيتحكم به في الماء - يستطيع به التحكم في السودان ، ومصر .

الفولكلور الأفريقي :

من القصص الشعبية التي تحمل ملامح البيئة في جنوب السودان تلك القصة التي تدور حول أختين تدعى أولاهما « ناجوكوم » ذات الأنف الطويل كمنقار الطيور ، و « ناكودنج » ذات الأنف الأفطس الصغير وكيف طلبت « ناكودنج » من أختها ذات الأنف الذي يشبه منقار الطيور أن تذهب معها لاحتضار المياه من النهر ، ولكنها رفضت أن تذهب معها ، فلما طلبت منها أن تدخل البيت وتحضر الجرة فرحت ، وأسرعت إلى الداخل ، وهناك قامت بإجراء عدة ثقوب في الجرة . ثم أسرعت وسلمتها إلى أختها وعلى شفيتها ابتسامة خبيثة .

وقد حملت « ناكودنج » الجرة ، وأسرعت إلى النهر في فرح ، ونشاط غامرين . فلما طالعت النهر ابتسمت ، وأحست براحة كأنما النهر يتهادى بأواجه المترجرجة في صدرها ، وببطء أنزلت الجرة ، وغمسها في الماء فدفعها النهر إلى أعلى ، ولذت لها هذه المداعبة فأخذت تكررها ، وأخيرا غمرتها بقوة داخل الماء . فانفجرت الجرة ضاحكة ، وثقلت في يديها ، ولكنها جذبتها بعنف ، ولم تستطع أن تحملها فوق رأسها لأن المياه كانت تتدفق من ثقوب صغيرة في أسفلها .

وحزنت « ناكودنج » وتحسست أنفها الأفطس ، ولم يهدأ تفكيرها إلى شيء ، وأخيرا رفعت رأسها في خوف . حين سمعت صوت ضفدعة تناديها بالقرب منها « لا تحزني يا ناكودنج فالطريقة السليمة لكى تعودى بالماء

إلى بيتك هي أن تسدى الثقوب التي في أسفل الجرة بالطين .. فشكرتها « ناكودنج » وأسرعت بالجرة إلى بيتها وهي تحس بلذع الجوع .

وفي البيت فتشت عن نصيبها من العصيدة ولكنها لم تجده فلما سألت أختها أنكرت ، بينما كانت رائحة العصيدة واضحة في أنفاسها . ومن هنا لم تجد « ناكودنج » وسيلة لإظهار غضبها إلا أن تدق الطبل في القرية ..

وما كاد صوته يتردد في الغابة حتى انطلق الفيل بسرعة نحو الصوت المدوى . ولكن بينما كان يجرى في حماسة اصطدمت أرجله بجسم السلحفاة فاشتعلت نارا ، وامتدت النيران إلى أشجار الملك . فلما رأى المطر النار تكاد تأتي عليها تساقط حتى يوقفها ، ولكن في أثناء تدفقه دمر كثيرا من بيوت النمل ، وخربها .

.. وقد غضب لهذا النمل أشد الغضب ، وأسرع إلى الملك يشكو له ، وأن المطر هو الذى تسبب في الظلم الذى وقع عليه ، فاستدعى الملك « المطر » وسأله في غضب عن التهمة الموجهة إليه . فرد عليه المطر بأنه خاف على أشجار الملك من النار التي أحدثتها « السلحفاة » فابتسم وسأل « السلحفاة » في غضب عن أسباب النار فقالت « لقد احتك الفيل بجسمى » .

وهنا تدخل الفيل قائلا « سيدى لقد كانت سرعتى استجابة لنداء الطبل المنبعث من منزل « ناكودنج » ، وقد عودتنا احترام هذا الصوت ، والاسراع إلى النجدة » .

من حوله وقالوا له « انما قيد حتى يحفظ القرآن » .

اتحاد كينيا الأفريقى :

من القرارات التاريخية التى تلمح فيها بذور المقاومة الخالدة للمستعمرين هذه القرارات التى اتخذها « اتحاد كينيا الأفريقى » فى أول يونيو عام ١٩٤٧ وهى :

١ - هدفنا نحن الافريقيين فى قيام حكومة ذاتية يتولاها الأفريقيون من أجل أنفسهم ، وسوف تحمى هذه الحكومة جميع حقوق الأقليات العنصرية .

٢ - زيادة مقاعد الأفريقيين فى المجلس التشريعى ، وتحقيق المساواة فى الجمعية المركزية للمناطق الداخلية فى افريقية الشرقية .

٣ - زيادة مساحة الأراضى للأفريقيين بعد أن اغتصبت منهم وسلمت للأجانب .

٤ - تهيئة التعليم الإيجابى المجانى لكل المواطنين .

٥ - تحسين الأجور ، والمساكن بالنسبة للعمال تحقيقاً لمبدأ « المساواة فى الأجر للعمل المتشابه » .

ثغر بور سودان :

يعتبر ثغر « بور سودان » من أجمل ثغور العالم ، وان كان يمتاز على بعضها بالجزيرة المرجانية ، وقد مر به منذ عدة سنين الأستاذ « سايمز » حينما كان مديراً لمعارف بورما . فاهتز بهذا الثغر ، وزفت لنا مجلة Punch اللندنية هذه القصيدة التى ترجمتها .

وهنا توجه الملك الى « ناكودنج » سائلاً « لماذا ضربت الطبل » فقالت « وماذا كنت غير ذلك عندما أرى أختى قد أكلت نصيبى من العصيدة » .

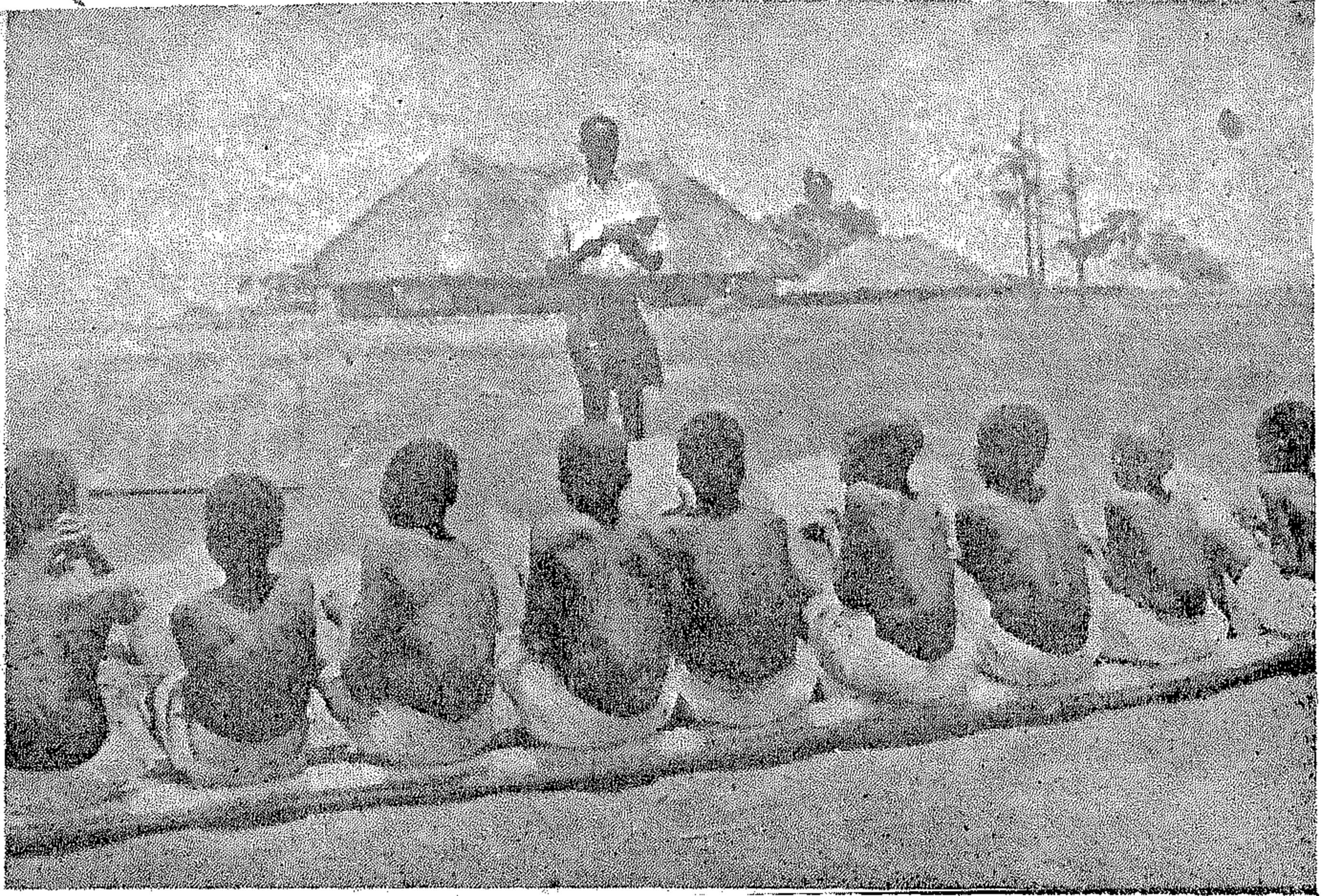
وهنا سأل الملك أختها « لماذا أكلت العصيدة ؟ » .

فما كان من أمر « ناجوكوم » ذات الأنف الطويل كمنقار الا أن أطرقت معترفة بذنبها . بعد أن كانت واثقة أن أحدا لن يعرف من أمرها شيئاً . !
وهكذا نرى فى القصة عدة مدلولات اجتماعية . لعل أهمها ترسيب عملية الشرفى الفتاة « ناجوكوم » ذات الخلقة الدخيلة ، والتى تعتبر بأنفها الذى يشبه المنقار « رمزا » للشرف ، ورمزا للقوة الدخيلة الممثالة فى الاستعمار .

مملكة مالى القديمة :

يقص علينا « ابن بطوطة » أنه حين زار هذه البلاد وجد العروبة بها قوة نامية . فقد شاهد حرص الناس على أداء الصلوات فى أوقاتها ، وفى ملابس نظيفة ، وسلوك جميل ، وقد روى أنه دخل على « القاضى » يوم العيد . فوجد أولاده على القرب منه مقيدى . فسأله أن يطلق سراحهم فى هذا اليوم المبارك . فكان رد القاضى عليه أنه لن يسرحهم من قيودهم حتى يحفظوا القرآن الكريم . كما روى أيضا أنه بينما يسير فى طريقه اذ مر بشاب وسيم فى ثياب فاخرة ، ولكنه يخب فى قيد ثقيل . فما كان منه الا أن التفت الى من حوله سائلاً ، ماذا فعل هذا الشاب ؟ أقتل ؟ ولكن الناس ابتسموا

حيث لم يكن بالأمس الا خلاء بلقعا وبعض رمال مجببة .
ودربا ساحليا مديدا قد تخلى عنه المسافرون .
من كان منهم يمتطى الركائب ، أو يستقل السفن الشراعية .
.. تراه الآن الاطار الضخم لأحدث باب فى أفريقية .
ان التجار هنا قد نفوا عنهم الهدوء .
من طريق الصحراء ، ومن الشاطئ الرملى ، وحيث يوجد النخيل .
واندفعوا فى حركات مستمرة .
يصبغون الأسمر بالأسود بالأحمر .
بينما يدل الثغر تياها بمخازنه المضلعة .
وبعاصرات الزيوت . وآلات الرفع الصغيرة .
وكما أن عيناي ما زالت تحس هناك .
وهج الحديد ، ورائحته حينما تنصب عليه الشمس .
وتبصر تلالا الملح المتوهج .
فكذلك لن أنسى أبدا تلك الرائحة التى تصعد محترقة .
لأولئك الصبية العديدين من الأعراب .
وهم يعرضون ألوانا من الفراء للبيع .
والوانا من السياط المأخوذة من الكركن .
يعرضون تجارتهم غير عابئين بوهج الشمس فى الظهيرة .
كما لن أنسى الجمالين يسرون خفافا بشعرهم المجعد .
تحت عباءات القطن الضخمة .
وهم يجعلون القبة الاستوائية الزرقاء تتردد .
بأصوات الأغاني التى كان يرددها آباؤهم .
والتي كان يمكن أن تنسى لولا هذا العناء ! .
.. وهنا فى الميدان الفسيح يمكنك أن تتأمل ، وأن ترى .
تحت عشرين قدما من العباب الأزرق أرضا مسحورة من المرجان .
حيث عمالقة الأسماك تقوم بعدة حيل غريبة .
وهي تعيش فى جناتها الهادئة .
وتبدو وكأنها تشير الى حكمة كبيرة !!



الفصول المفتوحة في افريقية



تعليم الكبار في افريقية



العمال في المناجم بجنوب افريقية

الشعر الشعبى :

من معانى الشعر الشعبى فى
السودان قول أحدهم « ما أتعب
الشباب حينما يسوء حظه ، وتقبل
عليه مصائب الفقر ! » .

انه فى هذا الحال ان زرع لا يأتى
زرعه بمحصول ، وان سافر طلبا
للرزق عاد بيد فارغة . أما الفتيات
الجميلات فيكرهن عشرته ، ومقابلته .
ومن هنا فلا يجد الا العجائز يوزع
عليهن النظرات ثم يعود ليجلس وحيدا
لينقر فى الأرض باصبعه أو بعصاه
فيشبه بحق قرخ الدجاج الذى ينقر
فى اناء الدقيق بحثا عن حبة مكسورة
تقيم أوده » .

ومن هذا قول بعضهم « ان قلة
المال تملأ نفسى بالألم والحسرة حتى
ما أكتمه من الألم يعتبر أضعاف
ما يكسو وجهى الحزين ، ولكن علينا
بالصبر ، والثبات فى هذه المحنة
القاسية فلعل الله أن يكتب لنا
الخلاص منها .

انها محنة تحدثنى فى صدرى
أحيانا بأن أحمل سلاحى وأخرج
الى قتال الناس ، وسلب أموالهم

منهم ، ولكنى قد قطعت على نفسى
عهدا لسلاحى أن أستعمله أبدا فى غير
وجه الحظ ! » .

النساء فى أفريقية :

مما يسجله التاريخ الكفاحى للمرأة
الأفريقية أنها من أشد الناس حبا
للحرية وللوطن . ثم انها لا تقف
منعزلة عن الأحداث ، ولا تشارك من
وراء الرجال وانما لها هى الأخرى
الكفاح الخاص بها ، وآخر معاركها
من أجل الحرية تلك المعارك التى
اشتركت فيها مع البيض فى جنوب
أفريقية .

فقد رفعت رأسها غاضبة على
القرارات التى تقضى بحظر دخول
الأفريقيين الى المناطق الصناعية ،
والمدن ، ووقفت وجهها لوجه أمام
الحديد والناز الذى استطاع أن يزج
بمائة وستين امرأة أفريقية فى السجن ، ومن
المناظر المألوفة هناك فى هذه الفترة
تجمعات النساء اللائى يخرجن فى عزم
واصرار محاولات اخراج الأفريقيات
من السجن . وهكذا يحيط الجميع
أفريقية بقلوبهم .

« ع . ب »



كتاب الشهر أزمات في قلب أفريقية

عرض وتقديم
للعلميد (أ.ح)
عبد الفتاح إبراهيم



CRISIS IN CENTRAL AFRICA

لورنزو ماركس

١ - الكتاب والكتاب :

ليس هذا الكتاب كتابا بالمعنى المتعارف بين الناس للكتب ، وان كانت له كل معالمها من الخير والسعة والحجم والصفحة ، وما الى هذا من المقاييس التي تقدر على أساسها المؤلفات اليوم ، والفكرة في هذا أن أصحابه أصلا لم يقولوا عنه أنه كتاب ، ولم يستهدفوا هذا عندما كتب كل منهم الدراسة التي قدمها ، بل لعلمهم لو قدروا هذا من البداية لكان لهم في الموضوع شأن آخر ، ومع هذا فعندي أن

الكتاب يقدم الطابع الذي أفضله للدراسات التي تكتب في الموضوعات العامة طابع الموضوع الواحد الذي يتناوله بالبحث عدد من المتخصصين فيعرض له كل بالدراسة من الزاوية التي تستهويه ، والتي يحسن الكتابة فيها ، وهكذا نجد أمامنا عدة مدارس من مدارس الفكر بازاء موضوع واحد ، قد تتفق وقد تتعارض ، وليست العبرة بالاتفاق والاختلاف ، بل بقدر أهمية ومنطق الاستنباط الذي تنتهي به الآراء . على أنه لم يكن من وحي الخاطر في الحقيقة أن يقدم هذا الكتيب الذي نعرض له بالدراسة

اليوم مشكلة مستقبل قلب القارة الافريقية ، مشكلة الاتحاد الفدرالى الذى يضم نيسالاند الى روديسيا الشمالية والجنوبية ، فيعرض الكتاب « بذور القومية فى نيسالاند » الأرض التى تعتبر بلا سبب حجر الزاوية فى الاتحاد، كما يعرض « كيف تؤثر المشاركة فى الاتحاد على القوى الفردية فيه » وأخيرا « وجهة نظر أوروبية صريحة لمشكلة قلب القارة » ، ولم يكن من وحي الخاطر كذلك أن نعرض هذا الكتاب فى الدراسة، فى الوقت الذى تغير فيه حكومة بريطانيا من موقفها تجاه حكومة « السير روى ولنسكى » الرجل الذى وصل الى منصة السياسة بأصوات الناخبين ، مستندا الى أغلبية برلمانية مهما كان رأيها فى هذه الأغلبية ، ولم يكن من وحي الخاطر كذلك نعرض للقارىء هذه الدراسات، وتقرير «لجنة دقلين» عن الموقف فى قلب القارة يشر المتابع فى اروقة مجلس العموم البريطانى، وتعمل حكومة المحافظين جامدة على ألا تكون مشكلة قلب القارة احد الموضوعات التى تتعرض للجدل فى المعركة الانتخابية القادمة بين العمال والمحافظين ، للوصول الى تشكيل الحكومة القادمة فى بريطانيا (١) .

والواقع أن «الزامبىزى» يعتبر أكبر القضايا التى تسعى دوائر «الوست منشستر» لوضع برنامج شامل لها لتصبح افريقية الوسطى المتعددة الشعوب والأجناس دولة صناعية ذات ثروات معدنية ضخمة ، وأن تستغل القوى الجبارة للنهر لخلق حضارة جديدة فى قلب القارة ، سوف يشتد التنافس عليها من جانب الدول الكبيرة فى المستقبل القريب .

والشئ الذى تثيره زيارة «ولنسكى» لبريطانيا للمطالبة بالاستقلال الذاتى، وللمطالبة بأن يكون لها مطلق الحرية فى الاشراف على « روديسيا » الشمالية و « نيسالاند » هو هذه

(١) راجع نشرة «فلتيت ستريت» النشرة السياسية الأسبوعية التى يصدرها « ولغرد رايدر » عدد ٦٤٨ بتاريخ ٩/٧/١٩٥٩ .

الاجراءات للطوارئ فى « نيسالاند » وهى الاجراءات التى طبقت بمناسبة ما زعمته الهيئات التبشيرية من وجود مؤامرة للقتل الجماعى دبرها أعضاء مؤتمر نيسالاند الافريقى الذين قبض عليهم دون محاكمة ، ومع أن غالبية السكان البيض لم يبدوا رأيهم فى المسألة، فان بعثة « كيرك » الاسكتلندية ، هى وحدها التى تقول بأن اجراءات الحكومة كانت فى منتهى الحكمة والرزانة والتعقل .

وتقول الحكومة البريطانية انها بالإضافة الى لجنة « دقلين » تعزم ايفاد بعثة برلمانية تمثل الأحزاب البريطانية الثلاثة لتقدير الموقف قبل انعقاد المؤتمر الدستورى لسنة ١٩٦٠ .

ويبدو أن تقرير لجنة « دقلين » الذى جاء فى ١٤٦ صفحة لم يحقق ما استهدفه ، اذ تتساءل التيمس البريطانية فى عدد ٩٥٩/٧/٢٤ بقولها: « ما فائدة ارسال لجان الى افريقية ؟ !! ما فائدة هذه اللجان اذا لم تكن لها فائدة سياسية واضحة، فائدة تهدئة ثائرة المعارضة ، وراحة ضمائر الشعب ، واقناع الافريقيين بصدق نوايا بريطانيا ، والواقع أن هذه اللجنة (لجنة دقلين) لم تجمع معلومات اضافية ، ولم تعط فكرة جديدة عن المشكلة .

وتشير الجريدة المحافظة «التيمس» أن المسألة مسألة آراء ، فان اللجنة لم تعن بأن توضح ما اذا كان « السير روبرت ارميتاج » محقا أو غير محقق عندما أعلن حالة الطوارئ فى « نيسالاند » ، بل كل الذى تقوله،

هو أنه لم يكن أمامه سوى هذا التصرف !! .

والفرق كبير بين انعدام أية وسيلة أخرى للتصرف من ناحية فكرة « أرميتاج » نفسه ، وبين السؤال عن صحة ذلك الاجراء نفسه أو عدم صحته !! .

والأمر الثاني : هو أن اللجنة تقول انه كانت هناك أحاديث عن أعمال العنف والقتل ، ولكنها لم تستطع القول بوجود تدبير اجرامى سابق ، وفضلا عن هذا ، هل كانت تتوفر فعلا الوسائل لتنفيذ هذه التدابير أو لا تتوفر !! . وهذه مسألة آراء ، ولكن كيف تترك الآراء طليقة مع خطورة التصرفات التى كان أسوأ ما فيها أن رجال البوليس هم الذين أخطأوا فى نقل وتصوير خطب «الدكتور باندا » وكانوا هم الذين أولوها لـ «أرميتاج» كما شاءوا ، ومن ثمة تصرف الرجل هذا التصرف المعيب (١) .

وأذن فلم يكن هذا أو ذاك من وحى الخاطر ، بل ان الموقف فى قلب القارة اليوم ، هو الذى حدد اتجاهات البحث كما حدد ضرورة العرض ، فالدراسات فى صورتها التى نقدمها اليوم تعتبر (من أبحاث اليوم) ولا أقول (أبحاث الساعة) لأن مشكلة قلب القارة مشكلة عرض لها وسيعرض لها الكثيرون من المتخصصين ، ولا خلاف بينهم الا بالقدر الذى يستطيع كل منهم أن يخلو فيه من العرض ، وأن يتخلص من الهوى .

(١) نشرة فليت ستريت العدد رقم ٦٤٨ بتاريخ ٩/٧/٩٥٩ .

والشئ الذى يجب أن أذكره هنا هو أن هذه الدراسات فى الواقع يقدمها أصحابها أقرب ما تكون الى السرد القصصى التاريخى ، وهم لم يسلكوا فى عرضها الأسلوب العلمى الجامد الذى نجده عادة فى مؤلفات المتخصصين المعاصرين عندما يعرضون لبحث المشكلات السياسية المعاصرة .

أما الكتاب الثلاثة: فهم الدكتور «رولاند أوليقر» و « الأستاذ ستانلاك سامكانج » ثم الكاتبة « دوريس ليسنج » .

والدكتور « رولاند أوليقر » محاضر فى التاريخ الافريقى بجامعة لندن اليوم ، زار افريقية مرتين ، وقضى فى كل مرة بين سنة ١٩٤٩ و ١٩٥٨ سنتين كاملتين ، نظم سنة ١٩٥٣ وسنة ١٩٥٧ مؤتمرين عن التاريخ الافريقى والآثار الافريقية ، وله بعض الكتب عن افريقية أهمها كتابه « الجماعات التبشيرية » كعامل هام فى شرق افريقية .

أما الأستاذ « ستانلاك سامكانج » فصحفى افريقى يعمل كضابط اتصال ومستشار للعلاقات العامة بـ « سالسبورى » من أعمال روديسيا الجنوبية ، نال البكالوريوس من جامعة «فورت هير» بجنوب افريقية ، ثم نال الماجستير من جامعة انديانا بأمريكا ، وقد عمل جاهدا من أجل جامعة «نياسينا» فى «سالسبورى» التى ينتظر أن تفتح أبوابها للطلاب فى العام القادم، ويعتبر الكاتب الافريقى متخصصا فى مشكلة الاشتراك فى الاتحاد فى قلب القارة ، أما « مسز دروين ليسنج » فقد ولدت فى ايران ونشأت فى « روديسيا » وعاشت فى لندن مع ابنها طوال السنوات العشر الماضية ، وعند عودتها الى افريقية لآخر مرة فى السنتين الماضيتين - من هذه الرحلة التى وصفتها فى كتابها « العودة الى الوطن » - اعتبرت «مهاجرة غير مرغوب فيها» واعتبرت كذلك بأمر السلطات فى جنوب افريقية، وفى وسط افريقية وعللت السلطات هذا الأمر بوجهات نظرها اليسارية ، ولكن الدافع الحقيقى كان الحصيلة الكبيرة من الدراسات والقصص والمسرحيات والروايات الطويلة التى كتبتها ، والتى لم تخل أية واحدة منها من نقدات لاذعة هنا وهناك لسياسة البيض فى افريقية ، وبخاصة فى قلب القارة .

وهكذا نستطيع أن نصحب ثلاثة من المتخصصين في عرض مشكلة من أهم المشكلات المعاصرة في قلب القارة التي نعيش فيها ، والتي لها أهميتها بالنسبة لنا ، ان أولئك الذين رسموا لتحديد « افريقية السوداء » في الجنوب من الخط المتعرج الذي يقع في الجنوب من الصحراء قد صوروا فاصلا مخادعا ، انهم يحاولون أن يؤمنوا وأن يؤمن الناس معهم بأن هذا الخط يمكن أن يفصل بين الجماعات العربية في الشمال والمجموعات الزنجية في الجنوب .. ولكنهم تناسوا أن الكتلة الافريقية انما هي مزيج من الحامية والسامية ، وأن هذه الجماعات البشرية قد تجاوزت قرونا وقرونا كثيرة ، وهي تحس بمشاعر واحدة .. ثم وثبت لتكافح الحركات التحررية في تواريخ متقاربة ، هذا شيء ، والشئ الآخر هو أن السياسة العربية لشمال هذا الخط المتعرج تلعب دورا هاما في وسط القارة وجنوبها ..

ومن أجل هذا نعرض لهذه الدراسات اليوم !! .

٢ - بدور القومية في نياسالاند :

الى أية مرحلة من مراحل الاستعمار يمكن أن ترجع « القومية » في أصلها ونشأتها ؟ !! ، هل الى اليوم الأول الذي رفع فيه المستعمر علم دولته على الأرض الجديدة ؟ !! أو عندما حاولت الحكومة المستعمرة أن تشعر رعاياها الجدد بسلطانها ؟ !! أو عندما عاد الطلاب الوطنيون الأوائل من جامعات أوروبا ممثلين بالطموح ، لتطبيق ما شاهدوه في المجتمع الغربي ؟ !! .

والغريب أن هذا البحث لا يعنينا نحن الافريقيين الا عندما نحاول أن نكتب دراسة في تاريخ القومية ، ولكن الغربيين يعنون بهذا ، ويحاولون دائما أن يصلوا الى اجابة صحيحة دقيقة لهذه الأسئلة ، لأنهم يؤمنون بأن صلاتهم المستقبلية مع الدول الافريقية تتوقف على قدر تفهمهم للزعماء الافريقيين ووجهات نظرهم ، فالقومية قوة دافعة ولدت أثناء العلاقة الاستعمارية ، ولا قيمة اطلاقا لما كان عن طابع السياسة الاستعمارية ، فكل ما حدث من أخطاء سيضيع في زوايا النسيان ، ولكن مولد القومية ودوافعها ، وتكون هذا وذلك في « ريجيم » المجتمع الاستعماري هو الذي سيبقى ، وله مؤثراته المتتابة مستقبلا .

وقد لا يكون من المهم تقدير رد الفعل من جانب الرجل الأسود بالنسبة للرجل الأبيض القادم الى القارة ، ولا تكون أيضا أهمية لتقدير رد الفعل المضاد من جانب الرجل الأبيض ، ولكن الشئ الذي نذكره هو أن الافريقيين لم يكونوا سلبيين في الانصياع لطاعة البيض ، وتاريخ السنوات العشر أو العشرين الأولى ملىء بالحروب الصغيرة ، صحيح أنه ربما كان الغربيون قد نسوا هذه الحروب ، ولكن الافريقيين مازالوا يذكرون حرب الزولو ، والأشانتى ، بل يذكرون ما علق به دزرائيللى ذات يوم عندما قال عن شعب الزولو : **((لقد هزموا قادتنا وردوا مبشرين))** **والآن قتلوا أميرا ملكيا ، فخطوا نهائيه** **أسرة من أكبر الأسر المالكة في أوروبا !!))** ويذكرون حروب العرب في نياسالاند

وشرق أفريقيا، وحرب الكونغو وحملة لوجارد على أمراء « الفولاني » في نيجيريا الشمالية، وحروب الفرنسيين مع « الساموري » على النيجر العلوي وعرب اقليم تشاد ، وثورة « الماجي ماجي » على الألمان في شرق افريقية ، وحرب « هيريرو » في جنوب غربي افريقية .

على أن هذه الحروب من وجهة نظر الدول « الامبريالية » تنقسم الى مجموعتين، الأولى الحروب التي خيشت في سبيل تثبيت الحكومات الاستعمارية، والثانية لكبت الثورات التي قامت في وجه هذه الحكومات بعد أن قامت من وجهة النظر الرسمية، ولكنها بالنسبة للافريقيين تعتبر مجموعة واحدة متصلة ، وهي كلها في جملتها محاولات للدفاع ، أو لاعادة الحال التي كانت قائمة قبل أن يجيء الأوروبيون ، وكان الأوروبيون ينظرون دائما الى هذه الثورات بفزع على أساس أنها ثورات عامة على الأوروبيين بعامة .

ولكن في أية مرحلة .. ؟ وبين أية مجموعة من الناس اذن نمت بذور القومية ؟ .

ان الاجابة الصحيحة هي : أن زعماء الحركة القومية لم يكونوا هم الزعماء التقليديين للمجتمع الافريقي ، لم يكونوا من الزعماء ولا من رجال الدين ولا من السحرة بل على النقيض كانوا من المجموعات التي ذهبت الى معاهد العلم ، المجموعات التي ترك أفرادها أوطانهم وعاشوا عدة سنوات وسط الأوروبيين ، وتحققوا أن الأفراد في الغرب لا يتبعون المثل التي يعلمونها

لهم في معاهد العلم ، ومن ثمة تحققوا أن الأوروبيين منافقون ! .

وفي سنة ١٩١١ كتب رجل من « نياسالاند » اسمه « تشارلس دومنجو » : (ان الهيئات الثلاث المجتمعة معا (الجماعات التبشيرية ، والحكومة ، وشركات الاستثمار) انما تعمل للكسب ، وان هؤلاء الناس لا يتبعون المسيحية التي يبشرون بها، لأنهم بدلا من أن « يعطوا » . « يأخذون » ، ومن السادسة صباحا الى الخامسة أو السادسة مساء يخرقون كل ماجاء في رسالة القديس يوحنا . (الاصحاح الخامس) .

وهكذا بعد خمس وثلاثين سنة من عمل المبشرين ، وبعد عشرين سنة من الحكم الاستعماري لنياسالاند جاءت الثفرة ، وحدث التشقق في بناء الامبريالية عن طريق النافذة التي ظن الاستعماريون أنها تدخل اليهم الضوء والهواء ، ولم تكن ثمة حاجة الى اثاره التقاليد القبلية ، ولا تصوير الرجل الأبيض في طابع آكل اللحوم البشرية ، كانت هذه النشرة التي كتبها « تشارلس دومنجو » والتي قرأها أناس لهم احترامهم قد كشفت عن نفاق الرجل الأبيض ، وهدمت المثل العليا التي يبشر بها ، وقدمت فكرة غريبة في كل مظاهر اتجاهاتها ، استجاب لها أولئك الذين يستطيعون القراءة ، ومن ثمة ولدت « القومية » في صورة بدائية ، لأن جل هؤلاء الناس كانوا قليلي الثقافة ، ولم تكن تتوفر لهم أية خبرة سياسية .

على أن الدكتور « رولاند أوليشر »

يدخل عاملا جديدا قويا له أثره الفعال، ما في هذا من شك ، ولكنه لم يكن العامل الرئيسى اطلاقا ، وذلك في حديثه عن التعبير الذاتى للقومية، فهو يقول : ان «القومية» في نياسالاند كما هي الحال بالنسبة لها في جنوب افريقية ترجع الى نفوذ كنائس الزوج المستقلة في الولايات المتحدة ، والى هذا العدد من الافريقيين الذين ذهبوا لحضور الدراسات في حلقاتها واجتماعاتها الدورية ، فكان هؤلاء هم الرواد الاولين لتحدى النظام الاجتماعى القائم .

لقد وجد الناس في نياسالاند أن كل الأديان منذ آلاف السنين ، حتى الأديان البدائية في الغابة لا تقر التشريع الذى جاءت به الطبيعة القاسية من أن البقاء للأصلح ، ووجدوا أن الأديان تمد أيديها للضعيف عقليا وجسمانيا، وأنها كلها تفرض المساواة للأسود والأصفر والأبيض ، مساواة تامة بين العراة والمتدثرين في الثياب ، ولكنهم عندما تلفتوا من حولهم وجدوا أولئك الذين يبشرون بالمسيحية ، والذين يجيئون بهم لهذا العمل يكسبون ويغنمون ، يغتصبون كل شيء ، ولا يتركون لهم غير الفتات فكفروا بما يسمعون ، وكان من الضروري أن يوجدوا لهم طابعا خاصا ، فكانت الفكرة : العودة الى الحال التى سبقت وصول الرجل الأبيض ، فكان هذا الاتجاه ميلاد فكرة «القومية» ، وكل تطورها بعد ذلك يتبع عامل الوقت !! .

٣ - كيف نكون شركاء !!!

وهنا بعثت الى الضوء مسألة

« الاشتراك » ، وسياسة المشاركة ، وهى سياسة يمكن أن تنجح لو جاءت في الوقت المناسب متبعة الأصول الصحيحة ، وهنا المشكلة لأن اختيار الوقت المناسب ، ووضع الأصول الصحيحة للاجراءات ليس بالأمر السهل الهين الميسور ..

والحديث بالنسبة لقلب افريقية لا يخرج عن هذه الصورة العامة للمشاركة ، فعندما كسب « السير جودفرى هوجنز » (اللورد مالقيرن فيما بعد) الأغلبية لمعركة الاتحاد سنة ١٩٥٣ كانت البلاد تسير في مرحلة تقدمية ، وأمل الكثيرون من الافريقيين - حتى الذين عارضوا فكرة الاتحاد بقوة - أن تواجه البلاد عصرا جديدا في العلاقات بين أجناس السكان .

وكانت تكتيكات حكومة الاتحاد واضحة ، فبدلا من أن تفعل شيئا ما ايجابيا لتوضح أن هذا عصر جديد جدير بسياسة جديدة قرر « لورد مالقيرن » لتكذيب ادعاءات ناقديه أنه سينبع البيض الجنوبيين للسود الشماليين بالابقاء على الحال كما هي ، وكانت هذه أولى أخطاء «لورد مالقيرن» وحتى لو كان قد ألغى نظام الأبواب المختلفة ، لدخول الناس الى دار البريد في روديسيا الجنوبية ، لكان الكثيرون من الأوروبيين قد قبلوا الأمر على أنه روح السياسة الجديدة للشركة التى تقوم بين بلدين ، ونظر الافريقيون الى هذا العمل البسيط على أنه مرحلة عملية من مراحل السياسة الجديدة . وعندما قدم « مستر داوتى يامبا » العضو الذى يمثل مصالح الافريقيين في روديسيا الشمالية مشروع قرار

بالغاء التمييز العنصرى فى المرافق العامة التى تتولاها حكومة الاتحاد خذله « لورد مالقرن » فكان هذا خطأه الثانى .

وبذلك وضع للأفريقيين أن الشركة الجديدة لا تعنى تغيير مجرى الحياة العادية التى قاسوا منها الكثير إلا إذا قاموا هم بدورهم بعمل ما .

وقد أعلنت الرابطة الإفريقية الوطنية - وقد حلت الآن بحكم القانون - أنها ستحارب هذا التمييز العنصرى فى دور البريد وغيرها ، ولهذا فإنهم يؤمنون الآن فى ساليسبورى بأن الحكومة لو ألغت الآن قانون تخصيص أبواب لكل لون من السكان ، فإن هذا لا يرجع إلى تغيير سياسة الاتحاد بقدر ما يرجع إلى إصرار السكان على عدم تقبل الإهانة ، ولو كانت الحكومة قد وافقت على « مشروع يامبا » لكانت قد أبدت روحاً طيبة فى سياسة المشاركة .

وكان الأفريقيون دائماً يقولون بأن السماح لكل الطلاب بدخول الجامعة، واستخدام الأطباء السود بشرط استخدام الأطباء البيض ذاتها، والسماح للأفريقيين بدخول غرف الطعام فى قاطرات السكك الحديدية كلها من العوائق التى تدل على تطبيق سياسة المشاركة فى الاتحاد .

ثم إن الكثيرين فى الوقت نفسه يقولون أن دافع الضرائب البريطانى ما كان يرضى بدفع نصف مليون جنيه للجامعة ، لو كانت قاصرة على البيض وحدهم ، ثم إن عدد الأطباء السود فى الوقت الحاضر كان ثلاثة ، وهم يعيشون فى مناطق تفصل بينها أميال وأميال،

ولكن الفكرة أن هناك الكثير من الممرضات السود ، اللاتى اجتزن نفس الامتحان ، كالممرضات البيضات إلا أنهم لا يمنحن نفس الأجور عندما تستخدمهن حكومة الاتحاد ، وحتى الأساتذة من الملونين يوضعون فى درجات أقل من درجات البيض ، وقد وضع ناظر مدرسة فى الدرجة الثانية مع أن مساعديه الأوروبيين وضعوا فى الدرجة الأولى ، وصحيح أيضاً أن الحكومة تسمح للأفريقيين الذين يرتدون ثياباً منظمة نظيفة بدخول غرف الطعام فى القاطرات ، ولكن الصحيح أيضاً أن الكثيرين من كبار الأفريقيين يرفضون هذا ، لأنهم لا يقبلون منحة يحرم منها الأفريقى العادى .

وهكذا فشلت حكومة الاتحاد فى اكتساب ثقة الأفريقيين فى سياسة المشاركة ، وفى الوقت نفسه لم تكسب ثقة البيض ، فالبيض لا يجدون معنى المشاركة محدداً واضحاً ، والسود لا يجدون فى هذه السياسة أية ناحية عملية جديرة بالرافة .

٤ - فى نيسالاند :

على أن المشاركة لم تفشل فى مكان ما من الاتحاد ، كما فشلت فى نيسالاند حيث أدت معارضة الاتحاد إلى حوادث دامية سببت فقد الكثير من الأرواح ، على أنه لكى نتفهم اتجاه أفريقى نيسالاند نحو الاتحاد يجب أن نرجع إلى أيام الحملة من أجل الاتحاد فى سنة ١٩٥٣ ، ففى ذلك الوقت لم يكن من المعروف أكان النخبون الأوروبيون سيوافقون على الفكرة أم لا ، ولكسب أصوات البيض

في روديسيا الجنوبية القيت الخطب التي كرر أصحابها القول بأن الاتحاد سيحول دون ايجاد دولة افريقية في نيسالاند . ولم ينس أهل نيسالاند هذه الأقوال . ولن ينسوها ، فقد أضحت فكرة الاتحاد تعنى أنهم لن يسودوا بلادهم .

وقد قال «لورد مالفرن» عند تقاعده أنه يظن أن نيسالاند ستكون أول قسم من الاتحاد سيكون رئيس وزرائه من الافريقيين ، ولو أنه قال هذا سنة ١٩٥٤ لكان الموقف في نيسالاند غيره اليوم ، ولما كانت هذه المعارضة للاتحاد قد قويت الى هذا الحد الذي هي فيه .

ولقد نوقش الأمر على أساس أن نيسالاند يجب أن تظل في الاتحاد ، لأنها لو تركته فستذهب أيضا روديسيا الشمالية ، ومن ثمة تضطر روديسيا الجنوبية الى الانضمام لاتحاد جنوب افريقية ، ومن ثمة كانت الوسيلة لبقاء نيسالاند في الاتحاد اقناع الزعماء الافريقيين بأنهم سيعاونون ليتعلموا كيف يتولون أمر بلادهم ، فاذا ما انتهت هذه المرحلة الدراسية كان لهم بعد هذا أن يقرروا البقاء في الاتحاد أو الخروج منه ، والمعتقد أنه عندما يحتل الزعماء الافريقيون في نيسالاند أمر بلادهم سيدركون قيمة الاتحاد ونفعه ، ومن ثمة فسيكونون هم دعاة البقاء فيه ، على أساس أنهم سادة بلادهم ، لقد كان الكثيرون من الزعماء الافريقيين في بلاد أخرى يدعون الى الخروج من الكومنولث ، ولكنهم عندما استقلوا لم يتركوا الكومنولث وتعلقوا به .

ان التوتر في الاتحاد الآن أعمق وأبعد مدى مما كان فيه في أى وقت سابق ، وقد أدت أنباء الاضراب الافريقى في روديسيا الجنوبية الى اتجاه البيض الى شراء البنادق والمسدسات ، وقد عرف أهل روديسيا الشمالية العنف منذ قامت الثورة في نيسالاند .

وهكذا يتضح لنا أن « المشاركة » لم تؤت ثمارها ..

ولو أدت هذه الاضطرابات الى ادراك الحقيقة لكان الدرس الذى يجب أن يتفهمه الجميع هو الحاجة الى خلق الثقة بين كل الأجناس ، وما لم توجد المشاركة هذه الثقة فانها تكون معدومة النفع لا تصلح لشيء !!

ولكن أية ثقة !! . وكيف يمكن أن تتوافر مع تباين الأهداف !! .

٥ - غدر وخيانة !

على أننا لكى نستطيع أن نعرف صورة صحيحة للحياة في نيسالاند وفي روديسيا الشمالية يجب أن نقرأ الدراسة التى كتبتها « مسز دوريس ليسنج » من نهايتها ، فهى تقول فى السطور الأخيرة :

« ومهما حدث ، فان الناخبين الانجليز يتحملون مسئولية سماحهم لحكومتهم بأن تسلم « السير روى ويلنسكى » ، الرجل الذى يتولى رئاسة الوزراء فى الاتحاد - الذى يبدى اعجابه بنظام الحكم فى جنوب افريقية - افريقى نيسالاند وروديسيا الشمالية بدون رغبتهم ، وفى الوقت نفسه يحتملون خيانة الوعود التى أعطيناها لهم » .

« اننا نحتمل مسئولية أسوأ نظام اجتماعى فى العالم ، حيث يعيش سبعة ملايين ونصف مليون من الافريقيين فى فقر مدقع يقتلهم المرض وسوء التغذية والجهل والحرمان من أبسط صور الحرية ، انهم يحكمون بواسطة ثلاثمائة

الف من البيض ، مستوى معيشتهم مرتفع بدرجة كبيرة ، ومع هذا فإن عددا قليلا جدا من هؤلاء الذين يعملون كل شيء ، وأى شيء للبقاء على سيادتهم » .

والآن فلنرجع مع « دوريس ليسنج » من بداية بحثها .

ففى الثالث من مارس نشرت الصحف فى بريطانيا على عرض الصفحة الأولى « عضو برلمان بريطاني يحمل قسرا الى الطائرة لابعاده ! » ، وهى تقول أن كل من قرأ هذه الكلمات لابد أن يكون قد تصور أن أحد أعضاء وفد برلمانى من مجلس العموم كان فى رحلة الى الصين أو الى الاتحاد السوفيتى ضبط وهو يصور منطقة عسكرية ، ولاشك أن من فكروا فى هذا قد ذهلوا من مقاومة هذا العضو المحترم أمر الابعاد .. ولماذا لم يذهب الى الطائرة متزن الخطى محتفظا بكرامته ، حتى لو كانوا يقودونه الى المقصلة ! .

ولكن لاشك فى أن الصدمة كانت أكبر عندما قرأ الناس أن « مستر جون ستونهاوس » عضو مجلس العموم العمالى قد أبعد من روديسيا الشمالية ، وأنه قد قاوم أمر الابعاد حتى اضطر ضباط الهجرة الى حمله قسرا الى الطائرة لابعاده ..

والفكرة أن روديسيا الشمالية كنيسالاند ، لاتزال من الناحية النظرية تحت حكم البرلمان البريطانى ، ومع هذا فإن سلطات الاتحاد أبعدت من أراضيها مضوا من أعضاء المجلس الذين تفرض لهم القوانين حكم هذه البلاد التى أبعد منها حضرة العضو المحترم كل الاحترام (!!!) .

ولكن أية حقوق للانسان فى مثل هذه البلاد .. ؟

ان العامل الزراعى يتقاضى اثنى عشر شلنا وستة بنسات فى الشهر ، مع غذاء من الأذرة ، ومع اقامة فى كوخ من الطين ، ليعمل من السادسة صباحا الى السادسة مساء فيما عدا ساعة واحدة للغذاء ، فاذا تأخر ساعة واحدة عن العمل جوزى بغرامة لا تقل عن شلنين ، فاذا طالب بترك العمل رفض طلبه فاذا فر أعيد للعمل ، واذا ذهب الى مركز البوليس خيروه بين الضرب أو أن يدفع غرامة عشرة شلنات ، وهو دائما يتخير الضرب ، لأنه أقل قيمة من الناحية المادية ، ولكن لا يضربه رجل أبيض بل يوكل أمره الى كونسيتابل افريقى ، يعرف كيف يضربه ، حتى لا يعود للفرار ! .

والغريب أن أصحاب الاقطاعات الزراعية فى الاتحاد لا يعرفون لماذا يتحدث الانجليز فى بريطانيا عن سوء الحال فى مناطق اتحاد وسط افريقية ! ؟ .

ومع أن « مستر جون ستونهاوس » قد قاوم رجال البوليس الذين جاءوا اليه لتنفيذ أمر ابعاده ، كانت مقاومته بدعة لا يعرفها رجال الادارة هناك لأن العادة أن البوليس يذهب ليلا للقبض على زعماء الجمعية الوطنية ، فيدخل المنازل ليقبض عليهم ، ويلقى بهم الى السجون فى سكون ، وعندما أقول المنازل أقصد أكواخ الطين ، فى مناطق « الجيتو » لأن السود يحرمون من الاقامة فى المدن حيث يقيم البيض . وفى كل مرة تقول سلطات الحكومة فى الصحف وفى دور القضاء أن المقبوض

عليهم مجرمون ،لدى البوليس سجلات عنهم ،هكذا قالوا عن «هارى نكومبولا» و «كينيف كاوندا» من زعماء روديسيا الشمالية .

لقد أخذ البيض ٦٪ من اراضى نيسالاند وروديسيا الشمالية ، أما روديسيا الجنوبية فقد أستولى البيض فيها على ثلثى الأراضى الزراعية .

ومعنى هذا أن الافريقيين لا يستطيعون الاقامة فى ثلثى بلادهم ، ومن أجل هذه الحقيقة يرى أهل نيسالاند وروديسيا الشمالية أن الاتحاد تهديد لهم لاغتصاب اراضيهم ، وأنهم اذا سلموا الى « ويلنسكى » وضموا الى روديسيا الجنوبية كان معنى هذا فقدانهم اراضيهم اغتصابا وببطء ، أى أن يفقدوا ما بقى لهم من حرية .

لقد قاوم الافريقيون فى نيسالاند وروديسيا الشمالية الاتحاد ، ولكى يخفف وقع المصائب اخترع البيض كلمات « المشاركة فى الحكم » ، ولكن الافريقيين لم يخدعوا بما خدع به الكثيرون من الناس .

ان نمو الحركة الوطنية فى المناطق الثلاث انما هو نتيجة مباشرة لحقيقة أن (الاتحاد) قد فرض فرضا على الافريقيين على غير رغبتهم .

وهم فى بلاد الاتحاد لا يحترمهم القانون ، وهم يقصون قصة محاكمة « هاييس كوربوس » الذى اتهم باثارة الاضراب فى روديسيا الشمالية سنة ١٩٥٦ ، فعندما أصدرت المحكمة حكمها بأن الاتهام غير قائم ، وأن القبض

والاعتقال غير قانونيين أصدر المجلس التشريعى قانونا فى مساء اليوم نفسه ، ولم يطلق سراح الرجل ، بل قدم للمحاكمة من جديد بموجب القانون الجديد !! .

والشئ الذى يجب أن لا يغيب عنا هو أن الحكومة تعتقل الزعماء ، أملا فى أن تشتد المقاومة ، وتحدث بعض حوادث عنيفة ، ومن ثمة تستطيع الحكومة أن تستخدم كل وسائل العنف ، مستخدمة كلمة « الماو ماو » لتجعل من أرض الاتحاد كينيا أخرى . ولكن الحكومة هى التى ستتحمل الخسارة فى النهاية .

وهكذا تعود «دوريس ليسنج» الى السطور التى قدمت بها بحثها .. ومهما كانت النتيجة فان الناخبين الانجليز هم الذين يحتملون مسئولية سماحهم للحكومة البريطانية بتسليم « السير روى ويلنسكى » افريقى نيسالاند وروديسيا الشمالية على غير رغبتهم ، دون تقدير لعدالة أو عرف ، أو احترام لقانون . والغريب بعد هذا أن تتحدث بريطانيا عن ميثاق حقوق الانسان ! .

وهكذا تنتهى مأساة مشكلة أفريقية الوسطى بالفصل الاخير ، الذى يبدأ بتشكيل « لجنة دقلين » وينتهى بتقريرها والعاصفة التى ثارت فى مجلس العموم البريطانى فى الثامن والعشرين من يوليو الماضى ، هذا الفصل الذى قلب المأساة الى ملهاة .. وبقي النظارة مشدوهين لان الاضواء لا تزال تملأ المسرح ، ولم يسدل الستار بعد !!

the greed of the great powers.

Africa is a force to be reckoned with. It is a moral one, because it rests on basic human rights. It is a force far more potent than all the atom bombs put together. Together with Asia, our force is even more overwhelming.

The Arab world is the bridge linking the two conti-

nents. The United Arab Republic is proud to belong to both.

Guided by the principles of the Charter of the U.N., we also feel hovering over us the spirit of Bandung and of Accra. In all humility, let us prove ourselves worthy of it so that, when this Conference concludes its work, we can also proudly boast of the spirit of Monrovia.

Mr. Chairman,

Excellencies,

Thank you.



rests in the spirit of Voltaire and Jean-Jacques Rousseau. I believe that many Frenchmen hold the same opinion as myself.

As the President of Liberia so justly observed in his opening address, we are faced with great responsibilities. We have achieved great progress in the past few years. But we must not let this success go to our heads, for the colonial powers are still poised, thinking of new ways and means to throw us back and do us harm.

The old motto of "Divide and Rule" is still uppermost in their minds. They know that unity of minds, of purpose and of action are the greatest obstacles to their schemes.

The latest creation of the colonialist mind is the pitting against each other of African and Arab Nationalisms.

Our Conference here, as well as the previous one in Accra, are the best proof that we refuse to be taken in. The first item in our Agenda shows that all Africa is backing Arab Algeria in its fight for freedom.

Yet the colonial powers and their media of information and propaganda persist in playing up

the supposed racial difference between Africa south of the Sahara and Arab Africa in the North, thus trying to create a rift and a division. Let me point out to them that racialism is a state of mind, of which, thank God, we Africans are completely free.

Racialism, racial hatred, as we have seen in Algeria, goes further than the mere difference in the colour of the skin.

Here I want to state quite emphatically that Arab North Africa, and History attests to it, has always had relations with countries south of the Sahara, and vice-versa.

The Egyptian Region of the United Arab Republic has freely inter-mixed with peoples all along the river Nile, up to the innermost heart of Africa, in the Great Lake Region.

We have mixed blood in our veins. I shout it to the whole world : I am proud of it.

What the colonial powers are really afraid of, is that present international organisations can afford overwhelming superiority to the small nations if they stand fast and in unison against

ed nothing substantial and I do not think that he is in a position to do so. The Constantine plan, which Radio Paris extols daily is, as the French would say "une pure chimère". The war in Algeria - it is a shooting war, you know - is costing France a billion dollars a year. The crumbling economy of France, despite the huge amount of foreign aid with which it is injected now and again, cannot afford to sustain the cost of both.

The Constantine plan is nothing but a bait, which France is dangling in its bid for complete control over Algeria's mineral wealth.

The glory of France, not only requires that it overcome the Algerian forces 10 times smaller in number, but that it also explode an atom bomb in the Sahara. If the Algerians are sub-human species to be arrested and tortured or hunted down at will, then it is only natural for the rising French Fascism not to bother about other Africans who may perish under the daily fallout.

Seeing that sand storms are a frequent occurrence in the area,

it is highly probable that all the great rivers south of the Sahara might become contaminated with radioactivity.

I am sure that the assembled delegations will approve of the prompt action taken by the brother Governments of Liberia, Ghana and Guinea.

The U.A.R. always declared itself against nuclear tests, anywhere. But the danger is becoming more immediate, and we, African countries, should formulate a vigorous and concerted plan of counteraction.

This is the plight of France, sinking slowly under the rising tide of militarism. Were it to gain its ends, Heaven forbids, then not only Africa, but Europe itself might be endangered. For militarism is a highly contagious disease.

But if our efforts to save Algeria come to success, if we also succeed in keeping Africa safe from the dangers of nuclear tests, then I am quite certain that French Militarism will not survive those failures. We will not be only saving Algeria and Africa, but France itself.

The real glory of France

Ho finally comes to the conclusion that they are great neurotics who would make excellent victims; at the first electric shock they would tell everything

France should congratulate itself that the Resistance who led the fight for freedom against Nazi Germany was 'not built around such men as these.

If I am permitted, I shall again quote Sartre. In searching for the true meaning of torture he says that "Torture's real dividend is the degradation it creates in the torturers themselves. It will never bring back the glory of France. Glory was never a synonym for depravation".

Jean-Paul Sartre here puts his finger on the sore spot. The French Army Command, or rather the handful of colonels, who staged the "coup of May the 13", and who now are the true rulers of France live under the spell of the Dien-bienphu psychosis. They are maintaining in Algeria an army half a million strong, equipped to the teeth with the mighty arsenal of weapons put at its disposal by some of the NATO powers, presumably to

defend the continent of Europe against a possible attack, but which have been turned round to serve France's aggressive tendencies against Africa.

The French Army Command, I correct myself again, the handful of colonels who are now ruling France, think that if the French Army in Algeria could defeat a force ten times smaller... glory will be theirs again.

This has come to obsess them as a point of patriotism and pride. Looking at the matter, in true perspective, it should rather be to their shame and disgrace.

There are those who thought that the coming of General de Gaulle to power might open a just and honourable way out of the impasse. Riding on his wave of popularity last year, he spoke in attractive but highly ambiguous terms. But even this is no more. Willingly or not, he has been hamstrung by the glory-obsessed French Army Command. While his Prime Minister is toeing the line in a French Assembly that has fallen under the domination of the "ultras" and the rightists.

General de Gaulle has offer-

Africans, the Algerians, have been subjected. All along the eastern borders of Algeria, and elsewhere, whole villages were, and are still, being pillaged and destroyed; and areas of cultivation laid to waste. Close to one million luckless Algerians have been tured almost overnight into destitute refugees.

French authorities have even approached some countries, asking them to stop sending aid to those refugees, on the grounds that that too would mean meddling into the domestic affairs of France.

Once and for all, the fiction of Algeria being an integral part of France must be exposed. It is a fiction born of the notorious unilateral declaration of the 22nd of July 1834, a full 13 years before France could achieve the final conquest of Algeria. I am sorry if I used the word "final". For Victories achieved through brute force can never be final. What is final, what is truly irremediable is the unbending will of the people, of all peoples, determined to achieve freedom, liberty and independence.

But we brother Africans,

assembled here, to discuss the problems created by the selfishness and intrusion of non-Africans into our territories and into our own affairs ; we Africans must not sink down to the inhuman level of the protagonists of colonialism, no matter how much we have, or our brothers have suffered from it.

For the plight of Algeria has also its obverse side - the plight of France itself.

It is the tragic downfall of all what France had stood for, under the rising tide of Fascism and terrorism.

The French clergy has denounced it. Priests returning from Algeria, have borne witness to many a horrid tale.

Many other brave voices have also been heard from France. But always they came to be drowned by the cry that to speak against torture meant insulting the Army.

In his admirable introduction to Alleg's book, Jean-Paul Sartre exposes the true face of the torturers who think of themselves as supermen simply because they have other men at their mercy.

inside the heads of those people. "That", they said with conclusive professional superiority, "is a different branch of science".

Yes, it is a different pranch - but it has nothing to do with science, I can assure you. And it is left for the European settlers to handle it.

Whenever the Africans still in subjection try to assert their rights as human beings, they arbitrarily are browbeaten and hunted down as criminals. In the Cameroons, the arbitrary laws of 1955 have driven hundreds into exile or into notorious internment camps. Imaginary accusations are levelled against respectable people as had been the case with Dr. Hastings Banda. False witnesses are arraigned 'as had been' the case against Jomo Kenyatta. Uganda "Apartheid" that ugly word; born and bred in South Africa; "Apartheid" and all the evil practices that it stands for, is creeping north. Nyasaland and the Rhodesias already know its full and horrid meaning. The grip has also tightened around the unhappy territory of South-West Africa.

On my way, here, I also

heard of the death in prison of the leader of the Algerian General Workers' Union. January last, a military tribunal had acquitted him of a charge of endangering the security of the State. But instead of being released, he was transported to yet another detention camp, there to meet his sad and tragic end. He had been burned to death. The French claim that he accidentally set fire to his own bed clothes. An Explanation which is hard to believe. Death through torture is quite a commonplace occurrence in Algerian prisons. As practised in Algeria, torture is but the ugly face of racial hatred. What is happening in Algeria is also the story of colonialism in Africa. They have two basic factors in common : greed and racial discrimination.

Four and a half years ago, on the 1st of November 1954, to be precise, the Army of National Liberation launched its glorious fight against the French oppressors. I will not go into details since they are known to you all. Though it does not mean that we can dismiss from our minds the horrible tales of terrorism and vandalism to which our brother

the government and the people of Liberia, to our Distinguished Chairman and Distinguished Colleagues, I wish to convey the greetings and wholehearted support of President Gamal Abdel Nasser, of the government and people of the United Arab Republic, with both its regions, the African and the Asian.

Colonialism came to Africa, spearheaded by men whose values and motives had become dominated by the materialism of the industrial revolution. They came as gods and controllers of destiny. They felt superior. They could not, and would not, make efforts to understand Africans or African ways of life, which had developed for so long in privileged shelter from foreign influence and greed.

Colonialism came to Africa already despising Africa and the Africans. It came, not for Africa's sake, but for what it could greedily get out of Africa. The colonialist arrived feeling superior, determined to impose himself and his way of living on the African. The negation of Africa in all dimensions was as complete as it could possibly be. No group

of human beings can be left indefinitely outside in the night of the human spirit.

Those are pretty strong words. Some quarters, not Africa, I assure you may accuse me of extremism. The accusation is bound to collapse, however, when I reveal that I had been quoting all along the Afrikaans writer Van der Post, whose sense of justice rose in revolt against what has been and still is being perpetrated against Africa and the Africans. Van der Post also speaks of how the problems of Africa are studied in a variety of ways - but he asserts that they are all of secondary importance, since they by-pass the most fundamental of all: the humble effort of trying to understand the human being.

Van der Post relates the tale of two scientists who had asked to accompany him into the Kalahari desert. They were doing research work - a comparative study of the head measurements of people all over the world. They showed him an impressive catalogue of detail already observed. Van der Post asked them if they were not interested in what went

U.A.R. POLICY IN AFRICA

STATEMENT OF HIS EXCELLENCY H. ZULFICAR SABRY CHAIRMAN OF THE U.A.R. DELEGATION TO THE INDEPENDENT AFRICAN STATES CONFERENCE

Monrovia, Wednesday 5th August, 1959

Mr. Chairman
Excellencies,

Guided by the spirit of the Accra Conference of 1958, we, the representatives of the Independent African States, have assembled again. We have come to discuss and take council among ourselves about affairs topical not only to our continent, but to the world at large. States, big and small, are cocking their attentive ears; the voice of Africa is being heeded at last. Not because any Big Power has willed it, but thanks only to the concerted efforts of our governments and the heroic struggles of the African peoples, still in subjugation, and who are to join us sooner or later. Much sooner than colonialism would hope or expect. Already in our midst, not present at Accra last year, we are happy to have the Distinguished Delegation of

the new independent State of Guinea. Next year, we will also be happy to welcome to our concert of independent African Nations the Cameroons, Nigeria, the Togo and Somaliland. I join my Distinguished Colleagues in offering our warm thanks and heartfelt gratitude to President Tubman, to the government and people of Liberia whose kind invitation and generous hospitality made it possible for us to convene in their fair and lovely capital of Monrovia, which for more than a century had represented and presaged the rising tide of African freedom. Indeed, the very name of Liberia spells good omen to the future liberation of other peoples, whom God has created equal, but whom colonialists, in their greed, refused to consider so.

To President Tubman, to



الطفولة في افريقية

2nd. Year

Issue No. 22 - Sept. 1959



Nahdattu

AFRIQUIAH

IN THIS ISSUE

- FROM ACCRA TO MONROVIA.
- THE ARABS IN EAST AFRICA.
- SOME SUDANESE NOVELISTS.
- AFRICAN MUSICAL MASTERPIECES.
- BOOK ANALYSIS.

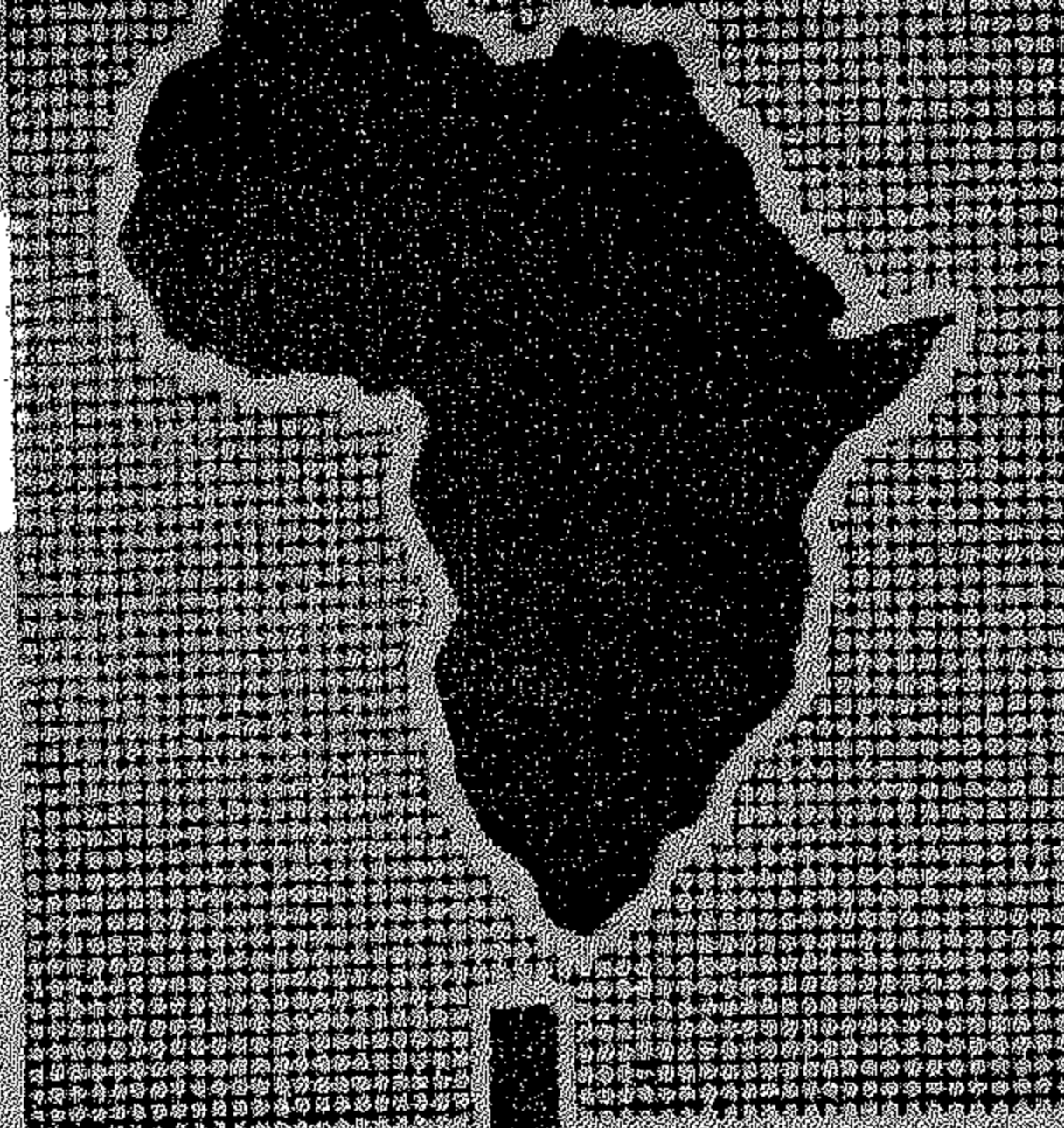
80 Pages.

30 Millimetres.

أكتوبر ١٩٥٩

العدد ٢٣

السنة الثانية



نهضة إفريقية

في هذا العدد

- الرمح المشتعل
- قبيلة ((الكيوكويو))
- ثورة افريقية
- جومو كينيا
- نقد الكتب
- كتاب الشهر

العدد ٣ قروش



لوحة افريقية على النحاس

نهضة إفريقية

تهدف هذه المجلة الى :

- ١ - تنمية الوعي القومى الإفريقى.
- ٢ - التعارف بين الإفريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الإقليمية .
- ٣ - نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل إفريقى فى مجاله الحيوى

وللمشتركين الحق فى :

- ١ - الحصول على المجلة بانتظام وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمان مخفض.
- ٢ - الاستفادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الامكان .

● ترحب « مجلة نهضة إفريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .
● ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها ..

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة إفريقية
٥ شارع أحمد حشمت - الزمالك
بالقاهرة

تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨

الإقليم المصرى

بالجمهورية العربية المتحدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى
دار أخبار اليوم للتوزيع :

٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا :

لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمان العدد ٣ قروش



نهضة إفريقية
مجلة شهرية
للتقافة الإفريقية

رئيس التحرير
محمد عبد العزيز اسحق

فكرة ..

لقد أصبحت القاهرة اليوم مصدرا
لاشعاع القوى الافريقية الضخمة
التي بدأت تهز العالم ، وتفرض
سياستها الحكيمة التي تنبع من
ضميرها ، كما تؤكد القيم الانسانية
الشريفة في ظل السلام الوارف ،
ومغناه الحبيب ! فالمد الافريقى اليوم
يعترف به كطاقة بناءة تستطيع أن
توقف التلاعب بمقدرات الشعوب ،
فلن تعود كما كانت من قبل وقودا
للمعركة ، ثم تعود الى نفسها حزينة
مجهدة بينما يرفرف النصر على الذين
كانوا دائما في مؤخرة الحصون ،
ووراء الخطوط !!

وتأكيدا لهذه المعانى الكبيرة فقد
احتفل في القاهرة بيوم ((جومو كينيا))
وشهدنا المشاعر تتلاقى ، والقبضات
تتحد . ثم ترسم مستقبلا جميلا
لكينيا وهي تسير خلف قلبها الكبير
((جومو كينيا)) وخرجنا من هذا
الحفل وكلنا احساس بأن ((الرمح
المشتعل)) كان يرسم معنا الخطة ،
ويصوب في يدنا الرمح !

.. ثم شهرنا الاحتفال بيوم افريقية
الاستوائية ، واستروحنا منه نسمات
الحرية التي تشق طريقها في جهد ثم
تصل اليها مصر ، عنيدة !

.. ثم كان احتفال ((الرابطه
الافريقية)) بعيد استقلال غينيا .
وهكذا تلاقى الافريقيون في دمعة يوم
((جومو كينيا)) ، وتسارعوا الى رمح
في يوم افريقية الاستوائية ، وأشرقوا
في بسمة في عيد استقلال ((غينيا)) ..
كل هذا كان في القاهرة !!
القاهرة العظيمة !!

((عبد بدوى))

محتويات العدد

- الرمح المشتعل :
٣ للأستاذ محمد عبد العزيز أسحق
- قبيلة الكيوكويو :
٧ للدكتور عبد العزيز الرفاعي
- كفاح جومو كينيا :
١٢ للأستاذ محمود دكسيه
- جومو كينيا :
١٤ ثورة افريقية :
- ١٩ ترجمة الأستاذ حلمى شعراوى
مؤامرة على الزعيم جومو كينيا :
- ٢٣ للأستاذ زكريا نمر يوسف
- ٢٤ حاجة كينيا الى رأس المال :
- ٢٨ السياسة البريطانية في كينيا :
جيبوتى :
- ٣١ للدكتور جلال يحيى
- ٣٩ يوم غينيا :
نقد الكتب :
- ٤٣ للأستاذ عبده بدوى
- الشركات التجارية وآثرها في الاستعمار :
٥٤ للدكتور زاهر رياض
- ٦٣ كلمات وصور :
كتاب الشهر :
- ٦٧ للأستاذ عبد الواحد ابراهيم

التحليل

بقلم : الأستاذ محمد عبد العزيز اسحق

من مشقة ومأساة ، الى أن صادفته
احدى الارساليات الاسكتلندية
فاستطاع عن طريق تعليمها البدائي أن
يقرأ ويكتب .

وكانت هذه نقطة انطلاق لم تتوقف

قط لدى الزعيم ((جوهو كينيا)) فانه

بعد أن ترك الارسالية لم يترك كتابا

وقع بين يديه الا والتهمه ووعاه ، وقد

عرف عنه أن له منذ طفولته ذاكرة عميقة

حادة . لقد عمل ((جوهو)) الطفل خادما

فى بيوت السادة الانجليز فى كينيا ،

ولكنه قرأ كتب هؤلاء السادة ، ولما

سئم خدمة السادة عمل نجارا وفلاحا

الى أن نما عوده واستقامت شخصيته

وتجاوز العشرين من عمره فساهم فى

تكوين أول هيئة وطنية فى كينيا

(عام ١٩٢٢) وكان اسمها ((رابطة

الكيوكويو المركزية)) . وقد تكونت تلك

الهيئة حينما وضع تغول المستوطنين

الانجليز على اراضى ((الكيوكويو))

الخصبة ، واتخاذ ذلك التغول صبغة

قانونية بصدور مرسوم من الحاكم

البريطانى يعتبر أصحاب الاراضى من

((الكيوكويو)) (مستأجرين مؤقتين)

تمهيدا لطردهم من اراضيهم .

ولم يطق المستوطنون وجود

احتفلت شعوب آسيا وافريقية

بيوم ((جوهو كينيا)) وتردد اسم هذا

الزعيم الافريقى العظيم مقترنا بذكرىات

كفاحه للاستعمار البريطانى فى

كينيا كفاحا نادر المثال .

والذى يتأمل سيرة ((جوهو كينيا))

يرى حلقات متوالية من خصائص

القيادة الموهوبة التى غذتها البيئة

والظروف فجعلتها متكاملة فعالة ذات

منهج واضح وهدف مرسوم .

فقد ولد الزعيم الكينى منذ حوالى

ستين عاما فى مقاطعة كينيا الوسطى

ومن أبوين ينتميان لقبيلة ((الكيوكويو))

التي حملت فيما بعد عبء الجهاد

الوطنى الاكبر واقترن اسمها بالحركة

المسماة ((ماو ماو)) .

ولم يكن للافريقى الذى تماثل

ظروفه ظروف ((كينيا)) الحق فى أن

ينال فى طفولته حظا ، مهما كان ضئيلا ،

من التعليم المنظم ، ولهذا فقد انطلق

الصبى الصغير مع أقربائه وأبناء

قبيلته الذين تربطهم التقاليد الموروثة

فاذا هم كالغسابة المتماسكة الجذور

المتشبذة بالفروع ، يرقص ويغنى

ويتناقل أساطير الاجداد ويفتح عينيه

لواعيتين على حقائق الطبيعة بما فيها

وأوصت فيه بإجلاء قبيلة ((الكيوكويو))
عن أراضي أجدادها واعطاء تلك الاراضي
للائجين الانجليز .

وقد حاول ((كينياتا)) أن يعيد
تكوين رابطة الكيوكويو المركزية فلم
يوفق ، وحاول أن يصدر جريدة فلم
يتمكن ، ثم حاول القيام بدعاية مضادة
للقوانين التعسفية الجديدة فلم
يستطع ، ولم يجد أمامه سبيلا غير
الهجرة ، في طلب الفرصة السانحة ،
وفي طلب العلم أيضا ، فذهب الى
لندن (في عام ١٩٣١) وانتسب الى
((كلية العلوم الاقتصادية)) ثم ذهب
الى جامعة موسكو ، ثم طاف أنحاء
أوروبا ، ثم عاد الى انجلترا ليبحث
الدعوة الوطنية في جماعات الافريقيين
الكثيرة المنتشرة في المدن البريطانية ،
وفي خلال ذلك اشتغل بتدريس لغة
((الكيوكويو)) في ((مدرسة اللغات
الشرقية)) في لندن وتقلبت به الاحوال
فاشتغل بيديه عاملا في الزراعة ، ثم
محاضرا لدى بعض الهيئات التعليمية
العملية ، وفي احدي مراحل هذه
الحياة العاصفة ، كان يشارك في
مسكنه المتواضع المغنى الزنجي
الامريكي ((بول روبسون)) ويلقنه
بعض الاغاني الافريقية الشعبية .

وفي نهاية الحرب العالمية الأخيرة
هب الافريقيون المنتشرون في بريطانيا
وعقدوا مؤتمرا عاما في مدينة
مانشستر باسم ((الاتحاد الافريقي
الشامل)) وكان هدف ذلك المؤتمر
تكوين لجنة اتصال تربط بين جميع
الهيئات الوطنية المكافحة في القارة
الافريقية وفي الخارج ، وانتخب
((جومو كينياتا)) رئيسا للمؤتمر ،

((رابطة)) تدافع عن حقوق أعضائها
(بالوسائل الدستورية) فأعزوا الى
الحاكم العام أن يلغيها ، ولم يتردد
الحاكم العام في الغائها ، ووجد
((جومو كينياتا)) طريقا جديدا للدفاع
عن قومه فأصدر جريدة ((الاتحاد))
واستطاع هو وزعماء ((الكيوكويو)) أن
يثيروا الرأي العام البريطاني على
حاكم كينيا فأرسلت الحكومة
البريطانية كعادتها « لجنة تحقيق »
برلمانية وانتخبت ال ((الكيوكويو))
((جومو كينياتا)) متحدثا باسمهم أمام
اللجنة ، وعادت اللجنة الى بريطانيا
وقدمت تقريرها الى البرلمان ، بعد عام
فسافر ((كينياتا)) الى بريطانيا
للقيام بالدعاية الواسعة ، في الاوساط
البرلمانية ، لقضية قومه ، وهناك ، لم
تسفر جهوده عن شيء ، فقد طوى
البرلمان تقرير اللجنة واستمرت حكومة
كينيا الاستعمارية في طريقها
المشئوم ، وبقي ((كينياتا)) في بريطانيا
سنتين ، أتيح له خلالهما أن يكون
على صلة وثيقة بجمعية ((الفايان))
الاشتراكية المشهورة التي تولد منها
حزب العمال البريطاني والتي كان من
أشهر أعضائها الكاتب الايرلندي
((برناردشو)) ...

وكانت هذه الفترة ، فترة تركيز
مذهبي ومنهجي لدى هذا الزعيم
الناضج العقل الوافر التجربة وقد عاد
منها الى كينيا ليبدأ لجنة بريطانية
جديدة باسم ((لجنة توثيق الروابط
بين أقطار افريقية الشرقية)) فانتخبه
قومه متحدثا باسمهم أمام تلك اللجنة
التي نشرت تقريرها بعد عامين ،

كما انتخب ((كوامي انكروما))
سكرتيراً عاماً .

وفي العام التالي (عام ١٩٤٦) عاد
« كينيياتا » الى كينيا فوجد نواة
صالحة للحركة الوطنية ممثلة في
« اتحاد كينيا الافريقي » وقد انتخبه
ذلك الاتحاد رئيساً له وكان ذلك
الاتحاد يضم ممثلين منتخبين من جميع
فئات السكان في « كينيا » بما فيهم
« الكيو كويو » ، وكان هدفه الرئيسي
مقاومة قوانين التمييز العنصري
وسياسة اغتصاب الاراضي .

وقد رسم « اتحاد كينيا الوطني »
لنفسه سياسة بعيدة المدى تتمثل في
نشر التعليم ومحو الامية من جميع
المواطنين ، فقام بحملة واسعة لجمع
التبرعات وافتتاح المدارس ، وما هي
الا فترة قصيرة حتى كان الاتحاد
يشرف على مائتين وستين مدرسة
تضم أكثر من سبعين ألف طالب ،
وخطا الاتحاد خطوة عملية فعالة فأنشأ
معهداً لتخريج المعلمين ، وكان ذلك
المعهد هو الأول من نوعه في افريقية
الشرقية .

واستمر انزحف المقدس ، واتسع
نطاق « الاتحاد الافريقي » وازداد
نفوذه (السلمى) ، ولم يأت عام ١٩٥٠
حتى كان عدد أعضائه العاملين أكثر
من مائتي ألف عضو ، وكانت لجانه
الفرعية تشمل جميع المدن والقرى
النائية في كينيا . وقرر الاتحاد ،
بزعامه « جومو كينيياتا » أن يتخذ
« الوسائل الدستورية » للحصول على
الحقوق المسلوبة ، وكان هذا القرار

أشد ما أزعج المستوطنين الأوروبيين ،
ذلك أنه يسلبهم - أو يسلب الحاكم
العام المتصرف بوجيهم - حق اتخاذ
الاساليب العنيفة لقمع الحركة
الوطنية .

ولهذا ، بدأ السادة المستوطنون
يحسبون « مؤامرات » مقصودة
لاستفزاز الوطنيين الكينيين ودفعهم
الى أعمال العنف ليتخذوا من ذلك
ذريعة لطلب اعلان الاحكام العرفية
واتخاذ وسائل التعسف والارهاب
للقضاء على العناصر القومية .

وما أشبه الليلة بالبارحة ، لقد كان
هذا التدبير الذي لجأ اليه المستوطنون
نفس التدبير الذي لجأ اليه حاكم
أوغندا البريطاني (عام ١٩٥٩) حينما
افتعل بعض أعمال العنف ليبرر اعلان
حالة الطوارئ في أوغندا ويوقف
نشاط المؤتمر الوطني الاوغندي
ويصيب الحياة السياسية بالشلل .

ومهما يكن الأمر ، فقد تحفز
الرجل الاوروبي في كينيا وتكونت
هيئة من المستوطنين باسم « اتحاد
الناخبين » وأخذت هذه الهيئة في
تكوين العصابات وتوجيهها للاخلال
بالامن ، وما لبث الحاكم العام أن وجد
الامن مختللاً ولم يجد عسراً في أن
ينسب اختلاله الى الاتحاد الافريقي ،
فأعلن حالة الطوارئ وعطل الاتحاد
وأعتقل زعيمه « جومو كينيياتا » ، ولم
يجد شعب كينيا أمامه وسيلة الا الرد
على العنف بالعنف ، وقامت حركة
« الماو ماو » .

ان « جومو كينيياتا » لم يسلك قط
مسلك العنف في سياسته التحررية .

وانما كانت سياسته مبنية على التنظيم النقابي والضغط الدعائي والاستعانة بالهيئات الدولية والمنظمات الدستورية . وتم يشترك « جومو كينيياتا » في تنظيم « ماو ماو » ، وانما ولدت تلك الحركة بعد اعتقاله ، وكانت رد فعل للمؤامرات العنيفة التي أوجدها المستوطنون البيض ..

وقد تعقب هؤلاء المستوطنون الزعيم المعتقل بمؤامراتهم فلفقوا شهود الزور الذين أعانوا على ادانة الزعيم والقائه في غياهب السجن ، وعلى تشديد الخناق على بقايا المنظمات الوطنية بعد حلها . وظل حكم الرعب مسيطرا على كينيا الى أن انقضت منذ أشهر مدة العقوبة الظالمة التي حكم بها على « كينيياتا » وآن أوان الافراج عنه ، وهنا أطلقت المؤامرات من جديد فقرر الحاكم العام ، الافراج عنه ، وسجنه في نفس الوقت .. أفرج عنه من سجن حكومي قانوني وألقى به

معتقلا ، في صحراء مهلكة في شمال كينيا ، ويا لسخرية القدر ! لقد صدر قرار اعتقاله في الوقت الذي أعلن فيه أحد شهود الزور ، وقد استيقظ ضميره ، أنه شهد بالافك تحت تأثير الرشوة ، على « جومو كينيياتا » ، فماذا حدث .. ؟

لقد قدم الشاهد السابق الى المحاكمة فأكد اعترافه وأدانته المحكمة وفي ذلك تبرئة ضمنية « الجومو كينيياتا » وأرسل الشاهد الى السجن ، وأرسل الزعيم البريء في الوقت نفسه الى المعتقل ..

هذه لمحات من حياة الزعيم « جومو كينيياتا » وجهاده من أجل كينيا ومقتطفات من مآثم الاستعمار والعدالة البريطانية في المستعمرات ، نضعها أمام الشعوب الافريقية المناضلة لكي تنضم الى صيحاتها القوية صيحة في وجه البريطانيين . « أفرجوا عن كينيياتا ! » ..

قبيلة الكيوكويو

بقلم الدكتور عبد العزيز رفاعي

والكيوكويو يشقون آذانهم ويعلقون فيها أثقالا تتدلى في شكل حلوى يستوى في ذلك الرجال والنساء ، يلبسها الرجال لتضفى على مظهرهم مهابة بين المجتمع ، كما يتخذها النساء للزينة .

والكيوكويو مجتمع مترابط يقدس عاداته وتقاليده ، وعقائده الدينية الراسخة ، ذات طقوس معقدة يتزوج الواحد منهم بأكثر من واحدة ، ولكن لنسائهم حقوقا وواجبات ، فهن لسن بين المجتمع كالسلعة تباع وتشترى ، بل لهن حقوقهن الثابتة بشكل لا يستطيع معه حتى الأزواج العبث بها ، ومن طبائع النساء بين هذا المجتمع حمل الأشياء على رؤوسهن ، كما تفعل الفلاحات في مصر ، وغيرها ، ولكن ليس ثمة من هن أكثر ميلا لهذه العادة من نساء الكيوكويو ، فهن لا يحملن أثقالهن فوق رؤوسهن بل تبدو أيضا مشدودة على ظهورهن بسير من الجلد حتى جباههن ، لدرجة أن ذلك يترك أثره في أجسامهن في سن معينة على شكل أخاديد ، ولهؤلاء النساء ، كشابات البانتو تقاليدهن في الزواج ، فالفتاة تتعرف أولا بالشاب ، وتستمتع بمصاحبته ، حتى يتبلور

تعتبر قبيلة الكيوكويو إحدى قبائل كينيا ، وأهمها شأنا وأشدّها قوة ومراسا وطموحا ونشاطا ، وأبرزها شخصية وميلا إلى المحافظة على كيائها ، بحكم تكوينها الأثروبولوجي المميز ، وظروفها الجغرافية الخاصة ، ذلك التكوين الذي جعلها مهدا لمبادئ الماو ماو ، ومزرعة خصبة لاستنباتها ، حتى كانت منها حركة ، عقد عليها لواء زعامتها ، وأقضت مضجع الاستعمار البريطاني ، ولا تزال ميزاتها تتجلى خلل الرماد ، رغم همودها النسبي في ظل طغيانه ويطشه .

كان أفرادها من سكان الغاب ، من سلالة منحدرية من مزيج من الجنس الزنجي والعنصر الحامي ، لذلك فهم يمثلون صفات الطرفين ، ويحتفظون من سلالتهم الزنجية بحرفة الزراعة التي يمارسونها بشكل يبرز الكثير من شعوب افريقية السوداء .

الخصائص الاجتماعية : مجتمع الكيوكويو بهذا مجتمع زراعي ، يعيش في منطقة نجدية ، له طعامه المناسب وله طابعه المظهرى الخاص ، وتقاليده المميزة ، وهو يوصف بالشدة وقوة البأس .

وأياها فيه كزوج فقد تختاره وقد ترفضه ، وقلما يفرض عليها الزواج بدون رغبتها .

والكيوكويو محرماتهم كما لهم تقاليدهم ، فمن المحرمات سفاح ذوى القربى الذى يعتبر من أبشع الجرائم عندهم ، ومنها الشذوذ الجنسى حتى يكاد ذلك يكون غير معروف ، ومن التقاليد المرعية وسائلهم فى ختان الإناث ، فهى منتشرة بينهم بلا استثناء ، وقد كتب زعيمهم كينيا فى كتابه « مواجهة جبل كينيا » عن هذا التقليد ، فدافع عنه فى عبارات بليغة ، وهو يشرح حفل الختان العام ، فى حين أن ذلك كان موضع نقد المبشرين مما ترك أثره السيئ فى نفوسهم عن الكيوكويو .

ومن مميزات هذا المجتمع ، قدرته على اكتساب وامتصاص التقاليد والثقافات الأجنبية ، فحين اتصل الغرب بكينيا عن طريق الاستعمار البريطانى ، وانساب رجاله بين هذه القبيلة ، كانت قبيلة **الكيوكويو** أسرع الى اكتساب ثقافتهم فتعلموا الحرف الفنية فى زمن وجيز ، وأصبحوا تجارا مهرة وسواقين ، حتى أنهم يمثلون مجموعة كبرى من عمال السكك الحديدية هناك .

أما من ناحية تنظيمهم الاجتماعى فهم يمتازون بأنهم قوم بلا زعماء مثل **الأيوس** فى نيجريا الذين يشبهونهم فى الكثير من الأمور ، **والكيوكويو** بجانب ذلك شديدو التأثير بالمبادئ الديمقراطية ، شديدو الايمان بالفردية يحكم بيئتهم ، وبجانب احترامهم لنظمهم الموروثة فان الاستعمار

البريطانى يثير القبيلة - ولقد شاء الاستعمار البريطانى اثاره هذه القبيلة من حيث لا يدري لكن الكيان المتماسك **للكيوكويو** استطاع أن يستجيب فى الوقت المناسب ، ويعبر عن طبيعته الى تحدى الاستعمار البريطانى عندما شاء أن يفتت وحدة مجتمعهم ، ويحطم مقومات حياتهم من أجل مصالحه ، وكانت له مواقف عند كل خطوة يخطوها ، حتى كان أقواها تزعمهم للحركة الثائرة المعروفة بـ **الماوماو** التى انطلقت ثمرة عدة عوامل رئيسية مشيرة :-

ضرب الاستعمار الأوروبى على اقتصادهم الزراعى الحدود ، ثم سمح للبيض بامتلاك الأراضى ، التى تعتبر مصدر حياتهم ، فزاحموهم فى وسائل العيش ، فلما زاد عددهم البالغ ٢٠٠.٠٠٠ نسمة وضقت بعيشهم الأرض الزراعية أخذوا يضربون فى الأرض سعيا وراء الرزق ، والحقدهم يملأ نفوسهم ، من اغتصاب البيض لمقومات حياتهم ، قهاجروا فى الأماكن المجاورة لأرض القبيلة ، ثم ذهب فريق منهم الى **نيروبي** العاصمة ، وبين أحياء العمال فيها ، أخذوا يواجهون حياة تعسة ، ولم يجد الفريق الثانى بدا من العمل كاجراء فى مزارع البيض ، وقد قبل هؤلاء فى كرامة جريئة أن يعملوا اجراء تحت نظام واضعى اليد وعبيدا للمستعمر الذى رحب بهم أينما حلوا ، اذ وجد فيهم أداة تنعش الزراعة ، وتنمى رأس المال ، فعاشوا يفلحون الأرض ويزرعون للمستعمر نباته ، ولكنهم يغرسون فى قلوبهم الحقد والكراهية له

كل يوم ، وزاد الضغينة حدة أن المزارعين البيض كانوا في أكثر المناطق ازدحاما بالسكان ، في أغلبهم من جنوب افريقية الذين يحاولون محاكاة الدكتور **مالان** ضد الزنوج ، وقد زاد المظالم شدة في نفوسهم حاجز اللون والتفرقة العنصرية .

وانتشرت المسيحية بينهم . فانتشرت في مذاهب عدة . ولكنها كثيرا ما كانت قشرة بالغة الرقة ، فلما ناقضت تقاليدهم سرعان ما قاوموا مدارس الارساليات المسيحية ، لاستيائهم من تعرضها لتقاليدهم في ختان البنات ، فأنشأوا لهم مدارس مستقلة للعناية بشئونهم ، وحينما اقتضى الأمر توفير المدرسين ، أنشئت كلية للمعلمين وأصبح **جوهو كينيياتا** فيما بعد الوجه لنشاطها ، وقد أصبحت هذه المدارس ، منبعاً للوثنية الكيوكويوية ، ومركزاً لزعامة الثورة .

التهيؤ للثورة : كل هذا وذاك كان من العوامل التي أثارت مشاعرهم من المستعمر البريطاني ، وقد وجدوا من أنفسهم بحكم تكوينهم الأنثروبولوجي استعداداً للثورة - وكان لنظامهم الاجتماعي ، الخاص أثره في انتشار مبادئهم في سرية عجيبة ، فهو لا يركز الى سلطة مباشرة أو قيادة مدرجة ، بل على نظام قرص العسل النحل ، المبني على جماعات السن المماثلة ، وكان لهذه اللامركزية ، وتنظيم الخلايا بينهم بيئة عرفت كيف تتعهد مبادئ **الماو ماو** على الاستعمار البريطاني بالنماء والانتشار ، والوثوب في وجهه في الوقت المناسب .

ولقد كان لتقديسهم لتقاليدهم وعاداتهم المنفذ الرئيسي الذي هبطت منه الى نفوسهم روح الثورة ، وكان تقديسهم **للقسم** أداة مكنتهم من التعبير عن مكامن قلقهم ، والسعى الى علاجها في قوة وحماسة .

وأخذت موجة القلق تنتشر فتستشري بين **الكيوكويو** بزيادة حركة الاستيطان الأبيض تارة ، وتفشي أساليب الاستعمار البغيض ، وحملات هذه القبيلة في وجهه للابقاء على تماسكها تارة أخرى ، فنشرت فيها موجات الثقافة الأوروبية وتكونت في القبيلة طبقة جديدة تدعو للوطنية والحرية ، فمهدت لهذه الجماهير ، زعامة جديدة ، وأسباباً جديدة لاثارتهم ، ورسمت لهم طرق الخلاص للقضاء على هذا الاستعمار ، ثم انطلقت أسباب القلق الروحي من عقالها في ميادين العنصرية والدين والاقتصاد جميعاً .

وكان **جوهو كينيياتا** نموذجاً يرمز الى **الكيوكويو** المثقف ثقافة غربية ، ولكن أفكاره كانت تمتد عبر حدود بلاده الى تحرير افريقية .

لقد نشأ يتيماً واشتغل خادماً ثم نجاراً ، ثم مفتشاً لشبكة مياه **نيروبي** ، ثم انضم للجمعية المركزية للكيوكويو سنة ١٩٢٢ ، وما لبث ان أصبح زعيمها ثم أصدر سنة ١٩٢٨ جريدة بلغة **الكيوكويو** في **نيروبي** ، ولما سافر الى أوروبا سنة ١٩٢٩ عاد الى وطنه بعد ١٧ سنة فتزعم حركة المقاومة ، التي كانت أصولها تنبعث من موجة القلق العام المنتشر اذ ذاك . وكان **للكيوكويو** منظماتهم المركزية

التي تستهدف استرجاع المناطق المفقودة في النجود البيضاء ، وكان **جومو كينيا** سكرتيرها العام ، ولموقف المنظمات العدائي من البيض عطلتها الحكومة ابان الحرب الثانية ، ولكنها ظهرت ثانيا في صورة اتحاد افريقي سنة ١٩٤٤ ، وقد ضمت اليها هذه المرة بجانب **الكيو كويو** أعضاء من القبائل الأخرى وقد تولى رياستها **جومو كينيا** الزعيم الجديد .

وقد حمل **الكيو كويو** عبء هذه الحركة المعروفة بـ **الماو ماو** حتى بلغت نسبة من تأثر منهم بمبادئها ٩٠٪ وأصبح **جومو كينيا** منذ سنة ١٩٤٦ الزعيم المسيطر ، فكان له نفوذه على جمعية المدارس المستقلة والاتحاد الإفريقي ، وكان مركز نفوذه في كلية المعلمين قوى الشخصية يبد سائر الزعماء بين القبيلة ، وقد أخذ نفوذه في الانتشار كالسحر بين أفرادها .

وكان من السهل الوقوف على هذه الحركة ، وهي تتهيا للانطلاق ، ولكن رغم الشواهد الدالة على وجودها لم يهتم أحد من البريطانيين بها ، ولم يكن حدوث اضطرابات في صيف عام ١٩٥٢ أمرا محتملا بل لقد ذهب حاكم كينيا اذ ذاك الى حد الاعتقاد بأن التقارير التي تشير الى أن شرق أفريقية يغلي بالقلق . محض هراء ، ولا تفسير لها ! وكان طبيعيا أن لا يعرف البريطانيون حقيقة الموقف عندما انفجرت الثورة ، بعد أن أنهى هذا الحاكم مدة حكمه ، في معرفة سرها لأنهم كانوا يجهلون طبيعة تنظيم **الكيو كويو** الاجتماعي أولا ، وانما حاروا لأن

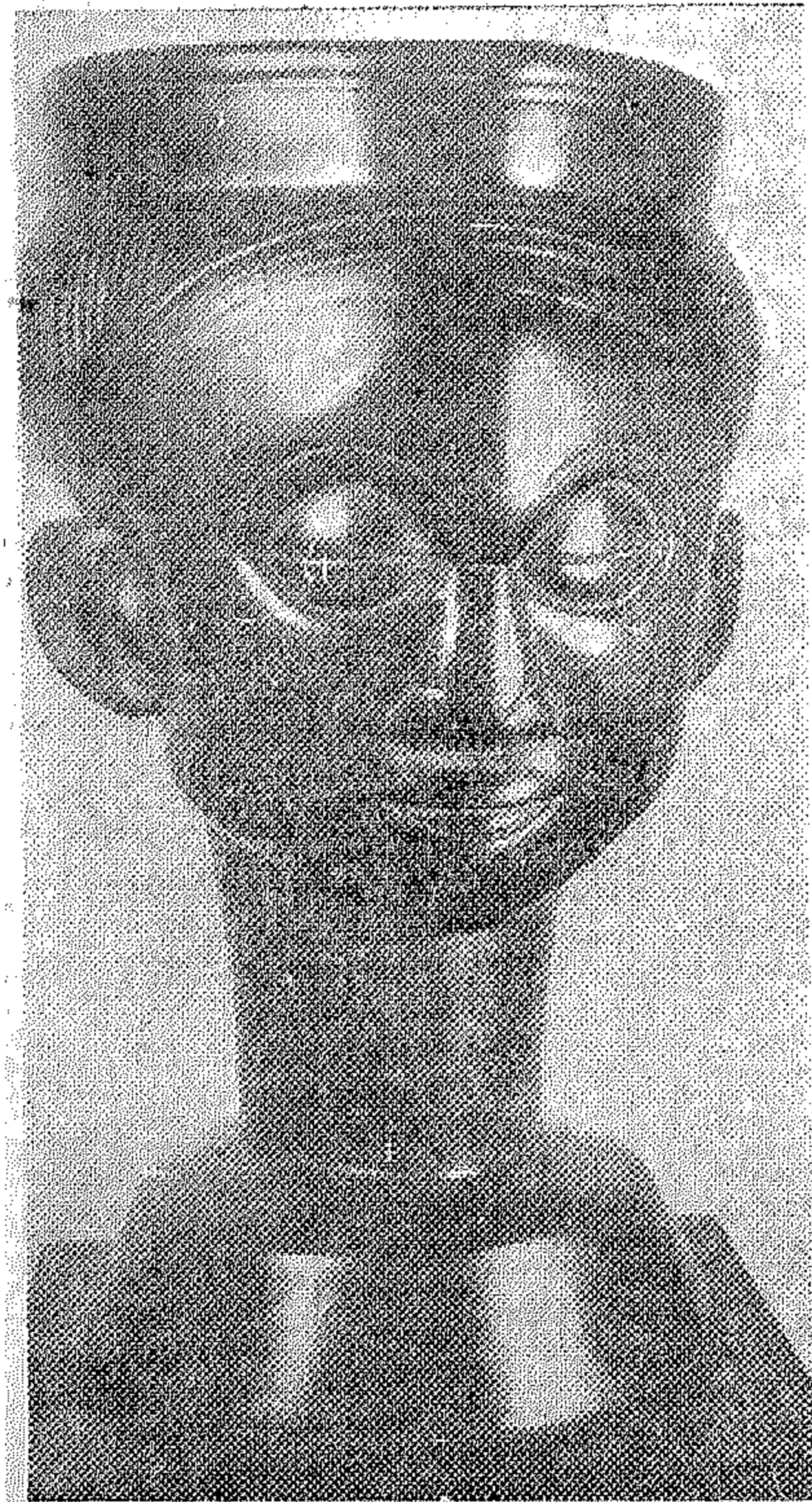
البريطانيين تعمدوا اهمال شأن هذه القبيلة ، بل كان الكثير منهم يأبون مواجهة حقيقة اتجاهاتهم الاستعمارية التي أدت الى اندلاع هذه الثورة ، وعدم محاولتهم دراسة شئون هذه القبيلة الأبية ، فقليل بين أوساطهم عندما ثارت ان ثورتها لا تمثل الا عودتها الى الحالة الوحشية الحيوانية ! ! ولما أخذتهم نيرانها بدأوا في النهاية يهتمون بالأمر وعندئذ كلفت بريطانيا أحد العلماء الأنثروبولوجيين بدراسة ، كما كلفت الطبيب الدكتور كاروزارد بدراسة حالتها النفسية ، للكشف عن بواطن أمورها ، فقرر أن الاضطراب السيكولوجي الذي أصابها في السنوات الأخيرة هو الذي مكن القلق منها ، ودفعها الى السعى لأن تطمئن على كيانها ، وقد نسي هذا الطبيب أن يقرر أن من أسباب هذه الحركة بجانب ذلك كان دافع الوطنية والحرية السياسية ، التي أخذت تنشرها الطبقة المثقفة ، حتى مكنتهم من التعبير عن هذا القلق في صورة هذه الثورة التي أقضت مضجع الاستعمار البريطاني في كينيا مدة طويلة ، وانطلقت الثورة ، ولمست بريطانيا خطورة الموقف ، وخشيت امتداد الثورة من هذه القبيلة لسائر القبائل ، فجدت في القضاء عليها ، فأرسلت الى كينيا **أرسكن جزار** معارك **القبائل** في مصر ، فاستعمل الطرق الوحشية في القضاء على الثوار ، ثم اعتقلت **جومو كينيا** زعيم الحركة في ٢١ أكتوبر سنة ١٩٥٢ فحاكمته محاكمة انتهت بسجنه سبع سنوات كاملة ، وكان من أساليبها محاولة استغلال تقليد الكيو كويو في القسم

لتفتيت قسوة الثورة ، فكانت تضغط على الأهالي لحلف اليمين للخروج على **الماوماو** ، ولكن كان رد **الكيوكويو** على هؤلاء قاسيا ، اذ كانت المذابح القاسية جزاء لكل من يحاول الانضمام الى جانب البريطانيين .

ولقد عانت قبيلة **الكيوكويو** العناء الأكبر في زعامتها لمقاومة الاستعمار البريطاني ، وخشيت بريطانيا انتشار الحركة الى خارج كينيا ، ولكن ، كان من حسن حظ البريطانيين ، أن أغلب القبائل في **كينيا** من **الماساي** وكانت تكره الكيوكويو لسيطرتها على الحركة ، ولكن رغم ذلك فقد نجح **الكيوكويو** في اخراج الحركة عن نطاق **كينيا** الى **تنجانيقا** ، فأحدثت بها قلاقل جمة .

وظل الصراع يحتدم بين الطرفين ، واهتزت بريطانيا أمام صمود هذه القبيلة ، ولكنها استطاعت بوسائلها الفاشمة أن تخمد أنفاس هذه القبيلة الشديدة الاعتزاز بنفسها ، ولكن هل عالجت بريطانيا بهذا الداء من جذوره؟.

ان الداء لا يزال دفيناً في **كينيا** والقبيلة لن تستطيع أن تنسى جراحها، وهي بهذا تنهياً لأن ترد على تحدى الاستعمار البريطاني بشدة . في حينه، فلن تستطيع **كينيا** أن تقف جامدة ، ولها في **الكيوكويو** أسوة طيبة ، وركب التحرير الافريقى يمضى في سبيله قدما في كل مكان حتى تشب في وجهه مرة أخرى وفي صورة أقوى ، تحقق في ظلها الآمال وتبنى صرح كيائها قائما على مبادئ الحرية بالعزة والكرامة .



تفاح جوو كينيا

للأستاذ محمود دكسيه

تحت برائن الغاصب الاثيم حتى كاد
يظفر بأمنيته - التي هي أمل كل
افريقي وأسيوي - لولا غدر المستعمرين
الذين حاولوا اخماد الشعلة التي
أوقدها الزعيم **جوو كينيا** .. بتعذيبه
وحبسه سبع سنوات ثم نفيه الى بلدة
جدباء ، لا شيء بل ليخيفوا المجاهدين
ويحبسوه في عقر ديارهم ، ولكن أنى
لبريطانيا المتعاطمة هذا ! وقد ولي
عهدا الاستبدادى ، وأفل نجمها
الاستعماري ، ونفض العملاق الافريقي
عن نفسه غبار السبات ، فاندلعت
الثورات في كل جزء من القارة التي
ضربوا عليها سياج الاستعمار ،
وعزلوها عن ركب قافلة الحضارة حقبة
من الزمن فتحررت مصر ، وكانت
فاتحة عهد جديد تحت لواء بطلها
الافريقي ورائدها وقائدها المظفر ،
والمهدي المنتظر ، السيد الرئيس
جمال عبد الناصر .

وهذا **جوو كينيا** موقد ثورة
كينيا، التي توالى بعدها ثورات الشعوب
الافريقية الواحدة بعد الأخرى ، ولن
يهدأ لنا بال الا اذا أفرج
عنه ، وخرج هو وزملاؤه من أعماق
السجون ، ونالت جميع القارة
الافريقية حقها الكامل في الحياة
والحرية .

في هذا اليوم المشهود وفي هذا
الاجتماع التاريخي الذي حوى أبناء
القارتين الحبيبتين آسيا وأفريقية ،
أولئك الاحرار الذين تحابوا من أجل
المبادئ الانسانية ، ومن أجل التعايش
السلمي ، وليقدروا مصيرهم بأنفسهم
من وحيهم الخاص لا ما يملأ عليهم من
قبل الدول الاستعمارية .

وفي هذا الصعيد الطاهر ومن قلب
الام الرؤوم ، مأوى الاحرار الذين أراد
المستعمرون أن يشردوهم من أوطانهم
العزيزة حتى يشنوهم عن عزمهم ، ومن
قلب الشعوب الافريقية النابضة من
القاهرة .

أتقدم لاعبر لـكم لا باسم اخواني
الطلبة الصوماليين في الجمهورية
العربية المتحدة ، فحسب بل باسم
الشعب الصومالي كله .. اننا نعارض
بشدة السياسة الارهابية في كينيا ،
والاحكام التعسفية التي تبيح انجلترا
لنفسها تطبيقها في أرضنا العزيزة
أفريقية ، تلك الاحكام الانتقامية تجاه
الزعيم الوطني الغيور **جوو كينيا**
ذلك البطل المجاهد الذي واجه انجلترا
الاستعمارية بكل جيوشها وأساطيلها
بقلب يملؤه ايمانه الراسخ بحرية بلده
كينيا وكل بلد افريقي لا يزال يئن

ونحن هنا وقد اجتمعنا فى هذا
الجمع الغفير انما نعلن ونؤكد فنقول
للساسة الاستعماريين فى كينيا : لقد
آن الاوان لكى تتراجعوا عن غيكم هذا
وانهم فى محاولتهم الدنيئة تعذيب
زعيمنا وبطلنا المناضل جومو كينيا
انما يزيدون ثورتنا أوارا ، وعزمنا
مضاء وقوة ، حتى ننال ما نصبوا اليه
من مجد وسؤدد .

فان حاولوا تعذيب جومو البطل ،
فليعلموا أن كل فرد فينا جومو ..

وان تعرض الزعيم الكبير جومو
للويلات والعذاب الاليم فالشعب
الصومالى كله يشاركه فى هذا العذاب
حيث يعانى ويقاسى أمر العذاب فى
الحدود المتاخمة لكينيا ، وفى محمية
الصومال ، من المستعمر الفاشم نفسه .
أضيف الى ذلك ما تفعله الدول
الاستعمارية الاخرى ، فهناك فرنسا
الباغية تعذب الأحرار وتفتك بالمواطنين

الصوماليين ، وهناك دولة
استعمارية أخرى تدعى أنها تنتمى الى
الكتلة الافريقية الآسيوية تحاول
جاهدة ما وسعها الجهد محو القومية
الصومالية ، وقد اغتصبت بعض
أراضينا ، ولكن هيهات أن يتم لها
ما تريده ! .

فليسقط الاستعمار البريطانى فى
كينيا .. وفى الصومال .. وفى نياسالاند
وفى كل شبر من القارتين الافريقية
والآسيوية ..

والى الآمام ... يا جومو فى كفاحك
المقدس ... ونحن وراءك ووراء كل زعيم
مخلص يناضل من أجل قضيتنا ..
قضية أفريقية كلها ، ومن أجل حقنا
فى تقرير مصيرنا بأنفسنا ..

عاش كفاح الزعيم الافريقى جومو .
عاش نضال الشعوب من أجل
الحرية .

والله أكبر ...
والنصر لافريقية ...



جومو كينيا

بها قصصه وأحداث ماضيه ، وكانت تعقد المباريات المختلفة للشبان ، لمعرفة مدى قدراتهم على الحفظ برواية القصص والحوادث التي سمعوها من قبل ، يؤدونها بالغناء أو بالرقص ، وكانت هيئة القضاة التي تحكم على المشتركين في هذه المباريات وتصحح أخطاءهم مكونة من الجماهير وآباء الطلبة .

« جومو كينيا » ينتمي الى قبيلة « الكيكيو » ، وقد ولد منذ ٥٩ سنة أو ٦٦ تقريبا في مقاطعة « كيambu » في الإقليم المتوسط من كينيا .

ثم التحق في سن العاشرة تقريبا بأحدى الارسلات التابعة للكنيسة الاسكتلندية في « فوت هول » ، وكان اليتيم « كاموا نجينجي » وهو الاسم الاصل لجومو كينيا ، والذي أجريت له عملية تعميده تحت اسم « جونستون » صبيا يعمل في مطبخ أحد أطباء الارسلات ، وكان هذا الطبيب يدلل « كينيا » باسم « جون كينامان »

وذلك لما يتمتع به « كينيا » من نظرات نفاذة ، ثم اشتغل بعد ذلك في حانوت نجارة تابع للارسلات . وتقدم السن بجومو كينيا ، فحصل على وظيفة في شركة المياه في « نيروبي » مسجلا لارقام العدادات ، وفي هذه الاثناء تعرف « جومو كينيا » بأسرة انجليزية ، أدركت مدى ما يتمتع به هذا الشاب الافريقي من ذكاء وألمعية فأمدته بالكتب وساعدته على دراساته

« يولد الشخص مرة واحدة » ولقد ولد « جومو كينيا » لا كما يولد أى طفل افريقي مرة واحدة لن تتكرر ، فقد اكتسب في شبابه معرفة واسعة بثئون بلده ، كان يتلقاها من الكبار في صغره ، ثم تعود أن يرويها فيما بعد للصغار من أبناء وطنه على سبيل التسلية في أمسيات الليالي ، وكان والده رجلا مزواجا ، كما كان جده كذلك من قبله ، فوجد « جومو كينيا » نفسه وسط عشيرة كبيرة ذات درجات مختلفة من القرابة . وكان عليه ، لكي يحافظ على عادات بلاده وتقاليدها كأي طفل افريقي أن يجتاز عدة مراحل من الدربة والتجديد ، وأن يعاون أقرباءه الذين اختاروه زعيما لهم .

كان « جومو كينيا » قبل ان يتلقى أى نوع من التعليم - يتمتع بثقافة حديثة شاملة عن افريقية ، ثقافة لا تدون الحقائق فيها بقلم ، ولا تسجل على الورق ، وانما تعتمد على الذاكرة القوية ، التي تؤدي وظيفة المكتبة .

ولقد تحدث « جومو كينيا » في كتابه « وقفة أمام جبل كينيا » عن هذه الظاهرة فقال : « ان الافريقي يعرف دائما - دون حاجة الى مفكرة يسجل فيها أحداثه - كيف يستطيع أن يحتفظ في ذهنه بالخواطر ، ويستذكرها حينما تدعو الحاجة اليها فقد كان في حياته الكثير مما يحتاج الى حفظه في ذاكرته ، وكانت لديه الطريقة الواضحة السهلة التي يروي

حتى ارسالية الكنيسة الاسكتلندية .

جومو في طليعة المكافحين : -

وفي عام ١٩٢٢ تأسست جمعية « الكيكو المركزية » وهي أول منظمة سياسية افريقية قوية . وعين « جومو كينيا » سكرتيرا عاما لها . وكانت تهدف الى استرجاع الاراضى التى سلبت من الافريقين ، فى ظل القانون الذى صدر عام ١٩٢١ الذى يقضى بأن يكون الافريقيون أجراء ، ويسمح للبيض فقط بأن يكونوا أصحاب هذه الارض المؤجرة . ثم اضطهدت الحكومة الاستعمارية - فيما بعد - هذه الجمعية وعملت على الغائها .

وفي عام ١٩٢٨ أسس « جومو كينيا » أول جريدة افريقية اسمها « **مورجونياتيا** » وظل يحررها بنفسه حتى عام ١٩٣٠ .

وفي عام ١٩٢٨ اختير « جومو كينيا » متحدثا رسميا باسم جمعية « الكيكو المركزية » عندما عرضت الجمعية قضيتها أمام لجنة « هيلتون ياثج » .

وعندما عرض تقرير هذه اللجنة للمناقشة أمام البرلمان البريطانى ، ذهب « جومو كينيا » عام ١٩٢٩ مندوبا عن الجمعية ، لكى يقدم وجهة نظر الافريقين فيما يتعلق بموضوع الاراضى وغيره من المسائل الاخرى الى وزير الدولة لشئون المستعمرات حتى عام ١٩٣١ ثم عاد « كينيا » فى العام نفسه الى لندن متحدثا باسم الافريقين أمام اللجنة المشتركة ، ثم أوفد مرة أخرى لكى يوضح ويناقش أمام لجنة « موريس كارتر » التى كانت تبحث مشكلة أراضى كينيا عام ١٩٣٢ والتقارير الذى ظهر عام ١٩٣٤ ، وقد درس « جومو كينيا » هذا التقرير ، وأسهم فى المناقشات والمنازعات المختلفة التى دارت حوله

ومن بينها مسألة نقل شعب « الكيكو » من مناطقهم الموروثة فى « تيجونى » فى الاقليم المتوسط عن كينيا وهكذا ظل « جومو كينيا » من ١٩٣١ حتى ١٩٤٦ بعيدا عن وطنه ، وخلال هذه الفترة كان يدرس فى مدرسة لندن للاقتصاد ، ثم فى جامعة موسكو .

ووضع فى عام ١٩٣٨ كتابه المشهور عن التاريخ الطبيعى للاجناس البشرية تحت عنوان « **وقفة أمام جبل كينيا** » وكتب له أستاذه « **برونشلاف مالىنوسكى** » مقدمة هذا الكتاب .

وقد زار جومو كينيا خلال السنوات التى قضاها فى لندن - كثيرا من مناطق أوروبا ، والتقى « **بول روبسون** » المغنى الزنجى المشهور فتعلم من « كينيا » بعض الاغاني الافريقية التى ردها فى فيلم « **مراكب النهر** » وقام أيضا بتعليم لغة « الكيكو » فى مدرسة اللغات الشرقية بلندن ، وفى أثناء الحرب اشتغل مع عمال الزراعة وفى عام ١٩٤٥ تولى « كينيا » باعتباره رئيسا للاتحاد الافريقى العام رئاسة المؤتمر الذى انعقد فى « مانشستر » واستمر أسبوعين ، وكان هذا الاتحاد يهدف الى توطيد الصلات بين كل الهيئات الافريقية السياسية فى جميع أنحاء العالم . ولقد حضر المؤتمر مندوبون من افريقية والهند الغربية والولايات المتحدة الامريكية . وكان دكتور « **كوامى نكروما** » هو السكرتير العام لهذا المؤتمر .

جومو يغير اسمه :

وغير جومو كينيا اسمها من « **جونستون كامو وانجينجى** » الى « **جومو** » ومعناها « الحرية المشتعلة » أما كلمة كينيا فقد اشتقت من كلمة « كيكوية » ويمكن ترجمتها « **بمضمد الجروح** » ، على أن الاسم

المختصر الذى ظل ينادى به هو كينيا،
وذلك لانه يحب دائما أن يلبس
الاحزمة المزركشة بالخرز .

كينياتا يعود الى وطنه :

وفى عام ١٩٤٦ عاد «جومو كينيا»
الى وطنه الحبيب « كينيا » بعد أن
قضى سبعة عشر عاما بعيدا عنها . ثم
انتخب فى العام التالى ، أى فى
عام ١٩٤٧ رئيسا للاتحاد الكينى
الافريقى ، وأصبح هذا الاتحاد تحت
قيادة المنقذ الافريقى « جومو كينيا »
قوة سياسية جبارة ، تتحدى قوانين
التفرقة العنصرية التى يضعها
المستوطنون البيض .

ولقد كانت المساعدات التى تقدمها
الحكومة فى مجال التعليم تافهة للغاية
فأراد « جومو » ومعه جماعة من
الزعماء الافريقين أن يحققوا نهضة
علمية حقيقية فأنشأوا مدارس
افريقية ، أطلقوا عليها اسم « المدارس
المستقلة » تعتمد على التبرعات التى
تجمع تحت رعاية « جمعية الكيكيو »
للمدارس المستقلة وجمعية « الكيكيو
كارينجو التعليمية » . وكانت هذه
المدارس تضم كلية المعلمين الافريقية ،
وهى الكلية التى كانت تعد المدرسين
الافريقين للعمل فى المدارس المستقلة
وقد أنشأ هذه الكلية التى تعتبر الاولى
من نوعها فى منطقة شرق افريقية
الزعيم « ميبو كارينجو » .

ووصل عدد المدارس المستقلة بها
الى ما يقرب من ٢٦٠ مدرسة ، التحق
بها أكثر من ٧٠٠٠٠ تلميذ .

وفى ١٤ نوفمبر عام ١٩٥٢ ، وبعد
سنة أسابيع من اعلان حالة الطوارئ
القائمة الآن أصدرت الحكومة
الاستعمارية أمرا باغلاق كل هذه
المدارس الافريقية ، بحجة أن فى
وجودها خطرا على حكومة المستعمرة
« الصالحة » ومما يؤسف له حقا ،

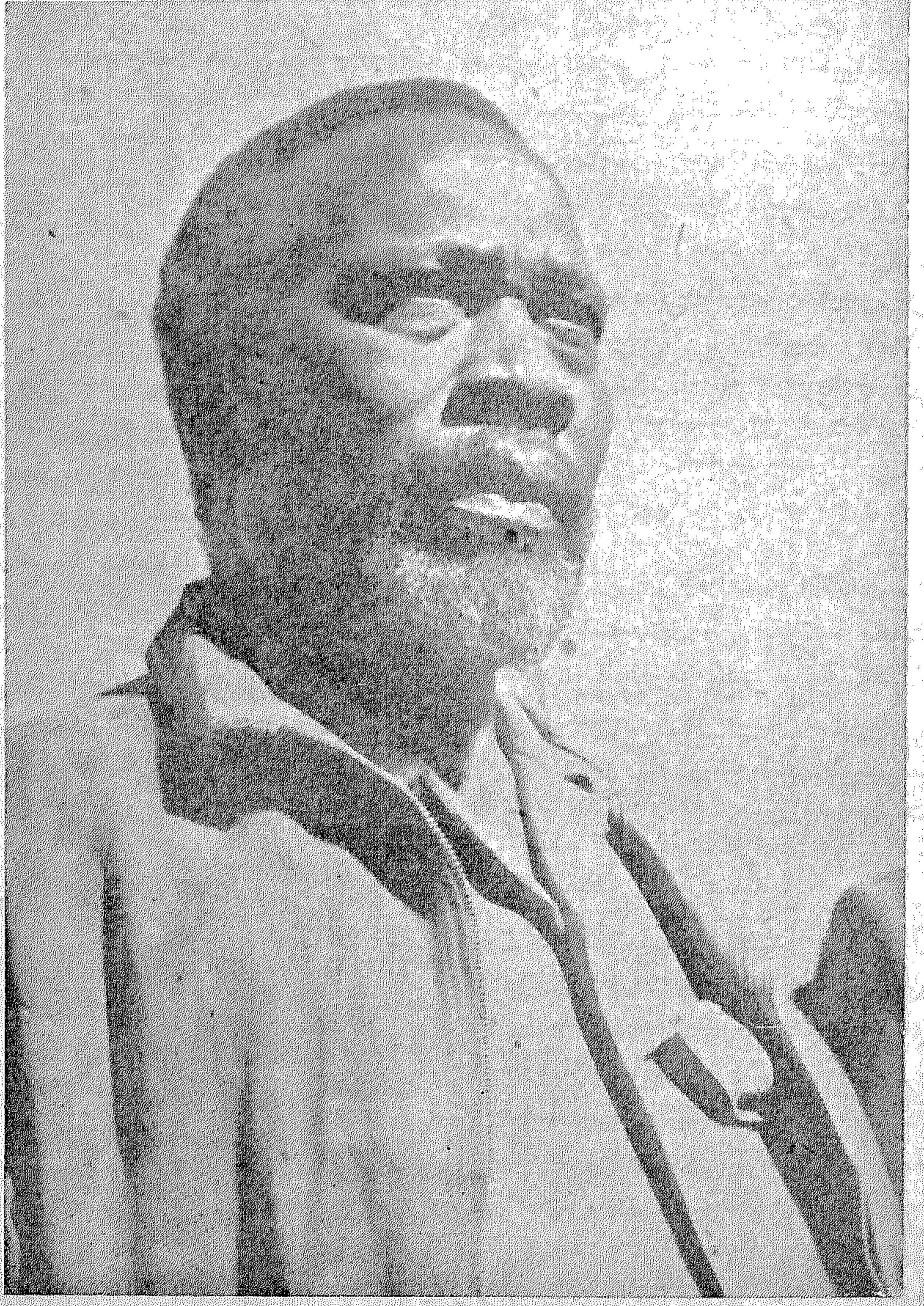
أن هذه الحكومة الصالحة لم تكن الا
حكومة استعمارية تثير الرعب فى
كينيا .

ونتيجة لتنفيذ أمر الحكومة
الصالحة ، اغلق هذه المدارس حرم
أكثر من ٧٠٠٠٠ تلميذ من حقهم فى
التعليم ، كما قامت الحكومة بهدم بناء
بعض هذه المدارس ، وحولت بعضها
الآخر مكانا لشنق الوطنيين ، أو محاكم
تصدر فيها الاحكام باعدام الافريقين
الاتحاد الافريقى الكينى : -

كان هذا الاتحاد بمثابة جبهة متحدة
تضم الافريقين الوطنيين جميعا ، دون
اعتبار للحثيات القبلية أو الدينية أو
الطائفية .

وفى اليوم الاول من شهر يونيو
عام ١٩٤٧ عقد هذا الاتحاد أول مؤتمر
له تحت رئاسة « جومو كينيا »
ووافق الاعضاء على اتخاذ دستور ،
 ووضع برنامج للاصلاح الاقتصادى
والسياسى والاجتماعى ، عرض فيما
بعد على الحكومة الاستعمارية فى كينيا
ولم يأت عام ١٩٥٠ حتى كان هذا
الاتحاد الافريقى يضم أكثر من
٢٠٠٠٠ عضو ، وامتدت شبكة
فروعه الى كل مكان فى كينيا .

وظل هذا الاتحاد يقوى يوما بعد
يوم ، وكانت مقاومته المشروعة تخلق
الرعب والخوف فى قلوب المستوطنين
البيض ، الذين أخذوا يرسمون الخطط
للقضاء على جومو كينيا ، وابعاده هو
وزعماء الاتحاد الكينى . وقام « جومو
كينياتا » ومعه قادة الاتحاد بحملة
جمعوا فيها أكثر من مليون توقيع على
التماس رفعوه الى البرلمان البريطانى .
ثم بعث الاتحاد فى شهر نوفمبر
من عام ١٩٤٧ باثنين من المنسحبين
يمثلان الاتحاد ، وهما « اتشيانج
أونيكو » السكرتير العام - ، و « ميبو
كويتارجى » العضو التنفيذى ، الى



الزعيم جومو كنياتا

انجلترا لرفع هذا الالتماس الى وزير الدولة لشئون المستعمرات ، يومئذ مستر أوليفر ليتلتون ، الذى رفض مقابلتها وعندما خاب ظنهما فى لندن اتجها الى باريس لكى يضعوا قضية كينيا أمام المجلس الاقتصيادى والاجتماعى التابع لهيئة الامم المتحدة ، وكان مقره يومئذ فى باريس .

وبعد ذلك عاد عضوا الوفد الكينى مرة ثانية الى انجلترا حيث ألقيا على الجماهير البريطانية - بمساعدة مؤتمر الشعوب المعادية للاستعمار الذى كان رئيسه يومئذ فى جميع أنحاء بريطانيا شرحا فيها قضية كينيا ، وأضافا مزيدا من التوقيعات على هذا الالتماس لرفعه الى مجلس العموم .

مؤامرات البيض :

ثم عاد « أونيكو » الى كينيا ليكتب تقريراً عن مهمته التى قام بها ، بينما ظل « كويتانجى » فى لندن ليعمل على تحقيق أهداف الاتحاد الكينى ، ويظهر الرأى العام البريطانى على قضية بلاده باسم الاتحاد .

وعندما علم المستوطنون البيض فى كينيا بأن هذا الالتماس قد لاقى تأييدا واسعا فى لندن . وكسب عطف الرأى العام البريطانى عليه ، أخذوا يضغطون على الحاكم العام لكى يوقف نشاط هذا الاتحاد ، ويقبض على « جومو كينيا تا » وغيره من زعماء الاتحاد . وهكذا بدأت المؤامرة ، وبدأت حملة العداء السافرة ، وحركة الاستفزاز ضد كينيا تا وضد الاتحاد الكينى . ووجد الحاكم العام صعوبة فى العثور على سبب معقول ، يبرر به الغاء هذا الاتحاد ، فدبر مسألة اطلاق النار والقتل تحت ستار حالة الطوارئ . ان جومو كينيا تا - كزعيم افريقى -

قد أنقذ شعبه من كثير من الاساليب الوحشية ، التى تتنافى مع حقوق الانسان ، وبصرف النظر عن جهوده المتواصلة التى قام بها لكى يعيد الاراضى الى أصحابها الافريقين ، فانه قد نجح فعلا فى الغاء نظام « الكيباتدى » أى التسجيل الشخصى الذى كان سبة وعارا فى جبين أبناء « كينيا » ثم بدأ المستوطنون البيض يدبرون المؤامرات ضد الاتحاد الكينى بشكل قاسى رهيب . ويطالبون بالقبض على « جومو كينيا تا » . كما طالبت « اتحاد المنتخبين » وهو المنظمة السياسية للمنتخبين بالقضاء على « جومو كينيا تا » وكل زعماء الاتحاد الكينى ، وبعثوا بخطاب الى الحاكم العام فى السابع من أغسطس عام ١٩٥٢ وقعه « كيندال ويزرد » وأصبح الضغط من جانب المستوطنين من القوة . بحيث استدعت الحكومة البريطانية أعضاء لجنة الشئون الافريقية ، والنائب العام ، ومندوب المستوطنين البيض ، وغيرهم للتشاور مع وزير المستعمرات فى وقف نشاط الاتحاد الكينى ، والقاء القبض على زعمائه .

وفى العشرين من أكتوبر عام ١٩٥٢ أعلن الحاكم العام حالة الطوارئ فى كينيا . ثم ألقى القبض على « جومو كينيا تا » صباح يوم ٢١ من أكتوبر ، وأخذ فى طائرة تحت الحراسة الشديدة الى احدى المقاطعات الواقعة على الحدود الشمالية .

وقد بعثت الحكومة البريطانية بعدد كبير من جنودها لتعزيز الأمن فى كينيا خوفا من حدوث اضطرابات . ولا تزال كينيا تغلى ، ولن تهدأ ثأثرتها حتى ترد اليها حريتها ، وزعيمها « جومو كينيا تا » .

ثورة أفريقية

بقلم توم مبيوا

ومهما حصل عليه الافريقيون فقد كان أمرا عارضا بالنسبة لاغراض الدول الاستعمارية فى افريقية من المنافع الاقتصادية .

ومن أجل دعم سياسة الدول الاستعمارية ، وتأكيدها سيطرتها السياسية شجعت هذه الدول خلق المستعمرات . وبخاصة فى الجهات التى يكون مناخ أرضها مشجعا على ذلك ، أو تكتشف المعادن فيها بكميات وفيرة .

وعلى الرغم من أثر وجودهم فى تنمية الاقتصاد الافريقى ، فإن الاستعمار كان ولا شك أكبر عائق لتقدم الشعوب الافريقية نفسها . ففى ظل الحكم الاستعمارى لم ينل التعليم الا القليل جدا من انتباه المستعمرين ، وكذلك الصحة والتدريب الفنى والتطور العام فى المجتمع الافريقى . كما تجاهل المستعمرون الافريقيين ، واعتبروا افريقية سوقا لاستهلاك البضائع الاوروبية ، لقد كان تقسيم افريقية واستخدام كل بلد كمصدر للمواد الخام للدول الاستعمارية الكبرى ، مما جعل من المستحيل أن نخطط لتطور الاقتصاد الافريقى على مدى واسع يشمل القارة ، أو حتى على أسس اقليمية .

هنالك ، ثورة قائمة الآن فى افريقية وهى تبدو فى بعض المناطق سياسية ممثلة فى حركات الوطنيين بها ، ولكنها فى الواقع ثورة اقتصادية جديدة فى أنحاء افريقية . وتختلف الثورات فى مكانها ومضمونها وشكلها ، باختلاف البلد الذى تحدث فيه . ولكن أحدا لن يخطئ القول حين يقول ان افريقية تسير بخطى سريعة نحو التغير من الاقتصاد البدائى غير الصناعى الى اقتصاديات المال والتسويق .

وقد حدث النمو الاقتصادى فى افريقية من خلال اتصالها بالخارج وخاصة بأوروبا الغربية . وقد رأى الرواد الاوروبيون الاوائل فى افريقية امكانياتها الاقتصادية الكبيرة ، وبخاصة بعد اكتشاف المعادن الثمينة فى أنحاء مختلفة منها . ولم يقتصر الاوروبيون على التجارة وحدها ، ولكنهم حاولوا السيطرة على افريقية سيطرة تامة مستمرة . وأدى ذلك الى تقسيم افريقية ، وإيجاد نظم تقوم على الاستغلال ، ونشاط اقتصادى يهدف الى خدمة الاقتصاد فى الامبراطوريات الكبرى ، وتغذيتها فحسب ، متجاهلين ضرورة التطور من وجهة النظر الافريقية ، ومصالح شعب افريقية .

وكلما كان اقتصاد بلدين أفريقيين متكاملًا ، فإن من الطبيعي أن يكون نموهما متحدين أسرع بكثير من نموهما منفردين ، كما سيكون أكثر فاعلية في المنافسة في السوق العالمية والميادين الاقتصادية الأخرى المتنوعة ، في حين أننا نجد الدول الاستعمارية تعامل كل بلد على حدة ، وفي عزلة عن البلد الآخر .

وفي أعقاب الحرب شهد العالم انبعثات دول جديدة تحررت من الاستعمار إلى الاستقلال . فبعد استقلال الهند حدثت يقظة مفاجئة في آسيا وأفريقية ، وبدأ كثير من الشعوب يطالب بالتحرر من النظام الاستعماري وكلما ازداد الضغط ونالت بعض المستعمرات حريتها كلما تغيرت السياسة الاستعمارية . وكان نفوذ الأمم المتحدة وقلق بقية العالم على الشعوب المتخلفة ، مما ساعد على حدوث هذا التغير في السياسة الاستعمارية . ونتيجة لذلك نجد خطط التنمية تدخل مختلف البلدان اليوم ، وتبذل الجهود في قلب الدول الاستعمارية لتخصيص مبالغ من المال لتنمية مستعمراتها .

وقد أنشئ صندوق تنمية المستعمرات وهيئة المستعمرات في بريطانيا ، كما أنشئ صندوق الاستثمار للتنمية الاقتصادية والاجتماعية Fides في فرنسا ، ومشروع السنوات العشر للكنغو البلجيكي لزيادة التنمية الاقتصادية في البلاد الأفريقية . وقد تبع هذا التغير كذلك زيادة في اشتراك الشعب الأفريقي اشتراكا مباشرا فيها ، وخلق مشروعات تربوية وتدريبية للأفريقيين كما وجدت هيئات مثل لجنة التعاون الفني الأفريقية ، بالرغم من أن هناك

اعتراضا على تكوين مكتب إقليمي لمنظمة العمل الدولية ، واللجنة الاقتصادية لهيئة الأمم .

إن الاقتصاد الأفريقي ما زال يعتمد على رؤوس الأموال والمهارة الأجنبية ، كما يعتمد في أسواقه على الدول الاستعمارية وما زالت منتجاته تنافس البضائع المشابهة من البلاد الأكثر والأحسن انتاجا .

وأفريقية مقسمة من الناحية الاقتصادية إلى بلاد تعدينية وبلاد زراعية . فجنوب أفريقيا يعتمد على ثروة معدنية كبيرة تحصل على دخل من تصدير الماس والذهب واليورانيوم وفي روديسيا تجد النحاس والكروم ، وفي الكونغو النحاس والماس واليورانيوم وتجذب البلاد التعدينية رؤوس الأموال الكبيرة . فالبلاد الثلاثة المذكورة ، التي تضم عددا من السكان يبلغ ٣٣ مليون نسمة قد استهلكت نصف رؤوس الأموال المستغلة في بقية القارة ، البالغ عددها ٢١١ مليون نسمة . ومنذ سنة ١٩٤٧ بلغ رأس المال الكلي المستثمر حوالي ١٠ بليون دولار .

وتعتمد التنمية في المناطق الزراعية على المحصولات النقدية مثل البن والشاي والكاكاو والقطن والسيسال وهي تجعل هذه البلاد تشعر بالتغيرات الدقيقة في أسعار السوق العالمية . فكاكاو غانغ يكون ٧٠٪ من صادراتها بينما ٩٠٪ من صادرات كينيا وأوغندا زراعي ، كذلك (القطن في أوغندا والشاي والبن والسيسال في كينيا) وحوالي ٧٠٪ من صادرات نيجيريا كذلك وأفريقية الغربية (الفرنسية) من الفول السوداني ، وزيت النخيل ، والكاكاو .

وما من شك في أن أفريقية كلها

يقظة اليوم الى حاجتها ، لتغيير اقتصادها والاسراع فى تصنيعها . وتبدو الحاجة الى التنسيق فى محاولة عدد من البلدان فى منطقة واحدة ، وأن يكونوا مشروعات انتاجية متعددة للالمنيوم بدلا من توحيد مصادره . والمثل الآخر هو ما يبدو فى اقتراح بناء عدة سدود منفصلة لانتاج الطاقة الكهربائية فى بلاد متجاورة ، حيث يمكن أن يكفى سد واحد حاجة البلدين وقد نشأ التأكيد على ضرورة التصنيع ضمن الجهود الكبيرة التى تبذل من أجل زيادة القوة الكهربائية والعمل جار الآن فى مشروع كاريبا بروديسيا ، وتمت المرحلة الاولى من مشروع مساقط أوين فى أوغندا لخدمة كينيا معها . وفى أثيوبيا يجرى العمل فى سد كوكا ، كما تمت دراسة مشروع الفولتا فى غانة ، وخزان أسوان فى الاقليم الجنوبى من الجمهورية العربية المتحدة ، ومشروع انجا فى الكنگو . كما نذكر أيضا زيادة اهتمام لجان الامم المتحدة المختلفة ، والبنك الدولى .

ويمكن النظر الى اللجنة الاقتصادية التى كونتها الامم المتحدة لافريقية على أنها اعتراف من الجميع بأن افريقية لابد أن تعامل ككل لا كأجزاء منفصلة ولن يؤدى ذلك الى زيادة التنسيق فحسب ، بل انه سيفتح الابواب لمساعدات فنية أكثر ومصادر مختلفة لاستثمار رؤوس الاموال .

ان ما يدعم التنمية الاقتصادية هو المحصولات النقدية ، ورؤوس الاموال ، والمهارات الفنية ، واكتشاف المعادن وخلق مطالب جديدة . وقد أثر ذلك فى تفشى الامراض فى مختلف المناطق كما تغيرت النظرة الافريقية اجتماعيا وثقافيا . وقد بدت هذه التغيرات كذلك بين العمال الافريقين فى المناطق المدنية .

وتختلف مساهمة الافريقين

وفائدتهم تبعا لطبيعة النظام الاستعماري وبخاصة وجود أو غياب المستوطنين البيض فى البلاد . فحيث لا يوجد المستوطنون يكون الافريقيون هم المنتجين الوحيدين للمحصولات النقدية ، كما يشتغلون بالبيع بالتجزئة فى الوقت الذى يقوم فيه على المناجم شركات كبرى لها رؤوس أموال ضخمة ولديها مهارات فنية ومعدات مختلفة .

وفى المناطق التى لا يوجد بها هذا الاستيطان الابيض تنتشر وسائل الزراعة الحديثة بسرعة ، وتتسع دائرة وسائل النقل فيزيد التبادل الاقتصادي ، كما يتمتعون باستقرار اجتماعى وتوزيع أفضل للدخل القومى وزيادة فى نصيب العمال من هذا الدخل . ويصبح الادخار ممكنا لان دخل الافريقى يتغير بتغير الدخل القومى ، وتغير الاحتياجات . وتصبح السيطرة الثقافية أقل وطأة ، ويمكن أن يفتح باب العمل الحكومى للافريقين ويقل التوتر السياسى ويمكن الاعتراف بحق الافريقين فى الحرب السياسية والتمثيل على هذا الشكل يمكن أن يوجد فى غانة ونيجيريا وسيراليون وان كان اشتراك الافريقين فى مشروعات واسعة النطاق ما زال محدودا . وفى غانة مثلا تجد أكبر المشروعات فى يد الاوروبيين أو الشركات الامريكية ، بينما يتجر السوريون بالتجزئة . ولكن النشاط التجارى لن يكون جيدا دون اشتراك أهالى غانة . ويحاولون هناك « أفركة » الشركات ويمكن أن تجد الافريقين فى مجالس ادارتها . وتكافح الحكومة فى سبيل تشجيع المشروعات الوطنية من خلال مؤسسة التنمية الاقتصادية وفى كلية كوماسى التطبيقية يتدرب الافريقيون على الاعمال الفنية .

وعلى النقيض من ذلك بلاد شرق ووسط أفريقية التى يبدو فيها أن

الميزان الاقتصادي يميل في عمد لصالح المستوطنين الاوروبيين . فقد حدث إبعاد الاهالى عن أراضيهم كما أن نمو المحصولات الزراعية النقدية في كل من كينيا ونياسالاند وروديسيا وتنجانيقا يقع أساسا في أيدي المستوطنين البيض . ويحتل الافريقى دائما المركز الاقل في الحياة الاقتصادية للبلاد ، ويقتصر على القيام بالعمل الرخيص في المناجم التى يملكها الاوروبيون ، وكذا في الشركات والمزارع والتجارة . ان الافريقى فى كل هذه الاعمال يشتغل أجيرا فى الزراعة والسيطرة السياسية فى جنوب أفريقية واتحاد وسط افريقية مع السيطرة الاقتصادية فى أيدي البيض والسياسة هناك ما هى الا لتأكيد سيطرة البيض وتأمينهم من أى تمرد افريقى أو منافسة فى أى ميدان . والعمل الفنى محجوز للاوروبيين ، أما البيع بالتجزئة ففى هبوط ، ودخل الافريقى منخفض ولا يرتفع عن الكفاف والادخار غير موجود بالمرة .

وفى كينيا وأوغندا وتنجانيقا أبشع صور التمييز العنصرى ، وان كانت معتدلة عنها فى اتحاد جنوب أفريقية ، وتبدو تغيرات سياسية تحاول أن تعطى الافريقين بعض الحرية فى شئونهم السياسية . وهى مناطق زراعية .

وفى أعقاب الحرب بدأ الافريقيون يدخلون انتاج المحصولات النقدية من خلال الجمعيات التعاونية للانتاج . وفى تنجانيقا تجد الجمعيات التعاونية مسئولة عن ٥٠٪ من صادراتها وأهم هذه الجمعيات فى كلمنجارو وفى كينيا تجد جمعية تعاون ميرو للبن مسئولة عن جزء كبير من انتاج البلاد . وفى كينيا وتنجانيقا تجد الصراع السياسى والعنصرى يهدد دائما دخول

رءوس الاموال الاجنبية ، كما أنك تجد ازدياد السيطرة على الحياة الثقافية . وفى بعض أنحاء أفريقية تجد نمو الدخل القومى لا يتبع النمو الاقتصادى أى تحسن فى الوسائل الفنية والمهارات المدرة للدخل أو ازدياد مستوى المعيشة ذلك أن طبيعة توزيع الدخل الحكومى وبالتالى الدخل الاقتصادى كله للافريقين والعمال معتمدة على القوة السياسية للافريقين .

ان الاجور ما زالت منخفضة وهى تعتمد على مدى عزم العمال ، وما زالت نقابات العمال فى مهدها ، ولكن الاتفاق بينها موجود فى عدد من البلاد والنقابات العمالية نفسها تختلف باختلاف النظام النقابى فى الدول الاستعمارية ، والمشكلة الرئيسية فى نمو نقابات العمال هى وجود عدد كبير من العمال المهاجرين ، والحاجة الى برامج التأمين الاجتماعى والاسكان والامكانيات التعليمية . وكذلك الحاجة الى زعامة ذات كفاءة وخبرة . وبالرغم من هذه الضعوبات فننوذ الحركة النقابية يزداد واتحاد عمال المناجم فى روديسيا الشمالية أصبح أقوى صوت ضد التمييز العنصرى فى وسط افريقية .

ان الثورة الافريقية تتجمع فى كل لحظة ، وسيدكر عام ١٩٥٨ فى التاريخ على أنه ((عام أفريقية)) وفى أبريل منه عقد مؤتمر الدول الافريقية المستقلة فى أكرا ، وفى ديسمبر اجتمع مؤتمر الشعوب الافريقية فى أكرا وكذلك فى الشهر نفسه تكونت لجنة الامم المتحدة الاقتصادية لافريقية وسيقود اشتراك الافريقين على هذا النحو أكثر وأكثر ، كلما استقلت البلاد الافريقية ، وأصبحت مسئولة عن نموها الاقتصادى .

عن الانجليزية : للأستاذ حلمى شعراوى

مؤامرة على الزعيم جومو كينيا

للاستاذ زكريا نمر يوسف

الفاصبين الذين ألقوا بالزعيم جومو كينيا في السجن وهم مخطئون، فإذا أعدنا النظر للتاريخ اتضح لنا أن أية قضية لن تظهر في الحياة إلا إذا اعتمدت على رجال مخلصين مؤمنين بالله والوطن، فالإيمان بالله والوطن هما العاملان الأساسيان لانقاذ الشعوب من الظلم والاستبداد، والزعيم الإفريقي جومو كينيا ما هو إلا رجل مخلص لوطنه، وقد ناضل في سبيل المساواة والعدالة، وطالب باستقلال بلاده، لذلك اعتبرته السلطات البريطانية خطرا يهددها واعتقلته وألقت به في السجن، ثم بدأت محاكمته في ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٥٢، وهذه المحاكمة ما هي إلا خطة استعمارية مدبرة للقضاء على الروح المعنوية والحركات التحررية التي تحولت نارها إلى لهيب في إفريقيا، وإن شعوب إفريقيا الاستوائية يستنكرون هذه السياسة العدوانية، ويطالبون بالإفراج عن الزعيم جومو كينيا، وغيره، فإن في إفريقيا الاستوائية زعماء يقتلون ظلما، وزعماء آخرين يلقي بهم في أعماق السجون، أو ينفون من بلادهم!

باسم إفريقيا الاستوائية ننقل لحضراتكم تحياتنا الحارة من قلب القارة الإفريقية إذ نحتفل اليوم بيوم جومو كينيا الزعيم الإفريقي الذي تعرض للبطش والتنكيل من المستعمرين البريطانيين الفاصبين، فلقد سيطر الاستعمار على شعوب إفريقيا وآسيا منذ أكثر من ثلاثمائة عام، وحاول في هذه المدة القضاء على ثقافتها وحضارتها التقدمية، باتباع سياسة الضغط والتمييز العنصري، إن هذه السياسة الاستعمارية هي التي أيقظت شعوب إفريقيا وآسيا وجمعتهما في صعيد واحد للدفاع عن قضاياهم المشتركة ومبادئهم السامية، وهي احترام حقوق الإنسان الأساسية، وسيادة الأمم وسلامة أراضيها والمساواة بين جميع الأجناس، ولما كانت هذه المبادئ في نظر المستعمرين خطرا داهما وتهديدا مباشرا للنفوذ الاستعماري، فقد بدأ المستعمرون اعتقال الزعماء المخلصين، ومنهم الزعيم جومو كينيا الذي قاد ثورة ماو ماو العارمة التي زلزلت أقدام المستعمرين البريطانيين

حاجة كينيا إلى رأس المال

بقلم « هيلارى ماركواند »

تدهور الدخل :

لم تعان كينيا كثيرا من انخفاض أسعار المواد الخام بقدر ما عانت البلاد المتخلفة الأخرى في أفريقية وآسيا ، فقد حافظ البن وهو أهم صادرات البلاد على سعره ، كما لم يحدث نقص كبير في إيرادات الشاي واليورانيوم والمواد الكيماوية . وحتى السيسل (التيل) لم يظهر عليه ما يدل على انهيار كبير مثل باقى المواد . ومع ذلك فإن حالة الاضطراب الراهنة بالاضافة الى احتمال المزيد من الانخفاض فى الطلب من الولايات المتحدة يعتبر مدعاة للحزن . وبالإضافة الى هذا فإن كينيا تحصل على دخل لأبأس به من إجراءات نقل السلع المصدرة من الأجزاء الأخرى فى أفريقية ، ولهذا فإنه اذا حدث تدهور فى صادرات القطن من يوغندا أثر ذلك تأثيرا سيئا فى تجارة ممباسة وفى أرباحها .

ومما زاد الأمر خطورة ارتفاع فائدة القروض التجارية ، والقروض الطويلة الأجل ، وقيمة الاستثمار ، مع ارتباط العملة النقدية فى شرق أفريقية ارتباطا وثيقا بالجنيه الاسترليني . ومع أن الحكومات الثلاث هناك لا تملك الا القليل فى تقرير السياسة المالية فى لندن ، فإن أى ضغط على الأرصدة اللندنية لا يلبث

كانت كينيا حتى عام ١٩٥٥ تتمتع بفيض من الرخاء ، بالرغم من حالة الطوارئ التى تسود البلاد . كان دخلها الاقليمى فى ازدياد مطرد مدى ثمانية أعوام مضت ، بمعدل سنوى بلغ ٢٣ ٪ . الا أن دخلها فى عام ١٩٥٦ لم يتجاوز ما كان عليه سنة ١٩٥٥ . لذلك قررت حكومة كينيا أنه من السفه انفاق أكثر من ثلاثين مليون جنيه استرليني على المشروعات الانشائية خلال الثلاث سنوات من ١٩٥٧ الى ١٩٦٠ بالرغم من أنه كان فى الامكان ، اذا تيسرت السبل والوسائل ، « صرف مبالغ تبلغ فى مجموعها خمسين مليون جنيه على المشروعات الحيوية » أما عن ميزانية كينيا العادية « المتكررة سنة بعد أخرى » فإن الرقم المدرج فى بند المصروفات عن السنة المالية الجارية خمسمائة ألف جنيه عن تقديرات السنة الماضية .

ويرجع خفض الدخل عن المعدل السابق للتوسع فى نفقات الانشاء والقوات الحربية ، وفرق الأمن الآن ، كما ترجع هبوط حدة الطوارئ الى المكاسب التى تجنيها البلاد من الصادرات ، وان كان السبب الرئيسى هو المشقة العظمى فى طريق الحصول على رأس المال الأجنبى والفائدة المرتفعة التى تدفع عنه .

أن تشعر به « نيروبي » وآخر قرض عقده كينيا تجاوز الاكتتاب فيه الحد المطلوب ، ولكنه كان قد أصدر بمعدل ٩٧٪ بفائدة قدرها ٦.٥٪ . وقد ظلت كينيا مضطرة الى استثمار رءوس الأموال منذ سنوات كثيرة وتستوردها بفئات عالية ، وبذلك تصبح الأرباح المركبة عبئا ثقيلا يعطل سير المشروعات الانشائية . وتشعر الحكومة بأنها مضطرة الى قصر النفقات الداخلية على الخدمات الاجتماعية وغيرها في نطاق ضيق لاحتمال ارتفاع الفائدة ، ولهذا فان اخفاق حكومة المملكة المتحدة في الاستجابة الى كل الرجاء المتواضع الذي تقدمت به كينيا للحصول على رأس المال ومعونة جارية خلال الثلاث السنوات الآتية يعتبر مخيبا للآمال ، وواضح أن بريطانيا أفادت من التغير الذي طرأ على التجارة وأصاب كينيا وسائر شرق أفريقية بضرر جسيم . ويندر أن يزعم أحد أن كينيا مسئولة بأية حال عن التضخم النقدي داخل المملكة المتحدة الذي حدا بالحكومة البريطانية الى وضع حد له بتخفيض النفقات .

الاشتغال بأعمال المزارع أصيب

بضربة قاسية :

ولاشك أن اهمال الزراعة في كينيا له أثر كبير في نشاطها الاقتصادي، فهي تستوعب ٢٣٥٢٠٠ من الأيدي العاملة من المجموع البالغ ٥٩٦٧٠٠، كما تستوعب ملايين من الأفريقيين ممن يعتمدون على العمل فيها في

أقواتهم الضرورية . وتدل التقديرات على أن زراعة افريقية تنتج قرابة خمس حاجة البلاد الغذائية ، في الوقت الذي تمكنها زيادة الانتاج الزراعي من تصديره الى الخارج ليكون مصدرا طيبا من مصادر الثروة . وبالرغم من أن الحكومة صرحت بحق بأن الاهتمام فيما يتصل ببرنامجها الانشائي يجب أن ينصب أولا على الزراعة ، والمياه المطلوبة لها فانها لم ترصد سوى ٩ ملايين من الجنيهات للمصرف عليها خلال الثلاث السنوات الآتية ، على حين أن برنامج السنوات الثلاث المشرفة على النهاية الآن اقتضى ١٤ مليوناً من الجنيهات . وهناك في نطاق الرقم الكلى المخفض اعتماد مالى من أجل الزراعة الافريقية : ولا يمكن لأحد من ذوى المعرفة أن يساوره شك في أن هذا الاتجاه في وضعه الصحيح أفضل من حيث علم الاجتماع . على أنه مما يقرب المأساة أن لا تتوفر الاعتمادات المالية من أجل المشروعات الانشائية العملية الصحيحة ، التي تحتاجها البلاد فورا . ومنذ عشر سنوات حين أتيحت لى زيارة شرق أفريقية آخر مرة كانت التربة التحتية الحمراء الجذباء ظاهرة هنا وهناك على مساحات شاسعة في المناطق المخصصة للأفريقيين . وكانت الأنهار في كل مكان تصب في البحر حاملة معها التربة الفوقية الثمينة . والآن يرى المرء آلاف الأفدنة المستصلحة التي تمت وقايتها بواسطة اقامة السدود وغيرها من وسائل الصيانة فأصبحت الأنهار الآن نظيفة أكثر منها فيما مضى ، ويبدو أن نوعا من الثورة قد تحقق .

توحيد البلاد :

وهناك ثورة أخرى دائرة الآن وقد وصلت الى درجة خطيرة وهي تتعلق بتوحيد البلاد . وهذه عملية ذات اثر اقتصادى بعيد ولكنها لاتنجح اجتماعيا الا اذا صاحبها نضج على درجة مناسبة ، وبسرعة كافية ، كي يستوعبها الأشخاص في غير هذا المكان ، الذين سيحرم عليهم دخول البلاد عند توحيدها واسقاط الجنسية عن مواطنين معينين . وقد تزايد سكان أفريقية حديثا زيادة كبيرة . وان ٤٠٪ من السكان دون سن العمل . وستعد أرض جديدة أو فرص جديدة بأية وسيلة في جهة أخرى في خلال سنوات قليلة لعدد هائل من هؤلاء الحديثى السن . وقد أسفر جزء هام من هذه السياسة عن نتائج ناجحة كل النجاح في مقاطعة فورت هول وهي تتعلق بوجود أراضي جديدة سهلة الري ، وهناك حاجات أخرى يجب أن تنجز ، ولا يمكن القيام بها الا اذا تيسر وجود الموارد اللازمة . أما الحساب الخاص بزراعة الغابات فقد خفض في السنوات الثلاث التالية من ٢٦٢ر٠٠٠ جنيه الى ١٢٦ر٠٠٠ جنيه

الانتاج الصناعى في كينيا :

والقوة الصناعية العاملة في كينيا يبلغ عددها الآن ٧٥ر٠٠٠ عامل ، وقد قيل ان أجور الأفريقيين في مثل هذه الوظائف قد ارتفعت ٥٠٪ عما كانت عليه منذ عشر سنوات مضت . أما العاملون في الصناعات الخفيفة في كينيا فمن مصلحتهم اظهار رغبتهم في توسيع سوقهم الداخلية للستة الملايين من

الأفريقيين الذين يكونون كتلة شعب كينيا وان سياسة حكومة أفريقية وتشجيع اتحادات التجارة للتوسع في الانتاج بزيادة الأجور ستمكن هذه الصناعات الخفيفة من التوسع ومن توظيف أكبر عدد من الأفراد ، وبالتالي ستدعم الاقتصاد ، وتساعد على موازنة الأجور في كينيا وغيرها من جميع أنحاء أفريقية ، بالرغم من أن الصناعة قد تعتمد لمدة طويلة على الجهود الخاصة وعلى الزراعة وكذلك فان التقدم الجوهرى في الطرق ، والسكك الحديدية ومياه الري وتوليد القوى والخدمات الصحية والاسكان والتعليم - لا يمكن أن يتم بسهولة وفي سرعة وبدرجة مناسبة بل بمرور الزمن بل لابد من مرور الزمن ، ومن عون الحكومة برأس المال .

فرض الضرائب :

وقد اختص المشروع الجديد للتقدم الحكومة المحلية والصحة والتعمير بنصيب قدره ٣٧٥٠ر٠٠٠ جنيه (كان ٢٤٢ر٠٠٠ ٥) والتعليم الأفريقى بمليونى جنيه كانت ٣٢٦٧ر٠٠٠ جنيه عند المقارنة بالفترة السابقة . وهذا بطبيعة الحال للارتفاع ، وليس للمصروفات الجارية ، ولكن الزيادة المنتظرة في السكان البالغين ورغبة الأفريقيين الملحة في تعليم أبنائهم من العظم بحيث لا يمكن حكومة كينيا اتخاذ الأهبة لها .

وتجرى مناقشات كثيرة في أوروبا عن امكان اعطاء مساعدات أكبر للدول المتخلفة ، وبخاصة التى في أفريقية . وانه من المنتظر ايجاد

وقد فرضت ضرائب مباشرة على كل من المناجم والمصانع ، ولكن ضريبة الدخل ظلت قليلة لتشجيع تكوين رأس المال وللمنافسة مع باقى أقاليم أفريقية فى تشجيعها للسعى فى الحصول عليها من الخارج . وفى الظروف الحالية ليس من العسير على المرء أن يفكر فى إيجاد طريقة لخفض دخل أولئك الذين يتمتعون بدخل كبيراً ، وذلك بمد الدخل العام باحتياجاته الملحة ، دون أن يكون ذلك سبباً لتعطيل دخول رأس المال الأجنبى .

وسائل لتصرف بعض الفائض فى أوروبا للطبقات الفقيرة فى كينيا وفى غيرها من دول أفريقية ، التى نجد الحاجة فيها ملحة الى مثل هذه المساعدات ، ولعل من المعقول أن نتساءل عما اذا كانت كينيا نفسها قد بذلت جهداً خاصاً بالنسبة لزيادة رأس المال من مواردها فى المناجم والمصانع الخاصة على الوجه المرسوم . ولقد كان متوسط مكسب الرجل الأوروبى السنوى فى سنة ١٩٥٦ ، ١٠٨٣ جنيه فى الزراعة ، و ٣٩٦ ر. فى الصناعة والتجارة ! أما الأرقام المقابلة لها بالنسبة للرجل الأفريقى فقد كانت ٣٢ جنيه و ٧٤ جنيه



السياسة البريطانية في كينيا

للمواطن الكيني ((جورج سيدا))

في شجاعة ، ويلتمسوا الوسيلة التي يستطيع بها الشعب على اختلاف أجناسه أن يعيش في ألفة ويعمل في تضامن)) ويتم الانتخاب لشغل المقاعد الخاصة بواسطة المجلس التشريعي المنعقد للاقتراع في هيئة مؤتمرة والخطورة التي ينطوي عليها ترشيح الأفريقيين الثمانية تتجلى في بيانها توم مويوا المتحدث بلسان منظمة الأعضاء الأفريقيين المنتخبين ، القائل بأن معارضته لدستور ((لينوكس بويد)) تمثل وجهة نظر جميع الأفريقيين في كينيا ، وان كانت توغر بقصد الدعاية ، واحداث بلبلة بين الأفريقيين ، بأن الاتجاه الجديد للأحداث يشير الى أن جانباً مسئولاً من الرأي الأفريقي المعتدل لا يشارك في وجهة النظر هذه ، وبيان منظمة الأعضاء الأفريقيين المنتخبين يؤكد عزمهم على عدم الاعتراف بالأفريقيين الساعين للفوز بالمقاعد الخاصة أو التعاون معهم أو مشاركتهم في العمل .

ويقول هذا البيان : ((ان أولئك الذين يحاولون ترشيح أنفسهم انما يتضامنون مع من يسعون الى الإبقاء على السيطرة الأجنبية ، ومصادرة حرية الشعب الأفريقي - عليهم اذ ذاك أن يعتبروا خونة متآمرين على التصحية بأفريقية !)) .

منذ صدور تصريح ((لينوكس بويد)) الخاص بإضافة اثني عشر مقعداً للمجلس التشريعي ظل الأعضاء الأفريقيون الثمانية المنتخبون يلتزمون الرفض المنذر بالخطر ، لأن تصريح « لينوكس بويد » لم يكن اقتراحاً عادلاً ، وانما أريد به خديعة الأفريقيين فقد قال : ان الاثني عشر مقعداً يجب أن تعطى فقط للأفريقيين المعينين من بين الموالين للحكومة المنفذين لمشيئتها وبذا يملأون ما أسماه « المقاعد الخاصة » ومن ثمة أعرب ثمانية من الأفريقيين عن رغبتهم في المنافسة على أربعة من المقاعد الأفريقية التي يجرى عليها الاقتراع بطريقة خاصة في مجلس « كينيا التشريعي » الذي نص عليه دستور « لينوكس بويد » الجديد ، فأشاروا الى أنهم أقوى من أن ترهبهم تهديدات المقاطعة التي تقوم بها منظمة الأعضاء الأفريقيين المنتخبين ، وهم يعتقدون أن الدستور الجديد يجب أن تتاح له التجربة العادلة .

وممن أعلنت أسماؤهم أخيراً من بين الثمانية مستر ((جومو كينيا تا)) أول رئيس لاتحاد كينيا الأفريقي في نيروبي ومستر ((موري أوودي)) كاتب الاختزال على الآلة الكاتبة الذي قال ((انني أشعر بأنه قد آن لنوى المقاصد الطيبة من الناس أن يتقدموا

. وتقول صحيفة **((شرق أفريقية وروديسيا))** : تضطرم كينيا بالقلق الآن نتيجة لنشاط العناصر الهدامة بين الأفريقيين هناك ، وقد اكتشفت حكومة كينيا في فبراير سنة ١٩٥٨ قيام جمعية تدعى **((كياوانيانونجي))** Kiawa Nia Nuingi وصفتها السلطات بأنها شبيهة **((بماو ماو))** فمنعت كل اجتماع سياسى ، ونهت الأفريقيين عن حمل مدى الأدغال بعد الغروب ، فقد كان الأفريقيون يستخدمون تلك المدى في مهاجمة كلاب البوليس نيروبي .

وفي الثلاثين من يناير ، أطلقت النار على أربع سيارات على قيد ميل من نادى **((موتايجا))** : **((مركز نيروبي))** ولم يكن قد مضى وقت طويل على مقتل أحد المستوطنين الأوروبيين له من العمر ٨٩ سنة وجد ميتا مع زوجته في مزرعتهم ، وكانت آثار الطلقات النارية بادية ، ولكن القاتل لم يعثر له على أثر ، ثم تلا ذلك فى السادس والعشرين من مارس أن فر من سجن **((تيرى))** أربعة عشر مسجوناً من **((الماو ماو))** وكان بعضهم يمضى عقوبة السجن المؤبد ، وبسبب المقاطعة التى أبداهها الأعضاء الأفريقيون المنتخبون صرحت الحكومة فى الأسبوع الماضى بأن جميع الأعضاء الأفريقيين قد ألقى القبض عليهم ، ووجهت اليهم تهمة التآمر على ارتكاب جنحة تحت التعديلات الجديدة ، التى أدخلت على قانون العقوبات خاصة بالأجراءات الانتخابية ، كما وجهت اليهم زورا تهمة أخرى ، هى أنهم أصدروا بيانا يعتبر قذفا فى حق الأفريقيين المؤيدين

لسياسة الحكومة ، وقد أنكر جميع المتهمين الاتهامات الموجهة اليهم ، والجدير بالذكر أن اجراء الحكومة ضد **((مبوبيا Mboya))** وزملائه اتخذ عشته حملة الترشيحات للمقاعد الخاصة .

والذى حدث فعلا أن خمسة من الثلاثة عشر أفريقيا الذين كانوا قد أبدوا الرغبة فى خوض المعركة الانتخابية انسحبوا قبل يوم الترشيح ، وقاسى اثنان لهما أعمال تجارية فى **((نيروبي))** من أثر المقاطعة ، كما اضطر ثالث الى الانسحاب بعد أن بلغته أنباء بأن حياته مهددة بالخطر ، كذلك أقامت الحكومة الدعوى ضد صحيفتين من صحف نيروبي هما **((كلونيال تايمز))** و **((ايسست أفريكان تايمز))** اللتين يملكهما آسيويون بتهمة القذف لأنهما نشرتا على صفحاتهما البيان الذى أصدره فريق **((مبوبيا))** وزعمت السلطات أن به طعنا واغتيابا ومن ناحية أخرى نشرت صحيفة **((برازا))** Baraza الأفريقية التى تصدر بالسواحل ويملكها أوروبيون مقالا افتتاحيا غاية فى الصراحة «قائلة ان رجال السياسة الأفريقيين على حق فى مناهضتهم طريقة انتخاب المزيد من أعضاء المجلس التشريعى ، طبقا لنظام المقاعد الخاصة . وأوضحت الصحيفة أن الموقف الذى نشأ نتيجة لذلك هو بالضبط ما كان يخشى حدوثه فريق **((مبوبيا))** ، وذلك أن أى شخص ينتخب لملء أحد المقاعد الاثنى عشر الخاصة ، فيتعين عليه الظفر بتأييد الأعضاء البيض دون حاجة الى أصوات الأفريقيين أو الآسيويين .

كما جرح واحد وعشرون أوريبيا داخل سياراتهم ، وقد اختار فريق «مبوييا» بالاشتراك مع جميع الأحزاب في إبريل للزحف من أجل الحرية ، ومناوأة الحكومة ، فوافق على ذلك جميع الأفريقيين وكانت شعاراتهم «لتسقط الحكومة البريطانية ! » ، « نريد الاستقلال ! » .

ان جميع الأحزاب في كينيا بزعامة المؤتمر الوطني الأفريقي النيروبي يتجهون الى اخوانهم في الدول الحرة ليعتبروهم اخوة لهم ، ويشددوا أزرهم ما استطاعوا ! .

« عن الإنجليزية »

ذلك هو اللغز الحقيقي الكامن في المعارضة التي أبدتها الأعضاء الأفريقيون المنتخبون الثمانية بأن من لا يحظى من بين الأفريقيين بتأييد الأوروبيين لا يمكن أن ينتخب للمقاعد الخاصة ، لأن المجلس التنفيذي يضم ثمانية وثلاثين عضوا من البيض ، يقابلهم أربعة عشر أفريقيا وأحد عشر آسيويا وعربيا .

وفي الرابع والعشرين من إبريل قاطع الشعب الأوتوبيسات والسيارات ، وقتل ثلاثة ضباط إداريين من البيض وجد أحدهم ملقى بجواره مسدس ،





بقلم الدكتور جلال يحيى

يعتبر ميناء «جيبوتى» رغم صغره، من أهم الموانئ الموجودة في شرق افريقية، وعلينا أن نعرفه وندرسه، خصوصاً وأنه في أيدي القوات الاستعمارية التي مازالت تتحكم في القارة الافريقية وامكانياتها الاقتصادية، وبالتالي في مستقبلها ومستقبل أبنائها.

بدأت فرنسا اتصالها بشرق افريقية، وعند السواحل القريبة من بوغاز باب المندب، أي المدخل الجنوبي للبحر الأحمر. في خلال القرن التاسع عشر. كان ذلك قبيل وسط ذلك القرن، حينما بدأت القوة المصرية تتطلع الى توحيد ضفتي البحر الأحمر، والوصول الى مياه المحيط الهندي، مما جعل إنجلترا تتدخل، وتستولى على عدن لكي تتخذها قلعة تفرض منها سيادتها على مياه هذا المحيط، ونقطة هجوم على السواحل المصرية في البحر الأحمر. وعند اختتام مشروع حفر قناة السويس، ذلك المشروع الذي كان واضحاً أنه سيصل الشرق بالغرب. مما جعل الدول الاستعمارية تفكر في انشاء محطات برية على طول هذا الطريق، تسمح لسفنها بالتموين بالفحم والمأكولات والتزود بالمياه في هذه الرحلة الطويلة. وستكون هذه المحطات هي القواعد البحرية الاستعمارية التي ستركز إليها الدول الأوروبية في توسعها في القارة الافريقية، ومحاولة استغلالها.

اشترت فرنسا أرض أوبوك في عام ١٨٦٢ لاقامة محطة بحرية عليها، ولكنها لم تستغل هذا الموقع عدة سنوات. وواصلت السفن الفرنسية التزود من ميناء عدن بالرغم من شعور الساسة الفرنسيين بضرورة الاستقلال عن إنجلترا، اذ ان الظروف قد تتأزم بين الدولتين مما يؤدي الى تعريض مواصلات فرنسا مع مستعمراتها في الشرق الأقصى للخطر.

وبدأ التكالب على افريقية، واستولت فرنسا على «تونس» ونزلت القوات البريطانية في مصر. وأخذت فرنسا تتوسع في مدغشقر والهند الصينية وشعرت بضرورة الحصول على قواعد بحرية مستقلة، خصوصاً وأن نزول إنجلترا في مصر كان في حد ذاته عملاً يحمل معنى المنافسة الصريحة لفرنسا. ورأت فرنسا أن إنجلترا قد أطلقت يدها في «الملحقات» المصرية، وأخذت تحاول التدخل في أمور السودان وترسل قطعها البحرية الى الموانئ المصرية على سواحل البحر الأحمر وخليج عدن بدعوى المحافظة على الأمن والنظام. ورأت فرنسا أن إنجلترا قد أخذت «تستولى» على مصر والبلاد المتحدة معها. فعملت من جانبها على اقتطاع أجزاء لنفسها من أراضي هذه الدولة، واستعدت لكي ترد على إنجلترا، اذا ما استفسرت منها عن معنى نزولها في الموانئ المصرية، بأن لها صفة إنجلترا نفسها في الموانئ الأخرى.

واستولت إنجلترا على «زيلع» و «بربره» والساحل الصومالي الواقع بينهما، فعملت فرنسا على الاستيلاء على الأراضي التي اشترتها في أوبوك في عام ١٨٦٢ واتخذتها نقطة للتوسع في السواحل المصرية

المجاورة ، وذلك باستيلائها على قبة الخراب وتاجوره . ووقع تنافس دولي بين كل من إنجلترا وفرنسا في هذه المناطق ، وتعرضت هذه المسائل بطبيعة الحال لحقوق الدولة العثمانية ، تلك الحقوق التي ضمنتها كل الدول الأوروبية ، ثم جاءت للاشتراك سويا في الاعتداء عليها وخرقها . وانتهى هذا التنافس بحصول فرنسا على جيبوتي ، التي أصبحت عاصمة ساحل الصومال الفرنسي بعد أوبوك .

وشعرت كل من فرنسا وإنجلترا بضرورة الوصول الى اتفاق حول تقسيم مناطق النفوذ الخاضعة لهما في شرق افريقية ، خصوصا وأن ممثلي هاتين الدولتين قاما بنشاط ملحوظ ظهر وكأنه سيؤدي الى صدام بين قوات هاتين الدولتين . وكانت إنجلترا ترغب في السيطرة على ساحل الصومال المواجه لعدن ، حتى تضمن حصولها على التموين اللازم لهذه القاعدة الحربية الهامة التي تقع على صخور حصينة ، ولكن في منطقة جديباء قاحلة . أما فرنسا فأنها كانت ترى أن في استطاعتها العمل على السيطرة على طرق تجارة القوافل التي تأتي من الحبشة وهرر وداخل القارة صوب الساحل وخليج عدن . وكان استيلائها على تاجورة يسمح لها بالسيطرة على أحد الفروع المؤدية الى الطريق الرئيسي الواصل من هرر الى زيلع ، وكان هناك فرع آخر للطريق نفسه يصل حتى رأس جيبوتي . وكذلك فان فرنسا حاولت الاستيلاء عليه ، إذ أنه لم يكن في قدرتها زحزحة إنجلترا بعيدا عن زيلع .

وأظهرت فرنسا لإنجلترا رغبتها في الوصول الى حل للمسألة ، والاتفاق معها اذا ما اعترفت إنجلترا لها بملكية كل الساحل الجنوبي لخليج تاجورة من قبة الخراب حتى رأس جيبوتي ، كانت فرنسا توافق على أن تترك لإنجلترا المنطقة الواقعة من زيلع والى الشرق منها ، نظير حصولها على المناطق الواقعة الى الغرب من هذا الميناء الهام ، تلك المناطق التي تسكنها قبائل العيسى صومال ، والتي يمكنها أن تتحكم منها بالفعل في طرق التجارة

الآتية من داخل القارة ، قبل وصولها الى زيلع نفسها .

واقترحت فرنسا أن تنشئ خطا مستقيما يمتد على الخريطة من زيلع الى هرر كأساس للحدود بين المحيتين الانجليزية والفرنسية . ولكن السلطات البريطانية اعترضت على هذا الاقتراح ، واقترحت أن تقيم خطا آخر يمتد من رأس جيبوتي الى هرر . كما اقترحت حرية التجارة على طريق القوافل الذي رسمت عليه هذه الحدود . ووافقت فرنسا على ذلك ، وأعدت وزارة الخارجية البريطانية الوثائق للتوقيع . وعندئذ تنبعت فرنسا الى أنها ترغب في الاستيلاء على رأس جيبوتي نفسها وبأكملها داخل منطقة نفوذها . فأبلغت ذلك لإنجلترا .

ونتج عن هذا تأخير التوقيع على الاتفاقية ، وبخاصة أن إنجلترا كانت قد أعلنت الى الدول وضع حمايتها على الساحل الممتد « من رأس جيبوتي على الشاطئ الجنوبي لخليج تاجورة حتى بندر زياده » .

وافقت إنجلترا على التغيير ولكنها اشترطت اضافة فقرة يمتنع بها كل من الطرفين عن ضم هرر أو محاولة فرض حمايته عليها . وادعت فرنسا أن هذه الفقرة تسلبها كل حق للتدخل أمام أية دولة أخرى تحاول الاستفادة من عدم تحرك فرنسا ، لكي تحصل على امتيازات في اقليم هرر وجنوب الحبشة . فاقترحت الاتفاق على عدم الاعتراف بوضع هرر تحت حماية أى دولة ثالثة وبذل كل جهد لمنع وقوع هذه الامكانية . ولكنها عادت ووافقت على مادة أخرى اقل حدة تنص على أن لا تنازل عن حقها في منع أية دولة أخرى من الحصول على أى حقوق في هرر أو فرض سلطتها عليها . تم اذن الاتفاق الانجليزي الفرنسي في بلاد الصومال في أوائل شهر فبراير سنة ١٨٨٨ وأصبحت جيبوتي واقليمها داخل حدود منطقة الحماية الفرنسية ، واعترفت إنجلترا بذلك .

ولم تكن « جيبوتي » في ذلك الوقت الا منطقة قاحلة غير مسكونة . وكانت السلطات الفرنسية

ولكن إيطاليا كانت قد أخطأت في أنها حاولت فرض حماية « قانونية » أو « شكلية » على الحبشة قبل أن تتأكد من إمكان تنفيذها ، أو الاستفادة منها .

وظهر ميل منليك الى فرنسا في هذه الفترة بشكل واضح وبخاصة أن أحد مستشاريه كان سويسرياً من أصل فرنسي وهو الج Ilg - وكان منليك على صلات مستمرة بلاجارد حاكم الصومال الفرنسي . وسيؤدي هذا الى ازدياد النفوذ الفرنسي في الحبشة ، وبخاصة في الأقاليم الجنوبية منها ، وذلك في نفس الوقت الذي سيزيد العداء بين الحبشة وإيطاليا . وكانت الدبلوماسية الفرنسية ، والشخصيات الفرنسية التي تعمل في هذه المشروعات ، وامكانيات فرنسا المادية والأدبية تتفوق على إيطاليا وامكانياتها ورجالها . عمل لاجارد حاكم الصومال الفرنسي ، وهانوتو ، وكيل وزارة المستعمرات على رسم خريطة جديدة لأفريقية : خريطة تتحكم فيها فرنسا في منطقة الحزام الأوسط بين الشرق والغرب . وعارضت فرنسا بذلك مشروعات بريطانيا التي حاولت الوصل بين القاهرة ومدينة الرأس . وسيكون لجيبوتي فيها أهمية كبيرة إذ أنها ستكون بداية الخط عند الساحل الشرقي لأفريقية .

* * *

عمل الفرنسيون على وضع مشروع لإنشاء سكة حديدية تمتد من جيبوتي الى هرر ثم أديس أبابا ، عاصمة الحبشة ، وتمتد بعد ذلك حتى النيل الأبيض . وضعوا هذا المشروع في عام ١٨٩٤ ، وأخذت الشركة الامبراطورية للسكك الحديدية الأثيوبية ، وهي شركة مركزها بباريس ، في دراسة هذا المشروع . وبدأ الفرنسيون في تنفيذ الجزء الأول من مشروعهم ، وهو الخاص بالجزء الممتد من جيبوتي

تقيم في أوبوك ، وسرعان ما انتبه لاجارد ، حاكم الصومال الفرنسي الى ضرورة تغيير مركز الحكم من أوبوك ، وبخاصة أن ميناءها كانت غير ذات قيمة كبرى ، وكان الايطاليون يهددون بها بسهولة من الشمال عند رأس ديمره ، وكانوا يفرون الدناقل ، بالمال والهدايا ، وغيرها من وسائل المستعمرين الفرنسيين والانجليز وكل المستعمرين المتنافسين ، على عدم خدمة السلطات الفرنسية في أوبوك . واختار لاجارد مكانا يقع على طرق القوافل ، وبعيدا عن الايطاليين والدناقل ، ويصلح بدرجة أكثر للمحلاحة ، فاختر جيبوتي التي تقع في بلاد العيسى صومال وهم الذين تخصصوا في نقل المتاجر على ابلهم الى هرر وجنوب الحبشة . ولم تمنع الحكومة الفرنسية في ذلك .

انتقلت الادارة الفرنسية من أوبوك الى جيبوتي في عام ١٨٩٢ - وكانت فرنسا قد بدأت ، منذ سنوات متعددة سياسة الاتصال بمنليك ملك شوا تم امبراطور الحبشة ، وعملت على الاتجار معه ومده بالأسلحة والذخائر الذي لم يكف عن طلباتها خصوصا عندما تازمت الأمور بينه وبين الايطاليين . وسارت قوافل الأسلحة من الصومال الفرنسي الى منليك ، ولم يدفع ثمنها للحكومة الفرنسية . وكانت هذه الحكومة قد « خزنت » هذه الأسلحة في ساحل الصومال ، ولما قامت ضجة حول امداد فرنسا لمنليك بالأسلحة ، أمرت هذه الحكومة باجراء حصر للأسلحة ، وأثبتت هذه العملية فقدان أكثر من ٨٠٠٠ بندقية ولم تقم الحكومة الفرنسية بعد ذلك بأي عمل سوى توجيه أمر اداري الى لاجارد بضرورة وضع الأسلحة في مخازن آمنة في المستقبل .

دفعت فرنسا اذن الثمن لمنليك مقدما منافسة منها لإيطاليا التي أرادت ، مثل فرنسا ، الوصول الى الاستفادة المادية من هذه المنطقة .

شعر لاجارد بأن الانجليز قد أخذوا في منافسة فرنسا في مشروع مد سكة حديد جيبوتي ، وبأنهم يسعون بذلك الى القضاء على تفوق النفوذ الفرنسى الذى يمتد غربا فى الحبشة مع هذه السكة الحديدية ، ويسعون الى مشاركة فرنسا فى استغلال حاصلات الأقاليم الجنوبية فى الحبشة وهى أكثر أقاليمها ثروة .

رأى لاجارد أن الحبشة قد أصبحت محصورة بين الإيطاليين والانجليز ، وأنه ليس لها أى منفذ حر سوى الصومال الفرنسى وجيبوتي . وأراد استغلال هذه النقطة . وشرح لبلاده أن كلا من انجلترا وإيطاليا حاولت ، لمدة سنوات طويلة ، محاصرة الصومال الفرنسى نفسه ، ولكن فرنسا قد احتاطت للأمر حينما فاوضت انجلترا لتحديد الحدود معها . ثم شرح أنه لم يقبل خط الحدود بين الصومال الفرنسى والحبشة إلا بعد أن قبل منليك التعهد ببيع كل الدول الأجنبية من الوصول الى داخل البلاد مهما كان شكل هذا التدخل ومهما كانت الدوافع اليه . وكان هذا نوعا من الاعتراف غير المباشر بالاحتفاظ بمنطقة نفوذ فرنسى ، فيما وراء حدود مستعمرتها من ناحية الغرب ، يمكن لفرنسا أن تتدخل فيها اذا ما أجبرتها الظروف على ذلك ، أى فى حالة تدخل أية دولة أخرى فى الحبشة . كان لاجارد قد عمل لفترة سنوات لكى يترك لفرنسا ، وحدها ، حق التدخل فى هذه المنطقة من شرق افريقية حينما تحين الفرصة . وكان خط سكة حديد جيبوتي يسير فى هذه المنطقة ويواصل تنفيذ هذه السياسة .

ولكن بعض المنتفعين فى شركة الامتياز الخاصة باستغلال هذا الخط الحديدى حاولوا جعل هذا الخط ، فى بداية عام ١٩٠١ ، مستقلا عن كل اشراف فرنسى بدعوى حقوق السيادة الحبشية ، ثم بمحاولة إعطائه صفة دولية أو انجليزية - فرنسية (١) . ورأى

(١) انظر الوثائق الدبلوماسية الفرنسية :

المجموعة الثانية - الجزء الأول - وثيقة من لاجارد الى دلكاسيه رقم ٥٢ صادرة من أديس أبابا فى ٢٩ مارس ١٩٠١ .

الى دير داوا منذ سنة ١٨٩٧ ، أى بعد انهزام الإيطاليين أمام الأحباش فى موقعة عدوة ، وبعد زيارة لاجارد لمنليك مباشرة . ووصل هذا الخط فى عام ١٩٠٠ الى حدود ساحل الصومال الفرنسى مع الحبشة ، ثم واصل امتداده صوب الغرب (١) .

وكان من الطبيعى أن يثير مثل هذا المشروع مخاوف الدول الاستعمارية الأخرى ، مثل انجلترا ، التى كانت لها مصالح موازية لمصالح فرنسا فى هذه المنطقة . حقيقة أن كلا من انجلترا وفرنسا كانت قد اتفقت بعد فاشودا . ولكنهما اتفقتا على الجزء الداخلى من القارة ، اتفقنا على أعالي النيل والمنطقة التى تفصله عن المستعمرات الفرنسية فى الغرب . ولكنهما لم تتفقا على الأطراف الخارجية لهذا الخط . لم تكن فاشودا إلا بداية لتصفية المشكلات الفرنسية الانجليزية ، وكان من الضرورى اتمامها باتفاقيات وتسويات تمتد من هذه المنطقة شرقا وغربا ، للقضاء على كل أوجه المنافسة التى هى العامل الأول فى خلق النزاع . كانت جيبوتي قد ازدادت أهمية فى ذلك الوقت . وزاد عدد سكانها وأصبحت عاصمة ساحل الصومال الفرنسى . وخشيت انجلترا أن تتخذها فرنسا قاعدة للتوغل منها الى بلاد الحبشة ، والوصول الى حوض النيل اقتصاديا . ان لم يكن سياسيا وإداريا . وكانت فرنسا قد عينت لاجارد منذ سنة ١٨٩٨ وزيرا مفوضا لها فى الحبشة ، وزيرا فرنسيا فى بلاد منليك ، صديقه الشخصى . وسيعمل هذا الفرنسى من أديس أبابا على تأييد السياسة الفرنسية فى التوغل فى داخل القارة غربا ، حتى بعد أن أخذت بلاده فى التراجع أمام انجلترا فى أعالي النيل ، فى فاشودا .

LEMOYNE, R., ; La Côte (١)

Française des Somalis. P. 286.

لأجارد أن هذه المجهودات ستنتهى ،
ان نجحت ، بادخال أشد النفوذ خطرا
على فرنسا فى تلك المنطقة ، وهو النفوذ
الانجليزى والايطالى ، وحذر بلاده من
الموافقة على ذلك شارحا أن موقف
فرنسا سيصبح أشد صعوبة ، ما لم
تتدخل الحكومة الفرنسية نفسها فى
الأمر .

كانت الحكومة الفرنسية قد
سمحت بمرور الخط فى أراضيها
بشروط خاصة عقدتها مع شفينه
Chefunsux ممثل الشركة الامبراطورية
لسكك حديد الحبشة . ثم اتفق أصحاب
الامتياز الفرنسيون مع بعض الشركات
البريطانية التى اتحدت تحت اسم
الشركة الافريقية الجديدة ، للاشتراك
معهـم .

وحيثما تدخل وزير المستعمرات الفرنسية
فى الأمر شرح له مندوب الشركة الامبراطورية ان
الاتفاق مع الشركة الافريقية الجديدة يسمح لها
ببناء ٧٠ كيلومترا من الخط ، ولكن ذلك
مشروط بمهلة اختيار فى صالح الشركة
الامبراطورية ، ومن حقها حتى أول سبتمبر
سنة ١٩٠١ . وكانت الشركة الافريقية الجديدة
قد دفعت للشركة الامبراطورية مبلغ مليونى
جنيه استرلينى ، وكان من حقها ان تسحب
بعد التنازل عن مبلغ ٦٢٥٠.٠٠٠ جنيه .

وشعر الفرنسيون أن الانجليز
يسعون إلى التدخل فى المشروع بل
السيطرة عليه ، ان أمكن وبخاصة وان
بيز ، أحد الشخصيات السياسية
البريطانية زار بلاد الصومال فى هذا
الوقت ، وصرح بأن النفوذ الفرنسى
لا يزال سائدا فى الحبشة ، وأن الشعب
الأثيوبى يعتقد أن بريطانيا كانت تعطف
على الأقل ، على ايطاليا أثناء حربها
مع الحبشة . أما فرنسا فانها سمحت

للحبشة بمقاومة عدوتها ، وذلك
بموافقتها على مرور الأسلحة من
جيبوتى . وأظهر بيز أن النجاشى أصبح
لا يثق بانجلترا ، وبخاصة بعد أن قام
منافسوها بشرح سياستها فى السودان
وجنوب افريقية له . وتحدث عن سكة
حديد جيبوتى ، ومعاونة الشركات
البريطانية للمشروع وأصر على أهمية
احتفاظ بريطانيا بنفوذ متفوق فى ادارة
هذا الخط ، حتى تستطيع أن تحول
بعض منتجات هرر الى الموانئ
الخاضعة للسيطرة الانجليزية ،
ولا تتركها تمر بأكملها فى جيبوتى ،
الأمر الذى سينتهى الى خراب زيلع ،
ووقف كل تجارة بين الصومال
الانجليزى والحبشة .

اقترح بيز انشاء خط حديدى بين
بربرة وهرجيسا ، لكى يسمح بوصول
تجارة هرر والأوجادين الى المستعمرة
الانجليزية ، كما أوصى حكومته بزيادة
اهتمامها بالصومال ، والعمل على توثيق
صلاتها بعدن ، خصوصا وأن حركة
المقاومة الوطنية التى يقودها مهدي
الصومال كانت قد بدأت تشغل بال
الانجليز .

ظهر جليا ان انجلترا تعلق أهمية سياسية
أكثر من الأهمية التجارية على انشاء خط سكة حديد
جيبوتى ، وعلى ضرورة التدخل فى المشروع .
ذلك أن رئيس مجلس ادارة اتحاد الشركات
الانجليزية التى اشتركت مع الشركة الامبراطورية
(فرنسية الجنسية) ، شرح أهمية وصل
زيلع بهذا الخط ، ومراعاة فرنسا بعمل
وصلة أخرى حتى أوبوك . وادعى هذا الرجل
المالى ان هذا المشروع سيساهم فى زيادة العلاقات
الودية بين فرنسا وانجلترا ، وفى ازدياد الرخاء
فى الحبشة ، اذ أنه سيتيح لكل من الدولتين
الاستثماريتين حظا متعادلا فى النفوذ التجارى
فى شرق افريقية . واكد ان الانجليز لن يتهاونوا

في تسمية نفوذهم في ذلك المشروع ، وتحدث من
« حط انجلترا المتعادل مع حظ فرنسا » .

ولكن الحكومة الفرنسية رأت أن
هذه التصريحات لا تختلف عن تلك
التي تفوه بها الكولونيل هارنجتون،
مثل انجلترا في الحبشة حينما تحدث
مع حاكم مستعمرة الصومال الفرنسي،
وذكر له أن من مصلحة الدول الأجنبية
أن تتفق على العمل سويا في الحبشة في
كل الميادين السياسية والتجارية ، أكثر
من أن تحاول الحصول على نفوذ خاص
بها . وخشيت فرنسا من أن يكون
هذا الكولونيل قد نجح في اقناع
الأوساط ذات المصالح البريطانية بوجهة
نظره هذه ، وأن الانجليز يسرون في
تنفيذ سياسة رسمت جيدا . فخشيت
فرنسا ضياع نفوذها في هذه المنطقة ،
وقررت الحكومة تكوين لجنة وزارية
لدراسة هذه المسألة ، والاتصال
بالشركة الامبراطورية ، وعدم الاستماع
في النهاية لغير مصلحة فرنسا نفسها .

* * *

وخشيت الحكومة الفرنسية أن
يعمد الانجليز الى انشاء وصلة تخرج
من الخط الرئيسي داخل الأراضي
الحبشية ، قبيل الحدود مع المستعمرة
الفرنسية ، وتسير حتى ميناء زيلع
مما يفقد جيبوتي أهميتها .

وخافت الحكومة الفرنسية من
أن يقوم الانجليز بانتزاع انشاء الخط
كله من أيدي رجال الأعمال الفرنسيين،
وزاد خوفها حينما علمت أنهم قد
أسسوا شركة خاصة سيكون لها ،
بمفردها ، الحق المطلق في انشاء أي

خطوط حديدية جديدة في الحبشة .
وكانت الأخبار قد سرت بأن السلطات
البريطانية ستضمن تسيير خط من البواخر بين
الخرطوم والادو . وكان عقد الامتياز الذي منحه
ملك لالج وشفنيه ، وهو ما سيكون خط
جيبوتي هرر جزءا منه ، يشتمل على امتداد
لهذا الخط حتى النيل كما ذكرنا . فلنتصور
اذن هذا المجموع مع وصلة مقترحة من زيلع
الى خط سكة حديد جيبوتي قبل دخوله في
أراضي ساحل الصومال الفرنسي ! .

لم يكن دلكاسيه ، وزير الخارجية الفرنسية
ورئيس الوزراء يشك اطلاقا في الأهداف الفعلية
لتلك الترتيبات التي تسيير تحت اسم شركات
رأسمالية خاصة . وكان يعتقد أن العوامل
الاقتصادية وحدها ، لا تستطيع أن تعلل أو
تشرح انشاء وصلة الى زيلع ، وهو ميناء
صغير رديء . ورأى أن هذه الوصلة تهدف
الى ترك جيبوتي بالرغم من أنها تمتاز بحسن
الأمن وسهولة الملاحة . ورأى أكثر من ذلك
أخطارا استراتيجية وحربية .

ولذلك فانه كتب الى وزيرى
المستعمرات والمالية شارحا : أنه على
فرنسا أن تمنع نجاح هذه المحاولات،
حتى لو اضطرت الى تقديم بعض
التضحيات ، وذلك محافظة على مصالح
سياستها العليا (١) . وطالب بانهاء
هذه المسألة في أقرب وقت ممكن
وقبل أن تنتهى المهلة التي أعطتها
الشركة الامبراطورية لاتحاد الشركات
البريطانية ، والتي نص عليها الاتفاق
لكى يصبح العقد ملزما .

واضطرت الشركة الامبراطورية الى
قبول وجهة نظر الحكومة الفرنسية .
ونجحت الاتصالات بالحبشة في رفض
حكومة أديس أبابا للتصريح بعمل وصلة

(١) الوثائق الدبلوماسية الفرنسية . المجموعة
الثانية . الجزء الأول . وثيقة من دلكاسيه الى
وزيرى المستعمرات والمالية . رقم ٣٠٩ في أول
يوليو سنة ١٩٠١ .

الى زيلع . ولكن هذا لم يهدىء ثائرة الدول الاستعمارية التي كانت تتنافس على الحبشة في ذلك الوقت .

لم تنس إيطاليا مشروعاتها الاستعمارية وكذلك إنجلترا ، ولكن إنجلترا نجحت في تسوية مشكلاتها مع فرنسا في عام ١٩٠٤ ، وكانت إيطاليا قد توصلت قبل ذلك ومنذ سنة ١٩٠٢ الى تصفية المسائل المعلقة مع فرنسا ، واعترفت لها بعدم معارضتها في مراكش نظير عدم معارضة فرنسا لها في طرابلس وبرقة - ومهدت هذه الاتفاقات الدولية الى التقرب بين الدول الاستعمارية الثلاث على حساب بلاد الحبشة . فاتفقوا جميعا في سنة ١٩٠٦ واعترفوا لفرنسا بحق اتمام بناء سكة حديد جيبوتي التي كانت قد وصلت الى دير داوا ، ومدها حتى اديس أبابا . ولكنهم اشترطوا على فرنسا عدم مد هذا الخط الى العرب من العاصمة الانبوية .

أصبح اذن على الحكومة الفرنسية أن تؤيد المشروع ، فما ان وقع المشروع في ضائقة مالية ، حتى عملت هذه الحكومة على الاشراف على تكوين الشركة الحالية التي تسمى « شركة سكة الحديد الفرنسية الانبوية من جيبوتي الى اديس أبابا » . وكانت هذه التسمية المحددة نفسها دليلا على الرغبة في السير طبقا لاتفاق فرنسا مع كل من إنجلترا وإيطاليا . ونجحت هذه الشركة في الحصول على عقد امتياز في عام ١٩٠٨ من امبراطور اثيوبيا ، لاستغلال هذا الخط مدة ٩٩ سنة .

وواصل الفرنسيون العمل على اتمام هذا الخط ، بالرغم من المصاعب الطبيعية التي اعترضتهم ، والتي اقتضت بناء كثير من الجسور « والكبارى » ولاسيما على مجارى الأنهار . وتم الخط في عام ١٩١٧ بوصوله الى عاصمة الحبشة . وبلغ طوله ٧٨٣ كيلومترا منها ١٠٥ في اراضى الصومال الفرنسى .

تلك هى قصة سكة حديد جيبوتي ، ذلك الشريان الذى سيعطى لهذا الميناء حياته ،

ويسمح له باستمرار النمو والازدهار ، ويسمح للفرنسيين بسهولة استغلال موارد الحبشة من هذه القاعدة البحرية المطلة على خليج عدن .

* * *

أما جيبوتى نفسها فقد أخذت في الاتساع بمضى الوقت ، وازداد عدد الأهلىن الذين نزحوا اليها وأقاموا بها .

ولقد ظلت سياسة الحكومة الفرنسية في جيبوتى حتى عام ١٩٣١ هى سياسة « تحسين الميناء » الذى كان موجودا من قبل ، فأنشأت احدى المعابر « السقالات » وأحد الارصفة البحرية ، ورصيفا آخر للفحم . ولم تزد حركة هذه الميناء في عام ١٩٢٦ عن ٥٥٠٠ طن . ولكن احدى الحوادث البحرية وقعت في هذه السنة ، وهى اشتعال النار في احدى السفن الراسية في الميناء . فأخذت فرنسا في إعادة دراسة مشروع سابق يرجع الى عام ١٩١٢ ، للاعتماد على بقايا احدى السفن الغارقة في عمل رصيف بحرى يزيد الميناء اتساعا . وهكذا ظهر أن المشروع الجديد سيقوم على أساس الاعتماد على بقايا هاتين السفينتين . وأن هذه الأعمال الانشائية ستنتهى قبل اعلان الحرب العالمية الثانية ، وأن هذه الارصفة ستستخدم في استقبال الفحم ، وتخزين المازوت اللازم للملاحة .

زادت حركة ميناء جيبوتى الى ٢٠٠٠٠ طن في العام . ولكن الحرب العالمية الثانية أوقفت كل حركة في هذا الميناء ، وبخاصة في سنتى ١٩٤١ ، ١٩٤٢ نتيجة لهجوم الايطاليين ، ودخولهم في ساحل الصومال الفرنسى . وفي عام ١٩٤٨ بدأت جيبوتى تستفيد من ميزانية الاستثمار والتنمية الاقتصادية والاجتماعية للأراضى الواقعة فيما

وراء البحار ، فبدأت مشروعات لا بأس بها لتحسين الميناء وتوسيعه وتجهيزه - وتم ذلك في عام ١٩٥٣ . ويمكن لميناء جيبوتي التجارى الآن أن يستقبل خمس سفن كبيرة على الرصيف وفي الوقت نفسه ، يستقبل سفنا لها غاطس من تسعة أمتار الى عشرة . وقد زود الميناء بالمخازن وبمواسير المياه والمآزوت وأصبح في امكانه أن يخزن ٥٠٠٠ ر.طن من البترول .

* * *

ولقد أعلنت فرنسا أن جيبوتي وساحل الصومال الفرنسى منطقة حرة من أول يناير سنة ١٩٤٩ . وكان هذا القرار يتمشى مع النظام الموجود منذ سنة ١٩٠٦ والذي يسمح بمرور تجارة الترانسيت من وإلى الحبشة دون فرض أية رسوم عليها . ثم جاءت فرنسا وغيرت العملة الموجودة في جيبوتي وفي ساحل الصومال الفرنسى في ١٧ مارس سنة ١٩٤٩ . وأصبح هناك ما يسمى « فرنك جيبوتى » وهو فرنك مستقل كل « غطائه » من الذهب ، ويشرف على إصداره اتحاد المصارف الفرنسى الأمريكى الموجود في نيويورك . وألغيت بذلك كل سلطات مكاتب العملة ، وأصبح من حق من يحمل هذه الفرنكات الجديدة أن يحولها أو يحول أية كمية منها الى الدولارات ، دون أى قيد أو أية اجراءات أخرى . وساعد ذلك على اتساع العمليات التجارية ، كما شجع على الاتجار ، مع الحبشة ، عن طريق جيبوتى .

وهكذا نرى أن ميناء جيبوتى يعيش على حركة ملاحية السفن التى تمر في طريقها من وإلى الشرق الأقصى . تلك السفن التى تحتاج الى التزود بما يلزمها من ماء وفحم ومآزوت ومأكولات ويعيش من ذلك الخط الحديدى الذى يتوغل في الداخل حتى أديس أبابا يحمل اليه ما يلزمه من العالم الخارجى ، ويعود محملا بصادراتها الزراعية والحيوانية .

ولقد عملت مشروعات الانشاء والتعمير في الحبشة ومرور أدواتها في جيبوتى على خلق حركة لها قيمتها في هذا الميناء . كما أن هذه الحركة قد زادت ، نتيجة لنزول بعض الشركات الاستغلالية للعمل في بلاد النجاشي . ولقد اعتقد بعضهم وبخاصة في عامي ١٩٥٠ ، ١٩٥١ أن جيبوتى ستفقد مركزها وأهميتها ، بالنسبة للحركة مع الحبشة ، وفي صالح ميناء عصب الصغير . ولكن ظهر خطأ هذا الاعتقاد ، إذ أن عصب لا ترتبط بالحبشة الا بطريق السيارات ، أما جيبوتى فتعتبر المخرج الطبيعى لمنتجات هذه البلاد نظرا لوصول السكة الحديدية اليها .

ولقد عملت التنظيمات الادارية والمالية التى أدخلتها فرنسا في ساحل الصومال من ناحية ، والتطور الدولى في العالم من ناحية أخرى ، وخصوصا العلاقة بين فرنسا والبلاد العربية ، والعلاقة بين العرب واسرائيل ، على التقرب بين فرنسا واسرائيل . وكما ساعدت فرنسا اسرائيل في التسلح ، وفي انشاء خط لانايب البترول من أيلات الى حيفا ، نجدها تساعدها في الخروج من الحصار الاقتصادى الذى فرضته الدول العربية عليها ، بل نجدها تساعدها في القيام بحركة تطوية ، للعالم العربى في افريقية . وليس هذا المشروع جديدا ، إذ أن كلا من البرتغاليين ثم الفرنسيين قد حاولوا اقامة هذا المشروع في القرن السادس عشر . ونهاية التاسع عشر ، وباءوا فيه بفشل ذريع .

ولكن « فرنسا » تبدأ فيه العمل مرة جديدة مشجعة (اسرائيل) على اتخاذ «جيبوتى» قاعدة تجارية لها في شرق افريقية ، تتوغل منها للسيطرة الاقتصادية على « الحبشة » وترسم خطا في « افريقية السوداء » حتى « المحيط الأطلسى » .

ومن هنا تظهر أهمية جيبوتى ، ذلك الميناء الافريقى ، في السياسة الاستعمارية الجديدة في العالم .

يوم غينيا

La Journée de Guinée

احتفلت الرابطة ((الافريقية))
احتفالا مجيدا بعيد استقلال غينيا .
وغينيا . تبلغ مساحتها حوالي
٢٨٠٩٠٠ كيلو متر مربع ، وعاصمتها
كوناكري Kounakri ، ويربو عدد
سكانها على مليونين ونصف المليون
يعيشون في الأقاليم الأربعة الآتية : -
١ - السهل الساحلى .
٢ - الهضبة .
٣ - مرتفعات ((فوتا جالون)) .
٤ - الاقليم الجنوبى الشرقى .

وقد اغتصب الاستعمار الفرنسى
هذه المنطقة بعد كفاح مع الزعيم
((الحاج عمر تال)) وأولاده ثم عادت
أخيرا الى أبنائها عام ١٩٥٨ بعد كفاح
مرير رفع رايته الزعيم ((سيكوتورى))
الذى جمع بصدق الشعب من خلفه
ثم سار بهم فى خطى ثابتة على طريق
الحرية المضى !

وقد أعلن المرة بعد المرة أنه لا يعتبر
استقلال بلاده حقيقيا الا اذا تحررت
كل افريقية ، وهكذا يحس
((سيكوتورى)) بمشكلات القارة ،
ويعتبر نفسه مواطنا افريقيا ينتمى
الى كل قرية وكل غابة ، وكل مدينة
فيه .

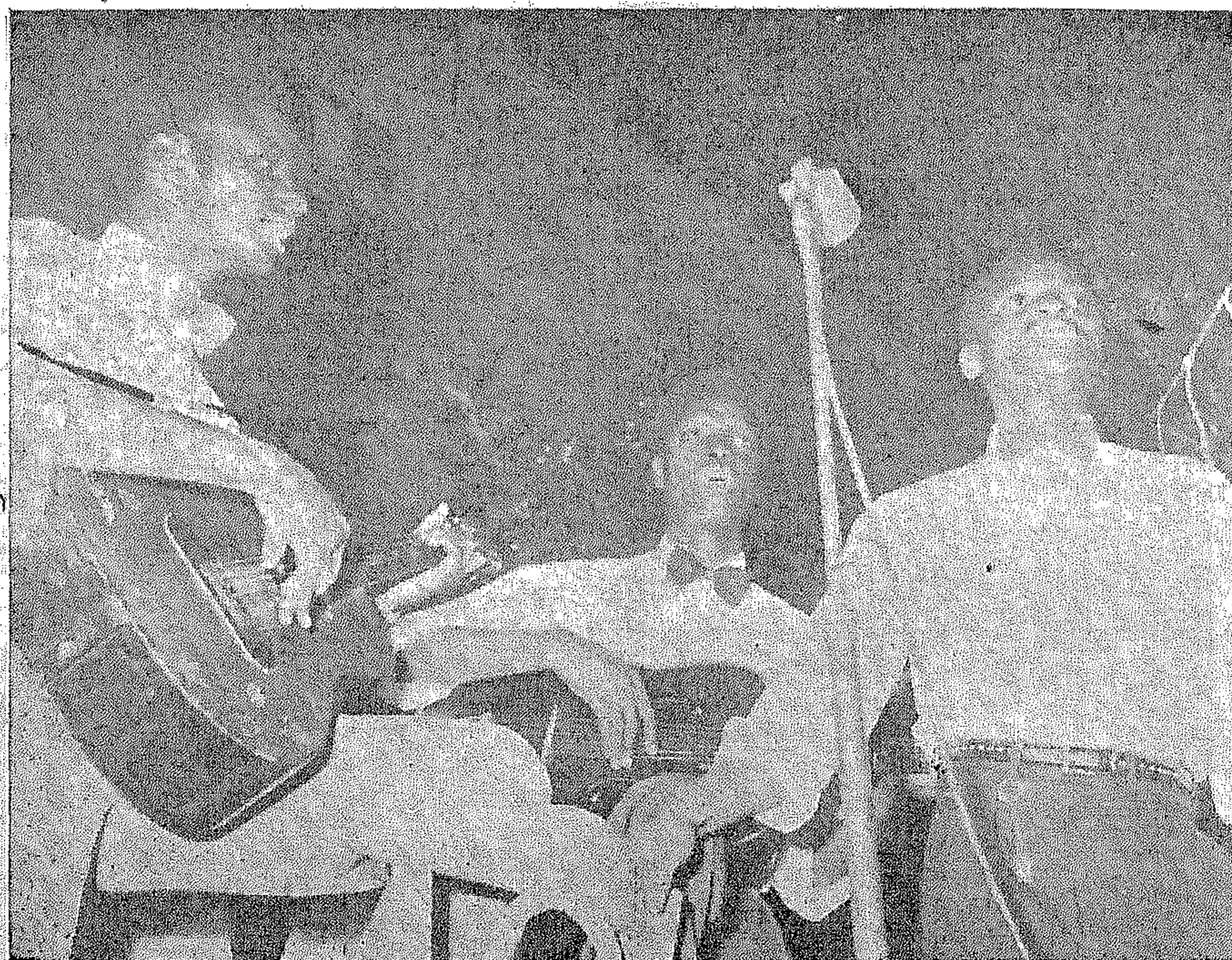
.. وبهذا الرجل ، وكثيرين من
القلوب الكبيرة مثله تسير القارة بخطى
ثابتة وقوية على طريق الحرية !!

← الزعيم سيكوتورى
Leader Seko Touré



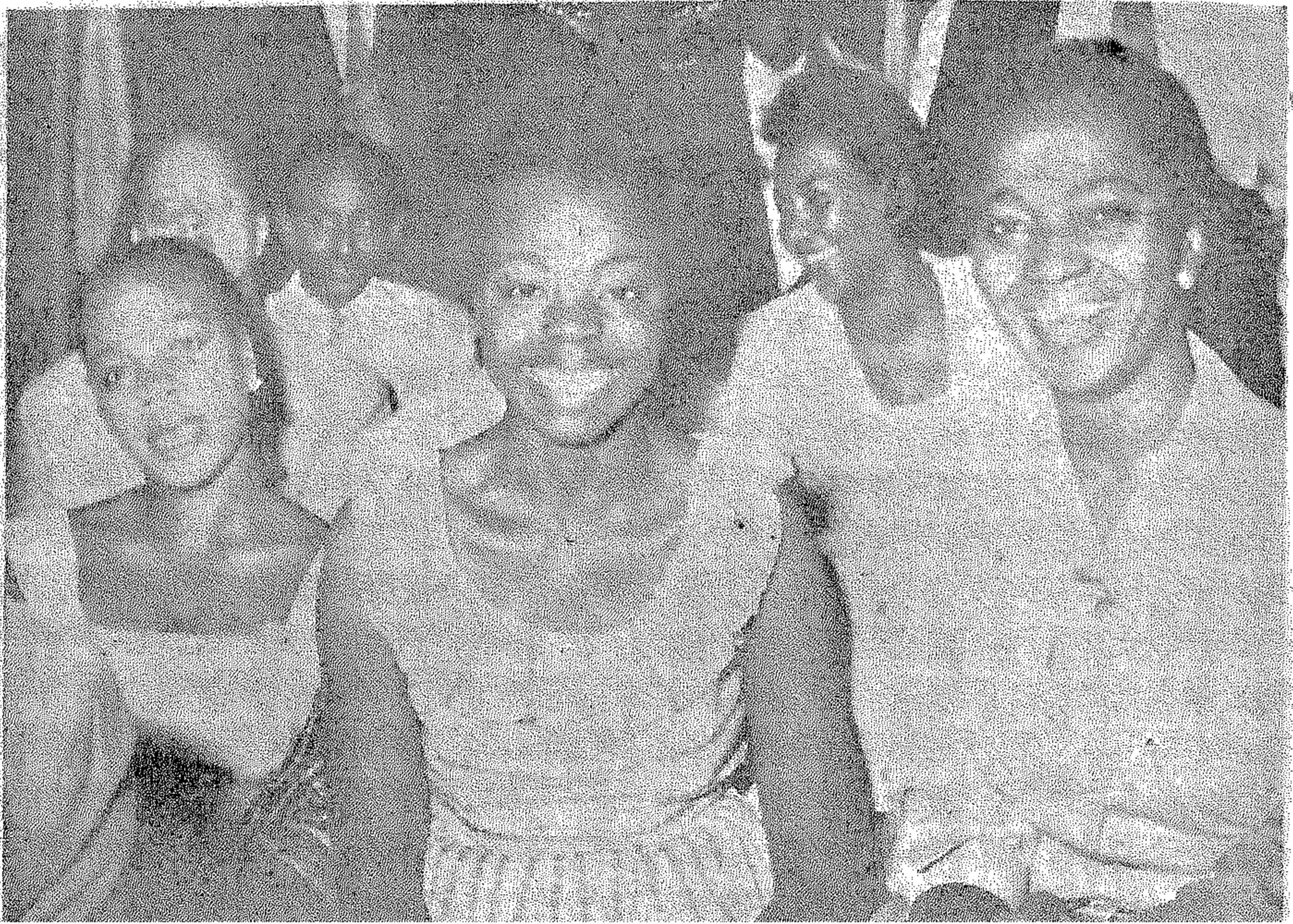
السيد نائب وزير الخارجية يخطب

Le vice-ministre des affaires étrangères Zulfikar Sabri, parlant



أغاني أفريقية

Des Chansons Africaines



جانب من الحفل
Un coin de la partie



((طفلة)) تقدم الحلوى في الحفل
Une petite fille présente les gâteaux

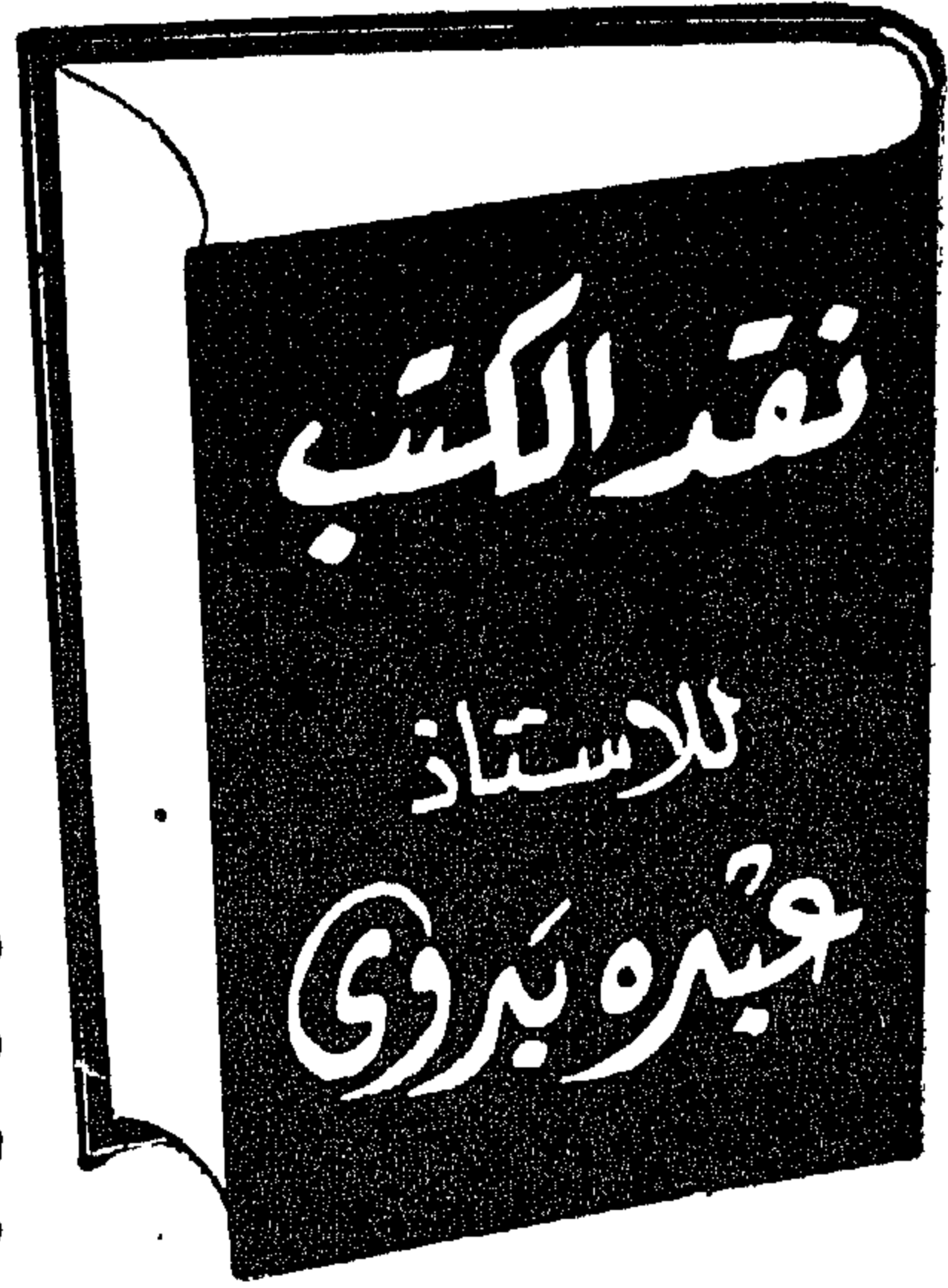


الرقص ابتهاجا
Danse Joyeuse

الحياة السياسية والعقلية ،
والاجتماعية . ثم ما يريد به اثراء
الحياة ، وانما يعطيك عدة انطباعات
ترسبت في ذهنه من هذه التجربة .

فهو يقدم لك مشاعره حينما تهيأ
لترك وطنه الى « صوماليا » في الرابع
والعشرين من ديسمبر عام ١٩٥٥
ويعترف بأنه لا يعرف عن تلك البلاد
مساء سفره الا أنها شيء مجهول . فاذا
ما تحددت بعض قسّماته رآها في
« أدغال وأحراش وغابات كثيفة
مخيفة تتوطن فيها أخطر الأمراض
والأوبئة ، ويتوالب من خلالها أغصانها
مع الوحوش والطير قوم من بنى آدم
سود البشرة غلاظ الطباع والأكباد
كما صورهم لنا المستعمرون » .

وقد يكون بعض هذا الكلام معقولا
لو كان المؤلف مسافرا الى ماتحت خط
الاستواء من أفريقية ، ولكنه كان
يقصد هذا الجزء الذي كان يسمى
بالصومال الايطالي ويحده الصومال
البريطاني ، وأثيوبيا ، وكنيا ، وخليج
عدن ، والمحيط الهندي ، والذي قرأنا
في تاريخنا أنه ارتبط بمصر القديمة
كل الارتباط . حتى لقد كان المواطن
المصري البسيط تتردد على شفاهه
دائما في دعائه كلمة « اجعل لي صومالا
في بيتي ! » فقد كان يجمع بينهما
العنصر الحامي ، ودلت الحفائر على
أن هناك تشابها بين البلدين في كثير
من مظاهر الحياة ومراسيم الموت .
كما سجلت النقوش أنه كانت بين
البلدين هجرات متتابة ، وأن من
أشهر الصوماليين في بلاط ابن الملك
خوفو صومالي اسمه « هرتيزي » .
كما سجلت الكثير من الرحلات



من الكتب التي ظهرت حديثا في
المكتبة العربية كتاب « أضواء على
الصومال » للأستاذ « عبد الصبور
مرزوق » الذي عاش فترة من الزمن
في هذه البلاد . وانها لظاهرة طيبة تلك
الظاهرة التي نراها في شبابنا في هذه
الأيام . فهم لا يقصرون أنفسهم على
بلادهم ، وانما يعملون على السعى الى
بلاد كثيرة من أفريقية . فاذا ما تغلغلوا
في أعماق هذه القارة العظيمة وجدناهم
لا ينحسرون عن التيارات هناك ،
وانما يشساركون بحب ، وفهم في
الأحداث الدائرة . فاذا ما عادوا اليها
وجدنا فيهم عمق التجربة ، وصدق
الاحساس ثم وجدنا - وهذا هو
الأهم - شيئا نقرأه ، ويربطنا بهذه
البلاد ، وبقبس موجة الثقافة العربية
وحودها التي تمتد أكثر من امتداد
حدودها السياسية !

والكتاب لا يسير على الطريقة
المنهجية في التأليف فهو لا يعطيك

ظل عاجزا عن قطع صلتنا الروحية
بالبلاذ التي ظهرت فيها العروبة ، ومن
هذه البلاذ « صوماليا » .

ومهما يكن من شىء فالمؤلف يقدم
لنا قطاعا من الطبيعة ويذكر لنا أنه
وصل مع مقديشيو فوجد أناسا
يستقبلونه بالبشر والترحاب ، وليسوا
غلاظ الطبع والاكباد ولا وحوشا
فى هيئة الانسان ، وفى الوقت الذى
كانت البعثة تتغلغل فيه داخل البلاذ
وجد شريط أخضر يمتد فى أناقة
وخصوبة على يمين السائر . وكان لابد
لهم أن يدركوا أن هذا العالم الأخضر
الخصيب يمتلكه الدخلاء . أما هذا
الجانب الآخر المجذب فلم يكونوا فى
حاجة الى أنه يعرفوا أنه ملك المواطنين .
ويتذكر المؤلف وهو على طريق

((أفجوى)) بلاده . فقد وجد فى هذا
القطاع خصبا ونماء ، وما كان له أن
يبعد صورة بلاده عن خاطره . فكل
شىء هناك يحمله حملا على عملية
التذكر هذه . فأشجار « جوز الهند »
تظهر الكبرياء التى يظهرها النخيل
على النيل ، والأيدى المتشجعة على
الفأس هناك كأنها صورة أخرى
« للقطعة » خالدة للكادحين فى حقول
مصر . وتلك النسمات الرخية التى
تتسرب أمام الفلاحين فى العودة الى
قراهم هى نفس النسمات الوديعه التى
تهفّف على وجوه الفلاحين وهم
عائدون الى قرية مصرية منطوية على
نفسها ، وعلى تاريخها ، وعلى غدها !
ولكن كل هذا العالم المبكر يوجد
الى جواره عالم آخر لا يحمل طابع البلاذ ،
ولا واقعها المعاصر : فهناك الآلات
الميكانيكية التى تحول مجرى المياه فى

البحرية المصرية اليها . ولقد ظل
أثر هذه الرحلات الى الآن فى التأثير
اللغوى الذى اكتسبته اللغة الصومالية
من اللغة المصرية القديمة ، وفى القصص
الشعبى الذى ظل يدور هناك ومنها
قصة البحار الغريق (١) ، وفى كثير من
اشكال الصناعات المحلية .

ولا يقف الأمر عند هذا الحد وانما
يتعداه الى كثير من العصور ، فاذا
ما كان العصر العربى قرأنا الكثير عن
هذه البلاذ فى كتب المؤرخين العرب ،
وأحسب أن المؤلف يعرف الكثير منها ،
وقد ظللنا على صلة روحية بهذه البلاذ
عامة حتى لقد عرف جزء منها منذ
عهد قريب حكما مصرية فى منتهى
العدالة . فلما اشتد فى هذه المنطقة
الصراع العالمى ، وبدأت خطوات فرنسا
وانجلترا تضغط على صدر هذه
المنطقة ، ورأت انجلترا أن تقوم بعملية
تفريقها من القوى المصرية ثار الواعون
هناك ، وتمسكوا بالحكم المصرى !

والانسان هنا فى القاهرة ومنذ
عهد بعيد لا يعدم أى يرى وجهها
صوماليا فيه كثير من القسمات المصرية
والعربية ، فهم ليسوا على حد قول
المؤلف **((سود البشرة غلاظ الطباع
والاكباد))** .

والذى أريد أن أخلص اليه أن
الدعوى بأن هذه البلاذ مجهولة للمواطن
العربى ليست سليمة ، فالتلاميذ
يعرفون هذه الصلة ، والمثقفون يعرفون
أن التراث العربى زاخر بالحديث عن
كل أفريقية الشرقية ، وزيادة على
هذا فإن فى السوق كثيرا من الكتب
تعرف بهذه البلاذ . واذا كان
الاستعمار قد وقف بيننا وبين أعماق
القارة ، وبين أفريقية الغربية فانه

(١) مجلة نهضة أفريقية العدد ٢١ ص ٨٤ .

نهم الى اراضى الغرباء ، فاذا رفعت
بصرك قليلا عن هذه الآلات وجدت
قصورا صغيرة تعيش فى مساحات كبيرة
من الحدائق . فاذا رفعت نظرك أكثر
وجدت كنيسة ضخمة تحمل طابعها
غريبا عن الطابع المميز للبلاد !

والمؤلف ينقلنا الى عدة قرى فى
خفة ورشاقة حتى يصل بنا الى قرية
حبيبة هناك تسمى ((مصر)) فيقدم
لنا منها شخصية « العريف » فى كتابه
ومن حوله التلاميذ ، وكيف كانت
تحياتهم ممثلة فى اللبن المحفوظ فى
قشور « جوز الهند » ، وكيف أن
هؤلاء التلاميذ مع صغر سنهم يتقنون
ترتيل القرآن ، ويستطيعون كتابة
العربية بالخط النسخى الجميل . ثم
يذكرنا المؤلف بأن فى صوماليا ثلاثة
أماكن واحد منها باسم « مصر » . كما
أنك تجد بها أسماء « المنصورة » ،
و « بيلا » و « الاسكندرية » وكم
كنت أحب أن يحقق المؤلف هذه
الأسماء ، ودوافع التسمية بها وأزميتها
والظروف الاجتماعية حولها ، ولكنه
يجذب القارئ جذبا ليطوف به
فى البلاد التى اجتازها دون أن يذكر
أن من الطبيعى أن يسأل القارئ وهو
يجذبه أن من حقه أن يطالبه بتعميق
الرحلة ، وأن يقدم له فلسفتها .
لا خطوات تظل تضرب ، وتضرب فى
صوت رتيب أجوف !

بالرغم من أن المؤلف يقدم لنا عدة
« تابلوهات » رائعة عن الفصـون
المتشابكة ، والطـيور المشـقشقة ،
« الحشرات البناءة » ، والرعاة الذين
يستظلون بشعرهم الكثيف ، وبالرغم
من أنه يقول انه قدم قطاعا « عرضيا »

عن الطبيعة الصومالية . الا أننا نراه قد
قدم لنا قطاعا « طوليا » . أما ما كان
ينقصه فهو القطاع العرضى .. قطاع
العمق ..

.. ثم يقص علينا المؤلف رحلته
لزيرة مركز التربية الأساسية الذى
أنشأته الأمم المتحدة فى « دنسور » ،
ومقابلته لدكتور « باريرا » المشرف
على هذه المنظمة هناك والذى تعيش
معه زوجته الطاعنة فى السن ، تاركين
ولدهما الوحيد فى وطنهما « المكسيك »
وبالرغم هذا فقد أقاما مدة ثلاث
سنوات كونا فيها علاقات طيبة مع
الأهالى ، وبذلا فيها مجهودا رائعا
لخدمة الصوماليين ، ولكن الحقيقة
ترينا أن هذه الاصلاحات مهما كانت
صادقة الا أنها سطحية لا تصل الى
الجذور . فالمشكلة هناك أعماق من
هذا التناول القشرى الذى تقوم به
هذه المنظمة هناك .

خاصة وأن المنظمة بانتماها الى
الأمم المتحدة لا تقتصر عن تفعله
شركات التنقيب عن البترول بها .
فوحداؤها مزودة بوحدات صحية
ممتازة ، وبأحدث الطرق العلمية ، بل
بطائرات على أهبة السفر بالحالات التى
يستعصى علاجها على هذه الوحدات
هناك !

والتعاون الذى تقدمه « الأمم
المتحدة » هناك فى الزراعة لا يزيد
عما تقدمه من الناحية الصحية .
خاصة وأن الاستعماريين قد أدخلوا
فى أذهانهم أن المشكلة فى بلادهم
مشكلة وجود المياه . وقد كان دور
الأمم المتحدة هناك هو اقامة حقول
تجريبية تضم بعض الخزانات بحيث

تتجمع فيها المياه بانتظام لاستخدامها بعد ذلك في كافة الوجوه هناك ، ولكن اتساع هذه الخزانات لا يزيد عن أربعة عشر مترا ، ولا يزيد عمقها عن أربعة أمتار ، كما أنها تقام في أماكن معرضة للشمس المحرقة مهما يعرضها لعملية تبخير مستمرة ، وزيادة على كل هذا فإن هذه الخزانات ليست سوى حفر بدائية غير مبطنة بمادة تمسك تسرب الماء منها ، ومن هنا فهي لا تستمر في البقاء أكثر من خمسة عشر أو سبعة عشر يوما بعد انتهاء موسم المطر . والكلام بهذه الصورة يقدم البلاد في صورة لا تعرف المياه الجارية ، ولكن المعروف أن بهذه البلاد نهريْن من الأنهار الطويلة في العالم يخترقان هذه البلاد من الشمال إلى الجنوب ، ويفيضان مزتين كل عام لا مرة واحدة . بل إن الماء بعد عمليات الحفر لا يبعد عن سطح الأرض بأكثر من خمسين قدما . بل قد يتفجر الماء ذاتيا كما في بعض المناطق المرتفعة .

والمؤلف يقدم اقتراحا عمليا لهذه المشكلة التي تقف في طريق تقدم البلاد ، وزدها زراعي :

أولا : تنظيم خريطة شبكية لتوزيع مياه النهرين العظيمين حتى ترتوى بها أكبر مساحة ممكنة من الأرض ، وذلك عن طريق إقامة السدود ، والقناطر اللازمة بدلا من أن تضيع هذه الثروة المائية في جوف الأرض الساخنة ، ويمضي باقيها إلى المحيط الضامى الذي لا يرتوى .

ثانيا : ينبغي توفير العناية الفنية اللازمة لصيانة وتعميق مجرى النهرين

حتى يكونا أكثر استعدادا لتحمل واجتذاب كميات أكثر من مياه الفيضان فمن الملاحظ أنهما يسيران حتى اليوم في المجرى الذي رسماه لنفسيهما بيد الطبيعة منذ يومهما الأول لم تمسهما يد إنسان ولم تحاول أن تهذه على الرغم من أن عمر الاستعمار في صوماليا قد جاوز الستين .

ثالثا : في المناطق التي يتعذر تحويل مجرى المياه إليها لأي سبب يمكن القيام بمحاولات جديدة لاستخراج المياه الجوفية الوفيرة والقريبة من السطح . كما أنه في حالة التفكير في مياه الأمطار فلا بد من إقامة الخزانات الضخمة بالطرق الحديثة التي تجعلها تؤدي الغرض منها فعلا .

هذا هو الحل الذي يقدمه المؤلف ، وما أحسب أحدا يقوم به إلا أبناء البلاد أنفسهم حينما تتاح لهم الفرص - وقد حانت / فخلاصهم سيكون في نهاية عام ١٩٥٩ - لحكم بلادهم . والتفكير في استثمار كل قطعة منها ، واحتشاد القوى لبعث كل مرافق البلاد هناك .

والذي نريد أن نخلص إليه هناك أن هذه المؤسسات الدولية التي تخدم في أكثر من مكان من أفريقية لا تقدم حولا جذرية ، وإنما تتوخى علاج بعض الحالات الفردية التي يمكن أن تكون مادة للدعاية خارج البلاد . ومع أنها مشكورة إلى حد ما إلا أن الحل الدائم لكل المشكلات القائمة لن يكون من خارج البلاد ، كما أنه لن يكون إلا بأيدي الأفريقيين ، وعقولهم !

ولعل الخطورة التي تأتي من

هؤلاء الخبراء أنهم لا يعملون بوحى من انسانيتهن فى كثير من أمورهن ، وإنما بوحى من معتقداتهن الدينية والسياسية ، ومن هنا نرى بعضهم ينحرف عن الطريق الاصلاحى المرسوم له الى طريق آخر ، وربما يكون اقرب طرق الانحراف بالنسبة لهؤلاء الخبراء هو « التبشير » .

وهكذا نرى المؤلف يلمس الأشياء مسا سريعا ، ويمضى بنا فى عجلة ليقدّم لنا قطاعات سريعة هناك ، والذي يظهر أن المؤلف « لم يسر فى أرض محايدة » وإنما اتخذ جانبا واحدا هو الاشارة بالشعب الصومالى ، والضغط على الاستعمار ، والتشهير به ، وهذا الحماس لا يفيد الحقيقة فى كثير . فنحن نعرفه أن بعض « المشايخ » هناك قد انزلوا ببلادهم من المحن مالم ينزلها بهم كثير من هؤلاء الخبراء . فهم الذين كانوا يسارعون الى بيع قطاعات كبيرة من بلادهم للأجانب ، وكانوا يقفون الى جانب من يقدم لهم بعض المعونات التى لا تهم الشعب فى شيء وإنما تهمهم هم شخصا . فبعضهم قد وقف بحمق وصلابة الى جانب فرنسا ، والبعض الآخر قد وقف بجوار انجلترا ، وأبدى استعدادة لمحاربة فرنسا من أجلها وعلى حد قول الدكتور جلال يحيى « أعطوا السفن البريطانية الحق فى مصادرة الرقيق سواء فى البحر أو على البر ، واستخدام القوة لذلك ان لزم الأمر وقبلوا أن يعاملوا الممثلين والهندوبين الذين ستعينهم الحكومة البريطانية بكل اعتبار ، وسمحوا لهم بالاحتفاظ « بحرس شخصى » .

بل نرى البعض من هؤلاء قد وقف بجوار الايطاليين أيضا ، ومن هنا نرى كثيرا من الحقائق يضيع خلال حماس المؤلف للخطوط الذى رسمها فى ذهنه . وأنا أحب أن أؤكد هنا أن الكشف عن القوى الأجنبية لا يقل فى أثره عن الكشف عن القوى الرجعية فى البلاد فهم الذين يقيمون الجسور بأيديهم ليمر عليها هؤلاء الدخلاء . ومن المؤكد أنه قد ارتكبت أخطاء جسيمة فى حقوق البلاد التى قرط فيها الكثيرون من ساداتها .

ومما نراه من تحامل المؤلف وتحمسه أنه حينما قابل الخير المكسيكى هناك وجهه اليه شيئا من اللوم لأنه لا يعرف العربية أو الصومالية ، ولو كان يعرف واحدة منهما أو كلاهما لاستطاع نقل أفكاره « بصورة مباشرة تكون نتائجها أسهل وأسرع وأشد تأثيرا على الوجدان » فلما عرف أخيرا منه أنه يتعلم منذ عام الصومالية والعربية وأنه موفق فى هذه الدراسة بدأ المؤلف يداخله الشك فى عملية التعليم هذه .

ثم يقدم لنا المؤلف صورة عن « مقديشو » ، ولا أدري لماذا كتبها هكذا بينما نراها فى الكتب العربية الأخرى « مقديشيو » فهو يقدم لنا فيه صورة شعرية عن تأثير المحيط فى هذه العاصمة للصومال ولا أدري كذلك لماذا يسمى البلاد الصومال . بينما اصطلح العلماء على تسمية هذا القسم الذى عاش فيه والذي خضع لتأثير النفوذ الايطالى « صوماليا » . فهو يذكر أن المناخ معتدل فى هذه المنطقة طول العام ، وأن مستوى درجة

الحرارة. هناك لا يزيد على الثلاثين ،
وأنه لا فرق بين العاصمة وأيه مدينة
ساحلية في مصر وأن أثر المحيط لا يقف
عند حد تلطيف المناخ ، وعند وجود
ثروة مائية ضخمة ، وإنما يتعداهما إلى
أثره. « المينائي » هناك . فوجود البلاد
على الشاطئ هناك جعلها في مركز هام
بين جنوب شرق إفريقيا ، وبين أوروبا
وآسيا . ثم إن رمال الشاطئ هناك
تستخدم استخداما بنائيا في نظام
الاسكان . ومع أن وجود هذا الميناء
كان يمكن بواسطته أن يدر على
البلاد خيرا كثيرا إلا أن أغلب البضائع
التي ترد إلى هذا الميناء بضائع
« ايطالية » وعليها ما يشبه الاعفاء
الجمركي .

والى جانب أثر المحيط الاقتصادي
في البلاد ، نرى أن بعض الجوانب
الاقتصادية الأخرى التي تشكل منها
اقتصاديات البلاد تتمثل في قطع
الأخشاب من الغابات ثم تحويلها إلى
« فحم نباتي » يصدر الفائض منه
إلى عدن ، وممباسة ، ومنطقة
الخليج الفارسي - وقد كنت أحب
أن يسميه المؤلف الخليج العربي -
على أن مدى الاستفادة من هذا
النوع من الحياة الاقتصادية لا يتعدى
العملية الآلية التي يقوم بها السكان
حينما يقطعون الأشجار ، أو ينقلونها
إلى حيث تحرق ، ثم نقلها ثانية إلى
حيث تصدر . فإذا ما أضفنا إلى
هذا أن امتياز قطع الأشجار تمنحه
الحكومة للشركات بدون مقابل
لاحظنا أية ضربة يعاني منها الاقتصاد
الوطني هناك ، وكيف توضع القوانين
عن عمد لتدميره !

أما التجارة فتكاد تكون مركزة
تماما في أيدي الإيطاليين . فهم يديرون
الفنادق ، والمقاهي ، ودور السينما ،
والمحال العامة ، ويحتكرون استيراد
سلع معينة تدر عليهم أرباحا طائلة
خاصة وأنهم شبه معفون من
الضرائب الجمركية .

هذا إلى جانب الاستثمارات
اليهودية ، والباكستانية ، والهندية ،
أما الدور الذي يقوم به العرب ،
والصوماليون هناك فيأتي بعد هذه
الطبقات . فهم يعتمدون أساسا على
القوى الشعبية في البلاد !

والصناعة تخضع كذلك للنظام
الذي قدمناه من قبل ، فرعوس
الأموال الضخمة في أيدي الأجانب ،
ودور الصوماليين هناك في المصانع
التي تقوم بحفظ اللحوم ، وصناعة
الصابون ، والمنتجات الزراعية ،
وصيانة السيارات ، وصناعة السكر ،
واستخراج الزيوت ، وحفظ الأسماك .
دور الصوماليين في كل هذا هو دور
« المجهود العضلي » الذي لا يتعدى
الحمل ، والقيام بالأعمال التي لا تمت
إلى فنية العمل بصفة .

والمؤلف يذكر لنا مدينة الاسماعيلية
أقرب المدن المصرية في تخطيطها العام
إلى العاصمة هناك ، وإن أكثر من
تسعين في المائة من هذه المباني مملوكة
للإيطاليين والباكستانيين والهنود ،
وقلة من العنصر العربي . أما الصوماليون
فلم يبدأوا في الاهتمام بهذه الناحية
إلا مؤخرا ، والعاصمة تتركز فيها كل
مرافق الحكومة بسلطاتها المختلفة ،
وكل مشروعاتها التي تكاد تكون حكما
في أيدي الإيطاليين .

أما الأهالي فيقيمون هناك في حى منعزل في بيوت من الخشب والطين . ثم يطوف بنا المؤلف في جولة حول المجتمع الصومالى فينقل بعض العبارات عن « ابن بطوطة » ويجيء بعض هذا النقل محرفا ، ثم يذكر أن مقديشيو أهلة بالسكان ، وأن أهلها يمتلكون الكثير من الجمال حتى لينحرون منها كل يوم مائتين . كما أنها تفص بالتجار الأقوياء ، ويصنع فيها نسيج رائع يسمى باسمها ، وأنه يصدر الى مصر ، وأن الشبان كانوا يقبلون على المرسى ومعهم الطعام فيتقدم كل واحد منهم الى تاجر وفى يده الطعام وهو يقول « هذا نزلى » .

وأن « ابن بطوطة » حين قدم مع القادمين صاحوا أنه فقيه وليس من التجار ، وعلى هذا فهو نزيل القاضى وأن القاضى واسمه ابن برهان المصرى الأصل سرعان ما علم ، وإذا به سريع بين طلبته الى حيث كان يقف « ابن بطوطة » ، ويسلم عليه القاضى ويذكر له أن على الرجل الشريف والفقيه ، أن يتوجه من فوره الى دار « السلطان » ، وأنهم ما كادوا يصلون الى هناك حتى قدمت للجميع أطباق تضم أوراق « التنبول » و « الفوفل » وعطروا بماء الورد ، وأمر أن ينزل « ابن بطوطة » بدار الطلبة مكرما ، وأن تقدم له كسوة تليق به ، ثم كيف قابل السلطان ولقى ترحيبا بالغاً من الجميع ، و « ابن بطوطة » يصف الكثير من ألوان حياتهم فيصف طعامهم ولباسهم ، وطريقة سلامهم ، ومظاهر استقبالهم ، ووداعهم .

ثم ينتقل المؤلف الى أن المجتمع

هناك كان مكونا من عدة قبائل ، وأن أول سلطان طور سلطة القبيلة كان السلطان « أبو بكر فخر الدين » ثم يذكر لنا الصورة التى عرف بها هذا السلطان فى الخيال الشعبى ، وأنه قد تبرع لفقرين بمائة درهم بينما هو لا يملكها ، ولكن امرأته تعطيه اياها . فاذا ما وفى هذا النذر ترك ثيابه لعبده ليفسها ، وينشرها فوق الجبل ، وبينما هو يسأل عن بعض العنبر يذكر له عبده أن الجبل الذى نشر عليه ملابس له قد تحول حتى صار « جبلا من عنبر » هذه هى الصورة التى قدمها المؤلف عن أول سلطان فى البلاد ، ومع أنها تحمل كثيرا من الخصائص النفسية والاجتماعية لهذا الشعب الا أنا نسأله : أما كان له أن يرسم لنا الصورة الحقيقية لهذا السلطان الذى يعتبر أول من وحد بلاده ؟

ثم يؤكد لنا المؤلف مافى هذا الشعب من ديمقراطية ، وأنهم لا يعانون من العقد والأزمات تجاه صاحب السلطان ، وينتهى الى أن السبب البعيد لهذا المظهر الديمقراطى يرجع الى عدم وجود طبقات اقتصادية لأنه لا يوجد اقتصاد منظم يعمل على خلق هذه الطبقات ، ويعمل على التنازع بينها . ويرى أن القبلية من أسباب هذا أيضا ، وأن هذه الديمقراطية لا تزال موجودة الى اليوم بين وجوه القوم ، وصعاليكهم ، وهذه قضايا لا يمكن التسليم بها . فنظام الطبقات يوجد على أشده فى مثل هذه المجتمعات ، والاقتصاد المنظم لا يعمل على خلق الطبقات بقدر ما يقرب بينها وأما أن القبلية تعمل على خلق

الديمقراطية فشئ ظاهري فقط لانه توجد بين القبيلة والأخرى ، وبين القبيلة وأفرادها عدة مستويات ناشئة تظهر في التكوين الاجتماعي وهذا شئ مقرر ومعترف به في علم الاجتماع !

ولعل من الغريب حقا أن يصور لنا المؤلف أن عدم الانفصال بين الشعب الصومالي يرجع الى تلك النصيحة الساذجة التي قصها أحد المعمرين التي تقول ((لا تضرب أخاك فأخوك لك)) ، وأن العمل بهذه النصيحة قد أصبح جزءا من سلوك الشعب الطبيعي . فالمؤلف هنا يقدم لنا الظواهر السلوكية في ضوء نصيحة لشيخ معمر ، دون أن يكلف نفسه عناء ارجاعها الى ظواهر نفسية ، واجتماعية . مركبة في نفسية الشعب هناك .

وقد سر المؤلف حقا - وهذا ظاهر في الكتاب - بالنصوص التي قدمها « ابن بطوطة » فهو يرددها في أكثر من مكان ، ويربط بينها وبين مظاهر الحياة هناك . فحين يتكلم عن المرأة لا ينسى ما قاله « ابن بطوطة » ، وحين يتكلم عن الملابس لا ينسى ما قاله « ابن بطوطة » وحين يتكلم عن ديمقراطية الشعب لا ينسى ما قاله « ابن بطوطة » ولا أدري لماذا وقف عنده فقط ، ولم يتعرض لغيره من المؤرخين العرب الذين تحدثوا عن شرق افريقية بما فيها الصومال . ان كان معجبا حقا بربط آراء المتقدمين بالواقع الموجود هناك ! .

وهو لا ينسى في الوقت نفسه أن يرجع كل الملاحظات التي توجد في المجتمع هناك الى الاستعمار فوجود

الساقطات ، والعبث بالمعتقدات ، والقيم الشريفة .. الخ يرجع جميعه الى الاستعمار ، ورأى أن التأليف بهذه الروح الحماسية يضر أكثر مما ينفع . فقد يكون الاستعمار أحد الأسباب القوية التي تعمل على تدمير روح الشعب ولكن لابد من الكشف عن القوى التي تسانده في الشعب ، والى عوامل الضعف في البناء الأساسي في الدولة ، والى الاعتراف بأن بعض أسباب التخلف يرجع الى الشعب نفسه في نظمه وعلاقاته ، وطريقة استقباله للحياة . بدليل أن هناك شعوبا لم يدخلها الاستعمار ومع ذلك تعيش في انعزالية بعيدة عن الحياة . ولعل ارجاع كل الملاحظات الى الاستعمار يسئ الى الشعب نفسه أكثر مما تفيده عملية التبرير هذه . والا فآين صموده ؟ وصلابة حضارته في وجه هذا الدخيل ؟ وكيف يمكن له « المشايخ » أنفسهم من دخول البلاد ؟ .

ثم يقدم لنا المؤلف صورة من عادات هذا الشعب وتقاليده كاحتفالهم ببداية العام الاسلامي ، ومولد الرسول على نحو ما يحتفل به في مصر . والتقرب بذبح الغنم لوقف الريح . ثم يرددون ((استغفروا ربكم انه كان غفارا ، يرسل السماء عليهم مدرارا)) ، وأن السبب في هذا أن رجلا كان يدعو الله اجتلاب المطر فانشق البحر أمامه ، وخرج منه ولي يسمى « عويس القرنى » ويلاحظ أن اسمه « أويس » لا « عويس » ثم قال له « كيف تطلبون الرحمة وأنتم العصاة ؟ » وقرأ الآية السابقة ! ولا أدري لماذا يستند المؤلف دائما الى هذه القصص حين الحديث عن القضايا الجادة .

ثم ذكر ان من أهم الأعياد ذات الطابع الاجتماعي هناك «عيد فرعون». ثم يقول لعل فكرة التضحية واسالة الدم قد تسربت الى أعياد الصوماليين من نفس السنة الاسلامية المألوفة في الأضحى ، واعتبار اسالة الدماء نوعا من قربان الى الله ، ونحن نميل الى أن هذه الفكرة مأخوذة من التقاليد القديمة قبل أن يدخل الاسلام اليهم، خاصة وأن هذا اللون من التقرب قد عرف في كل العالم وفي افريقية بنوع خاص قبل ظهور الاسلام ! والمؤلف يؤكد لنا حب هذا الشعب للعلم ، وأنه حتى عام ١٩٣٠ لم يكن هناك تعليم منظم الا بعد الحرب العالمية الثانية ، وأن هناك لونا من التعليم أحدهما التعليم الذي تشرف عليه الدولة ، والثاني التعليم الذي يقوم به الوطنيون. ثم يذكر لنا أن الاسلام قد وفد الى هذه البلاد مبكرا ، ومدفوعا بالرجال الذين أبعدتهم السياسة . أو التجارة عن بلادهم . ثم نراه يكشف عن مساوىء الرجل الأبيض ويورد ما أورده الدكتور محمد عوض محمد عن رأى «مونتسكيو» في تحقير الرجل الأسود، وقد ذكرنى هذا النقل برأى آخر يقول ان هذا الرأى مدسوس على هذا المفكر في لغته الأولى وأن كتاب «روح القوانين» برىء من هذا الرأى .

ثم لم يؤكد المؤلف أن الصوماليين متدينون . شديدو الحساسية بكل ما يتصل بالدين وأن نظام الطرق الصوفية هناك عتيده ، وأن الدعوة «البهائية» قد أخذت طريقها الى هناك وأخذت ترمى بشبهات في وجه العقيدة

الاسلامية ، كما أن البشرين يقومون بمحاولات يائسة في تثبيت عقائدهم، وأنهم يستترون وراء مساعدة المحتاجين ، وقد نالت هذه البلاد حظا وافرا من اهتمام مصر . فقد أنشأ المؤتمر الاسلامى مركزا ثقافيا هناك ، وما يزال يعد العدة للقيام بعدة مشروعات اسلامية هامة هناك . خاصة وأن الصوماليين يعتبرون مصر قبلة العالم الاسلامى ، ويعقدون عليها الكثير من الآمال .

والمؤلف يذهب بعيدا - ويعترف في الوقت نفسه بأن مصادر التحقيق تعوزه حين يتحدث عن طبيعة الجنس الصومالى فيأتى برأى غريب حقا حين يقول « واذا صح تقديرى فهم فصيلة من فصائل الجنس البشرى لها خصائصها ، ولا تصح نسبتها الى العرب وحدهم ولا الى البانتو وحدهم ولا الى الجالة وحدهم فلقد أخذوا من دماء هذه الأجناس جميعا ، وان كان الدم العربى أكثرها وأطولها وأعمقها في حياتهم تأثيرا » **والحقيقة العلمية التى يجب أن تقال في هذا المجال أن الصوماليين ينتمون الى الأصل « الحامى » الذى قدم من آسيا ، وتوغل في افريقية عن طريق « باب المندب » ثم انتشر قسم منه في القرن الافريقى من رأس جردفوى حتى قسمايو . ومن هذا القسم يتشكل العنصر الصومالى ، وأن كانت قد دخلت فيه بعض الدماء العربية ، والزنجية ! .**

ثم يكشف لنا المؤلف عن الدور الذى قامت به « البرتغال » في البلاد . ثم دور الحماية الإيطالية الذى بدأ

بإستغلال « المشايخ » والاتفاق معهم على بيع الأراضى ، وتمكين النفوذ للإيطاليين ، وها هو نص الاتفاق مع سلطان المنطقة « أقول أنا سلطان المجرنين جميعا . أنى طرحت ، ووضعت وجهى وصحيحى (توقيعى) بيدى فى هذه الورقة على أنى بذلت بلدى وملكى من رأس عون أنى رأس الخيل .. تحت حكم دولة الايطالية الفخيمة السلطان المعظم امبرتو بريمو (الأول) على يد وكلائهما (كذا) القنصل فيلوناردى قنصل زنجبار والكوماندا تو آموريت قبطان المنورايدو، والكوماندا تو برشيلى قبطان المدرستافيتا ، وأخذت منهم بندية (علم) الدولة المذكورة لأنشرها فى تلك الناحية المذكورة رأس الخيل .

فكل من جاءنى من الدول الثانية الأفرنج أو غيرهم أو العرب فلا أعطيهم منى جواب ، ولا مكانة ، وكل ضرر يحصل على دولة الايطالية وجماعته فعلى أن أقوم فيه بجهودى . كتبت هذه الورقة برضى منى مختار على نفسى وعلى كل من يكون لى من أخوانى وجماعتى وذريتى من بعدى باقرار منى وأنا بكامل عقلى وصحة بدنى والسلام » .

ولم يقف الأمر عند هذا السلطان، وإنما ظهر سلطان آخر فى ١١ من ابريل ١٨٩١ يضع فيه شخصه ، ورعاياه تحت حماية ايطاليا ، ويتعهد بحماية بنديرتها ، ثم تواترت الاعترافات من السلاطين الجونة ، ولعل آخر هذه الاعتراف ما جاء فى هذه الرسالة من أحد السلاطين للإيطالى « فيلوناردى » فقد كتب يقول

« أرسل لى بنديرتك بتعجيل والسريع لاتهون كلامى .. الله الله . يكون بندية ويسلم بيد الشيخ محمد بن هارون لا تأخر الله الله والسلام ! » . وكانت نتيجة كل هذا اعلان الحماية

الايطالية فى ١/٧/١٨٩٦ . وقد ظهر الشعور الوطنى عدة مرات ممثلا فى « الملا بن عبد الله حسن » الذى أعلن الجهاد المقدس ، والمؤلف يتحدث عنه فى حماس خطابى دون أن يذكر لنا شيئا عن « مهديته » وكيف كانت المهديّة فى هذه الفترة رد فعل فى العالم الاسلامى وخاصة الافريقى منه دعوة للخلاص من الأجانب ، والرجوع الى الاسلام ، ودون أن يربط دعوته بالدعوات المشابهة له والتي كانت قريبة منه زمانيا ومكانيا كدعوة محمد احمد المهدي فى السودان وابن حميد فى الكنفو ، ورايح فى تشاد ، وعرابى فى مصر .

.. ثم يقدم لنا المؤلف صورة عن الدعوات الجديدة فى البلاد للتحرر ، وكيف وضعت البلاد تحت الوصاية الدولية ، وكيف أنه سينال حريته عام ١٩٦٠ .

ثم يسلمنا أخيرا الى ضربة الخنجر التى أودت بحياة « كمال الدين صلاح » فنراه يتحدث فى عدة عبارات انشائية يصف فيها الجو الذى كان مشرقا، والطريق الذى كان يفض بالناس . ثم يقول « وراح كمال الدين صلاح » وهكذا ينهى حديثه عنه فى كلمة جامدة دون أن يوضح دور الرجل الذى قام به ، وكيف كان يجاهد وحده عدة دول هناك ومن خلفهم كثيرين من الرجعيين فى البلاد . ثم كيف كسب

هو الذى خسر . . خسر الحقيقة العلمية !! وخسر كلمة الحق التى يجب أن تقال !! .

مهما يكن من شئ ففى الكتاب حماس شاب محب لبلاده ، ولعروبتة ، ولهذا الوطن الصومالى فى افريقية ، كما أن للكاتب قدرة فائقة فى السيطرة على قلمه لولا ما يتخلل عرضه من عبارات خطابية تبعده عن العرض العلمى المثمر ، فموهبة المؤلف كخطيب - وقد نال جائزة الدولة فيها عام ١٩٤٨ - تسيطر على كل ما جاء فى مؤلفه . فصوته مرتفع دائما من خلال السطور ، وهكذا نرى المؤلف يقدم عرضا طويلا لفترة زمنية قضاها هناك . فكتابه يذكرنا برحلة « ابن بطوطة » ولعل هذا سر اعجاب الكاتب به . وانها لظاهرة طيبة أن تعود بعثاتنا العلمية من افريقية وفى قلبها شئ نقوله .

عدة انتصارات مشرفة لمصر وللانسانية وللصوماليين هناك . وكيف ترك أهله ، وأهمل صحته ، وتوغل فى قلب البلاد ليقف على حياة الصوماليين . بل ان المركز الثقافى نفسه ، وارسال البعثات من الأزهر ، ووزارة التربية ، وغيرهما كان ثمرة كفاح هذا الرجل . هل ترى المؤلف هنا تعمد اغفال دور **كمال الدين صلاح** فى هذه البلاد ؟ ان الحقيقة فى الكتاب تؤكد هذا .

واذا كان قد انتهى فى ذهن المؤلف عند عبارته « وراح كمال الدين صلاح » فانه يعيش فى وجدان الانسانية وانى أستطيع أن أؤكد أن أى كتاب يتعرض للكفاح الصومالى ثم يغفل دور هذا البطل - لأمر ما - هو كتاب لا يتفق مع الحقيقة فى شئ . فكمال الدين صلاح لم يخسر شيئا باهمال دوره الانسانى فى هذا الكتاب ، ولكن الكتاب



الشركات التجارية وإنشائها في استعمار أفريقية

بقلم الدكتور زاهر رياض

تلك التي قامت بعد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وخاصة بعد اتفاق برلين الذي يعطى جميع الدول حق النزول فيما تشاء من أجزاء أفريقية بشرط اعلان هذا النزول الى بقية الدول ، ثم العمل على تثبيت حقها في المنطقة التي تعلنها ، فقامت في الاملاك البريطانية (شركة شرق افريقية) ثم (شركة نياسالاند) ثم (شركة رودس البريطانية لجنوب افريقية) وكلها كانت تبغى نشر التجارة البريطانية ، وكذلك النفوذ البريطاني بالرغم مما كانت تعانيه بعض هذه الشركات من التضيق من الحكومة البريطانية . كما قامت في الاملاك البلجيكية (شركة الكونغو للتجارة والصناعة) في سنة ١٨٨٦ وأسسست سلسلة من المراكز مباشرة نشاطها ومنحت سلسلة أخرى من الامتيازات لبعض الشركات في افريقية الفرنسية الاستوائية في سنة ١٨٩٩ كما تأسست شركة موزمبيق وشركة موساميدس البرتغاليين وغيرهما من أجل العمل في الاملاك البرتغالية . وفي الاملاك الألمانية تأسست شركة شرق افريقية الألمانية للعمل في هذه المنطقة التي تسمى حاليا **تنجانيقا** ، كما عمل

كان البرتغاليون أول من نزل بساحل افريقية عند بدء حركة الاكتشافات الكبرى خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر . ومع ذلك لم يكونوا أول من أسس الشركات التجارية من أجل الاتجار مع الاهالي ، بل كانت المعاملات أشبه بصفقات حكومية . ومع ذلك لم يجنوا من ورائها أرباحا تذكر لكثرة نفقات الادارة والمنشآت الحكومية التي أقاموها . بل كان البريطانيون بالرغم من أنهم لم يشتركوا بأي مجهود في حركة الاكتشافات - هم الذين بدأوا هذه العمليات على أساس تجارى بحت . فحصلت الشركة الافريقية الملكية على مرسوم من الملك شارل الثاني يبيح لها حق الاتجار على طول ساحل افريقية الغربى ، بل حق احتكار التجارة في منطقة تبدأ من **مراكش** حتى **مستعمرة الرأس** . ولكن هذه المحاولات انتهت بالفشل . بسبب قيام عدة شركات أخرى تنافسها في المنطقة نفسها ، وكانت هذه الشركات أقوى منها لما أنشأته من الحصون والحراس المقيمين فيها . على أن أكثر الشركات أثرا في الاستعمار ، وأشدّها ارتباطا بعملياته

غيرها من الشركات الالمانية فى افريقية الجنوبية الغربية ، ومنطقتى **الكرون** الشمالية والجنوبية .

وكان من الطبيعى أن تختلف هذه الشركات فى قدراتها المالية ، والمسئوليات الملقاة على عاتقها ، وفى درجة كفايتها واستعدادها . ولذا لم تمض مدة طويلة حتى وجدت بعض هذه الشركات نفسها عاجزة عن السير فى عملها ، فاضطرت اما الى التوقف عن العمل كلية أو تأجيل نشاطها ، وكانت معظم الدوافع التى دفعت الى تأليف هذه الشركات اشاعات انتشرت فى أجزاء أوروبا كافة عن ثروات خرافية تكمن فى باطن افريقية ، مع عدم تقدير للصعوبات التى ربما اعترضت العمل . فكانت النتيجة ضياع كثير من رؤوس الاموال ، نتيجة لنقص الدراسة لمناطق الاستثمار . وقد بدأت بعض هذه الشركات بنجاح يبشر بأمل فى تقدم أعمالها ، ولكن سوء الاحوال الصحية ، وعدم ملائمة المناخ للاروبيين اضطرهم الى مبادلة ما جمع من مواد افريقية كالمطاط أو العاج بمواد أخرى أقل قيمة ، رغبة فى سرعة الرحيل عن هذه الاجزاء ، مخافة المرض الذى كان يتهدهم .

ولكن ازدياد الخبرة بأجزاء افريقية وبالصعوبات التى واجهتها من حيث المناخ والادارة ، أدى فى النهاية الى انتعاش العمل مرة أخرى ، وخاصة فى السنين الاولى من القرن العشرين . فالشركات التى توقفت عن العمل بدأت تسعى الى استعادة امتيازاتها وخاصة فى الاملاك البريطانية والبلجيكية والالمانية ، خصوصا وقد قرن هذا الطور من النشاط بمد

الخطوط الحديدية ، وأخذت الحكومات التى قامت هناك على عاتقها القيام بعبء العمل .

ويكاد تاريخ جميع الشركات على اختلاف جنسياتها وتاريخ انشائها يتشابه ، فهو يبدأ فى العادة بحصول الشركة على حق الاتجار فى منطقة من المناطق ، ثم بتأسيس المراكز التجارية ، ثم الأخذ فى عقد الاتفاقات التجارية مع زعماء القبائل من أجل الحصول على مواد التجارة ، ثم تبدأ فى العمل فيحتاج هذا العمل الى تكوين الادارة وحماية المراكز التجارية وخطوط مواصلاتها الى الداخل . ولا يلبث هذا العبء أن يبدو مجهدا لها ثقيلًا على أعبائها ، فتختل ادارتها فتبدأ بالشكوى الى الحكومة طالبة التدخل من أجل مساعدتها ومددها بالقروض ، أو بمشاركتها بنصيب فى الادارة ، حتى اذا ظهر عجزها واضحا باعت للحكومة حق الادارة لقاء مبلغ من المال ومن ثم يتحول النفوذ التجارى الى نفوذ سياسى ، يبدأ باقامة حاكم عام ، وبجانبه قنوة تساعد على استتباب الأمن وحفظ النفوذ ، وينتهى الأمر بالاستعمار السياسى ، وبقاء الشركة تعمل فى المجال الاقتصادى غير مستندة على نفوذ ما وربما انتهى الامر الى انسحابها نهائيا من الميدان ، وسنحاول الآن أن نعطي بعض التفصيلات عن هذه الشركات ، وتطور الأمور فيها . ولعل أولى هذه الشركات تأسيسا من أجل استغلال افريقية ، تلك التى أسسها الملك ليو بولد فى سنة ١٨٧٨ باسم **جمعية دراسة أعالي الكونغو** برأس مال قدره مليون فرنك اکتتب

فيها الملك بربع رأس المال لغرض (دراسة امكانيات الارتباط بعلاقات تجارية مع سكان الكونغو) وساند مجهودات هذه الجمعية جماعة من الرأسماليين الذين سرعان ما أصبحوا شركاء فيها ، وأصبح غرض هذه الجمعية ينحصر في الاتصال بأهالي حوض الكونغو وعقد الاتفاقات معهم من أجل الحصول على امتيازات لبناء الطرق وزراعة مساحات كبيرة من الأرض . وإذا ما نجح الملك في انتزاع اعتراف الدول بسيادته وسلطانه في مؤتمر برلين سنة ١٨٨٤ نظير منح حق حرية الاتجار في المنطقة التي يمتد إليها نفوذ الجمعية أخذ يغري الشركات التجارية البريطانية والفرنسية على المساهمة في الأعمال ، فيعطونها حق استثمار مناطق معينة ، وسرعان ما اختفت هذه الجمعية لتحيا من جديد باسم دولة الكونغو الحرة .

ولقيت هذه (الدولة) صعوبات مالية هائلة ، بسبب المصاريف الباهظة التي اضطرت إلى انفاقها دون أن يقابلها إلا إيراد ضئيل ، مما اضطر الحكومة البلجيكية إلى تقديم قروض متعددة إليها حتى سنة ١٩٠١ ، وأخيرا صدر مرسوم بتحويل هذه (الدولة) إلى مستعمرة بلجيكية في سنة ١٩٠٨ .

ولم يكن هذا المرسوم وهذا الضم إلا نتيجة للحملات الكثيرة التي بدأت تتوالى على الإدارة القديمة ، والتي بلغ من سوء إدارتها أن ارتفعت الاصوات في كل من بريطانيا والكونغو وبلجيكا تطلب التدخل العاجل من أجل وضع حد لما يجري هناك من فظائع . حتى لقد طلب مجلس العموم في بريطانيا

من حكومته ومن حكومات الدول التي وقعت على ميثاق برلين - التدخل لتنفيذ قرارات هذا المؤتمر . وكان هذا الاجراء من مجلس العموم نتيجة تقرير كتبه القنصل البريطاني ، الذي أرسل إلى الكونغو لدراسة ما يجري هناك . وكانت جميع أراضي الكونغو قد اعتبرت منذ سنة ١٨٨٥ أرضا خالية ، فخلصت بذلك (للجمعية) الملكية . القانونية لجميع الأراضي . ثم منح حق استثمار هذه الأراضي لسبع شركات احتكارية أطلق لها جميعا حرية العمل وكان الملك شريكا في كل هذه الشركات . فلا غرابة إذا وصلت أرباحه إلى ثلاثة ملايين من الجنيهات في مدى عشر سنوات ، وكان رأس المال المدفوع لا يزيد عن تسعة آلاف جنيه .

وقد ترتب على اعتبار أرض الكونغو أرضا خالية أن اعتبر جميع السكان مرغمين على جمع المطاط والعاج ، وبذلك أصبح كل من يوجد عنده بعض العاج سارقا ، واستدعى عدد من الضباط الاوروبيين ليراقبوا العمال أثناء العمل ومن أجل جمع كميات معينة جعل البطش هو الامر اليومي لهؤلاء الضباط وصار التفاني في البطش هو المقياس الذي يقاس به اخلاصهم في العمل ، وصار قطع اليد هو العقاب الاول لمن يتهاون في العمل . وصار جمع هذه الايدي المقطوعة وعرضها على الرؤساء هو الوسيلة لبيان مدى الاخلاص في خدمة الشركة ، ولم يكن قطع اليد يحدث الا بعد القتل .

ومن وراء هؤلاء الضباط كان ممثلو شركات الاحتكار الذين يعينهم تقديم كميات معينة والا اتهموا بدورهم.

بالتقصير ، فكانوا لا يترددون في الاتصال بالأهلين ، وتقديم الرشا لهم من أجل الجمع ، وكان نقص الكمية التي يقدمها الوطني مقابل الرشوة يقابلها الاستيلاء على ما يملكه . وكانت هذه الملكية تمتد الى زوج الرجل وأولاده . فلا غرو اذا كان عمل الحكومة البلجيكية اثر الاستيلاء ينحصر في إلغاء الاحتكارات ، والقضاء على مساوئ الإدارة القديمة ، وليس معنى ذلك أن الحال قد أصبحت في الكونغو موضع رضا الاهلين . فيكفي أن نعلم أن الكاتب الأمريكي جون جنتر قد زارها خلال الحرب العالمية الثانية ، فقال : ان السياسة البلجيكية لا تسعى الا الى معالجة تدمير السكان باتاحة الفرص الاقتصادية لهم ، وليس لمخلوق في الكونغو حق الانتخاب .

واذا كان بعض الافراد الايطاليين قد بدأوا محاولاتهم بشراء بعض أراضي افريقية حول ميناء عصب منذ سنة ١٨٧٠ الا أن هذه المحاولات كانت فردية بحتة ، وكانت الحكومة الايطالية آنذاك أضعف من أن تؤيد مثل هذه الجهود . ولكن الجهود الحقيقية بدأت منذ تأسست شركة روباتينو سنة ١٨٨٠ وأخذت في شراء المساحات الكبيرة من شيوخ هذه الجهات وكانت الشركة أضعف من أن تستطيع حماية هذه الاراضى التي دخلت في حوزتها ، فتركت أمر هذه الحماية الى الحكومة الايطالية ، مما اضطرها الى اصدار أمرها الى بعض السفن الحربية الايطالية بانزال بعض الجنود بعد أن رفعت العلم الايطالى . وفي ظل هذه الحماية أخذت الشركة في بناء المنازل

وانشاء الورش ، وفي نهاية ذلك العام عين هناك حاكم ايطالى يعمل تحت امرة وزارة الخارجية ، وبذلك بدأ أن هذه الشركة التجارية الايطالية لم تكن الا ستارا رقيقا يخفى وراءه أغراضا استعمارية واضحة .

وحدث مثل هذا في الصومال الايطالى ، وان كان على صورة محجبة بعض الشيء ، فقد حصلت شركة شرق افريقية البريطانية على حق ادارة بعض موانئ شرق افريقية من سلطان زنجبار الذى كان صاحب السيادة ، ولم تلبث هذه الشركة البريطانية أن تنازلت عن هذه الموانئ وهى : كيسماو وبرافا ومركا ومقديشو الى شركة ايطالية ، وحدد امتياز هذه الشركة بنصف قطر دائرة قدره عشرة أميال بحرية ، حول هذه الموانئ . وكان ذلك فى ٩ يونيو سنة ١٨٨٦ وكانت هذه الحقوق لمدة ٢٥ سنة قابلة للتجديد اذا رغبت الحكومة الايطالية خمسا وعشرين سنة أخرى . واذا ما استطاع السير توماس هولر أن يحصل من الامبراطور منليك الاثيوبى فى سنة ١٨٠٦ على منطقة فى الداخل تقع خلف الاملاك الايطالية صرخ الايطاليون بأن هذه المعاهدة البريطانية الاثيوبية الجديدة تعتبر خطرا على التجارة الايطالية التى تركزت على الساحل ، وظلوا يصرخون حتى حصلوا فى سنة ١٩٠٨ على حق امتداد الحدود الايطالية على طول نهر جوبيا ، فأعطاهم خمسين ألف كيلو متر أكثر مما كان لهم ، وهى منطقة قال عنها تيتونى رئيس وزراءهم آنذاك : انها تعادل ضعف مساحة جزيرة صقلية .

ولن نحاول هنا أن نبين اتساع الاملاك الإيطالية في هذه المنطقة بالتفصيل ولكن يكفي أن نذكر أن الشركة الإيطالية هي التي بدأت تعمل هناك ، فكانت هي التي تعين الحاكم وتمارس سلطات الحكومة ، من حفظ الأمن ، وإقامة القضاء . وكان الأمن في يد عدد من العساكر الوطنيين ذوي المرتبات الضئيلة ، لا يزيد عددهم عن ٦٠٠ جندي . وكانت إيرادات هذه (المستعمرة) لا تكفي لنفقاتها إذ كان على الشركة أن تدفع نصف إيراداتها للسكان ، ومن النصف الآخر تدبر جميع النفقات الأخرى . مما اضطر الحكومة إلى أن تبدأ باعانتها فارتفعت الاصوات من كل جانب تشكو سوء الأحوال فيها ، بل وصلت هذه الاصوات إلى مجلس النواب الإيطالي ، متهمة الحكومة بالجبن عن مواجهة الموقف ، فهي إما أن تصرف على هذه المستعمرة أو تتركها ، فما كان من الوزارة إلا أن اعتذرت عن ذلك بعذر كان أقبح من ذنبها ، هو أن الحكومة قد ساهمت في الحركة الاستعمارية ، ولكنها لا تستطيع التضحية برأس المال من أجل نجاح المستعمرة .

وبعد مناقشات دارت ست سنوات لم تعمل خلالها الشركة أي مجهود لتحسين أحوالها ، بسبب عجزها المادي وبسبب عجز الحكومة عن أن تمد إليها يد النجدة . اضطرت الحكومة تحت ضغط الاتهامات القاسية التي كبلت لها أن تستصدر مرسوما بالاستيلاء على الشركة في ١٤ مايو سنة ١٩٠٤ . ولم يكن ما فعلته الشركات الألمانية ثم الحكومة الألمانية يختلف عما فعلته

الحكومة الإيطالية. فقد أخذت الشركات الصناعية الألمانية تصرخ إلى حكومتها من أجل الحصول على منتجات البلاد الحارة ، من أجل تقديم الصناعة ، وزاد من إلحاحهم كثرة السفن التي يملكها الألمان . فلو ظلت ألمانيا بدون مستعمرات لتعرضت مصنوعاتهما للرسوم الجمركية المرتفعة التي تفرضها الدول على المصنوعات الألمانية ولذا اتجه التفكير إلى المستعمرات للتغلب على أزمة المواد الخام ، وأزمة إيجاد أسواق للصناعات الألمانية النامية ، وأزمة الاسطول الألماني التجاري . ولم تكن الحكومة الألمانية لتستجيب لهذه الصرخات ، إذ كانت ترى في المستعمرات الخارجية عبئا لا نستطيع احتماله ، كما رأت أنها سوف تجلب عليها عدااء الدول الاستعمارية التي سبقتها كإنجلترا وفرنسا الأمر الذي تريد ألمانيا الناشئة أن تتجنبه جهد الطاقة ، ومن ثم وقع العبء أولا على عاتق الشركات الألمانية . وكانت أولاها في هذا المضمار : **الشركة الاستعمارية الألمانية** التي أسسها **كارل بيترز** خصوصا وأن صراخ التجار الألمان الذين نزلوا بساحل أفريقية الشرقي قد ارتفع من سوء معاملة القناصل البريطانيين لهم ، ووضعهم العراقيين أمامهم .

فبدأت هذه الشركة في سنة ١٨٨٤ عقد المعاهدات مع السلاطين المحليين للتجارة معهم . وكان هذا الجزء الذي بدأت الشركة فيه نشاطها هو الذي يسمى حاليا بتنجانيقا ، والذي كان يخضع اسميا لسلطان زنجبار ، ونجحت الشركة فعلا في عقد جملة اتفاقات مع

شيوخ في الداخل لم يكونوا يعترفون بسلطة سلطان زنجبار عليهم ، مثل **مونجونجو** سلطان **فروفيرو** الذي قبل ان يضع بلاده تحت تصرف الدكتور بيترز وشركته من أجل استثمارها ، على أن لا يمس ذلك حقوقه كحاكم ، وكذلك سلطان **اوساجارا** ، الذي أعلن في وثيقته أنه لم يخضع يوما لسلطان زنجبار ، ولم يسمع به . وأزغم سلطان زنجبار تحت ضغط الأسطول الألماني على الاعتراف بكل هذه الاتفاقات . وعلى أثر هذا عقد اتفاق بين إنجلترا والمانيا اقتسمت بمقتضاه الأراضي الداخلية الخارجة عن سلطة سلطان زنجبار ، فأخذت بريطانيا كينيا بينما أخذت ألمانيا تنجانيقا ، وكان ذلك في سنة ١٨٨٦ .

وقد رفض الرايخستاخ أن يعتمد لهذه المستعمرة أية اعتمادات ، كما رفض الادارة الألمانية المباشرة لها ، ولذا ترك أمر ادارتها مؤقتا الى الشركات المحتكرة ، على أن الأمر لم يكن سهلا فقد بدأ السكان بمقاومة هذا القادم الجديد ، وقامت الاضطرابات في كثير من الأنحاء ، مثل ما حدث في **باجامويو** حين حاول الأهليون رفع العلم الألماني ، وفي تنجانيقا أسر السكان سفينة ألمانية حاولت دخول الميناء ، وانتشرت الثورات في جميع أنحاء البلاد وخاصة في ليندي وماكنداني حين هجم الأهليون على من كان بها من الألمان الذين لم يستطيعوا النجاة بأنفسهم ، اذ احتل الثوار المدينتين وأبادوا من فيهما الى آخر رجل فيهما ، ثم اجتاحوا دار السلام وقتلوا وأسروا أعضاء الارساليات التبشيرية هناك . ولما كانت الشركة الألمانية

أضعف من أن تقضي على هذه الثورة فانها طلبت المعونة من السلطان فأرسل لها بعض القوات ، ولكن الثوار أرغموهم على الانسحاب بعد تكبيدهم خسائر فادحة . فلم يجد الألمان بدا من أن يطلبوا المعونة من حكومتهم فأرسلت لهم قوة مختلطة من الألمان والأتراك والسودانيين والزولو تحت قيادة أربعين ضابطا ألمانيا . وهذه القوة وان كانت قد نجحت في حصار الموانئ إلا أنها سرعان ما واجهت الفشل في الداخل ، اذ اتحدت القبائل كلها ، ودارت المعارك الكثيرة القاسية . ومن الطبيعي أن تكتب الغلبة للسلاح الألماني الحديث ، وهم وان انتصروا أخيرا إلا أن هذا النصر كلفهم ثمنا غاليا .

ولم تكن هذه آخر الثورات ، بل تعاقبت الاضطرابات بعدها ، على أن أعنفها وأشدّها بأسا ما كان في سنة ١٩٠٥ وهي الثورة المعروفة باسم **ماجى ماجى** التي راح ضحيتها أكثر من ٣٠٪ من القوة الألمانية بعد أن أبادت أكثر من مائة ألف من الأهلين . ولم يكتب لألمانيا أن تجنى ثمرة تعبها إلا من بعد سنة ١٩٠٨ ، على أن تمتعها بها كان قصيرا ، اذ اضطرت ألمانيا الى التخلي عن هذه المستعمرة . وغيرها من المستعمرات الألمانية أثر هزيمتها في الحرب العالمية الأولى في ١٩١٨ ، وقد أجمع كل من كتب عن المستعمرات الألمانية أن هذه الثورات لم تقم الا بسبب الادارة السيئة للشركة ، مما اضطرها الى طلب المعونة من الحكومة فكانت مستعمرة **فوجو** ثم **الكرون** أولى المستعمرات التي استولت عليها الحكومة وتبعها تنجانيقا في سنة

١٨٩١ ، وأنشئت لها وزارة المستعمرات من أجل إدارتها .

وفي غرب افريقية انتشرت عدة شركات صغيرة ذات جنسيات مختلفة ، تعمل متجاورة على طول الساحل ، وعمل معظمها في تجارة الرقيق . وفي القرن التاسع عشر احتلت القوات البريطانية بعض أجزاء هذا الساحل من أجل سحق هذه التجارة . فأخذت هذه الشركات تعمل في المجال الاقتصادي ، ولكن اشتداد التنافس بينها أدى إلى تكتل الشركات البريطانية في سنة ١٨٧٩ فيما سمي اتحاد الشركات البريطانية الافريقية . فاتسعت أعمالها . وأدى هذا الاتساع والنجاح الذي لاقته إلى اندماجها بعد ثلاث سنوات في شركة واحدة سميت بالشركة الأهلية الافريقية ، فكان هذا داعيا إلى خروج الشركات الفرنسية من الميدان ، لعدم تلقيها أية معاملة من أحد .

وفي سنة ١٨٨٦ منحت هذه الشركة امتيازاً من الحكومة باحتكار تجارة هذه الأنحاء باسم « شركة النيجر الافريقية الملكية » . ولكنها رغم امكانياتها الواسعة كانت أضعف من أن تقوم بكل المسؤوليات في هذه المنطقة ، خصوصاً وقد قامت بمد خط حديدي صغير من لاجوس إلى الداخل ، وكان نفوذها الحقيقي لا يتعدى ما حول ضفتي نهر النيجر . أما غير ذلك من المناطق فكان اسماً بحثاً . ولذا كان الأثر الاقتصادي قبل سنة ١٩٠٦ ضئيلاً ، فلم تجد المناطق إلا أن تتنازل عن نشاطها الإداري للحكومة مقابل مليون جنيه واقتصرت هي على النشاط التجاري تحت حماية

القانون البريطاني . وكان هذا النفوذ الحكومي إلى جانب ما فعلته الحكومة من مد السكك الحديدية إلى الداخل هو الذي بدأ يحقق للشركة بعض الربح ، وكانت تجارتها في القطن والفول السوداني . وما زالت صادراتها تزيد حتى وصلت في سنة ١٩٣٠ إلى ١٢٠.٤٩٦.٦٤٩ جنيهاً .

وفي شرق القارة تألفت (جمعية شرق افريقية البريطانية) سنة ١٨٨٨ ولم تلبث أن تحولت إلى شركة مساهمة باسم « شركة شرق افريقية الامبراطورية البريطانية » التي أعلنت عن أهدافها وهي أهداف أقرب إلى الأهداف الدينية والانسانية ، وأبعد ما تكون عن شراء السلع والاتجار بها . وكان من بين أعضائها بعض الماليين واللوردات والعسكريين . وكان رئيسها السير **وليم ماكينون** هو الذي وضع الخطوط الرئيسية لسياستها في السنوات الأولى من تأسيسها . وبدأت الشركة تمارس عملها التجاري ، وكان عقد المعاهدات أولى خطواتها في هذا السبيل ثم تأسيس المراكز الداخلية وحراستها . وبدأت الصعاب تكتنفها منذ اللحظة الأولى من انشائها ، وكان مد الخط الحديدي إلى الداخل أول مشروعاتها لضرورته . ولم تكن ماليتها لتستطيع القيام بهذا العمل الضخم إلى جانب ما تقوم به من جمع المواد التجارية وتخزينها وحراستها ثم حراسة الطرق التجارية التي تجتازها (حملاتها) كما كان المبشرون الكاثوليك والبروتستانت قد سبقوها إلى أوغندا ، في سنة ١٨٧٥ واقتسموا الأهالي فيما بينهم ، وكانوا في الحقيقة يمثلون نفوذين سياسيين معادين ، أولهما : يمثل الفرنسيين والثاني : يمثل البريطانيين ،

والى جانبهما كان التجار العرب القدامى يمثلون نفوذا ثالثا قديما هو النفوذ الاسلامى . وكانت التعليمات التى اعطتها الشركة البريطانية الى ممثلها هناك ان يمنع استيراد الأسلحة والذخيرة ، وأن يعزز مركز الحزب البروتستانتى . وأن يستميل الكاثوليك ، وأن يشعر كل واحد وخاصة ملوك بوغندا والممالك الأخرى بقوة الشركة . ولكن عدم الثقة الذى ساد فريقى الكاثوليك والبروتستانت كان كافيا لأن يحول البلاد الى بركان ثائر . ولم تلبث الحرب ان قامت بينهما فعلا فى سنة ١٨٩٢ ، ودارت الدائرة على الكاثوليك . هذا بينما كانت الأعمال تسير من أجل مد الخط الحديدى . فبدأ للشركة ولما يمض على بدء عملها غير أربع سنوات ان الاستمرار فى هذه الصفقة معناه الخراب الشامل . فقررت الانسحاب من هذا الميدان وأبلغته فعلا الى ممثلها هناك . ولكنه وجد أن هذا الانسحاب يعنى القضاء التام على النفوذ البريطانى ، وربما الى القضاء التام على النفوذ الأوروبى كله ، وترك البلاد للنفوذ العربى الذى كان يتمثل فى التجار المسلمين .

ولم تكن معلومات الحكومة البريطانية عن هذه الأنحاء كافية الى حد يبيح لها التدخل ، فقررت فى ٣١ مارس سنة ١٨٩٣ ان تتحمل نفقات الاحتلال الى أن تتمكن من الحصول على معلومات وافية عن الموضوع .. وأوفدت الى هناك السير **جيرالد بورتال** قنصلها فى زنجبار ، لبحث الحالة هناك ، وارسال تقرير الى حكومته وكان تقريره كافيا لأن تقرر الحكومة التدخل بصفة رسمية

واعلان الحماية على شرق افريقية فى يونيو سنة ١٨٩٤ . ومع ذلك ظلت بلاد شرق افريقية تجتاحها الفوضى حتى سنة ١٩٠٠ ، حين بدأ بعض النظام والاستقرار يعود اليها .

وفى وسط افريقية كان **المستر سيسيل رودس** أول من تنبه الى ضرورة مد النفوذ البريطانى - الذى كان قاصرا حتى سنة ١٨٨٨ على اتحاد جنوب افريقية - الى الشمال قبل أن يسبقه الى هناك الألمان والبرتغاليون الذين كانوا قد استقروا على كل من ساحلى افريقية الشرقى والغربى ، ويهدف كل منهما الى وصل المستعمرتين لايجاد حزام ألمانى أو برتغالى . وكذلك لوقف زحف البوير نحو الشمال . فكان أن تقدم بنفسه نحو الشمال وعمل على اغراء الزعماء الوطنيين بأن لا يعقدوا اتفاقا مع دولة أجنبية ، دون ابلاغ المندوب البريطانى فى جنوب افريقية ، ولم تلبث الشركات والأفراد ان تقدموا للحصول على امتيازات استغلال هذه الأجزاء وألف **سيسيل رودس** شركة البحيرات الافريقية البريطانية وحصل على امتياز استغلال هذه الأراضى فى سنة ١٨٨٩ ، وكان هدفه يرمى الى مد السكك الحديدية والتليفون والتلغراف لتشجيع الهجرة ، ثم العمل على استثمار موارد البلاد للتجارة ، ثم استثمار الأراضى للكشف عن المعادن . وألفت الشركة قوة حربية لحماية موظفيها ومراكز أعمالها . وسرعان ما تحولت هذه القوات المدافعة الى قوات مهاجمة تعمل على الاحتكاك بالوطنيين ، وكان الامر ينتهى فى العادة بمعاودة سلمية تبيح للشركة حق

استغلال الأراضي ، أو اجلاء الوطنيين ، ومن ثم تحولت حقوق الاستغلال الاقتصادي الى حقوق سيادة ، اذ خولت لها المادة العاشرة - من صك الاستغلال - حق اصدار قوانين توافق عليها الحكومة ، وجعلت هناك ادارة مهمتها الاشراف على العلاقات بين الشركة والأهلين . ولم يلبث المستر سيسل أن أصبح رئيسا لوزراء جنوب افريقية ، فدبر أمر الاغارة على الأملاك الشمالية بواسطة مجموعات من المخاطرين ، بعد أن مناهم بستة آلاف فدان لكل منهم لاستغلالها . وسرعان ما اكتشف الذهب في عدة أماكن مما أدى الى هجرة أعداد هائلة من طالبي الثروة ، وكان هؤلاء يعيشون فيما يشبه المعسكرات ، وسرعان ما بدأ الاحتكاك بين هؤلاء القادمين والأهلين . ونصرت الشركة هؤلاء القادمين ، واستعملت في ذلك جنودها الذين كانوا من الوطنيين المدربين تحت أمره ضباط بريطانيين ، كما فعلت شركة الهند الشرقية البريطانية في الهند .

وتأسست شركة جنوب افريقية ، واشترت جميع حقوق شركة البحيرات ، وظلت هذه الشركة الجديدة صاحبة السلطة الادارية فيما يسمى الآن بروديسيا ونياسالاند ، حتى سنة ١٩١٤ حين انتهى امتيازها ، ولكنها حصلت على مد الامتياز لعشر سنوات أخرى انتهت في سنة ١٩٢٤ حين جعلت روديسيا مستعمرة بريطانية ، وظلت الشركة تعمل في نطاق اقتصادي بحث ، ودفع بعض زعماء روديسيا الى طلب الحماية البريطانية فقبلته .

ويملك المستعمرون البيض في روديسيا الآن ٤٨ مليون فدان ، وهي نصف مساحتها ، وتبدو فيها التفرقة العنصرية ، على أشدها ، حيث عزل الافريقيون في مناطق خاصة ، كما

يقع عبء الضرائب على عاتقهم ، بالرغم من انخفاض أجورهم ، مما أدى الى قيام عدد من الاضطرابات في سنة ١٩٣٥ سحقت كلها بالقوة .

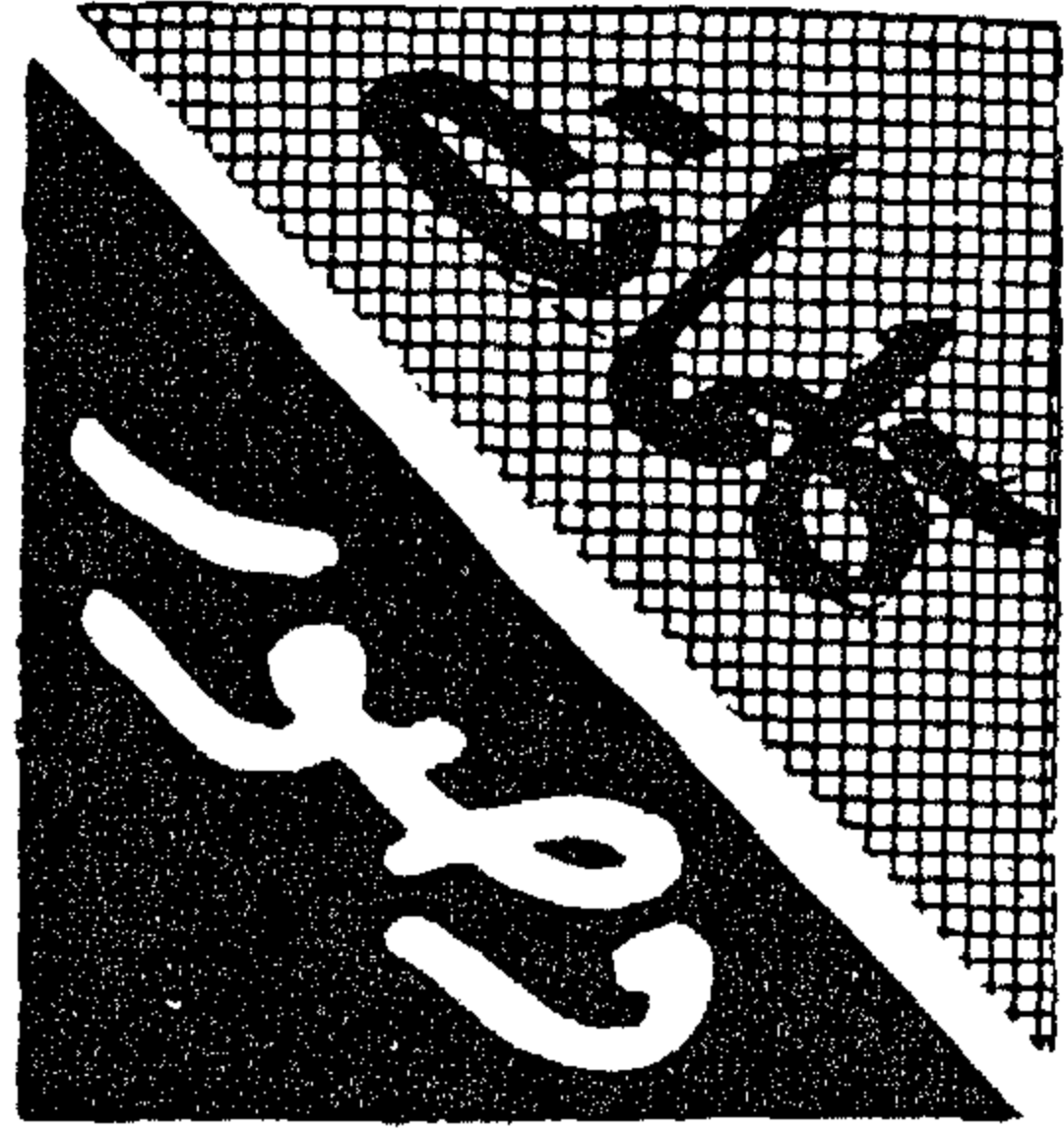
وفي سنة ١٩٥٣ تألف من اقاليم روديسيا الشمالية وروديسيا الجنوبية ونياسالاند اتحاد سمي اتحاد وسط افريقية بالرغم من اختلاف الوضع السياسي لكل منهما . وها نحن نسمع أخيرا في مارس الماضي بقيام الاضطرابات في روديسيا الشمالية حين هاجم مائة افريقي مسلحين بالهراوات والرماح جماعات من البيض ، وأصابوهم بجراح بالغة مما أدى الى القبض على أعداد كبيرة منهم ، والزج بهم في معسكرات الاعتقال ، مما يدل على ظهور الروح القومية بين الافريقيين ، الأمر الذي يقض مضاجع المستعمرين ، وقد اتهم السير روي ويلنسكي حزب العمال البريطاني بأنه يشجع العناصر الوطنية على الثورة ضد البيض ، كما ظهر في روديسيا زعيم افريقي آخر هو فلاكسل موسوبول ، يقود أيضا حركة المقاومة ضد قوات الاستعمار ، وتبذل الحكومة جهودا يائسة للعثور عليه ، وهو يتخذ من جبال هيسوگو مقرا لقيادته ، ويشن - ومعه أنصاره - هجماته على قوات الحكومة ومنشآتها ، مما أدى الى أن يسود الذعر بين البيض المقيمين هناك . ويطالب الافريقيون بحل اتحاد وسط افريقية ، واعطاء نياسالاند وروديسيا الشمالية الحكم الذاتي ، بعد الافراج عن جميع الزعماء المعتقلين ثم الغاء النص الذي يحرم الافريقيين من عضوية المجلس التشريعي ، ، واذا جمعنا هذه الثورة الى ثورة كينيا ، ثم الى الحركات التحريرية في نيجيريا وساحل الذهب ، كان هذا كله ايدانا بانتهاء النفوذ البريطاني من افريقية ان شاء الله .



السيد نائب وزير الخارجية

فجر الثورة ، والتي ترجمت فعلا الى أفعال لا مجال لحصرها .

أيها السادة : ان على الدول الصغيرة ألا تنزعج اذا صال المستعمر وجال ، وهدد وتوعد ، وحتى اذا رفع السلاح وحشد الطائرات والأساطيل ، والعدة والعتاد . طالما أنه ليس هناك بين صفوفها فئة مستضعفة النفس . ذليلة الهمة . تبسع ولاءها بأبخس الأسعار ، وأماننا العديد من الأمثلة . ففي غينيا وقف « سيكوتوري » وقال كلمة مدوية فاستشاطت فرنسا



يوم غينيا

وافق يوم ٢ من أكتوبر عام ١٩٥٩ عيد استقلال « غينيا » الثاني . وقد رحبت بهذا اليوم جميع الطوائف الأفريقية في الجمهورية العربية المتحدة ، التي شاركت مشاركة فعالة في الاحتفال بهذا اليوم الذي خلص شقيقة له من الاستعمار الفرنسي ، وقد كانت أهم مظاهر هذا الاحتفال ما قامت به « الرابطة الأفريقية » . فقد أقامت حفلا كبيرا دعت اليه الكثير من الأفريقيين ، والمهتمين بالشئون الأفريقية ، وقد بدىء الحفل بكلمة نائب وزير الخارجية السيد « **حسين ذو الفقار صبرى** » جاء فيها « أى أشقائى اننا ندين بالحياة لأرض أفريقية . ففيها نشأنا ، وعلى أرضها الطيبة ترعرعنا ، ومن خيراتها أطعمنا ، ومصيرها هو مصيرنا ، وهو الذى حدا بنا وبكم أن نحتفل اليوم باستقلال تلك البلاد التى اتخذت كلمات **سيكوتوري** عقيدة . هذه الكلمات التى يقول فيها « انه يجب علينا أن نكرس أنفسنا مخلصين ، ومسلحين بالوعى المدعم بالعمل الدائب لتحرير الوطن الأفريقى تحريرا كاملا . » . وانه بهذه الكلمات يلتقى التقاء كاملا مع عقيدتنا ، وعقيدة الرئيس **جمال عبد الناصر** التى أعلنت على الملأ منذ

غضبها ، وحاولت أن تثد هذا الاستقلال الوليد ، وأن تخنقه خنقا حتى تصبح « غينيا » عبرة لشقيقاتها من الأقطار المجاورة ، ولكنها باءت بالفشل وأصبحت الكلمة هي كلمة « الشعب » .

ثم ذكر السيد النائب طرفا من حياة « سيكوتورى » ، وكيف وقف والشعب من ورائه هادئا بوعيد فرنسا ، واحكامها الحصار عليه ، هذا الحصار الذى كانت نتيجته هذا اللقاء الذى ضمنا الليلة فى فرح بالحرية ، واعتزاز بما كسبه هذا الشعب الغنى العظيم .

فقد صفى « سيكوتورى » الاستعمار فى بلاده ، وأثبت بحق أنه حفيد البطل الغنى العظيم « سامورى » الذى حارب الفرنسيين من قبل ومحاهم المرة بعد المرة !

ثم ألقى الأستاذ « محمد عبد العزيز اسحق » كلمة الرابطة ، فذكر أن احتفال الرابطة اليوم بيوم غينيا ستتلوه أيام آخر من أيام الحرية المجيدة . التى بدأ يخفق علمها الدامى الآن على أكثر من مكان فى القارة . فعلم القارة الذى يخفق الآن على كل جزء من أجزاء القارة هو كلمة « الحرية » .

فأفريقية ليست منظوية الآن على أحزانها ، وجراحها ، ولكنها واضحة عينيها على فجر ، وقابضة بيدها على الدخلاء ، ومتساندة فى كل جزء منها : فما تحسه فى « غينيا » تحسه فى « غانه » ، وما تلمحه فى « زنجبار » تلمحه فى « كينيا » ، وما تراه فى « الكونغو » تراه فى « جنوب أفريقية » فالقارة اليوم قلب واحد ، وأمل واحد ، وتحت علم الكلمة الكبيرة .. كلمة « الحرية » .

ثم رحب بالحاضرين ، وشكرهم على اسهامهم فى هذا الحفل ، ووعدهم باللقاء فى أيام أخرى مجيدة للاحتفال

باستقلال دول أفريقية أخرى فى « الرابطة الافريقية » .

ثم تكلم أحد المواطنين الغينيين فبدأ كلمته بالآية الكريمة « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » ثم قص علينا قصة شعبه الذى أصبح امام نفسه ، وسيد مصيره ، ومالك بره وبحره . ثم قال : يجب علينا نحن أبناء غينيا أن نسجد لله شكرا على نعمة الحرية . فلم تأخذ الحرية بكيد كدناه لأن الكيد كيد الله . « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى !! » فاذا كنا انتصرنا فبالله انتصرنا « ولينصرن الله من ينصره » ، واذا كنا نشكر اليوم فالله يقول « لئن شكرتم لأزيدنكم » .

ثم ختم حديثه بتوجيه تحية صادقة الى رجل أفريقية العظيم الرئيس « جمال عبد الناصر » وإلى شعب الجمهورية العربية المتحدة .

... ثم تعاقب الخطباء ، وتخللت كلماتهم رقصات شعبية ، وأغاني أفريقية . ومع أن أغلبها كان بلغات أفريقية محلية الا أن الجميع كانوا يحسون ما يقال . فقد كان فيها صفاء الراعى الذى يمد نايه ويغنى للأفق الكبير ، وقد كان فيها تصلب الاصرار وهو يقاوم القوى الدخيلة ، وقد كان فيها الحنين الى الزعماء الوطنيين خلف الأسوار ... ثم أخيرا كانت فيها أفريقية كلها بصراعها الدامى ، وفجورها الرطب ، وغدها المنتظر .

.. هذا فى القاهرة أما فى الأمم المتحدة فقد ألقى « دياللو تيللى » رئيس وفد غينيا فى الجمعية العامة خطابا دعا فيه الى تحرير القارة الأفريقية ، ومؤكدا فى الوقت نفسه أن أفريقية لن ترتبط بأى معسكر ، ولن تعتنق أية فلسفة خارجية ، فلن تعمل بلاده من أجل حركة التحرير فى أفريقية فقط ، ولكنها ستعمل كذلك

على توحيدها . كما ندد بمواقف الاستعمار في الجزائر ، ونياسلاند ، والكونغو . ثم ختم كلمته بقوله « لقد آن الأوان لكى يرحل الاستعمار عن القارة الأفريقية شاء ذلك أم أبى !! » . .. وهناك فى غينيا كان كل شيء يحتفل بهذا اليوم .. الأرض .. السماء .. الشعب !!

* * *

أسطورة من غانة

تولع الدول الأفريقية بالأساطير التى تدور حول الأبطال ، ومن أجمل هذه الأساطير أسطورة « القط الأبيض » التى نسجتها العقليّة الغانية ، وتركت فوقها « زخارفها الجميلة » ، وقد ظهرت هذه الأسطورة فى غانة عام ١٩٥٠ - ولعلها أحدث أساطير أفريقية - فحين حينكم الانجليز بالسجن عامين على « كوامى نكرومه » داخل غابة رهيبه بسبب اعلانه حرب المقاومة السليبية .

ففى احدى الليالى التى كان يدور فيها الحارس « كوما » حول السجن ، وعيناه تتحسسان فى حب وعطف قضبان الزنزانة التى يقيم فيها « كوامى نكرومه » أحس بقط أبيض فى عينيه قوة خارقة . يطل يمينا وشمالا بين القضبان . ثم يقفز قفزة رهيبه الى سور السجن . ثم يطلق صوتا رهيبا . تنساب منه كلمة « غانة » مطوطة .. مؤثرة !

ويدهش الحارس مرة ثانية حينما يحس أن حقول « الكاكاو » المترامية ترد عليه بنفس الصوت الذى تنساب منه كلمة « غانة » مطوطة .. مؤثرة !

ولا يكف فى أذنه هذا الصوت الا حينما يعود « القط الأبيض » مع الفجر .. ثم يقفز . قفزته الرهيبه على السور .. ثم الى داخل زنزانة « كوامى نكرومه » .

ويحدث بهذا الحارس « كوما » زملاءه الحراس . فيجتمعون فى اللبنة الثانية وكلهم عيون تتطلع فى حنان الى قضبان النافذة ، وبينما هم متشبثون بنظراتهم ، ودموعهم على القضبان .. يطل عليهم وجه « القط الأبيض » وهو ينظر فى رهبة يمينا وشمالا ثم يقفز الى السور . ثم يصدر هذا الصوت الرهيب الذى تنساب منه كلمة « غانة » مطوطة .. مؤثرة !

ويتردد هذا الصوت فى كل حقول الكاكاو ، ومناجم الماس ، وكل أقاليم « الأشانتى » فيقف الحراس هم الآخرون يرددون نفس الصوت !! يرددون كلمة « غانة » .

.. ويتلقف الشعب الغانى هذه الأسطورة التى نبتت من شعوره ، ورغبته فى لقاء زعيمه ، واذا الناس جميعا يضيفون عليها « زخارف جميلة » . ثم أخيرا يخرجون الى الطرقات وهم يغنون لحنا يشبه لحن « جسد جون براون » المشهور ، وترافق اللحن هذه الأغنية الشعبية فى كلماتها الغانية البسيطة :

« جسد كوامى نكرومه مسجى فى السجن وروحه تهيم اذا الليل أقبل فنراه يخرج فى قط أبيض قط قوى ينادى « يا غانة ! »

فترد غانة كلها بانها لن تنساه ! »

الشعر الشعبى فى أفريقية

للشعر الشعبى نكهة خاصة هى نكهة الشعب . فالأغنية الشعبية لا تصدر عن وجدان ذاتى . وانما ينفع بها الوجدان الجماعى للشعب . وقد تكون الأغنية الشعبية تحدث عن مشاعر فرد واحد ، ولكن هذا الفرد الواحد هو الشعب جميعه فى صراعه للحياة ، ورغبته فى حياة أفضل ، ونحن نقدم اليوم جانبا من هذا اللون الشعبى . ففى « ساحل

العاج « تتغنى قبيلة ((بايلي)) بهذه
الأغنية المؤثرة :

كنا ثلاثة من النسوة

وثلاثة من الرجال

وأنا « كوديو انجو »

وفي الطريق الى مكان العمل بالمدينة

فقدت زوجتى « ناناما »

أنا الوحيد الذى فقد زوجته

كنت وحدى الذى حدثت له هذه النكبة

كنت وحدى أجمل الرجال الثلاثة

الذى وقع له الحزن

وعبثا ناديت زوجتى

فقد ماتت كما يموت « الفروج » وهو يجرى

كيف أخبر أمها ؟؟

كيف أسوق اليها الخبر ؟

فذكرها وهى تموت يكاد يقتلنى !!

.. فقد يكون المواطن « كوديو انجو »

قد فقد فى يوم من الايام زوجته على

الطريق ، ولكن الشعب فى كل يوم

يتغنى بهذه الأغنية الشعبية وهو

يساق الى العمل بالمدينة ، مدفوعا

بالقوة الحاكمة ، وبالحاجة المذلة .

وهكذا أصبحت الزوجة الجميلة

« ناناسا » رمزا لمفارقة القبيلة ،

والحرية ، ومن هنا فهم لا يطيقون فى

المدينة حيث لا يملون من ذكر حريتهم .

فذكرها يكاد يقتلهم حزنا !!

.. وها هى أغنية حب تتغنى بها

قبيلة « بارنجا » بموزمبيق ، ومن

خلالها تظهر طائفة من العادات ،

والتقاليد التى هناك :

حرمت نفسى من كل شيء منك

حرمت نفسى من جسمك كما أردت

كل شيء حرمت نفسى منه .

.. فالقمح الذى يأكله أهلك

ليس الا عيونا بشرية !!

.. والكؤوس التى يشرب منها أهلك

ليست الا جماجم بشرية . !

.. وشرائح البطاطس التى يشوونها

ليست الا أصابع بشرية !!

ولكن ارفضينى كما أردت

واحرمينى من كل شيء كما تريدن

فليس لأحد مثل رغبتى فيك !!

ومن أجمل الأغاني الشعبية حقا
تلك الأغنية التى أطلعنا عليها « دافيد
ديوب » التى تلمح فيها كل القارة
بمشكلاتها ، ورغبتها فى الحياة . فهى
تقول :

افريقية .. يا قارتى

يا بلاد المحاربين الأبطال الذين حاربوا

فى بلاد الأجداد .

افريقية ان جدتى تغنى

فى جانب من نهرها البعيد

أنا لم أعرفك أبدا

ولكن دمك يملأ نظراتى

دمك الأسود يغمر الحقول

دم عرقك !!

عرق عملك !!

عمل العبودية

عبودية أطفالك

افريقية حدثينى

ان ظهر لك المنحنى

والدموع تحت ثقل الخضوع

ترتعش فى خطوط حمراء قائلة :

((نعم !)) للسلوط الذى يلهبها فى الظهيرة !

وعندئذ يجيبنى صوت حزين

أيها الولد المندفع

ان الشجرة العملاقة الشابة

هذه الشجرة التى ترقد هناك

وحيدة فى فخار بين الأزهار الذابلة

((هى افريقية !))

افريقيتك التى تولد مرة ثانية !

تولد من جديد فى عناد واصرار

وتكتسب فاكهتها شيئا فشيئا

رائحة مرة

هى رائحة « الحرية !! »

الفنانون المصريون :

كانت البعثات التى كانت توفدها

مصر الى الصومال تضم دائما بعض

الفنانين ، وما يكادون يصلون حتى

يتجولوا بين ربوع البلاد ، وفى

أيديهم أوراق البردى يسجلون عليها

كل مظاهر الحياة هناك ليتمكنوا متى

عادوا الى مصر من تقديم ملامح صادقة

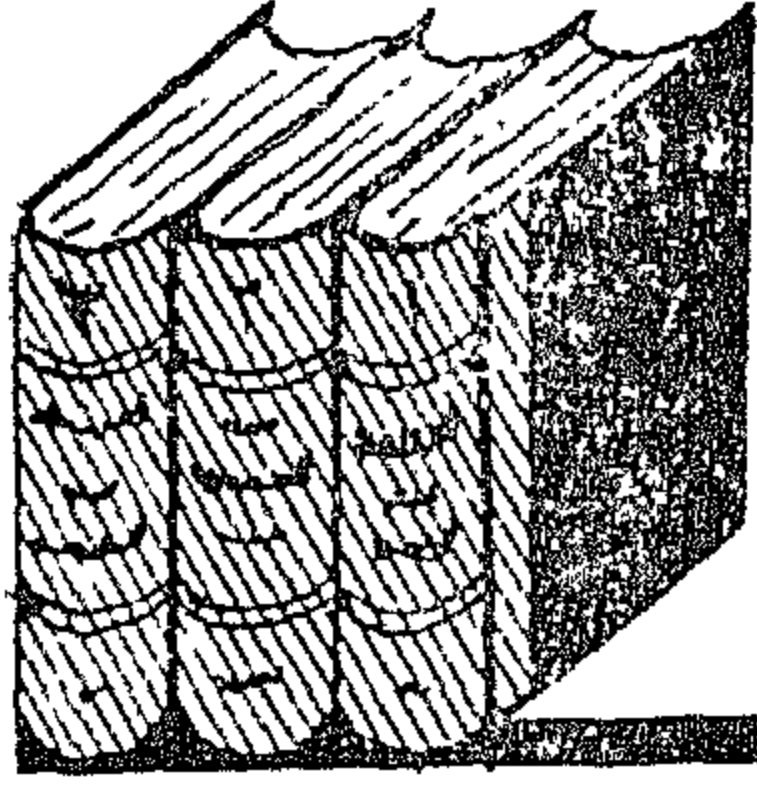
للوامع الصومالى ، ومن أروع ماصوروه

هناك صورة ملك الصومال وزوجته ،

وأولاده ، وبعض الزعماء . مستخدمين

فى ذلك اللون البنى الذى كانوا يختارونه

للملامح المصرية .



كتاب الشهر

- ١ -

كينيا أرض الصراع

تأليف الزعيم جومو كينيي

تلخيص الأستاذ عبد الواحد إبراهيم

قدم «شامان لاي» المحامي الهندي عند إعادة المكتب الهندي الأفريقي نشر هذا الكتاب بقوله : « بالرغم من أن الآراء التي عبر عنها « جومو كينيي » في هذا الكتاب قد مضى عليها وقت طويل ، وأدى وجود الأحداث الأخيرة إلى تغيير اتجاه مشكلات كينيا المعاصرة ، فإن الحقائق الأساسية التي ضمنها كتابه لا تزال ذات أثر فعال في الموقف الخطير الذي يعاصر كينيا في الوقت الحاضر .

ولم يحدث أن اتصل شخص بجومو كينيي اتصالاً وثيقاً من غير أن يثائر بما يمتاز به هذا الرجل من سعة الأفق ، وبعد نظرته إلى الأمور ، وطاقاته العقلية العجيبة - وفوق هذا كله - بحبه الذي لا يموت لبلاده وأبناء وطنه .

ولقد ذهبت إلى أفريقية للدفاع عن جومو كينيي وزملائه كمحام ، وعدت وأنا مؤمن تماماً بما لهذا الرجل في قلبي من منزلة عزيزة أحس بها نحوه لا كصديق شخصي أي فحسب ، بل كصديق للإنسانية التي تلمح فيها روح الإله بما فيها من نزعة مثالية لا تفر الظلم ولا ترضى عن العنف ، وتشيع دائماً في أعماقها أصوات الخير المتلألئة حتى في أشد الأوقات ظلمة وحلقة .

وفي آخر يوم كنت أزوره فيه داخل السجن الصغير الذي كان يرقد وراء قضبانه في « كيننجيوريا » أمسك بيدي وقادني إلى زنزانته التي تشبه صومعة القلال ثم انحنى

يبحث في دولاب ملابسه عن مذكرته التي كان يحتفظ بها منذ عام ١٩٣١ ، والتي كان يسجل فيها يومياته يوماً أثر يوم ، ثم أطلعني على عبارة فيها كتبها له المهاتما غاندي بخط يده نصها : -

« تستطيع الحقيقة وحدها ، واتخاذ سياسة السلام أن ينقذ أية أمة من قيود العبودية ، وأسر الرق ! » .

ولا شك في أن الرجل الذي يعتز برسالة غاندي التي تدعو إلى السلام ، لا يمكن أن توجه إليه تهمة القيام بالعنف أو الاضطراب . انني أعرف أن كينيي - حقيقة - إنسان يحب السلام ، ويجب شعبه ، ويفضل أن يموت على أن يتخلى عن كفاحه من أجل حرية بلاده ، وقد أهدى كتابه الذي أصدره تحت عنوان « Facins mrount Kenya » « إلى مونجوى » وإلى واميوى بل إلى كل شباب أفريقية الذين تربطهم بأجدادهم روح الحب للكفاح من أجل تحرير أفريقية وتأكيد إيمانهم بالوحدة التي تجمع بين الحي والميت ، والطفل الذي لم يولد للعمل على إعادة القيم والمقدرات التي انهارت ! » .

والحق أقول : إن كينيي قد وضع هذا الكتاب كدعوة صادقة لإعادة بناء كعبة الحرية التي يحاول الرجل الأبيض أن يدمرها في كينيا »

« شامان لاي » نيودلهي في ٢٧/٥/١٩٥٢ .

* * *

مدخل للتعريف بكينيي :

تحتل كينيا حوالي ٢٤٥٠٠٠ ميل مربع ، أو بعبارة أخرى تبلغ مساحتها

الاستواء ، ومناطقها المنخفضة ذات مناخ استوائي ، ولذلك فإن المستوطنين الأوروبيين لشدة حرارتها لا يستطيعون العيش فيها ، اللهم الا في جزء منها يبلغ خمس مساحتها وهو سهول يطلق عليها اسم « الاراضي المرتفعة » حيث يعتدل الجو وتسقط الامطار بصورة منتظمة ، وتعتبر تربتها صالحة جدا للزراعة ، ولا يمكن تحديد منطقة الاراضي المرتفعة تحديدا دقيقا ، نظرا لعدم رسم خريطة جغرافية واضحة لها ، وقد كانت هذه المنطقة دائما مأوى لكثير من القبائل الافريقية ، حتى جاء البريطانيون فاقتطعوها للعناصر الأوروبية ، وقصروها عليهم ، وحرموا على الهنود والافريقين امتلاك شبر فيها ، وسأرجى الحديث عن سياسة عزل هذه المنطقة لأنه يحتاج الى صفحات كثيرة .

* * *

دخول البريطانيين :

وقد بدأ الحكم البريطاني في كينيا عام ١٨٩٥ عندما أعلن الانجليز حمايتهم لهذه المنطقة ، بعد أن احتلتها شركة شرق افريقية البريطانية من قبل . وفي العام نفسه بدأت الحكومة في بناء خط السكة الحديدية من ممباسا حتى كيسيميو ، وتم تنفيذه في عام ١٩٠٢ . وانتقلت محمية كينيا في عام ١٩٠٥ من ادارة وزارة الخارجية الى ادارة وزارة المستعمرات .

وفي عام ١٩٠٦ صدر قرار بتعيين حاكم عام وقائد عام وتكوين مجلس تنفيذي وآخر تشريعي .

وفي عام ١٩٠٧ صدر قرار بتعيين

ضعف مساحة كل من بريطانيا وايرلندا . ويحدها من جهة الشرق المحيط الهندي ، والصومال الايطالي من الجهة الشمالية الشرقية ، والحبشة والسودان من الشمال ، وأوغندا من الغرب ، وتنجانيقا من الجنوب . أما الجزء الذي يطلق عليه اسم « محمية كينيا » فهو عبارة عن شريط يمتد حوالي عشرة أميال على طول الشاطئ ، وقد كان هذا الجزء من أملاك سلطان زنزبار ، استأجرته منه حكومة كينيا نظير ١٦٠٠٠ جنيه سنويا ، ثم أصبح قطعة يخضع لادارة مستعمرة كينيا

والمعروف أن ثلاثة أخماس أراضي مستعمرة كينيا أرض غير خصبة ولا تتمتع بنظام الري الصالح ، أما الجزء الباقي فهو عبارة عن :

١ - سهول : تكونت بفعل العوامل البركانية ، وتندرج في الارتفاع من ٣٠٠٠ قدم الى ٩٠٠٠ .

٢ - وادي الخليج : ويشمل بحيرات رودلف ، ناكورد ، نايواشا وغيرها من البحيرات الاخرى .

٣ - جزء من حوض بحيرة فيكتوريا ويبلغ ارتفاعه حوالي ٣٧٢٦ قدما فوق مستوى البحر ، ويصل ارتفاع جبل كينيا ، الذي اشتقت منه اسم المستعمرة ، الى ١٧٠٤٠ قدما ويغطيه الجليد والثلوج طيلة العام .

ومن منحدرات جبل كينيا الجنوبية والشرقية تندفق مجموعة نهيرات بحيرة تانا التي تتصل بالمحيط الهندي بالقرب من « لامو » .

وتقع مستعمرة كينيا كلها في المنطقة المحصورة بين الدرجة الرابعة شمالا ، والدرجة الرابعة جنوب خط

أعضاء في المجلس التشريعي من البيض المستوطنين .

وفي عام ١٩٢٣ سمح بانتخاب أعضاء من العرب والهنود ، وكانت الحكومة البريطانية قد أعلنت عام ١٩٢٠ قرارها باعتبار كينيا إحدى مستعمرات التاج . ثم أضيفت مقاطعة **جوبالاند** في الخامس عشر من شهر يوليو عام ١٩٢٤ إلى إيطاليا ، وبالرغم من الاحتجاجات الشديدة التي لا حصر لها من جانب الأفريقيين فقد تجاهلت الحكومة البريطانية كل اعتبار وسارت في اصرار على تنفيذ سياستها المرسومة .

* * *

النظام الإداري في كينيا :

ويدير حكومة كينيا حاكم عام يساعده مجلس تنفيذي مكون من ثمانية أعضاء من الموظفين السابقين وأربعة أعضاء من غير الموظفين ، وجميعهم من الأوروبيين ، ومجلس تشريعي يقر القوانين ، وهو تابع لوزارة المستعمرات ، ويتكون من واحد وأربعين عضواً ، ويرأسه الحاكم العام .

* * *

سكان كينيا :

أما سكان كينيا فقد دلت الإحصائيات عقب الحرب العالمية الثانية على أنها تضم : -

من الأفريقيين	٣٠٠٠٠٠
من هنود الجاوه	٤٥٠٠٠
من البيض الأوروبيين	١٩٠٠٠
من العرب	١٣٠٠٠
وتكون هذه الأجناس من الناحية	

السياسية ثلاث طبقات : -

فالأوروبيون - سواء أكانوا من البريطانيين أم الأمريكان أم أية جنسية أوروبية أخرى - يمثلون الطبقة الأرستقراطية ، ويحافظون على مستوى اللوردات ، والعرب والهنود يشكلون الطبقة الوسطى .

أما الأفريقيون فهم طبقة الفلاحين والعمال .

ويتراوح الأجر الذي يتقاضاه العامل الأفريقي بين ٦ شلنات و ١٢ شلنا شهريا ، بشرط أن يعمل ثلاثين يوما كاملة في الشهر . ويتعرض للغرامة أو السجن إذا أخل بشروط العقد . وإيواء العامل الهارب يعتبر جريمة يعاقب عليها القانون بالغرامة أو السجن .

على أن الحياة في المزارع الأوروبية لا تغري العمال الأفريقيين بالاستمرار فيها نظرا للشروط المجحفة التي تفرض عليهم . ولما كان الأوروبيون يستنكفون من الأعمال اليدوية فهم في مسيس الحاجة إلى الأفريقيين ، وهكذا كانت مصالحهم تضطرهم إلى اتخاذ كل وسائل العنف التي لا يقرها قانون ولا تتفق مع أبسط حقوق الإنسان وكرامته ، لارغام العمال الأفريقيين على العمل في مزارعهم .

* * *

أراضي التاج :

وفي عام ١٩١٧ صدر قانون عرف باسم « قانون أراضي التاج » ويقضي هذا القانون بنقل ملكية الأفريقيين لأراضيهم إلى ملكية التاج ، وبذلك أصبح الأفريقيون الذين كانوا يعيشون

فى أراضيهـم مجرد مستأجرين لها ، ومعنى هذا أن من الممكن فى أى وقت أن ينقلوا من مكان الى آخر تشاؤـه الحكومة .

ومن المتناقضات الواضحة أن الحكومة قد ملكت للاوروبيين مساحات واسعة من الاراضى الزراعية الخصبة ، وبالرغم من أن الارقام توضح أن هناك نسبة واسعة من الاراضى لا تزال فى أيدي الافريقيين على أنها مناطق محجوزة لهم ، فان معظمها - مع الاسف - ليس الا صحراء مقفرة . والباقى لا يمكن زراعته الا اذا أنفق عليه المال الوفير ، وهيئت له وسائل التطور والتحسين ، الامر الذى لا يملكه الافريقيون الفقراء .

* * *

ضريبة الرأس والكوخ : -

ولقد صدر قانون ضريبة الرأس والكوخ وهو قانون يقضى بأن يدفع كل افريقى تجاوزت سنه السادسة عشرة ضريبة سنوية قدرها اثنا عشر شلنا ، وعلى كل من يملك كوخا واحدا أن يدفع عنه اثنا عشر شلنا أيضا وكثيرا ما يحدث أن يكون للشخص الواحد أكثر من كوخ ، اذا كان متزوجا بأكثر من واحدة ، وعلى هذا الشخص أن يدفع اثنى عشر شلنا لكل كوخ . وكل من يعجز عن دفع ضريبة الرأس أو ضريبة الكوخ يجب أن يشتغل فى أراضى الأوروبيين نظير الضريبة المفروضة عليه . وبهذه الطريقة يمكن ضمان وجود عمال افريقيين فى مزارع الرجل الابيض .

ومن الظلم البين أن ترى شعب كينيا الافريقى يدفع هذه الضرائب الفادحة ، ثم لا يتمتع بمستوى تعليمى

معقول ، فطبقا للتقرير الذى أصدرته ادارة التعليم فى كينيا عام ١٩٣٧ يوجد ٨٧٢ر١٠٠ تلميذا فى المدارس الابتدائية وتنفق الحكومة حوالى ٨ شلنات لكل تلميذ ، فى الوقت الذى تنفق فيه حوالى ٤٩٢ر٥٥ جنيهها على أقل من ٢٠٠٠ تلميذ أوروبى ، وهكذا يجب على الفقراء أن يدفعوا الضرائب لكى يتعلم أولاد الاوروبيين الاغنياء !

وليست سياسة الحكومة فى كينيا فى المجال الاجتماعى أسعد حالا من سياستها التعليمية ، فالتأمينات الصحية ونظام المعاشات وانشاء المستشفيات العامة الخ .. لا يتمتع بها الا ذوو البشرة البيضاء ، ولا تفكر الحضارة الاوروبية فى أن تهب الافريقيين شيئا من خيراتـها .

* * *

الظلم الاجتماعى : -

ويقوم نظام الحكم فى كينيا على أساس من التفرقة العنصرية بأدق معانيها وترسم السياسة هناك فى كل مجال من مجالات الحياة العامة ، على أساس ضرورة وجود هذه التفرقة . وقد اصطبغ الحكم بطابع الاستبداد والدكتاتورية ، وأصبحت كرامة الرجل الابيض وسلطته فوق كل اعتبار ، وغدا الصراع العنصرى أبعد مدى من القانون والتشريع ، وليس لمعنى التآخى أى أثر فى كينيا بين الانسان الابيض والانسان الاسود ، بل لقد حرم قانون أوروبا على افريقى كينيا أبسط حقوقهم فى الديمقراطية والحريات المدنية .

ففى الفصل ١١٠ من قانون العقوبات الجنائية ، وكذلك فى الفصل الثامن

للتحقق من الشخصية ، انها ليست في الواقع الا عملية تفرقة عنصرية ضد الافريقيين . لأن هذا الاجراء لم يطبق بالنسبة للاوروبيين أو الهنود أو العرب .

قبل وصول الرجل الابيض : -

وسنحاول هنا أن نستعرض الاوضاع في كينيا قبل خمسين عاما مضت أى قبل أن يكون للاوروبيين أو حتى للعرب أى أثر يذكر في داخل هذه الدولة الواسعة ذات الغابات الكثيفة والسهول المترامية والجبال والتلال والصحراء حيث كانت تعيش حوالى ٣٢ قبيلة لكل منها منطقتها وطريقتها الخاصة في الحياة .

والمعروف أن هذه القبائل كانت مقسمة الى ثلاث مجموعات رئيسية .

١ - القبائل الرحل التي تعيش على الرعى كقبائل الماساي .

٢ - قبائل بعضها من أهل المراعى الرحل ، وبعضها الآخر من القبائل الزراعية ، وذلك كقبائل الكايفر وندو والكيكيو ، والواكومبو .

٣ - القبائل التي تسكن الغابات وتعيش على الصيد ..

على أن الافريقيين الذين كانوا يسكنون المناطق الشاطئية كانت لهم صلات تجارية مع العالم الخارجى ، وكانوا يعرفون الكثير عن هذا العالم . بينما كان اخوانهم الذين يعيشون في المناطق الداخلية يجهلون كل ما ابتعد عن هذه المناطق ، وليست لديهم أية فكرة عن العالم الخارجى ، لقد كانوا يتطلعون الى السماء فيجدونها بعيدة عنهم تنحدر تدريجيا حتى تستقر على بعض التلال أو الجبال ، وينتهى العالم

من قانون السلطة الوطنية : يعتبر خروجاً على القانون اجتماع أكثر من خمسة أشخاص دون تصريح بذلك ، بل لقد فسر هذا القانون تفسيراً تعسفياً عند تطبيقه على الاجتماعات التي تعقد لاتخاذ موقف معين من الحكومة .

وينص البند الثامن على أن لكل حاكم من حكام الاقاليم الحق في أن يصدر مختلف التعليمات التي يراها مناسبة داخل الحدود الاقليمية لدائرته والتي لا بد من أن ينفذها الوطنيون الذين يخضعون لسلطته وهي تشمل :

أ - حرمان الوطنيون التابعين لدائرته من اقامة أو حضور أى اجتماع داخل منطقته ... واذا عارض أى افريقى هذه التعليمات فانه يكون ملزماً بدفع غرامة لا تزيد على سبعة جنيهات وعشيرة شلنات ، واذا كان عاجزاً عن دفع هذه الغرامة كانت عقوبته السجن لمدة لا تزيد على شهرين .

ولم يكتف الرجل الابيض بذلك بل أصدر قانوناً عرف باسم قانون ((التسجيل الوطنى)) وهو يقضى بأن يحمل كل افريقى فوق السادسة عشر شهادة التسجيل التي عرفت باسم ((كيباندى)) وأن تؤخذ بصمات أصابعه ، واذا عثر على أى افريقى لا يحمل هذه الشهادة معه فى أى مكان يسير فيه فمصيره السجن بعد القاء القبض عليه .

وقد استاء الافريقيون استياء بالغاً لهذا الاجراء من جانب الحكومة ، واعتبروا هذه الشهادة بمثابة وثيقة العبودية . فهي لا تشبه البطاقة الشخصية التي كان يحملها البريطانيون أثناء الحرب ، كما أنها ليست البطاقة التي يحتفظ بها الجميع على السواء

والاستعداد للنماء ، ويدبر أمورهم الخاصة بنفسه فى حرية لا حدود لها .

* * *

وصول الموزونجو :

ثم وصل الموزونجو ، وهو الاسم الذى أطلقه الافريقيون على الجنس الاوروبى ، ويعنى به الرجل المخبول أو المعتوه .

وحدث عندما كان ((واياكى)) زعيما لشعب ((الكيكيو)) أن انتشرت بين جميع قبائل شرق افريقية اشاعات مؤداها أن جوا من الاضطرابات والقلق سوف يسود البلاد . وكان موجو واكيورو عرافا مشهورا برع فى النبوءة وقراءة الغيب المستور ، فلمس الزعيم ، وأخبره بأن جماعة من الأشخاص الاقوياء لا يشبهون فى مظهرهم أو فى ملابسهم هذه الكائنات الالسانية التى نألفها ، ومعهم أسلحة غريبة ، ولا يمكن تصور ما لديهم من قوة وبأس ، يحملون معهم تعبانا عظيما ضخما يخرج من فمه نارا ودخانا وسيحلون بهذه البلاد ، وسمع الزعيم واياكى هذه القصة من العراف وكان يجلس بجواره أعيان قبيلة الكيكيو وجماعة المحاربين فيهم ، فأخذوا يسنون سيوفهم ، واتجهوا الى الحدود يراقبونها فى حذر وانتباه شديدين . والمعروف أن هؤلاء الافريقيين كانوا يتعاملون مع القوافل العربية ولهم بهم صلة ، وقد ألزموهم طرقا تجارية محدودة يجتازونها فى سيرهم ، ولكنهم كانوا يسمحون لهم بحرية التجول داخل البلاد .

وظهر الاوروبيون على مسرح افريقية أولا كتجار يتبعون الطريق الذى يسلكه العرب ، وكان رجال

فى نظرهم عند هذا الحد . أما بالنسبة لأسلوب الحكم عندهم ، فقد كان يقوم على أساس من النظم القبلية التى تتفق مع تقاليدهم وعاداتهم المحلية ، وعلى درجة تطورهم الاجتماعى ، وقد كان لكل قبيلة رؤساؤها ومجالس الاعيان فيها ، وهم الذين يقررون شئون الحرب والسلام . وكانوا - كأية جماعة بشرية أخرى - أناسا تتحرك فيهم دائما غرائز الصراع الحيوانى ، تمر بهم فترات ينعمون فيها بالسلام والرفاهية ، ثم تعصف بحياتهم زوابع الحرب وشرورها ، بسبب غزوات قطعان الماشية ، وكان شعارهم دائما ((اذا استطعت أن تهرب بالقطيع فى هدوء دون أن يراك أحد فافعل ، واذا كان عليك أن تحارب فلا تتردد فى استعمال حرايك)) .

وقد زودت الطبيعة كثيرا من المناطق الداخلية بالحواجز التى لا يمكن عبورها بسهولة الأمر الذى كان يحول بين القبائل المتعادية وبين الاحتكاك المباشر ، ويجعل الغزوات مسألة على جانب كبير من الصعوبة .

وهكذا كان سكان المناطق الداخلية فى كينيا يعيشون فى جو من الحرية المطلقة ، يتجولون فى ربوع بلادهم من مكان الى آخر ، ويستمتعون بالهبات التى منحها لهم الطبيعة ، فالراعى لا يكاد يستقر به المقام فى جهة حتى يفكر فى الانتقال الى جهة أخرى تبعا لما تمليه عليه الأرواح من ايحاءات ، كما كانوا يعتقدون ، والصياد ينصب شباكه فى أى جزء من الغابة حسبما يحلو له ، والمزارع يفلح الأرض التى يرى فى باطنها الخصوبة

القبائل يختبئون داخل الغابات يرقبون هؤلاء التجار الجدد فى شىء من اللوعة والاسى والخوف والحذر ، ويقولون فيما بينهم وبين أنفسهم « لقد حذرنا العراف موجو » .

وهكذا أخذ رجال الكيكيو يتعودون تدريجيا على رؤية هذه الوجوه الغريبة ، ويتاجرون معهم أحيانا ، ويسمحون لهم باستعمال الطريق الذى يقع على طول الحدود بين أراضيتهم وأراضى ماساى ، ولكنهم لم يسمحوا لهم أبدا بالاقتراب من منازلهم أو أراضيتهم الزراعية ، وكلما حاولوا ذلك وقف المحاربون من رجال « الكيكيو » يصدونهم عن تقدمهم ..

* * *

امتزاج أخوة الدم : -

فى أحد الأيام كان الزعيم «واياكى» ومعه جماعة من أبناء قبيلته يجلسون تحت ظل شجرة يحتسون بيرة العسل فى الوقت الذى كانوا يقومون فيه بالاستعداد للاحتفال بالعيد الذى تعودوا أن يحتفلوا به بعد حصاد محصول الذرة ، وصل رسول يرتجف من شدة الخوف وقال للزعيم : « سيدى .. ان لدى أخبارا سيئة للغاية .. لقد مر رجل أجنبى ومعه قافلته من غابتنا ، وهو الآن فى طريقه الى « نيونجور » ولقد ذهب المحاربون من كل مكان لمواجهة هذا الخطر وافسموا جميعا أن يدفنوا رماحهم وسهامهم فى بطن هذا الأجنبى ، ويقطعوا جثته اربا اربا ، ثم يلقوا بها الى النسور والضباع ! » .

وعندئذ هب الزعيم واقفا على قدميه وصاح منزعجا فى أحد كبار الموجودين حوله :

« ان الأمر مزعج حقا .. عليك أن تسرع باقصى ما تستطيع ، وتمنع المحاربين من قتل أى غريب ، خوفا من أن يمتزج دم حياته السحرى بتربة أرضنا ، فتغضب الأرض ولا تثبت زرعها

خصوصا واننا فى وقت نحتفل فيه بعيد من اعيادنا الدينية » .

وسرعان ما تم للزعيم ما أراد ، ومثل الرجل الأبيض بين يديه ، بعد أن احتجزوه أربعة أيام كان الزعيم يتشاور خلالها مع كبار رجال قبيلته فى أمر هذا الغريب ، وقرروا ترك هذا الرجل يشتغل بالتجارة ما دام لا يتسبب فى أذى أو ضرر للقبيلة وإذا ما حدثته نفسه بأن يقوم بأى عمل عدائى ، فعلينا أن نقضى على حياته هنا .. وفى اليوم المحدد ذهب الزعيم وياكى وبرفقته عدد كبير من رجاله وأعوانه المحاربين الى « داجوريتى » حيث أحضروا الرجل الأبيض ، ووقف بين يديه ، وبعد تبادل التحية سأل الزعيم عن سر مجيئه وطبيعة عمله .

فأجابه بأن غرضه الاساسى من وجوده هنا هو القضاء على العناصر التى تقف الى شرق أفريقية للتجارة فى الرقيق . وعندئذ أجابه الزعيم وهو يستشيط غضبا ... هل تعتقد أيها الرجل أن المحاربين عندى عاجزون عن الوقوف أمام هذه العناصر التى تتحدث عنها ؟ ألم يخبرك هؤلاء الحمالون الذين يعملون معك كيف أعامل كل من تحدثه نفسه بأن يسلك سلوكا لا أقره فى بلدى ؟ ان أى شخص يحاول أن يلحق أدنى ضرر برعيتى ، لابد وأن يدفع الثمن غاليا ..

وعندئذ أحس هذا الرجل الأبيض بمدى الحرج الذى وقع فيه ، فحاول أن يغير من موضوع حديثه ، وقال للزعيم « اذا تفضلت يا سيدى بقبول صداقتى ، فأننى أتعهد بأن أتعامل معكم كما يتعامل الاخ مع أخيه ، وسيسلك كل من هم من أبناء جلدتى هذا السلوك نفسه » .

وسأله الزعيم مرة ثانية ماذا يعنى بكلمة « اخوة » هل يقصد بها الحضور الى هنا أنت وأبناء جنسك لتعيشوا بيننا؟ وتبادل الجالسون النظرات بعضهم الى بعض ولكن أحدا منهم لم ينبس ببنت شفة . وأجابه الرجل الغريب « سيدى ليست لدى أية رغبة فى أن نستوطن بلادك ، ان كل ما أطمع فيه هو السماح لى بالمرور مع قافلتى على الطريق الذى يقع عبر أراضيك ، وأن تسمحوا لى بشراء ما أحتاج اليه من الطعام فى مقابل البضائع التى سأحضرها معى »

وأوما الزعيم ، وكأنه راض عن اقتراح هذا الاجنبى ، ثم أذاع بشرى استقرار السلام والامل فى الخير بصوته الوقور الهادى ... وبعد مناقشات طويلة تقرر توقيع اتفاقية بين الزعيم **واياكى** ورجاله من ناحية وبين الرجل الابيض كابتن **لوجاردو** الذى يمثل أبناء شعبه من ناحية أخرى وهكذا دخل الطرفان فى معاهدة أبدية وعند الاحتفال بتوقيع هذه المعاهدة تجمع الناس من مكان فى **راجوريشى** ليشهدوا ساعة الاحتفال بأخوة الدم وبدىء الاحتفال بذبح شاة أخذت منها قطعة ثم حكى بكفى الزعيم والرجل الابيض ، بعد أن جرحتا قبل ذلك ، وكان هذا يعنى تحقيق فكرة حقن دماء الشخصين ، وفى نهاية الاحتفال بدأ كل واحد من الحاضرين يلتهم قطعة من لحم الشاة التى ذبحت وذلك لكى يؤكد فى الوقت نفسه عزمه على أن يكون للآخرين كالأخ ويتعامل معهم على هذا الاساس فى كل مجال من مجالات الحياة .

وكانت هذه المعاهدة التى تمت بهذه الصورة تعتبر المعاهدة الوحيدة التى وقعها شعب الكيكيو مع البريطانيين على أساس من احترام كل منهما لحرية الآخر ، وكانت هذه المعاهدة تنص على أن يقوم شعب **الكيكيو** بتزويد الاوروبيين بالطعام ، بناء على الشروط المتفق عليها ، ولا يصح لاي فريق الحاق الضرر ، أو الاذى بالآخرين . ومما هو جدير بالذكر هو أن هذه المعاهدة لم تتضمن امتيازات اقليمية من أى نوع ، أو بند أو شرط يمس حقوق شعب **((الكيكيو))** فى أرضه !

* * *

وعود منقوضة : -

وقد وقعت معاهدة الاخوة المذكورة عام ١٨٩٠ وظل الاوروبيون الذى جاءوا بعد **لوجاردو** يحرضون على احترام نصوصها ، وتنفيذ بنودها طبقا للشروط المتفق عليها بين الطرفين ، ولكن هذه الحالة لم تدم - مع الاسف - طويلا ، اذ أن بعض الاوروبيين الذين خالطوا الافريقين بدأوا يسيئون اليهم بتصرفاتهم الى اخوانهم فى الدم ، وانتهت حالة الصداقة والسلام ، وقد وصف **الكابتن لوجاردو** - الذى أصبح اللورد لوجارد - هذا الموقف فى كتابه الذى أسماه **((ظهور امبراطوريتنا فى شرق افريقية))** بقوله :

« لقد عشت ما يقرب من الشهر بين هؤلاء الناس ، والواقع اننى قد تأثرت بالمعاملة الطيبة التى كانوا يعاملوننى بها أكثر مما تأثرت بمعاملة أية قبيلة أخرى قابلتها فى افريقية كلها ، لقد توطدت بيننا الصداقة بشكل لا نظير له ، ولم يساورنى شك فى أى يوم من الايام ، ولم أتوقع حدوث

أى لون من ألوان الخطورة . حينما كنت أتجول وحدى فى أى مكان مهما ابتعدت عن معسكرى »

ولكن حدث فيما بعد - كما قال **لوجاردو** فى الكتاب نفسه - أن أصيبت هذه العلاقات الطيبة بنكسة خطيرة .

ولعل ذلك يرجع - كما أعتقد - الى

الحاجة الى الطعام الذى كانت تفتقر اليه القوافل المارة ، فقد كان رجالها

يسرقون غلات الافريقين ، ويتسببون فى حدوث كثير من المتاعب ... واننى

لشديد الاسف حقا لهذه السياسة

الخرقاء التى تسببت فى اغلاق هذه

البلاد ، التى كانت بمثابة السوق

الموعودة لحركة التطور التجارى بين

الشواطىء والبحيرات ، والتى تحولت

بعد الصداقة والسلام الى حالة من

العداء وسفك الدماء ، وجعلت من

الافريقين أناسا يتربصون العداء بكل

أبيض أوروبى ، ويذبحون كل من

يعثرون عليه من هؤلاء البيض ، بالرغم

من وجود جبهة قوية للدفاع مكونة من

١٥٠ رجلا مسلحين بأحدث الاسلحة ،

فى الوقت الذى كان فيه **ويلسون**

أيام السلام لا يحتفظ معه بأكثر من

ثلاثين شخصا ليس معهم من السلاح

الا القليل جدا » .

وهنا دعت الظروف الى أن يهب

الزعيم **واياكى** ومعه رجاله الأشداء ،

لكى يقاوموا هذا الخطر الجديد ، ولكن

ماذا يستطيع **واياكى** أن يفعله بحرا به

وسهامه وسيوفه البدائية ، أمام جماعة

تحارب بأحدث الآلات الحربية الجبارة

وأخيرا وقع زعيم **الكيكيو** فى قبضة

الاوروبيين أسيرا لا حول له ولا قوة ،

ثم تقرر نفيه وإبعاده ، ولكنه فى

الطريق الى الشاطئ لقي نهايته ومات

من الحسرة والالام عند مدينة **كبوزاي** حيث دفن هناك .

وكان هذا هو المصير الذى لقيه

الزعيم القوى والحاكم الوطنى العظيم ..

وهكذا تحققت نبوءة العراف « **موجو**

كييرو » .

وتعاقبت السنين بعد ذلك ، وشهد

الشعب الافريقى فى كينيا تطورات

كبيرة قلبت حياته رأسا على عقب . فقد

أعلنت بريطانيا - رسميا - ملكيتها

لكينيا ، وبدأ المستوطنون البريطانيون

يفدون بسرعة الى هذه المنطقة الافريقية

وأخذت الحكومة الجديدة تمنحهم

بطريق الهبة أو الاثمان الرمزية

اقتطاعات زراعية واسعة من أجود

الاراضى هناك ، وكانت الاراضى

الزراعية فى كينيا من سعة المساحة

بحيث أن الحكومة لم تستطع أن

تملكها للاوروبيين فورا ، فأبقت بعض

الافريقين - الى وقت ما - فى أراضهم

وما كانوا يعرفون يومئذ أن وجودهم

مرهون بوصول مزيد من البيض الذين

سيستولون على تراث آبائهم وأجدادهم

ان الارض عند الافريقى أعز لديه

من أعلى قيمة فى الدنيا . وافرقيقو

كينيا بالذات على استعداد دائما لأن

يضحوا بحياتهم فى الدفاع عن أراضى

أجدادهم ، فالمسألة فى نظرهم ليست

مسألة أرض يعيشون عليها فحسب ،

بل انها روح السلف ورابطة الدم بين

الاجيال الماضية ، ولكن ... ماذا يفعل

هؤلاء الافريقيون أمام الطائرات

والقنابل والغازات السامة ... ؟!

* * *

الامور تتغير :

ومن المعروف أنه قبل الحرب العالمية

الاولى لن تكن فى كينيا حركة

افريقية الى كتائب الجيش البريطاني ، وأدت خدمات جليلة للحلفاء . ووصف السير ادوارد عضو البرلمان الانجليزى الذى كان يشغل فى يوم من الايام منصب حاكم كينيا ، مدى الخدمات التى قام بها الافريقيون فى هذه الحرب فكتب يقول : -

« لقد قام هؤلاء الافريقيون بأعمال فوق طاقة الجنس البشرى ... ولم يمكن أن ينسى الحلفاء هؤلاء الافريقيين الذى كانوا يحملون الزاد والمؤن والذخيرة فى معمران المعركة ثم يوصلونها الى القوات المحاربة على بعد عدة أميال » .

وعاد الافريقيون بعد الحرب الى بلادهم ، وكانت المكافأة التى جوزوا بها على جهودهم الجبارة فى مساعدة الحلفاء أن أعلنت بريطانيا داخل المملكة المتحدة نداء تدعو فيه الموظفين الذين أحيلوا الى المعاش بالذهاب الى كينيا التى أسمتها يومئذ « مجال العمل النموذجى » .

وهكذا تقاطر البريطانيون الى كينيا ينشدون الجنة الموعودة ، ورأينا كثيرا من الاسر والقبائل الافريقية يطردون من أراضي آبائهم وأجدادهم ، لأن الارض قد أصبحت ملك التاج البريطانى ، وفرضت الحكومة ضريبة الرءوس والاكواخ ، وشدت قبضتها فى جمع هذه الضرائب ، واستعملت كل ما فى جعبتها من وسائل العنف والقسوة ، ثم أصدرت قوانينها بتنفيذ شهادات التسجيل التى يمقتها الافريقيون .

« له بقية »

سياسية منظمة ، فقد كان زعماء القبائل - طبقا للتقاليد المتوارثة - يمثلون طبقة رجال السياسة ولقد أصبح هؤلاء الزعماء بعد دخول البريطانيين موظفين لدى الحكومة تدفع لهم الرواتب ، وتمنحهم العطايا والهبات . وكل زعيم لا ينفذ رغبات الحكومة يلقى المصير الذى لقيه الزعيم الراحل « وياكى » .

والزعماء الذين تتوطد صلتهم بالحكومة يحصلون على ثقتها وتأييدها وبذلك تعطىهم سلطة النيابة فى جمع الضرائب ، ورفع مستوى انتاجية العمل .

وأصبح من الاجراءات المتبعة التى ينفذها المندوب الاقليمى تزويد الزعيم باثنى عشر رجلا أو أكثر - اذا دعت الحاجة - من رجال البوليس المسلحين لكى يتمكن من اخضاع أية منطقة تحاول أن تعترض على قوانين الحكومة .

ويشغل بعض الافريقيين الذين حصلوا على قدر معين من الثقافة الاوروبية - على أيدي رجال الارشاليات الاجنبية - بعض المناصب الثانوية فى جهاز الحكومة ، وكان من المتوقع أن تلعب هذه الطائفة دورا هاما بالنسبة لكينيا ، لولا أن الضغط الاقتصادى وعوامل التهديد التى يلوح بها لكل من تحدثه نفسه بالخروج على تعليمات الحكومة هى التى تلجمهم ، وتشل نشاطهم الوطنى .

ولقد فرض على الشعب الافريقى أن يظل ساكنا محروما من أية وسيلة من وسائل التعبير ..

وأثناء حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ انضمت الآلاف من شباب شرق

président de la République française oppose aux Anglo-Saxons imbus de leurs prérogatives et préoccupés, au temps des fusées, de s'adapter aux exigences de la stratégie périphérique, nul ne peut en douter.

Mais réclamer la mise en œuvre d'une stratégie globale - de cette stratégie globale, dont M. Georges Bidault s'était montré l'ardent protagoniste au tournant décisif de la guerre d'Indochine - n'est-ce pas retomber dans les erreurs et les catastrophes du passé ?

N'est-ce pas justement revenir à cette politique "du bord du gouffre" que M. Dulles avait, assurait-on, emportée dans sa tombe, et dont on ne voit pas comment les Etats neufs ou jeunes pourraient en accepter le retour ?

On objectera que le général de Gaulle ne vise à participer à l'élaboration de la stratégie globale qu'en vue de mieux la contrôler.

Hélas ! une semblable objection ne tient pas dès l'instant où le gouvernement français n'a d'autre ambition que d'amener ses alliés à soutenir son action en Algérie et à leur soutirer les secrets qui lui permettraient de fa-

briquer sa bombe "H" à meilleur compte..

...Au moment même où la conférence genevoise sur l'interdiction des expériences nucléaires envisage un accord limité, mais indispensable.

Dès lors, que dire et penser de ces jeux infernaux ?

La politique de la France est en train de sombrer dans les plus funestes contradictions.

Voilà ce qu'il faut conclure de tant de manœuvres dilatoires et dépourvues de tout fil conducteur.

Certes, les temps sont "durs". Mais beaucoup jugeront avec nous qu'en compliquant les négociations en cours et en s'abritant derrière des slogans usés jusqu'à la corde, la France fait le contraire de ce qu'elle devrait faire.

On ne peut à la fois prétendre aider son prochain et ranimer en même temps les cendres de la guerre froide.

Il faut savoir ce que l'on veut. Et notre pays flotte dangereusement sur des mers où il s'ingénie à perpétuer les tempêtes.

Afin de gagner du temps ? Le malheur est que le temps ne travaille pas pour lui :

ni à Genève, ni à l'O.T.A.N.

principaux partenaires, à savoir la possession des armes nucléaires, celles-là mêmes qui lui échappent encore, à lui de Gaulle, et lui font sentir son infériorité dans la lutte pour un nouveau partage des zones d'influence - de substituer, disons-nous, à ces critères les promesses d'une action commune en faveur de l'expansion économique sous le couvert de laquelle notre pays n'apparaîtrait pas trop démuné. En outre, ce projet pourrait conduire à un désarmement général (?). Mais, cette fois, sans dommages excessifs pour le prestige de la France...

Admettons que cette explication soit plausible, bien qu'elle pose le problème des disponibilités réelles de notre pays, compte tenu des spéculations sahariennes, et qu'elle présuppose une véritable reconversion de l'économie américaine, dont on n'aperçoit pas les signes avant-coureurs.

A ce propos, il serait bon d'interroger les Latino-Américains.

Reste à savoir si une telle hypothèse cadre, précisément, avec le... reste.

Avec le reste, c'est-à-dire la politique des légions romaines en Algérie, car l'armée, suprême

rempart du général, en lisant Mao a retrouvé César. Avec le reste, c'est-à-dire la confusion entretenue sans cesse par les dirigeants de la Ve République sur la nature même des bouleversements qui se sont produits sur la planète, partout où se situe l'univers des pays neufs, et qui se réduiraient, selon Mr. Debré et les siens, aux effets pernicioeux de la propagande communiste.

Avec le reste, c'est-à-dire enfin le combat singulier que le général de Gaulle mène contre l'O.T.A.N., au sein de l'alliance atlantique, non pas, semble-t-il, pour sauvegarder sa liberté, plutôt pour se donner de nouvelles chaînes dans une croisade, qui, en perpétuant la guerre froide, en continuant de dresser les deux blocs l'un contre l'autre et en attisant le feu de l'anticommunisme, rendrait illusoire toute aide sérieuse et efficace aux pays sous-développés.

Il y a donc là une antinomie flagrante entre ce que certains gaullistes, en quête d'une excuse, désignent, faute de mieux, comme la grande pensée du règne et les faits qui se déroulent sous nos yeux.

Qu'il y ait une part de vérité dans les arguments que le

LA POLITIQUE FRANÇAISE

s'enfonce dans les contradictions

Si l'on cherche une "explication cohérente" à la politique extérieure du général de Gaulle, on court le risque de ne pas la trouver.

A moins - ce n'est là qu'une hypothèse - que l'on ne décide d'oublier certains faits qui, en dépit des apparences, ne seraient qu'épisodiques, pour ne retenir, au-delà des contradictions et des hérésies, que la grande pensée du règne.

Entreraient dans la liste (déjà longue) de ces faits épisodiques, d'abord l'entreprise de sabotage à laquelle se livre la délégation française à Genève, ensuite la suspension inconsidérée de notre diplomatie à l'axe Paris-Bonn, que M. Strauss, sur le plan militaire, et M. Ehrhard, sur le plan économique, n'ont pas tardé à transformer en balançoire sous les regards complices du vieil Adenauer, dont tout le monde s'accorde à dire aujourd'hui qu'il ne s'est servi de la Petite-Europe qu'afin d'achever

le redressement de son pays, enfin, les avances stupéfiantes autant que dérisoires de l'Elysée et de l'Hôtel Matignon à l'Italie, qui, déjà, n'est plus celle de M. Pella, et à l'Espagne, qui est en train d'allumer quelques pétards sous les fesses du Caudillo.

Mais comment définir la grande pensée du règne ?

A ce sujet, le général de Gaulle n'aurait livré qu'une partie de son secret.

Il semble que, redoutant les compromis genevois dans la mesure où ces derniers se feraient sur le dos de la France - telle est au moins son opinion - il s'efforce de surmonter son absence de moyens à l'égard des Grands, ses difficultés intrinsèques et aussi ses déboires, en détournant les derniers courants de la guerre froide au profit de l'aide aux pays sous-développés.

L'objectif de de Gaulle serait, en conséquence, de substituer aux critères sur quoi se fonde actuellement la puissance de ses

JOMO KENYATTA DAY 26/9/59

RESOLUTIONS

On the occasion of Kenyatta Day, 26/9/59, decided by the Permanent Secretariat of Afro-Asian Peoples' Solidarity, the African Association salutes with emotion the heroic struggle of Kenya Africans and those who died or were imprisoned for defence of African freedom in Kenya ever since 1952. Noting with very great indignation the continuation and existence of state of Emergency, used by the British colonialists as a means to transfer power to white settlers, and shocked by the repressive measure taken against the African Nationalists and the deplorable continuation of detention and exilement of the only African Kenyan leader Jomo Kenyatta, the African Association reaffirms its unconditional solidarity with the African people of Kenya struggling for independence and therefore demands :-

(1) The immediate release of the Kenya African leader Jomo Kenyatta and his colleagues.

(2) The termination of seven-year old state of emergency with all its diabolic and ruthless measures such as restrictions of African country-wide political organisations, taperecording of African political speeches, com-

pulsory communal labour and carrying of pass books, and restriction of African freedom of press, assembly etc.

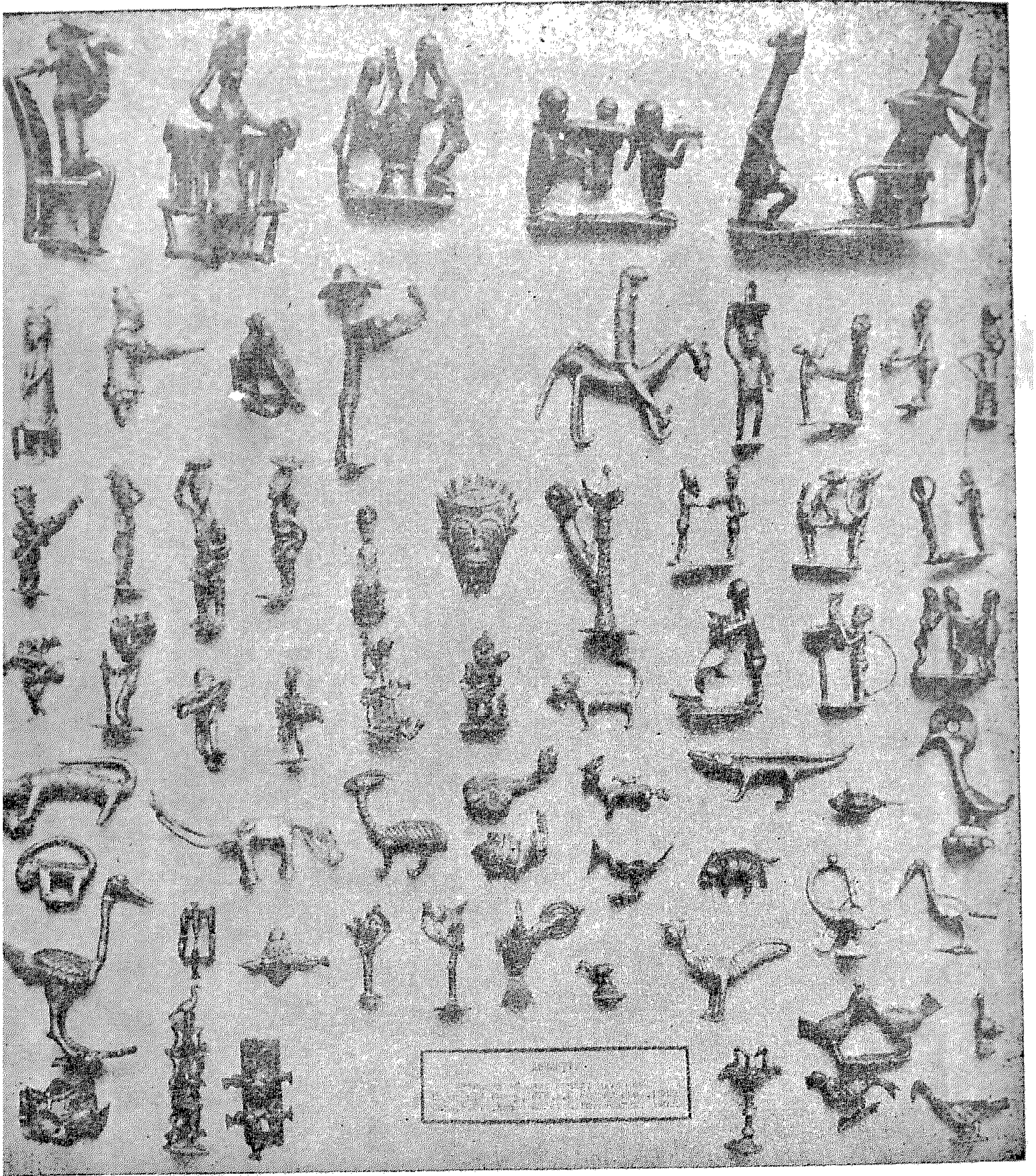
(3) That Jomo Kenyatta must be consulted by the constitutional expert now in Kenya - Professor Mackenzie - and that Jomo Kenyatta must represent his people in the forthcoming round table constitutional conference before election next year - 1960.

(4) Immediate resettlement of Africans in their own land in Kenya Highlands presently reserved exclusively for European settler only.

(5) Stoppage of further European farmers' immigration into Kenya.

(6) The rapid liquidation and disbandment of British military bases, established for exterminating the innocent unarmed Africans.

(7) That the British must respond to the Kenya African demand for full independence and self-determination Now, and non-compromise on any constitutional change which may provide for something short of rule by African majority in Kenya not later than Now.



من روائع الفن الافريقي

2nd. Year

Issue No. 23 - October 1959



Nahdatu

AFRIQUAIAH

80 Pages.

30 Milliemes.

IN THIS ISSUE

- THE BURNING SPEAR.
- THE CONGO TRIBE.
- AFRICA REVOLUTION.
- JOMO KENYATTA.
- BOOK ANALYSIS.
- BOOK OF THE MONTH.

السنة الثانية

العدد ٢٤

نوفمبر ١٩٥٩

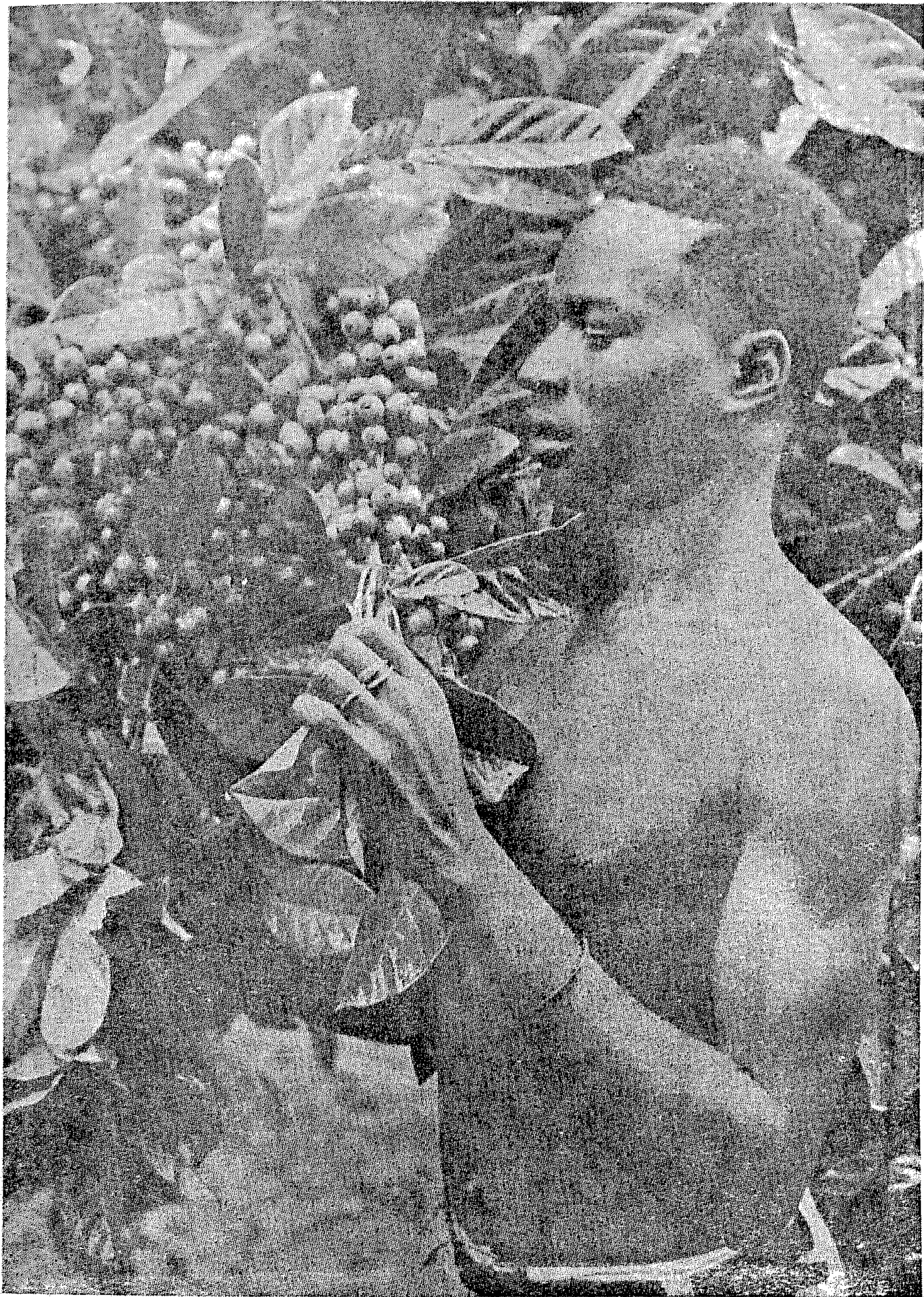


نهضة إفريقية

في هذا العدد

- ما وراء الدخان
- التجار العرب في إفريقيا
- من القصص الأمازيغية
- ذكريات الخرطوم
- فن النحت
- كتاب الشهر

العدد ٣ فروع



« مزارع من غينيا »

نهضة إفريقية

تهدف هذه المجلة الى :

- ١ - تنمية الوعي القومى الافريقى.
- ٢ - التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .
- ٣ - نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهتم كل افريقى فى مجاله الحيوى

وللمشتركين الحق فى :

- ١ - الحصول على المجلة بانتظام وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض.
- ٢ - الافادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الامكان .

● ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .
● ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها . .

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة افريقية
٥ شارع أحمد حشمت - الزمالك
بالقاهرة

تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨

الاقليم المصرى
بالجمهورية العربية المتحدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى :
دار أخبار اليوم للتوزيع :
٧. شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا :

لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمن العدد ٣ قروش



نهضة افريقية
مجلة شهرية
للتقافة الافريقية

رئيس التحرير
محمد عبد العزيز اسحق

محتويات العدد

صحيفة

ما وراء الدخان :

للأستاذ محمد عبد العزيز

٣

اسحق

التجار العرب في غرب افريقية :

للدكتور ابراهيم أحمد العدوي

١٤

أفريقية الاستوائية :

افريقية الوسطى وروديسيا

٢٢

الجنوبية :

للسيد جوثيا . م . نكومو

٢٩

هذه هي غانة :

الشخصية الافريقية :

للأستاذ عزيز متری عبد الملك

٣٥

ذكریات الخرطوم : (شعر)

٣٧

للأستاذ عبده بدوي

٣٩

السودان في صور :

من القصص السودانية

(أولاد السمكة)

٤٣

للأستاذ عباس خضر

أثر السياسة الاستعمارية في

التعليم :

٤٦

للأستاذ علي شلش

٤٩

كلمات وصور :

الغيرة :

٥٥

للأستاذ سيد العقاد

كتاب الشهر :

٥٩

للأستاذ عبد الواحد ابراهيم

فكرة ..

(١)

بصدور هذا العدد تكون مجلة ((نهضة افريقية)) قد أتمت عامين في الحقل البكر الذي اختارته ، والذي شقت طريقها فيه بأمانة وإخلاص ، فقد كانت نتيجة طبيعية لاهتمام الجمهورية العربية المتحدة بافريقية ، وحرركات التحرر فيها ،

وقد حرصت هذه المجلة دائما على أن يكون لها اتجاه علمي في كل القضايا التي تتناولها ، والبحوث التي تتعرض لها . مع ملاحظة صادقة للأحداث التي تمر بالقارة في سرعة مذهلة . بحيث أصبح من الممكن للباحث العربي وللقارئ العربي أن يضع يديه الآن تماما على مشكلات القارة ، وظروفها ، وماضيها وغدها .

فنحن نؤمن بأن مجلة ((نهضة افريقية)) هي هدية الجمهورية العربية المتحدة لافريقية ..

(٢)

أصبحت افريقية الآن مدينة مفتوحة للافريقين وثقافتهم وسياستهم ، بعد أن كانت مغلقة أمام كل ما هو افريقي .. وقد شهدت القارة في هذا الشهر اجتماعا لاتحاد نقابات العمال في ((أكرا)) ، ومباراة في القاهرة بين فريقى الاقليم الجنوبي وغانة ، واجتماعا على مقاومة تفجير القنبلة الذرية في الصحراء الكبرى ، واستعدادا لإعلان يوم ((تحرير افريقية)) ، واحتضانا لزعيمة جنوب افريقية بعد أن فرت الى دولة مجاورة ، وتوقيع لاتفاقية السودان .

وهكذا تعيش افريقية كل يوم في مكاسب وانتصارات جديدة

((عبده بدوي))

سائر السفن

بفلم : الأستاذ محمد عبد العزيز اسحق

الحوت الافريقى :

من أقاصيص السندباد : انه امتطى ذات يوم سفينة ، ليعبر بها البحار الى الهند والسند و « بلاد تركب الأفيال » ..

وما أن أمعت السفينة في بحار الظلمات حتى اكفهرت السماء ، وهجمت العواصف الرعناء ، فاقتلعت الشراع ، وقذفت بالبحارة الى أعماق اليم ، ولم ينج الا صاحبنا السندباد ، الذى ظل يكافح الموج حتى ألقت به المقادير الى جزيرة خضراء ، فسيحة الأرجاء ، فيها الأشجار الوارفة ، والثمار الممتعة ، والعيون الجارية ، والظل الظليل ..

وما أن استقر المقام بالسندباد وخيل اليه أنه قد صادف ليلة القدر ، وأصاب سعادة العمر حتى أحس بزلزال ، ونظر فاذا الجزيرة تتحرك وتنتفض أجزاءها وتعلو وتهبط ، واذا بالحقيقة المذهلة تتكشف عن حوت عظيم أخذته غفوة من النوم تناسب حجمه الهائل .. وهبطت عليه الأمطار فأينعت على ظهره الأشجار .. وطار صواب السندباد وتبخرت أحلامه ، فلقى بنفسه في البحر يطلب النجاة .. ومنذ القرون الوسطى كانت سفن الاستعمار تطوف بافريقية ، وتنزل

اليها ألف سندباد ، وقد تناسلوا وعاثوا في القسارة جبروتا وطفيانا ، وخيل اليهم أنهم ملكوا الأرض ومن عليها .. وفي هذه الأيام تتزلزل الأرض تحت أقدام الاستعمار ، ويدرك أنه لا يقف على أرض صلبة ، وانما يقف على هزات مخيفة ، ما يكاد يفر من أحداها حتى تلاحقه الأخرى ، وليس بعيد اليوم الذى تكتمل فيه انتفاضة « الحوت الافريقى » فاذا الاستعمار يلقى بنفسه في الموج طالبا النجاة ..

أمجاد « مالى » :

ان عام ١٩٦٠ يدخر للاستعمار الشيء الكثير ، فليست « الكارثة » ان أربع دول افريقية جديدة سوف ترفرف أعلامها فى الآفاق ، وترفع رءوسها شامخة فوق مقر هيئمة الأمم فى نيويورك (وهذه الدول هى : نيجيريا ، والكاميرون ، والصومال ، وتوجولاند) وانما تبرز فى الأفق دولة اتحادية عريقة الأصول ، هى دولة « مالى » .

لقد اطمأن السيد ديجول الى استفتائه المشهور ، الذى أدخل به المستعمرات الفرنسية السابقة الى حظيرة « الجماعة الفرنسية » وحمد المقادير ان لم تفلت منه غير « غينيا »

ولكن الاطمئنان قد أخذ يخلو سبيله
ليحل محله القلق وتوقع التفكك
والانحلال ..

فما ان استقلت غينيا ، واستطاعت
أن تهزم المكاييد السياسية والاقتصادية
التي نصبتها فرنسا ، وتواطأ فيها
مع فرنسا ما يسمى « بالعالم الغربى »
حتى انهارت عظمة « الجماعة
الفرنسية » أمام عيون الأفارقة ،
وحتى تحركت « أخوات غينيا » وهبت
شعوبها تطلب لنفسها العزة والكرامة
الدولية والتحرر من قيود التبعية ،
ورأينا اقليمين عظيمين (هما السودان
« الفرنسى » والسنغال) يثبتان على
دعوة « مالى » (وهذا هو اسم
الامبراطورية الافريقية العريقة التى
كان السنغال والسودان جزءا منها
فى القرون الوسطى ..) .

وتتلخص دعوة « مالى » فى تكوين
دولة اتحادية من السودان والسنغال ،
دولة مستقلة لها جيشها وماليتها
وكيانها الدولى وعضويتها فى الأمم
المتحدة ، ومعنى ذلك انفصالها عن
« الجماعة الفرنسية » وتأهبها
لاتحاد جديد مع دول افريقية
جديدة ..

انه لم يمض الا نحو عام على استفتاء
ديجول ، ونحن لا نشك لحظة فى أنه
لن يمضى عام آخر حتى تلحق
بـ « مالى » افريقية الوسطى
« الفرنسية » التى تحيط بالكاميرون
والتي تتاخمها نيجيريا من جانب
والكونغو وأوغندا و « رواندا » من
جانب آخر ، وكلها تغلب الآن كالمرجل
الذي يلبيب ثلوج الاستعمار ..

ان رماح « لومومبيا » غير رماح
« تيبوتيب » ..

عندما تحركت شهية « ليوبولد »
ملك البلجيكيين فى أواخر القرن
الماضى لالتهام « الكونغو » كانت أكثر
بقاع هذا الاقليم معروفة لدى العرب ،
وكان لها باقاليم السواحل الشرقية
أوثق الصلات ، وكان فرسان العرب
وتجارهم يجوبون أراضى الكونغو
فيتساجرون ويكتشفون المجاهل ،
ويقيمون أنظمة الحكم ، ويوطدون
أقدامهم ويمتزجون بالسكان ليخجلوا
من تلك الأقاليم الشاسعة دولة عزيزة
الجانب مترامية الأطراف ..

وعندما أطل الاستعمار الأوروبى
بجشعه على أقاليم الكونغو ، ممثلا فى
رسل ليوبولد وبريطانيا وفرنسا هب
العرب فى وجوههم ، وقاتلوهم قتال
المستमित ، وكان رمز المقاومة العربية
الافريقية فى ذلك الحين : حميد بن
جمعة المرجبى الشهير بـ « تيبوتيب » .
وحينما انتصر الاستعمار بالرشوة
والخداع والبارود على شجاعة العرب
الافريقيين ورماحهم ، خيل
الى المستعمرين أن الكونغو قد أصبح
فى حظيرتهم « دجاجة تبيض الذهب »
ومرت عشرات السنين ، وبعث
البلجيكيون الى الكونغو بتجارهم
وحكامهم ومبشريهم ، وأخذوا
يطبقون ما يسمى بـ « السياسة
الأبوية » ، أو سياسة العطف المادى
(ورفع مستوى المعيشة) وظنوا أن
الكونغو قد استكان ..
وفى ديسمبر سنة ١٩٥٨ انفقد
مؤتمر الشعوب الافريقية فى أكرا ،

ولم تمض أشهر معدودات حتى قامت ثورة « ليوبولد فيل » وفزعت (السياسة الأبوية) أمام صيحات الكونغوليين : « أخرجوا من افريقية » ، وبدا شبح الطوفان الوطنى مجسما أمام الحكام البلجيكين ، وعلى الرغم من أنهم (أعادوا النظام) فى ليوبولد فيل الا أنه لم يخطر ببالهم قط أن فى وسعهم أن يمارسوا فى الكونغو (ومساحته تزيد على مساحة بلجيكا أكثر من سبعين مرة) حربا استعمارية تماثل حرب الجزائر ، فاضطر ملك بلجيكا وحكومته الى التصريح بعزمهم على التدرج بالكونغو نحو الاستقلال ، وأن أقصى آمالهم أن يركن الشعب الكونغولى الى الهدوء والسكينة لى يتاح للحكومة البلجيكية أن تهيب « الظروف الديموقراطية » المناسبة للاستقلال ، وتحدد الوقت الكافى لتهيئة هذه الظروف بأربع سنوات .. ولكن مرور بضعة أشهر أخرى على أحداث « ليوبولد فيل » كان كافيا لاشعال « ثورة » جديدة فى « ستانلى فيل » على بعد عشرات المئات من الأميال فى داخل الكونغو ، واذا كانت حركة « أباكو » فى « ليوبولد فيل » قد استطاعت أن تنتزع من بلجيكا وعدا بتقرير المصير بعد أربع سنوات ، فإن « الحركة الوطنية الكونغولية » قد أصرت فى « ستانلى فيل » على نيل الاستقلال فورا ..

وكشر الاستعمار مرة أخرى عن أنيابه الهزيلة المحطمة ، وأخذ يطارد الشعب الكونغولى الأعزل ، ويعتقل زعمائه (وعلى رأسهم الزعيم لومومبا)

ويحاول أن يغرى الشعب الافريقى المكافح بالاشتراك فى انتخابات محلية (تمثيلية) ويلقى اليه بالوعود الكاذبة الخداعة ..

ان البارود يقف مرة أخرى أمام الرماح فى الكونغو ولكن رماح اليوم غير رماح « تيبوتيب » .. !

حول « بحيرة الآلهة » ..

اذا قدر لك أن تتابع نهر النيل الى منابعه فى أوغندا فانك واجد على شطآن « بحيرة الآلهة » التى سماها المستعمرون « بحيرة فيكتوريا » شعبا اسمه ال « باغندا » وهو يقطن الاقليم الرئيسى من يوغندا ، واسم هذا الاقليم « بوغندا » ..

والى الجنوب الغربى من هذا الاقليم تمتد اراضى « رواندا » وأراضى « أوراندى » وهما المقاطعتان اللتان كانتا مستعمرتين المائيتين قبل الحرب العالمية الأولى ، ثم وضعتهما « عصبة الأمم » - بعد انهزام ألمانيا ، تحت وصاية بلجيكا ..

واذا تأملت شعب « باغندا » وشعب « رواندا » وجدت طابعا بشريا يعيد الى ذاكرتك ما رأيته من صور ورسوم على معابد الفراعنة ، فان لون البشرة أقرب الى لون القهوة والملاح دقيقة متميزة ، ومشاهد القوم فى حياتهم الاجتماعية والفنية فيها الشئ الكثير مما تراه مرسوما من مشاهد على مخلفات الأجداد الأولين فى وادى النيل ، بل ان الدواب - وعلى الأخص الثيران - التى تراها اليوم فى « بوغندا » وفى « رواندا » تكاد تكون صورة حية من الثيران التى سادت منذ

وقت طويل في الاقليم الجنوبي من
الجمهورية العربية المتحدة ..

وقد سبقت « بوغندا » شقيقتها
الصغرى « رواندا » في التمر
للاستعمار الأوروبي ، ولكن الأنباء قد
تلاحقت بأن الشقيقة الصغرى قد
تأهبت لوثة وطنية ترمى من ورائها
الى نبد « الوصاية » البلجيكية ،
والسير في ركب الدول الافريقية
المستقلة ، ولما كانت بلجيكا تخضع في
وصايتها على « رواندا » و « أوراندي »
لرقابة الأمم المتحدة فانها لن تستطيع
انكار حقهما في تقرير المصير ، ولكنها
بما طبعت عليه من روح استعمارية
سوف تلجأ الى التسويف والمماطلة ،
والى المؤامرات والدسائس تبثها بين
القبائل الساذجة . وهذا ما وردت به
الأنباء من أن بعض القبائل قد اشتبك
في صراع مع بعضها الآخر ..

ولكن « رواندا » رغم كل ذلك قد
أخذت في جمع الصفوف وتآلف القلوب
تمهيدا للوثبة الكبرى ..

حول جبال القمر

والى الشمال من « رواندا » والى
الجنوب والى الشرق هزات وانتفاضات
شتى . وكلها ترمى الى القضاء على
المستعمر البريطانى وكسر شوكة
« المستوطن » الأوروبي . والذين
يعرفون السياسة البريطانية اللولبية
لا تدهشهم المشروعات « المرنة »
المطاطة التى يحاول بها وزير
المستعمرات البريطانى الجديد أن يلهى
بها شعوب أوغندا وكنيا
والروديسيات (وهى تحيط بجبال
رونزورى ، ومعناها « جبال القمر ») .

فقد أوحى الوزير الجديد « بتخفيف »
وطأة قانون الأحكام العرفية الذى أعلن
منذ بضعة أشهر في « أوغندا » لوقف
نشاط الأحزاب السياسية ، وكان من
نتيجة ذلك الافراج عن « بعض »
المعتقلين السياسيين .

ولكن القانون الجائر ما يزال قائما
مصلتا على رقاب الوطنيين الأوغنديين ..
ووافق الوزير الجديد على عقد
مؤتمر يضم « بعض » ممثلى كينيا ،
وممثلى وزارة المستعمرات حول مائدة
مستديرة في لندن - عام ١٩٦٠ -
لمناقشة المطالب الوطنية ، ومناقشة
مطالب الآسيويين والمستوطنين
الأوروبيين ، كما وافق على عقد مؤتمر
ممثلى لبحث شئون تنجانيقا
ونياسالاند ..

ومع ذلك فان بريطانيا ما زالت
تؤازر حكام المستعمرات في استمرار
نفي « جوموكينيا » واعتقال دكتور
« باندا » ، هذا بالرغم من انتهاء مدة
العقوبة الظالمة التى وقعت على
« جوموكينيا » وبالرغم من تقرير
لجنة تحقيق بريطانيا « لورد دافن »
ثبت فيه أن دكتور باندا لم يحرص
على استخدام العنف لتحقيق المطالب
الوطنية . وبالرغم من أن حوادث
نياسالاند المفتعلة لم ينتج عنها قتل
رجل واحد من المستوطنين الأوروبيين ،
وكان جميع القتلى من أهل البلاد
الوطنيين ..

وقد قابل المجاهدون الافريقيون ،
في تلك المنطقة التى وصفناها بأنها
تحيط بجبال القمر ، محاولات بريطانيا
ووعودهم المطاطة بالمزيد من التقارب

وجمع الشمل ونبد الخلافات
الداخلية .

ومثال ذلك ما حدث في «أوغندا»
من التقارب بين المؤتمر الوطنى
الأوغندى ، صاحب الأغلبية الساحقة
فى الانتخابات الماضية ، وبقية الأحزاب
الصغرى ، وما حدث فى زنجبار من
اندماج «الحزب الإفريقى الشيرازى»
فى الحزب الوطنى وتوحيد أهدافهما
فى مطلب عاجل هو « الاستقلال
فورا » ...

وإذا كان هناك خلاف ما فى إفريقية
الشرقية والوسطى فهو حول مدى
القوة التى ينبغى أن تكون طابع الكفاح
ضد الاستعمار ، وقد رأينا مظهرا
لذلك فى انضمام أحزاب أوغندا

وزنجبار « المعتدلة » الى الأحزاب
المطالبة بالاستقلال الفورى ، كما
نرى مظهرا آخر فى « تنجانيقا » هو
محاولة الزعيم « الزيرى » دفع
حزب « الاتحاد الوطنى التنجانيقى »
وزعيمه « نيريرى » الى المزيد من
الحماسة والحرارة فى مواجهة
الاستعمارية ..

ان الظواهر تبدى يوما بعد يوم،
من وراء ستار الدخان الذى يحاول
الاستعمار أن يخفى به الحركات
الوطنية الإفريقية ، وخاصة فى إفريقية
الوسطى والشرقية ، وكلها ظواهر
تنبئ بعودة القارة الى أصحابها ، وأن
نصيب المستعمر منها لن يكون أكثر من
نصيب السندباد من « جزيرة
الحوت » !..



التجار العرب في غرب افريقية

للدكتور ابراهيم أحمد العدوي

قريبين أم بعيدين . وكانت هذه النظرة الافريقية الجديدة من مصر وبلاد المغرب تقوم على أساس المساواة التامة بين سائر الشعوب الافريقية ، والتعاون فيما فيه الصالح العام لهم جميعا . ووجدت هذه النظرة الجديدة تعبيرا لها في ميدان التجارة ، الذي يتطلب الاستقرار وخلق الثقة في النفوس بين سائر الأطراف المشتركة في هذا الميدان الحافل . وقام التجار العرب من مصر وبلاد المغرب بأداء هذه المهمة الجديدة التي تعتبر الحجر الأساسى الذى يجب أن تبنى عليه العلاقات الحديثة بين سائر البلاد الافريقية فى الوقت الحاضر . إذ كان هدف أولئك التجار نقل منتجات بلادهم الى غرب افريقية بما يسد حاجاته الضرورية . ويساعد على دعم اقتصادياته ، ويحملون من تلك الجهات فى مقابل ذلك ما تخرجه الأرض من كنوز وخيرات .

واشتهرت بلاد غرب افريقية منذ تلك الفترة المبكرة من نشاط التجار العرب بأنها مصدر الذهب ، الذى اتخذته البشرية من أقدم عصورها الى اليوم رصييدا توازن به ميزانياتها واقتصادياتها . وساعد هذا العنصر الهام على نشاط التجار العرب ، ودراستهم للطرق التجارية الكبرى التى تصلهم بأرضه ومصادره . وكان امام أولئك التجار عدة طرق غيره ،

كان امتداد الفتوحات العربية حاملة راية الاسلام الى مصر وبلاد المغرب : تونس والجزائر ، ومراكش - نقطة تحول كبرى فى تاريخ غرب افريقية . ذلك أن تلك الجهات الافريقية شاهدت قيام نوع من العلاقات الطيبة مع مصر وبلاد المغرب رائدها التعاون فى شتى الميادين الاقتصادية والثقافية والسياسية . وأتاحت هذه العلاقات لغرب افريقية أن تتخلص من عزلتها التى جاءت نتيجة الاستعمار الرومانى لمصر وبلاد المغرب زمنا طويلا . فالامبراطورية الرومانية الكبرى سيطرت قبل الميلاد على بلاد المغرب وكذلك مصر ، ولم تسمح الا باتصال قليل بين هذين القطرين وسائر البلاد الافريقية . ووقفت الصحراء الكبرى بدورها حاجزا لا يشجع على نشاط الاتصال مع ما وراءها من أرض افريقية . ثم جاءت بعد الدولة الرومانية الكبرى ورثتها الامبراطورية الرومانية الشرقية ، المعروفة باسم الامبراطورية البيزنطية واحتلت مصر وبلاد المغرب ، وسارت على سياسة أمها الكبرى فى خلق عزلة بين البلاد الافريقية ، بعضها عن بعض .

غير أن الفتوح العربية الاسلامية فى مصر وبلاد المغرب أطاحت بسلطان الروم ، وجعلت أهل هذين القطرين الافريقيين أحمرارا فى التطلع الى جيرانهم من سكان القارة سواء أكانوا

ما زال بعضها قائما الى اليوم ، مع تعديل يسير في أسماء بعض المدن أو مواقعها . وأشهر هذه الطرق التي سلكتها قوافل التجار العرب ما يلي :

١ - الطريق المصري :

من أسبوط الى الفاشر عاصمة دارفور ثم الى غرب أفريقية .

٢ - طرق بلاد المغرب :

(١) من بنى غازى - ثغر برقة - عن طريق أوجلة وواحة كفرة الى أبشر عاصمة واذاى ، ومن ثم الى الفاشر ، فغرب أفريقية كذلك .

(ب) من مدينة طرابلس الغرب عن طريق مرزوق - عاصمة فزان - الى كوكا العاصمة التجارية لاقليم برنو ، ومن ثم الى كانو مستودع خامات الجهات الشرقية من غرب أفريقية ومقر صناعيتها وتجاريتها .

(ج) من مدينة الجزائر عن طريق عين صالح والمبروك الى تمبكتو .

(د) من أغادير عن طريق تندوف وتودنى ، وهى المركز الرئيسى للمناجم الملح فى الصحراء الى تمبكتو .

وقد كان الطريقان الأخيران من اهم الطرق التي سلكها التجار العرب وعرفوا مدنها بأسماء أخرى كانت لها سمعتها ومكانتها التاريخية . فظهر فى المنطقة فيما بين مدينة الجزائر وأغادير بلدة اتخذها التجار العرب مركزا لهم للتجارة مع غرب أفريقية ، وعرفت هذه المدينة باسم **(سجلماسة)** حيث اشتهرت بينابيعها المائية ومواردها الغذائية ، مما جعلها مركزا للقوافل ، تأخذ منه زادها وتموينها قبل اجتياز الصحراء . وتجمعت فى سجلماسة كذلك جميع منتجات بلاد المغرب ولا سيما المجوهرات والمنسوجات والتمر ، حتى أصبحت سوقا رائجة للتبادل التجارى مع غرب

أفريقية . وفى الوقت نفسه كانت أسبوط تقوم بمهمة شبيهة بالتى تقوم بها سجلماسة ، اذ ترد اليها المنتجات والمصنوعات المصرية ، ولا سيما المنسوجات والأوانى ، ويحملها التجار العرب الى داخل أفريقية الغربية .

وكانت الجهات الغربية من أفريقية تتنوع من حيث اقتصادياتها ومواردها الطبيعية . فجهاتها المتاخمة للصحراء الكبرى ، والتي تنتهى عندها طرق القوافل الهامة ذات مراعى تكسوها الحشائش التى تساعد على تربية الدواب ، وتهيئ للسكان هناك اسباب الراحة وتوفرها للوافدين من الصحراء ومن ثم شاهدت تلك الجهات قيام أعظم الامبراطوريات التى عرفها غرب أفريقية ، مثل مملكة **غانه** ، **ومالى** ، **وتكرور** وغيرها ، حيث خلفت كل منهما الأخرى ، وورثت ما كان لها من مجد تجارى وسلطان . وقام الى خلف هذه الممالك نطاق آخر ، غنى بشروته النباتية والأرضية ، ولاسيما الذهب ، كما شاهد بدوره قيام ممالك أخرى هامة ، وأخيرا قيام نطاق ساحلى عبارة عن أرض مستطيلة ضيقة ، يعيش أهلها فى قرى متناثرة .

وبدأ التجار العرب من مصر وبلاد المغرب يتصلون بأهل النطاق الأول من غرب أفريقية ، ويؤسسون علاقات تجارية وثقافية قوية مع ممالكهم ورجال السلطان فيها . ولم يحاول التجار العرب التدخل فى الشؤون الداخلية لتلك الممالك الأفريقية مما جعلهم موضع احترام الجميع ومحل ثقته ، وهى لطرفهم التجارية الازدهار الدائم على الرغم مما قد يحدث من تطورات فى نظام الحكم أو رجال السلطان . وكان الطريق الذى يبدأ من سجلماسة الى غرب أفريقية

مثالا يوضح الحقيقة السالفة ، ويكشف عن نشاط التجار العرب من أجل رفاهية أهل هذه البلاد . فبعد أن يجمع التجار سلع بلاد المغرب يبدأون رحلتهم إلى غرب أفريقية . وكانت أول محطة تجارية تقابلهم بعد سجلماسة هي « **تفازي** » التي اشتهرت بمناجم الملح فيها ، « حتى أن بيوتها ومسجدها من حجارة الملح ، وسقفها من جلود الجمال ، ولا شجر بها ، إنما هي رمل فيه معدن الملح ، يحفر عليه في الأرض ، فتوجد فيه ألواح ضخام متراكبة ، كأنها قد نحتت ووضعت تحت الأرض ، يحمل الجمل منها لوحين » .

وحرص التجار العرب على أن يحملوا من « **تفازي** » أكبر كمية يمكنهم حملها من الملح ، لأنه ضروري جدا لأهالي غرب أفريقية ، ويعتبر عندهم أهم من معدن الذهب المتوفر في بلادهم . ثم تستأنف القافلة سيرها حتى تصل « **تاسرهلا** » ، وهي إحدى المحطات التجارية الأخرى الهامة على الطريق ، وهناك يقضى التجار العرب بعض الأيام من أجل راحة الدواب والحصول على كميات وافرة من الماء ، لأن الطريق بعد ذلك إلى « **ايوالاتن** » وهي أولى مدن غرب أفريقية بعد اجتياز الصحراء ، شاق ومخيف . فضلا عن ذلك يبعث التجار من تاسرهلا بشخص يطلق عليه اسم « **التكشيف** » ، مهمته أن يسبقهم إلى ايوالاتن ، ليخبر وكلاءهم وعملاءهم بها بقدوم القافلة ، وأعداد الدور لاقامتهم والخروج إلى لقائهم في عرض الصحراء على مسيرة أربعة أيام ومعهم المياه خوفا من نفاد المؤونة التي تحملها القافلة من تاسرهلا . وقد كانت مهمة « **التكشيف** » في غاية الخطورة وتتوقف

على وصوله سالما نجاة القافلة ، ذلك أن الطريق من « **تاسرهلا** » إلى « **ايوالاتن** » مليء بالكثبان الرملية المتحركة ، التي تغير معالم الأرض ، وتحمل المسافر على أن يضل السبيل .

وقد اشتهر أهل ايوالاتن في غرب أفريقية بحرصهم على دعم الروابط مع التجار العرب الذين يعتبرون أداة الاتصال بينهم وبين العالم الخارجي . ولذا تجد في تلك المدينة نفرا من تجارها الوطنيين ، عرفوا بالأمانة والصدق في المعاملة ، ومهمتهم تلقي التجار العرب الذين ليس لهم عملاء في المدينة ، وتيسير سبل الإقامة لهم . وفي نفس الوقت حرصت السلطات الرسمية في **ايوالاتن** على الترحيب بالتجار العرب بمجرد وصولهم المدينة ، إذ يضع أولئك التجار سلعهم في مكان فسيح في حماية « **الغربا** » ، وهو لقب معناد نائب السلطان ، ثم يتوجهون إلى السلطان نفسه ، فيستقبلهم استقبالا رسميا ، ومن حوله أعوانه في ملابسهم وأسلحتهم من الرماح والقش . وبعد أن يتحدث إليهم السلطان ، ويستفهم عن شئونهم ، يقدم لهم شرابا وطنيا ، مبالغة منه في إكرامهم ، ودلالة على انتهاء حفل الاستقبال .

وكان التجار يقصدون بعد ذلك مملكة غانة التي ازدهرت في القرن الثاني عشر الميلادي ، والتي كانت عاصمتها غانة أيضا سوقا ومركزا هاما لتجارة الذهب . وهناك يأخذ التجار العرب من أهل **سجلماسة** في العمل على أعداد العدة للتبادل التجاري . ذلك أن أهل غانة حرصوا على إخفاء مناجم الذهب في بلادهم ، ولم يسمحوا للتجار بالذهاب إليها رأسا . وكانت منطقة مناجم الذهب تقع في أرض خلف غانة ، وتعرف باسم

« ونجارا » ، حيث تحيط بها أنهار السنغال والنيجر ، وغيرهما من الروافد الكثيرة هناك . وفي أوقات الفيضان تغطي المياه تلك المنطقة ، وعند هبوطها يقبل الأهالي على الأرض الطمية ويستخرجون منها معدن الذهب .

وفي غانة يتفق التجار العرب مع التجار المحليين ووكلائهم على الذهاب الى منطقة « ونجارا » أو الى البقعة التي يسمح فيها بالتبادل التجاري . وعلى ضفاف إحدى الأنهار يضع التجار سلعهم أكواما ، ثم يدقون الطبول ايدانا بمقدمهم ورغبتهم في البيع والشراء ، ثم يعودون الى الوراء . وهنا يخرج الأهالي الوطنيون ومعهم الذهب ، ويضع كل منهم مقدارا من الذهب الى جوار كل سلعة حسبما يتراءى له ، ثم يعود الى مقره الأول . وبعد ذلك يخرج التجار العرب مرة أخرى الى تلك المنطقة ، فان رأوا أن الذهب يتناسب مع سلعهم أخذوه عنوانا على قبولهم الصفقة التجارية ، والا عادوا تاركين الذهب . فيخرج الأهالي الوطنيون مرة أخرى ويضيفون ذهباً الى المقادير السالفة ، حتى يتفق الطرفان ، ويحمل التجار العرب الذهب عائدين ، ويدقون الطبول دلالة على انتهاء المتاجرة . وجرت هذه المعاملة في ثقة تامة ، دون أن يحاول أحد خداع الطرف الآخر أو خيانتة .

ولما تدهورت أحوال غانة سنة ١٢٢٤ م اتخذ التجار العرب محطة لهم شمالي غانة نفسها ، وأسسوا بها خياما لهم ، مما جعل المدينة تعرف باسم « بيرو » ، وهي كلمة محلية معناها الخيمة . ولكن حين ورثت مالي سلطان غانة بدأ التجار العرب يقصدونها ،

ويتعاملون مع أهلها على نفس الاسس التي سبق أن تعاملوا بها مع أهل غانة . وساعد على ازدهار التجارة العربية مع المملكة الجديدة ، أن الطريق من ايالاتن الى مالي كان سهلا ميسورا ، ويسير فيه التجار ، في طمأنينة ، ويجدون به كل ما يحتاجون اليه . وقد وصف ابن بطوطة الرحالة المغربي الشهير هذا الطريق ، مسجلا نشاط العرب التجاري عبره قائلا :

« ومن أيالاتن سرت الى مالي ، وبينها مسيرة أربعة وعشرين يوما ، والطريق آمن ، وبه أشجار كثيرة ، وأشجارها ضخمة يستظل القائم بظلها ، وبعضها لا أغصان لها ، ولكن ظل جسدها بحيث يستظل الانسان . وبعض تلك الأشجار قد استأسن داخلها واستنقع فيه ماء المطر ، فكانها بئر ، ويشرب الناس من الماء الذي فيها ... والمسافر بهذه البلاد لا يحمل زادا ولا ادما ولا دينارا ولا درهما ، انما يحمل قطع الملح والزجاج الذي يسميه الناس النظم ، وبعض السلع العطرية ، وأكثر ما يعجبهم منها القرنفل والمصطكى ، فاذا وصل قرية ، جاء نساء السودان باللبن والدجاج ودقيق النبق والأرز والفونى وهو كحب الخردل ، يصنع منه الكسكسو والعصيدة ودقيق اللوبيا ، فيشتري منهم ما أحب من ذلك » .

وعلى هذا النحو من سهولة السفر والطمأنينة يصل التجار العرب الى « مالي » ويتبادلون السلع مع أهلها ، وصارت لهم جالية كبيرة تضم أناسا من مصر والمغرب منهم شمس الدين ابن النقويشي المصري ومحمد بن الفقيه الجزولي وعلى المراكشي . وكان أولئك التجار يعدون الدور اللازمة لآخوانهم

الوافدين من مصر والمغرب ، ويسهلون لهم عملية المتاجرة . وقد زار ابن بطوطة هؤلاء الرجال العرب ولقى منهم كل حفاوة وتكريم . وانتظمت التجارة الغربية مع **مالى** عندما أسس خمسة اخوة في تلمسان بالمغرب الأقصى نقابة تجارية لهم ، رأس مالها عظيم ، وكانوا شركاء بالتساوى . ونظمت تلك النقابة نفسها تنظيماً رائعاً جعلها سيدة التجارة العربية مع غرب افريقية : فأقام اثنان من أولئك الأخوة في **التنا** لجمع العاج والذهب ، وزار أحدهم **مالى** العاصمة سنة ١٣٥٢ ، لتوثيق الصلات مع التجار بها وأهلها ، وفي نفس الوقت تلقى هذان الأخوان السلع من بلاد المغرب عن طريق الآخرين اللذين في **تلمسان** ، ودأبا على تصدير المتاجر اللازمة لأهل غرب افريقية . أما الأخ الخامس وهو الأكبر والرئيس . فأقام في **سجلماسة** نفسها ، مركز القوافل التجارية ، ليراقب السوق كلها من هذا المكان الحيوى ، ويستطلع تقلبات الأسعار ، والعرض والطلب للمتاجر المختلفة حتى يجنب النقابة الأضرار والخسائر .

واشتهرت مملكة **مالى** ، كما اشتهرت **غانة** من قبل باحترام التجار العرب ، والحرص على سلامة أموالهم . فمن محاسنهم « شمول الأمن في بلادهم فلا يخاف المسافر فيها ، ولا المقيم من سارق ولا غاصب ، ومنها عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان (وهم التجار العرب بسبب بياض بشرتهم) ، ولو كان القناطر المقنطرة ، إنما يتركونه بيد ثقة من البيضان حتى يأخذه مستحقه .. » وقد ذكر الرحالة ابن بطوطة حادثة أخرى هامة تدل على أمانة أهل **مالى** مع التجار العرب ، وتكشف في نفس

الوقت عن قوة العلاقات التجارية بينهم وبين المصريين . . . شاهد ابن بطوطة في مدينة تمبكتو وهي إحدى مدن مملكة **مالى** قبر سراج الدين بن الكويك ، أحد كبار التجار من أهل **الاسكندرية** . وكان سلطان **مالى** وهو « منساموس » ، قد زار هذا التاجر عند خروجه للحج سنة ١٣٢٤ م ، ونزل في ضيافته بمنزله ببركة الجيش ، وهي إحدى ضواحي القاهرة اذ ذاك . وقد احتاج هذا السلطان وجاشيته الى مال ، أقرضهم اياه التاجر المصرى ، ثم خرج هذا التاجر المصرى بعد ذلك ومعه ابنه قاصدين **مالى** للحصول على المال . ولما وصلا **تيمبكتو** استضافهما أبو أسحق الساحلى ، وقدم لهما طعاما وفي نفس تلك الليلة توفي التاجر المصرى سراج الدين بن الكويك . فسرت الشائعات أنه مات مسموما بسبب شيء دس له في الطعام . غير أن ابن التاجر المصرى بادر الى دحض هذه الفرية ، ودعم أواصر الروابط بين مصر وغرب افريقية ، حيث أعلن للناس أنه تناول الطعام مع والده في نفس الليلة التى توفي فيها ، ولو كان في الطعام سم لقضى نحبه بدوره كما توفي والده . ثم وصل الابن الى **مالى** وحصل على المال وعاد الى ديار مصر . وكانت مدينة **تيمبكتو** التى توفي بها التاجر المصرى من أهم المراكز التجارية في غرب افريقية ، والتى كان يقصدها التجار العرب ، ومعهم حاصلات المغرب من البصلح والملح والمجوهرات ، ويحصلون هناك في مقابل ذلك على الذهب وحب الكولا والحبوب . وكانت **تيمبكتو** عبارة عن خيام في أول الأمر ، ثم ظهرت فيها الدور المبنية بعد أن ازدهرت تجارتها مع البلاد العربية ، واتخذت لها ميناء على نهر النيجر ،

الذى يبعد عنها بمسافة مقدارها خمسة أميال .

واشتهرت بلاد غرب افريقية بمعدن آخر غير الذهب وهو النحاس ، وكانت مدينة **تكدا** أهم مصدر لهذا المعدن ، حيث دأب أهلها على أن يحفروا عليه فى الأرض ، ويأتوا به الى البلد ، فيسبكونه فى دورهم ، يفعل ذلك عمالهم ، وخدمهم . فاذا سبكوه نحاساً أحمر ، صنعوا منه قضباناً فى طول شبر ونصف ، بعضها رقاق ، وبعضها غلاظ ، فتباع الغلاظ بحساب اربعمائة قضيب بمئثال ذهب ، وتباع الرقاق بحساب ستمائة بمئثال ، وهى صرفهم ، فيشترون برقاقها اللحم والخطب ، ويشترون بغلاظها الخدم والذرة والسمن والقمح وكانت القوافل التجارية من مصر تأتى سنوياً الى **تكدا** للحصول على النحاس ، حتى قدر بعض المؤرخين ما تضمه القافلة الواحدة بمقدار ١٢٠٠٠ بعير . ويكشف هذا الرقم عن مقدار النشاط التجارى بين مصر وغرب افريقية ، وازدهار العلاقات بينهما .

وهكذا صارت بلاد غرب افريقية بفضل التجار العرب وثيقة الصلة بمصر وبلاد المغرب ، اللذين صاروا مراكز لاشعاع الحضارة العربية فى قارة افريقية . فقد تبع التجار العرب الى غرب افريقية ازدياد الشراء هناك ، وصاحب الشراء ازدهار العلم ، واستقرار العلماء . فقامت فى **تمبكتو** وغيرها من مدن غرب افريقية المراكز العلمية العربية ، التى أسسها العلماء العرب الذين وفدوا فى ركب القوافل التجارية . فاشتهر فى **تمبكتو** العالم الجليل **أحمد بابا** الذى نقل عنه السعدى المؤرخ العربى الكثير من المعلومات عن السودان الغربى . وفى نفس الوقت وجد العلماء المحليون

بمدن غرب افريقية وطلاب البحث فيها عن طريق التجار العرب وقوافلهم السبل ميسرة للوصول رأساً الى الجامعات العربية فى مصر وبلاد المغرب والتزود من ينابيعها ومعارفها . وكان خير مثال لذلك أهل **تكرور** الذين سيطروا على مقاليد التجارة فى مملكة **مالى** والجهات الغربية المجاورة لها . اذ اشتهر هؤلاء السكان من غرب افريقية بحرصهم على تعليم أبنائهم ، وارسالهم خاصة الى الأزهر الشريف ، (الجامعة العربية الكبرى) حيث كثر عددهم هناك بدرجة جعلت لهم رواقاً خاصاً بهم يقيمون فيه ، وعرف باسمهم ، وهو **رواق التكرانة** .

وان تحرر مصر العربية ، واقصاءها للمستعمر عن أراضيها التى تحتل ركنا هاماً من قارة افريقية ، ومساعدتها لبلاد المغرب اليوم على التحرر كذلك من ربة الاستعمار الفرنسى ، سوف يعيد قصة النشاط العربى الزاهر ، والعلاقات الطيبة مع بلاد غرب افريقية ، التى وضع أساسها من قبل التجار العرب . وهكذا تثبت مصر بجهادها من أجل تحرير العرب على أن رسالة العروبة الخالدة مع جيرانها ، ولا سيما مع أهل غرب افريقية ، تقوم على أساس المحبة والمساواة ، وانتزاع ما فى الصدور من أحقاد غرسها المستعمر البغيض . وان المستقبل القريب ، الذى لاحت بشائره فى المؤتمرات الافريقية بالقاهرة فى الفترات الأخيرة ، سوف يحمل علاقات اقتصادية وثيقة العرا بين غرب افريقية ومصر وبلاد المغرب ، تتلوها روابط ثقافية عربية متينة ، يتوجها تفاهم سياسى صادق للعمل على رفاهية القارة الافريقية ، وابدال تسميتها من **القارة المظلمة** الى **القارة المضيئة المشرقة** .

الفصل الأول

أوروبا الجنوبي في مواجهة أفريقية
فاكتسبت خبرة بحرية بأفريقية والمحيط
الاطلسي ، وكانت «لشبونة» في القرن
الرابع عشر مخزنا للتجارة الأفريقية
المستوردة إلى أوروبا . وهي أول دولة
أوروبية وصلت إلى سواحل غرب
أفريقية ، وتاجرت مباشرة مع
الأفريقيين .

وقد بدأ « هنري الملاح » عمليات
الكشف والغزو في أفريقية باحتلال
مدينة « سبته » في شمال أفريقية
سنة ١٤١٥ وكان هذا أول احتلال
أوروبي لأفريقية . ثم تابع كشوفه
فاكتشف « ماديرا » سنة ١٤٢٠ ،
و « جزر الأزورس » سنة ١٤٢٣ ، ثم
اجتاز « رأس باجادور » ووصل إلى
غينيا سنة ١٤٣٤ حيث كانت تصل
قوافل التجارة من « تمبكتو » حتى
وصل إلى ساحل خليج غانة ومصب
نهر الكنغو ، واكتشف « هنري »
الطريق للهند سنة ١٤٥٤ ، وتابع
البرتغاليون عمليات الكشف حتى
وصلوا إلى « رأس الرجاء الصالح »
سنة ١٤٨٧ بقيادة « فاسكودا جاما » .
وتقابل البرتغاليون مع العرب والهنود
على الساحل الشرقي ، وقام صراع
عنيف انتهى باحتلال البرتغاليين
للساحل الشرقي . ولقد كانت عمليات
الكشف منحصرة في المناطق الساحلية

بين بطن الأخدود وجنوب ليبيا ،
يعيش شعب وديع ، لم يعرف المكر
أو الخبث أو الخداع . شعب كان
يعيش في بساطة وأمن . وكانت قبائله
تربطها روابط الجوار ، وكانت تتعامل
مع بعضها بمعاملات هي أقرب ما تكون
من معاملات أفراد أسرة واحدة ، تقوم
على أساس من المفاضلة ، وكانت
تطبقا مبسطة لنظرية الاكتفاء الذاتي ،
ولم تكن هناك حدود تقيد تنقلاتهم في
رحلاتهم أو أسفارهم . إلى أن ابتلى
هذا الشعب بالمستعمرين الأوروبيين
الذين سيطرت عليهم نزعات الاستغلال
والاستبداد . الذين كفروا بالقيم
الإنسانية وتنكروا لمبادئ الحق
والعدالة ، ولم يفكروا إلا في أنفسهم
وفي مصالحهم ، ولو على حساب
الشعوب الأخرى ، ولم يكن الاستعمار
الذي ابتلى به شعب أفريقية
الاستوائية غير الاستعمار الفرنسي .

لمحة تاريخية :

تزعمت كل من البرتغال وإسبانيا
عمليات الكشف الجغرافية في كل
من القارتين الأفريقية والآسيوية .
ولقد كانت البرتغال ذات حظ موفور
من هذه العمليات ، وقد كان لموقعها
الجغرافي ميزة استراتيجية في الكشف
والرحلات ، فهي في الطرف الغربي من

للقارة ، ولم . يستطع البرتغاليون التقدم داخل القارة ، وذلك لعدم وجود وسائل النقل التي تساعد على هذا التقدم ، الى أن قامت الثورات في أوروبا ، وبخاصة الثورة الصناعية في إنجلترا ، وما صاحبها من تقدم وسائل المواصلات التي استخدمت في عمليات الكشف داخل القارة . وكان العرب أول من تقدم داخل القارة فقد عرفوا منطقة البحيرات وأعلى الكنفو ، وأقاموا هناك امارات وممالك اسلامية . ولقد حاول أحد المكتشفين البرتغاليين التقدم داخل القارة بمفرده وهو « داجاما » فوصل الى افريقية الاستوائية سنة ١٤٨٢ الا أنه لقي عقبات كثيرة ومرض فعاد سريعا الى الساحل . ولقد تكونت في فرنسا وانجلترا جمعيات جغرافية وتبشيرية غرضها الوصول داخل القارة . وهذه الجمعيات بجوار هدفها في الاكتشافات كانت تباشر نشاطا تجاريا ، فقد وجدت الرأسمالية الناشئة وكانت تبحث عن أسواق جديدة للتجارة ، ومواطن المواد الأولية اللازمة للصناعة . فكانت تمد يد المساعدة لهذه الجمعيات .

فقد زار « جيمس بروس » الحبشة سنة ١٧٧٠ واكتشف منابع النيل الأزرق ، وفي سنة ١٧٩٥ بدأ « مونجوبارك » محاولاته لاكتشاف نهر « جامبيا » ثم اتجه لاكتشاف منابع نهر النيجر ، وفي سنة ١٨٢٣ تمكن « كلا برتون » وزملاؤه من الوصول الى بحيرة تشاد . وارسلت فرنسا « دي برازا » باكتشافاته

الجغرافية لخلق امبراطورية فرنسية في افريقية الاستوائية . وقد بدأ من « الجابون » على الساحل الغربي سنة ١٨٨٠ ، وتوغل داخل البلاد ، واتصل بالحاكم الفرنسي بالسنگال الذي حاول مساعدته بحملة عسكرية تمت هزيمتها أمام قوات منطقة « تشاد » . وفي سنة ١٨٨٩ اجتمعت جمعية افريقية الفرنسية لتنسيق عمليات احتلال وغزو المناطق الافريقية . وجاء في محضر الاجتماع : « نحن الآن في اجتماع فريد في التاريخ ، وهو تقسيم قارة لا يعرف عنها شيئا الا عدد قليل من الدول الأوروبية المتمدينة ، وفرنسا في هذه القسمة الجزء الأكبر والنصيب الأوفر . وذلك لتنازلها وموافقتها لباقي الدول على التمتع بحقوقها في افريقية الشرقية . والمجهودات التي بذلتها فرنسا لتنمية ممتلكاتها في الجزائر وتونس والسنگال والكنغو الأوسط ، ولقد جاء في الاتفاق المبرم بين فرنسا وانجلترا حقنا في ربط مستعمراتنا في السنگال والجزائر عبر الصحراء . كما يعطينا الاتفاق نفسه الحق في شمال بحيرة تشاد التي نزمع الوصول اليها من الكنفو عن طريق « باجورمي » ويجب أن ينتشر نفوذنا أولا في هذه المنطقة ، وأن نعمل على ربط الكنفو مع باقي المناطق في افريقية الاستوائية ، وانا تأخذ على عاتقنا مهمة تمويل الحملة ، ونرى أن تسند هذه الحملة الى « بول كرامبيل » الفرنسي .
وفعلا تحرك « بول كرامبيل » في سنة ١٨٩٠ على رأس حملة صوب افريقية

أتباعه على أثره بعيدا عن المعركة . ومات سنة ١٩٠٠ واستطاع الفرنسيون احتلال « تشاد » في سنة ١٩٠٩ . ودفن القائد « لامي » في العاصمة « فورت لامي » أي قبر « لامي » . وبدأت الهمجية الفرنسية تعم البلاد ، وأخذ الفرنسيون يبحثون عن ذوى المكانة فيها . وهم علماء الدين الذين يلتف الشعب حولهم ، ودبروا لهم مذبة بشعة هي مذبة « الككب » أي الساطور سنة ١٩١٦ حيث استشهد فيها ٤٠٠ عالم استعمل الساطور في قتلهم . كما أحرقوا مدينة «مورو» سنة ١٩٤١ .

موقع افريقية الاستوائية :

تقع افريقية الاستوائية في المنطقة الحارة ، تحدها ليبيا شمالا ونيجريا والكمرون غربا والكنغو البلجيكي والمحيط الأطلنطي جنوبا والسودان شرقا . وتتكون افريقية الاستوائية من أربع مناطق هي : تشاد ، وأوبنجي شاري ، والكنغو الأوسط ، وجابون . وهذا التقسيم الرباعي حدث في عام ١٩٥٤ ، بعد أن وجدت فرنسا نفسها أمام وعى وطنى ، وتكتل من الأحزاب يهدد الكيان الفرنسى ، فجعلت لكل مقاطعة ادارة خاصة تنظم شئونها الداخلية بنفسها ، واختارت « برازفيل » عاصمة الكونغو مقرا للادارة المركزية . وعلى هذا النظام سنت لائحة داخلية لاجراء الانتخابات فى عام ١٩٥٦ ، وكانت اللائحة تنص على تكوين الجمعيات التشريعية لكل اقليم من الأقاليم المذكورة ، حيث يمارس كل اقليم سياسته الداخلية ، ماعدا وزارة الدفاع والمالية والخارجية ،

الاستوائية . لأنه كان قد زارها فى سنة ١٨٨٨ ، ومرض هناك ثم عاد الى باريس . فكانت له خبرة بالمنطقة . واستطاعت هذه الحملات المتتالية التى دخلت افريقية الاستوائية عن طريق « جابون » أن تخدع السلاطين فى الجابون والكنغو والأوبنجي ، وتوقع معهم معاهدات ذات طابع تجارى احيانا وهى فى حقيقتها ذات طابع سياسى . ثم استولت عسكريا على هذه المناطق ، الا انها اصطدمت فى تقدمها نحو « تشاد » بقوات دولة أحفاد السلطان «عبد الكريم» . وكانت هذه الحملة التى اصطدمت حربيا بقواتهم بقيادة «بول كرامبيل» ، ولكن قوات تشاد استطاعت القضاء على هذه الحملة وقتل « بول كرامبيل » ثم جاءت بعدها حملة بقيادة « اميل جونتى » . وكانت مزودة بالعدد والعدة . الا أن أبناء السلطان «عبد الكريم» صمدوا فى الدفاع عن بلادهم لمدة سبع سنوات . وكان على رأس هذه القوات البطل « رابح » الذى قاد قواته بكل حنكة ، وكان بطلا فذا ، أخذ ينتقل من نصر الى نصر ، ووجدت فرنسا نفسها أمام هذا البطل المغوار . فجندت كل قواتها وأرسلت ثلاث حملات لمساعدة « اميل جونتى » وجعلت القائد « لامي » قائدا عاما . ولجأ الفرنسيون الى الخيانة والفتنة كسلاح آخر . ووجد البطل « رابح » نفسه أمام هذا الجيش الجرار ، ودب الوهن بين بعض أعوانه . فأخذت الدنيا تعبس له . ومع هذا لم يتقهقر الى أن استطاع قتل القائد « لامي » وجرح هو جرحا خطيرا ، حملة

الوضع الثقافي والاقتصادي والاجتماعى فى تشاد :

تشاد هى الاقليم الشمالى لافريقية الاستوائية - وعدد السكان فيها حوالى أربعة ملايين نسمة المسلمين فيهم ٩٠٪ . ويتكلم أهل تشاد اللغة العربية ، ويتمسكون بتعلمها بالرغم من محاربة فرنسا لتعليم اللغة العربية .

وتتكون تشاد من عشر مديريات، هى : فورتي لامي - ابشه - فورشنبول - فايا - آتيا - ماو - منقو - مندو - دوبا - كمرأ .

وقد بذل الفرنسيون جهدهم للقضاء على الشخصية التشادية ، وفرنسة التشاديين ، كما بذلوا قصارى جهدهم للسيطرة واستغلال مناطق افريقية الاستوائية كلها ، فاستولوا على السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية ، وسلبوا الحكومة الوطنية كل سلطان لها ، ثم ضمت هذه الاقطار الى الاراضى الفرنسية ، وفرض الجنسية الفرنسية على التشاديين . وترغيبهم فى التجنس ، وتشجيع الاجانب المقيمين بالتجنس بجنسيتها . لتكسب الأغلبية فى البلاد ، ولتضم الى فرنسا . ولكن فرنسا فشلت فى هذا كله نتيجة لرفض الاهالى لمطالب فرنسا . ولقد ساعدت الجاليات الفرنسية فرنسا فى السيطرة التامة على حكم البلاد . وأعطتها حق الاشتراك فى المجالس التشريعية والاستشارية ، ولذلك نجد برلمان تشاد وعدد نوابه ٨٥ نائبا ، ١٥ نائبا فرنسيا . وانما حاربت فرنسا الاسلام ، لأن تعاليمه

وجاء ديجول فأمعن فى تفتيتها فجعل كلا منها جمهورية .

عدد السكان والمساحة :

تعداد سكان افريقية الاستوائية يبلغ ١٦ مليون نسمة ، وتبلغ مساحتها حوالى ٩٧٠.٠٠٠ كيلو متر مربع . وقبل الاستفتاء على دستور ديجول كانت تعتبر « برازفيل » هى العاصمة لافريقية الاستوائية ، تدار الأجهزة الادارية فى الأقاليم الأربعة بواسطتها أما الآن وقد أصبحت كل منطقة جمهورية منفصلة داخل الاتحاد الفرنسى فقد أصبح لكل اقليم عاصمة: فعاصمة « تشاد » « فورتلامى » ، وعاصمة « أوبنجى » « شارى بانجى » وعاصمة الكنفو الأوسط « برازفيل » وعاصمة « جابون » « لبرفيل » .

اللغات المستعملة فى افريقية

الاستوائية :

يتحدث باللغة العربية حوالى ٩٥٪ من سكان « تشاد » ، وكلما اتجهنا جنوبا كلما قل استعمال هذه اللغة ، ويتحدثون أيضا اللغة الفرنسية، كما توجد اللغات الوطنية الآتية ، وهى: وداى لغة أبناء تشاد الوطنية - ومساليد - وزغاوة قرعان - كالمبو، وفى الكنفو تستعمل بجوار الفرنسية كنفو ، وهى منتشرة ، وموبى - وساره - وتاما - والعربية . وفى جابون تستعمل بجوار الفرنسية رونغه ، وهى اللغة الوطنية المنتشرة ، وارينا - وقمر - وميمى - ودرن - وتستعمل فى الأوبنجى بجوار الفرنسية باندا ، وهى اللغة الوطنية ، وكبيت.

الراسخة القويمة متأصلة في الشخصية التشادية فحاربت اللغة العربية ، وجعلتها في الدرجة الثانية بالنسبة للغة الفرنسية في الادارة ومعاهد التعليم ، بينما يتكلم السكان التشاديون اللغة العربية بنسبة ٩٥٪ تقريبا ، وكذلك حاربت التشريع الاسلامي في المحاكم ، و خلقت فكرة التمييز العنصري التي تقضى بتفوق الفرنسيين واعتبار التشاديين أقل درجة منهم ، واتخذت المعابد ومدارس الارساليات التبشيرية وسيلة لتحقيق أغراضها السياسية . وفتح أبواب البلاد للمهاجرين الفرنسيين ، وتشجيعهم على الهجرة بمختلف الوسائل ، وخصوصا بعد خروجهم من تونس ومراكش والهند الصينية . وبلغ عدد السكان الفرنسيين ١٥٪ من مجموع سكان افريقية الاستوائية البالغ عددهم ١٦ مليون نسمة حتى يكون لهم وطن على مر الزمان . ويجعلوا من البلاد اتحادا افريقيا جنوبيا آخر في بلاد تشاد ، وهذا ما يرفضه شعب افريقية الاستوائية بأسره . وقد فرضت السلطات الاستعمارية الحكم العسكري المباشر على المناطق الكبيرة منذ الاحتلال ، وسيطرت الادارة العسكرية على البلاد ، واستخدمت القوة في قمع الحركات الوطنية . وخنق الحريات العامة ، كتحرير الاجتماعات وحرية القول والنشر والتنقل من مكان الى آخر في الوقت الذي يتمتع فيه جميع الأجانب أفرادا وجماعات بكل هذه الحريات .

الحالة الاقتصادية :

١- الزراعة : يزرع الاهالي القطن - القمح - الشعير - البن - الكاكاو

- والأرز - النخيل - زيت النخيل - المطاط ، وتنتشر زراعته بالمنطقة الجنوبية .

٢ - قطع الأخشاب - تبنى السفن في « فورتلامى » و « فور شمبل » .

٣ - المراعى والغابات الكثيفة - ساعد ذلك كله على تربية الماشية واستخراج الصوف بوفرة .

٤ - التعدين - الحديد : في منطقة « ادرى وام دم » . الذهب والفضة والماس في « لوجون » - البترول : وتعرقل فرنسا استخراجها لحين الفرصة المواتية لها . النحاس في مديرية « ابشة » .

٥ - الصيد - يقوم الوطنيون بصيد الاسماك والتماسيح لاستعمال جلودها في بحيرة تشاد والأنهار المتفرعة منها . وبحيرة فترى ، ونهر سلامات ، ونهر شارى ، ونهر لوجون .

٦ - الملاحة ، توجد الملاحة في نهر شارى ونهر لوجون وبحيرة تشاد ، وأهم موانئها فورتلامى على البحيرة . وكبابى ، وبره ، وفورشمبول ، وفور كرابيل ، وهى تعتبر موانئ نهريه .

٧ - الصناعات توجد مصانع لغزل القطن ، ومصانع لحفظ الاسماك فى فورتلامى . ومصانع لدبغ الجلود ، وصنع الأحذية .

المصادر :

تصدر تشاد : القطن ، المطاط ، و « الشنط » والأحذية ، والاسماك ، والأخشاب الى فرنسا - والمواشى للسودان ومصر عن طريق الاربعين ، وليبيا عن طريق الصحراء .

وقد عمل الاستعماريون على انتزاع الأراضي الخصبة من الأهالي ،

وتسليمها للفرنسيين واستخدام اصحاب الاراضي الحقيقيين عبيدا لدى الملاك الفرنسيين ، كما استولوا على منابع الثروة من معادن وغابات، وشجعوا على تكوين الشركات الفرنسية واقامة العراقيين امام الشركات الوطنية . فشركة «سديق» وشركة «سكوى» ، تستولى على اموال المواطنين ، وتستغلها لنفسها خاصة ، ولمنفعة الفرنسيين ، بحيث لا يستفيد الوطنيون منها شيئا ، وتعمل الشركات الفرنسية هذه على مضايقة التجار في تصريف بضائعهم ، وذلك بالاتفاق مع الحكام الفرنسيين ، كما يسن المستعمرون التشريعات الاقتصادية لخدمة تصريف مصالحهم ، وحمايتهم ومنع التطور الصناعي الوطني واحتكار التجارة وعرقلة نشاط تجارة الوطنيين . كما لوحظ ايضا أن السلطات استولت على اجود الاراضي بحجة حاجتها لتربية الخنازير ، لأن المسلمين يحرمونها ، ولا يهتمون بتربيتها .

الحالة الاجتماعية :

عمل الاستعمار على الهبوط بالمستوى الاجتماعي ، بالاستيلاء على الثروة الوطنية واصبح الأهالي فقراء، يبحثون عن لقمة العيش لسد رمقهم وأدى ذلك الفقر الى انتشار الجهل بين الأهالي لعدم القدرة على تعليم اولادهم . فأصبح التعليم محدودا وواضح أن هدف الحكومة من التعليم هو اعداد موظفين يساعدون الفرنسيين . وأن السلطات الاستعمارية تتجاهل الثقافة القومية في اللغة والتاريخ والأدب في مناهجها التعليمية . كما تضع العراقيين في وجه التعليم

الحر ، وليس أدل على ذلك من قفل معهد « أبشه » الديني عام ١٩٥٣ ، ذلك المعهد الذي احتضن الثقافة العربية ودراسة الدين الاسلامي ، وتولى التدريس فيه أساتذة ممن درسوا بالأزهر والسودان أو ليبيا ومراكش وتونس ، وقامت المظاهرات احتجاجا على اغلاق هذا المعهد ، لأنه امل التشايعين في المحافظة على اللغة والدين ، مما اضطر السلطات الى اعاده فتحه في عام ١٩٥٧ . وكان هذا المعهد فرعا للأزهر قبل اغلاقه أما الآن فقد فصله الفرنسيون عن الأزهر . وبالمعهد حوالي ٢٠٠ طالب . وتحتضن الحكومة معهدا آخر أغلب طلابه من الاجانب ، وأوقعت الحكومة الخصومة بين المعهدين فاحتدمت العداوة بينهما

حالة التعاليم في المديريات العشر :

١ - مديرية فابا ، لا يوجد بها سوى مدرسة أولية واحدة فقط ، ولا سبيل لأبنائها الى الذهاب الى مدرسة ابتدائية أو ثانوية لانعدام طرق المواصلات فيها .

٢ - مديرية ماو ، بها مدرسة أولية واحدة ، ومع قربها لفورت لامي لا يسمح لأبنائها بدخول مدرسة فورت لامي الثانوية .

٣ - مديرية فورت لامي : بها مدرسة ابتدائية وأخرى ثانوية .

٤ - مديرية مندو - بها مدرسة ابتدائية ، وأخرى ثانوية .

٥ - مديرية دوبا - بها مدرسة أولية فقط .

٦ - مديرية كمرا - بها مدرسة أولية فقط .

٧ - مديرية أبشه - بها مدرسة أولية ، ومدرسة ابتدائية ومدرسة ثانوية . ومعهد أبشه الديني الأهلي ، ومعهد آخر حكومي . وتعتبر المديرية

الوحيدة التى فيها هذا التقدم من التعليم ، وبخاصة التعليم الدينى .

٨ - مديرية فور شمبول : بها مدرسة ابتدائية ، تدرس فيها الشريعة الاسلامية . ولذلك يوجد مدرسون فيها ، الا أن السلطات تعرقل عملهم وتضطهدهم دائما .

٩ - مديرية آيتا : بها مدرسة أولية ، ومع أن أهلها جميعا عرب ، فاللغة العربية لا تدرس كاللغة أصلية وطالبة المدارس كلهم من الأجانب ، ولا يقبل من أبناء البلاد طالب واحد ، وعدد الطلبة بها ٢٥ طالبا .

١٠ - مديرية منقوي : ليس بها مدارس اطلاقا ، وقد قرر البرلمان أخيرا فتح مدرسة أولية بها .

وخلاصة القول أن السلطات تمنع إرسال البعثات العلمية للخارج وخاصة للبلاد العربية الاسلامية ، ونادرا ما تسمح بها للبلاد الفرنسية ، وتمنع الأهلى من ممارسة حقهم فى انشاء مدارس لتعليم الصغار ، أو لتثقيف الكبار - وبذلك حرمت البلاد من كل تطور ينهض بها ثقافيا ، كما لا تسمح بتكوين مؤسسات علاجية المرضى . ولا تبذل عناية ما بالصحة العامة ، ويبدو ذلك من انتشار الأوبئة ، وكثرة الوفيات ، وتنوع الأمراض وانتشارها بين العمال الافريقيين والمزارعين .

كذلك أوجدت السلطات تفرقة فى المعاملة بين العمال الافريقيين والعمال الأجانب فى الأجور والامتيازات النقابية والتشريعية أضف الى ذلك أن البغاء منتشر بصفة رسمية وهم يشجعون عليه ، لأن من شأنه تقويض دعائم الكيان الاجتماعى للبلاد .

ولم يكتف المستعمرون بذلك ، بل سيطروا على الجيش وعملوا على اضعافه من الناحية القومية ، واستخدموه فى قمع الحركات الوطنية وبقية الشعوب الافريقية الناهضة ، كما حدث فى الحرب العالمية الثانية . فلقد اشترك اخواننا التشاديون فى هذه الحرب ، بعد ما مناهم ديجول بوعوده المعسولة . باعطائهم الاستقلال بمجرد انتصاره فى الحرب ، ولكنه نكث فى الوعود التى بذلها ولأسيما منح البلاد الاستقلال .

وهاهى فرنسا فى تشاد لها مايزيد على نصف قرن ، ماذا قدمت لشعب تشاد ؟ وماذا فعلته من الاصلاحات التى تزعمها ؟ أن فرنسا لم تقم بأية اصلاحات مادية تذكر : وان ما قامت به انما هو لمصاحبة وجودها فى البلاد ، كتعبيد الطرق ، وتشيد المباني لسكنى الفرنسيين . واستخدام الوسائل الحديثة لتسهيل طرق الاستغلال ، واستنزاف دماء الأهالى المواطنين الذين لا يستفيدون من هذه الأمور شيئا . أما الاصلاحات الجوهرية التى من شأنها الرقى بالبلاد والسير بها نحو الحرية والاستقلال ، فلم تقم بها فرنسا بل انها تعمل جاهدة على منعها . وان أى موظف أو تاجر أو أى شخص يطالب بحق شرعى له فان مصيره الطرد من وظيفته ، أو مصادرة أمواله ان كان تاجرا مع التعذيب والسجن .

الحالة السياسية :

منعت السلطات الفرنسية تكوين أحزاب وطنية ينشئها الوطنيون ،

رابعاً : الحزب الوطنى التشادى :

ويرأسه السيد أحمد أبا . ولقد انفصل من الحزب الاشتراكى بعض الاعضاء الوطنيين .

الانتخابات :

أجريت الانتخابات فى تشاد فى ١٥ أبريل ١٩٥٩ وذلك بعد الاستفتاء على دستور ديجول الذى أجرى فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٥٨ ، وكان الفوز فى الانتخابات بأغلبية الحزب لا بالدائرة ، فالحزب الذى يحصل على الأغلبية تكون له مقاعد البرلمان ، حتى لا تكون هناك معارضة ، ولقد تألف الحزب الراديكالى ، وحزب أوديت ، وحصلوا على الأغلبية ، ولذلك حصلوا على جميع مقاعد البرلمان البالغ عددها ٨٥ مقعداً . ويعتبر برلمان تشاد أكبر البرلمانات فى افريقية الاستوائية ، فتبلغ مقاعد برلمان الاوبنجى ٥٥ مقعداً وبرلمان جابون ٤٥ مقعداً ، وبرلمان برازافيل ٧٥ مقعداً ، ويمثل برلمان تشاد المديرىات العشر .

هذا عرض سريع لأحدى مناطق الكفاح فى قلب افريقية ، ولقد اندلعت نيران الثورة ، وبدأ الأحرار ينظمون صفوفهم فى زحفهم المقدس ، وليست ثورة برازافيل التى سقطت فيها مئات من الشهداء الا انتفاضة من انتفاضات الأحرار تبعتها انتفاضات فى تشاد والجابون وأوبنجى ، وقد أقسم الأحرار أن يواصلوا الكفاح حتى تتحرر بلادهم وتستقل ، ويخرج المستعمر الغاصب ، ولن يتخافوا بالدماء والأرواح والأموال فى سبيل وطنهم ، وأن غداً لناظره قريب .

ولذلك فالأحزاب التى فى تشاد انما هى فروع للأحزاب الفرنسية بباريس ، يوجهها زعماء هذه الأحزاب ، وليس هذا فى افريقية الاستوائية فحسب بل فى افريقية الغربية ، وان كانت بدأت تظهر تكوينات حزبية جديدة فى غرب افريقية تدعو الى استقلال هذه الفروع وانفصالها عن الحزب الأم بباريس .

والأحزاب السياسية فى افريقية الاستوائية هى : -

أولاً : الحزب الراديكالى : A.S.T

وهو فرع للحزب الراديكالى الفرنسى . وقد كان رئيسه السيد « جبريال لزيت » ثم تولى رياسته الآن السيد « تمبل بى » رئيس وزراء تشاد الآن . وأشخاصه البارزون هم : « جبريال لزيت » ، « تمبل بى » « سوليه » الذى كان رئيساً للوزراء بعد الاستفتاء على دستور ديجول .

ثانياً : الحزب الاشتراكى : A. S. A

وهو فرع للحزب الاشتراكى الفرنسى الذى يرأسه جى موليه الاستعمارى الفرنسى ، وهو الذى يرسم سياسة الحزب ويوجهه حسب المصلحة الفرنسية ولقد انحصر أتباع هذا الحزب بعد دستور ديجول فى الاجانب المؤيدين لسياسة فرنسا . وقد انفض الشعب عن هذا الحزب .

ثالثاً : حزب آ.ر. د. A. R. D. ويقال

له حزب .. أوديت U. D. I. T

ويوجه سياسة هذا الحزب السيد منديس فرانس بباريس ، وكان رئيس هذا الفرع بتشاد السيد « روجى » وأما الآن فرئيسه السيد ربتليس .

افريقية الوسطى

روديسيا الجنوبية

تقرير سياسى

بقلم جوشيا م . نكومو
الرئيس العام لمؤتمر روديسيا الجنوبية
الافريقى الوطنى

البيضاء لشعبنا بعد الآن ، واننا نطالب
بالمساواة فى المعاملة بين شعبنا وبينها ،
واننا لنؤمن اليوم أشد من ايماننا بالأمس
بحق الأغلبية الوطنية فى ممارسة
حقها الشرعى فى تقرير نوع
الحكومة للوطن الذى يعيشون تحت
سمائه ، وسيموتون فوق أرضه . لقد
أعلننا بصراحة تامة فى الماضى ، وما زلنا
نعلم اليوم أن سياسة تملك الأرض
للبيض ، تهدف الى تشتيت
الشعب الافريقى وافقاره ، ويجب أن
توقف منذ الآن ، ودون أى إبطاء أو
تأخير . ان مطلبنا كان وما يزال هو
التغيير الكامل الشامل لنظام وطننا
السياسى والاجتماعى والاقتصادى بعد
أن ظل هذا النظام طوال هذه السنين
الكثيرة يعمل على جعل الوطنيين
الافريقيين طبقة مسودة تابعة خاضعة
للمستعمرين والمستوطنين البيض ، مع
أنهم فى وطنهم ومسقط رأسهم ، وأرض
آبائهم وأجدادهم .

غير أن حكومة المستعمرين ، بدلا
من أن تستجيب لهذا المطلب العادل
الذى يضمن لها الاستقرار فى

فى اليوم الثانى عشر من شهر
سبتمبر من العام الماضى ١٩٥٨ اتفقت
أنا وزملائي أعضاء المؤتمر الوطنى فى
روديسيا الجنوبية على تسمية ذلك
اليوم « بيوم الحرية » وجعله عيداً
سنوياً لروديسيا ، إذ أنه كان اليوم
الذى احتل فيه المستعمرون قطرنا
الغنى العزيز فى عام ١٨٩٠ .

وأعلننا عن عزمنا على تكريس جهودنا
من أجل تحقيق الحرية والعدالة ، وحق
الشعوب فى تقرير مصيرها ليس فى وطننا
فحسب ، بل فى افريقية كلها من مدينة
الرأس حتى القاهرة ، ومن السنغال
حتى زنجبار . ولقد أوضحنا فى جلاء
تام أن هدفنا لا يقوم على طرد أحد من
روديسيا الجنوبية ، وانما على استعادة
الكرامة الآدمية والعزة القومية والثقة
بالنفس لشعبنا ، بعدما أهدرها
المستعمرون والمستوطنون البيض خلال
سنى الاستعمار ، وما فرضته سلطاتهم
عليها من اذلال واستغلال وظلم ،
وقد أوضحنا مطالبنا بالأمس ، وها أنا
أعيد تلاوتها اليوم ، وهى : أنه لم يعد
فى امكاننا تحمل استغلال الأقلية

روديسيا الجنوبية ، وافريقية الوسطى ،
بل القارة الافريقية كلها ، لجأت الى
سياسة القمع والارهاب والخيانة
والغدر .

ان يوم الحرية - الثانى عشر من
سبتمبر - يأتى هذا العام ليجدنى فى
القاهرة ، وليجد اخوانى وزملائى اما فى
السجون خلف القضبان أو فى
المعتقلات ، حيث يهدد مرض النوم
حياتهم . وتأمل حكومة المستعمرين من
هذه الخطة الوقوف فى طريق الشعب
الافريقى الزاحف نحو الحرية والعدالة
والاستقلال والكرامة ، ولكنى أحذر
حكومة المستعمرين وأذرهما ، بأنها
بذلك تعرض أرواح البيض للخطر ،
وتلقى بهم وبمصائرهم الى التهلكة ليس
فى روديسيا وحدها ، بل فى القارة
الافريقية كلها ، وانى لأنصح المستعمرين
والمستوطنين الأوروبيين بأنهم ان أرادوا
البقاء معنا ، فعليهم من اليوم أن
ينبدوا فكرة سيادة الجنس الأبيض ،
كما أذكرهم بأن هذه الفكرة بعينها هى
التي أودت بهتلر الى مصيره المظلم
المحتوم . ولن يمكن الوصول الى اتفاق
بخصوص هذه السياسة التي تتعارض
مع مبدأ الحياة نفسها . ولن ينجم عنها
الا الشقاق والحقد والدمار لكل من
ينادى بها .

ولما كان هذا أول تقرير سياسى لى
منذ اعلان حالة الطوارئ فى أوائل هذا
العام فى روديسيا الجنوبية وما تبعه
من حظر وتشريعات وقائية أرى من
واجبى أن أتخذ موقفا محددا واضحا
من أجل بلدى وخير مواطنى .

اننى أبين ، لحكومة الاستعمار فى

روديسيا الجنوبية ، ولكل دول العالم
المحبة للسلام والحرية ، أنه لن يكون
هناك سلم أو تفاهم أو استقرار
دائم فى روديسيا ، ما دامت تحكمها
هذه «العصبة المعينة» التي تحكمها
الآن ، كما أذرهما أن روديسيا لم تعد
بلدا معزولا كما يحلو لبعضهم أن يعتقدوه
وأن مشكلاتها لن يمكن حلها بعيدا
عن الاتجاه العالمى العام سواء فى القارة
الافريقية أو فى أى مكان آخر فى العالم ،
وعلى «العصبة الحاكمة» ، فى روديسيا
الجنوبية ومناصريها فى بريطانيا ، أن
يدركوا أن الاستعمار الأوروبى فى الماضى
كان يحكم لا عن رضى المحكومين ، ولكن
بواسطة أذلال الأغلبية المحكومة
واخضاعها ، ومثل هذا الحكم لن
تقدر له الحياة بعد اليوم ، فان
الحركات التحررية والاستقلالية التي
اجتاحت آسيا فى العشرين السنة
الأخيرة تجتاح اليوم شمال وغرب
افريقية ، كما وصلت الى شرق ووسط
وجنوب افريقية ، ولقد بلغت من القوة
والشدة بحيث لن يستطيع أى شئ أن
يقف فى طريقها ، أو يعرقل تقدمها ،
ولن تستطيع القوى الاستعمارية
ولا دسائس المستعمرين وفتنهم
ومكائدهم أن تؤثر فيها ، وان سكان
روديسيا وسائر القارة الافريقية
سيعرفون بأنفسهم كيف
يتجنبون سياسات رد الفعل ، ويلجأون
الى المطالب المشروعة العادلة التي
ينادون بها ، وان الحكومة الوهمية
التي تزعم أنها حكومة الشعب المتمدين
المسئول ، لن يمكن بقاؤها بعد اليوم ،
فالشعب هو الشعب . ولن يمكن الحكم
عليه بمقاييس أجنبية اصطنعت لتعمل

على بقاء الاستعمار الأجنبي ودوامه وتأيينه ، ودمغ شخصية الشعب الإفريقي بطابعه - ان على الأوروبيين فى روديسيا أن يحترموا الشعوب التى يقيمون فى وسطها ، فان المشكلة التى ابتدعوها وسموها المجتمع المتعدد الأجناس والمستويات المختلفة للمدنية كما يدعون . لن تكون السبيل الى اذلال شعبنا بعد الآن ولا لجعله فى مرتبة دون مرتبة البيض ليتسنى لهم بذلك استغلاله وامتصاص دمائه باعتباره اليد العاملة الرخيصة التى تخدم مصالح الأجناس الأوروبية التى تقطن افريقية .

اننى أؤكد لمناصرى المؤتمر ومشجعيه أنه وان كان عقد المؤتمر محرما بصفة مؤقتة فى روديسيا الجنوبية ، فان مبادئه وأهدافه ومثله العليا لن يمكن منعها أو تحريمها لأنها تقوم على الحق والعدل ومبادئ الأمم المتحدة ، وحقوق الانسان المعترف بها فى كل أنحاء العالم ، ولقد كرس المؤتمر وما زال يكرس كل نشاطه لتحقيق هذه الأهداف التى لا ينكرها غير الدول التى تقول بسيادة بعض الأجناس على الأخرى ، وهى سياسة خاطئة قضى عليها بالفشل فى عام ١٩٤٥ عندما هزمت ألمانيا الهتلرية .

ان حكومة روديسيا الجنوبية قد عجزت حتى الآن عن تقديم دليل ما يثبت به أن المؤتمر الإفريقى الوطنى لروديسيا الجنوبية منظمة مخربة ، وكل ما أمكنها اتهامنا به هو أن المؤتمر لا يؤمن بحكومة الشعب المتمدين

المستول ، كما يسمونها ، ولعدم رضا المؤتمر عنها ، وانعدام ثقته فيها ، ورفض التعاون معها اتهم المؤتمر بالتآمر السرى عليها ، واذا صح أن هذا هو السبب الحقيقى الوحيد - كما أعتقد - فى كل ما تتخذه حكومة روديسيا الجنوبية حيالنا من اجراءات فليس لدينا ما نعتذر به ، لأنه لا يوجد شعب يحترم نفسه ، ويقبل الوضع الشائن الذى يعانى منه الإفريقيون فى روديسيا الجنوبية . والذى أجبروا قسرا على قبوله ، وان الظلم الكامن فى قوانين تقسيم الأراضى وفلاحتها وتسجيل أراضى المدن وقانون الاسكان وغيره من القوانين التى تميز الأجناس وتعمل على التفريق العنصرى كل ذلك يجب أن يلغى .

وانى لأهمس فى آذان شعبنا الإفريقى الذى قاسى من التعذيب والارهاب والاضطهاد والاذلال منذ اعلان حالة الطوارئ وبعدها ، بأنه لا مبرر للتحسر على أنفسهم أو استدراج العطف عليهم ، كما أؤكد لأهالى المسجونين والمعتقلين وأصدقائهم انه ليست هناك قوة مهما بلغت يمكنها أن تقف فى طريق الركب الزاحف نحو العدالة والحرية - انها قد تعطل سيره حينا ولكنها لن توقفه بحال ، فلقد وطننا العزم على الكفاح الى أن ننال الحرية والعدالة والمساواة أو يزوج بنا فى أعماق السجون ، وغيابات المعتقلات ، وان شبابنا الحر الجرى فى أفريقية ، الذين تمتلئ بهم معسكرات الاعتقال وجدران السجون ، ليعبدون أنفسهم لتحمل مسئوليات أعظم حينما يدعون الى قيادة روديسيا

الجديدة ، وتولى مقاليد الأمر فيها في وقت قريب ، بل أقرب مما يظن الكثيرون حتى تسود المساواة والعدالة للجميع. ان الأحزاب السياسية الحالية في روديسيا الجنوبية وفيها الحزب الافريقى المركزى الجديد ، الذى درست مبادئه السياسية بعناية تامة، تتفق كلها على نقطة واحدة .

« ان لكل مواطن الحق فى الاشتراك فى حكومة بلاده عن طريق مباشر أو غير مباشر بواسطة ممثليه الذين تكون له حرية انتخابهم » اذا لم تتمكن الأحزاب السياسية فى روديسيا الجنوبية ومعها الحزب الافريقى المركزى « الحر » من اثبات أن المواطن الافريقى الذى لا يتفق معهم على هذا التمييز العنصرى لا يعتبر « انسانا » وليس له حق فى التمتع بحقوق الانسان، فاننا لن نوافق على أية حكومة تشكلها هذه الأحزاب ، واننا لن نعترف بهم كممثلين لشعب روديسيا ونواب له، اننا لن نتخلى عن ايماننا بأن « ارادة الشعب هى مصدر كل سلطة » و ارادة الشعب لا يمكن معرفتها الا باجراء انتخابات دورية حرة يشترك فيها جميع المواطنين على قدم المساواة .

لقد نشرت الجرائد فى روديسيا الجنوبية وفي غيرها من البلاد أننى قررت أن أتخذ لنفسى منفى اختياريا ! وأننى أفكر فى أخذ عائلتى معى بعيدا عن روديسيا ! وانى لأعلنها فى صراحة قاطعة لا غموض فيها ، وهى أنه لا نية لدى فى اتخاذ أى ملجأ لى بعيدا عن وطنى ، وانى لم ولن أفكر

فى أخذ عائلتى بعيدا عن روديسيا الجنوبية . ولكنى ازاء الموقف الذى فرضه على « السير أدجار هوايت هد » وحكومته على أن أقرر اما البقاء فى روديسيا الجنوبية لألحق بزملائى فى المعتقلات والسجون وأترك بذلك لحكومة روديسيا الجنوبية الحرية فى أن تلصق بنا ما تشاء من تهمة وتسىء الى سمعتنا فى روديسيا الجنوبية وافريقية الوسطى ، وأما أن أبقى خارج روديسيا ، لأكشف للعالم عن سياسة الحكومة المنافقة الأثيمة تجاه الشعب ، لا فى الدول الافريقية فحسب ، بل فى جميع الدول المحبة للسلام والحرية . ولقد قررت اختيار الأمر الثانى ، ولا يمكن تفسير هذا بأنه نفى اختيارى فضلته لنفسى ، ان على واجبا تجاه شعبى وأمتى ، ولن تشينى عن أداء هذا الواجب حملة التشنيعات الخبيثة هذه ، مهما بلغت من فظاعتها وقبحها .

وانى لأوضح للمواطنين فى روديسيا أن المؤتمر الافريقى الوطنى محرم عقده فى روديسيا الجنوبية وفى « لمبوبو » أو « زمبىزى » أو فى باقى مؤقتة ، ولكنه ليس محرما فى « لمبوبو » أو « زمبىزى » أو فى باقى القارة الافريقية أو فى باقى أنحاء العالم ، ولقد أدركت هذه الحقيقة ففتحت مكتباً للمؤتمر فى لندن ، وفى نيتى أننى متى وجدت الشخص المناسب الكفاء فسأفتتح مكتباً للمؤتمر فى القاهرة حتى نخدم مصالح دول شمال افريقية كما أنوى فتح مكتب آخر فى احدى دول غرب افريقية المستقلة لينسق مجهوداتنا هناك .

والواجب علينا أن ندرك - كما سبق أن أعلنته في غير هذا المكان - أن صراعنا من أجل تحرير أنفسنا من العبودية لم يعد صراعا بين الظلمة والمظلومين ، بل هو صراع يهتم به الأفريقيون كلهم ، كما تهتم به دول العالم المحبة للسلام كلها ، إذ أن شرارة واحدة قد تقوم في أى جزء من أجزاء العالم الذى يسوده الظلم والاستغلال والاستعباد ، فيشب الحريق المدمر فى العالم كله .

ويقودنى الحديث الى نقطة هامة، وهى : ما مدى علاقة الدول الافريقية فى جنوب الصحراء الكبرى بالدول الافريقية الأخرى التى فى شمالها ؟ وإلى من يهمهم أن تبقى بمعزل عن العالم العربى الذى سدد ضربة قاضية للاستعمار فى الدول العربية ، والذى يمد لنا يده متطوعا لمساعدة الوطنيين الافريقيين فى تحرير افريقية من المستعمرين والفاسيين ، دعونى أوكد لهم أن الصحراء الكبرى لا تفصلنا عنهم ، بل بالعكس تربطنا بهم . ان العالم العربى والقاهرة فى طليعة الجيش الذى يكافح الاستعمار وستقرب ساعة تحرير افريقية والافريقيين ، أى أن كل القوى المناهضة للاستعمار مدفوعة نحو تحقيق الكرامة الآدمية للجميع لدعم جهادنا وهى تستحق منا كل معاونة وتقدير .

وانى لمقتنع تمام الاقتناع - بعد أن اتصلت شخصيا بكل الدول العربية فى شمال افريقية بأنها لاتعمل ولا تهتم بسياسة التوسع التى يتهمها بها

المستعمرون كذبا ، ليقعوا الفرقة بين الشعب الافريقى والشعوب العربية. ان كل ما تهتم به الدول العربية هو دعم استقلالها وهى تدرك أن ذلك لن يتم ما دامت دول الجنوب يحتلها المستعمرون ، ويديرون دفة سياستها، ولقد أدركت قوى الاستعمار ذلك مما جعلها تحاول جاهدة أن تجعلنا نحارب معها ضد حلفائنا واخواننا . أما نحن فنعتقد أن افريقية وحدة لاتتجزأ سواء أكانت فى شمال الصحراء الافريقية أم جنوبها .

أما عن موقفنا فقد أوضحنا بطريقة لا لبس فيها ولا غموض فنحن فى الوقت الذى نشعر فيه بالحاجة الى معونة وعطف العالم فى كفاحنا ضد الحكم الأجنبى المستعمر نأبى أن نكون مخلب قط لأية دولة أو تابعين لأى انسان آخر ، اننا نعمل على دعم شخصيتنا وتكوين ذاتيتنا وتقرير مصيرنا ، ولن نستبدل استعمارنا بآخر حتى لو كان المستعمرون افريقيين مثلنا ، لقد اتفقنا على هذا فى «مؤتمر أكرا» ولن نحيد عن هذا الاتفاق ، وعلى الشعوب الافريقية أن تدرك هذا حتى لا تخدمها دعاية الاستعمار المسمومة ، فأهدافنا واضحة ، وأغراضنا محددة ، وهى تحقيق ذاتيتنا وتقرير مصيرنا .

أما عن الخطر الشيوعى المزعوم فى افريقية ، فانى أوكد بصفة قاطعة أننا لسنا من دعاة التطاحن بين الأنظمة والآراء ، كما أننا لن نكون دعاة للكتلة الغربية ، أو للكتلة الشرقية ، ان لنا هدفا هو اتحاد افريقية ، وفى سبيل

تحقيق هذا الهدف نحيا ، ومن أجله نموت .

أعود الى النقطة الهامة في هذا التقرير ، وهى روديسيا الجنوبية التى ظل الناس يعتبرونها طوال هذه السنين مستعمرة تتمتع بالحكم الذاتى .

وانه ليسعدنى أن أقرر هنا أن ممثلينا فى مؤتمر وزراء خارجية الدول الافريقية المستقلة المنعقد فى « منروڤيا » قد أثبتوا أن روديسيا الجنوبية لا يمكن اعتبارها دولة مستقلة تتمتع بالحكم الذاتى ، وقد وافق المؤتمر على اعتبارها دولة غير مستقلة ، وسيعقب هذا عرض مسألة روديسيا الجنوبية على هيئة الأمم المتحدة .

أما عن الاتحاد الفيدرالى بين روديسيا ونياسالاند ، فان موقفنا تجاهه واضح معروف ، اذ لا يمكن استمرار هذا الاتحاد بغير رغبة المواطنين ، ورغم ارادتهم ، فلقد قرر الشعب الافريقى فى المستعمرات الثلاث أن هذا الاتحاد يجب أن يحل ، ولن يرجع الشعب الافريقى عن قراره هذا . وكل ما أنصح به الحكومة البريطانية - أن كانت ما تزال فى شك من تعرف وجهة نظر المواطنين الافريقيين ، بالرغم من تقرير « لجنة ديثلين » المحدد الصريح - هو أن تطرح المسألة لاستفتاء عام . ان تقرير « ديثلين » قد فضح المؤامرة التى حاك خيوطها حاكم نياسالاند متآمرا مع « السير روى ولسنكى » و « السير ادجار هويتهد » و « السير ارثر بنسون » (وهم فرسان المؤامرة الأربعة) الذين دبروا المؤامرة للقضاء على المنظمات الافريقية الشعبية

وسحقها ، حتى يتسنى لهم تحقيق الاتحاد الذى يضمن للأوروبي المستعمر سيادته وتحكمه دون مقاومة تذكر ، أو معارضة يحسب لها أى حساب

وبعد أن تمكن هؤلاء المستعمرون من التخلص من ممثلى الشعب الافريقى الحقيقيين ، بزجهم فى السجون ، أو حشدتهم فى معسكرات الاعتقال التى تزخر بذباب «التسى تسى» طلبوا من حكومة المحافظين - وهم عملاؤها - أن ترسل لجنة الى افريقية الوسطى ، لتبحث وتتحرى ، وتمهد الطريق للمؤتمر الدستورى المنتظر عقده فى لندن سنة ١٩٦٠ ، وان تكوين هذه اللجنة يسترعى الانتباه حقا ، فهى تتكون من ٢٦ عضوا ١٣ منهم من افريقية الوسطى ، ٣ أعضاء من دول «الكومنولث» ممن لهم خبرة سياسية بالاتحاد الفيدرالى ، وتعين حكومة المملكة المتحدة بناء على ترشيح الحكام المحليين خمسة من الثلاثة عشر عضوا من افريقية الوسطى .

أما نحن فلان نعترف بهذه اللجنة ، لانها لجنة من المستعمرين البيض وحدهم ، وليس للافريقيين فيها صوت ولا نصيب ، فالخمسنة الافريقيون من افريقية الوسطى ، والذين سيعينهم الحاكم الأوروبى المستعمر قد يكونون أفريقيين لونا وشكلا ، ولكنهم مستعمرون بيص حقيقة وفعلا .

أنا لندرجو حزب العمال ألا يخذلنا ، وأن يقبل عضوية هذه اللجنة ، أنا لندرجوه أن يترك حكومة المحافظين تتورط فى طريقها ، وتكشف بذلك عن نفسها أمام العالم الخارجى . أن لدى

الحكومة البريطانية تقرير « لجنة ديثلين » فما الداعى الى تكوين لجنة أخرى ؟ !!

سأكون مقصرا في واجبي ان لم اوضح للعالم حقيقة السياسة المشتركة لأفريقية الوسطى - التى ظلوا ينادون بها طيلة السنين الخمس الأخيرة - ولم أكشف عن نواياها .

ان من يعرف سياسة جنوب افريقية الانفصالية لابد يدرك أن المستعمر البريطانى فى افريقية الوسطى قد نادى بسياسة المشاركة هذه ، حتى ينأى بشخصيته الانجليزية ، وحتى لا يختلط الامر ببوير جنوب أفريقية لأن طبيعة البريطانيين المناפה المرائية ، لا يمكن للبوير مجاراتهم فيها .

انا لنرفض دون تحفظ قبول مجتمع كهذا ، يقوم على أسس مصطنعة مفتعلة غير طبيعية .

كما أذكر بمنتهى الاغتياب والارتياح النتائج الطيبة ، والجهود المتناسقة التى قامت بها حركة التحرر الافريقى المتحدة بين وسط وشرق افريقية ، التى تقوم على أسس اقليمية طبيعية، والتى حققها مؤتمر الشعوب الافريقية جميعها الذى يمثل قارة افريقية كلها ، ومؤتمر تضامن الشعوب الافريقية الآسيوية الذى يمثل القارتين معا ، ان نشاط هذه المنظمات قد ساعد قضية الحرية وتقرير المصير ، وقرب ساعة تحقيقها .

كما يجب على أن أنوه بالعمل الهائل الذى قامت به لجنة المنظمات (الهيئات) الافريقية فى لندن ، فقد نجحت فى اطلاع العالم على حقيقة ما يجرى فى القارة الافريقية . وانى لأرجو كلا من سكرتارىتى تضامن

الشعوب الافريقية الآسيوية فى القاهرة ، ومؤتمر الشعوب الافريقية كلها فى « أكرا » أن تدرك أهمية هذه اللجنة ، وأن تبذل جهدها كله فى تنسيق نشاطها مع هذه اللجنة .

اننا فى وسط افريقية لنفرح ونفخر بزيادة عدد الدول الافريقية المستقلة ، وانا لنشعر بأن استقلال « نيجيريا » و « توجولاند » و « الصومال » و « الكمرون » وانضمامها الى قائمة الدول الافريقية المستقلة سيساعد باقى الدول الافريقية على تحقيق استقلالها ، وسيعود بالخير على قارتنا الحبيبة ، سيساعد على اقرار السلم العالمى .

كما أرى من واجبي أن أنوه بأننا شديداً الاهتمام بمسألة الغاء الانتخاب فى « الكمرون » قبل استقلالها ، وكلنا أمل وثقة فى أن هيئة الأمم المتحدة فى جلستها التالية ستلغى هذا القرار ، وستوصى باجراء الانتخابات ، وسترفع الحظر عن الأحزاب السياسية ، وستسمح بعودة اللاجئين السياسيين الى « الكمرون » قبل نهاية هذا العام .

والى اخواننا المجتمعين فى باريس الآن نقدم الرجا فى أن يدركوا أن الوطن الافريقى لا يمكن أن يكون امتدادا لفرنسا ، أو لغيرها من القارات ، وأن قبول الجزائر عضواً فى المجتمع الفرنسى كما يزعمون ، سوف يؤخر ان لم يعرقل حركة التحرر الافريقى فى القارة كلها ، بل لعل ذلك سيكون أشنع جريمة كريمة يمكن ارتكابها ضد الشعب الافريقى كله ، اذ ستشوه شخصيته ، وتقضى على ذاتيته .

عن الانجليزية بقلم : ع . م . ع

حوالى ١٥٠٠٠ فقط من غير
الأفريقيين .

ويتبع سكان غانه عدد كبير من
الأجناس البشرية متباينى الأصول :
منها «الكانز» Akans على الساحل ،
والاشانتى فى الوسط ، والايوى ،
والمامپروزى فى الشمال ، والهوسا فى
العاصمة .. ولكل قبيلة لغتها الخاصة
وبالإضافة الى ذلك يتكلم معظم
السكان اللغة الانجليزية ، وتعتبر لغة
مشتركة بينهم جميعا . وهم يتخاطبون
بها فيما بينهم ، أكثر مما يتخاطبون
بلغاتهم الوطنية .

**ويتميز الغانيون بالآزاياء الخلقية
الآتية :**

١ - المرح وحب الضحك والمزاح
وحب الاستمتاع بالحياة ، اذ قلما
يرى الانسان بينهم وجهها عابسا ،
ومهما اشتد بهم الكد والنصب ، فهم
لا يتخلون عن روحهم المرحية ،
وابتسامتهم المشرقة .

٢ - حبههم لمساعدة الآخرين ،
واكرامهم للضيوف ، وترحيبهم بهم .
٣ - حبههم للأطفال ، وتوثيق أواصر
الأسرة بينهم ..

الملابس :

يرتدى الرجال والنساء الملابس
الأفريقية أحيانا ، وخاصة فى المدن
وفى محيط موظفى الحكومة ، والمحال
التجارية . كما يرتدون أيضا - وخاصة
فى الريف - الرداء الوطنى المزركش
الجميل ، وهو ثوب يلفونه حول
أجسامهم ، ويعرف عندهم بالكنت .

Kente

الديانات :

أما الديانات السائدة فى غانه فهى
المسيحية والاسلام . وقد كان للبعثات



غانه عضو مستقل فى الكومنولث
البريطانى ، تضم خمسة أقاليم ادارية:
الأقليم الشرقى والغربى فى الجنوب
على امتداد ساحل الأطلنطى : وأشانتى
فى الوسط ، والأقليم الشمالى ،
وتوجلاند فى الشرق .

وكان الاقليم الأخير - فيما مضى -
تحت وصاية بريطانيا ، ولكنه ضم
الى ساحل الذهب عندما منح استقلاله
فى مارس سنة ١٩٥٧ ، وأصبحت
الدلتا مندمجتين فى دولة واحدة ،
أطلق عليها اسم جديد ، هو « غانه »

وتبلغ مساحة غانه حوالى ٩٢٠٠٠
مربع ، وتقع بين خطى طول حوالى ١٥
شرقا ، ٥٣ غربا ، وخطى عرض
٣٠ ٥٤ و ١١ ٥ شمالا . ويحدها من
الجنوب خليج غينيا ، ومن الشرق
توجلاند الفرنسية ، ومن الغرب
ساحل العاج ، ومن الشمال أفريقية
الغربية الفرنسية .

وعدد سكان غانه حوالى أربعة
ملايين وتسعمائة ألف نسمة ، بينهم

السهل الساحلى العريض ، وامتد
شمالا لمسافة ١٧٠ ميلا فى اقليم
اشانتى .

ويتوفر الظل والرطوبة داخل
الغابات ، مما يلائم زراعة الكاكاو بنوع
خاص ، وبعض الحاصلات الزراعية
الأخرى أيضا .

وفى الشمال يسود فصل جفاف
طويل ، وتقل الأمطار ، وتهب رياح
جافة من الصحارى الشمالية ، ولذلك
تتحول الغابات تدريجيا الى سفانا
تسود فيها الحشائش والأعشاب
الصالحة للرعى .

الصفات الطبوغرافية :

لا توجد فى غانه جبال عالية ، وأعلى
قممها لا يزيد ارتفاعها على ٢٩٠٠ قدم
فوق سطح البحر ، أى حوالى ١٠٠٠
متر ، وتتأخم الجبال العالية نسبيا
الحدود الشرقية ، أى ما بين غانه
وتوجلاندى الفرنسية .

ولا توجد فى غانه من البحيرات سوى
بحيرة واحدة صغيرة بأقليم اشانتى ،
قرب كوماسى ، لا يزيد قطرها على
خمسة أميال .

وهناك سهل ساحلى فى الجنوب
عريض فى معظم الجهات ، ضيق فى
الجهة الغربية وحدها ، تبدأ بعده
الغابات الكثيفة ، هذا السهل الساحلى
يكاد يكون مستويا ، ويصلح لزراعة
الحاصلات المختلفة ، وتنتشر به قرب
المحيط برك صغيرة تنمو بها أشجار
الشورى ، وغيرها من نباتات المقابر .

الأنهار :

توجد فى غانه عدة مجار مائية ضيقة
بعضها موسمي يمتلىء ابان فصل

التبشيرية أكبر الأثر فى انتشار
المسيحية فى غانه . وتوجد بالمدن
الرئيسية مساجد وكنائس . وتحفل
الطوائف المسيحية بأعيادها الوطنية
فى الكنائس ، كما يحتفل المسلمون
بعيدى الفطر والأضحى فى مجتمعاتهم
كما توجد ديانات محلية خاصة .

مناخ غانة :

تتراوح درجة الحرارة بين ٢٠°
و ٣٥° م ، وتختلف كمية الأمطار
السنية اختلافا كبيرا فى الجهات
المختلفة بين ٢٥ و ٨٥ بوصة ، وتصل
الى ١٠٠ بوصة فى الغرب ، حيث
تقرب الغابة من ساحل المحيط .

وهناك فصلان مطيران : أحدهما
فى الربيع من مارس الى يونيو ،
والثانى فى الخريف من سبتمبر الى
نوفمبر .

وتختلف كمية الأمطار فى الشهور
المختلفة ، وأقل الشهور مطرا شهر
يناير ، وأغزرها مطرا شهر سبتمبر
فى الجنوب ، وشهر أكتوبر فى الشمال
والرطوبة الجوية عالية ، ولذلك
يشعر الانسان بالضيق ، ويتصبب
عرقا فى فصل الشتاء ، أما فى فصل
الأمطار فالجو يتلطف ، وتقل رطوبته
بسقوط المطر .

وتهب رياح جافة على الأقليم
الشمالى من الصحارى الواقعة شمالى
غانا .

الكساء الخضرى :

تغطى الغابات المطيرة الاستوائية
سطح الأرض فى الجهات التى تزيد
فيها كمية المطر السنوى على ٥٠ بوصة ،
ولذلك فهى توجد فى الجنوب فيما يلى

المطر ، ويجف في بقية فصول العام ، وبعضها مستديم . وبالإضافة إليها يوجد عدد من الأنهار الكبيرة المستديمة أهمها نهر الفولتا الذي ينبع من صحارى أفريقية الغربية الفرنسية في الشمال ، ويصب في المحيط الأطلسي قرب أكرا جنوبا . ونهر تانو في الغرب وكذلك نهر الكوبرا وبرا Pra وكلها تصب في الأطلنطي .

المدن الرئيسية :

أهم مدن غانا هي مدينة أكرا ، العاصمة ، على الساحل الجنوبي . وهي إحدى مدن الإقليم الشرقي وعدد سكانها أقل من مائتي ألف نسمة . وتلي أكرا في الأهمية مدينة كوماسي عاصمة إقليم اشانتى ، ثم مدينة كوفوريدوا Koforidua في الإقليم الشرقي ، وهو Ho في توجولاند وتمالي Tamale في الإقليم الشمالي . أما أهم المدن الساحلية - بعد أكرا فهي كيب كوست ، وسيكوندى ، وتاكورداي .

الأرض ومواردها :

أهم موارد الدخل القومي في غانا في الوقت الحاضر هي : الزراعة ، والتعدين ، والغابات ، والصيد . وبالرغم من ادخال صناعات جديدة في الأعوام الأخيرة فان اقتصاديات غانا ما زالت تعتمد أساسيا على موارد الأرض ، فالزراعة يشتغل بها ٧٠٪ من الذكور البالغين . ويلى واردات غانه من المعادن الكاكاو في الأهمية . وقد وضعت مشروعات كثيرة للوصول باستغلال الأرض الى الذروة وللتغلب على الصعوبات التى تعترض سبيل

الاستغلال التام ، وسنتحدث فيما يلى عن كل هذه الموارد بإيجاز .
(أولا) : المحاصيل الزراعية :

الكاكاو :

هو أهم حاصلات غانه الزراعية ، وتعتبر غانه أهم اقطار العالم المنتجة لهذا المحصول ، اذ أنها تنتج ٢٨٨.٠٠٠ سنويا . ويعتبر الكاكاو أهم مورد الدخل القومي ، ويشغل بزراعته عدد كبير من السكان يبلغ ٣٠٠.٠٠٠ مزارع ، يزرع كل منهم مساحة صغيرة لا تتجاوز بضعة أفدنة .

وتاريخ زراعة الكاكاو في غانه حديث ومع ذلك فقد امتدت زراعته واتسعت رقعتها في وقت وجيز .

وظهر في عام ١٩٣٦ بالاقليم الشرقى مرض أصاب الكاكاو فيروسي اسمه Swollen shoor انتشر في مساحات شاسعة ، وتنقل هذا المرض حشرة البق الدقيقى ، ولا يزال هذا المرض يعد خطرا كبيرا على زراعة الكاكاو في غانه حتى الآن . ومنذ سنة ١٩٥١ بدأت مكافحة هذا المرض بشدة ولما لم يكن هناك علاج معروف فقد اتخذت لم يكن هناك علاج معروف فقد اتخذت المكافحة شكلا وقائيا . وتنحصر الوقاية في استئصال الأشجار المصابة واعدامها وفي الوقت نفسه أنشئت محطات لأبحاث الكاكاو ، بقصد مقاومة آفاته ، وتحسين طرق زراعته ، والعمل على زيادة محصوله . وتجرى هذه الأبحاث بمعاونة معهد غرب أفريقية لأبحاث الكاكاو .

المحاصيل الزراعية الأخرى :

بالإضافة الى الكاكاو ، اتجهت

العناية حديثا الى التوسع في انتاج المحصولات الغذائية ، بقصد الاكثار من مواد الغذاء النباتية التى تنتج محليا ، مما يؤدى الى خفض تكاليف المعيشة ، وتحسين الغذاء القومى وتنويعه . وكان من آثار هذه السياسة أن ارتفعت كمية المحصولات الغذائية المختلفة الى ثلاثة ملايين من الأطنان سنويا . وتشمل هذه المحصولات الذرة والذرة العويجة والأرز والفول السوداني ونخيل الزيت وجوز الهند ولكن هذه الكمية ما زالت مع ذلك كافية للاستهلاك المحلى ، ولذلك تستورد منها كميات كبيرة من مختلف المواد الغذائية . وقد وضع برنامج شامل للتوسع الزراعى بدىء تنفيذه منذ عام ١٩٥١ ، وأنشئت لأغراض هذا التوسع محطة رى فى كبونج تديرها محطة الأبحاث الزراعية الجامعية بنونجوا .

وتنتشر زراعة الأرز بشكل خاص فى الاقليم الشمالى ، أما فى الجنوب فيزرع البن ونخيل الزيت والموز .

ثانيا - الماشية :

تربى الماشية على نطاق واسع فى منطقة السفانا بالاقليم الشمالى ، وكذلك فى السهل الساحلى الجنوبى ، بين أكرا والحدود الشرقية . وهناك سلالات متوطنة من البقر قصير القرون وهى أقدم السلالات الموجودة فى غانه، كما يعنون بتربية الأغنام والماعز والدواجن .

على أن الماشية ما زالت من القلة بحيث لا تفى باحتياجات البلاد ، ولذلك يستورد الكثير منها .

وقد أولت حكومة غانه تربية الدواجن عناية خاصة فى المدة الأخيرة. فأنشأت عدة مزارع للدواجن موزعة فى سائر أرجاء البلاد ، وتربى صغار الدواجن فى هذه المزارع مدة ثمانية أسابيع ، ثم تباع للأهالى ليكملوا تربيتها .

ولا يزال هناك الكثير مما يجب عمله فى هذا المضمار ، لمواجهة مطالب البلاد المتزايدة من اللحوم والألبان والبيض فى الغذاء اليومى للشعب .

ثالثا - الغابات :

هناك مصلحة حكومية تسمى مصلحة الغابات ، وظيفتها الأساسية المحافظة على موارد البلاد من الأخشاب ، وتنميتها الى أقصى حدود طاقتها . وهناك مساحة كبيرة من الغابات المحفوظة ، وتبلغ ٧٦٢٨ ميلا مربعا ، لا يسمح للأهالى باتلافها أو العبث بها . وتعتمد عليها البلاد كثيرا كمورد للأخشاب .

وللمحافظة على الغابات أيضا أغراض وقائية ، فضلا عن أغراض الاستغلال ، مثال ذلك أنها توفر الظل والرطوبة اللازمين لزراعة الكاكاو ، وتمنع تعرية التربة وتآكلها بفضل الغطاء النباتى الكثيف ، الذى يحول دون تعرض التربة مباشرة لعوامل التعرية .

وقد بدأت الأخشاب تستعمل محليا فى صناعة الأثاث وأعمال الحفر ، وبذلك أدخلت صناعة جديدة الى البلاد .

رابعا - صيد الأسماك :

يصاد السمك أساسيا من المحيط

ويستعمل في الصيد نوع من القوارب يعرف بالكانو - يمثل جذع شجرة محفور . ويبلغ وزن السمك الذي يصاد سنويا ٢٠٠٠ طن ، يستعمل في صيدها ٨٠٠٠ قارب . وينتشر الصيد على طول الساحل كله .

وفي سنة ١٩٥١ وضعت خطة لتحسين طرق الصيد ، فأنشئ لهذا الغرض حوض لبناء قوارب الصيد البخارية السريعة في ميناء سيكوندي ، والنية متجهة الى انشاء أسطول حديث للصيد ، يقوم بهذه المهمة على أحدث الطرق المعروفة في العالم .

ويحد من استعمال الأنهار الداخلية في أعمال الصيد وجود طفيليات في الماء تصيب الصيادين ببعض الأمراض ، وقد بدأت بالفعل أبحاث تهدف الى وقاية الصيادين من التعرض لهذه الأمراض ، عندما يخوضون في مياه الأنهار .

خامسا - التعدين :

والتعدين في المرتبة الثانية من انتاج البلاد بعد الكاكاو مباشرة ، وهو مورد هام للثروة في البلاد . وتصدر غانا الذهب والمنجنيز والماس وخام الالومنيوم المعروف باسم بوكسيت .

والذهب : أقدم مواد التعدين في البلاد ، وكان في الماضي - قبل أن تنتشر زراعة الكاكاو - أهم الصادرات ومنه اشتق الاسم القديم للدولة « ساحل الذهب » . غير أن تعدين الذهب يتعرض في الوقت الحاضر لبعض الكساد ، بسبب ارتفاع تكاليف الانتاج مع بقاء سعر الذهب ثابتا ، ولذلك لجأت الحكومة الى بذل المعونة المالية لمنجمي الذهب ، حتى يستطيعوا الاستمرار في مزاولة صناعته الهامة

أما **المنجنيز :** فتعتبر غانه من أهم بلاد العالم المنتجة له ، وقد صدرت منه في عام ١٩٥٥ أربعة وخمسين ألف طن !

والماس : يوجد في الاقليمين الغربي والشرقي ، وتقوم باستغلاله شركات التعدين ، وكذلك بعض الممولين من الوطنيين .

والبوكسيت : الذي يستخرج منه الالومنيوم ويوجد خاما بكميات كبيرة ، ولم يستغل من مناجمه حتى الآن سوى منجم واحد ، وستستغل بقية المناجم بعد تنفيذ مشروع نهر الفولتا لأن ذلك المشروع سيمكن من استخلاص المعدن من الخام محليا .

مشروع نهر الفولتا :

هذا المشروع هو بلا شك أهم المشروعات الصناعية في غانه ، إذ تعول عليه البلاد كثيرا في تصنيعها ، كما تعتمد عليه في تخليصها من الاعتماد على محصول الكاكاو كمورد رئيسي للدخل القومي .

والمشروع عبارة عن بناء سد ومحطة لتوليد الكهرباء من مساقط المياه ، ومن بين أوجه الاستفادة من هذه الطاقة الكهربائية المولدة استعمالها في ادارة مصنع الالومنيوم ، وتصميم المصنع الأخير يسمح بانتاج ٢١٠٠٠ طن من المعدن سنويا .

وقد شكلت منذ سنوات لجنة فنية لدراسة مشروع نهر الفولتا . فقررت صلاحيته من الوجهة الاقتصادية ، وامكان تنفيذه عمليا .

وسيترتب على تنفيذ المشروع تكون بحيرة كبيرة يمكن الاستفادة منها في أغراض الصيد ، كما يمكن الاعتماد عليها في مد مدينة أكرا بالمياه .

المرافىء :

ليس لغانه في الوقت الحاضر مرافىء عميقة تصلح لرسو السفن الكبيرة . ولذلك شرع في انشاء مرفأ عميق كبير ، ومدينة ساحلية جديدة بناحية Tema على بعد ١٦ ميلا شرقي أكرا . وبدى في تنفيذ هذا المشروع عام ١٩٥٤ ، ولا يزال العمل حتى الآن جاريا فيه بهمة كبيرة . والغرض من انشائه مواجهة التوسع التجارى والصناعى الذى تقبل عليه البلاد في عهد نهضتها الجديدة .

الطرق :

هناك شبكة من الطرق الحديثة المرصوفة ، موزعة في سائر أرجاء غانه ، وهي طرق جيدة من الطراز الأول . وقد أنفق على انشاء هذه الطرق فيما بين سنتى ١٩٥٢ و ١٩٥٥ عشرة ملايين من الجنيهات ، أى بمعدل ثلاثة ملايين من الجنيهات سنويا . وهناك في الوقت الحاضر أكثر من ١٣٠٠ ميل من الطرق المرصوفة ، شريانها الرئيسى هو ذلك الطريق الذى يربط أكرا في الجنوب بكوماس في الوسط ، ثم يمتد حتى تمالى في الشمال .

السكك الحديدية :

تم حديثا انشاء عدد من خطوط السكك الحديدية ، أفادت كثيرا في تقريب المسافات بين البلدان .

الاستقلال والوضع السياسى :

كان ساحل الذهب حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، مستعمرة انجليزية ، وبعد الحرب بدأت البلاد تطالب بالاستقلال والحكم الذاتى . واستمر كفاح الشعب حتى ٦ مارس سنة ١٩٥٧ ، حين أعلن استقلال ساحل الذهب ، وضمت اليه توجولاند التى كانت تحت الوصاية البريطانية ، وألفت منهما دولة غانه المستقلة

الجديدة ، التى تعتبر أحدث عضو مستقل في الكومنولث .

وفي داخل غانه يوجد جهاز من الحكومات المحلية على النظام الزعامى ، ولكل حكومة زعيم هو رئيسها ، أما أعضاؤها فيختار بعضهم الزعيم بنفسه ، وينتخب معظمهم الأهلون . ويدين الناس بالولاء والاحترام والتقديس لزعيمهم .

وتتكون الحكومة المركزية من عدد من الوزراء كلهم من الوطنيين ، وهناك مجلس نيابى واحد ، اسمه « المجلس الوطنى » National Assembly ، وهو يتكون من رئيس و ١٠٤ من الأعضاء يختارون بالانتخاب المباشر بطريقة الاقتراع السرى بين البالغين ، وتجرى الانتخابات لهذا المجلس مرة كل خمس سنوات .

الأحزاب :

توجد في غانه ستة أحزاب سياسية هى التى اشتركت في انتخابات سنة ١٩٥٦ ، وأهم هذه الأحزاب حزب الاتحاد CorvensionPeople الذى يرأسه الدكتور نكروما ، وله ٧٢ مقعدا في البرلمان ، وقد سجن زعيمه نكروما مع عدد كبير من أتباعه بسبب كفاحهم الوطنى ضد المستعمر عدة سنين ، وكانت التهمة التى وجهت اليهم هى التمرد على الحكومة ، والعمل الإيجابى ضدها . وقد شهدت مدينة أكرا يوما تاريخيا من أيامها عندما أفرج عن نكروما ورفاقه من نزلاء قلعة جيمس .

والحزب الثانى ، هو حزب الشعب الشمالى ، وله ١٥ صوتا في البرلمان ، ثم حزب الحركة الأهلية التحررية وله ١٢ صوتا ، ومؤتمر توجولاند ، وله صوتان . ومنظمة اتحاد الشباب ولها صوت واحد ، وحزب الاتحاد الاسلامى ، وله صوت واحد كذلك ، والمستقلون ولهم صوت واحد .

الشخصية الافريقية

عقدتهما تحقيق الحلم الكبير ، وهو خلق الشخصية الافريقية ، والكيان الافريقى .

لقد كان الغرض من عقد هذين المؤتمرين هو بدء عهد جديد فى تاريخ قارتنا ، عهد تحرر من قيود الاستعمار ، عهد وحدة شعوب افريقية ، عهد استعادة القارة الافريقية متحدة متكاملة بعد طول ما عانت من التفرق والانقسام عهد تحقيق الحرية والاستقلال لقارة افريقية والكرامة والمجد للافريقيين .

لقد حدث تجزىء افريقية - كما هو معلوم - فى مؤتمر برلين المشؤم المنكود عام ١٨٨٦ ، فقد اقتطع هذا المؤتمر اقساماً من جسم افريقية جعلها اشلاء ثم وزعها على الدول الاستعمارية المختلفة التى استأثرت كل منها بعائلات وقبائل وشعوب جعلت منها مستعمرات خاصة منعزلة ، بالرغم من انها كلها من اصل واحد وتشترك جميعها فى العادات والثقافة والتقاليد .

وفى أكرا اجتمعت هذه الشعوب الافريقية لتسأل الدول الاستعمارية نفسها - التى سبق ان قسمتها وعبثت بوحدها وقطعت اوصالها - ان تجلو عنها ، وتتركها لابنائها لأن الشخصية الافريقية قد أفاقت من غفوتها وتنبهت من غفلتها بعد كل هذه السنين وهى الآن تصر على اجلاء المستعمر من ارضها ، لأن نتيجة الجلاء المباشرة هى خلق الشخصية الافريقية ودعمها .

ترى ما الذى يتخيله الانسان عندما يسمع هذا التعبير المؤلف الدارج **الشخصية الافريقية ؟** . قل من يفكر منا انه كائن متآلف تتمثل فيه أبرز مميزات الشعب الافريقى فى جميع اجزاء قارتنا الشاسعة المترامية الأطراف ، ان هذا التعبير ليحمل الينا - رغم ذلك - شيئاً ملحوظاً ملموساً .

وفى رأى ان احسن تعريف للشخصية الافريقية يمكن ان تجده فى كلمات **((توم مبوبا))** عندما خطب فى مؤتمر الشعوب الافريقية وقال : **((ان افريقية كلها تتحدث بصوت واحد ولسبب واحد ومن أجل هدف واحد تسعى وتصمم على تحقيقه وهو الحرية))** .

وعندما يتفهم الافريقى معنى كلمات **توم مبوبا** هذه ويدرك معناها تكون الشخصية الافريقية قد تبلورت وتكونت ، فان الشخصية الافريقية مرادفة للحرية الافريقية .

ولقد امن الدكتور نكروما رئيس وزراء غاناه على كلام الزعيم توم مبوبا عندما قال فى المؤتمر نفسه : **((ان افريقية قارة قائمة بذاتها فهى ليست امتداداً لأوروبا ولا لغيرها من القارات ومن أجل هذا نريد أن نكون مجتمعنا الخاص بنا وشخصيتنا الافريقية التى نفرد بها))** وفى الواقع ان هذين المؤتمرين الافريقيين اللذين اثارا اهتمام العالم كله ولفتا نظاره سوف تقل قيمتهما بل ستنعدم ان لم يكن من وراء

ان بعض أعداء أفريقية والعاملين
ضدها يشبطون عزائمنا ، ويفتون في
عضدنا بقولهم ان آراءنا ليست عملية،
وبمعنى آخر ان **الشخصية الافريقية**
لا يمكن تكوينها ، وابرازها الى حيز
الوجود ، ولكننا نتساءل : اليس
للأمريكيين شخصية الأمريكي العادي،
فلم لا يكون لنا مثلهم شخصية افريقي؟
الم تتكون الولايات المتحدة الأمريكية
أول ما تكونت من ثلاث عشرة ولاية ؟
وهي اليوم تتألف من خمسين ! واذا
كانت أمريكا قد جمعت كل الولايات
المختلفة معا فلم لا نستطيع نحن أن
نجمع ونتكثل ونكون الولايات المتحدة
الافريقية ! وفي الاتحاد قوة .

ان التنافس الآن على أشده بين
الكتلتين الكبيرتين في العالم ، وكل
منهما تريد أن تحمل افريقية على
الانضمام اليها والسير في فلكها ، وهذا
التنازع على انحياز افريقية الى جانب
من الجانبين المتنافسين المتخاصمين قد
جربناه في الماضي وخبرنا نتائجه ، ولن
نسمح للتاريخ بأن يعيد نفسه بل اننا
سننجح لا محالة في دعم كياننا الذاتي
وتكوين شخصيتنا الافريقية المستقلة،
فتقل بذلك أسباب نشوب الحرب ،
وبهذا ستنجح افريقية في احلال السلام
والوثام محل الخصام .

لقد صدق السير رايدر هاجرتي
عندما قال : « انه يخرج من افريقية
شيء جديد » . أجل لقد استقلت في
افريقية دولتان هما غانه وغينيا
ويحدوهما الأمل في دعم الكيان الافريقي،
وابراز الذاتية الافريقية ، باتحادهما
معا كنواة لاتحاد عام يشمل كل افريقية،
وستبرز الشخصية الافريقية وتصبح

حقيقة ثابتة محسوسة ملموسة
كنتيجة لاتحادهما .

ان هذه الشخصية يمكن مشاهدتها
حية تسعى وتعمل بين الافريقيين في
أروقة هيئة الأمم المتحدة ، فلقد كونت
الدول الافريقية في هيئة الأمم المتحدة
وحدة في الرأي لها شأنها الذي سيزداد
قوة بعد انضمام الدول الافريقية
الأخرى . التي ستحصل ولا بد على
استقلالها في المستقبل القريب .

وبهذه الكيفية سيصبح لأفريقية
كيان ذاتي قوى ، له صوته المسموع
في الشئون الافريقية والشئون العالمية
على حد سواء ، كيان ذاتي قادر على
العمل لفائدة الكل وخير الجميع ،
يحارب الظلم حيثما يقع ، ويمنع
الدول الكبرى من استعباد الدول
الصغرى ، واستغلالها سواء في افريقية
أو في العالم الخارجى .

ولأخص هنا بعض المبادئ
والأهداف التي تتميز بها الشخصية
الافريقية ، فهي تحس العطف والمحبة
لجميع الناس على اختلاف أجناسهم،
ولا تحمل حقدا لأحد ، تهدف الذاتية
الافريقية الى تحقيق العدالة ومساعدة
الضعيف وتعليم الجاهل ونصرة المظلوم ،
وتحرص على ضيانة الحقوق الانسانية
الأساسية للبشر جميعا ، وتعمل
لتحقيق السلام في العالم ،

ولأن **الشخصية الافريقية** قد
ولدت ونشأت ونمت وترعرعت بين
التجارب والمحن في الماضي والحاضر ،
فانها لتدرك تمام الإدراك ضخامة
مهمتها ، وأهمية دورها الذي يجب ان
تقوم به ، حتى تحقق هذه الأهداف
النبيلة ، وتساهم في تحقيقها .

« مترجمة عن الانجليزية »

ذكريات الخطوم

سمراء ما زال الحنين اليك مشبوب الفكر
وعلى جبينى من حنانك راحة ظلت تمر
وبقيّة من ذكريات عالقسات بالبصر
.. عن أعين سوداء يبرق فى تأملها الحذر
عن عالم فى قبضة الشمس العنيدة ينصهر
.. تتساق الجدران والأبهاء فيك خطى الزهر
ويكاد يورق فى لياليك المحجبة .. الحجر
فيقلب هذا المنجم المسود شعب مزدهر
رفع الجباه . وسار منداحا كفجر من صور
فاذا السلام على الوجوه . وفى أسارير النهر !

* * *

غنيت تحت ظلالك الهدباء أسراب الطفولة
كانوا فراشات حيارى يمرحون اليوم طوله
يتواثبون كما توائمت الأغاريد الجميلة
ويزخرفون الحائط الممتد بالصور الهزيلة
... ما زلت أذكر بينهم طفلا يتيما كالخميلة
لم يحم صفحة وجهه بيديه من كفى الثقيله
فيداه فوق قميصه المخروق تلتمسان حيله
واذا بشرثرة العيون تذيب فى عبث نحوله
حتى اذا ما قطعت من روحه قطعا خجوله
ترك ((القميص)) لكى يطفى جرح أيام ذليله !!

* * *

أنا لست أنسى ليلة عذراء ساجية الجفون
قد سرت فى أهدابها دمعاً جريحا مستكين
متذكرا فى قرينتى نبضا من البذر الدفين

والقمح يقفز في وشاح شاحب رطب الرنين
واذا بتغل بين ((شمبات)) (١) يهرم في العيون
وقرى تنام مع البذور على جفون الكادحين
والجدة العجفاء تروى والصفار يحملون
وعلى الروابي من حذاء الراحلين شذى حزين
.. أحسست أنى فى قرى مصر أدور على حنين
فهويت احتضن التراب بما ملكت من السنين

* * *

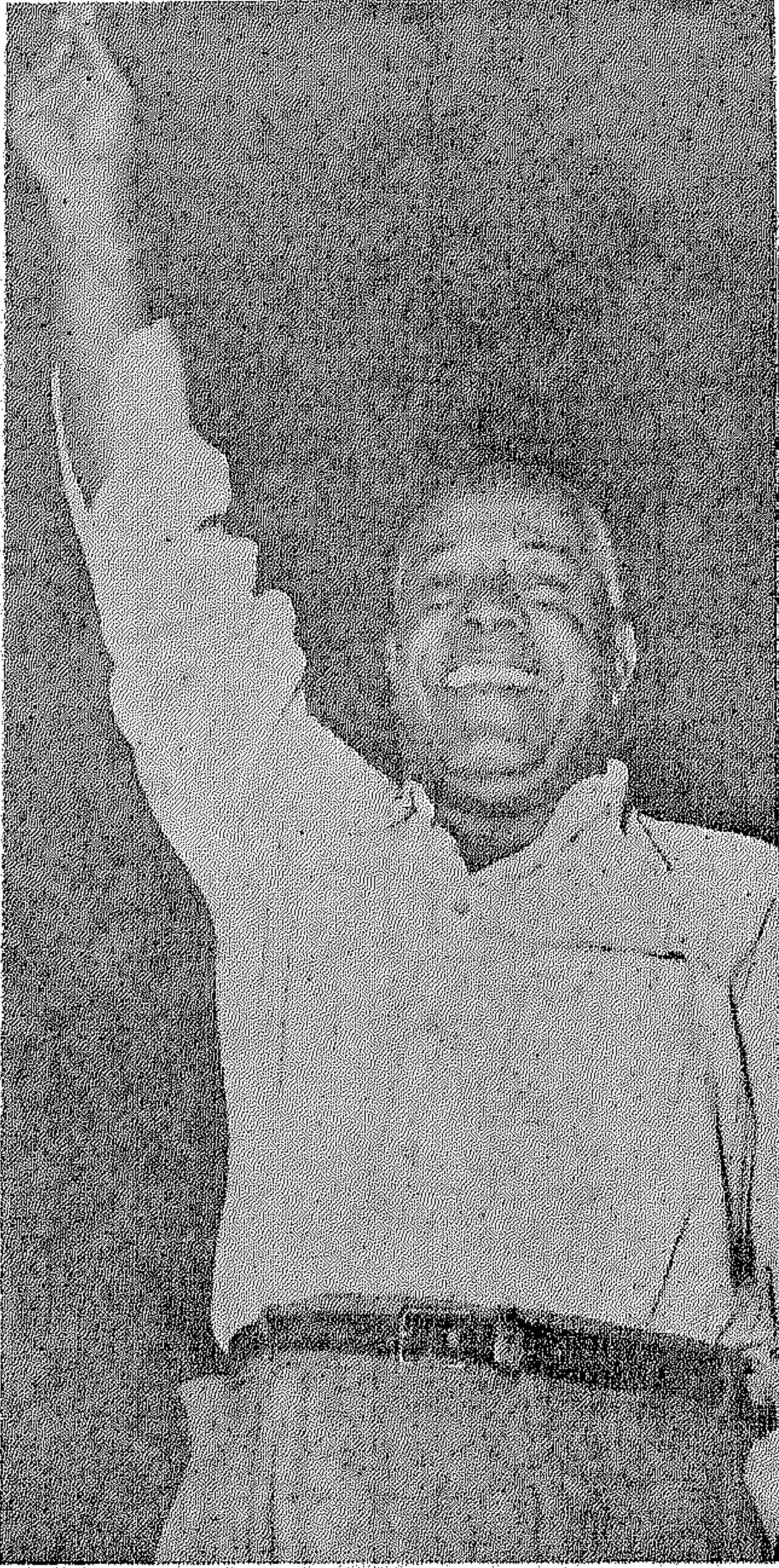
فى هذه الأرض السخية عشت عمرا مخصبا
أسرعت خلف غزالها حتى ترامى متعبا
وسمعت ((دوبيتا)) (٢) تغنى باللقاء ورحبا
ورقصت رقص الحرب مهتاجا . عنيفا . مغضبا
وعلى صدى ((داوكة)) (٣) قد هب عمرى واثبا !
.. ومع ((النوير)) (٤) وقفت مشدوه التأمل معجبا
فهم الوجود الطفل يخطر فى البراءة لأعبا
أيامهم للصبيد والمرعى الذى قد أعشبا
وصباحهم أكواب خمر أترعوها بالصبا
حتى اذا ما أفرغوها حطموها ... مغربا !!

* * *

أحببتى السمرء يا تهوية الفجر الندى
قالوا ((لقد أضحي الهوى والود غير مورد !))
فهتفت هذى كفك السمرء تحضنها يدي
وهواى فى عينيك أما رائح أو مغتسدى
ألقاه فى مرج الحقول . وفى ظلال الموعد
ويرى بحقل نائم متوسد بالسواعد
وبسنبل ذهب الأصيل بجفنه لم يعقد
وبكرمة شفت عن الساقى وكأس مجهد
... هذا هو الحب الذى سيظل (أو فى) مورد
من أجله نجيا بقلب خافق متوحسد ... !

- (١) صاحبة بجوار الخرطوم .
(٢) نوع من النظم كالموال فى مصر .
(٣) نوع من الطبول .
(٤) قبيلة فى جنوب السودان .

السودان في صو



الفريق ابراهيم عبود

العربية المتحدة تجاه بلدكم العزيز . ولقد
كان من دواعي سعادتنا احساسنا بأن وفدكم
حمل الينا معه من النوايا الطيبة ما يؤكد اصالة
العلاقات بين شعبينا ، والروابط الخالدة التي
تجمع بيننا منذ أن كان التاريخ .
.. انهما بلا شك وثيقتان من وثائق
الصلة الدائمة الأبدية بين البلدين .

سعد العالم العربي بالاتفاقية التي
تمت اخيرا بين الجمهورية العربية
المتحدة ، وجمهورية السودان ، وقد
غمرت الفرحة أبناء الجمهوريتين ،
ولعل البرقيتين المتبادلتين بين الرئيس
« جمال عبد الناصر » والفريق
« ابراهيم عبود » أكبر دليل على
الروح الجديدة التي سادت بين
الجمهوريتين .

فقد تلقى الرئيس « جمال عبد
الناصر » البرقية الآتية :

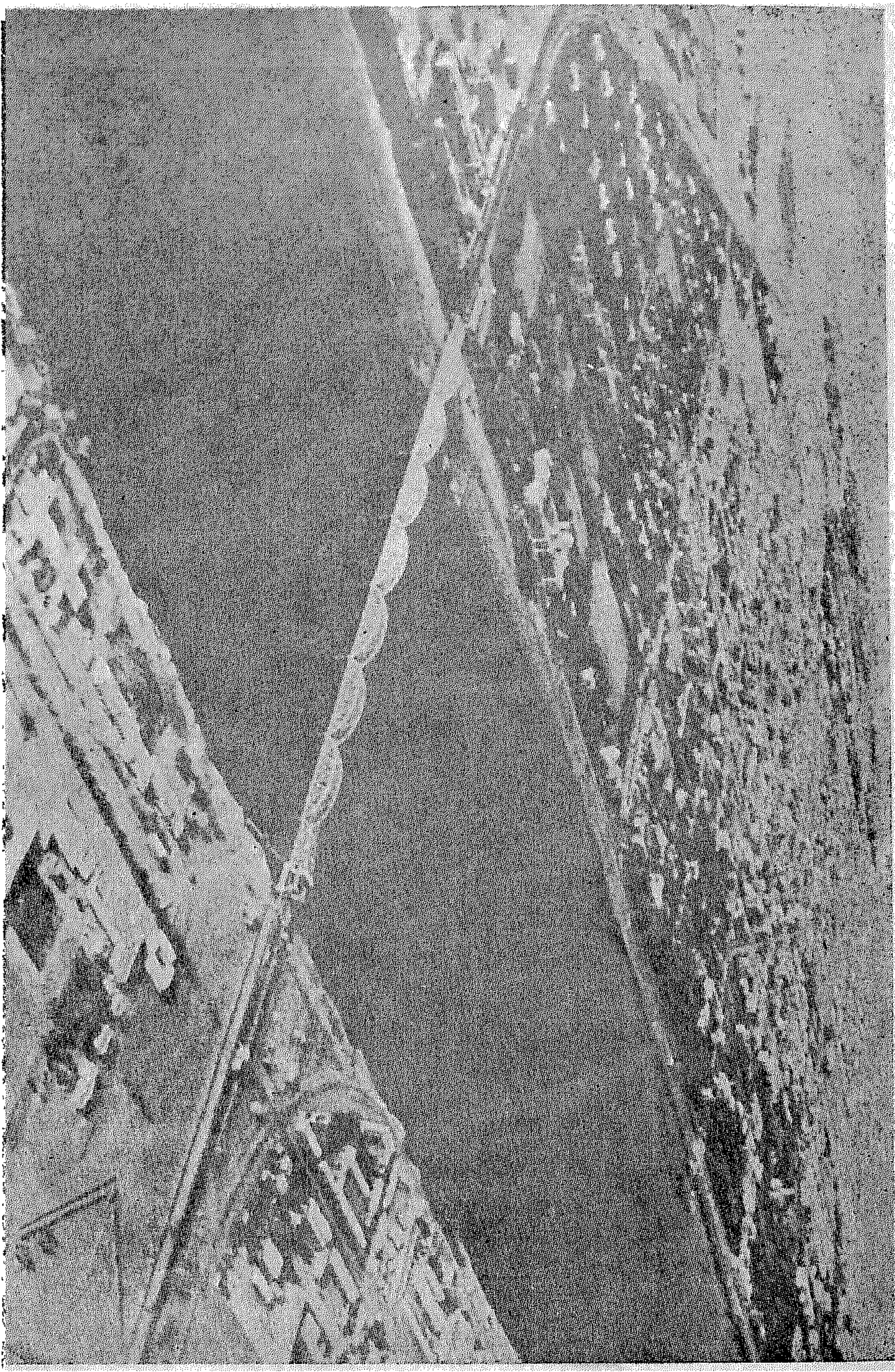
« لقد عاد وفدنا وهو يلهج ثناء وتقديرا ،
على ما أوليتموه من حفاوة وتكريم ، وما لمسه
من فخامتكم ، ومن زملائه رئيس وأعضاء
الوفد من روح أخوى كريم أثناء الباشات ،
وانى أنتهز هذه الفرصة لأعرب باسم المجلس
الأعلى للقوات المسلحة ، ونيابة عن الشعب
السودانى المتهج بهذه المناسبة عن أصدق
المشاعر الأخوية لفخامتكم ، وللشعب العربى
الشقيق ، والله نسال أن يوفقنا جميعا لخير
ورفاهية الشعبين ، واشاعة المودة والتعاون
بين العرب أجمعين » .

كما تلقى الفريق « ابراهيم عبود »
البرقية الآتية :

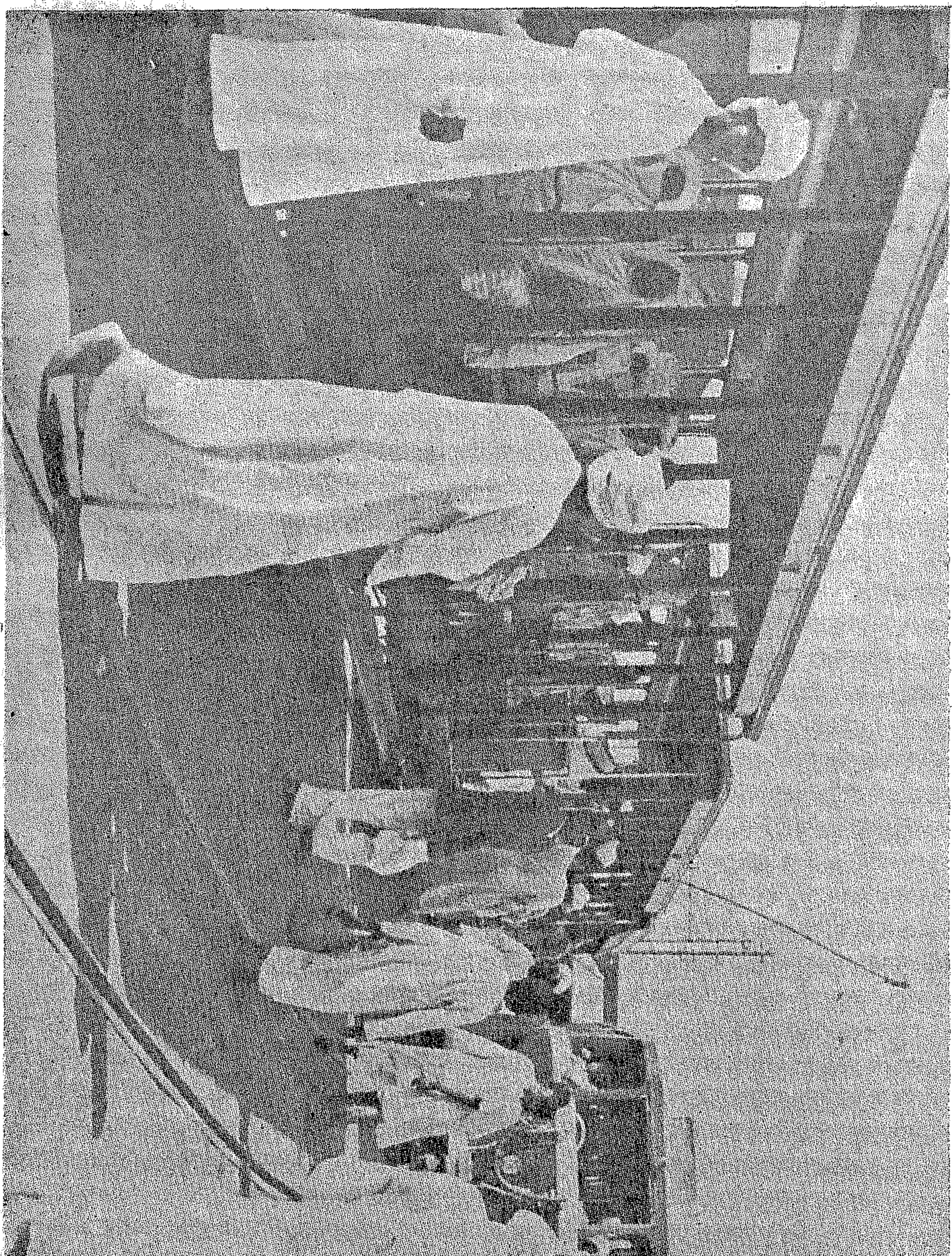
« لقد كان أعز أمانينا أن يلتقى بوفد
السودان الشقيق ، وان يرى الوفد بنفسه
عميق المشاعر التى يحتفظ بها شعب الجمهورية



رئيسا وفدى المفاوضات



النيل الأزرق



من مظاهر الحياة في الخرطوم



« أولاد السمكة »

بقلم الأستاذ عباس خضر

وأحضرن مكنسة ولففنها وادعين أنها المولود العزيز .. وأبلغن زوجهن الملك بذلك ، فحزن ولكنه تذرع بالصبر .. وولدت الزوجة الطيبة مرة ثانية ، فتكررت المأساة اذ ألقى المولود الحقيقي في البحر ، وأتى بحجر كان هو المولود المزعوم !

وهكذا استمرت الزوجات الضرائر في تدبيرهن السيئ ضد الزوجة الطيبة ، حتى بلغ المواليد الضحايا الذين ألقى بهم في اليم خمسة : بنتا وأربعة بنين .

اعتادت سمكة كبيرة أن تأتي عند الشاطئ الذي يلقي منه الأطفال الأبرياء ، فكانت السمكة تبتلع كل طفل عند القائه ، حتى ضم بطنها الكبير الأولاد الخمسة ، وعاشوا فيه آمنين من كيد الكائدين وغدر الغادرين ، يأكلون مما تأكله السمكة وتخترنه في بطنها .

وظل الأطفال في بطن السمكة إلى أن شاء الله أن يخرجوا إلى النور على يد صياد اصطادها وباعها في المدينة لأحد الفقهاء ، وكان الفقيه فقيرا وله أولاد كثيرون يكد في سبيل الحصول على رزقهم ، وقد فرح بالسمكة الكبيرة

تكررت الجدة العجوز على عنجريتها الذي نسج سطحه من حبال الليف ، والتف حولها أحفادها ينتظرون صامتين في شوق ما ستحكيه لهم من الأحاديث (الحواديت) ..

بدأت الجدة بجملتها التقليدية التي تعلن بها أنها ستقص « حجة » أي حدوتة :

— حجيتكم ما بجيتكم ..
— خيرا جانا وجاك .

قالت الجدة في صوت كله حنان وعطف :

كان للملك « ابن النمر » زوجة يحبها حبا شديدا ويؤثرها بعطفه وعنايته ، مما جعل زوجاته الأخريات يغرن منها ويتفغن على تدبير المكاييد لها والعمل على تنفير زوجها منها .

أظهرت الزوجات الضرائر ودهن وحبهن الزائف للزوجة المحبوبة ، وكانت هي سمحة النفس طيبة القلب فانخدعت بما يبدين لها ، ووثقت بهن إلى حد أنها صدقت ما زعمنه من أنها ولدت .. مكنسة !

فقد أحطن بها في أثناء ولادتها ، وأخفين عنها مولودها الحقيقي وأرسلنه مع احدي الجوارى لتلقيه في البحر ،

التي سيشبع منها أولاده وخاصة أنه اشتراها بثمان زهيد .

ذهب الفقيه بالسمة الى بيته ، وفرح بها الاولاد فرحا عظيما والتفوا حولها يداعبونها مسرورين زائطين .. وقد وضعتها زوجة الفقيه فى طشت كبير مملوء بالماء .

ثم فتحوا بطن السمكة .. فهاهم منظر الاطفال وهم يخرجون منه .. وصاحت الزوجة فى فزع :
- ما هذا يا ربى !

فقال الزوج :

- هذا فضل من الله .

- فضل من الله ! هل تنقصنا العيال !!

- اسكتى يا امرأة ، واستغفرى الله .. ان الله يرزقنا واياهم .

وفعلا تيسرت أسباب الرزق للفقيه وانهالت عليه الخيرات من حيث يعلم ومن حيث لا يعلم . وفرح هو وزوجته بالاطفال الذين أتى الخير على قدومهم . وكبر الأولاد الأربعة وكبرت البنت معهم وقد سماها الفقيه فاطمة وكانت ذات حسن وجمال . وعاشوا زمنا فى سعادة واطمئنان ، ولكن حدث يوما أن تخاصم أكبر الاولاد مع بعض أترابه ، فقال له هذا : يا ابن السمكة !

وصار الاولاد الآخرون يقولون لهم كلما أرادوا أن يفيظوهم ويعيروهم :
- يا أولاد السمكة !

وذات يوم أتى الولد الأكبر الى الفقيه باكيا ، وتوسل اليه أن يخبره بسر هذه التسمية ، وهل هم حقيقة أولاد سمكة ؟! فما كان من الفقيه الا أن أخبره بالحقيقة . فأنقسم الولد أن يذهب باخوته بعيدا عن أعين هؤلاء الذين يحتقرونهم ويدلونهم الى حيث يبدأون حياة جديدة .

سار الأولاد الخمسة حتى وصلوا الى غابة كثيفة الأشجار فنزلوا بها ، وأنشأوا لهم كوخا من ورق الأشجار وفروعها . وكان الاخوة البنون يذهبون الى الصيد أما البنت فكانت . تمكث فى الكوخ تهيب لهم الطعام وترعى ما استطاعوا تأنيسه من الطيور والحيوان ، وكانت اذا خرجت تتنكر فى زى رجل عجوز وكانت كثيرا ما تذهب الى الغدير القريب لتسقى حيوانها وتملا جرتها بالماء . وكانت أحيانا تتجرد من زيها فيبدو جمالها الفاتن وتنزل الى الغدير لتستحم فيه ، فتبدو كالزهرة البرية نظرة جميلة لا تشوبها شوائب المدنية المصطنعة .

وذات يوم رآها عبد من عبيد السلطان ، الذين اعتادوا الصيد فى مجاهل تلك الغابة البعيدة ، وقد تخلت عن زى التنكر ، فسحره جمالها ، ولدهشته لم يستطع أن يكلمها ، فذهب الى سيده وأخبره بأمرها . فأراد السلطان أن يتحقق من صحة الامر ، فأرسل عبدا آخر لهذا الغرض وكان هذا العبد لا يحسن النطق فزاده جمال الفتاة تلغثا فى الكلام . ولما عاد لم يفهم منه **ابن النمر** شيئا ، فقرر ان يذهب بنفسه ليتحقق ما قاله العبد الاول .

ذهب السلطان الى الغابة واختفى وراء شجرة كبيرة قريبة من الغدير . وظل مختفيا يرقب الطريق حتى رأى رجلا عجوزا مقبلا يتجه نحو الغدير ، فلما وصل اليه تجرد من زيه ، وظهر على حقيقته فتاة رائعة الجمال هى فاطمة ..

ونزلت فاطمة الى الغدير لتستحم ، وابتعد السلطان عنها حتى خرجت ولبست ثيابها وتزيت بزى الرجل

العجوز ، وغندئذ تقدم منها وحياتها ولم يظهر لها أنه عرف حقيقتها .

ثم عرض السلطان على « الرجل العجوز » أن يعمل بستانيا في قصره ، فقبل قائلا :

— اننى يا ملك الزمان صاحب عيال وأولادى يعيشون فى كوخ بالغابه ولا بد أن أعود اليهم آخر النهار وأقضى الليل معهم .

وقال السلطان : لك ذلك أيها البستاني العجوز .

وجعلت فاطمة تعمل فى بستان السلطان فى شكل الرجل العجوز ، وكان السلطان يذهب اليها كثيرا ويحادثها متلطفًا معها ويغمرها بالهدايا التي كانت تعود بها الى اخوتها فى المساء . وكان يشعر نحوها بالحب ولكنه يكتف عواطفه حتى تحين الفرصة .

وكان يرقبها من نافذة القصر وقت الظهيرة، وعندما تجد نفسها منفردة فى البستان ولا أحد يراها تتجرد من زى الرجل العجوز وتبدو فى جمالها ومحاسنها . فيهم بأن ينزل اليها ويفاجئها ، ولكنه يضبط نفسه حتى لا يخلجها .

واستمر الحال على ذلك حتى زاد الوجد بالسلطان ، فسار وراءها ذات يوم متخفيا بحيث لا تراه ولا تعرفه وهى عائدة الى الكوخ فى الغابة ، حتى وصلت الى اخوتها الذين كانوا ينتظرونها . وبعد برهة أقبل عليهم وحياتهم ، فردوا تحيته وأكرموه ، ثم عرفهم بأنفسه ، وعرفته فاطمة فدهشت لمجيئه ، ولكن الأمر انكشف لها عندما سمعته يخطبها من أخيها الأكبر ...

وانتشر نبأ خطبة السلطان بالمدينة وعمت الافراح أهلها الا شخصا واحدا لم يرحب بهذا النبأ .. هى تلك البغواء التي كانت تعمر أحد أركان البيت ..

لقد أخذت تردد كلما رأت السلطان قادمة :

« ابن النمير يريد أن يتزوج ابنته ! »

ولم يعر السلطان ذلك التفاتا أول الامر ولكن لما تكرر ذلك القول من البغواء انتبه السلطان واهتم .. فسأل البغواء عما تقصده بهذه العبارة التي ترددها ، فأخبرته البغواء بأن خطيبته ما هى الا ابنته ..

ذلك أن السلطان ما هو الا ابن النمير زوج المرأة الطيبة المسكينة التي كادت لها ضراتها فزعمن أنها تلد مكنسة وحجرا ... الخ ، واستطعن بذلك أن ينفرن ابن النمير منها ويحملنه على هجرها واهمالها ، فلما بلغن ما أردنه بكيدهن ظهرن لها على حقيقتهن وجعلن يعيرنها ، مرة بأنها « أم مكنسة » وأخرى بأنها « أم حجر » ... الخ . ولما لم تجد لها صديقا أو أحدا تركزن اليه خرجت من القصر ذات ليلة ولم تعد . ولما علم الولد الأكبر بقصة أمه تذكر امرأة كان يراها هائمة على وجهها فى الغابة ، وكان يسمعها أحيانا تردد : « يا بنتى يا مكنسة .. يا ابنى يا حجر ! » .

وأدرك الآن سر نظرتها الحنون اليه ، وسر شعوره نحوها بالعطف والاشفاق حتى كان يذهب اليها بالطعام وهو لا يعلم بأنها أمه ..

تذكر الولد الأكبر ذلك ، فراح يبحث عن أمه فى الغابة حتى وجدها ، وعاد بها الى قصر والده ابن النمير .

فسر ابن النمير سرورا عظيما بعودة زوجته الطيبة ، وندم على ما كان منه من اهمالها وهجرها .

واجتمع شمل الزوجين وأولادهما وفرح الجميع بذلك ، وأخذت البغواء تغرد صائحة كلما رأت ابن النمير :

« يا ابن النمير .. جاك الخير .. »

أثر السياسة الاستعمارية في التعليم

للأستاذ علي شلش

اخيرا . ذلك أن المشكلة تبدو حادة عنيفة كلما توغلنا في جنوب القارة ، ويخيل لى أنها مرتبطة أوثق الارتباط بمشكلة التفرقة العنصرية ولذلك نراها في جنوب افريقية ونيجيريا واوغنده ، أكثر مما نراها في مكان آخر .

وتهدف السياسات التعليمية التي يضعها المستعمرون الى تربية السكان الوطنيين تربية تضمن تنشئتهم على الطاعة العمياء والذلة ، كما ترسم هذه السياسات على اساس بث روح الخضوع والاستسلام للرجل الأبيض الذي يصور في المناهج التعليمية على أنه المنقذ الفذ الذي ادخرته العناية الالهية للأخذ بيد الأفريقيين ، ومعاونتهم وتحضيرهم !

يقول أحد تقارير اللجنة المشتركة لتعليم الوطنيين في اتحاد جنوب افريقية :

((ان الهدف من تعليم الوطنيين في افريقية ، ينبغي أن يختلف تماما عن الهدف من تعليم الاوروبيين . فإننا نعلم الطفل الأبيض لنعدده للحياة في بيئة خاضعة مستسلمة !)) .

كذلك ذكر وزير شئون الوطنيين في عبارة كتبها عام ١٩٥٣ : ((أنه

لعل عبارة « جوبلز » وزير دعاية هتلر : ((كلما سمعت كلمة الثقافة ، تحسست مسدسى !)) تكون مفتاحا لمشكلة التعليم والثقافة ، ووضعها بالنسبة للسياسة الاستعمارية . ذلك لأن الثقافة والتعليم عاملان جوهريان في تحديد رقى الأمة ووعيها ، فما بالنا اذا كانت الأمة مغلوبة على أمرها ، واقعة تحت السيطرة والاستغلال . والواقع أن عبارة جوبلز ليست سوى انعكاس مركز لما يقوم به الاستعمار ازاء تعليم اصحاب الأرض التي يفرض عليها سيطرته .

واذا كانت افريقية هي « الجبهة الأخيرة » للاستعمار ، كما قال جون جنتر ، فإنها تعرف هذه المشكلة وتكادها ، منذ فرض الرجل الأبيض نفسه وصيا على مصالحها ، وقيما على قدراتها . والسياسة التعليمية في البلاد الافريقية المستعمرة ، ما كانت يوما غير نابعة من السياسة الاستعمارية نفسها .

ولعل من المفيد هنا أن نتناول مشكلة التعليم بقصرنا الحديث على الجهات التي ما زالت واقعة تحت السيطرة الاستعمارية ، مسقطين من حسابنا الدول التي نالت استقلالها

لا جدوى من تدريس الرياضة لأبناء قبائل البانتو ، طالما هم لا يستطيعون استخدامها في الحياة » . ثم يضيف قائلا : « وعلى كل حال لا ينبغي المبالغة في مسائل التعليم ، بل ينبغي أن يعطى التعليم للناس حسب الامكانيات المتاحة لهم في الحياة » .

هكذا يفهمون التعليم في جنوب افريقية : أنه اذلال لصاحب الأرض الأصلي ، وتحقير من شأنه ، وسلبه حقا هاما من حقوقه .

وزارة شئون الوطنيين السابقة هي التي تطبق السياسة التعليمية في الاتحاد ، وهي أيضا التي تطبق « قانون البانتو للتعليم » منذ عام ١٩٥٤ ، ذلك القانون الذي قدمه وزيرها بقوله « أنه يتجاوب مع سياسة التفرقة العنصرية ، وأنه يستهدف استجابة الأهالي لسياسة الحكومة ، ولا يؤدي الى خلق « طبقة من المشاغبيين » . والقانون السابق يحدد عدد الافريقين الذين تتاح لهم فرصة التعليم ، ويضع جزاء قاسيا لمن يخالف قواعده . ويقول نيفل روبين نائب رئيس قسم الشئون الدولية في الاتحاد القومى لطلبة جنوب افريقية : « أن حكومة الاتحاد تنفق على مدارس الملونين ثلث ما تنفقه على مدارس البيض . ومع ذلك فقد تقرر أخيرا جمع المبالغ التي تنفق على تعليم الوطنيين عن طريق فرض ضريبة خاصة عليهم » . ويضيف : « ان الحكومة قامت بالفاء المنحة الدراسية التي كانت قد منحتها لخمسة من طلبة الطب الافريقين » (مجلة اتحاد الطلبة : ٢٨ يونيو ١٩٥٨) .

وكنتيجة لهذا نجد أن أربعة أخماس الشباب في اتحاد جنوب افريقية لا يتعلمون شيئا ، وأن نسبة الطلبة الافريقين في الجامعات والمعاهد العليا لا تتعدى ٣٪ من عدد الطلبة الأوروبيين . ولذلك ليس من الغريب أن تذكر احصاءات اليونسكو أن ٩٠٪ من سكان الجنوب جهلة تماما ، تقف القوانين أمام رغبتهم في التعليم .

وفي أوغنده مثلا ، التي يبلغ تعدادها نحو ستة ملايين نسمة ، نجد ١٦ مدرسة ثانوية فقط ، تخضع جميعها باستثناء مدرستين في ناكاسورا وناتارا - لاشراف بعثات التبشير . (مجلة نهضة أوغنده : العدد الأول مايو ١٩٥٨) .

كما يوضح لنا الاحصاء التالي مشكلة التعليم في بعض جهات أخرى من القارة :

من ذلك يتبين لنا كيف يعيش معظم سكان افريقية في متاهات الجهل ، وكيف يكذب الاستعماريون حينما يقولون : اننا فعلنا ، وفعلنا من أجل افريقية ومن أجل الحاقها بركب الحضارة . فما زال الاستعماريون يعملون بوحى ما كتبه أحد غلاتهم ، وهو « السير ايرل جراى » في نهاية القرن الماضي في قوله : « لعلنا نتفق على أن الانجليزى محق في اعتبار طريقته في النظر الى العالم والحياة متفوقة عن طريقة الماوري والهوتنتوت . وسوف لا يعارضنا أحد في مسألة بذل انجلترا الجهود في سبيل فرض نظرتها الأرقى والأحسن على أولئك المتوحشين » .

ويلج علينا السؤال : لماذا يلجأ
الاستعمار الى هذه الوسائل ؟ وماذا
يفيده الحجر على التعليم ؟

الواقع أن اتباع هذه السياسات
الخرقاء ، ومحاربة التعليم ، ومهاجمة
الثقافة والحجر عليها ، واطلاق
مسدسات جوبلز باستمرار ، كل ذلك
راجع الى عدة اسباب نجملها فيما
يأتى :

أولا : يخشى الاستعماريون تعلم
الأفريقيين ، ويعتبرون ذلك ايدانا
لهم بالرحيل ، وهم يخشون التعليم
الجامعى والعالى أشد الخشية . ولذا
نجد الأفريقيين الذين يلتحقون
بالجامعات قلة معدودة . ولقد صدر
اخيرا فى جنوب أفريقية قانون يمنع
حضور الطلبة الملونين الى الجامعات
التي يدرس بها الطلبة البيض فى
كيباتاون مثلا ، كما يضع كلية الطب
فى ناتال والجامعة الأفريقية فى
« فورت هير » تحت اشراف الحكومة .
ويتراوح الجزاء المقرر لمن يخالف هذه
القوانين بين الحبس والجلد والغرامة .
ثانيا : يعتقد كثير من الاستعماريين

أن التعليم يعطل أعمالهم ونشاطهم
داخل مستعمراتهم . فهم فى حاجة
الى أيدى عاملة باستمرار لامتصاص
كنوز الأرض ، فمن العسير اذن ايجاد
هؤلاء العمال فى حالة التوسع فى
التعليم . ولذلك نجد أصحاب الشركات
والاحتكارات يحاربون التعليم محاربة
شديدة ، لأن المحاربة تضمن لهم وفرة
الأيدى العاملة بأقل التكاليف الممكنة .
لذلك تلجأ السياسات الاستعمارية
الى تحديد فرص التعليم أمام الأفريقيين

وتضع أمامهم العراقيل لتضمن بقاءهم
فى ظلام الجهل حتى لا يثوروا . ومع
ذلك فالثورات لا تنقطع ، والانتفاضات
لا تهدأ ، والروح الثورية تسيطر على
الجميع مغلنة أن الحرية يمكن أن تنال
رغم القيود والجهل .

وقد عرفت أفريقية ، فيما عرفت
من نظم تعليمية . نظاما غريبا دعم
الاستعمار وسانده . ذلك هو نظام
الارساليات أو « ارساليات الحضارة »
كما كانوا يسمونها . فما هى مهمة
هذه ارساليات ؟

ان الاحصائيات تذكر لنا ان هناك
٥٠٠ ارسالية أمريكية فقط تقوم
بالتبشير عدا ارساليات انجلترا
وفرنسا وغيرهما . وهذه ارساليات
جميعها تقوم بدور خطير يتمثل فى
محاربتها للفاشية الوطنيين واعلاء
شأن اللغات الأوربية وفرضها فرضا ،
كذلك تشويه رسالة الدين المسيحى
للتأثير على عقول الأفريقيين حتى
يتخلوا عن أراضيتهم ، ويعتبروا
أنفسهم ضيوفا على هذه الأرض .
حقا لقد صدق مثل الروديسيين
القائل :

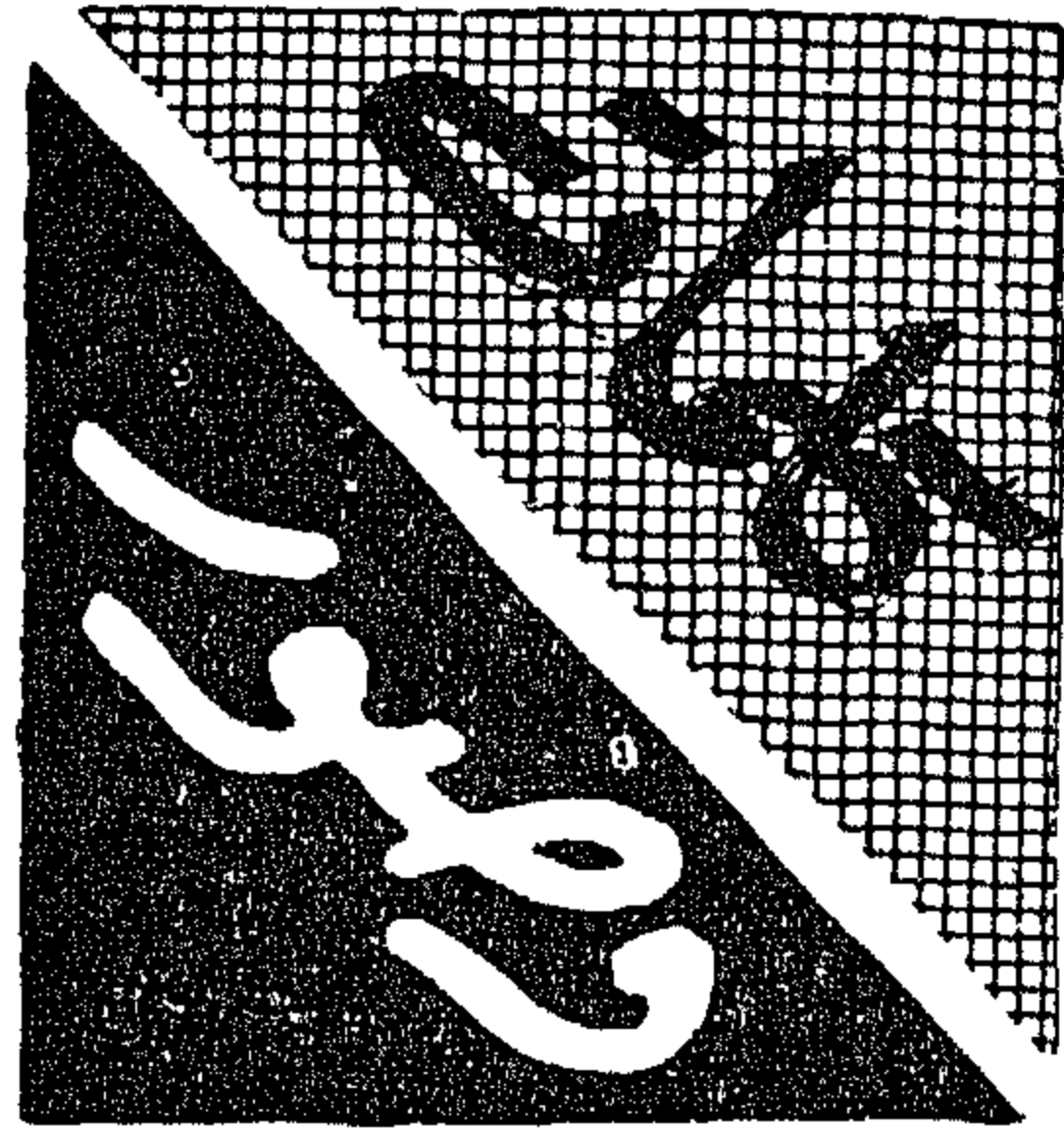
**« عندما جاء الرجل الأبيض كانت
لدينا الأرض ، ولديه الكتاب المقدس ،
أما الآن فالأمر على العكس ، لديه
الأرض ، ولدينا الكتاب المقدس ! » .**

ان التاريخ سوف يسطر دائما
للمستعمرين أنهم حرموا الأفريقيين
من التعلم فترة طويلة ، وأنهم حجروا
على الثقافة وزيفوها ، ومزقوا قداسة
الدين ، ولكن التاريخ سوف يسطر
أيضا أن مائتى مليون من البشر قد
حققوا حريتهم ، وألقوا بمستغليهم فى
البحر ، رغم الجهل الذى عاش فيه
أكثرهم .

يقدح زناده فكره حتى كان النوم قد غاب عليه ، وعقد أجفانه ، وحينما أصاب شيئا من الراحة فتح عينيه ببطء ، ونظر حوله . فوجد نفسه على مقربة من مدينة يسكنها أقزام صغار لكل واحد منهم أربع عيون ولما اقترب منهم أخذ كل منهم يتوجس خيفة من الآخر .

وقد بدأهم بقوله « أين أنا الآن ؟ » فكانت اجابتهم « أموكارا باوازي أمويو » ثم سمع منهم كلمة غريبة أخرى وهى « كى كى » ومع أنه لم يعرف هذه اللغة فانه أحس أن الكلمة الأخيرة تتضمن معنى الشر . وقد كان صادقا في حدسه فقد كان معناها « يسقط هذا الرجل » وزاد تأكده حينما رأى مئات منهم يقتربون منه . ثم ينهالون على رجله بالضرب . ويحيطونها بحبل . ثم يلقونه على الأرض ، ويظل على هذه الحال مدة أربعين يوما ، يحلون بعدها وثاقه ، ويقذفونه في مكان بعيد عن مدينتهم . وقد غلبه النوم مرة ثانية بعد الاجهاد الذى لقيه . حتى اذا فتح عينيه مرة ثانية وجد نفسه قريبا من قريته ، فامتأ بالسرور لأنه سرى أهله ، وسيعيش مرة ثانية في قريته الحبيبة .

وحين وصل الى قريته استقبله أهلها جزعين عليه ، ولكنه طمأنهم ، وقص عليهم قصة رحلته الغريبة . ثم غنى لهم أغنية قال فيها « ترك أوانجو المحبوب بلده ، وصار يبحث عن السلاحف مدة طالت حتى بلغت أربعين يوما ، وبالرغم من هذا فمن يرفض أن



أسطورة افريقية :

لا تزال تتردد في قرية بالقرب من « مريدى » أسطورة « أوانجو الساحر » الذى كان يخرج دائما للبحث عن السلاحف لأنه يحب لحمها أكثر مما يحب أى لحم آخر ، فقد كان ينطلق بين كل آونة وأخرى ، وعلى شفثيه ابتسامة آملة في أنه سيجد ما يتمنى من السلاحف بين الأحجار والكهوف .

وبينما هو يفتش في يوم من الأيام عن هذه السلاحف اذا به يكتشف ثلاثة جحور متقاربة . وقد دار في ذهنه أنه لابد أن يفامر بالدخول في واحد منها لعله يجد به أى نوع من أنواع الصيد ، وبدأ بالجحر الأول فدخل فيه وفي قلبه شيء من الرهبة ، ولم تزايله هذه الرهبة لأن الطريق قد امتد به داخل الجحر دون أن يجد شيئا به سوى الصمت والظلام .

وقد حاول الخروج ولكنه ضل الطريق ، فقد كان هذا الجحر الذى بدأ به يتصل بالجحرين الآخرين . ومن هنا لم يجد بدا من الجلوس ، والتفكير في طريقة الخروج ، ولكنه ما كاد

يعطيه ساحة فسيموت ! ... ثم صمت بقية أيامه . فلم يتحدث الى أحد ، ولم يسمعه الناس يتكلم بعد ذلك أبدا . بالرغم من السنوات الكثيرة التى مضت على هذا الحادث ، وقد تأثر الناس بهذا الحادث كل التأثر ، وظل المقطع الأخير من أغنيته يتردد فى قلوبهم ، ويلقى فى نفوسهم بعض الرعب . فقد كان يتوعدهم بالموت ان لم يحضروا له السلاحف التى يحبها . وبينما كان يجلس «رانجو» صامتا وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة .. كانت السلاحف تنهال عليه من جميع أبناء القرية !! .

الكونغو :

من عادة الأوروبيين أنهم كانوا كلما نزلوا بلدا افريقيا أشاعوا عنه التأخر، ووصفوه بالمتوحش ، وأنه ليس هناك أمل لتقدم هذا البلد الا على أيديهم . ولا شك فى أنه لم يكن ثمة ما يبرر هذا الاامتهانهم لحقوق البلاد ، كما لم يكن الا ذرا للرماد فى عيون الرأى العام العالمى .

ونحن اذا أخذنا « الكونغو » مثلا للتدليل على هذه الحقيقة نجد أن الأوروبيين قد ذكروا الكثير من المغالطات عن تأخر الحياة فى هذه البلاد ، حتى لتكاد تشبه حياة السوائم ، ولكن الحقيقة تؤكد أن أهل هذه البلاد كانت تنتشر بينهم العدالة ، وأنه كانت تحكمهم قوانين متكاملة من الناحية الاجتماعية ، وأن هذه القوانين كانت تراعى دائما مصلحة المجتمع وأنهم كانوا ينفرون كل النفور من الجريمة بكل ألوانها . فكل انسان

يرتكب لونا من ألوان الجريمة التى لا يقرها المجتمع ينفى منه ، وتعلن قبيلته البراءة منه ، ومن هنا كان كل مذنب يجد جزاءه بعيدا عن المجتمع اما بالموت جوعا .. واما بالجنون .

والوان الفنون التى سجلوها على الخشب ، والعاج ، وسعف النخيل، والتى تمثل الحياة من حولهم تؤكد ذكاءهم ، وحبهم للخير ، والانسانية، واعتقادهم فى قوة خفية وراء العالم هى « الله » .

ترى ماذا أفادته هذه البلاد الثائرة الآن فى وجه المستعمرين من الحضارة الغربية التى امتصت قواهم ، وأراقت دماءهم ، وسجنت زعماءهم ؟ لعل الاجابة تكمن فى تعليمات الملك « مانويل » التى جاء فيها فى أوائل عهد الاحتلال :

« بالرغم من أن الهدف الرئيسى هو خدمة الله ، ومتعة الملك . فعليكم أن تشرحوا لملك الكونغو كما لو كنتم تتحدثون باسمى . أنه يجب عليه أن يقوم بهاء سفنتنا بالعبيد والنحاس والعاج ! » .

على أن مما يطمئن النفوس اليوم حقا أن هذه السفن التى كانت تمتلئ فى الماضى بالبشر ، وبالنحاس ، والعاج . تمتلئ اليوم بالجرحى من الأوروبيين وبذكرياتهم ، ثم تقلع عن شواطئ افريقية فى صمت ، وحزن ، وخيبة!

المفتربون :

لم يهتم الأوروبيون فى أول معرفتهم بافريقية بالثروات الكامنة فى البلاد ، وانما نراهم ينظرون الى البلاد كغابة

مملوءة بالمادة البشرية ، ومن هنا نراهم يوجهون همهم الى صيد الناس كالحيوانات ، ودفعهم دفعا الى ما وراء البحار . فقد كانت البرتغال في أزمة اقتصادية ترى حلها في جلب الرقيق ، وكانت الأعمال الخسنة في أوروبا كلها لا تحل الا على أيدي هؤلاء الذين يساقون سبوقا من افريقية ، بل لقد دخلت المسألة في دور « الحرب الباردة » بين انجلترا وأمريكا ، فقد كانت انجلترا تعمل دائما على تحويل الرقيق عن أمريكا عقابا لها على مطالبتها بالحرية .

وهكذا امتهنت كرامة الانسان في هذه القارة ! فقد كان الارقاء يؤخذون بلا مقابل . أو مقابل أشياء تافهة كالمحار ، لن تنسى البشرية كلمة ألفونسو الأول التي قال فيها : « ان جون يستطيع أن يشتري بالخمسة الآلاف من المحارات عبيدا يستطيع بيعها في لشبونة بثمن مريح !! » .

وقد قدر المؤرخ الافريقى المشهور « دوبوا » عدد الافريقين الذين أصابتهم هذه المحنة بمائة مليون انسان ، ويدخل في هذا الاحصاء من قتل وقت الصيد ، ومن مات في الطريق ! .

وزيادة على هذا فقد كانت التجارة أحد عناصر التجمع الرأسمالى التى رأيناها قامت بدور خطير في تطور الرأسمالية في أوروبا . في الوقت الذى أدت فيه الى اضعاف السكان في افريقية ، والى انهيارهم اقتصاديا ونفسيا . ولقد صدق « يوتنجين » حينما قال أخيرا : « حقيقة أنهم قد تخلوا عن عملية

تصدير الرقيق من افريقية ، ولكن ذلك كان يقصد تحويل الافريقين الى رقيق في أوطانهم ، واستغلالهم في قسوة ، لاستنزاف ثرواتهم بأيديهم ، وتسليمها للغرباء !! » .

الشعر الشعبى :

ثلث يد أحد الشعراء الشعبين في السودان ، فعزت عليه نفسه وقال :

يا أيدي ما تستاهل الشل والعوار
يا أيدي ما تستاهل يا الما تبنت الجار
كم سللت سيوف . كم هزت النقار
كم فتحت كتب . كم شقلت طياز

والمعنى الذى قصد اليه الشاعر الشعبى هو قوله « انك لا تستحقين يا يدى ما أصابك من الشل والعيب . فأنت يد لم تمتد يوما بالاساءة الى جار ، وفي الوقت نفسه كثيرا ما سللت السيوف لمقابلة الأعداء ، وضربت على طبل الحرب ليجتمع الفرسان للمعركة ، وفتحت الكتب ليستقى وجدانك نور المعرفة ، واحكمت اطلاق البنادق على طائرات الأعداء التى أسقطت الكثير منها » .

من مشكلات العمال :

أرجع السنيور جالفائو مشكلة العمال بالنسبة لأصحاب العمل في الكونغو الى الأسباب الآتية :

- ١ - مقاومة أصحاب العمل أى تحسن في أجور العمال بكل الوسائل الممكنة التى لديهم الكثير منها .
- ٢ - معاملة العمال معاملة سيئة ، وإهمال شئونهم عامة سواء في الملبس أو المأكل ، أو الناحية الصحية .
- ٣ - سوء استغلال العمال ،

واشعارهم دائما بأنهم زائدون عن الحاجة ، مع التهديد المستمر بقطع أرزاقهم .

٤ - التحكم في نقل العمال من مكان الى آخر من غير مراعاة التغيرات المفاجئة في الطقس ، وخاصة مايتصل بنقل أهل السواحل الى الداخل . أو العكس .

٥ - اعتياد التجار الأجانب انتزاع أموال الوطنيين بالقوة .

٦ - اهمال الأحوال السكنية للعامل .

٧ - اشعار العمال الوطنيين دائما بأنهم من طبقة أدنى ، ويمكن الاستغناء عنهم في أية لحظة .

٨ - استعمال القسوة في تجنيدهم للعمل .

كما تعرض السنيور جالفافو الى المعاملة القاسية التي تتبعها الحكومة أثناء التجنيد . فقد جاء في تقريره ((ان الموقف من بعض جوانبه يكاد يكون أقسى من الرق الخالص ، ففي الرق غالبا يشتري الوطني باعتباره حيوانا يرجو سيده بقاءه معافي كالحصان أو الثور ، ولكن الوطني هنا لا يشتري ، وإنما يؤجر من الدواة بالرغم من الادعاء بأنه حر . فاذا عمل فمخدومه لا يعنيه شيء من مرضه أو وفاته ، لأنه ليس عليه إلا أن يطلب آخر فتعطيه له الحكومة !)) .

اعتقاد :

تعتقد قبائل ((كودي)) الافريقية أن الشمس والقمر قد افترق كل منهما عن الآخر على أثر شجار نشب بينهما من قديم الزمن ، وأنهما قبل ذلك كانا لا يفترقان ، وأن من آثار

هذه المعركة وجود « الكلف » الذي يظهر على وجه القمر .

كما ترى قبائل ((السارا)) أن الشمس ، والقمر ، والنجوم كائنات حية ، وأن النجوم من نسل الشمس والقمر ، وأن النجم كلما كان صغيرا في حجمه كلما كان طفلا بالنسبة للنجوم الأخرى الكبيرة .

حالة الطوارئ في كينيا :

اعلن « أيان ماكلويد » وزير المستعمرات البريطاني في مجلس العموم في ١٠/١١/١٩٥٩ أن الحكومة البريطانية بالاتفاق مع حكومة كينيا قد قررت إلغاء حالة الطوارئ التي استمرت في كينيا مدة سبع سنوات عقب الثورة القوية المعروفة بثورة « الماو ماو » وقد سارع الى اعلان هذا الاتفاق في حفل افتتاح المجلس التشريعي « باتريك - ينيسون » حاكم كينيا . كما أعلن أن حكومته تعتزم العفو عن المسجونين السياسيين في كينيا ، الذين يبلغ عددهم ٣٢١٧ مواطنا كينيا .

وهذا شيء لا بأس به كخطوة هامة في رفع الظلم عن السياسيين في البلاد . أما الشيء الذي لا يفهم ، والذي لن يقابل بالصمت في كينيا ، فهو عدم اطلاق سراح الزعيم ((جومو كينيا)) الذي عادت الحكومة فأبعدته الى مقاطعة « لودوار » بعد أن أمضى خمسة أعوام في السجن . فالسماع لجميع المعتقلين بمباشرة حياتهم ماعدا زعيم الحركة التحررية في البلاد يدل دلالة صادقة على أن بريطانيا غير جادة في كل خطوة تخطوها لصالح أبناء



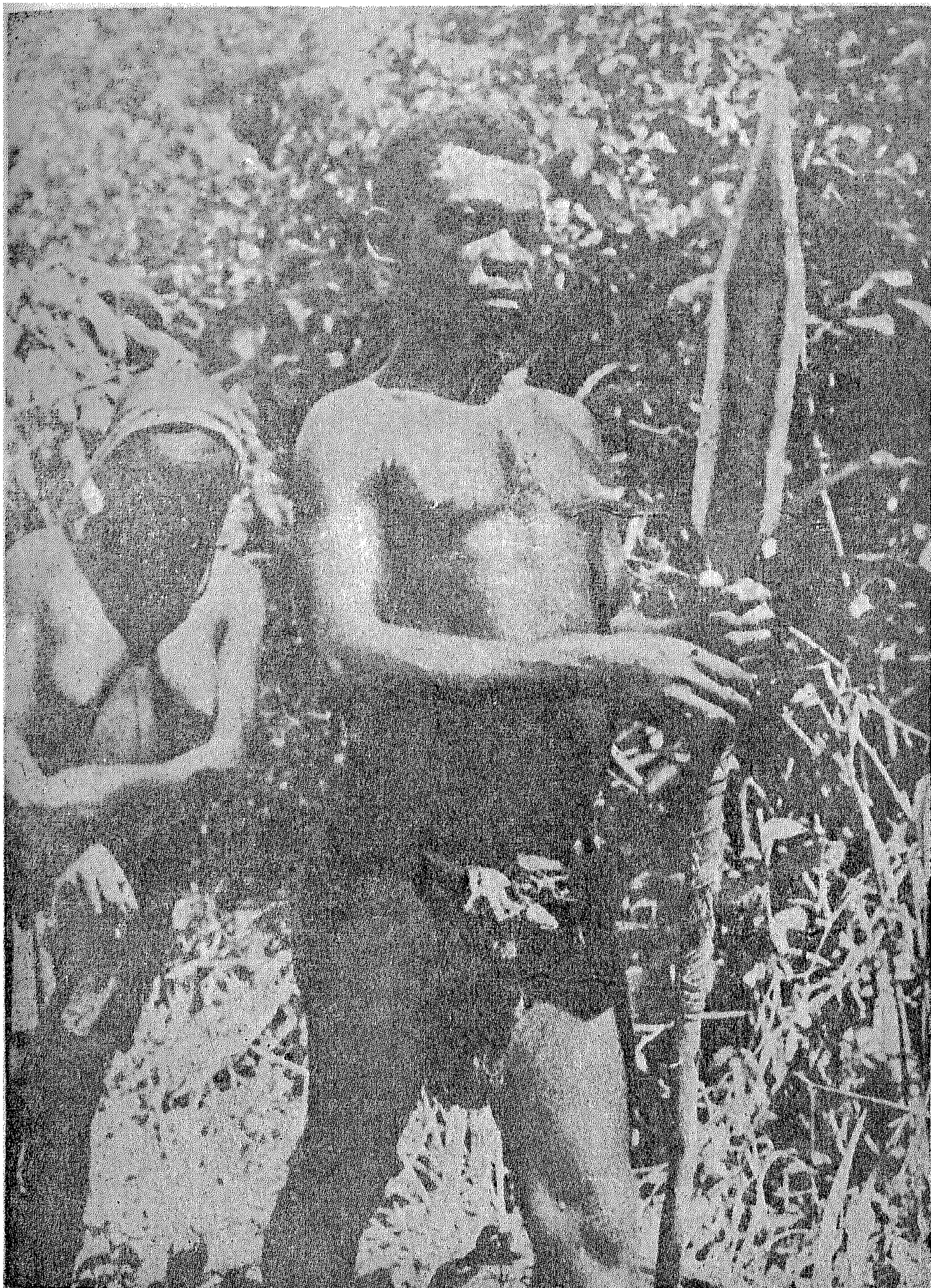
البلاد ، وانها لابد من أن تترك البلاد
سريعا ، ولعل الخارجين من المعتقلات
سيكونون أقدر على ترديد هذه الأفكار
باللسان وبالرمح من الذين هم في خارج
المعتقلات .

زعيم غينيا

ما زال الزعيم « سيكوتوري »
يواصل رحلاته في العالم الغربي بعد
أن زار أمريكا ، وقد أكد في كل مكان
ذهب اليه . انه لابد لجميع القارة من
أن تتحرر ، فلم يعد للاستعمار بقاء
في أصغر بقعة من بقاع افريقية ، وأن
كل من يتشبث بالبقاء بعد عملية
الصحو التي غزت القارة فستكون
القارة مقبرة له . وستكون حرية
القارة خالصة لوجه الحرية لا لوجه
المعاهدات ، والاتفاقات ، والانحياز
الى أى معسكر دولي . فالقارة
الافريقية اليوم لا تستوحى سياستها
من قوى خارجية ، ولكن سياستها
نابع من أرضها ، وظروفها ، وقيمها
وتقاليدها الانسانية .

هذا وستكون آخر رحلاته الى
لندن ، ثم الى ألمانيا الغربية .

الزعيم سيكوتوري



السعي للرزق



الغيرة !

ترجمة : سيد العقاد

((القصص الشعبي في غانه)) الشفيفة منتزع من طبيعة شعبها العريق .. انه يصور جلد أبنائه ، وكفاحهم المرير في تخطي العقبات .. ويصور روح العدل والمساواة التي تسرى في دمائهم جميعا .. انه يؤكد في جلاء أن نهضة ((غانه)) تستند الى صفات أصيلة لانعرف التراجع .. فيها من الاصرار والثبات ما يضمن لها باوغ أهدافها كاملة في وقت قريب .. بل أقرب .. من القريب ..))

بالتساوى بين الفلاح الغنى و «أوهيا» وزوجته .. وأظهر الغنى ارتياحه للاقتراح بمجرد سماعه .. وعبر عن شعوره الطيب بأن أعطى «أوهيا» ما يلزمه من الأوعية الفخارية الخاصة بجمع العصير ، بعد أن علم أن حالته لا تسمح بشراء واحدة منها ..

وفي سرور بالغ بدأ «أوهيا» وزوجته يعملان ليل نهار .. كانا يفصدان أشجار النخيل في النهار ، يضعان تحتها الأوعية ليتجمع فيها العصير المتساقط .. وفي صباح يوم السوق استيقظ «أوهيا» مع صياح الديك ، ليجهز ما في الأوعية لتحمله زوجته وتقوم بعملية البيع التي كانت مشوقة اليها كثيرا ..

وعندما وصل «أوهيا» الى النخلة الأولى لاحظ أن سوء حظه ما زال يلزمه .. إذ لم يجد وعاء الفخار مليئا بالعصير كما كان يتوقع .. بل وجدته مهشما وقطعا متناثرة ، ولا أثر للخمر أبدا .. فأسرع الى النخلة الثانية ثم الى الثالثة وبعدهما قصد الى النخلة

في الماضي البعيد جدا .. عاش رجل فقير اسمه «أوهيا» Ohia (١) مع زوجة تزيد عنه فقرا اسمها «أويرهو» (٢) Awirehu وظل التعسان يواجهان مصائب الحياة الواحدة بعد الأخرى .. وأى عمل يتوليانه يبدو وكأنهما سوء الحظ ينتظرهما فيه بفارغ الصبر .. وبلغ فقرهما حدا جعلهما لا يحصلان على الملابس الضرورية الا بصعوبة بالغة جدا .. واخيرا فكر «أوهيا» في مزاوله عمل زاوله الكثيرون من جيرانه ونجحوا فيه نجاحا ملحوظا .. وحينئذ لم يضع وقته سدى بل ذهب الى فلاح غنى يسكن في مكان قريب من مسكنهما .. وعرض عليه السماح له بأن يأخذ عصير يضع نخلات من نخيله الكثير ليصنع منه خمرا .. ثم تتولى «أويرهو» أمر بيعه في السوق فور اعداده .. على أن تقسم الأرباح

(١) معناها : الفقر ..

(٢) معناها : الحزن ..

الرابعة .. وظل يسرع من نخلة الى اخرى حتى انتهى منها جميعا .. وكانت جميع اوعيتها الفخارية بالحالة التي وجد بها وعاء النخلة الاولى نفسه!! ووصلت الزوجة اثر ذلك وروحها المعنوية قوية لتأدية واجبها .. وفي الحال لاحظت السحابة القاتمة التي تغطي سمات وجه زوجها .. وبعد ان وقفت منه على ما حدث ، اخذا يبحثان في اسف شديد عن اسباب المأساة .. وانتهيا آخر الامر الى ان شخصا خبيثا سرق الخمر ثم كسر الأوعية ليخفي معالم جريمته .. وعادت الزوجة الى المنزل تخنقها العبرات ، بينما ظل « أوهيا » يعمل دون كلل حتى أتم فصد النخيل ووضع أوعية فخارية جديدة تحته ..

ولما عاد « أوهيا » في صباح يوم السوق التالي وجد نفس ما وجدته في المرة السابقة .. الخمر سرقت جميعها والأوعية هشمت الى قطع صغيرة جدا .. ولم يكن أمامه الا أن يذهب الى الفلاح الغني ليخبره بما حدث .. واثبت الرجل صدق معدنه الكريم بأن طمأن « أوهيا » على أنه ما زال مرتبطا بما اتفق معه عليه .. ثم أصدر أوامره الى عماله بأن يعطوه كل مايلزمه من الأوعية الفخارية ..

ورجع « أوهيا » للمرة الثالثة الى النخيل .. وفصدها ووضع الأوعية الفخارية كما صنع في المرتين السابقتين .. وكانت النتيجة للأسف هي النتيجة التي واجهها من قبل .. فعاد الى منزله واليأس يكاد يمزق قلبه ويقضى عليه .. واعتقدت الزوجة أنه لا جدوى من

محاولة التغلب على سوء حظهما ... ولكن « أوهيا » صمم على القيام بمحاولة رابعة ، ولو لمعرفة الجاني والاقتصاص منه .. وأسرع الى وضع أوعية فخارية جديدة تحت أشجار النخيل بنفس الطريقة .. على أن تكون هذه المحاولة هي الأخيرة مهما كانت نتيجتها ..

وعندما قدم الليل .. أخذ يرقب الحالة وهو بين الأشجار .. وظل قابعا في مكانه الى ما بعد منتصف الليل دون أن يحدث شيء .. ولكن قبيل الساعة الثانية بعد منتصف الليل بقليل شعر بشبح يمر أمامه الى أول نخلة .. وبعد لحظات سمع صئوت تكسير وعاء الفخار .. فتسلل بخفة الى الشبح الذي تبين أنه « أيل » (١) يحمل فوق رأسه وعاء ضخما يصب فيه الخمر من الأوعية الفخارية ، ثم يقذفها وهي فارغة على الأرض فتتهشم الى قطع تتناثر هنا وهناك ..

وخاطر « أوهيا » بالاقتراب من اللص لرغبته في القبض عليه مهما كلفه الأمر .. وأحس هذا بخطواته الحثيثة نحوه فأخذ يعدو بسرعة تفوق سرعة غريمه أضعافا مضاعفة..وبذا استطاع الافلات ، ولكن بعد أن سال كل ما في ابريقه الضخم من الخمر على الأرض هدرًا .. ولم يتوقف « أوهيا » عن مطاردته حتى الظهيرة حتى اذا وصلا الى سفح جبل مرتفع أخذ « الأيل » يتسلقه وتبعه « أوهيا » بالرغم من تعبته الشديد الى أن بلغا قمة الجبل حيث كانت تجتمع مجموعة كبيرة من الحيوانات ذوات الأربع .. وفي الحال

(١) « الأيل » ذكر الأول وهو التيس الجبلي ..

رمى « الأيل » بنفسه وهو يلهث على الأرض أمام الملك وهو « النمر » الذى يعرف عادة فى قصص غرب افريقية بالنمر الأرقط ..

وغضب الملك وأمر باحضار «أوهيا» أمامه فوراً ، ليعاقبه على اقتحامه هذا الاجتماع الخطير .. والتمس « أوهيا » الاستماع الى شكواه قبل صدور الحكم بالقصاص منه .. وبعد مشاورات هادئة بين الملك وبعض المجتمعين وافق على رغبته .. وبدأ « أوهيا » يقص قصة سوء حظه من الألف الى الياء .. بدأ « أوهيا » كلامه بأن سرد فى لباقة كيف باءت محاولاته للنجاح فى الحياة بالفشل .. وكيف أنه فكر فى النهاية فى بيع الخمر المقطر من عصير النخيل .. واستطرد بعد ذلك شارحاً شعوره عند اكتشافه السرقة الأولى بعد المجهودات التى بذلها هو وزوجته.. وكذلك شعوره عند اكتشافه السرقة للمرة الثانية ثم الثالثة وبعدهما الرابعة .. وختم حديثه بوصف مطاردته للصوص بعناد حتى اقتحم مؤتمرهم العظيم ..

وأصغت الحيوانات الى حديث « أوهيا » باهتمام شديد .. ودون تردد أفتوا بأن « الأيل » هو المذنب ، وأن الفلاح البائس لا يلام البتة على ما فعل .. وفوراً أحضر المذنب لمجازاته على ما قدمت يداه ، بينما قدم الى « أوهيا » اعتذار رسمى باسم أعضاء المؤتمر .. وقد ظهر أن الملك كان يعطى « الأيل » كل صباح مبلغاً كافياً من النقود ليحضر قدراً من خمر النخيل للأعضاء .. وكان هذا يسرق خمر « أوهيا » ويستبقى النقود لنفسه .. وكمكافأة لـ « أوهيا » على الخسائر

التي لحقت به منحه الملك القدرة على فهم المحادثات التى تدور بين جميع الحيوانات .. وهذا - على حد تعبير النمر - يمكنه من جمع ثروة ضخمة فى فترة قصيرة .. والشرط الذى طالبه به مقابل هذه المنحة هو عدم كشف هذا السر لآى مخاوق والا تعرض للموت .. وذهب « أوهيا » والفرح يغمره الى منزله فى لحظات .. ولم يضع وقته بل أخذ يجد فى فصد النخيل ووضع الأوعية تحتها .. وبدأت متاعبه تزول منذ ذلك اليوم .. فلم تسرق خموره ولم تهشم أوعيته أبداً .. فأصبح هو وزوجته أغنياء وسعداء ..

وذات صباح .. بينما كان يستحم فى بركة قريبة من منزله .. سمع دجاجة وديكا صغيرين يحدثان أمهما عن ثلاثة أباريق من الذهب الخالص مدفونة فى حديقة منزل « أوهيا » نفسه .. وقد حذرت الأم ابنيها من أن ينبشا بالقرب منها أمامه خشية أن يكتشف مكانها.. ولم يظهر « أوهيا » أى اهتمام بما سمع ، وأسرع عائداً للمنزل .. وأخذ يحفر فى المكان الذى وصفته الدجاجة الأم وأبناها . وبلغ سروره أقصاه عندما وجد الأباريق الذهبية الثلاثة ممتلئة بالأموال الوفيرة التى تكفيه العيش فى رغد طوال حياته .. وحرص كل الحرص على عدم اظهار كنزه هذا لأحد ولا لزوجته .. وأخفاه فى حذر بمكان سرى فى منزله الكبير ..

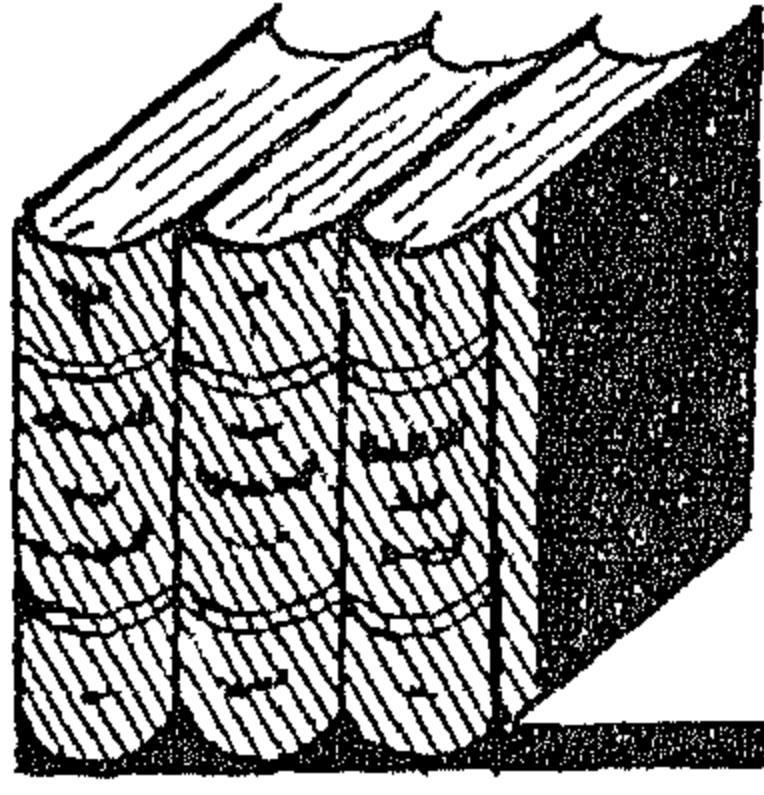
وأصبح « أوهيا » وزوجته «أويرهو» من أغنياء المنطقة ، بل فى مقدمتهم .. واشتريا عقارات ضخمة ومزارع شاسعة جداً .. وفكر فى أنه قادر على

لذكر النكتة التي أضحكته ، لتعود المياة الى مجاريها ثانية ، ولكنه أخفق .. ولم تترك الزوج العرجاء الغيور الحاكم في راحة أبدا .. بل أخذت تلح عليه ليبادر باتخاذ اجراءات تقديم زوجها للمحاكمة بسرعة .. ولأن « أوهيا » لم يجد وسيلة تنقذه من المثل أمام المحكمة جهز نفسه للموت .. فدعا جميع أصدقائه وأقاربه الى احتفال ضخم ودعهم فيه الوداع الأخير .. ووضع بعد ذلك الأمور في نصابها بأن أوصى بذهبه جميعه لزوجته الأولى .. وبأملأكه المختلفة لابننه وخدمه .. وقصد اثر هذا مكان انعقاد المحكمة حيث حضر جميع أهالي المنطقة ليشهدوا هذه المحاكمة العجيبة ..

واستأذن « أوهيا » الرئيس بعد أن حياه وزملاءه التحية اللائقة بهم .. استأذنتهم في أن يقص القصة من أولها الى آخرها .. ولما سمحوا له استرسل في ذكر كل شيء مما صادفه من سوء الحظ .. وأردف ذلك بوصف مطاردته « الأيل » حتى مؤتمر الحيوانات .. وأضاف بطبيعة الحال ملابسات الوعد الذي قطعه على نفسه للملك النمر .. وفي النهاية شرح سبب ضحكته التي أغضبت زوجه العرجاء .. وفي الختام سقط على الأرض ميتا كما أنذره النمر من قبل .. وشيع في جنازة مهيبة دفن بعدها في قبر ضخم .. وحزن عليه الجميع صفارا وكبارا لأنهم أصبحوا يحبونه ويقدرونه .. وأما الزوج الغيور التي تسببت لزوجها في الموت فقد قبض عليها ، وحرقت كأنها ساحرة .. وبعثر رماد جثتها في الجهات الأربع للرياح في وقت واحد .. وانتشرت منذ ذلك الحين القسيرة والأناثية في أرجاء الدنيا ، بعد أن كانت نادرة جدا فيها .

الزواج مرة ثانية فتزوج .. ولسوء حظه كانت زوجته الثانية غيورا وأناثية الى حد بعيد .. ولأنها عرجاء كانت دائما تظن أن الناس يسخرون منها بسبب عاهتها هذه .. ودخل في روعها أن « أوهيا » و « أويرهو » يضحكان عليها كلما اختبأ .. وبالرغم من أن ذلك كان بعيدا عن الصواب لم تكن تصدق الا احساسها الذي دفعها آخر الأمر الى استتراق السمع خارج باب حجرتهما .. وطفقت تكرر عملها الشائن هذا مع أنها لم تسمع في أية مرة من المرات شيئا ما ، ولو شيئا تافها عنها ..

وذات مساء .. ذهب « أوهيا » و « أويرهو » الى مخدعهما بعد أن استغرقت الزوجة الجديدة في نوم عميق .. وحينئذ سمع هو حديثا سره جدا كان بين فأرين واقفين في احد اركان الحجرة .. فقد كانا يستعدان للذهاب الى « الكرار » لاحضار ما تيسر من الطعام بعد نوم أوهيا صاحب المنزل .. وضحك « أوهيا » بصوت مرتفع سمعته الزوجة العرجاء فافتحمت الحجرة في ثورة .. واخذت تاومه بعنف لسخريته بها ، ومعاونة « أويرهو » عليها .. وانكر الزوج في دهشة هذا الاتهام ولكن دون جدوى .. وأصرت الزوجة على أن يذكر النكتة التي أضحكته اذا كان صادقا في دعواه .. ولأن « أوهيا » لا يستطيع تنفيذ رغبتها تمسكا بالوعد الذي قطعه على نفسه للملك الحيوانات أصر على الصمت الذي زاد من شكوك زوجته التي انتهى بها الأمر الى تبليغ شكواها الى الحاكم .. وكان هذا صديقا حميما « لأوهيا » فأخذ يغريه بشتى الطرق



كتاب الشهر

كينيا ... أرض الصراع .. تأليف جومو كينيا
تلخيص الأستاذ أحمد عبد الواحد

— ٢ —

من كل مكان رجالا ونساء وأطفالا أمام مركز البوليس في نيروبي ، يطالبون باطلاق سراح الزعيم ، كما وصلت الى هذا المكان أيضا جماعات غفيرة تحمل الاعلام البيضاء ، وتردد الدعاء الذي كان يتلوه عليهم رجال الدين من المسلمين والمسيحيين طول الليل ، ثم تقرر ايفاد وفد يقوم بالتفاوض مع المسؤولين حول اطلاق سراح الزعيم المقبوض عليه ، وبينما كانت الامور تسير على هذا الوضع تسرع رجال البوليس ، وأطلقوا نيرانهم على الجماهير المحتشدة ، فمات منهم من مات وجرح منهم من جرح ، وتناثرت الجثث في مختلف شوارع مدينة نيروبي .

وطارت أنباء هذا الحادث الى كل مكان في كينيا ، وتوقع حكام المقاطعات قيام ثورات أهلية ، فنشروا رجال البوليس المسلحين في كل زاوية ، اجتماع ، كما أمروا زعماء القبائل بمراقبة أى شخص يمكن أن تكون له ميول نحو هذه الجمعية ، وكتابة تقرير عن نشاطه .

ثم قررت الحكومة اصدار أمرها بنفى الزعيم واثنين من أقاربه ، دون أية محاكمة ، وعندئذ تعاقدت الجمعية مع أحد المحامين الأوروبين واسمه

وهنا دعت الحاجة الى تنظيم ما ولو في السر ، لرفع الظلم البين عن كواهل الافريقيين ، فتجمع الشباب وكونوا جمعية أطلقوا عليها اسم «جمعية شرق افريقية» وبدأت هذه الجمعية ندعو بطريقة دستورية الى رفع الحيف والظلم الواقع على شعب كينيا ، وتعارض الاعمال المجافية لروح الانسانية والقانون التي ينفذها الموظفون الاجانب والمستوطنون . وتذهب بالقضايا الفردية الى المحاكم القانونية ، وتبعث باحتجاجاتها مباشرة الى وزارة المستعمرات في لندن وأغضب نشاط هذه الجمعية بالطبع الموظفين والمستوطنين ، فحاولوا أن يستميلوا بعض الزعماء الى جانبهم ازاء هذه الجمعية ، وواجهت هذه الجمعية لونا من الدعايات المضادة ، ولكن هذه الحركة لم تزد الجمعية الا انتشارا ، فاتسع نطاقها ، وانضم اليها الكثيرون من أبناء كينيا .

* * *

أول اضراب عام : —

وفي شهر مارس عام ١٩٢٢ ، وقع أول اضراب عام في تاريخ كينيا ، وذلك عندما ألقت الحكومة القبض على زعيم الجمعية ، واحتشد الافريقيون

صدر هذا المقال نشر في العدد السابق من مجلة نهضة افريقية .

((درايكوت)) لكى يتولى مهمة الدفاع عنهم . وتبرع الاهالى بجمع المال الذى سيتقاضاه هذا المحامى . وبعد أن قبض المحامى ما طلبه حزم حقائبه فى اليوم التالى ، ثم فر هاربا ، دون أن يترافع فى القضية التى تناول أجره فيها مقدما . وهكذا أعطى هذا المحامى للافريقين درسا فى أن القانون والسياسة جانبان من جوانب أسلوب الرجل الأبيض فى طريقة استغلاله للرجل الاسود .

ثم بذلت السلطات المسئولة فى كينيا كل جهودها لالغاء جمعية شرق افريقية ، فأعلنت أنها جمعية لا تتمتع برضا القانون ، وأوقعت بكل زعمائها أشد ألوان العقوبات ، وأوحت الى بعض الزعماء بتكوين جمعيات محلية مستقلة تتمتع باشراف الحكومة . ولكن فكرة الوحدة والتضامن ظلت حية فى أذهان أبناء الشعب ، فعملوا للثورة فى الخفاء ونظموا أنفسهم بتقسيم أفراد الشعب الى مجموعات تتكون الواحدة منها من ثلاثة أو أربعة أعضاء ، وذلك تسهيلا للاتصال السرى عند احداث عمليات الاضرابات والاحتجاجات ، وهكذا ظهر نظام ((الماكيوس)) فى كينيا ، قبل أن يظهر هتلر على مسرح الوجود فى أوروبا . وفى عام ١٩٢٣ أصدرت الحكومة البريطانية بيانا أعلنت فيه سياستها محاولة بذلك اقرار أسباب النزاع حول وضع الجالية الهندية فى كينيا ، وجاء فى هذا البيان :

((تعتبر كينيا منطقة افريقية ، وترى حكومة صاحبة الجلالة أنه من الضرورى فى الوقت الذى تزد فيه مصالح العناصر

الافريقية أن تدافع عن مصالح الأجناس الأخرى من أوروبيين وعرب وهنود ، وترى حكومة صاحب الجلالة أن الافريقين من غير شك عاجزون عن القيام برعاية هذه المصالح ، مما اضطرها الى أن تنوب عنهم فى هذه المهمة ، كما تنوب عنهم فى العمل على تحسين مستوى الافريقين وتطويرهم ، ولا جدال فى أن رسالة بريطانيا العظمى هى العمل بصورة دائمة على نشر الثقافة بين الافريقين لتمكينهم من الوصول الى مستوى اقتصادى وثقافى وأخلاقى أفضل الخ ..))

وفى العام الثانى أى فى ١٩٢٤ أذيع أن بعثة ملكية بريطانية تحت رئاسة أورمس جور ستزور شرق افريقية لبحث موضوعات مختلفة ، وقرر الافريقيون أن يقدموا للبعثة قضيتهم . ولكنهم كانوا يعرفون أن الحكومة قد ألغت جمعية شرق افريقية فوجدوا أنه لا فائدة من ارسال مندوب يتحدث باسمها ، وعندئذ قرر الشباب الافريقى الذى كان قد مارس أساليب الانجليز تكوين جمعية جديدة أطلقوا عليها اسم (جمعية الكيكيو المركزية) وأعدوا تقريرا وافيا ، تناولوا فيه مظاهر الظلم الواقع على كواهلهم . كما ضمنوه آمالهم ومطالبهم ، ثم كتبوه باللغة الانجليزية ، وعرضوه على الزعماء والقادة فناقشوا تفاصيله ثم قرروا تكوين الجبهة المتحدة . وبالرغم من هذا التماسك والتضامن فقد استطاعت السلطات الاستعمارية أن تفكك هذه الجبهة ، وكان هذا التقرير الذى أعده الشباب الافريقى يتضمن مشكلة العمل ، وتمثيل الوطنيين الافريقين فى المجالس التشريعية والبلدية ، ومستوى التعليم ومشكلة الاراضى الزراعية . وفى الوقت الذى كانت جمعية الكيكيو المركزية تعمل

على بناء كيانهما ، وتقوى أوامر التضامن بين مختلف الفئات الجماهيرية ، تأسست شقيقة أخرى لها فى مقاطعة كافر وندو أطلق عليها اسم ((جمعية رعاية دافعى الضرائب)) وواجهت هذه الجمعية نفس المشكلات التى كانت تواجه جمعية الكيكيو ولكن الأخيرة قد ظلت باقية طيلة فترة ما بين الحربين ، تمثل الحركة السياسية القيادية لشباب افريقية ، وأنشأت هذه الجمعية عدة فروع لها فى مختلف مناطق كينيا .

وفى عام ١٩٢٩ جاءت حكومة العمال البريطانية ، وأصدرت وثيقة خلاصتها :

((أنه لن يسمح بهد اليوم بالاستيلاء على شبر من أراضى الافريقيين ، وأهم ما يجب الاهتمام به هو أن نزيل من أذهان الافريقيين أى شعور بعدم الأمان ، فكل الأراضى الموجودة الآن فى حوزة الافريقيين يجب أن تظل فى أيديهم يستغلونها ، ويستفيدون منها كما يشاءون من الآن وإلى الأبد)) .

ولكن هذه ((الماچنا كارتا)) استثنت من ذلك الاراضى التى تخصص للمصالح العامة كبناء المدارس والمستشفيات ومكاتب البريد والمجارى المائية ، والاعمال الكهربائية ، وشق الطرق والسكك الحديدية .

وأكدت عدم جواز الاستيلاء على أية قطعة زراعية تعود فائدها على الفرد فقط .. ولكن حدث أن مزقت الحكومة فيما بعد فى عام ١٩٣١ هذا التعهد ، وأقرت قانونا وافق عليه المجلس التشريعى الكينى ، ويقضى هذا القانون بالسماح للاوروبيين بامتلاك مناطق الذهب فى كافر وندو ، ونفذ هذا

القانون بالرغم من الاحتجاجات الكثيرة ، وقد بعث اتحاد جمعية رعاية دافعى الضرائب وجمعية الكيكيو بمذكرة الى وزير المستعمرات عام ١٩٣٩ جاء فيها :

((لقد حرم أهل ((كافر وندو)) من أراضيهم دون أن تدفع لهم الحكومة تعويضا مجزيا ، وكان الاعتذار الذى وجهته اليهم حكومة كينيا يدل على منتهى السخرية بحقوقهم !

ولابد أن نقرر أن هذه الاحداث التى وقعت والوقائع التى شهدناها فى الماضى تجعلنا لا نثق كثيرا فى الوعود التى تبذلها بريطانيا))

وفى عام ١٩٣٧ طردت حكومة كينيا شعب الكيكيو الذى كان يعيش فى منطقة ((تيجونى)) وحرمتهم من أراضيهم ونقلتهم الى مقاطعات ((تيام)) وقد شرح وزير المستعمرات يومئذ ((مستر ارمسبى جور)) فى مجلس العموم البريطانى هذا الموقف بقوله :

((لقد تمت هذه الحركة بالتعاون مع ٥٧ من ١٠ من أفراد العشائر الموجودة فى ((تيجونى)) وبالتعاون مع الجمعية الفرعية للمجلس الوطنى والاقليمى)) .

ولكن الجماهير التى كانت مجتمعة فى تيجونى بعثت ببرقية الى وزارة المستعمرات كذبت فيها ما قاله مستر جور ، وكان نص هذه البرقية كما يلى : -

((قدمت حكومة كينيا تقريرا كاذبا ادعت فيه أن المواطنين فى ((تيجونى)) قد منحوا أرضا نظير أراضيهم ... لقد أرغم الوطنيون على

الخروج من أراضيهم ... ابعدوا بلجنة خاصة
أو مندوب لبحث الحالة » .

* * *

مشكلة الماشية مشكلة سياسية : -

وفي عام ١٩٣٨ وقعت حادثة الماشية
المعروفة ، ورأى فيها الافريقيون مدى
استبداد الرجل الابيض ، واستهتاره
بمصالح الافريقيين وحياتهم . ففي
اليوم الاول من شهر مارس صدر قرار
الاراضى العليا ، وهو القرار الذى يقضى
بأن تكون الاراضى العليا التى تشمل
أجود المناطق الزراعية وأخصبها ملكا
للاوروبيين ، ولا يصح للهنود أو العرب
أو الافريقيين أن يشتروا أو يملكوا
الاراضى فيها . ولم يكن هناك تبرير
معقول لحرمان الافريقيين من ممتلكاتهم
التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم ،
وكان قرار التملك يشمل الأوروبيين
والامريكان البيض ، ولم تكن احتجاجات
الافريقيين تجد أذنا صاغية .

* * *

الطرد مرة أخرى : -

وفي شهر يونيو عام ١٩٣٣
حدثت عملية طرد ارغامية أخرى ، فقد
أرغمت الحكومة شعب **واتانا** على
الهجرة من أرضه ، وبعث رجال
القبائل فى يوم ٢٦ يونيو ببرقية
احتجاج الى وزارة المستعمرات احتجاجا
فيها على هذه الاساليب التى تتبع
معهم ، وطالبوا بوقف هذه العمليات
فورا ... ولكنهم لم يتلقوا جوابا شافيا
فقامت حركة اضراب عامة ، وانتشرت
حتى شملت مقاطعة **تانجا** فى **تنجانيقا**
واضطرب البوليس الى اطلاق النيران على
الجماهير ، فمات عدد من المتظاهرين

وجرح الكثيرون ، وألقى القبض على
ثلاثين شخصا .. وكان هذا هو بداية
الكفاح الحقيقى الذى دخله شعب شرق
افريقية قبيل بداية الحرب العالمية
الثانية .

**فماذا كان يتوقع الافريقيون من
الشعوب التى انتصرت للسلام ! !
شرق افريقية فى الحرب : -**

لعب أفريقيو شرق افريقية دورا
كبيرا فى الحرب العالمية الثانية ، ولم
يقتصر نشاطهم على مساعدة الحلفاء
داخل افريقية فحسب ، بل انهم
أسهموا بصورة ايجابية فعالة فى
المعارك المختلفة التى دارت رحاها فى
ايطاليا وفى آسيا .

وعلقت جريدة التايمز اللندنية فى
كثير من مقالاتها على هذا الدور الكبير
الذى أداه الافريقيون بجانب الحلفاء
فى المعارك المختلفة التى خاضتها
جيوش الحلفاء ضد المحور .

وكان الافريقيون ينتظرون جزاء
ما قدموه لبريطانيا من خدمات ، أحس
بها المسئولون وغيرهم فى الحرب
العالمية الثانية ، ولكن هذا الجزاء غير
عادل . فقد حرمتهم الحكومة من
أراضيهم ومنعتهم من حرية الاجتماع ،
وحرية التعبير ، بل منعتهم من حرية
الكتابة .

وقد كتب **((ليونارد وولف))** معلقا
على مشكلة العلاقات العنصرية فى
كينيا بقوله :

« منذ أربعين سنة حتى الآن ذهبت مصالح
ثلاثة ملايين من الافريقيين ضحية لحفنة من
الأوروبيين ، وادعاء حكومة كينيا بأنها قد تولت
ادارة هذه البلاد لمصلحة الافريقيين أنفسهم
وللعمل على تطويرهم ، وتحسين احوالهم ادعاء

فارغ ، واننا لنقولها كلمة حق يصدقها الواقع وهو أن كينيا كانت أثناء الحرب العالمية تعتبر المصدر الرئيسى الذى يمد جيوش الحلفاء بما يحتاجون اليه من البن والذرة والقمح وكثير من هذه الأشياء التى تنمو فى اراضى كينيا .

وفى عام ١٩٤٣ دفعت حكومة كينيا ١١٧.٠٠٠ جنيه على سبيل المساعدات للمزارعين الاوروبيين ، حتى يتمكنوا من استصلاح مزيد من الاراضى الزراعية ، والتعويض عن الخسائر التى تصيبهم ، وكان استصلاح مزيد من الارض يحتاج الى مزيد من العمل والعمال . مما جعل الاوروبيين ينقدون نظام السخرة ، ويرغمون الافريقين على العمل فى حقول البيض نظير ٨ : ١٠ شلنات فى الشهر للعامل .

وفى نهاية الحرب العالمية الثانية راجت الدعاية لجذب مزيد من البيض للهجرة الى كينيا ، وكانت الحكومة هناك تمنح كل مهاجر أوروبى ، مهما كانت جنسيته وبلده مكانا وأرضا . كما أغرت الحكومة الضباط البريطانيين الذين كانوا يخدمون فى الجيش فى حملة شرق افريقية بالعودة الى كينيا ، واتخاذها مأوى لهم ، وقد أغراهم على قبول هذا العرض جمال الجو فى كينيا ، ورخص الأيدى العاملة ، ووفرة الاراضى الزراعية ، فى الوقت الذى كان الافريقيون أصحاب الاراضى الحقيقيون يتزاحمون فى مناطق العزل التى خصصت لهم !

* * *

المستقبل :

لقد قدم لنا هذا العرض الموجز فكرة واضحة عن الطريقة التى استعمر بها الانجليز كينيا ، ومدى

ما تحمله سكانها الافريقيون ، ولكن يبدو أنه من المستحيل طرد هؤلاء الانجليز من بلادنا دون ثورة دامية ، والافريقيون لا يريدون هذه الثورة الدامية . فكل ما نطالب به اليوم هو احداث تغير جذرى فى العلاقات الاجتماعية والاقتصادية ، والسياسية القائمة بين الاوروبيين والافريقين ، فالافريقيون لا يعادون الحضارة الغربية بل انه لما يسعدهم حقا أن يتعلموا فنون الغرب ، وأن يسهموا فى التطور المادى والثقافى ، ولكنهم مع الأسف ليسوا فى الوضع الذى يسمح لهم بذلك ، اذ يدمر العداء الاوروبى أسس حياتهم وتقاليدهم القبلية كلها . فالأوروبيون لم يمنحوا بعد العناصر الافريقية مكانها المعقول فى المجتمع الجديد ، وليس لهم مكان فيها الا مكان العبيد !

فالامراض الخطيرة تكاد تفتك بالافريقين دون أن يقف علم أوروبا فى طريق خطورتها ، وحتى العلاج فى الحروب التى تدور بين القبائل ، وهى الوسيلة التى تدرع الأوروبيون بأنهم قد جاءوا الى كينيا لكى يقضوا عليها لا تزال دائرتها أوسع مما كانت . ولو ترضى طبيعة الانسان ، ولو من الناحية الجسمانية بأن يظل الى الأبد تحت نير الظلم والطغيان ، انهم يطالبون اليوم بالعدالة ، وهذه العدالة التى يريدونها يمكن أن تتحقق فى برنامج عام يضم هذه الموضوعات الثلاثة الرئيسية : -

١ - الأرض : فلا يزال هناك كثير من الاراضى فى كينيا يجب أن يصدر قانون بأن تكون الاولوية فى ملكيتها

للافريقيين ، ولا يصح أن يفد الى كينيا مستوطنون من البيض ينزعونها منهم بعد ذلك ، ويجب أن تهيأ للافريقيين الحرية الكاملة فى أن يعيشوا على أرضهم فى أمان ، كما لا يصح ارغامهم على العمل فى مزارع البيض ، بل اذا كان هناك عمال يرغبون فى العمل فى أراضي البيض فلا بد أن تضمن لهم الاجور المناسبة ، وليس من العدل فى شىء أن يرغم الافريقيون على العمل دون احترام لحقوقهم الانسانية .

٢ - **التعليم :** لا شك أن الافريقيين فى حاجة ماسة الى أن يتعلموا كيف يستغلون أراضيهم استغلالا فنيا - فقد أصبحوا يدركون تماما أن العالم من حولهم قد تغير فى الخمسين السنة الماضية ، وهم لا يستطيعون أن يعودوا مرة ثانية الى أساليب حياتهم البدائية القديمة . فلا بد من العمل على تمرينهم على الوسائل الحديثة فى الزراعة ، وتربية الماشية ، ولابد من توفير وسائل التعليم العام التى تمكنهم من فهم معنى حضارة البيض وعلومهم ، وادراك مشكلات العالم الحديث باعتبارهم جزءا منه .

٣ - **الرعاية الاجتماعية والصحية :** ان تأثير الحضارة الأوروبية قد كان سببا فى وجود عدة تغيرات فى المستوى المعيشى للشعوب الافريقية . فقد غيرت هذه الحضارة كثيرا من أحوال الشعب ، فقيدت حرته ، وقضت على كثير من عاداته القبلية ، وبعثت بالكثيرين منهم الى المدن ، وأرغمت الكثيرين منهم أن يعيشوا مدة كبيرة بين المزارع والمناجم ، وللأسف الشديد لم تأت لهم هذه الحضارة

الأوروبية مع هذا الا بالأمراض الجديدة التى تكمن فيها الخطورة الرهيبة على الصحة ، وسوء الظروف الاقتصادية فالعمال الافريقيون لا يتمتعون بالضمانات التى يتمتع بها العمال الأوروبيون .

ان كل ما يطالب به الافريقيون هو أن تعود عليهم منافع الضرائب التى يدفعونها وكما هى الحال فى الشعب البريطانى .

٤ - **الحرية المدنية :** فاذا ظل الأوروبيون ينظرون الى الافريقيين على أنهم أطفال لا يستطيعون التفكير والعمل لأنفسهم ، فان أية وسيلة من وسائل الاصلاح لن تكون مجدية ما ، اننا نطالب بأن يتمتع سكان كينيا الافريقيون بالمساواة أمام القانون ، وبالحرية التى يتمتع بها الأوروبيون فى التعبير عن أنفسهم ، وفى التنقل فى بلادهم ، والتعيين فى الوظائف العامة ، والاشتغال بالصناعة والتجارة ، وهى المجالات المفتوحة أمام الأوروبيين ، فلا يصح أن توحد أمام الافريقيين لأنهم أفريقيون !

٥ - **الحكم الذاتى :** وأخيرا وليس آخرا يطالب الافريقيون بالاسهام فى حكم بلادهم فلا بد من تمثيلهم سياسيا فالبرنامج العام الذى يقوم على أساس من هذه الخطوط الواضحة سيمكن الافريقيين حتما من التطلع الى حياة أفضل ، وعن طريق تنفيذ الاسلوب الديمقراطى لتحديد مطالب الشعب الافريقى فى الحقوق السياسية والاجتماعية الأساسية .

africains et asiatiques d'une part et les peuples occidentaux de l'autre, sont conditionnés par l'établissement de la paix en Algérie et au Kamerun. Il appartiendra donc à la haute instance internationale et aux membres influents qui la composent, de prendre leurs responsabilités devant l'histoire.

L'opinion publique mondiale s'est déjà prononcée sans ambiguës et sans équivoque contre la politique de guerre coloniale menée par la France. Il appartiendra donc aux Nations-Unies de sanctionner cette réprobation universelle en condamnant la guerre d'extermination qui est menée contre les peuples algériens et kamerunais. Ceux-ci, quant à eux, sont plus confiants que jamais dans l'issue du combat qu'ils livrent héroïquement, res-

pectivement depuis le 1er Novembre 1954 et le 25 Mai 1955. Ils ont aujourd'hui la certitude de triompher. Les victoires militaires, politiques et diplomatiques des révolutions algériennes et kamerunaises sont le gage de leur réussite. Elles consacrent l'échec d'une politique française basée sur le mépris du droit. Elles sont à l'origine de l'isolement diplomatique de la France. C'est dire que notre lutte ne cessera pas de se renforcer. La cause des peuples algériens et Kamerunais est adoptée par tous les pays épris de paix et de liberté. Elle ne saurait donc avoir d'autre aboutissement que celui qu'ont connu tous les peuples qui ont vaillamment combattu l'odieux système de domination et d'exploitation coloniales: la libération et l'indépendance de la Patrie.

NDJOG Aloys-Marie
*Secrétaire à la Propagande
de la J.D.C.*

Radio-Paris en région Bamiléké, de nombreux assassinats ont été commis depuis les dernières quarantehuit heures, par les soldats de l'armée de libération nationale dans les rangs de l'ennemi.

— Dans la nuit du 23 Septembre 1959, à Bangangté circonscription électorale du Président de l'Assemblée Législative, 16 militaires français trouvaient la mort au cours d'un engagement avec les troupes de l'Armée de Libération Nationale ;

— Dans la même période, toujours en région Bamiléké (Bafou), les forces dites de l'ordre, laissaient sur le terrain 18 morts dans une embuscade ;

— A Bafoussam, le bilan de l'accrochage accusait un chiffre de 30 morts parmi les troupes françaises ;

— A Yabassi, dans la région du Nkam, le chef de Région était abattu et un important matériel saisi ;

— A Edéa, région de la Sanga-Maritime, 2 français étaient abattus au cours d'un raid ;

— A Kribi, région voisine, on comptait 5 morts dont 2 fonctionnaires français particulièrement connus pour leur hostilité

aux aspirations nationales kama-runaises ; ...

Le même journal finit par avouer que "le terrorisme Kama-runais a beaucoup gagné en intensité et les maquis rebelles exercent actuellement dans les départements limitrophes du Cameroun britannique, le Mungo et le Bamiléké une pression croissante".

Malgré tous les euphémismes dont on entoure ces informations l'opinion publique se fait une idée nette de ce que cache le black-out colonialiste autour de la situation au Kamerun.

Le 20 Février de cette année, convoquée aux seuls fins de discuter du problème Kamerunais, l'O.N.U. s'est aventurée, sans aucun fondement à accréditer les allégations visiblement insoutenables de la clique des fantoches du soi-disant gouvernement du Kamerun. Cette fois-ci encore, le Parlement du Palais de Manhattan a maintenu à son ordre du jour le problème Kamerunais. Les Nations-Unies devront tenir compte de ce fait majeur : la stabilité internationale, la paix et la sécurité dans le monde, les relations entre les peuples arabes,

Nous ne devons pas perdre de vue que jusqu'aujourd'hui les colonialistes ont toujours considéré le problème Kamerunais sous l'angle racial et ethnique pour mieux asseoir leur ignoble politique de division et de diversion. Mais ils ont classé dans l'oubli que le peuple Kamerunais tout entier a pris les armes contre un système, le système colonial de l'impérialisme franco-britannique. Le problème de notre pays n'est pas confessionnel, pas plus qu'idéologique. C'est en pure perte que pour s'opposer aux légitimes aspirations de notre peuple on nous cherche des poux dans la tête. Nous luttons pour conquérir notre indépendance nationale en nous attaquant implacablement contre le fait colonial sans ménager les tenants du système qui caractérise ce fait. Dès lors il est aisé de comprendre la situation explosive qui prévaut dans notre pays et qui oppose par les armes les combattants notre armée de libération nationale aux soldats français. Les colonialistes français sont frappés par l'action révolutionnaire dans leurs intérêts et dans leur propre existence. Les objectifs des balles des combattants résistants nationalistes

ne sont ni ethnique ni tribalistes ni religieux. Leurs objectifs sont essentiellement ceux qui sont les tenants irréductibles du système colonial de l'impérialisme; peu nous importe qu'ils soient noirs, jaunes ou blancs, car le colonialisme n'a pas de prédilection spécifique pour un milieu donné.

Mais pourquoi les impérialistes tremblent-ils après s'être bouché les oreilles devant le peuple ? Les français réalisent brutalement qu'ils ont assis leurs fantoches sur un volcan qui gronde. Ils sont pris de panique. Les soldats de notre armée de libération nationale, vu des moyens rudimentaires dont ils disposent, opèrent vraiment des miracles. Devant l'ampleur des activités du maquis Kamerunais, les colonialistes sont obligés, de fois à autre, de laisser transpirer quelques informations, du reste bien tamisées.

Le 10 Octobre 1959, au cours de son émission de 8 heures, Radio-Paris annonçait que dans le Mungo au cours d'un accrochage entre les troupes françaises et les nationalistes, il y a eu deux tués du côté de ces derniers. Toujours selon la même

LA JEUNESSE KAMERUNAISE A PRIS SES RESPONSABILITES

Depuis la dernière session des Nations Unies consacrée spécialement au problème Kamerunais, laquelle session a jugé bon de voter une résolution réactionnaire portant préjudice aux intérêts supérieurs de notre peuple, la situation, comme nous n'avons cessé de le répéter, ne s'est détériorée dans ce pays, bien au contraire elle s'est détériorée davantage. Nos Jeunes combattants Kamerunais, conscients alors de la situation de l'heure, ont pris leurs responsabilités. Forts du soutien total de leur peuple et de toutes les forces juvéniles du monde et de la Patrie Africaine, nos Jeunes résistants nationalistes, ont repris résolument la lutte armée, abattant sans pitié valets et colons. C'est ainsi que l'inspecteur Bepather, commissaire spécial de la sûreté de NKongsamba fut envoyé coloniser un nouveau monde invisible. Devant le dynamisme de l'action révolutionnaire, Mr. Caulier directeur de la Sûreté au Kamerun,

fit paraître une circulaire, aux termes de laquelle tout l'appareil repressif du Kamerun est mobilisé dans une action de vengeance contre les patriotes Kamerunais. Dans ce document Mr. Caulier dit nettement que de l'officier supérieur au dernier agent de police ou de l'armée ou de la gendarmerie, il faut mettre à mort et sans distinction de sexe ou d'âge, tous ceux dont le seul crime est de revendiquer leur part de soleil sous le ciel. C'est ce qui explique en partie le mythe des milices dites populaires prétendument organisées spontanément pour lutter contre le terrorisme. Mais en réalité il s'agit de tous les "flics" du régime mobilisés contre un peuple sans défense qui n'a pour lui que l'histoire et les armes de la raison et du bon droit. La circulaire ne manqua pas de produire l'effet escompté. En effet le 10 Octobre 1959, quatre autres combattants Kamerunais passaient par les armes sans autre forme de procès.

Affairs). Ce groupe d'étude a, jusqu'à ces derniers jours, tenu le rôle de brain trust reconnu du mouvement afrikanders. Composé de professeurs, de sociologues, de juristes, il a défini la doctrine de l'apartheid en l'infléchissant dans "un sens constructif". C'est le S.A.B.R.A. qui écrit le "Tomlinson Report", base de l'action gouvernementale, qui met l'accent sur les "côtés positifs" de l'apartheid. Ce rapport recommande l'arrêt de l'afflux des Bantous hors des réserves, la formation de réserves viables, c'est-à-dire capables d'assurer aux habitants la satisfaction de leurs besoins économiques et politiques au prix de dépenses immenses se chiffrant par dizaines de millions de livres.

C'est le S.A.B.R.A. qui a conçu l'idée de construire des industries dans les réserves, même s'il faut les protéger par des droits de douane intérieurs, même si leur mise en route doit être ralentie par la nécessité d'empêcher l'intervention blanche pour éviter tout danger d'accaparement.

Mais le gouvernement n'a

prévu qu'un budget de quelques centaines de milliers de livres pour l'exécution du plan et le Dr. Verwoerd vient de démissionner du S.A.B.R.A., parce qu'une partie de ses membres avaient décidé de consulter des leaders africains pour les engager à soutenir ces plans.

La crise afrikander a commencé. Elle ne saurait évoluer rapidement étant donné la force de la machine du parti, la puissance personnelle du Dr. Werwoerd et la dispersion de ses opposants. Mais, pour un parti puritain, il est grave de connaître des doutes de doctrine. Sa principale force a été la peur de l'ascension trop rapide des Bantous et, à long terme, la crainte de l'éviction des Européens; Sa principale faiblesse devient l'appréhension qu'éprouvent ses partisans à l'idée d'une double économie dirigée, protégée et arriérée dans les bantoustans, libérale et avancée mais sans appui dans le reste du pays.

Une récession mettrait le feu aux poudres. Elle ne paraît pouvoir être évitée qu'en cas de relèvement du prix de l'or avant deux ans.

leurs chefs traditionnels, chaque tribu considérant la voisine comme un ennemi ou un rival potentiel.

LES PREMIERS DISSIDENTS AFRIKANDERS

Aussi le ferment du changement et du doute s'avère-t-il plus virulent qu'ailleurs au sein du parti afrikander. Son leader, le docteur Verwoerd, qui, au physique d'un Ehrhard, joint le dogmatisme d'un Adenauer, demeure persuadé qu'il est le dépositaire de la vérité. A savoir que la séparation des races est à leur avantage à toutes, que leur destin doit se poursuivre parallèlement. Il prône une division totale du pays en zones blanches et zones noires ou Bantoustan, qui doivent être interdites aux Européens et développées non seulement pour les Bantous, mais par les Bantous, tant sur le plan économique - création d'industrie noire - que sur le plan politique (chefs et assemblées locales bantous), créées en même temps qu'est supprimée toute représentation des non-Européens, fût-ce par des Blancs - au Parlement sud-africain. Selon le docteur

Verwoerd, l'apartheid doit être poussé jusqu'à son terme: le reflux des Noirs des zones blanches de l'Union et la construction coûteuse des Bantoustans.

C'est à ce stade que vient d'éclater une crise latente au sein du mouvement afrikander - on pourrait dire de la croisade si l'on songe à l'influence déterminante de l'Eglise réformée. Un député afrikander, M. J. Bassen, vient d'être expulsé de son parti pour s'être opposé à l'exclusion, d'une part, des étudiants noirs des universités et, d'autre part, des députés représentant les Africains de la Chambre des Communes.

Pour la première fois un membre du Parlement s'est montré prêt à risquer la mort politique et peut-être des soucis quotidiens graves si l'on écoute ceux qui croient à l'influence déterminante d'une société secrète africaine, le Broder Board surveillant tous les Afrikanders.

Néanmoins, M. J. Bassen a pris position avec éclat. Cette attitude ne se comprendrait pas sans les hésitations qui se manifestent au sein du S.A.B.R.A. (South African Bureau of Racial

minimum d'égalité et plus de droits, sans pour autant souhaiter une rébellion. Il n'était pas un leader noir qui ne commençât ses discours en rappelant qu'il souhaitait le calme et non la violence. La répression, en cas contraire, serait sanglante et d'autant plus que les fermiers blancs et les colons isolés viendraient à avoir peur. Les principaux leaders bantous ont surtout répété, à chaque meeting, qu'il fallait appliquer les principes de la religion, reconnaître les vertus de la coopération pacifique entre toutes les races et se rapprocher d'abord des métis, des Indiens et des Blancs comprenant ces grandes vérités.

Mais le continent noir est sorti de la torpeur tropicale.

La conférence d'Accra des peuples africains ayant accédé à l'autonomie et à l'indépendance, a eu un immense retentissement au Sud du Sahara. Les révoltes récentes au Congo et au Nyassaland ont suscité un intérêt passionné.

L'autorité du vieil *African National Congress* de l'Union s'en est trouvée atteinte. Un nouveau groupe s'est formé, le *Pan Africanist Congress* (P.A.C.). Il a pour chef Mangaliso Sobukwe, qui s'est insurgé contre

le vieux leader modéré, le chef Luthuli.

Sobukwe, qui jusqu'à présent n'a pas été exclu de la vie politique, se réclame des mouvements nationalistes du reste de l'Afrique et plus particulièrement, du docteur N'Krumah, chef incontesté du Ghana, et de M'boya, leader syndicaliste et porte-parole des Noirs du Kenya. Il a pris contact avec eux et, croit-on, avec certains leaders travaillistes anglais, dont la victoire électorale serait considérée par le gouvernement sud-africain comme le pire péril pour l'Union.

Sobukwe paraît prudent. Sa tactique semble être de commencer progressivement à prêcher la nécessité pour les Bantous de conquérir un statut digne d'eux par leurs propres efforts et ceux de leurs frères des pays voisins, sans compter sur l'Eglise ou les alliés blancs. Pour le reste, Sobukwe attend de connaître le résultat des élections prochaines en Grande-Bretagne. Que les espoirs des Bantous puissent s'incarner en ces hommes est un fait nouveau de grande importance, même s'il n'en est ainsi que pour quelques évolués, les gens dans les réserves ne connaissant que

bois pour étayer les mines, machines pour les exploiter, explosifs et surtout banques et maisons d'escompte complétant une gamme financière très large.

L'ARGENT NE SUFFIT PAS

L'United party dispose de l'argent, de la presse, contrôlant à deux ou trois exceptions près toutes les grandes publications, à commencer par la totalité des publications de langue anglaise et quelques autres en langue afrikander. Mais la violence des attaques contre le gouvernement ne se nuance guère; chaque jour l'United party dénonce dans les journaux les efforts du gouvernement pour se détacher de la Grande-Bretagne, tendre vers la République et varier ses sources d'importations; chaque jour, il condamne l'apartheid: ou plutôt les erreurs, les abus de la ségrégation plutôt que ses réalités. Par une singulière acrobatie intellectuelle, l'opposition critique la ségrégation en tant que système, mais non le principe de la séparation des races quand et dans la mesure où il est applicable. Elle déclare tous les hommes égaux s'ils ont le même degré d'éducation ainsi que de culture politique, la différence de niveau actuelle justifiant seule provisoirement la différence des statuts.

Chaque jour, l'opposition met à nu tel ou tel scandale local d'abus de pouvoir, sans s'en prendre au système, car les masses d'origine anglaise, aussi bien qu'allemande et hollandaise, demeurent également persuadées que tous les moyens sont bons pour défendre la prééminence — la survie des trois millions d'Européens de l'Union — contre la marée montante des neuf millions de Bantous et des deux millions d'Asiates et de Coloured (métis).

Ainsi en était-il jusqu'à ces derniers mois, il y avait des conflits, mais pas de véritables problèmes. L'Union Sud-Africaine était un pays de certitude.

Il faut bien l'écrire au passé. Il n'en est plus ainsi.

L'évolution s'affirme: elle ne vient pas de l'opposition, qui demeure un parti politique peu efficace, plaqué sur des intérêts fortement majoritaires (88% des mines, 80% des banques, 75% des assurances, 55% de l'industrie sont sous même centrale de groupes liés à l'Angleterre).

Elle vient à la fois des Bantous et des Afrikanders.

UNE NOUVELLE OPPOSITION AFRICAINE

Chez les Bantous, le principal souci a été longtemps de faire admettre qu'il était demandé un

AFRIQUE DU SUD

VACILLEMENT DES CERTITUDES

Dans l'Union Sud-Africaine, les hommes bougent plus que les idées: le goût des grands treks demeure, l'émigration au Kenya, au Congo et en Rhodésie ne fixe les fermiers que pour quelques décennies dans des parties provisoires et l'administration du pays se déplace massivement tous les six mois de Prétoria au Cap et du Cap à Prétoria.

Les doctrines et les partis varient peu. Le premier ministre actuel, le docteur Verwoerd, continue de défendre l'apartheid comme ses prédécesseurs, le docteur Malan et M. Stridjom, mais avec plus de fougue et de passion. Le processus de séparation des races se poursuit: l'Université de Johannesburg, qui comptait une douzaine d'étudiants noirs en temps normal, a reçu l'ordre de ne plus en accepter d'autres quand ceux-là auront

terminé leurs études. Les taudis noirs de Sopheatown, banlieue de Johannesburg, tombent sous la pioche des démolisseurs. Les Blancs viendront dans le quartier reconstruit, tandis qu'une ville-dortoir nouvelle de quarante mille habitants, Meadowtown, se crée à quelques kilomètres de là pour reloger les Bantous (1).

L'opposition — l'United party qui fut celui du général Smuts — n'a pas trouvé de véritable chef: M. Harry Oppenheimer, qui se trouve à la tête du plus immense empire minier d'Afrique Noire, a renoncé à ce rôle dangereux pour ses intérêts, qui s'étendent du diamant (De Beers) aux mines d'or (contrôle direct absolu de l'Anglo-American Corporation, contrôle indirect de la majorité des autres grandes "mining houses"), sans oublier toutes les activités pouvant s'y rapporter de plus ou moins près:

(1) Nom donné en Union sud-Africaine à toutes les tribus noires de l'Union, des Rhodésies, du Mozambique.

nistres n'ait pas tenu compte des oppositions des Guinéens.

Ce système obéit à un vieux proverbe soussou : *Fata mu beri tinka man beri*, ce qui, signifie : «Apprendre est éternel, non sa-

voir». Il dit assez l'ambition du gouvernement de mobiliser les esprits, de les discipliner et d'en faire le moteur même de sa politique — un moteur qu'il entend contrôler.



Le chef de circonscription, responsable devant le Gouvernement, vient écouter le Conseil communal, puis profite de l'occasion pour parler impôts.

des éclats de couleurs. Une reproduction de Picasso, une autre d'Utrillo, délèguent dans ce coin perdu de la brousse africaine une femme à trois yeux, deux nez et un coin de Montmartre hivernal.

Comme un pendule

Dès que Nabi Soumah reçoit des instructions de Conakry, lui, en assure la redistribution à travers son territoire et en même temps à travers sa propre ville. Dans chaque quartier, une section locale du parti, du PDG, mobilise les citoyens et les oblige à participer à ces discussions publiques. Pour les assembler, on fait sonner le clairon ou, au contraire, on envoie à travers les rues un cycliste muni d'une cornette, parfois d'un sifflet; les gens du quartier comprennent alors qu'une réunion exceptionnelle aura lieu le soir dans leur secteur.

A Forécariah, le Conseil communal comprend 17 membres, plus 5 chefs de service, dont 2 femmes. Tous les jeudis soirs, il y a réunion de la section politique et discussion. Les 17 membres sont aussi chefs de quartier, c'est-à-dire chefs politiques de section et responsables devant leur bureau central. Cette imbrication marxiste du pouvoir administratif et des obligations politiques ressemble au système des «cambous» chinois. Eux aussi servent l'Etat à travers leur parti ou le contraire.

Les réunions sont obligatoires et ont lieu une fois par semaine. Elles sont fixées d'avance, sauf en cas d'exception. Tandis qu'à Forécariah les sections du parti discutent pour faire connaître leur opinion, le chef de la circonscription fait le tour des villages afin de recueillir les critiques élaborées à l'échelon local. Il profite du contact avec ses administrés pour leur rappeler les choses désagréables qui s'appellent récolte des impôts, obéissance aux chefs, présence obligatoire aux séances, gamme étendue des responsabilités et droits en décroissance. C'est un genre de discours que personne n'aime, mais c'est à travers ces paroles-là que le dernier des Guinéens fait connaissance avec l'indépendance.

Quand le chef de circonscription a réuni toutes les réactions des villages, il les retransmet à Conakry au gouvernement ou au parti sous forme de rapport écrit ou verbal, selon les cas. Ce système de démocratie pendulatoire permet ainsi au pays d'être alerté continuellement sur les problèmes du jour, d'en discuter, de faire connaître son avis. Une idée émise par la capitale revient à son point de départ souvent modifiée, chargée de nuances. Jusqu'à présent, il n'est pas de cas où le Conseil des mi-

par ce geste, il exprime sa liberté de parole à l'égard de l'autorité. Il parle longuement. D'abord d'une voix monotone. Puis la danse des mots commence à agiter son imagination. Il répète alors sous toutes sortes de formes la même idée, la détaille, la multiplie, la fait éclater en mille feux autour de lui. Son discours peut durer des heures.

« *Landsgemeinde* » à la mode
africaine

Pendant ce temps, le village, qui connaît par le tam-tam le thème de la discussion de son conseil, s'agite dans les huttes. Les hommes, retour des champs ou de la forêt, se lavent, enfilent d'ample robe et viennent cerner peu à peu le Conseil du village. Les femmes, les jeunes filles, vêtues de leurs plus beaux boubous — c'est pour elles une occasion de les montrer — viennent à leur tour s'agglutiner autour de leurs chefs. Elles forment une masse à part. Les plus âgées assises, les nubiles derrière, la poitrine nue. Tout le village participe ainsi à la discussion, heureux d'échapper aux trois problèmes-chefs qui alimentent depuis toujours leurs disputes: le mariage, les bœufs en promenades et qui causent des dégâts dans les champs et, enfin, les litiges concernant la limite des champs de culture. Les femmes se montrent les plus acharnées à faire rebondir les problèmes. Par-

fois, une grosse plaisanterie interrompt la discussion. Tout le monde rit. Les femmes rient plus fort encore, mais placent devant leur bouche, ainsi que le veut l'usage, une main aux doigts écartés. Rien ne rappelle davantage ces séances de villages africains que les *Landsgemeinden* de la Suisse primitive. Mais ici, les femmes considérées comme inférieures du point de vue politique ne participent pas à ces rassemblements.

C'est à ce moment que surgit le chef de la circonscription. J'en ai suivi un au cours de sa quête d'information. Je l'ai trouvé d'abord à Forécarish, petite ville de 3000 habitants, enfouis sous les bananiers. Il s'appelle Nabi Soumah. Agé de 31 ans, il est membre de l'Assemblée nationale. Dans son petit bureau, ouvert à la fraîcheur des fromagers et à la couleur des bougainvillées, il me reçoit avec une extrême gentillesse. L'appareil à air conditionné ne marche pas, car l'électricité est coupée. La nuit dernière, un orage a abattu une bonne douzaine de poteaux électriques. Dans sa petite bibliothèque, une encyclopédie juridique voisine avec un Larousse un peu usé. Des livres de droit, le Code Napoléon, emprisonnent un roman policier. Un calendrier évoque des fraîcheurs azuréennes et jette sur les parois passées à la chaux

restait plus qu'à transformer nos idées en réalités.

Dès qu'une décision est prise au Conseil des ministres, les secrétaires d'Etat à la Présidence se chargent de la faire connaître au pays. Radio-Conakry, le soir et à midi, la diffuse, en français, en soussou et en malinké. Par téléphone, on la fait parvenir jusqu'au chef des 25 circonscriptions. A leur tour, ceux-ci envoient des plantons, des éclaireurs, des messagers dans les différentes communes de leur territoire. Il faut que chaque village connaisse dans le délai le plus bref — qui ne doit pas dépasser vingt quatre heures en certaines circonstances la décision de Conakry. A partir de certains villages, il n'y a plus aucun moyen de transmission moderne. Dans la montagne, dans les vallées sombres de la forêt vierge, les habitants ne possèdent ni poste de TSF, ni téléphone. Parfois le premier achat collectif, donc le premier geste volontairement accepté qui soude le hameau au reste du monde, c'est un appareil récepteur à galère. L'humidité ne lui assure guère plus de deux saisons de vie. Pour atteindre ces lieux perdus, en utilisant des sentes rougies de latérite, un messager met parfois plus d'un jour. Pour simplifier sa tâche, avant qu'il arrive avec ses instructions écrites, le tam-tam

alors se met en marche. C'est un téléphone extraordinaire d'efficacité. Il traduit en sons, en roulements de tambour, en rythmes syncopés les instructions du gouvernement. Dans les villages accrochés au flanc des montagnes, une oreille dont la sensibilité dépasse la nôtre de 10 nuances, perçoit dans l'air ce message sourd que porte la terre. A mesure qu'il le traduit en langage clair, il le transmet afin que plus loin, toujours plus loin, jusqu'au fin du pays, le Conseil des ministres fasse entendre sa voix.

Dans chaque village, le chef réunit alors son Conseil local qui ne peut jamais compter moins de 5 membres. Souvent les femmes font parties de ces conseils de commune. Leur participation ajoute une sorte de ferment violent, pour ne pas dire passionnel, aux palabres qui vont commencer sous l'avant-toit en branches de palmes d'une case ou sous un baobab. Elles jouent leur rôle nouveau avec ardeur et ne feront pas mentir le proverbe africain «l'homme est l'enclume, l'enfant le fer et la femme le feu». Le chef du village expose à ses collègues le problème qui vient d'être agité à Conakry. Aussi longtemps qu'il reflète la décision du gouvernement, il enlève sa coiffure, sorte de chéhia en velours dévorée par le soleil. Au cours de la discussion, il la remet sur sa tête. Et

nistres de se faire entendre jusqu'au fin fond de la forêt vierge, dans les villages les plus reculés du pays.

Comment les Guinéés sont-ils arrivés à ce résultat pratique? Sékou Touré, un jour, me l'a révélé en me disant ceci :

— Nous pensons à l'indépendance de la Guinée depuis 1944 : exactement depuis que le général de Gaulle nous a laissé entrevoir la possibilité d'accéder à l'indépendance. C'était à Brazzaville. Vous vous en souvenez?...

A partir de ce moment-là, nous avons imaginé comment se présenterait notre pays en tant qu'Etat libre. Nous avons passé en revue les problèmes de la souveraineté et de l'autorité. Nous avons essayé de trouver pour chacun de ces deux aspects de la vie nationale d'un pays les solutions les plus adaptées à la situation africaine. Il nous a fallu des années, après avoir éliminé beaucoup d'erreurs de jugement, pour trouver notre voie. Cet acquis positif en nos mains et à partir de ce moment-là, il ne nous



Dans les quartiers indigènes de Conakry, deux cyclistes traversent la ville en trompétant. Ce qui signifie: réunion publique et obligatoire ce soir.



Dans un petit village de la frontière de la Sierra Leone, le tam-tam a apporté la décision du Conseil des ministres. Alors le Conseil du village, composé de cinq membres, se réunit.

tionne un autre au passage, fait le tour de la table et choisit un mot aimable pour chacun. On entend voler dans la pièce, selon l'habitude africaine, beaucoup de «Ça va ?» et de «Mon vieux...». La séance peut alors commencer dans une atmosphère très «quartier Latin et séance de boys scouts» jusqu'au moment où l'opposition fait entendre sa voix. A l'amitié succède le souci de l'efficacité.

Quand un des ministres a quelque chose à dire, il commence presque toujours par : «Tu ne crois pas que...», et ce disant, il

se tourne vers Sékou Touré.

Chaque jour, dans cette salle un peu austère, les responsables abordent des sujets dont la veille ils ignoraient même l'existence. Chaque jour aussi, ils voient surgir des problèmes de plus en plus épineux. La Guinée commence tout à partir de zéro. Leur indépendance est si neuve qu'ils n'ont pas encore réussi à l'insérer dans le contexte historique du monde moderne. Ce qui est stupéfiant en Guinée, et les observateurs sont unanimes à le reconnaître, c'est cette possibilité, pour le Conseil des mi-

GUINÉE

LA PLUS JEUNE RÉPUBLIQUE DU MONDE

A Conakry, dans le Palais de la Présidence, au premier étage, la grande salle qui accueillait autrefois les hôtes du gouverneur de la France pour y fêter le Quatorze Juillet, accueille aujourd'hui le Conseil des ministres de la nouvelle République de Guinée. Ils prennent place autour d'une immense table rectangulaire. Selon le caractère des discussions, le président Sékou Touré s'assied au centre de ses ministres ou à l'extrémité de la table.

Au milieu de ce cercle d'Africains brille une étoile noire : c'est Keita Fodéba, ministre de l'Intérieur. Son nom, plus de 30 pays le connaissent. On l'a vu flamber sur les affiches et sur le fronton des théâtres du monde entier. C'est lui qui inspirait, puis dirigeait la troupe des ballets africains qui portent son nom.

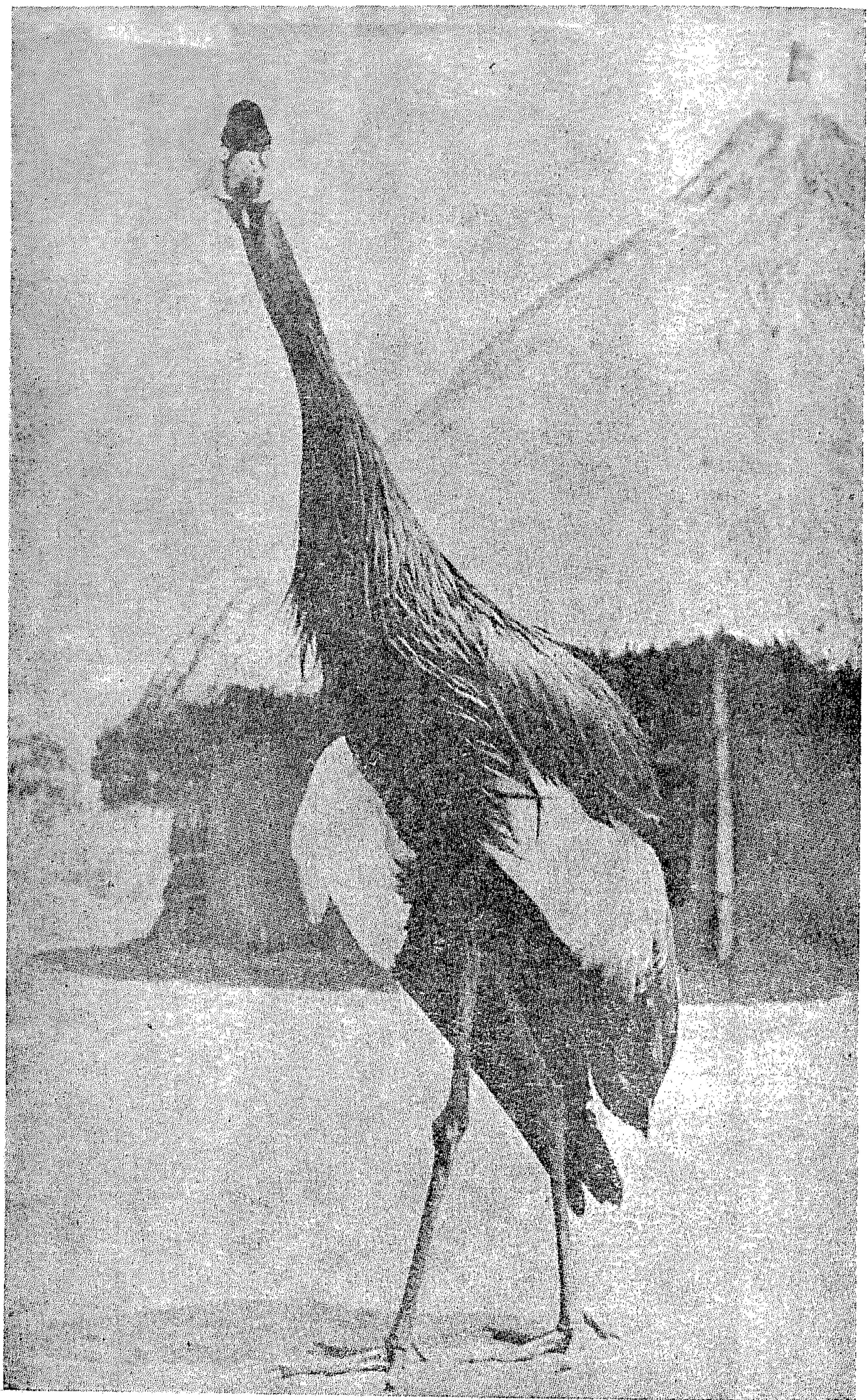
Il ne faut pas beaucoup de temps pour réunir le Conseil des ministres. Le plus éloigné de ses membres ne travaille pas à plus de 100 mètres du palais. Un coup de téléphone ou, au besoin, l'envoi d'un planton, et les voilà qui arrivent pour discuter des

problèmes du jour. L'ordre du jour court au plus pressé. Souvent, le Conseil commence à 9 heures du matin. Il n'est pas rare qu'il se termine au petit jour. Le goût de la discussion, l'enivrement du verbe, l'exaltation d'aborder de face des problèmes aussi durs que l'acier, créent, au sein de ce Conseil, une intensité exceptionnelle.

L'arrivée du président

Tout le monde parle français, puisque c'est la langue officielle. Presque tous se tutoient. Les premiers arrivés prennent place dans leur fauteuil, se communiquent leurs dossiers, lisent une dépêche, échangent leurs impressions et attendent le président Sékou Touré. Celui-ci, par son intelligence et une indiscutable clairvoyance politique, les domine tous. Mais, en bon Africain qu'il est, son sens du compromis le rend prudent.

A son entrée, quelques-uns des ministres se lèvent et vont à lui. Il leur serre la main, en entraîne un dans un coin à qui il glisse une confidence, en ques-



» طائر افريقى

2nd. Year

Issue No. 24

November 1959



Mahdatu

AFRIQUIAH

IN THIS ISSUE

- WHAT LIES BEYOND SMOKE
- ARAB TRADERS IN AFRICA
- SOME AFRICAN NOVELISTS
- KENYATTA REMINISCENCE
- THE ART OF SCULPTURE
- BOOK OF THE MONTH

10 Millions

ديسمبر ١٩٥٩

العدد ٢٥

السنة الثالثة



نهضة أفريقية

في هذا العدد

- المؤتمرات الإفريقية الصغرى
- فن النحت في إفريقيا
- الشعر في غرب إفريقيا
- اللغة السواحلية
- الرحالة العرب في إفريقيا
- كتاب الشعر

العدد ٢٥ - ديسمبر



فن النحت في الكونغو

نهضة إفريقية

تهدف هذه المجلة الى :

- ١ - تنمية الوعي القومى الافريقى.
- ٢ - التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .
- ٣ - نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهم كل افريقى فى مجاله الحيوى

وللمشتركين الحق فى :

- ١ - الحصول على المجلة بانتظام وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض.
- ٢ - الافادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الامكان .

● ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .

● ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها . .

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة افريقية
٥ شارع أحمد حشمت - الزمالك
بالقاهرة

تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨

الاقليم المصرى

بالجمهورية العربية المتحدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى :

دار أخبار اليوم للتوزيع :

٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا :

لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمن العدد ٣ قروش



نهضة إفريقية
مجلة شهرية
للتقافة الأفريقية

رئيس التحرير
محمد عبد العزيز اسحق

محتويات العدد

صفحة

- المؤتمرات الافريقية الصغرى :
للأستاذ محمد عبد العزيز اسحق ٣
- افريقية كما يراها الأجانب :
اللغة السواحيلية : ٧
- للأستاذ محمد جلال عباس ١٧
- الرحالة العرب في افريقية :
للدكتور حفنى شرف ٢١
- الشعر الافريقى بعد الصحراء :
للأستاذ عبده بدوى ٢٧
- من وحى افريقية :
للأستاذ سعد دعبيس ٣٢
- ما بين البيض والسود :
للأستاذ فتحى اسماعيل كوكب ٣٥
- جولة مصورة حول افريقية :
شخصية العدد : ٣٩
- ((ابن مسجح)) ٤٣
- فن النحت في غرب افريقية :
للأستاذ حلمى شعراوى ٤٦
- كلمات وصور ٥٥
- من القصص السودانى :
للأستاذ عباس خضر ٦٣
- صور على كتاب :
للدكتور بطرس غالى ٦٧

فكرة ..

يضم هذا العام - عام ١٩٦٠ - بين جنبيه لافريقية آمالا كبيرة فستتحرر فيه أربع دول هي ((نيجيريا ، والكاميرون ، والصومال ، وتوجولاندا)) ولا شك أن في هذا مكسبا ضخما للقارة . فستنضم موجات التحرر هذه الى موجات التحرر الأخرى التى لم تقف ، ولكنها سعت ، وحرضت ، وتلاطمت في وجه الاستعمار حتى غدا بقاؤه في افريقية مستحيلا ! .

وهكذا تأخذ كل موجة جديدة دورها في بحر الحرية الكبير ، فلم يحدث أبدا في تاريخ القارة أن انعزلت دولة متحررة عن اخواتها . لأنها تتلاقى مع كل الدول الافريقية بجذور ضاربة في أعماق التاريخ .. في أعماق افريقية ! هذا هو المصير المشرق الذى تقرربالنسبة لهذه الدول الأربع التى تنضم الى قافلة الحرية . ولكن قلعة الحرية لاتزال تخفى ثوارا ، وتنضم سواعد متشنجة على القدر في رعوس الرماح ، وتؤكد عزم القارة على أن تكون افريقية للافريقيين ، وليس معنى هذا أن القارة ستنعزل على نفسها ، ولكن معناه أنها ستجد مزيدا من الوقت ، ومزيدا من التفكير لاثراء الحياة ، والاسهام في خلق مزيد من الرخاء ، والسلام ، والحرية للعالم أجمع ! .

ان الأمل كبير في أن تنال كل افريقية حريتها في هذا العام ، ولاشك أنه سيكون مليئا بالدم ، وبالضحايا ، ولكن المعركة ستسفر أخيرا كما كانت تسفر دائما عن مزيد من النور . فالى فجر الحرية الكبير في عام قادم .. عام ١٩٦١ .

((عبده بدوى))

المؤتمرات الافريقية الصغرى

بفلم : الأستاذ محمد عبد العزيز اسحق

لكى يعيشوا بها أحرارا ، وكان بعضها الآخر يدعو الى تهيئة المشاعر والأذهان ، فى الأوساط الدولية ، لرفع الحيف والاستعباد عن الشعوب الافريقية المغلوبة على أمرها ..

وكان العدد القليل من الشباب الافريقى المثقف الذى استطاع النفاذ الى العواصم الأوروبية طلبا للعلم أو سعيا وراء الرزق أو هربا من العنف والطغيان - كان هؤلاء يتجمعون ، وتقوى جماعتهم سنة بعد أخرى ، ويعقدون بين الفينة والفينة مؤتمرات ، فى « لندن » ، أو « باريس » ، أو « مانشستر » للدعوة ووضع الخطط لتحرير افريقية . ومن هذه التجمعات الصغيرة انبثقت فيما بعد أحزاب سياسية كبرى نراها اليوم ممسكة بزمام الحكم فى « غينيا » و « غانة » و « نيجيريا » ، ونشدها رافعة شعلة الكفاح فى « أوغندا » و « كينيا » و « زنجبار » « ونياسا » .

ومن تلاميذ تلك المدارس الوطنية الأولى « سيكوتورى » و « انكروما » و « أزيكوى » و « كوانوكا » و « على محسن » و « الدكتور باندا » و « جوموكينياتا » ..

ان الحركات القومية العارمة التى تجتاح القارة الافريقية اليوم من أدناها الى أقصاها لم توجد بمحض المصادفة ولم تتكون خبط عشواء ، وانما سبقتها مراحل طويلة من التهيؤ النفسى ، والنضج العاطفى ، والتصور الخيالى ، والتخطيط العقلى الذى أدى فى النهاية الى التجمعات العملية البشرية التى يسمونها أحزابا ومؤتمرات .

ولم تكن المؤتمرات الافريقية بنت السنوات القليلة الماضية ، بل انها لم تبدأ على أرض القارة نفسها ، ولم يقيم بها أول الأمر أناس عاشوا على أرض أفريقية ، وان كانوا من سلالتها. فقد شهدت جزر الهند الغربية (التي تقع فى فجوة بين الأمريكتين : الشمالية والجنوبية) فى أوائل هذا القرن « براعم » مؤتمرات عقدها الزنوج المسخرون هناك لزراعة البن وقصب السكر - للتعبير عن السخط وطالب الانصاف « للجنس الأسود » ، وشهدت أمريكا الشمالية نفسها ، فى الثلث الأول من هذا القرن تيارات « زنجية » قوية كان بعضها يرمى الى حمل زنوج أمريكا للعودة الى افريقية

« التجمع الديمقراطي الإفريقي »
عام ١٩٤٦ .

كانت الحرب العالمية الثانية قد
وضعت أوزارها .

وكان مؤتمر « برازا فيل » قد
أوضح تراخي قبضة فرنسا على
مستعمراتها ، وتجمع أكثر المشتغلين
بالحركات القومية في المستعمرات
الفرنسية الشاسعة ، في « باماكو »
ليضعوا أسس نهضة قومية وبعث
التراث الإفريقي .

وقد اعتبر هذا التجمع « مؤتمرا »
أو « حركة دائمة » لها شرايينها التي
تسمى « فروعا » في مختلف المناطق
« الفرنسية » وبرز من خلال صفوفه
زعماء من أمثال « سنجور » و « هوفوي »
« بوانييه » و « موديبو كيتا »
و « سيكوتوري » ..

والواقع أن ظروف التطور الاجتماعي
في المستعمرات الفرنسية في ذلك الحين،
والظروف الخاصة لزعماء « التجمع »
لم تتح له أهدافا وطنية « مثالية » .
فقد استقر رأى زعماء التجمع على
طلب المزيد من « الحكم الذاتي » وعلى
تقوية أواصر التعاون ، والتكافل بين
الأقاليم المنتظمة فيه ، ولكنه لم يجعل
« الاستقلال » من بين أهدافه ..

كان هذا التجمع خطوة تمهيدية في
سبيل « الوحدة الإفريقية » وقد
استطاع أن يزيل كثيرا من الحواجز
التي كانت تقف بين بعض أقاليم
« إفريقيا الفرنسية » وبعضها الآخر،
كما استطاع أن ينتزع من فرنسا
كثيرا من « الصلاحيات الإدارية » التي

ومن هذه الروافد المتعددة تكون
« نهر » فتي إفريقيا التقى بآخر
آسيوي دافق في « باندونج » ،
وبدأت من ذلك الحين (عام ١٩٥٥)
التجمعات الإفريقية الآسيوية ذات
المدى الواسع ، والمؤتمرات الإفريقية
الشاملة الوطيدة الأركان التي
استطاعت أن تجمع ، على صعيد
واحد في القاهرة وأكرا ومنروثيا
ممثلى شعوب إفريقيا وحكوماتها،
واستطاعت أن تجتذب الأحرار من
وراء الحواجز الاستعمارية الرهيبة
التي أقيمت من حولهم في « الكونغو »
و « أنجولا » و « كينيا »
و « موزمبيق » ...

وقد أصبحت هذه المؤتمرات
ظواهر تاريخية ضخمة شاخصة إليها
الأبصار ، وأصبحت أنباؤها وقراراتها
ومنظوماتها الدائمة ، ودوراتها المقبلة
حديثا يدور على كل لسان ، لا في
القارة الإفريقية وحدها ، وإنما في هيئة
الأمم ، وفي أركان العالم الفسيح، ولكنها
— أى هذه المؤتمرات ، قد سبقها على
أرض القارة ، وتولد منها مجموعة
من الهيئات و « المؤتمرات الصغرى »
التي توصف في العرف الدولي
« بالمنظمات الإقليمية » والتي قامت،
وسوف تقوم ، بدور حيوى في انجاح
« المؤتمرات الكبرى » وتمهيد الطريق
لتحقيق أهدافها ..

فمما سبق المؤتمرات الإفريقية
الشاملة هيئة شملت الجانب الأكبر من
إفريقية الغربية ، أنشأها القادة والمثقفون
الإفريقيون في مدينة « باماكو »
عاصمة السودان الغربى باسم

مهدت السبيل فيما بعد لـ «أفرقة»
الوظائف الحكومية ..

وكان « التجمع » في الوقت نفسه
بوتقة استفاد بحرارته زعماء «غينيا»
الشبان الذين كانوا يضمرون منذ
البداية التخلص التام من ربقة
الاستعمار .

ولما جاء بعد ذلك « باندونج »
بتياراته الدافقة ، ثم مؤتمر « أكرا »
للدول الأفريقية المستقلة ، ثم مؤتمر
الشعوب الأفريقية ، بدا للكثيرين من
زعماء « التجمع » أن الزمن يسبق
أمانهم ، فمنهم من ضرب ضربته
الحاسمة وفاز بالاستقلال الكامل
« كزعماء غينيا » ومنهم من تقدم
في اصرار لازاحة « الكابوس الفرنسي »
قدر المستطاع وتكوين «اتحاد مستقل»
كما حدث في « اتحاد مالي » ..

وقد كان من نتيجة التيارات القوية
الدافقة التي أشرنا إليها أن «تخلخل»
التجمع الديموقراطي وانفصل بعض
أجزائه وتطور بعضها الآخر ، بعد
أن استنفد غرضه التاريخي ..

والى الشمال من منطقة « التجمع »
الديموقراطي الأفريقي « شهدنا عام
١٩٥٧ » مؤتمر طنجة « الذي ضم
ممثلى الأحزاب الحاكمة في تونس
والملكة المغربية وممثلى جبهة التحرير
الوطني الجزائرية ..

وقد كانت « وحدة المغرب العربي »
وما زالت هدف المسؤولين والقادة
المغاربة كجزء من الوحدة العربية ،
ثم الوحدة الأفريقية .

وحيثما قرر القادة الجزائريون
« قبيل عام ١٩٤٥ » القيام بحركتهم

التاريخية اجتمعوا مع ممثلى الشعب
التونسي والشعب المراكشي ، اللذين
كانا يكافحان فرنسا ويحملان في وجهها
السلاح ، واتفقوا جميعا على ألا يلقى
أحد منهم السلاح الا بعد اعتراف
فرنسا باستقلال اقطار المغرب الثلاثة.

ولكن ظروف متنوعة جعلت المسيطرين
من القادة في تونس . تم في مراكش .
يفيرون الخطة ويقبلون « فترة انتقال »
قبل الاستقلال . وظلت الجزائر
وحدها . تقريبا ، في خط النار ،
وتوالت الأحداث فتولى « حزب
الاستقلال » الحكم في مراكش وارتكبت
فرنسا حماقاتها المشهورة في تونس
وأصبح الجو مهيئا لتجمع مغربي
جديد ، واتخذ هذا التجمع هيئة
« مؤتمر طنجة » في ابريل عام ١٩٥٧ .

ونظرا للظروف الخاصة التي تحيط
بالحرب الجزائرية فقد جعل المؤتمر
جلساته سرية ، ولكنه أعلن بعد انتهائه
بعض القرارات التي اتخذها وأهمها :
مواصلة حرب الاستقلال في الجزائر ،
واجلاء القوات الفرنسية والأسبانية
عن أراضي المغرب العربي ، كما أعلن
أنه وضع أسس الوحدة المغربية
والمراحل التي سوف تتخذها هذه
الوحدة . وقرر المؤتمر تكوين
(سكرتارية دائمة) تتمثل فيها
الحركات المغربية الثلاث وتتكون من
مكتبين أحدهما في « تونس » والآخر
في « الرباط » .

ومن أهم التجمعات الأفريقية التي
حدثت في الآونة الأخيرة مؤتمر
ال « بافميكا » ..

وهذه الكلمة تتكون من الحروف .

الأولى الإفريقية لـ «الحركة الوطنية
الشاملة لشرق ووسط افريقية» أو
Pan African Movement of East
Central Africa.

ويضم هذا المؤتمر الذي انعقد
لأول مرة في سبتمبر من العام الماضي
(١٩٥٨) في بلدة « موانزا » في
« تنجانيقا » ممثلي الأحزاب
الوطنية في « أوغندا » و « كينيا »
و « زنجبار » و « تنجانيقا »
و « الروديسيات » و « نياسا » .

وقد بحث المؤتمر تنسيق الكفاح
بين الأقاليم الممثلة فيه ، والتي تتفاوت
في نصيبها من التقدم ومن التطور نحو
الحكم الذاتي . وقد وحد المجتسعون
أهدافهم العليا التي تتلخص في الاستقلال

وتكوين حكومات افريقية خالصة ،
ووضعوا أسس التعاون فيما بينهم
والتشاور فيما قد تتقدم به اليهم
بريطانيا من مقترحات وعروض ، كما
أصدروا قرارات أهمها الإصرار على
طلب الإفراج عن المسجونين السياسيين
وعلى رأسهم « جوموكينيا »
و « دكتور باندا » والغاء حالة الطوارئ
المعلنة في « نياسا » و « كينيا »
و « أوغندا » وضرورة تمثيل
الافريقيين تمثيلا صحيحا في المؤتمرات
التي سوف تعقد في لندن (خلال
عام ١٩٦٠) لبحث شئون أقاليم
ال « بافميكا » ..

هذه هي الروافد الهامة التي تغذي
حركة « الزحف المقدس » الكبرى إلى
التحرر والاستقلال



زنجبار « ذات القرنفل »

أفريقية كما يراها الأجانب

تمكن أحد التجار الاغريق الذين يعيشون في مصر من تحديد الاتجاه البحرى الى المحيط الهندى ، والسفن العربية تدفعها الرياح الموسمية تبحر الى زنجبار محملة بالرماح والفؤوس والخناجر والزجاج وهدايا من القمح والنبيد ، وترجع محملة بالعاج وقرن الخريت وصدف السلاحف وزيت جوز الهند .

وحتى يومنا هذا لاتزال السفن التجارية العربية تبحر الى زنجبار تدفعها الرياح الموسمية الشمالية الشرقية ، وعليها البلح واللبن ولحم السمك المقدد والسجاد الفارسى والتحف النحاسية ، ثم تبقى حتى يتغير اتجاه الرياح فترجع وعلى ظهرها الشاي والبن والسكر والأذرة .

ولقد قابلت في أسواق زنجبار وفي مقاهيها العربية الكثيرين من بحارة هذه السفن ، وقد اسمرت وجوههم من الشمس المحرقة ، وطالت لحاهم ، وملابسهم واسعة طويلة فضفاضة ، وعلى رؤوسهم عمام ، وفي أرجلهم صنادل ، كما تظهر الخناجر من أغمادها . وهى معلقة في أحزمتهم المزركشة الملفوفة حول خصورهم ،

في هدوء ووضوح نادى موجه الطائرات في مطار دار السلام في تنجانيقا قائلا : « ليتفضل المسافرون الى زنجبار وطنجة وممباسا بركوب الطائرة » .

ولم يمض وقت طويل على تحليق الطائرة بنا حتى بدأت تتكشف أمام عيني جزيرة خضراء بدأت تظهر وتتضح وسط غمام المحيط ، ثم تجلت أمام ناظرى الصخور المرجانية في زرقة الياقوت وأشجار جوز الهند الباسقة المورقة ومزارع القرنفل تمتد حولها ، ثم هبطت بنا الطائرة بعد أن طافت بنا حول هذه المدينة المكتظة بالسكان ، والتي تقع على مثلث بارز داخل في مياه المحيط من أرض الجزيرة .

تاريخ زنجبار تكتبه الرياح

وفي مياه المحيط الزرقاء كان أسطول من السفن العربية التجارية يتجمع في ميناء زنجبار ، وان الرياح التى تدفع قلوب هذه المراكب بين سواحل البحر الأحمر والهند هى التى كتبت تاريخ زنجبار .

ومنذ سنة ستين ميلادية عندما

وكأنهم يقولون : لاداعى للاستخفاء
فأنا مسلحون ! .

ومعظم هؤلاء البحارة قد أبحروا
من الشواطئ العربية من مسقط .
وسر ، على ساحل عمان ، كما
كان من بينهم رجال نحاف لوحات
الشمس وجوههم ، وعيونهم تغدح
شررا وهم بحارة من حضرموت .

السلطنة تحت الحماية البريطانية

تقع جزيرة زنجبار على بعد
خمس وعشرين ميلا من الساحل
الأفريقي الشرقي ، وكانت الجزيرة
في الأيام الغابرة مركزا ممتازا للتجارة
بالرغم من قربها من القارة الأفريقية
وكان بعدها عنها كفيلا بحمايتها
من غارات القبائل المحاربة ، كما تكثر
بها المياه العذبة ، ومينائها آمن صالح
لرسو السفن .

وسرعان ما بهرت الجزيرة أنظار
العرب والفرس والهنود والصينيين ،
كما أن البرتغاليين الذين تبعسوا
فاسكودا جاما انشأوا لهم فيها
مراكز تجارية في أوائل القرن الخامس
عشر ، حتى أجلاهم العرب عنها بعد
قرنين من الزمان ، وفي عام ١٨٣٢
نقل سلطان عمان عاصمة ملكه من
مسقط الى زنجبار .

وفي أواخر القرن الماضي عندما
بدأت الدول الأوروبية الاهتمام بأفريقية
سلخت هذه الدول الاستعمارية معظم
ممتلكات زنجبار عنها ، ولهذا اضطر
السلطان حتى يضمن بقاء عرشه الى
أن يقبل الحماية البريطانية في
سنة ١٨٩٠ .

وتقصر السلطنة اليوم على زنجبار
وبمبا والجزر الصغيرة التي تحيط
بهما ، وبالرغم من أن علم السلطان
الأحمر ما زال يرفرف على حصن
« جيزي » في ممباسا إلا أن هذا
الحصن ومعه شريط طويل من الأرض
عرضه عشرة أميال ، ويمتد محاذيا
ساحل كينيا ، قد أجرتة المملكة الى
حكومة كينيا ، كما أن ميناء ممباسا
ودار السلام قد استحوذتا على معظم
تجارة شرق افريقية .

العرب والتليفونات

وبالرغم من أن زنجبار قد فقدت
رواج تجارتها التي تمتعت بها هذا
الزمن الطويل فان هذه الخسارة
لم تؤثر فيها أبدا ، فقد سارت
زنجبار في طريق الرخاء والنقدم
والازدهار في هدوء وسكينة محتفظة
بجاذبيتها وبطابعها الشرقي القديم .
وفي زنجبار وحدها يمكنك أن تمسك
بالتليفون ، وتطلب التحدث مع من
تريد وتطلبه باسمه من عامل التليفون
دون حاجة الى ذكر رقم ، أو ادارة
قرص التليفون .

ويخيل الى أن أحدا قد اختطف
جزءا من قصص ألف ليلة وليلة
ووضعها بجانب المحيط ، فالمدينة
بمبانيها البيضاء وشرفاتها
وحاراتها الضيقة الكثيرة اللف
والالتواء وأسواقها الشرفية تكاد تكون
قطعة من بلاد العرب أو حيا من أحياء
القاهرة لا ينقصها إلا الجوامع ذات
الألوان الزاهية والمآذن العالية ، إذ
أن جوامع زنجبار صغيرة وبسيطة
ومآذنها قصيرة .

أما المدينة نفسها فليست قديمة العهد ، فقد كانت عبارة عن قرية صغيرة بنى معظم مبانيها ومنشأتها . السلطان السيد سعيد ، عندما اتخذها عاصمة لسلطنته منذ مائة وعشرين سنة مضت .

ولما لم يكن في زنجبار مهندسون يخططون لها الطرق ، ويرسمون لها الشوارع كما كان الأهالي يبنون مساكنهم في المكان الذي يلائمهم ، لذلك أصبحت معظم شوارع زنجبار عبارة عن أزقة ضيقة كثيرة الالتواء والمنحنيات ، ووقت زيارتي للمدينة لم يكن بها إلا فندق واحد ، كان منزلا للسكنى ثم أدخلوا عليه من التعديلات ما جعله شبيها بالفندق ، وكل الشوارع المؤدية إليه يبلغ من ضيقها أن السيارة لا يمكن أن تصل إلى بابها كما أن الناس كانوا يطلقون على شارع جانبي بالقرب منها اسم « عطفة الانتحار » لأن المنازل كانت مزدحمة فيه بشكل جعل كل عربة تمر فيه تحتك بحوائطه ، وتهدم جزءا من جدرانها .

ومع أن السيارات الخاصة وعربات الأجرة متوفرة في زنجبار ، فإن استعمالها للمواصلات يقصر على الطرق الزراعية خارج المدينة ، أما في داخلها فالقاعدة السائدة أن الكل يمشون .

لا خوف من أن تضل الطريق

لقد سألت مرة أحد المواطنين الأجانب في زنجبار : « كيف يمكنك أن تجد طريقك وسط هذه الأزقة المتعرجة المتشابكة الكثيرة الالتواء والالتفاف؟ »

فاجابني قائلا : « ان احدا لا يمكنه ان يضل الطريق ، وكل ما عليه ان يظل سائرا ، فاما ان يصل الى ساحل المحيط او يجد نفسه في النقطة التي بدأ منها السير اما اذا كنت تريد ان تصل الى مكان معين بالذات ، فقد تلاقى بعض الصعوبات » .

ثم بدأت السير فعلا في وهج الشمس ، ووسط الأزقة الضيقة الكثيرة المنعطفات ، ورأيت المنازل القديمة وأبوابها المتقنة الصنع والمطعمة بالنحاس والمزينة بالرسوم العربية ، والمنقوش عليها آيات من القرآن الكريم ، كما حفرت عليها رسوم الأسماك ، وأشجار النخيل وزهرة اللوتس .

ولقد أضيف الى الكثير من هذه الأبواب أزرار نحاسية كالتى تضاف الى أبواب المنازل في الهند لتحمي الناس من هجوم القبيلة على منازلهم . ويخيل الى أن البنائين في زنجبار كانت طريقتهم أنهم يجدون أولا بابا دقيق الصنع ، ثم يبنون له منزلا .

فقد كانت بعض هذه الأبواب تشتري من الهند ، كما كان بعضها يصنع محليا ، ولقد رأيت بعينى صنعا في محلات التجارة يقومون بصنع أبواب فخمة تضافى جمالا ورواء على أحقر المنازل ، حتى المبنى منها بالآجر أو اللبن .

كما كانت المتاجر على طول الطريق مليئة بالعاج المنحوت والسجاجيد الشرقية ، وأباريق القهوة العربية والتحف النحاسية والصناديق العربية الشهيرة ، وهذه الصناديق

لم تصنع في بلاد العرب ، بل تأتي من
إيران والهند ، وهي باهظة الثمن غالية
القيمة .

المارة يخاطرون بأرواحهم

أثناء تجوالى في شوارع زنجبار
الضيقة كنت أصطدم بخليط من
الشعوب ، كما ألقيت بنفسى وسط
زحام الناس الذين خرجوا من بيوتهم
في الصباح الباكر لشراء الخضراوات
من سوق الخضز ، في الوقت الذى
كان يتحتم على تجنب التصادم مع
راكبى الدراجات وسائقى عربات
اليد ، والباعة الذين يحملون على
رؤوسهم سلالا كبيرة ملى بالفاكهة
والخضر ، وكثيرا ما اضطررت الى
الاستناد بظهري في جوار حائط أو
الجرى للوقوف على عتبة باب بيت
قريب حتى لاتدهسنى احدى العربات.
أما باعة القهوة المتجولون فيجربون
الشوارع والطرق ممسكين بأوعية
القهوة النحاسية في يد ، وباليـد
الأخرى يدقون الفناجين في رنين
موسيقى رتيب ، اعلانا عن بضائعهم،
بينما يتجمع أطفال المدارس حول
عربات الحلوى .

تصادف في هذه الشوارع شعوبا
متعددة من بلاد العرب والخليج
الفارسي والهند وأفريقية ، وأروع هذه
الشعوب منظرا ملابس العرب
الفضفاضة البيضاء ، وتسمى
« كنزس » وعمائمهم الكبيرة الناصعة
البياض ، ويتلوهم الأفريقيون
ولباسهم يميل الى البساطة .

ومعظم التجار من الهنود من
مسلمين وهندوس ومجوس ، ويختلف

غطاء رؤوسهم من عمائم بيضاء الى
قبعات عالية سوداء الى قلنسوة
ذهبية اللون .

أما السيدات العربيات المسلمات
المحجبات فيمشين في الطرقات في
سرعة وهدوء كالأشباح ، ويلفن
أجسامهن ووجوههن في أردية واسعة
سوداء لا تكشف منهن شيئا ، وتسمى
« البردة » . أما نساء السواحلى فبالرغم
من انهن مسلمات أيضا ويلفن
أنفسهن في معاطف سوداء فان ألوان
ملابسهن المسماة « كنجى » لا تقل
في الذوق والتفصيل والجمال ، عن
ملابس السيدات في البلاد المتدينة
الأخرى .

وفي اختيار هذه الملابس التى تتكـدس
في المحلات التجارية بألوانها الزاهية
تبدى سيدات السواحلى اهتماما
كبيرا مثل شقيقاتهن الغربيات بنوع
القماش وطريقة التفصيل وفي زنجبار
تحاك هذه الملابس بروعة ودقة ،
وطبقا للنماذج الحديثة ، والويل
للتاجر الذى يختزن بضائع أو ألوانا
قدم عهدها ، فانه لن يتيسر له بيعها.
أما السيدات الهنديات فيلبسن
السارى ، وهو يصفى عليهن جمالا
جديدا الى جمال الزى في زنجبار ،
وخاصة بعد قرب غروب الشمس ،
عندما تتجمع السيدات في المتنزه
الذى يجاور سراى الحاكم ، ليتمتعن
بالهواء الطلق ، ويضىء البستان
بجمالهن .

زيارة للسلطان

في غروب كل يوم تقريبا يهب
الحراس في سراى السلطان ، ليحيوا

سيارة فاخرة حمراء ، تحمل السلطان والسلطانة في طريقهما الى نزهتهما الخلوية عصر كل يوم .

أما السلطان الحالي وهو صاحب الجلالة السيد السير خليفة بن حرب، فقد تولى العرش عام ١٩١١ ، ويبلغ من العمر الآن ٩٣ عاما .

ولقد حدد لي موعدا لزيارة جلالاته ذات صباح وكان يوم جمعة ، وهو اليوم الذي يخصصه جلالاته لاستقبال كبار رجال المجتمع ، ويسمونهم في زنجبار « برازا » .

ولقد وجدت في حضرة جلالاته نحو اثني عشر رجلا ، وكلهم من كبار السن ذوى اللحى ، ويلبسون الزى الرسمي لسكان زنجبار .

وعندما دخلت قاعة العرش المتواضعة تفضل جلالاته ، فحياني قائلا : « صباح الخير . كيف حالك ؟ » قالها في لغة سليمة وبترحيب قلبي كبير .

ولم يكن السلطان يلبس سيفاً ولا خنجراً ، أما لباسه فكان يشابه لباس افراد رعيته ، غير أن عمامته كانت اكبر من عمامتهم ، كما أن كبر السن قد جعل لحيته ناصعة البياض .

تحدثت عن زنجبار ، وعن زيارتي لأفريقية الشرقية ، كما تفضل وسمح لي بأخذ صورته مع ابنه الوحيد الأمير عبد الله ، وعندما انتهى حديثنا قدم لنا شراباً حلواً ، ولقد أدركت خلال مدة زيارتي القصيرة لجلالاته سر حب الرعية له .

ويجاور سراي السلطان مبنى آخر،

لعله أفخم وأبهى من السراي نفسها ، هو : « بيت العجائب » بناه السلطان برغش سنة ١٨٨٣ ، ولا يوجد في زنجبار مبنى يفوقه فخامة واتساعاً .

وله شرفات واسعة ذات أعمدة هائلة ، كما يقوم فيه برج الساعة المرتفع الشاهق ، وبالرغم من أنه بنى لأغراض رسمية إلا أن السلطان الحالي والذي سبقه قد استعمله للسكنى، وهو الآن يضم كل المكاتب الحكومية . وان أبوابه المزخرفة والمطعمة بالنحاس، والمحفور عليها الكثير من الآيات القرآنية الكريمة لتدل على تقدم هائل في الفن ، ودقة خارقة في الصناعة .

وان الزمن الذي تسجله الساعة في برج القصر ليسبب الدهشة والحيرة للغريب الذي يزور زنجبار لأول مرة ، ففي الظهر تشير عقاب الساعة الى السادسة ، وتبلغ الساعة الثانية عشرة وقت الغروب تماماً ، وهي الطريقة العربية القديمة في حساب الوقت .

لقد احتلت السيدات قلعة عربية

ويجاور بيت العجائب قلعة حصينة عربية قديمة - يدوى الآن بين جدرانها صوت السيدات ، وتسمع رنين ضحكاتهن بدلاً من قعقة السلاح وصايل السيوف ، ذلك لأن سيدات زنجبار قد اتخذن من هذه القاعة نادياً رياضياً خاصاً بهن بالرغم من أن معظمهن ما زلن يلبسن البردة ويتحجبن ، ولقد حولت حدائق القلعة الداخلية الى ملاعب لكرة التنس والبيدمنتن وكرة السلة .

عندما نقل السلطان عاصمة ملكه

أول ميناء عالمي للتوابل

ان القرنفل حياة زنجبار وقوتها ، ولقد رأيت في حوض الميناء رجالا بظهورهم العارية وأجسامهم اللامعة يدفعون العربات المحملة بأكياس البهارات المكدسة ، كما كانت آلاف الجوالق الأخرى مكدسة في المخازن في أكوام عالية هائلة تنتظر المزداد والفحص والشراء ، كما رأيت آلاف العمال يحملون المراكب الكثيرة بأكداس الجوالق المليئة بالقرنفل ، والمصدرة الى الخارج . كما رأيت معملا لتقطير زيت القرنفل الذي يستخدم في المستحضرات الطبية ، وفي صناعة العطور ، وفي عمل الثانيليا وكانت الروائح المتصاعدة منه تعطر الجو الى مسافات بعيدة .

ثم ذهبت الى الريف مع أحد رؤساء هيئة منتجي القرنفل لأرى زراعته ، ولم يكن الوقت وقت حصاد ، ولكن البراعم على الأشجار كانت قد اكتملت في حجمها وفي هذا الوقت تحمر أغلفة البراعم . وعندئذ تصبح معدة للجنى فان وقت الحصاد يجب أن يبدأ وينتهى قبل أن تزهو البراعم .

وعندما يصبح القرنفل معدا للجمع، يجتمع الرجال والنساء والفتية والفتيات ، في ضجيج ومرح ، استعدادا لجمع القرنفل وجنيه ، أما النساء والأطفال فيقتطفن البراعم القريبة من الأرض ، بينما يستعين الرجال بالسلم ، أو يتسلقون جذوع الأشجار ليصلوا الى الفروع، ويجمعون عناقيد البراعم بواسطة عصي تنتهى

من مسقط الى زنجبار كان نفوذ العرب قد تغلغل فيها ، وهناك مثل عربى دارج يقول : « عندما تلعب الناي في زنجبار ترقص كل افريقية حتى اقليم البحيرات » .

وترتعش كل افريقية أيضا ، لأن تجارة الرقيق أو « العاج الأسود » كانت منتشرة في ذلك العهد ، وكان النحاسون تجار الرقيق يتجولون في القارة الافريقية ، ويلقون القبض على كل من يصادفهم من الأفريقيين .

وكان العبيد المقبوض عليهم يربطون في سوق الرقيق مع الثيران والماعز والدواجن ، ومن المحزن أن ثمن العبد الشاب المكتمل صحة وقوة ما كان يصل ثمنه الى نصف ثمن حمار عربى .

وفي الناحية الأخرى من زنجبار تقوم صناعة القرنفل التى أدخلها « السيد سعيد » الى هذه الجزيرة ، ومن الحدائق التى غرسها ومن زنجبار وجزيرة « بمبا » القريبة منها تستخرج أربعة أخماس كمية القرنفل فى العالم كله .

اننى لأعتقد أن المدينة مكتظة بالسكان ، وأن ميناءها مزدحم بالسفن مزين بالصور والرسوم والنقوش التى تمثل المخاطر التى صادفها البحارة على ظهر سفنهم ، ومنظر العشاء الربانى ، وصور الأطفال وهم يعانون آلام مرض الأسنان ، ولا عجب فهنا تفوح رائحة القرنفل المسكن كما أن رائحة القرنفل النفاذة تغطى على رائحة جوز الهند الذى تمتلئ به مخازن الميناء .

بخطاف ، ولما كان ارتفاع أشجار القرنفل قد يصل في بعض الأحيان من ثلاثين الى خمسين قدما فان عملية جنى القرنفل ليست بالعملية السهلة الهينة .

تجنى العناقيد بسيقانها ، وبعد نهاية الجنى تفصل البراعم عن السيقان ، ويتطلب ذلك مهارة وخفة يد ، فيجلس العمال القرفصاء ، ويمسكون عناقيد القرنفل في يد ، ويفركونها باليد الأخرى ، فتسقط البراعم أمامهم ، أما ساق النبات وأوراقه فترمى في مكان منفرد آخر، ثم يجفف القرنفل بنشره في العراء على أرض صلبة حجرية .

الموت الفجائي في مزارع القرنفل

لقد سمعت في زنجبار عن الموت الفجائي ، وهم لا يقصدون الموت بطعنة خنجر حاد في شوارع زنجبار الضيقة المظلمة ، ولكنه موت فجائي نتيجة مرض طارئ يودي بحياة الآلاف من أشجار القرنفل ، فالشجرة المورقة في الصباح قد لا يأتى مساء اليوم نفسه الا وأوراقها ذابلة وفروعها جافة يابسة ، ثم اذا بها ميتة لا حياة فيها .

ولقد أصاب المرض أشجار القرنفل في زنجبار ، ففضى على نصفها ثم انتقلت العدوى الى بمبا ، وبدأت دراسة هذا المرض لمعرفة أسبابه ، وطرق القضاء عليه . ويعلل العلماء أن هذا المرض يسببه فيروس «ميكروب» خاص يحمله النمل الى الأشجار فيفضي عليها ، ولمقاومة هذه الآفات قررت الحكومة اقتلاع ٦٠ ألف شجرة

ورش الأشجار الباقية بالمبيدات الحشرية .

وبالرغم من هذا المرض الفتاك فان عدد الأشجار في الجزيرتين ما زال حوالى أربعة ملايين شجرة تنتج في العام من القرنفل الجاف ما لا يقل عن تسعة آلاف طن .

أما البناء الذى يجرى فيه العلماء بحوثهم فهو المنزل الذى كان يسكنه الدكتور دافيد ليفنجستون عام ١٨٦٦ عندما كان يعد العدة للقيام برحلته الشهيرة الى قلب قارة افريقية ، ويقع المنزل على الشاطئ في الطرف الشمالى لجزيرة زنجبار .

ولعل أظهر ما خلفه هذا المستكشف الكبير من ذكريات في زنجبار هى جامعة الارسالية والكاتدرائية الانجيلية ، التى شيدت في المكان الذى كانت تقام فيه سوق الرقيق .

ولم يقتصر فضل ليفنجستون على تشجيعه بناء الجامعات في افريقية بل لعله أول رجل قام بأضخم مجهود لا يقاظ الضمير العالمى لمنع تجارة النخاسة وبيع العبيد ، ويرجع الفضل الأكبر لهذا الرجل في تحريم هذه التجارة تجارة بيع الرقيق الآدمى ، وفي المكان الذى كان يقف فيه تجار الرقيق لاجراء المزاد يقف الآن واعظ يبشر الناس بأمور دينهم ودنياهم .

ولقد وصف ليفنجستون زنجبار بأنها جزيرة قذرة ، وذلك للروائح الكريهة التى كانت تزكم الأنوف نتيجة لرمى المخلفات وجثث الموتى من الحيوانات والآدميين في جزء من المدينة ، ولكن هذه الخرائب قد تحولت الآن الى

التي كانوا يستخرجون منها الألوان الأرجوانية التي اشتهروا بها .

والتباين ظاهر في جانبي الجزيرة ، فنصفها الغربي تكسوه الحدائق الاستوائية المزدهرة ، وتنمو فيه أشجار جوز الهند ، وأشجار القرنفل تكسو سفوح تلاله القليلة الارتفاع ومنحدراته .

أما نصف الجزيرة الغربي فتتمو الأعشاب في أرضه ، ثم تكثر فيه الصخور المرجانية غير الخصيبة ، كما توجد به الفهود والخنازير البرية ، والفزلان .

وعلى مقربة من شمال العاصمة يجرى نهران أحدهما « تشم تشم » والآخر « بوبربر » وقد أكسبا زنجبار شهرتها بأنها مرفأ صالح لرسو السفن وقد كانا يمدانها بحاجتها من الماء في الماضي ، وهما اليوم يمدان المدينة بحاجتها من الماء العذب الصافي للشرب . كما تتناثر بقايا القصور القديمة على طول ساحل الجزيرة الغربي ، ويظهر أن السلاطين كانت هوايتهم بناء القصور الفخمة . واعداد الحدائق الغناء ، وأقامة الحمامات الجميلة لحريم قصورهم . أما المدن القديمة فقد كادت تطمس معالمها تماما ، وإن الأسوار المتهدمة والجوامع المهجورة هي كل ما تبقى من المدن القديمة التي ازدهرت يوما ما في جزيرة «تومباتو» و « أنجوجا أكيو » وفي « كيزمكازي » . ولقد عثرت في « كيزمكازي » على جامع صغير ما زالت الشعائر الدينية تقام فيه ، مع أن عمره يتجاوز ثمانمائة وثلاثين عاما ، كما يتبين ذلك من

حدائق واسعة ، وملاعب فسيحة . ولقد عبرت القنطرة التي تصل نصف المدينة النظيف بنصفها الآخر ويسمونه « نيجامبو » ومساحة هذا القسم تبلغ ألف فدان تغطيها الشوارع الضيقة ، والحواري المتعرجة ، والمتاجر الصغيرة كما يسكنها حوالي ثلاثين ألف نسمة ، ومعظمهم من الأفريقيين الذين يكونون نصف عدد السكان في مدينة زنجبار .

ويجرى العمل الآن لتحويل الأكواخ الفقيرة القدرة المتلاصقة الى منازل صحية نموذجية ، وقد أنشئت فيها استراحة مدنية فسيحة تشتمل على قاعة لعرض الأفلام السينمائية ، وصالة للرقص ، وحجرات للقراءة والاطلاع ، ومحطة للإذاعة ، وعيادة طبية ، وملاعب رياضية للأطفال ، واحتفل بافتتاح هذه الاستراحة عام ١٩٤٨ . ومن هذا يتضح أن أعمال التعمير والتنظيم سائرة في طريقها الى هذا الجانب من الجزيرة الذي تحسنت أحواله الى حد كبير .

الحدائق الاستوائية

والأرض المرجانية الجديدة

تتفرع من مدينة زنجبار طرق تربط أجزاء الجزيرة بعضها ببعض ، وتمتد الطرق المرصوفة على طول الجزيرة البالغ ٥٥ ميلا ومحاذية لها . كما تخترق الطرق وسط الجزيرة الى الساحل الشرقي حيث تصل الى قرية « تشواكا » كما يخترق طريق آخر يبدأ من جنوبي العاصمة حيث ينتهي بقرية « رأس فمبا » وعلى سواحلها وجد الصوريون القدماء الأصداف

كتابة بالخط الكوفي محفورة في محرابه،
تحدد زمن انشائه ، والمعتقد أن
الشيرازيين القدامى أو المستوطنين من
الخليج الفارسي هم الذين قاموا ببنائه.

جامعو جوز الهند

يتسلقون أشجاره كالضفادع

وفي أثناء تجوالى في أنحاء الجزيرة
قابلت جمعا من الناس يتهياون لجمع
ثمار جوز الهند ، بينما يتفيا أصحاب
النخيل ظلاله ، ينتظرون سقوط الثمار
وجمعها ، فعندما تنضج الثمار
يتسلق العمال النخيل ، ويهزونه
لتسقط الثمار ثم يقطعون ما تبقى منها
بسكاكين يحملونها .

ولقد رأيت المواطنين في جزر
المحيط الباسفيكى يتسلقون الأشجار
بمهارة عجيبة ، وسرعة مذهلة ،
مستخدمين الحبال في عمل عروة
لأرجلهم ، تساعدهم على التسلق
بسرعة ، مستعينين بأيديهم ، وهم
يقفزون على جذوع الأشجار كالضفادع
وعندما ينتهى العامل من جمع ثمار
نخلة يصيح بطريقته الخاصة فيسجل
صاحب الكرم له النخلة التى تسلقها
وجمع ثمارها ، وبعد أن تتساقط
الثمار كلها يجمعها العمال ، وينقلونها
على رؤوسهم أو على ظهور الحمير
الى عمال آخرين يقشرونها ويقطعونها.
وبعد أن تزال القشور التى على
الثمار بعد دقها على أوتاد حديدية
مثبتة فى الأرض يشقون الثمار
وينشرونها فى الشمس حتى تجف .

ومعظم الثمار تجفف الآن فى قمائن
« أفران » وهى طريقة أحسن وأضمن
خشية نزول الأمطار واحتجاب

الشمس التى تعسرقل التجفيف
بالطريقة الأولى .

ويأتى جوز الهند فى المحل الثانى فى
الأهمية لجزيرة زنجبار ، كما أن جوز
الهند فى عاصمة زنجبار وفى غيرها
لاتقوم أهميته الاقتصادية على تماره
وحدها ، بل لأن فوائد أشجار جوز
الهند كثيرة متعددة .

فمن أوراقه تصنع السلال
والحصر ، وتغطى سقوف الأكواخ
كما يخمر العصير الموجود داخل الثمرة
ليستخرج منه سائل حلو مسكر ، كما
يمدنا جوز الهند نفسه بالطعام
والزيت ، بينما تستخدم القشور
للوquود ، وتصنع الحبال المتينة من
الألياف .

وفى « ماكو اندتشى » فى طرف
الجزيرة الجنوبي نجح الوطنيون من
قبيلة « الواهاديمى » وهى إحدى
القبائل الوطنية الثلاث فى إقامة مصنع
محلى لعمل الحبال ، كما تقوم
السيدات بقتل ألياف جوز الهند ،
وعمل حبال فى سمك أصابع اليد .
وذلك بلف الأليفساف بأيديهن ،
وتستخدم الحبال فى عمل الأنشطةات
التي تساعد الوطنيين على تسلق
أشجار النخيل ، كما تستخدم الأنواع
المتينة منها فى السفن التجارية .

البحث عن حمار مصبوغ بالحناء

سألنى أحد أصدقائى ذات يوم
قائلا : « ألم تر حمارا مصبوغا
بالحناء ؟ ألم تشاهد صورة
له ؟ » فلما أجبته بالنفى عمل ترتيبه
لمقابلة أحد الوطنيين ممن يملكون مثل

لمشاهدة الرقص ، ووصلنا الى صالة الرقص بعد أن كان الحفل قد بدأ فعلا وبدأ الأوركسترا يدق الحانا هادئة أولا ثم أخذت في الارتفاع تصاحبها دقات الطبول المتعددة الأنواع والأحجام ، وكانت السيدات يلبسن غطاء مزركشا بالريش فوق رؤوسهن ، وعقودا ثقيلة حول أعناقهن ، كما طليت وجوههن بالمساحيق البيضاء وكن يهتزرن ويتميلن ويرقصن على دقات الطبول وأنغام الموسيقى الأفريقية ، وكان بعضهن تمسك بعضها في يدها ، كما كان يسمع رنين الخلاخيل في أرجلهن .

وقد غرست الحراب حول حلقة الرقص دليلا على وجود أرواح شريرة، وعفاريت تتقمص أجساد الراقصات حتى يتميلن ويرقصن ، ويخيل الى بعد ما لاحظته من حماسة في الرقص وافراط في التثني والتمايل ان عفاريت زنجبار كلها كانت حاضرة في الحفل ، تؤدي رسالتها على أكمل وجه .

عن الانجليزية بقلم : ع . م . ع

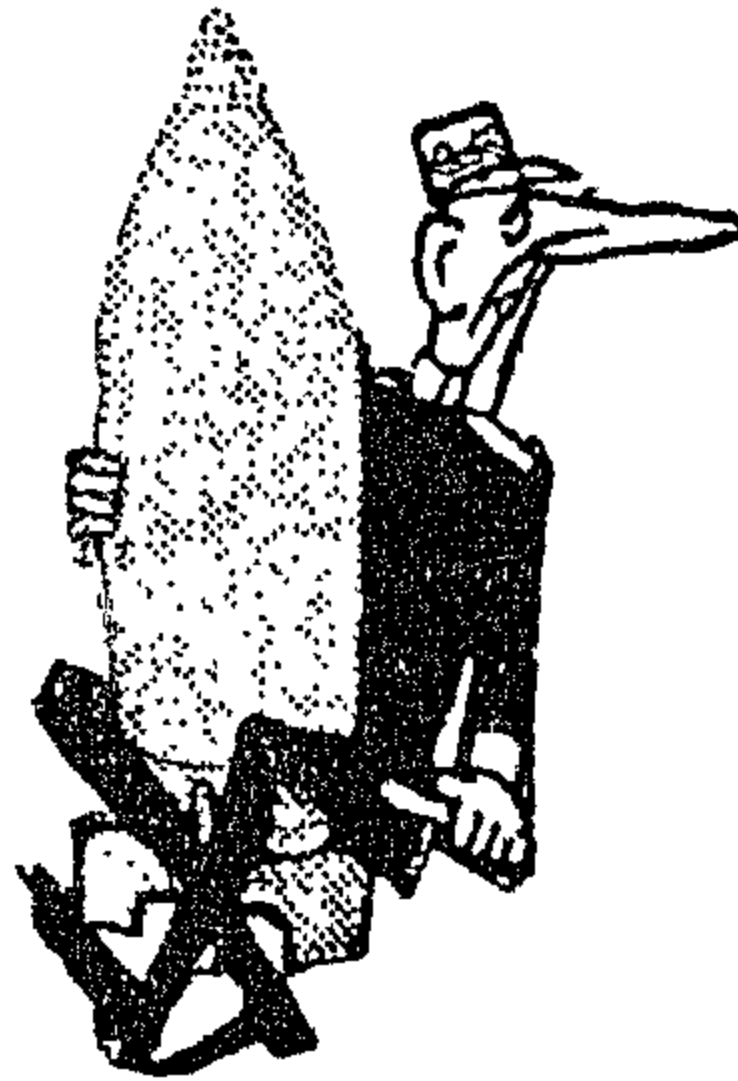
هذا الحمار ، ولقد علمت ان صبغ الحمير بالحناء كانت عادة شائعة في الجزيرة ، ولكنها بدأت في الزوال الآن .

وتطوع أحد الأعراب فأخذنا الى أحد كبار الملاك واسمه الشيخ عزيز ابن عامر ، فاستقبلنا بحفاوة واکرام، وسمح لنا بأخذ صورته راكبا حماره المصبوغ بالحناء ، ثم دعانا الى شرب الشاي معتذرا بأنه شاي متواضع . وبعد أن شربنا شاي ممتازا واكلنا «الكعك» والبسكوت ، وتناولنا القهوة العربية المرة المذاق ، قدم لنا الخدم الحلوى على أطباق ، ثم تبعها جوز الهند ، ولقد اكلنا فوق طاقتنا تحت الحاح مضيفنا ، وعندما تأهبنا للانصراف دعانا الى العودة الى زيارته لتناول الطعام معه ، وليس لمجرد شرب فنجان من الشاي !

أهالي زنجبار يرقصون

على دقات الطبول المثيرة

ودعاني عمدة زنجبار ليلة مغادرتي لها الى الذهاب معه الى إحدى الحدائق



اللغة السواحيلية

للاستاذ محمد جلال عباس

مقدمة

البانتوية بعضها البعض الآخر من جهة وباللغة العربية من جهة أخرى ، ومن أهم خواص اللغة السواحيلية أنها لغة طابع بانتوى صرف ودخلها الكثير من الألفاظ العربية ، وقد انصهرت هذه الألفاظ فيها وتعديل بعضها لدرجة أبعدته عن الأصل العربى ، فمن وجهة النظر الفيلولوجية يمكن وصف اللغة السواحيلية بأنها لغة بانتوية فى قواعدها ، غير أنها فقدت بعض الخصائص الصوتية لهذه المجموعة لكى تتلاءم مع الألفاظ العربية الكثيرة التى دخلتها ، وعلى ذلك لا يمكن أن نعتبر اللغة السواحيلية لغة مختلطة لأنها لم تأخذ من اللغة السواحيلية العربية سوى الألفاظ .

ولكن يمكن القول بأنها مركب لغوى من أصل بانتوى افريقى مطعم أو ممزوج بألفاظ عربية .

واللسواحيلية ثلاث لهجات معروفة هى :

١ - لهجة ممباسا وتعرف باسم « كمفيتا » Kimvita وتنتشر فى المناطق الساحلية فى كينيا .

٢ - لهجة زنجبار وتعرف باسم « كيونجوجا » Kungoga ، وهى أوسع انتشارا من اللهجة السابقة اذ تشمل جميع مناطق الساحل فى تنجانيقا وجهات شرق افريقية الداخلية .

اللغة السواحيلية هى اكثر اللغات انتشارا فى شرق افريقية ، وذلك ائد على الرغم من وجود لغات متعددة فى شرق افريقية مثل اللغات البانتوية واللغات النيلية الحامية واللفات النياوتية الا أن معظم سكان شرق افريقية وبخاصة فى المناطق الساحلية والمدن الرئيسية يعرفون اللغة السواحيلية الى جانب لغاتهم الأصلية ، وتمتد المنطقة التى تتكلم اللغة السواحيلية كلغة رئيسية فتشمل زنجبار والمناطق الساحلية فى كينيا وتنجانيقا ، وتمتد فى الداخل حتى المناطق الشرقية من حوض الكنفو غير أن درجة انتشارها تقل تدريجيا كلما بعدنا عن الساحل ، من موطنها الأصلى ، واتجهنا غربا الى المناطق الداخلية .

أصل اللغة وخصائصها :

وهناك اختلاف فى الراى حول أصل اللغة السواحيلية ، فىرى البعض أنها كانت أصلا لغة احدى القبائل التى كانت تحتل الجزر المواجهة لزنجبار من ساحل شرق افريقية ، ويرى البعض الآخر انها لا ترجع الى لغة قبيلة بعينها ، ولكنها نمت كلغة للتجارة فى مراكز استيطان العرب نتيجة لاختلاط عدد من اللهجات

عامة ، ومن ثم انتشرت بين الكثير من سكان منطقة شرق افريقية .

٤ - طبيعة اللغة السواحيلية التي تتميز باحتوائها على خواص اللغات البانتوية الى جانب الألفاظ العربية جعل تعلمها أمرا سهلا على العرب المهاجرين للعمل في شرق افريقية ، وكذلك على قبائل هذه المنطقة وخاصة البانتوية منها .

التراث الأدبي للغة السواحيلية :

السواحيلية من أقدم اللغات الافريقية المكتوبة ، وقد كانت الحروف العربية تستخدم في كتابتها ، ولا يزال بعض سكان المناطق الساحلية يتمسكون باستخدام الحروف العربية في كتاباتهم على الرغم من أن السلطات الاستعمارية بذلت كل الجهود لنشر كتابتها بالحروف اللاتينية .

وللغة السواحيلية تراث أدبي من الشعر والنثر والقصص المكتوب بل تفسير القرآن والحديث ومما ساعد على ذلك انتشار اللغة السواحيلية بين العرب الذين طبعوا في بيئتهم الأصلية على قرض الشعر وقول النثر ، فلما تبناوا هذه اللغة انعكست طباعهم الأدبية عليها ، هذا فضلا عن أن العرب كانوا الى جانب عملهم في التجارة يعملون على نشر الدين الاسلامي الأمر الذي دفعهم الى تفسير القرآن والحديث باللغة التي يتكلمون بها مع السكان الأصليين .

موقف السلطات الاستعمارية من

اللغة السواحيلية

للانجليز سياستهم الخاصة التي يتبعونها لنشر لغتهم في مناطق المستعمرات ، وتتلخص هذه السياسة

٣ - لهجة الغرب وتعرف باسم « كنجوانا » Kingwana وتنتشر في منطقة حدود الكنفو الشرقية ، غير أن هذه اللهجة نظرا لبعد مناطقها عن الموطن الأصلي للغة السواحيلية قد حدثت فيها بعض التغيرات التي أبعدتها عن خواص اللغة الأصلية .

انتشار اللغة السواحيلية

يقدر المتكلمون باللغة السواحيلية في مؤلفات الانجليز بنحو سبعة ملايين ، غير أن هذا التقدير لا يمثل الواقع ، لأن المتكلمين باللغة السواحيلية في الحقيقة أكثر من ذلك بكثير ، وقد يبلغ عددهم نحو عشرين مليوناً ، ويرجع الانتشار الواسع للغة السواحيلية الى أسباب عدة أهمها :

١ - عدم اقتصار المتكلمين بها على العناصر السواحيلية التي تسكن المنطقة الساحلية وإنما يتكلمها أيضا جميع العرب والهنود والباكستانيين والجاويين والملايويين ممن يعملون في التجارة وبعض المهن الأخرى ، وينتشرون في كل أنحاء شرق افريقية .

٢ - وقد تبناها العرب بحيث أصبحت لغة التفاهم العامة في الأسواق التجارية خاصة وأن العرب كانوا في وقت من الأوقات يحتكرون التجارة في الأسواق ولا يزال أكثر تجار التجزئة في الوقت الحاضر منهم .

٣ - تعدد اللغات القبلية وصعوبة التفاهم بين القبائل بلغاتهم الأصلية مما أدى الى شعور هذه القبائل جميعها بالحاجة الملحة الى لغة عامة تمكنهم من التفاهم فيما بينهم وساعد ذلك على تقبل اللغة السواحيلية كلغة

في البدء بأحياء اللغات المحلية وبخاصة في المناطق التي لها صلات بالعالم العربي أو الاسلامي لكي يقفوا انتشار اللغة العربية ، ثم تنبع ذلك مرحلة ادخال اللغة الانجليزية واحلالها محل اللغات المحلية تدريجيا ، مع العناية بتكوين طبقة المثقفين التي تعد خصبيا لشغل الوظائف في الادارات الحكومية ومكاتب الشركات التي تعمل في ميسادين الاستغلال الاقتصادي المختلفة في المستعمرات ، ثم تلغى اللغات المحلية نهائيا من مرحلة التعليم الابتدائي أو الأولى لتحل محلها اللغة الانجليزية ولقد اتبعت هذه السياسة في شرق افريقية ، اذ أن الانجليز منذ أن بسطوا سلطانهم على مناطق شرق افريقية وجدوا أن اللغة العربية تنتشر مع انتشار الاسلام وتزايد عدد العرب المهاجرين الى هذه المناطق ، فرأوا أن وسيلة وقف هذا التيار الجارف هو احياء اللغة السواحيلية لشغل الناس وصرفهم بها عن اللغة العربية - فأدخلت السواحيلية في التعليم ، وأصبح محتما على كل من يعمل في احدى الوظائف الحكومية أن يعرف اللغة السواحيلية لأنها اللغة الرسمية الثانية بعد اللغة الانجليزية في كل من كينيا وزنجبار وتنجانيقا فيما بعد الحرب العالمية الأولى .

وأدركت السلطات الاستعمارية أن كتابة السواحيلية بالحروف العربية أمر يوثق ارتباطها بهذه اللغة ، فأوحت الى بعض الموالين لها بالدعوة الى كتابة السواحيلية بالحروف اللاتينية وانتهى نشاط الدعاة لذلك الى تشكيل لجنة باسم Inter - Territorial Conguance سنة ١٩٣٢ لكي تضع الأسس والقواعد لكتابة اللغة السواحيلية بالحروف اللاتينية ، وقد

اعترفت الحكومات رسميا بهذه اللجنة منذ سنة ١٩٤٨ وتبنت السلطات الحكومية هناك تنفيذ قرارات هذه اللجنة التي تقضى بطبع الكتب في مختلف فروع العلوم والآداب وخاصة الكتب المدرسية بالسواحيلية الحديثة وقد أوكل الى مكتب شرق افريقية للنشر «East African Literature Bureau» طبع هذه المؤلفات والكتب

كما نشط هذا المكتب في تشجيع الكتاب على التأليف بهذه اللغة عن طريق الاعلان عن مسابقات للكتابة في مختلف الميادين العلمية والأدبية .

والى جانب كل هذا النشاط أدخلت السواحيلية كلفة تعليم في المرحلة الابتدائية فقط .

غير أن هذه السياسة لم توصل الى الهدف الأساسي لها وهو اخلاء الجو للغة الانجليزية اذ ترتب على العناية باللغة السواحيلية أن اللغة قد قويت وازداد انتشارها واشتد تمسك أهلها بها ، كما أن اقبال المسلمين في شرق افريقية على اللغة العربية لم يقل وان قلت فرص تعلمها ، وكانت النتيجة النهائية أن لم يقض على أثر اللغة العربية كما أن فرص انتشار الانجليزية قد ضعفت .

وفي سنة ١٩٥٣ وصلت الى شرق افريقية بعثة ملكية من لندن East African High Commission وكانت نظم التعليم من بين الموضوعات التي درستها البعثة ونظرت في المشكلات المتعلقة بها ، وقد أدركت هذه البعثة خطورة حصص اللغة السواحيلية والحصص القرآنية على مستقبل اللغة الانجليزية هناك ، ولذلك قررت أن هذه الحصص تعتبر مضيعة للوقت

والمجهود . وأوصت فيما أوصت به بأن توضع الخطة لاحتلال اللغة الانجليزية تدريجيا محلها في مدارس زنجبار وكينيا وتنجانيقا ، وأخذت السلطات الاستعمارية في هذه الأقطار في تنفيذ ما أوصت به اللجنة ، فلما أعيد النظر في نظم التعليم في أقطار شرق افريقية وضع نظام الحصص على أن تدرس اللغة السواحيلية واللغة العربية والقرآن في المرحلة الابتدائية فقط وبحيث تقل حصصها تدريجيا كلما ارتفع الفصل الدراسي وتحل محل هذه الحصص حصص اللغة الانجليزية .

ففي زنجبار تخصص عشر حصص للقرآن وتسع للغة السواحيلية في السنة الأولى وتقل تدريجيا هذه الحصص حتى تصبح حصتين في السنة السابعة ، وتحل محلها اللغة الانجليزية وتبدأ من السنة الثالثة الابتدائية بثمان حصص وتزداد حتى تصبح في السنة النهائية اثنتي عشرة حصة . أما في مدارس الساحل في كينيا وتنجانيقا فقد تقرر أن تدرس اللغة الانجليزية من أول سنة في المرحلة الابتدائية فخصص منذ السنة الدراسية الأولى اثنتا عشرة حصة للغة الانجليزية وبجانبها حصتان فقط للسواحيلية وحصتان للقرآن ، وتلغى حصص السواحيلية والقرآن بعد السنة الثانية من المرحلة الابتدائية .

يتضح من ذلك أن السياسة الاستعمارية التي اتبعت نحو اللغة السواحيلية في شرق افريقية تتلخص فيما يلي : -

١ - البدء باحياء اللغة السواحيلية لشغل الأهالي هناك بلغتهم عن اللغة العربية ، وذلك لكي يقف تيار انتشار اللغة العربية .

٢ - قطع الخيط الذي كان يربط أهل السواحيلية باللغة العربية عن طريق كتابتها بالحروف اللاتينية. وقد كانت هذه الخطوات تهدف أساسا الى تهيئة الجو الملائم لنشر اللغة الانجليزية في مناطق شرق افريقية. ومن بين الخطوات التي اتبعت للتسليح التدريجي باللغة الانجليزية بين أهالي شرق افريقية العمل على تطعيم السواحيلية ببعض الألفاظ الانجليزية لايجاد لغة انجليزية مختلطة Pidgin English تعليم السواحيلية في المرحلة الابتدائية مع تقليل حصصها تدريجيا ، واحتلال اللغة الانجليزية محلها كلما ارتفعت الفصول الدراسية، فان السلطات الاستعمارية تهدف من وراء هذه الخطوة الأخيرة الى خداع الأهالي باظهار الاهتمام بلغتهم في احدى مراحل التعليم وفي نفس الوقت يضعفون اللغة الوطنية لكيلا تصبح منافسا قويا للغة الانجليزية .

وعلى الرغم من المجهودات الكبيرة التي تبذلها السلطات في هذا المجال فان الأفريقيين مازالوا يعتبرون الانجليزية لغة غريبة عنهم وهم متمسكون باللغة السواحيلية لغة أجدادهم تمسكا شديدا ، كما أنهم يقبلون على اللغة العربية التي يطلقون عليها اسم (زباني قرآني) أي لسان القرآن لأنها لغة الاسلام دينهم . ولئن استطاع المستعمر أن ينجح في فرض لغته على المصالح الحكومية وعلى بعض المعاملات المدنية فإنه لن ينجح في صرف السكان عن لغة أجدادهم أو لغة دينهم، ولئن انتشرت اللغة الانجليزية في هذه المستعمرات فإنها لن تبقى بل ستمحوها الشعوب بمجرد تخلصها من الاستعمار .

الرحالة العرب في افريقية

للدكتور حفنى شرف

تاريخ شرق افريقية. وهم وان كانوا قد قرأوا عنه في تاريخ البطالسة الا انهم كشفوه عمليا . وأثبتوا ان النيل ينبع منه . كما أنهم لم يتوغلوا في الحبشة وان كانت أكبر دولة في شرق افريقية لوعورة جبالها اذ يبلغ ارتفاعها (٢٥٠٠) متر تقريبا .

وقد كان الرحالة العرب في سدام دائم مع المنافسين من الرحالة الهنود، ولذلك فضل العرب ان يخلوا لهم جنوب افريقية ورضوا من ذلك بالاياب . وأنا أرجح ان سبب رجوع الرحالة العرب عن التوغل في جنوب افريقية هو رداءة الملاحة والجو هناك ، ولذلك وقفوا برحلاتهم عند شمال نيجيريا ، لأن الطبيعة كانت لا تسمح لهم بالبقاء هناك لقساوتها وسوء مناخها ، وكثرة أمراضها حتى ذكر مؤرخو العصر الحديث في كتبهم « أن خليج غانا مقبرة الرجل الأبيض » . ونشأ في جنوب افريقية العنصر البويرى الذى تكون من السكان الأصليين والزنوج ، والنازحين من الهنود ، وكان لهذا العنصر الناتج أثر كبير في حرب الانجليز وارغامهم على اعطاء اتحاد جنوب افريقية استقلاله . وكان اهتمام الرحالة العرب موجهها

اتسعت رقعة الفتوحات الاسلامية، وامتد ملك العرب ، وانبسطت امبراطوريتهم من حدود الهند شرقا الى المحيط الأطلسى غربا ، ومن آسيا الوسطى وجبال القوقاز شمالا الى صحارى افريقية جنوبا .

وأتيح للرحالة العرب أن يحرزوا قصب السبق في الكشف برحلاتهم الكثيرة التى كانت تشجع عليها طبيعة الدين ، فأفادت بذلك علماء أوروبا ، وأوقفتهم على كثير من معالم أجزاء العالم التى كانوا يجهلون بها . فانتشار الاسلام ، وتطبيق الشريعة الاسلامية لابد لهما من دراسة البلاد وطرقها وتجارتها ومصايرها ، والرحالة العرب قاموا بالدراسة العملية قديما التى قامت مقام الدراسة العلمية التى نسير عليها الآن .

والرحالة العرب وجهوا اهتمامهم فى رحلاتهم الكشفية فى افريقية الى الركن الشرقى المطل على المحيط الهندى ، وذلك لقرب هذه البلاد من الجزيرة العربية وانتشار الاسلام فيها، كما ان الغنى الوفير فى المواد الغذائية الذى كانت تتمتع به المنطقة من أكبر الدوافع على اقتحامها والرحلات اليها .

والرحالة العرب أول من تكلم عن

الى شمال افريقية ليكتشفوا ويؤرخوا
ويدرسوا .

ومن بين هؤلاء الرحالة العرب
« ابن بطوطة » .

الذى ولد في طنجة سنة ٧٠٣
(١٣٠٤ م) من أسرة عالية أتيحت
الفرص لكثير من أبنائها أن يتولوا
القضاء ، ويمتازوا بالنبوغ في مختلف
العلوم ، وبخاصة الشرعية منها .

وابن بطوطة من بين هذه الأسرة
شغف بالرحلات فكان من أعظم الرحالة
العرب قاطبة ، وأكثرهم جولانا ،
وأوفرهم نشاطا واستيعابا للأخبار ،
وأشدهم عناية بالحديث عن الحياة
الاجتماعية والاقتصادية في البلاد التي
يحل بها ويتحدث عنها ، كما يمتاز
من بينهم بالمغامرة وحب الاستطلاع،
والرغبة في الاستمتاع بالمشاهدات
المختلفة ، واضطراب المؤرخين في
تاريخه يرجع الى عدم تدوين رحلته
والحذف والزيادة التي فعلها ابن
جزى الكلبى فيها ، لأن ذلك دعا بعض
الناس الى الشك في وصول ابن
بطوطة الى الصين ، وان كان هذا
لا ينقص من شأن الرحالة العربى ،
وكفاه فخرا ما أوضحه من الظواهر
أو النظم الاجتماعية والاقتصادية التي
نظنها جديدة في عصرنا الحديث .

فارق ابن بطوطة وطنه ومسقط
رأسه ، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة
تاركا وراءه والديه وأحبابه ورفاقه،
مؤثرا الرحلة ، مفضلا البحث والاطلاع
فسار الى الحجاز وتلك كانت أولى
رحلاته وأشار الى ذلك بقوله : « كان
خروجى من طنجة مسقط رأسى في
يوم الخميس الثانى من شهر رجب

الفرد عام خمسة وعشرين وسبعمائة،
معتمدا حج بيت الله الحرام وزيارة
قبر الرسول - عليه الصلاة والسلام -
منفردا عن رفيق آنس بصحبته ،
وركب أكون في في جمالته ، لباعث
على النفس شديد العزائم ، وشوق
الى تلك المعاهد الشريفة ، فحزمت
أمرى على هجر الأحباب من الإناث
والذكور ، وفارقت وطنى مفارقة
الطيور للوكور ، وكان والدائى بقاء
الحياة ، فتحملت لبعدهما وصبا ،
ولقيت كما لقيا من الفراق نصبا »

والذى لاحظته على رحلته هذه
أنه لم يقصد بيت الله كما يقول ، بل
كان يريد الطواف بكثير من البلاد ، وذلك
الذى كان ، فمر ببلاد المغرب - تونس
والجزائر وطرابلس ، ولم يسلك طريقا
آمنا كل الآمان ، ثم واصل رحلته الى
الاسكندرية ومر بدمياط ، وعرج على
القاهرة والتقى ببعض علمائها ، ووصف
ما شاهده وصفا موجزا ، وذكر شيئا
من أخلاق المصريين ، وميزهم بالطرب
واللهو والسرور ، ثم رحل الى عيذاب
ثم وقف في رحلته وقفل راجعا الى
الفسطاط لثورة قامت ضد السلطان
الناصر المملوكى ، ثم اتجه بركبه الى
فلسطين وسورية ولبنان ، وهنا أطل
وصف تلك البلاد ، وأبان عن فضائل
أهلها ، وحرفهم التى يحترفونها ،
وزراعتهم التى يزرعونها .

ولم ينس في الوقت نفسه أن يذكر
خصوصياته ، فقال : « ووقع بينى
وبين صهرى مشاجرة أوجبت فراق
بنته ، وتزوجت بنتا لبعض طلبه
« فاس » ، وبنيت بها ، وأولمت وليمة
حبست لها الراكب يوما وأطعمتهم » .

أدى ابن بطوطة مناسك الحج ، وعاد من أرض الحجاز من طريق غير الذى ذهب منه ، فمر بالعراق ، وعرج على واسط والبصرة والكوفة وبغداد ، وزار تستر ، واصبهان ، وشيراز ، وكازرون من مدن غرب إيران .

وقد دفع ابن بطوطة شوقه الى الاطلاع وحنينه الى الطواف أن يرى غرب افريقية « السودان الغربى » ففكر أن يقوم برحلة ليزور مدن السودان الغربى ، ويطلع على أحوال المسلمين فيه ، وكانت هذه الرحلة الثالثة من رحلاته - وهى المقصودة من هذا المقال - وكان بدء رحلته فى أول سنة ٧٥٣ هـ الموافق فبراير سنة ١٣٥٢ حيث انضم الى جماعة من التجار من أهل سجلماسة التى اعتبرها من أحسن المدن ، وشبهها بالبصرة لكثرة التمر فيها ، ثم انطلق الركب عبر الصحراء الكبرى الى مدينة « تغازى » (١) التى نزل بها الرحالة ومن معه بعد خمسة وعشرين يوما من قيام الرحلة ، ثم وصف مدينة « تغازى » بأنها مدينة بنيت بيوتها ومساجدها من حجر الملح وسقوفها من جلود الجمال ، لا شجر فيها ، والماء بها قليل ، وأرضها رمالية ، ويوجد فيها معدن الملح يحفر عليه فى الأرض ، فيوجد ألواحاً متراسة كأنها نحتت بيد فاعل ، ووضعت تحت الأرض ولضخامتها يحمل الجمل منها اثنين فقط . كما وجد الناس يتعاملون بالملح كما نتعامل نحن اليوم بالذهب والفضة .

(١) تغازى بفتح التاء والغين وزاى مفتوحة، مدينة لآخر فيها .

ثم اتجهت الرحلة الى بلدة «تاسهلا» (٢) وفيها قبيلة تسمى «مسوفة» يحترف أبناؤها التكشيف - عيون القوافل المسافرة - تكترى القافلة التى تود السفر الى بلدة «أيولاتن» دليلا من هذه القبيلة تحمله كتابا الى معرفة أو صديق فى «أيولاتن» يخبره بقدوم القافلة ليقابلها بالماء فى الطريق من مسيرة أربعة أيام، يستأجر لها الدور لتنزل فيها وإذا لم يصل الدليل أو هلك فى الصحراء ولم يقابل أحد الرحلة هلكت أو هلك أكثرها لطول المسافة وحرارة الطريق وقلة الماء فيه .

وذكر الرحالة ابن بطوطة أن دليل رحلته الى «أيولاتن» كان ، مع مرض فى إحدى عينيه ، أعرف الناس بالطريق ، ومع ذلك لاقى الرحالة كثيرا من المشاق فى هذه الرحلة ، لشدة الحر وكثرة الأوبئة فى الصحراء ، مما اضطر القافلة الى السير ليلا والوقوف نهارا . وصل ابن بطوطة الى «أيولاتن» بعد شهرين من بدء الرحلة ، وقال عنها : انها أول أقاليم مملكة السودان الشمالى ، ثم وصف أهلها ، وأبان صلتهم بمصر ، وانهم يستوردون ملابسهم منها ، وأن أهلها سود البشرة جدا ، ولذلك يكرهون بيض الوجوه اعتقادا منهم أنهم لم ينضجوا بعد . ونساءؤهم جميلات يختلطن بالرجال - ولا حرج فى ذلك ، وان كان الرحالة قد تعجب من هذا الاختلاط ومن مركز المرأة هناك فقال : «وشأن هؤلاء القوم

(٢) تاسهلا بفتح التاء والسين وسكون الهاء ، مدينة تنزل بها القوافل أياما للراحة .

عجيب وامرهم غريب ، فأما رجالهم فلا ينتسب أحدهم الى أبيه بل ينتسب الى خاله ، ولا يرث الرجل الا أبناء اخته دون بنيه .. وأما هؤلاء فهم مسلمون محافظون على الصلاة ، وتعلم الفقه وحفظ القرآن .

ثم كشف لنا عن مركز المرأة في الأسرة وشخصيتها بجانب زوجها ، واختلاط الجنسين فقال : « وأما نساؤهم فلا يحتشمن من الرجال ، ولا يحتجبن مع مواظبتهم على الصلاة ، ومن أراد التزوج منهن تزوج ، ولكنهن لا يسافرن مع الزوج ولو أرادت أحدهن ذلك لمنعهن أهلها .

ولا شك أن هذا القدر من الحرية التي للمرأة ، لم تظفر به في أى مكان آخر .

يقيم ابن بطوطة وجهه شطر « مالى » وهي إحدى مدن الجنوب الواقعة على بعد مسيرة أربعة وعشرين يوما من « ايالاتن » مارا بطريق كله أشجار ضخمة تستظل القوافل بظلها ، ويخترن ماء المطر بداخلها ، ويسكن في بعضها النحل فيكون منه العسل الكثير الذى يأكل منه الناس ، ومما لفت نظر الرحالة في هذا الطريق رؤيته بعض النساجين ينسج الثياب داخل هذه الأشجار ، ومن أشهر زراعتهم نبات القرع فانه يعظم عندهم جدا . ويكفى المسافر في هذا الطريق أن يحمل معه قطع الملح والخرز والعطر والأشياء التى يتعامل بها لأنه سيجد في الطريق كل ما يحتاجه فيشتريه .

ثم واصل رحلته حتى وصل الى

بلدة « زاغزى » (١) فوجد أهلها يحترفون التجارة ، ووجد منهم جماعة تذهب مذهب الاباضية من الخوارج ، وجماعة تذهب مذهب مالك رحمه الله . ثم اتجه الى نهر النيجر ، وهناك التقى بمدينة « كارمخو » (٢) ، وسار مع هذا فوجده ينحدر الى بلدة « كابره » ثم بلدة « زاغه » ووجد أن أهلها يحترفون الزراعة ، وهم مسلمون متعصبون لاسلامهم مقبلون على طلب العلم وحفظ القرآن ، والمنطقة التى توجد فيها بلدة « زاغه » مقر لمملكة تكرور التى كانت أول معقل للاسلام ، ودعا هذا الاكتشاف الرحالة ابن بطوطة الى الاعتقاد بأن النيل « النيجر » ينحدر من « تمبكتو » الى بلدة « كوكو » ثم يسير الى بلدة « يوفى » ثم ينحدر الى بلاد النوبة ، ولعل الدافع الى هذا الاعتقاد هو وجود نهر الغزال ، وظل هذا الاعتقاد حتى كشف أخيرا الدكتور الطبيب البريطانى منجو بارك Mango Barke حوض النيجر سنة ٧٩٥

ثم رحل ابن بطوطة الى بلدة « مولى » (٤) ودرس أخلاق أهلها ، والتقى بسلطان مملكة « مالى » وعرف نظام حكمه في مملكته الذى كان من أهمه

(١) زاغزى بفتح الزاى والغين تم كسر الزاى الثانية : قرية كبيرة يسكنها معظم تجار السودان ، وهي من أهم مدنه .

(٢) كارمخو بفتح الكاف والميم وراء ساكنة وخاء مضمومة ، قرية على نهر النيجر ، وينحدر منها الى كابره .

(٣) الرحالة المسلمون في العصور الوسطى : ١٦٨ .

(٤) مولى بضم الميم وكسر اللام وهي آخر بلاد مملكة مالى .

انه لا يمكن دخول مملكته الا باذن خاص منه ، كما عرف أن من ابرز صفاته الشج ، واكتشف في هذه المملكة جالية مصرية من أشهر رجالها تاجر يدعى شمس الدين المصرى كما انه عولج من مرض ألم به في هذه المملكة على يد طبيب مصرى ، كما كانت لغة السكان الأصليين غير العربية ، أما العرب والبربر المقيمون في هذه المملكة فكانت لغتهم العربية ، ولذلك تعلموا لغة البلاد .

ومن أهم مميزات الحكم في هذه البلاد أيضا العدل الشامل والأمن المستتب ، والبعد عن الظلم ولذلك عاش أهلها في أمان واطمئنان ، لا يخشى المسافر فيها أو المقيم سارقا أو غاصبا . كما لاحظ الرحالة عناية أهل هذه المملكة بحفظ القرآن، بل وجدهم يجعلون القيد في أرجل أبنائهم حتى يحفظوا القرآن ، ولذلك يقول : « ولقد دخلت على القاضى يوم العيد وأولاده مقيدون فقلت : الا تفرج عنهم في هذا اليوم ، فقال : لا تفك قيودهم حتى يحفظوا القرآن » ويقول : « ومررت يوما بشاب منهم حسن الصورة عليه ثياب فاخرة ، وفي رجله قيد ثقيل ، فقلت لمن كان معى : ما فعل هذا ؟ اقتل ؟ ففهم عنى الشاب وضحك ، وقال : انما قيد حتى يحفظ القرآن » وبقيت هذه العادة متفشية في هذه البلاد الى عهد قريب جدا ، حتى كان من مؤهلات الرجل الأولى عند التأهيل بزوجه أن يكون حافظا للقرآن ، ثم يسأل عن بقية الشروط الأخرى التى تشترط في الزوج الكامل،

ولذلك كانت الصفة الغالبة على سكان هذه المملكة رجالا ونساء حفظ القرآن، الى أن جاء الاستعمار وسيطر على معظم غرب افريقية ، فأهمل القرآن واستبدل بلغة الاستعمار .

كما لاحظ عليهم المحافظة على الصلاة وتأديتها في أوقاتها . وضربهم أولادهم على تركها ، ولا بد أن تكون غالبا في جماعة ، وفي ثياب بيض نظيفة ، حتى أن الواحد منهم اذا لم يجد الا ثوبه الفريد المهلهل خلعه وغسله غسلا جيدا حتى يعيد اليه بياضه .

ولما كان الرحالة آخذا في تسجيل عاداتهم لم ينس ما لم يعجبه منها ، فذكر أن من العادات التى تعجبه ظهور الخدم والجوارى والبنيات عرايا ، وخاصة في شهر رمضان ، كما لاحظ عليهم التلطح بالرماد والتراب عند الحزن والخضوع .

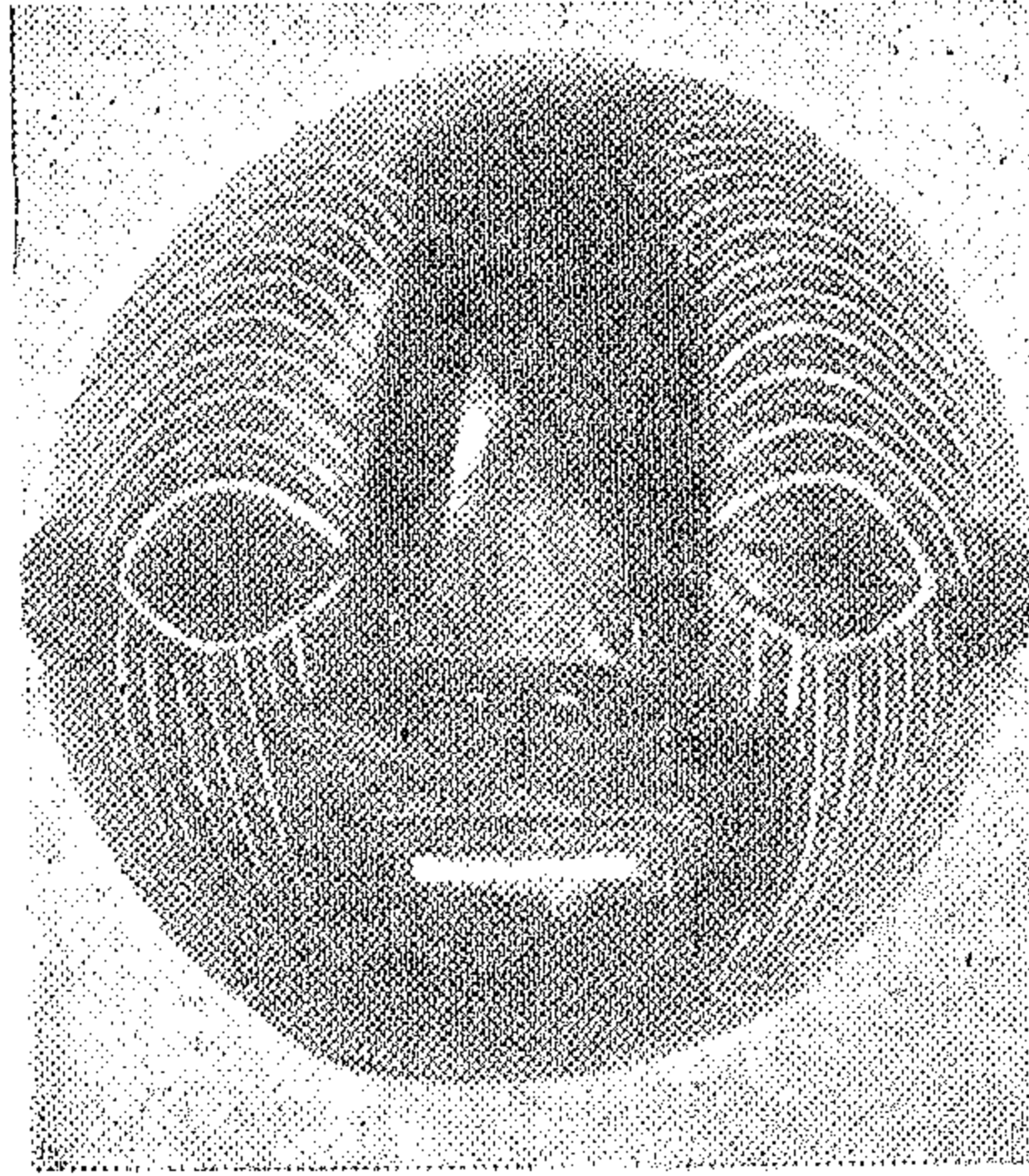
ثم اتجه شرقا في الصحراء الكبرى حتى التقى ببلدة « تنبكتو » ومنها ركب النهر في قارب منحوت من خشبة واحدة ، وكان ينزل هو ومن معه الى القرى المنتشرة على الشاطئ ليتزودوا بالزاد ، فنزل في قصرية « كوكو » و « بردامة » ، ولاحظ على الأخيرة أن سكانها من البربر وبها تنزل القوافل، ثم واصل السير الى بلدة « تكدا » فوجد فيها المنازل المبنية بالحجارة الحمراء ، وماءها يجرى على معدن النحاس فيتغير طعمه ولونه ، ووجد أهلها يحترفون التجارة ويستوردون أكثرها من مصر ، ويعيشون في بحبوحة من العيش ، وزراعتهم قليلة ، كما

« دهكار » وتقابل مع سكانها وهم طائفة من البربر يعيشون على التجارة وقليل من الزراعة ، ثم واصل سيره حتى وصل الى بلدة « بوط » وهى من أكبر مدن « ترات » . ثم سار منها حتى وصل « سجلماسه » ومنها الى فاس ، وفيها ألقى عصا التسيار ، وانتهت جولته في غرب افريقية .

ومما لا شك فيه أن الرحالة ابن بطوطة أوقفنا على كثير من معالم هذه البلاد الكثيرة التى مر بها أو نزل فيها ، فعرفنا حياة أهلها الاجتماعية والاقتصادية ، ونظم الحكم عندهم ، والحركة التجارية وطرق القوافل فى بلادهم وحسن المعاملة بين الرئيس والمرءوس ، وانتشار العدل بين ربوع البلاد ، كما كشفت لنا هذه الرحلة عن حب الرحالة المغامرة والكشف ، وارتكاب المخاطر فى سبيل الوصول الى معالم جديدة فى بلاد تربطنا بها صلات كثيرة .

أن العملة تختلف فيها عن غيرها من البلاد فبينما غيرها يتعامل بالمالح يتعامل أهلها بالنحاس الذى يوجد عندهم بكثرة فكانوا يسبكونه على هيئة أعمدة بعضها رقيق والآخر غليظ يشتررون بالرقيق منها الطعام والشراب ، وبالغليظ الحيوانات والعبيد الذين كانت كثرتهم موضع التفاخر والتباهى .

عاود ابن بطوطة الحنين الى فاس ومن فيها ، لأنه تركها مدة تقرب من السنتين فعزم على الرحيل ، ولكنه كعادته لم يعد من الطريق الذى أتى منه ، فمر فى ايايه ببلدة « كاهر » من بلاد السلطان الكركرى ، ووجد بها كثيرة الأعشاب يعيش أهلها على الرعى ، ثم سار فى طريق برى خمسة عشر يوما حتى التقى ببلدة « توان » ورأى الماء فيها يجرى على الحديد فيتغير لونه ، ثم بعد عشرة أيام من وصوله الى « توان » وصل الى مدينة



الشعر الافريقى بعد الصحراء الكبرى

بقلم الأستاذ عبده بدوى

٤ - افريقية الاستوائية .

٥ - افريقية جنوب افريقية .

وهم يرون أن الثقافة في هذه المناطق تتبع « الخط البارد » وتموت حيث تشتد الحرارة ، وأن الثقافة في أكثر هذه المناطق تتحرك في اطار غربى . وهكذا يرون أنه لا وجود لأى لون من ألوان الثقافة فيما بعد الصحراء الكبرى الافريقية ، وأن الثقافة الموجودة فيها ليست إلا امتدادا للثقافة الفرنسية أو الانجليزية . ومن خصائص المدرسة الثقافية الفرنسية أنها تقوم على الوعى ، والاحساس بالذاتية الافريقية في اطار عام من الأفكار الفرنسية .

أما المدرسة الانجليزية فيغلب عليها طابع المحافظة على التقاليد الافريقية ، ومزجها بالروح الانجليزية ، والثقافة الانجليزية .

فافريقية عندهم في القطاع الذى نتحدث عنه شيء جديد بلا ماض من الثقافة والمعرفة . شيء اكتشفه حديثا التجار ، والمبشرون ، والمكتشفون . وقد تنبه كثير من المؤرخين المنصفين - وأكثرهم من السود - الى هذه المغالطة ، والى ما يختفى وراءها من أغراض سياسية وعنصرية ، وفي مقدمة هؤلاء الأمريكى الأسود الدكتور

اعتقد أن عددا من الكتب العميقة لا يكفى في القاء الضوء على الشعر الافريقى فيما بعد الصحراء الكبرى . ذلك لأن افريقية في هذه الأماكن عالم ضخم . متعدد الثقافة متغير الحياة ، وإن كان يجمع بينها جميعا شعور افريقى موحد رغم العزلة التى فرضت عليها ، ورغم الحدود المفتعلة ، والحواجز السميكة التى كانت تشطر القبيلة الواحدة الى عدة مناطق من النفوذ .

وقد ترتب على هذا أن قسمت افريقية ثقافيا كما قسمت سياسيا ، فالفرنسيون قد قالوا في التقسيم الفكرى ان هناك افريقيتين لا افريقية واحدة . فأولاهما افريقية شمال الصحراء ، وتعتبر جزءا مكملًا لثقافة حوض البحر الأبيض المتوسط ، والشرق الأدنى ، وآسيا ، وثانيهما افريقية ما بعد الصحراء . وتشكل هذا الجزء ثقافة غربية حديثة فالثقافة المحلية هناك ضحلة وغير ضاربة الجذور في أعماق الافريقيين . أما الانجليز فقد قالوا ان هناك خمس افريقيات هى :

١ - افريقية السواحل الشمالية .

٢ - افريقية الصحراء .

٣ - افريقية السوداء .

والقدرة على مواصلة الكفاح والتحرر
بمنجاح» .

وهكذا تؤكد أن افريقية جنوب
الصحراء كانت بها حضارة من أرقى
الحضارات ، وأن القول بأن لبنات
هيكل البعث الافريقى الأدبى مأخوذة
من حجارة أوروبية - كما يدعون -
قول مبالغ فيه فقد عرفت القارة
نفسها فى الماضى كما تعرف نفسها
الآن ، وقد أسهمت فى البناء
الحضارى الانسانى فى الماضى كما
تسهم فيه الآن .

وازاء هذا فقد رأينا الشخصية
الافريقية المعاصرة تتضح ملامحها ،
وتظهر لها خصائصها المميزة بحيث
يمكن القول بأن لها الآن « شعرا
افريقيا » لا أثر فيه لثقافة أجنبية بعد
نكبة التقسيم عمت كل أجزائها ، وأن
كل جزء من القارة بعد الصحراء يترك
ظلاله على الشعر .. ظلاله الافريقية !
.. فالشعر فى « الجنوب » يعتبر
تسجيلا صادقا للحياة القاسية
المضطربة التى يعيشها الافريقيون
هناك . بينما يصرخ فيه
لون حاد هو لون الاضطهاد
والتفرقة العنصرية ، والبكاء على الحياة
الطليقة التى كانوا يتمتعون بها ، والتى
يفتصبون منها عنوة للعمل فى مزارع
البيض ، والمصانع ، والمناجم فى غير
مقابل عادل للمجهود العنيف الذى
يقومون به .

أما الشعر فى « الشرق » فيتلون
بالأحداث السياسية ، والظروف
البيئية . بينما تخفت فيه الحدة
والانفعال ، والشعور بالاضطهاد ،
والتفرقة العنصرية .

«دى بوا» فى كتابه «العالم وافريقية» ،
والدكتور النيجيرى « اونوو كاديكى »
فى موسوعته التاريخية ، ومنهم أيضا
العالم الافريقى الدكتور «دى جرافت
جونسون» الذى أكد فى كتابه «مجد
افريقية» قيام حضارات افريقية ،
وقنون مكملة فى أنحاء القارة . فالقول
بتخلف افريقية شئ لا يستند على
أساس تاريخى لأنه سبق ان ازدهرت
فى القارة ممالك عدة ، ولعلت جامعة
« تمبكتو » ، وامتاز عدد وفير من
القبائل بتنظيمات اجتماعية فى منتهى
الرقى من قبل أن تطأ افريقية أحذية
البيض .

ونحن لا ننسى فى هذا المجال قول
الدكتور كوامى نكرومة « لقد استطاع
أجدادنا منذ قرون طويلة أن يشيدوا
امبراطورية شامخة قبل أن تكون
لبريطانيا أية أهمية فى الوجود ، وقبل
أن تتجمع قبائلها التى كانت متخلفة
فى شعب موحد ، وقد ظلت هذه
الامبراطورية الافريقية قائمة ، ومظلة
بأجواء الحضارة من « تمبكتو » الى
« باماكو » الى شاطئ المحيط .

وقد كان بها العلماء والفقهاء
يحوظهم الاحترام ، والتقدير ، ومن
حواهم شعب « غانة » رافلا فى أثواب
المخمل والحريز ، يصوغ أفانين الذهب ،
والجواهر ، والفضة ، والنجاس كما
كانت تبسح أناملهم أروع أنواع
النسيج .

وهذا يجعلنا نزهو باسم « غانة » .
فنحن لا نخجل من ماضينا لأنه يشع
عائنا فخارا . فما أنجزه أجدادنا من
نجاح ، وتقدم اجتماعى يمنحنا الثقة

فاذا انتقلنا الى « الغرب » وجدنا
الشعر هناك مزدهرا كأقوى ما يكون
الازدهار ، ومرتبطا بخطوات الصراع
التي انتهت أخيرا بالحرية في ليبيريا
وغانة ، وغينيا ، ونيجيريا ، وفي الوقت
نفسه لا يكاد يوجد أثر حاد للشعور
البغيض بالفرقة العنصرية - لأن
الشعوب في هذه المنطقة تقاوم .
وتشعر بقيمتها ، وسطحية الرجل
الأبيض ، ومن هنا نراها تستوحى في
شعرها « الفولكلور » وتعزز بكل ما هو
افريقي ، وأشد الناس التصاقا
بالقومية الافريقية ، وأمجادها هم
أولئك الشعراء الذين نزحوا الى
الخارج . ثم عادوا ليلتصقوا تماما
بالواقع الاجتماعي والنفسي لبلادهم .
ومن خصائص هذا الشعر بعامة
ارتباطه بالواقع المر الذي تعيشه هذه
البلاد ، وتصوير ما تلاقيه النفس
الافريقية من عناد في ظل الاستعمار،
ولعل هذه القصيدة التي ساقها
الشاعر على لسان أمه توضح لنا
في خط درامي العذاب النفسي الذي
يلاقيه الكثير من الافريقيين ، والقصيدة
تبدأ هكذا :

« .. وعندما تشرق الشمس فنرسل أشعتها
قنهض أمي العجوز من كوخها القديم
وتتطلع في وجوهنا فلا تجد الا جلدا على عظم
وأن «الرجل الأبيض» امتص دماءنا كالشعبان
وتجد الحقل الذي كان في يدنا في يد الأجنبي
.. وعندما تجد ذلك أمي
تذرف الدمع باردا في الصباح
كانه الندى على دوحة جفت أغصانها

وعند الظهيرة حينما تجد أمي الاناء فارغا
وتنظر الى « الأبيض » فتراهم اصحاء !

بينما خدى تكهف من جلد وعظام
حينما تجد أمي ذلك
يسيل الدمع من مآقيها ساخنا

وعند الغروب حينما تتلفت فلا تجد غطاء
وتسمع وقع أقدام « الأبيض » الناصين !
وتلمح حراهم اللامعة في أفقية الرجال
يعود الدمع فيسيل على خديها
ويصيح الجميع أين بيوتنا ؟ أين وطننا ؟
أين شرفنا ؟ أين كرامتنا ؟
وتندفق الدموع كالسيل على وجوه الجميع

والشاعر الافريقي لا يلون شعره
باليأس ، ولا يصبغه بالحزن ، ولكنه
يفتح في ختام كل قصيدة كوة تتدفق
بالنور ، وبالأمل ، وبالفد :
ونحن نرى هذا واضحا في قصيدة
الشاعر « دافيد ديوب » التي يقول
فيها :

« افريقية يا قارتي
يابلاد المحاربين الأبطال الذين حاربوا
في بلاد الأجداد !
انا لم أعرفك أبدا
ولكن دمك يملأ نظراتي
دمك الأسود يغمر الحقول
دم عرقك
عرق عملك
افريقية حديثي
ان ظهرك المنحنى
والدموع تحت ثقل الخضوع
ترتفع في خطوط حمراء وهي تقول :
« نعم » للسوط الذي يلهبها في الظهيرة
وعندئذ يجيبني صوت حزين
« أين الواد المندفع »
ان الشجرة العملاقة الشابة
الشجرة التي ترقد هناك
وحيدة في فخار بين الأزهار الذابلة
هي افريقية !

افريقيته التي تولد مرة ثانية
تولد من جديد في عناد واصرار
وتكتشف فاكهتها شيئاً فشيئاً
رائحة مرة هي رائحة الحرية
فالحرية لها رائحة مرة !! «

* * *

والشاعر الكاميروني « قامباني »
حينما يصور لنا حيرة الشباب
الافريقي، وفراغه، وضياح روحه في
هذا العصر لا ينسى أن يأمل في نهاية
قصيدته فيقول :

« أنا واحد من شباب بلادي
فقير في الحب
غنى بالتعاسة والبؤس
ووطني وطن شهيد !

وأنا في العشرين من عمري
ولكني مع ذلك فارغ كطفل ولد حديثاً
آه .. أيها الكاميريون التعس
ان شبابك يموتون قبل أن ينضجوا
والأطفال الجوع يصرخون ثم يموتون
وعلى شفاههم دعاء لأمهاتهم اللاتي
يسقطن من فرط الاجهاد
وهن يكبحن في الحقول
اني أخطب من يسخرون مني
فأنا لا أريد أن أظل شاباً مختنقاً
مكتم الفم

أريد أن أصبح شاباً في عمري الحقيقي
شاباً يعيش في العصر الحديث
شاباً من شباب بلادي ! .

* * *

ومع أن هذا هو الحظ الآمل الذي
يلون كل شعرهم ، ويترك قطرات
النور تتساقط على ختام قصائدهم
بحيث نرى شعرهم راقصاً ملوناً .
الا أنا نراهم في بعض الأحيان يجأرون
من الظلم ، ويصرخون من الإهمال .

كما نرى في شعر « أرماتو » الذي يقول
في إحدى قصائده :

« لا أعلم صديقاً للزواج
سوى الأرض ، والسماء ، والعواصف
والأمطار ، والبعوض !
ذلك لأن الأرض تراهم يسقطون كالتراب
ولأن السماء تسمع صراخهم
وتنكر عليهم حقهم !
ولأن العواصف تحمل أناتهم
ولا تستطيع اخفاءها
ولأن الأمطار تمتزج بدموعهم المستمرة
ولأن البعوض لا ينكر ما امتصه من دمهم
.. ليس من شيء صديق للزواج
سوى الأرض ، والسماء ، والعواصف ،
والأمطار ، والبعوض !! «

* * *

والافريقي معتز بافريقيته . شديد
الحفاظ على تراثه . بالرغم من أن النقاد
الأوروبيين يروجون أن الافريقيين
لا يكرهون شيئاً كما يكرهون ماضيهم
لارتباطه بالظلم ، واستبداد الزعماء ،
وجمود التقاليد القبلية ، ولا شك أن
هذه دعوى ظالمة فالافريقي من أشد
الناس تمسكاً بماضيه وتقاليده
ولا تزال الجمعيات التبشيرية
هناك تعسانى من اعتراض
الافريقي بماضيه وتقاليده مالم
تعاليه في قارة أخرى . فقد أقاموا
هناك كنائس تسمى كنائس
« المتنبئين » تستحدث تعاليم جديدة
لها صلة بماضيهم . كما تظهر دعوات
مستمرة لتجديد دياناتهم القديمة في
أطار المسيحية ، ومن أفكارهم هذه
أن « المسيح » أسود البشرة ، وأن
من يمر مجرد مرور بكنائس البيض
يحرم من الجنة ، وأن لحم الخنزير
محرم .

فما يكرهه الافريقى هو التندر
يماضيه ، ومن هنا صاح الشاعر
النيجرى « دينيس اساديهي » فى وجه
هذه الدعوى بقوله :

« ايها الأبيض » لا تحافظ على عاداتى
وتقاليدى . كشيء عجيب مضحك
محاو لا تسلية أبناء جلدتك ! »

ومن مظاهر اعتزاز الافريقى
بافريقيته واعتزازه بلونه ، ويظهر هذا
من قصيدة الشاعر « أرماتو » التى
يقول فيها :

« ان الهنا أسود

أهتفوا بهذا فى الغابات

من التلال الى الأحراش

دعوا العالم يردد هتافكم

ان الهنا أسود

شعره مجعد ، وعيناه بنيتان

وشكله جميل مهيب

خلقنا على صورته ومثاله

ان الهنا أسود

أسود من ظلام الليل الدامس

ومن الفسقى المقيم

والفجر غير المشمس

أعلنوها على العالم أجمع

ان الهنا أسود !! »

كما نرى فى شعرهم تعمقا فى أسرار
الحياة وحبا عميقا للانسانية
وهذه احدى قصائد « جولس من »
أحد شعراء « البانتو » التى يقول فيها:

« يا طفواتى البعيدة

ما زالت هناك حركاتنا ، وملعبنا

وما زال هناك سيرنا على حافة الوديان الجميلة

حيث نصرخ لنسمع صدادنا !

وحيث الأفق يعمق الانتهائية !

فعند شجر الليمون تضىء الى السماء

وأرى أكواخنا تعشش فى حب

بين أشجار الوز المشمسة

النابعة من أرضنا الطيبة

والتي تلتف حول قرانا

وحول النيران التى نوقدها

والنخل الذى يصعد فوقنا

فكل شيء هنا يستقبل الانسان

يستقبل الانسان دائما . دائما !

كم من طريق ضائع يحف بالحياة ؟

كم من طريق هنا يصل الى القلب ؟

فمن مكاننا هنا فى القمم المتوهجة

نشاهد كل شيء . . كل شيء

حتى الخواطر فى النفوس !

ابتها الانسانية المشدوهة من الجمال على الأرض

حيث السماء تظلل الطفولة

هل يمكن ان نعلم أسرار الينابيع

التي عاشت من زمن بعيد

والتي لا تزال تعيش فى عالمنا المضطرب

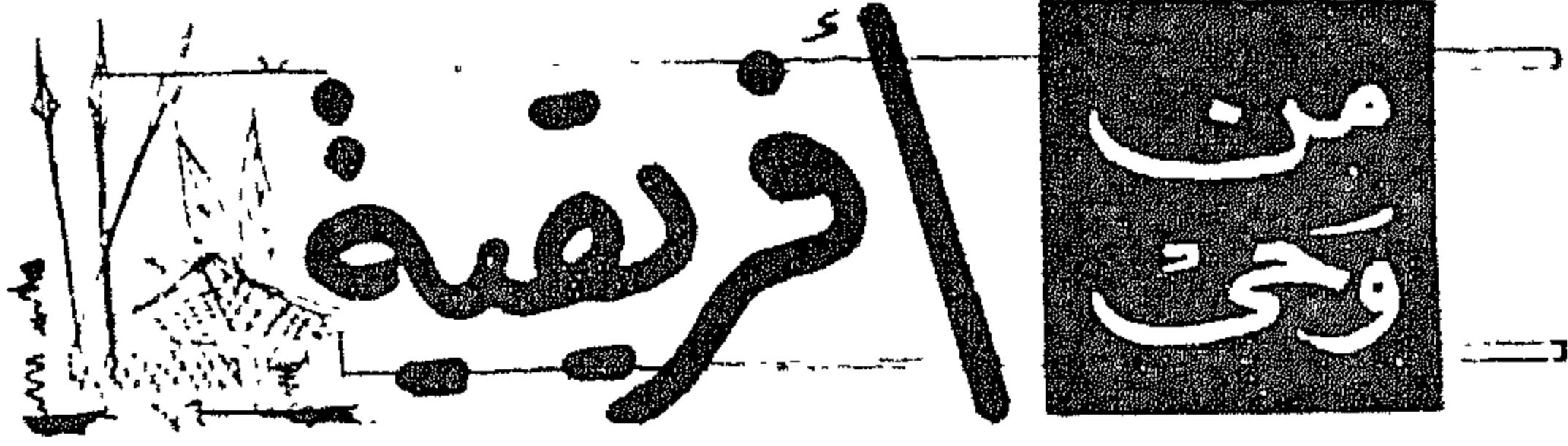
فما زالت على الأرض ظلال

وما زال كل شيء يخدم الانسان

فللإنسان قد خلقت الحياة !

ولا شك اننا نجرد هذا الشعر
من الكثير من خواصه . وبخاصة اذا
علمنا أنه يعتمد اعتمادا يكاد يكون
كليا على النغم العنيف ، والصورة
الزاهية . بحيث يمكن تحويله الى
موسيقى خالصة اذا رفعنا عنه
الصورة ، كما يمكن تحويله الى مراسم
اذا نحينا عنه الموسيقى .

ولعلنا بهذا نكون قد أمطنا اللثام
لأول مرة عن الشعر فى هذه البلاد
التي ترتبط معنا بأكثر من رابطة .



نداء من القارة

للأستاذ سعد دعيبس

أذاعت وكالة الأنباء أن الاستعمار البريطاني رفض أن يفرج
عن البطل الأفريقي ((جومو كينيا)) زعيم ((كينيا)) بعد أن أنهى مدة
العقوبة في سجون الاستعمار .. فإلى هذا البطل الذي تخشاه امبراطورية
وهو أسير في أيدي جلاديه .. ! أهدى هذه القصيدة ! أهدىها إليه
والى شعب ((كينيا)) :

أنا ((ماوماو)) أنا ((كينيا))	أخى فى العالم الحر
يشدد على يدي آسيا	أنا أصرار ((أفريقي))
له يشقى ولا يحيا ..؟	أنا الفرد الذى فى حقـ
ندى ترنو له الدنيا	أنا أنشودة الفجر الـ

* * *

أخى فى الخوف والرعب	أخى فى العالم الحر
كلانا مخلص الذنب	كلانا يصنع الموت
ضحكنا بلا ذنب !	كلانا مدفع يطوى
لانسنان بلا قلب !	كلانا قصة حبرى
ن فى خوف على شعب	كلانا يطلق النيرا
م والأزهار والعشب	على الأنسام والأنفعا
أخى فى الشرق والغرب	أخى فى العالم الحر
دعاة الموت والحرب	أفتى هيا معى حطم

* * *

إذا متنا فلن يبكي
ولن يطعم أطفالنا
ولن يشقى بهم من قنا
ولن أسمع إلا صياحنا

* * *

سيقلدو قبرك المهجـو
ويمضى بعبدك القاتـل
على أشلائك الحـري
وأنت بقبرك العـاري
تعتاق في الدجى صمتنا
صنعت لفيرك النـيرا
وصفت المدفع الجـيا
وماذا بعدما تفنى
أتسمع قول شـيطان
أتسمعه ؟ أذن قم واشـ
وأمسى في الدجى جـوعا

* * *

أنا الإنسان في ((كينيا))
أشعاع الظلم أنى دمـ
وأنى من وحوش الفـا
وأنى مجرم آكـ
وأن الذيل في ظهـرى
روايات سمعناها
بأن القارة السـودا
وأن لهم رسـالات
لارشاد المساكين
أنا الإنسان في ((كينيا))
أنا مثلك انسان

أصخ لى يا أخى واسمع
ية يلهو بها أصبع
ب لا أعرف ما أصنع
ل أطفالى ولا أشبع
دايل ناطق يسـطع
وما أكثر ما نسمع
لا تعرف ما ينفع .. !
بهذا المهمـه البلقع !
لضوء العلم والمصنع !
أصخ لى يا أخى واسمع !
سيمضى في لظى المدفع !

ولی فـجـر به یسطع !	آنا مثلك لی أفـقـق
ولی أرض بهـا أزرع !	ولی أهـل وأوطـان
ولن أسـجد ، ولن أركع	ولن أرضی بأغـلالی

* * *

ل أحقـادی ونیرانی	سأسقی الفاصب المحتـ
لأولادی واخـوانی !	وأروی ظلمه البـاغی
ر آلامی وأحـزانی !	سأشعل غابتی من نا
ل اعصاری وبرکانی !	سأشعلها .. غدا أشـه

* * *

وأغفی النجم حیرانا	واما هـوم الیل
ن یحسـو من ضحایانا !	وراح المـدفع الظمـا
علی الصـحراء عریانا	ومت علی ثری ((کینیا))
ءها ومضیت نشـوانا	ورحت معانقـا حصبا
((لقد حررت أوطانا))	سأسمع صیحة کبری
یصـوغونی الحـانا	سأسمع صوت أبنائی

* * *

سأسی کل ما کانا !	إذا ما حررت ((کینیا))
ت أزمانا وأزمانا !!!	وأشعر أننی قد عشـ
وأن عـانقت أكفـانا !	وأشـعر أننی حی



ما بين البيض والسرير فأفريقية

بقلم الأستاذ فتحى اسماعيل كوكب

أفريقية فى الظلام وتصرف المستعمرون فيها . تصرف التجار فى الساع والسادة فى العبيد واستغلوا مرافقها . واستنزفوا دماءها ، وها هى اليوم قد دب الوعى بين صفوفها وسرت الوطنية فى أوصالها وخرجت من زوايا الإهمال ونهضت نهضتها الحديثة حتى صارت الى المدينة الأولى فى السياسة العالمية : وهكذا كان الحال فى آسيا عندما كان الغرب لا يأبه بشيء فيها إلا بما له مساس بمصالحه الذاتية فقط ، فلما تطورت السياسة العالمية سارعت الى ربطها بعجلتها سياسيا واستراتيجيا .

وقد جاءت الثورات الوطنية مسرعة بعد الخلافات الاستعمارية على تقسيم النفوذ وبعد الحرب العالمية الأولى والثانية اللتين أطاحت بدول وأقامتا أخرى . فهبت الشعوب المغاوبة على أمرها مطالبة بحقوقها المغتصبة وتفجر الشعور الوطنى من مصر الى مراكش فى الشمال والى ليبيا فى الغرب ، واتحاد جنوب أفريقية فى الجنوب ثم انطلقت بعد هذا شرارة الوطنية فى باقى مناطق القارة معانة بأن ٥ مليون أوروبى بين سكان القارة البالغ عددهم ١٩٨ مليوناً

دمعة الماضى ، وصحوة المستقبل :

عندما كانت قارات الدنيا تغط فى ليلالى الجهالة ، وتسرح فى مراعى الظلام . كانت أفريقية وآسيا تنعمان بالمدينة والحضارة . وتمتعتان بالرفاهية والعمران : فاذا تباغت مدينة اليوم بصواريخها وأقمارها وأعاجيبها الصناعية ، ومخترعاتها الحديثة فى القرن العشرين حدثها تاريخ ما قبل الميلاد بما كان لآسيا وأفريقية من أمجاد ، وجاوبتها أطلال بغداد وآثار الأندلس وروائع القاهرة وغيرها عن حضارة ما بعد الميلاد ، فمن آسيا وأفريقية بدأ الزحف المقدس لخير البشرية . ومنهما شمع نور الإيمان الذى طهر الدنيا من الرجس ، وحررها من الأغلال .. رسلهما : بنوا وشرعوا ونظموا المعاملات والعبادات والأحكام . وحكمأؤهما خططوا ووضعوا لبنات العمران . وأسس المخترعات .. وسارت رسالتهم مسير الكهرباء فى أرجاء الدنيا ، فكانت للإنسانية مصدر التوجيه ، ومرجع التشريع ، وميزان العدل ، ومفتاح الخير والسعادة . ولكن لما كان هوام الحال من المحال فقد تفوقت عليهما الدول الاستعمارية فعاشت

لا يجوز لهم وهم دخلاء عليهم أن يتحكم الاستعمار بهم في تقرير مصيرهم وأعلنوا أن ثوراتهم لا تخمد إلا بتولى الأفريقيين شؤون بلادهم .

مشكلات افريقية : يمكن تلخيص هذه المشكلات في أربع :

(١) **معاقل الاستعمار :** وأهمها لانجلترا وفرنسا ، وباجيكا والبرتغال وأسبانيا وسكانها في كفاح مرير للتخلص من نيره وقد حاولوا ارضاءهم بمنحهم الحق في ادارة شؤون بلادهم الداخلية فباءت محاولاتهم بالفشل خصوصا في غرب افريقية .

(ب) **التخلص من الاستعمار الأوروبي :** هبت شعوب شمال وغرب وأواسط افريقية لطرد المستعمرين لما عانتهم من تحطيم في قواها المادية والمعنوية فلما غلبت على امرها وتأخرت عن ركب الحضارة أخذت شعوبها في الكفاح معتمدة على نفسها وعلى وطنية ابنائها .

(ج) **الاضطهاد العنصري :** في جنوب افريقية وشمالها ووسطها تقوم اقلية من الجنس الأبيض تسعى جاهدة في تنفيذ سياسة سيطرة الرجل الأبيض على تلك المناطق ، ويحتضن الاستعمار هذه السياسة الاستعمارية ويؤيدها بكل قواه : واذا نشبت حرب فسوف يحتاج الرجل الأبيض الى معونة الرجل الافريقى ولكن الشعوب الافريقية سوف لا تقبل مد يد المساعدة الى هؤلاء البيض الذين يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار وأن ما عداهم عبيدا وأرقاء .

(د) **المركز الاستراتيجى :** هناك صراع دائم بين الكتلة الشرقية والغربية ويتركز هذا الصراع على افريقية باعتبارها العمود الفقرى للمواد الخام اللازمة للصناعات الحربية : كما انها توفر العمق الاستراتيجى للكتلة الغربية في أى حرب مقبلة فضلا عن القواعد العسكرية العامة التى لا تتوافر في غيرها .

وعلى ذلك فان الكتلة الغربية تفترض في سياستها أن الشعوب الافريقية سوف تنضم اليها في أى صراع قادم رضيت أم لم ترض ، ولذلك تعمل على استمرار نفوذها في سيادة الرجل الأبيض .. ثم تعمل على ارضاء الشعوب بالمشروعات الاقتصادية والاجتماعية ، ومنحها القليل من الحكم الذاتى : ومن ثم يجب أن تحدد الدول الافريقية موقفها ازاء الكتلة الغربية في أى صراع مقبل تبعا لاجابة مطالبها وما تمليه عليها مصالحها .

تأثير الحرب : تعتبر افريقية اهم مناطق العالم الاستعمارية ، لأن مناطقها ما عدا عشر مساحتها وجميع شعوبها ما عدا خمس ال ١٩٨ ألف خاضعون للحكم الأوروبى . وتعتبر انجلترا وفرنسا وباجيكا هي الدول الاستعمارية الرئيسية في القارة ، وبانتهاء الحرب العالمية الأولى فقدت ألمانيا مستعمراتها ، كما فقدتها إيطاليا في الحرب الثانية وقد قامت اضطرابات واسعة النطاق بعد هذا في المناطق الخاضعة للنفوذ الفرنسى ، وفي غرب افريقية وفي الكونغو الباجيكي وفي مدغشقر ، ولكنها لم تكن من القوة بحيث يمكنها تحقيق أمانى الشعوب . فكانت ثورة

الجزائر في سنة ١٩٤٥ ضد الحكم الفرنسي بداية صفحة جديدة في تاريخ الصراع بين العرب والفرنسيين في شمال افريقية التي ترتبط سياسيا بالعالم الاسلامي وبقاع الشرق الأوسط وبالذول العربية .

تقسيم غنائم الحرب : وبعد أن وضعت الحرب أوزارها طالبت روسيا أن تكون إحدى الدول في مجلس الوصاية على ليبيا ، وطلبت الكتلة الغربية منحها الاستقلال فاستقرت تنفيذا لقرار هيئة الأمم في سنة ١٩٤٩ ولما كان النفوذ الانجليزي في برقة وطرابلس والنفوذ الفرنسي في فزان قويا ، فإن الاستعمار لا تنام عينه هناك . ووضع الصومال الايطالي تحت الوصاية الايطالية لمدة عشر سنوات تنتهي في سنة ١٩٦٠ ، ودخلت ارتريا في نظام فيدرالي مع اثيوبيا .

هيئة الأمم : كان المنتظر أن تؤدي هيئة الأمم رسالتها ولكن المناقشات والقرارات كانت تخضع في غالب الاوقات الى أغلبية شبه مثقفة في مشاربها وأوضاعها وكانت باكورة أعمالها اقامة نظام الوصاية تحت اشرافها وهو أشبه بنظام الانتداب الذي انتهى بانتهاء عصبة الأمم فلم يغير نظام الوصاية من وضع المستعمرات التي كانت تحت الانتداب شيئا بل زاد من الاشراف عليها وقد تأثرت بهذا التغيير في افريقيا مناطق النفوذ الانجليزي والفرنسي وهي الكمرون وتوجولاند وتنجانيقا ورواندا أوراندي الباجيكية ووضع جنوب غرب افريقية تحت وصاية اتحاد افريقية .

والعجيب أن جميع الدول الاستعمارية قبلت وضع مستعمراتها تحت الوصاية ماعدا جنوب افريقية الذي التجأ الى محكمة العدل الدولية فأقرت نظام الوصاية ومع ذلك لم ينفذ وزادت بارسال معظم الأفراد المعروفين بكراهيتهم للجنس الملون لحكم هذه الشعوب وقد حاولت شعوبهم التخلص من هذا النظام ومن الحكام فلم توفق .

كما أن قبيلة آوى التي تقطن ساحل افريقية الغربي وهي موزعة في ثلاث مناطق احداها خاضعة لفرنسا والثانية لانجلترا والثالثة لساحل الذهب حاولت توحيد قبيلتها في منطقة واحدة فلم توفق أيضا .

وقد طلب مجلس الوصاية بعث تقارير عن النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية من الدول الاستعمارية التي تشرف على هذه المناطق ولكنه لم يجب الى طلبه وهذا يكشف عنوايا الاستعمار ولهذا أصبحت معظم قرارات هيئة الأمم غير ذات موضوع .

الحرب الاقتصادية الأوروبية :

عندما زادت أزمة الغرب الاقتصادية ولى الاستعمار وجهه شطر مستعمراته فأعانت الدول الاستعمارية عن برامجها الاقتصادية لعشر سنوات قادمة وقدرت أرباحها بما يوازي ٧ ملايين من الدولارات لأن هذه البرامج تهدف الى استنزاف اقتصاديات المستعمرات عن طريق انتاج السلع الاستهلاكية لهذه الشعوب حتى تكون أسواقا هامة لتصريف بضائع الاستعمار وفي الوقت نفسه تحصل الدول

أما عن المواد الخام التي تعتبر حيوية بالنسبة الى الاقتصاد الأوروبي فتصدر منها الى أوروبا ما قيمته ٢٥ مليون من الدولارات سنويا .. والبيانات التالية توضح الكماليات التي تنتجها افريقية من المواد الخام :

الاستعمارية على جميع الخامات الزراعية والصناعية والمعدنية ففي افريقيا ١٧ دولة تعتمد على مادة أو مادتين أو ثلاث على الأكثر وهذه المواد تكون محصولا زراعيا مثل الكاكاو والقطن والسكر ، ولقد زادت هذه الصادرات زيادة ملموسة في السنوات الأخيرة .

الكمية من محصول العالم	المواد	المناطق التي فيها
٢٠ ٪	النحاس والصفيرج	الكنغو - روديسيا - نيجيريا
٢٥ ٪	المنجنيز	غانة - اتحاد جنوب افريقية
٥٠ ٪	الذهب	اتحاد جنوب افريقية - الكونغو - افريقية الجنوبية
٧٠ ٪	زيت النخيل	نيجيريا - الكونغو
٨٠ ٪	كوبالت	الكونغو - روديسيا الشمالية - مراكش
٩٨ ٪	الماس	اتحاد جنوب افريقية - افريقية - الكونغو
١٠٠ ٪	اليورانيوم	الكونغو وسوف يستخرج من أنحاء جنوب افريقية

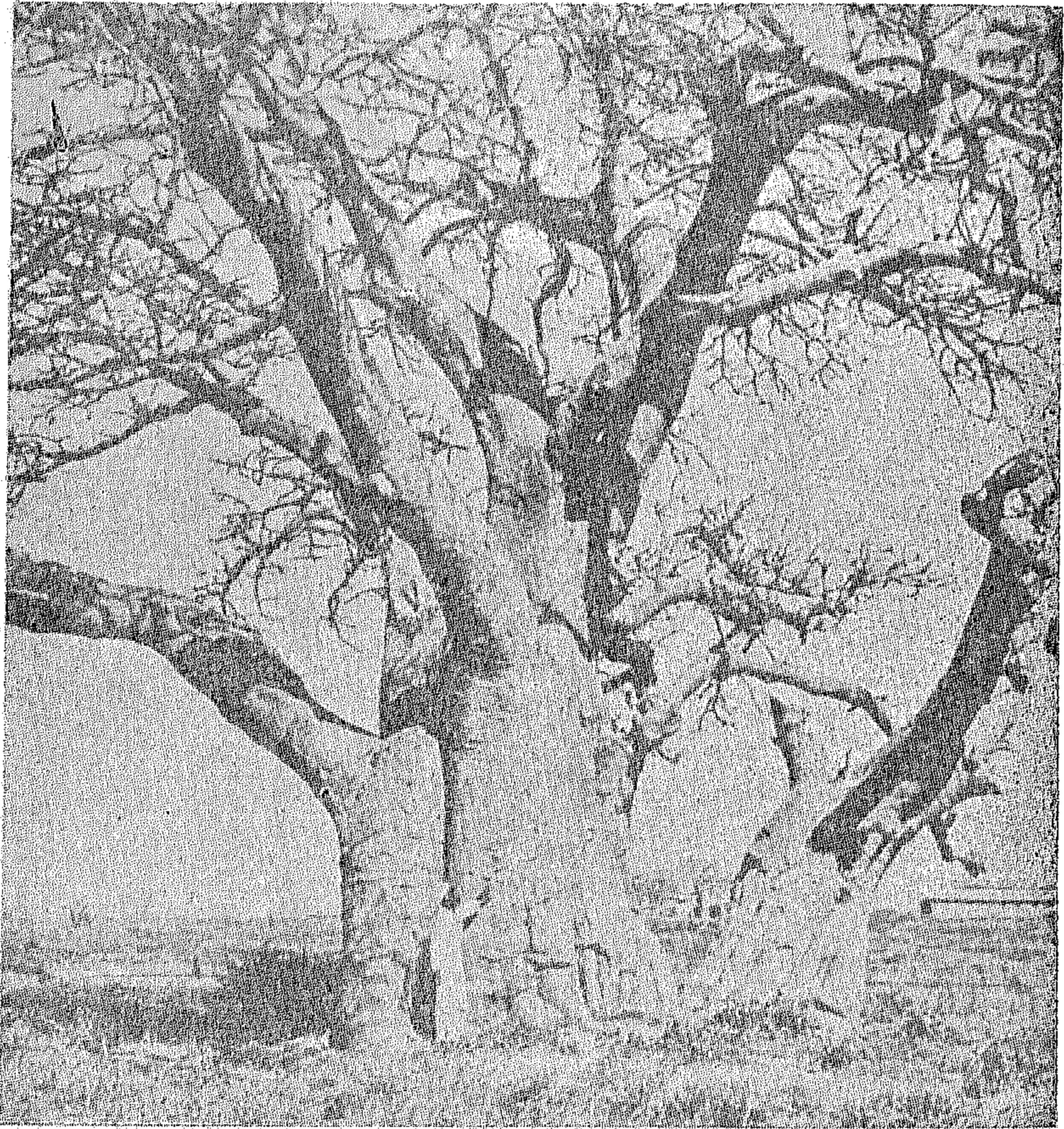
الكونغو البلجيكي حصل الافريقيون وتعدادهم ٩٧ ٪ من السكان على ٢٥ ٪ من الدخل القومي عام ١٩٥٠ ، الذي يبلغ ٢٢٥ من الفرنكات البلجيكية .

هذه الاحصائيات تبين أن افريقية بالنسبة لرعوس الأموال الاميرية تعتبر أحسن المناطق للاستغلال ، فالاستعمار الأوروبي لافريقية هو استعمار اقتصادي بحث تحاول الدول الاستعمارية أن تحافظ عليه بكل ماتملك من القوات العسكرية وغيرها ، وتضحى في سبيله بأعز ما لديها ، لأن عليه مقومات حياتها . ولكن هيهات أن يتحقق لها ذلك ، بعد فوات الأوان !

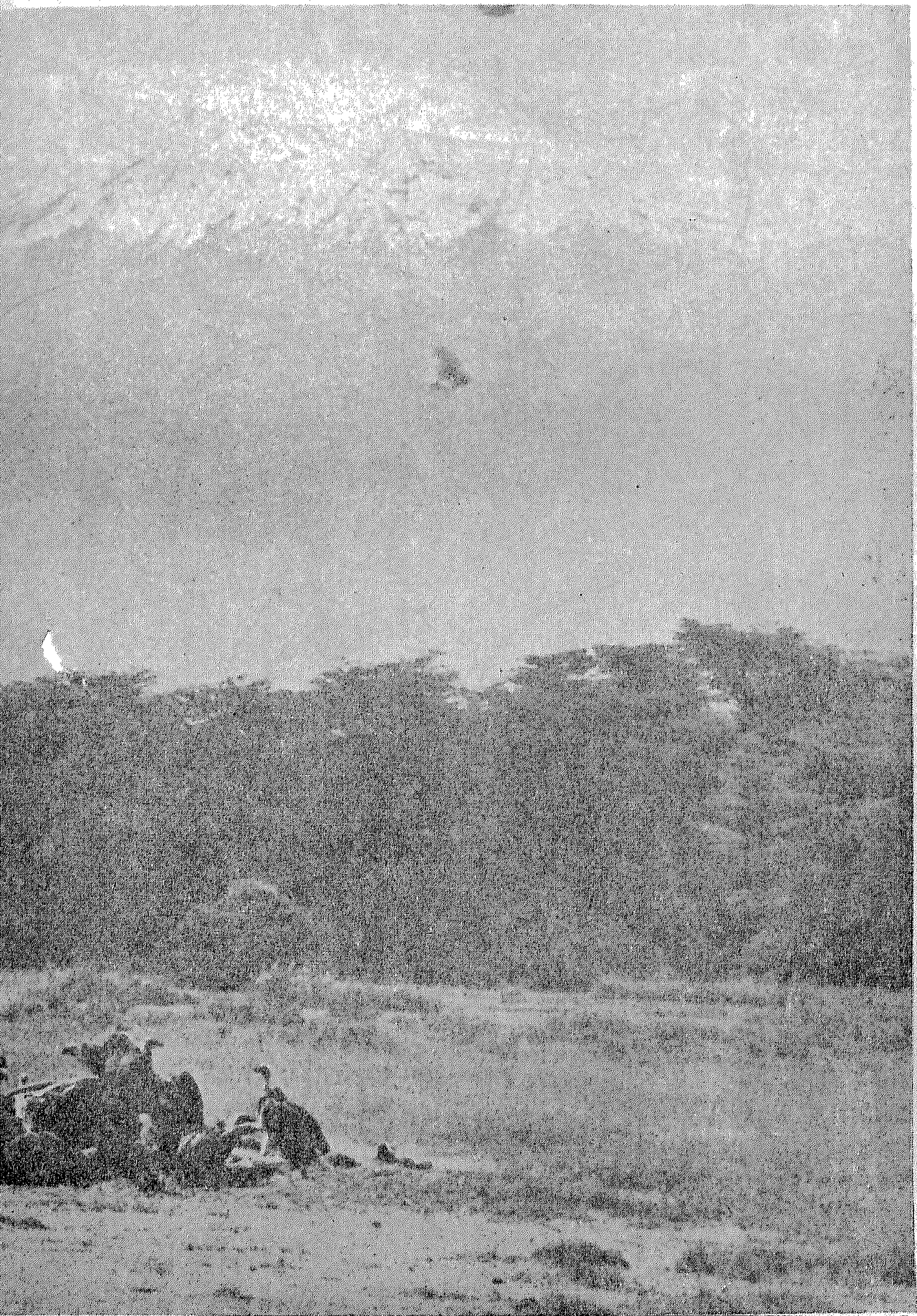
افريقية في خدمة المصالح الأوروبية :

جاء في احصائيات هيئة الأمم : أن الدخل السنوي للفرد في افريقية ٧٥ دولارا سنويا بينما يصل الى ٢٨٠ دولارا سنويا في أوروبا ويصل الى ١١٠٠ في أمريكا الشمالية وحتى هذه الخمسة والسبعون دولارا ليست للفرد الافريقي فقط بل هي للافريقي والأوروبي : وهذه الحقيقة تبدو واضحة في بعض الدول ففي روسيا وكينيا نجد أن دخل الفرد الافريقي يتراوح بين ١٤ - ٢٨ دولارا بينما يصل الدخل السنوي للفرد الأوروبي بين ٢٦٠ - ٢٨٠ دولارا وفي

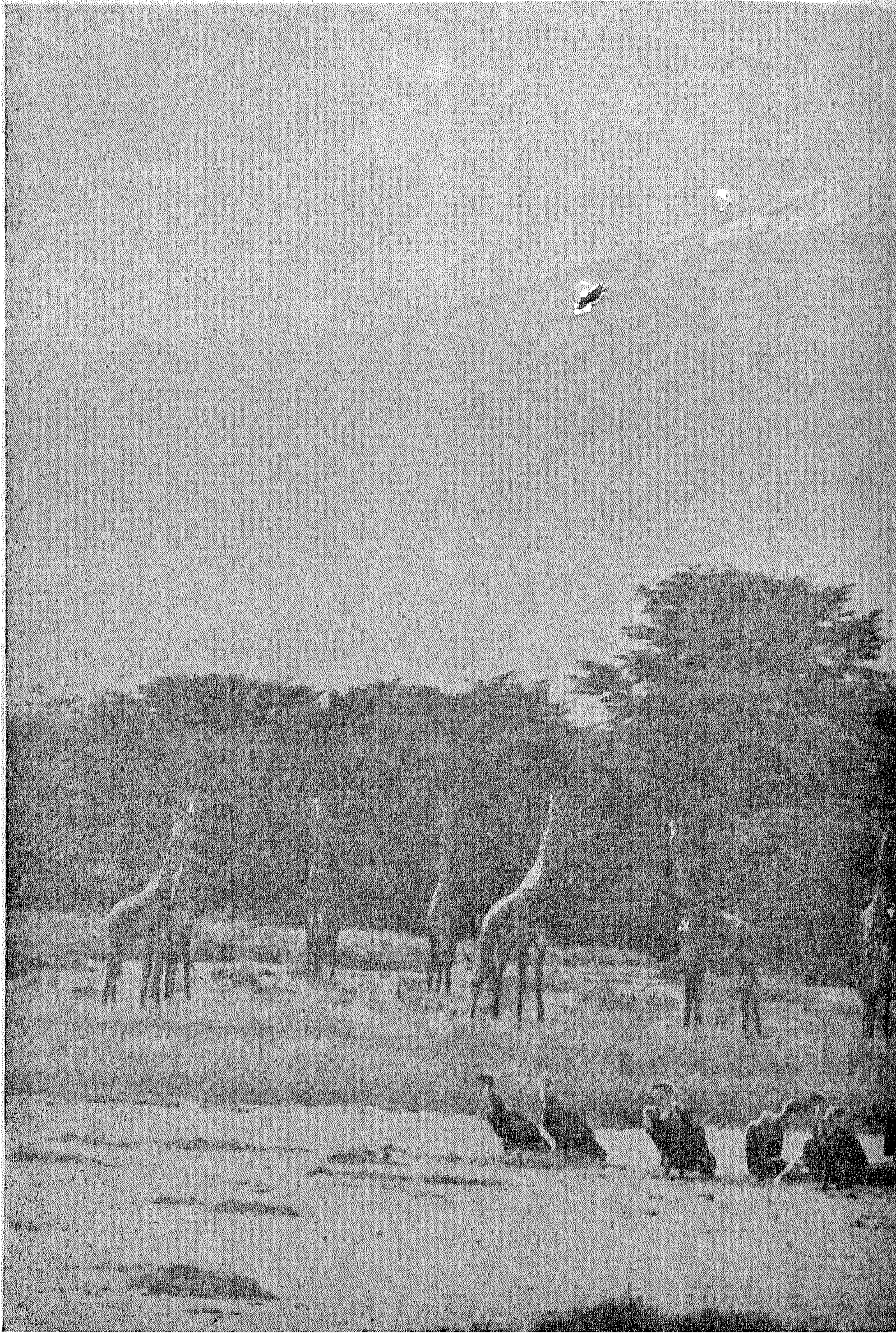
جولة مصورة حول



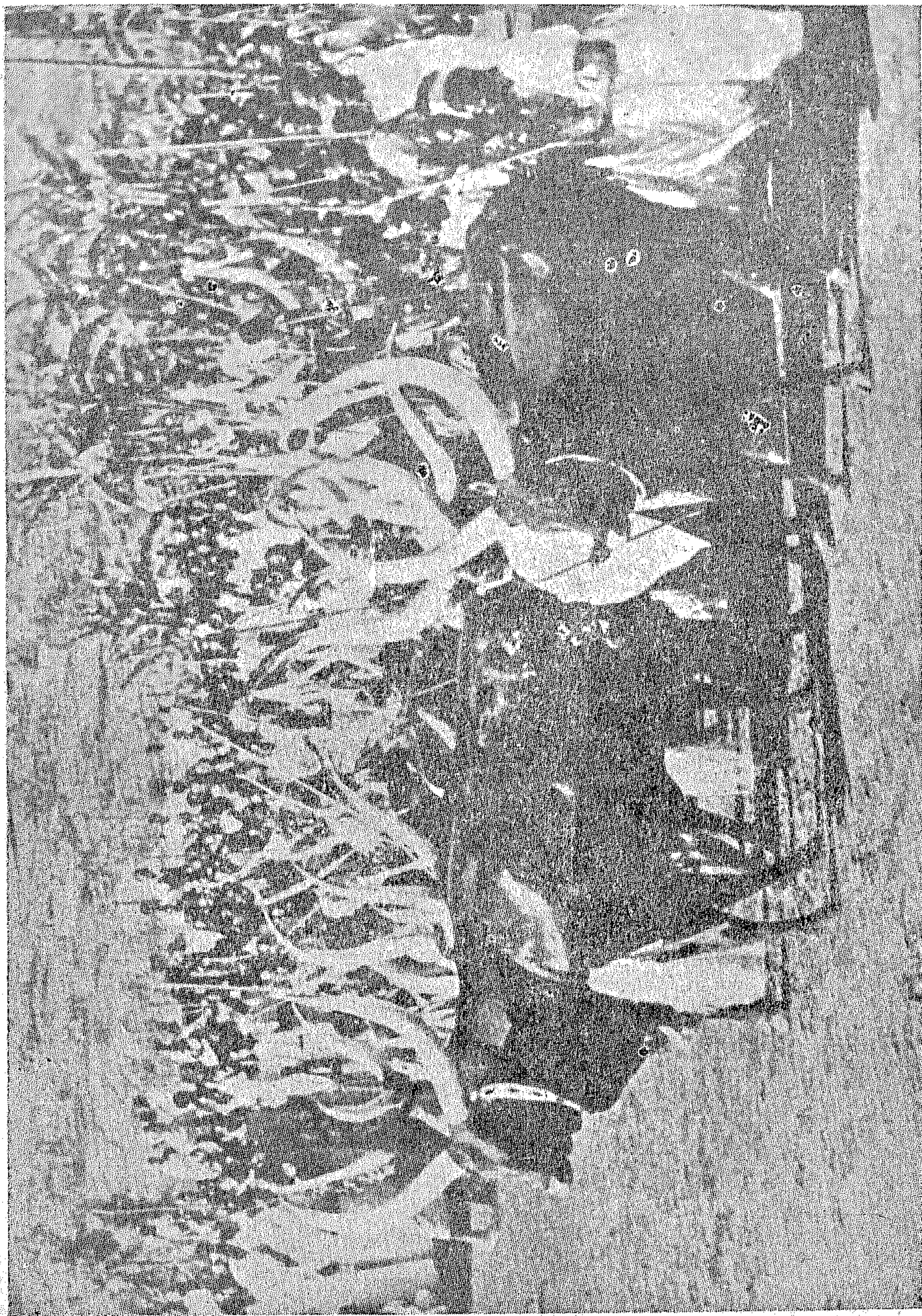
شجرة يخزن فيها الماء



أحد المناظر الطبيعية



من الثروة الحيوانية



شخصية العدد

ابن مسجح ...

أستار الكعبة ، دعا ابن الزبير بينائين من الفرس والروم لاعادة البناء . ويستدل أصحاب هذا الراى القائل بأنه لم يذهب الى فارس بقصة « حرية مسجح » التى تتاخص فى أن مولاه قد سمعه يغنى بصوت مؤثر ، وبتلوين جديد عن الغناء العربى هذين البيتين :

ألم على طلل عفا متقادماً

بين الليك ، وبين غيب الناعم (٢)

لولا الحياء وأن راسى قد مشى

فيه المشيب ازرت أم القاسم

فحين سمع مولاه هذا النغم الجديد المؤثر سأله عنه فأجاب مسجح .

« سمعت هذه الأعاجم تتغنى بالفارسية ، فثقتها (٤) وقابتها فى هذا الشعر ، فقال له مولاه « أنت حر » . فدور « مسجح » هنا لم يكن الجمود على الأنغام العربية التى سمعها فى « مكة » التى عاش بها ، ولكنه كان القيام بتطوير هذه الأغاني ، وتطعيمها بما تقبله الطبيعة العربية ، وتتأثر به .

وقد عاش محبوباً فى أهل مكة . ومقصداً للطبقة العليا فيها . وخاصة

(١) يقال أنه موأى بنى نوفل بن الحارث بن عبد المطلب .

(٢) قال الأب انستاس الكرملى ان هذه الكلمة محرفة عن البنظية .

(٣) الليك ، وغيب الناعم موضعان .

(٤) ثقف الشيء فهمه واخذه .

من الشخصيات الافريقية التى كان لها دور هام فى الغناء العربى شخصية « سعيد بن مسجح أبو عثمان » مولى بنى جمح (١) . وقد كان فطناً ذكياً يسرع الناس الى مجالسه ، ويتعشقون أحاديثه وخاصة حينما كان يتحدث به عن طوافه فى البلاد التى مر بها من قبل . فقد رحل الى الشام حيث وعت روحه ألحان الروم ، والألحان البربطية (٢) وهم قوم كانوا يسكنون جزيرة فى جنوب فرنسا ، وعلى قدر كبير من اجادة الغناء والقصف .

ولم يقف طموحه ، عند استيعاب هذه الألحان ، وانما انقلب الى فارس حيث أغرق نفسه فى تلك الأنغام المؤثرة التى تفيض بها طبيعة هذه البلاد ، ولم يكتف بمرحلة السماع هذه ، وانما تعلم أيضاً العزف على بعض الآلات الفارسية .

ويقال انه تأثر بغناء الفرس ، واستوعب ملامحه من الفارسيين الذين كانوا يبنون المسجد الحرام ، بعد أن امتدت الريح الى أستار الكعبة بنيران ابن الزبير بعد أن أمر برفعها على رمح لينظر فى ضوءها الناس ، مثبتاً لقاءهم من الحصار الذى كان مضروباً عليهم . فلما أحرقت النيران

طبقة الشباب الذين فتنوا به ، ولم يفارقوا مجالسه ، مما ترتب عليه خشية والى مكة « دحمان الأشقر » على هؤلاء الشبان .

ومن هنا نراه يكتب في هذا الأمر الى « عبد الملك بن مروان » الذى يأمر هو الآخر بالاستيلاء على ماله ، وارساله الى الشام بعيدا عن هؤلاء الذين أحبوا فنه من كل قلوبهم .

وقد سارع الى تنفيذ رغبة «عبد الملك بن مروان » رغم تمسك الشباب المكى به ، وحزنهم على فراقه ، وفى أثناء سيره الى الشام وجد بعض الناس يسارعون الى سماع مغنية تدعى « برق الأفق » . فهاجه الحنين الى مجالس الغناء ، وأقبل على هؤلاء الناس بوجهه الأسود المبتسم سائلا اياهم الضيافة ، والسير معهم . فرحبوا به ، وصاحبوه حتى حضروا مجالس هذه المغنية .

وفى المجلس سمع كلاما كثيرا عن جمال «برق الأفق» وعن صوتها العميق ، ومقدرتها على تاوينه . فهاجه الحنين الى رؤيتها ، وأطرق برأسه متذكرا هذه المجالس الغنائية التى يفتن بها الناس عن أنفسهم ، وهذه الألحان التى كان يسمعها الناس فى كل مراحل حياتهم ، وفى كل مكان بمكة وحولها . فهذا راع يلاطف أغنامه وهذا شاب يصعد بها نخلته ، وهذا طفل يلثغ بها ولا يكاد يحسنها . وهذا صوت نحيل يسمعه وهنا خلف خباء من شابة أو سيدة ليس يدرى ! .

وتتكاثر هذه الذكريات ، وتتوارد حتى انه لا يحس بمقدم «برق الأفق» وهى تدخل على الجالسين بوجهها

المبتسم ، وعينيها المستديرتين فى عمق وكأنهما تديران بالأهداب الكرة الأرضية المستديرة هى أيضا . ومن هنا نراها تتحول بعينيها الصحراويتين الى هذا الوجه المطرق الذى لم يحس بها وكأنها تعاتبه ، ولكنه سرعان ما يستيقظ على مائة عين - هى كل من فى المجلس - تتركز على وجهه . فيبتسم ، وكأنه يعتذر بهذه الابتسامة ، ويتألم فى داخله لأنه يعرف مقدار ما يعانى به الفنان من انصراف الناس عنه .

وتدق أباد جميلة على الآلات ، ويتصاعد صوت «برق الأفق» هادئا عميقا كالصحراء من حوله . فتدور رءوس الناس ، وتتصاعد من قلوبهم وعيونهم كلمات الإعجاب . ويلتفت الناس مرة ثانية الى جموده . وقبل أن يوجهوا اليه كلمة نابية نراه يسرع فيوجه الى المغنية اعتراضه على تشويه اللحن الذى تتغنى به ، وتصرفها فيه تصرفا يفقده روحه ، وشاعريته ، وعمقه . فيتأمل الناس من حوله ، ويحسون بأن الهواء أصبح راكدا ، وأنهم أساءوا الى أنفسهم ، والى أفراحهم بهذه المغنية ، حينما دعوا هذا الرجل الغريب ، ويهم به أحدهم ، ولكن يدا رفيقة تمتد من المغنية . فتسقط اليد الأخرى التى كانت قد أعدت على أطرافها صفعة قاسية .

وتحديق « برق الأفق » مليا . ثم تأخذ فى لحن آخر . فيتمايل الناس ، ويتعالى إعجابهم ، وسرعان ما يهبط هذا الإعجاب حينما يحوله الرجل الغريب بصمته الى سخرية ، وضيقه منه ، وهكذا نراه يسارع الى الاعتراض على اللحن الجديد ، فيجتمع البغض

الإقامة بينهم ، ولكنه يذكر لهم انه
معاقب ، وانه سائر الى الشام .
فيضيق الناس بالشام ومن فيه
ويودعونه باكبار وحب ، وفي عيونهم
لحن لن يموت أبدا ! .

وما كان له الا ان يتحايل حتى
يخلص من عقاب عبد الملك بن مروان،
ومن هنا نراه يتحين الفرص حتى
يسمع « عبد الملك » صوته فيطير
عبد الملك فرحا بهذا الصوت ، ويعرف
انه لابن مسجح ، فيقبل عليه في بشره
ثم يقول :

((قد وضع عذر فتیان قريش في
أن ينفقوا عليك أموالهم)) ، وأمنه ،
ووصله وكتب الى عامله ليرد عليه
ماله ، والا يتعرض له بسوء .

.. وهكذا عاد الشدو من جديد الى
مكة بعد أن كانت قد صمتت تماما .

في أعين جميع الجالسين ، ويحدث
كل واحد منهم نفسه بقتله ، ويحسر
الغريب بهذا ، فيسارع الى قوله بأنه
سريها كي تغنى هذا اللحن .

ويغنى « مسجح » فتلين الملامح
القاسية ، وتنفرد القبضات المتجمعة،
وتتعالى أصوات الإعجاب بقوة
وحماسة ، ويود كل واحد منهم القيام
ليقبله ويتعذر اليه ، ولكنه يخاف على
اللحن الذي يمتد ويمتد فيخاطب
القاوب والصحراء ، وكل الحياة من
حولهم ! .

وتصمت المغنية ، وتشرب اللحن
بقلبها ، وعينيها الجميلتين ، وما يكاد
اللحن ينتهى حتى تصيح هو والله لن
يكون غيره . هو ((أبو عثمان سعيد بن
مسجح)) ويقبل عليه الجميع
مرحبين ومقبلين ، وطالبن منه



فن النحت في غرب افريقيه

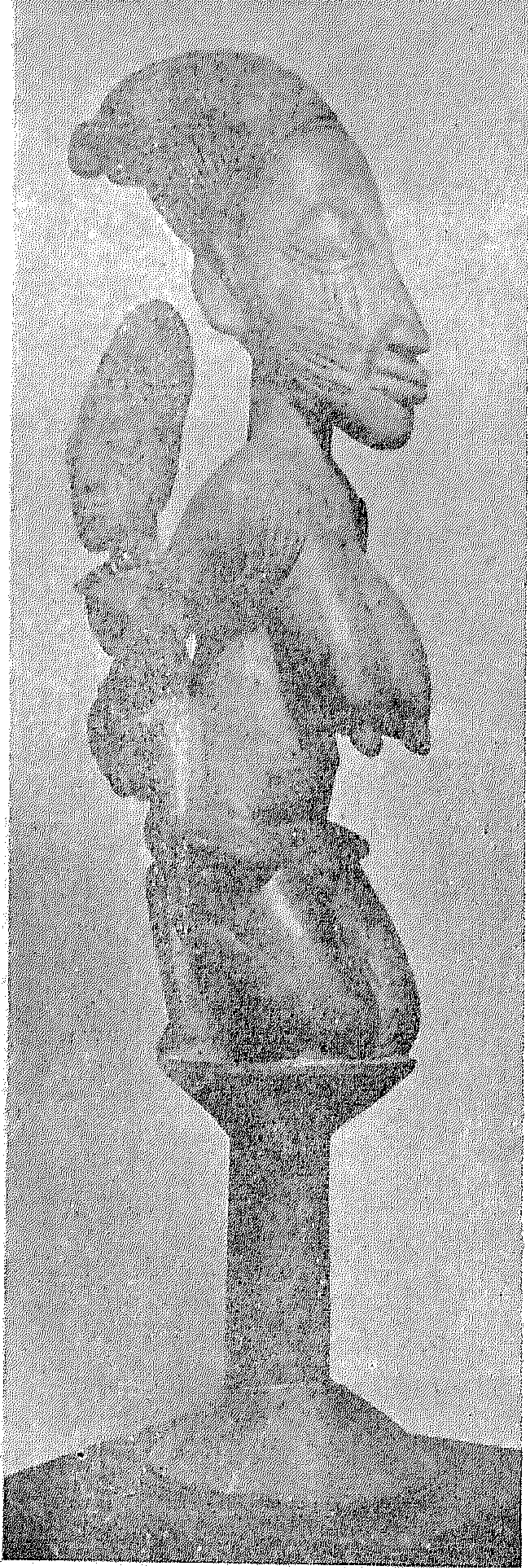
للأستاذ حلمى شعراوى

وأول ما يتردد عن الفنان الافريقى المثال أنه قلما ينظر الى ما يصنعه نظرة ((فنية)) فحسب ، وانما غالبا ما تكون نظرتة ((نفعية)) أى أنها لفائدة عقيدة عملية أو منفعة مادية . ويتساءل كاتب مثل « أليسوفون » عما اذا كان هذا القناع الذى يصنعه النحات فى شكل تكعيبى ذى قيمة هندسية كبيرة فى عصرنا ، يقصد به الجمال لذاته ، أو أنه رمز للجمعية السرية التى ينتمى اليها الفنان ؟ . ولكنه هو نفسه يعود فيتساءل : ولكن هذه الصناديق والكراسى والفناجين وأغطية الرأس والاعمدة الهندسية « وجهازالعروس » وغير ذلك مما يبدو فيه جهد فنى كبير هل صنع ذلك كله لمجرد الكفاية المادية ؟ ولكنه يتشكك فيما كاد ينتهى اليه فيسأل : هل يفهم الافريقى « الانطباعية » كما نفهمها نحن أو أنه يحفظ أنماطا للاشكال عن قبيلته ؟ وهو يحاول بذلك أن يخرج الفنان عن وعيه بفنه ، وبالتالى من زمرة الفنانين

لقد حاول كاتب أوروبى أن يتحقق بنفسه هذا السؤال الأخير ، وكان فى ساحل العاج فجاء بثلاثة من الفنانين الافريقيين ، وسألهم ((ماذا يحدث لو حاولوا التجديد بمعنى

حاولنا فى عدد سابق أن نعرف ما يحيط فن النحت من جو عقائدى يدور فى فلكه الابداع الفنى ، وخاصة عند فنانى منطقة غرب افريقية التى يعتبر فيها فن النحت من أبرز الفنون . وعرضنا من خلال ذلك أهم جوانب عقائدهم الروحية والسحرية ، وما فى ذلك من قيم يتضمنها فن النحت . وكنا قد وعدنا بالحديث عن الأسلوب الفنى واتجاهاته وخصائصه فى مقال آخر ونرجو أن يكون فى الصفحات التالية وفاء بوعدنا .

وقد اخترت عنوان هذا المقال على النحو الذى جاء به لأنى لا أحب أن أفصل الفن عن الفنان ، كما لا أحب أن أفصل الفنان عن مادته ، ومن خلال تفاعل الفنان مع خصائص مادته ، كما يقول « ليسنج » تتشكل عبقريته ، ونستطيع أن نفهم التكتيك البحث لهذا الفنان أو ذاك . ولذا أحب أن أتناول أولا الفنان الافريقى المثال وما يدور حوله من القضايا فى عرض سريع ، ثم نتعرف ما يستخدمه من المواد ، ثم نرى كيف يشكل هذه المادة . وأرجو فى الختام أن أشير الى أثر كل هذا البناء الفنى على الفنان الاوروبى الحديث الذى لفتت نظره فنون افريقية .



من فن النحت الافريقي

ادخال عناصر جديدة على تماثيلهم ؟ »
وأجاب الاول : « أنه يمكن ذلك ولكن
أحدا لن يشتريها » . وأجاب الثاني :
« أن أحدا لا يفعل هذه الاشياء » ،
وأجاب الثالث « انها لن تكون جميلة »
وخرج يعجب من أن حضارة قبلية على
نطاق ضيق مثل هذه يمكن أن تنتج
عنها هذه الاجابات الثلاث المختلفة !
ونحن ازاء هذه التساؤلات لا يسعنا
الا أن نتناول قطاعا أفريقيا نرى فيه
وضع الفنان ونتاجه ، حتى لا نظل
نظريين الى النهاية . ويقدم « سيجي » في
كتابه « النحت الافريقي » هذا المثل
ص ٩٥ فيقول : في قبائل « أتوتو »
لا تجد عصبية ولا ظواهر معينة
بارزة .. اذ يحيا الناس حياة عادية ،
ويمارسون المهارة الحقيقية في كل
صورها .. وهم يحترمون الفنان
ويقدرونه ، وبالتالي يعطونه الوقت
الكافي ليتفرغ لفنه حتى ان سكان
القرية اذا دعوا للاشغال العامة كتمهيد
الطريق .. فانهم يستثنون الفنانين من
ذلك !! فماذا كانت نتيجة هذه
الظاهرة ؟ لقد وجد لدى هذه القبيلة
بجانب التماثيل السحرية والارينية
وتماثيل الاسلاف المعتادة .. تماثيل
أخرى تعتبر « عرائس » أو « لعب »
يتناولها الكبار تماما مثل الاطفال ،
كما أنه وجدت لديهم عادة صنع
تماثيل خاصة (يبلغ ارتفاعها من ٤٠
الى ٦٠ سم) يوصى بها أحدهم لصديقه
ثم يقدمها له هدية !! كما تجد لديهم
« الزهريات » الأصص ، وتماثيل
الحيوانات ... وفي أيام العيد يخرج
الناس ما لديهم من تماثيل يضعونها
أمام بيوتهم ويتأملونها في اعجاب !

فماذا نستطيع أن ننتهي إليه ؟ انها ليست قضية تحتل الصدق أو الكذب ولكنها موقف من حضارة . الكاتب الذي يريد أن ينفي صفة الفنية ، يريد أن يسلب شعبا أو شعوبا من أخصب تواحى حياتها وحضارتها . والفنان الإفريقي ، انسان قبل كل شيء يفعل بما يفعل به المجتمع الذي حوله ، يمتص الانماط التي يبرزها له اطار حضارته . ونحن نعرف أن المجتمع الإفريقي القبلي مجتمع يركز انفعالاته في عقائده ، فينعكس هذا الوجدان والعقائد على الفنان فيخرج التمثال . ان المجتمع يركز انفعالاته في عقائده وطقوسه ، والفنان يركز انفعالاته وانفعالات الجماعة معا في تمثاله ، فيوجد .. فن .. تقليدي .. عقائدي . ونحن مع « هربرت ريد » في أنه ليس هناك ما يصيب « الجمال » عند شعب من الشعوب الا أن نقيسه بالمعنى الذي نفهم نحن به هذا الجمال . ان الجمال في كل مكان يتحد مع الظواهر النفسية والاجتماعية الاخرى . ولا نستطيع أن نتهم الإفريقي بالتقليد الجامد ، ونحن نرى هذه المجموعة الكبيرة من التماثيل التكعيبية والتعبيرية المختلفة . ولو عرفت أن الآلات التي يستخدمها في النحت لا تزيد عن فأس أو سكين ، وهي التي لا تلعب الا الى « القطع » بأنها الأكثر استخداما في « النحت » ومع ذلك فانه يكون لديه من الفراغ ما يجعله يبرز كل التفاصيل في كتل خشبية تتراوح بين ٥٠ - ٨٠ سم ، ولا يرى ضرورة الى ازالتها ، حتى لا يضحى بما في ذلك من قيم جمالية .

وقبل أن نتعرض لالوان التماثيل وفنيتها نرى أنه حري بنا أن نتناول بالحديث المادة الخام التي يصوغ فيها الفنان أفكاره وانفعالاته ، ذلك لان المادة بدورها يحوطها عند الفنان الإفريقي المثال معنى معين يستخدمها ويشكلها من خلاله . ومعرفة المادة التي صنع منها التمثال ذات أهمية في فهمه ، اذ في كثير من الحالات تحدد المادة طبيعة التمثال ، فالمثال يعرف أنه لا يستطيع أن يفعل شيئا لمادة معينة وانما هو يحاول أن يفعل ما هو من طبيعة المادة ، فحين يستخدم المثال البرونز يصوغ موضوعات لا تصاغ في الخشب ، وحين يستخدم الخشب تصبح له حرية في التعبير لا تتوفر له باستخدام الحجر ، فاختيار المادة للتمثال ، يعتمد على ما فيها من امكانيات . ففي المكسيك يستخدم الحجر والصلصال ، أما الإفريقي فيستخدم أكثر من مادة ولكن أكثرها انتشارا هو الخشب وأقلها الحجر ، وان كانت سيراليون تستخدم الحجر كما تستخدمه قبائل « هندي » و « كيس » في غينيا . أما في الكنفو البلجيكي فيستخدمون العاج من سن الفيل ، وكذلك داهومي . أما الاشانتي في غانا فيغلب عندهم استخدام الذهب وفي نيجيريا ، وخاصة « بنين » و « اليوروبا » فيستخدمون البرونز . وسنتناول نحن هنا نوعين مختلفين من المادة هما أكثر المواد استخداما ، لنرى كيف يستخدمونها ، وأهميتها في حياتهم ومعناها عند الفنان الذي يتمثل ترات مجتمعه . **فالخشب** مثلامن أكثر المواد شيوعا في افريقية وغربها

خاصة ، ذلك لانه متوفر فى معظم
أنحائها من جهة ومن جهة أخرى - وهى
الاهم - بسبب دلالتيه السحرية
والدينية ، ففى أنحاء مختلفة من أفريقية
تجد عبادة الشجرة ، كملجأ للقوى
الخارقة ، وفى نيجيريا ترتبط الشجرة
بالحياة الانسانية ، فاذا سقط الرجل
مريضا أو أرادت المرأة أن تنجب طفلا
تقدم العطايا لشجرة معينة ، وتعتقد
بعض القبائل أن الاشجار هى أجدادها
(والتوتم هنا نيباتى بتعبير
الانثروبولوجيين) كما أنها تعبر أحيانا
على رمز الامومة ، ما دامت تحمل معنى
الخصوبة والتناسل (الاثمار) كما أن
الموتى يدفنون فى « الغابة المقدسة »
حيث تعيش الارواح هناك . من أجل
ذلك يسبق النحت فى الخشب أنماط
طقوسية ، كما يختار الجزء المنحوت
جيدا من الجذع أو من الاطراف ، وحين
تقطع الشجرة يقام احتفال سحرى
ليندمجوا مع روحها . وقد تترك الكتلة
الخشبية لتعطى الروح فرصة مغادرتها
قبل نحتها . وخلاصة ذلك أن الشعور
بأن الخشب المنحوت يشتمل على روح
وفيه حياة يدفع النحات ليحس احساسا
عميقا نحو مادته . هذا الاحساس الذى
يجعله بالرغم من استخدام الآلات
الخشبية التى ذكرناها وبالرغم من
استخدام كتل كبيرة يحرص على عدم
تجزئتها ، بالرغم من كل ذلك يخلق
هذه الاعمال الفنية التى لا نستطيع
الآن أن نخرجها من دائرة الفن والجمال
البرونز : يعتبر فن النحت بالبرونز
فى شمال نيجيريا على أعلى مستوى فنى
وهو يستخدم فى قبائل « بنين » على
أوسع نطاق . ويصب البرونز على

نوعين اما فى تماثيل بالحجم الطبيعى
للانسان أو الحيوان ، واما (بروز)
فى قاعدة لمناظر كاملة أو رموز سحرية
أو أسطورية . ويذكر « سيجى » طريقة
صب البرونز لعمل التمثال على هذا
النحو : يصنع التمثال أولا من الطين ،
ثم يغطى بطبقة من الشمع ، ثم توضع
هذه الكتلة فى معجون من الطين مرة
أخرى بعد أن تترك فى رأس التمثال
أنبوبة ، ومن أسفله أنبوبة أخرى ،
ثم يترك الى أن يجف الطين الخارجى
والداخلى ، ثم يصب البرونز من
الانبوبة العليا ساخنا فيصهر الشمع
ويحل محله (بين طبقتى الطين) وينزل
الشمع الى أسفل ويحل التمثال مكان
الشمع ثم يبعد عنه الطين ويسوى
بالمبرد . وتعرف هذه الطريقة باسم
Are-Perdu ، وهى شائعة كذلك
فى شرق افريقية . وكما ذكرها « سيجى »
فى كتابه « النحت الافريقى » ذكرها
آدم فى كتابه « الفن البدائى » .
أما الحجر مثلا فيغلب استخدامه
فى شمال الكونغو على شكل رؤوس يبدو
فيها الاتجاه « الطبيعى » ساذجا
وتصور فيه الحياة اليومية ، كما كشفوا
عن ٧٠٠ قطعة حجرية فى نيجيريا .
وازاء ما عرفناه عن المادة التى
يتناولها الفنان الافريقى بالتشكيل ،
وطبيعة علاقته بهذه المادة ، يمكن أن
نذكر شيئا عن الاشكال العامة التى
تسود فى ذهن الفنان الافريقى ،
ويصوغ تماثيله فى قوالبها . ويذكر
« سيجى » أن التماثيل الافريقية
تصنف عادة الى ثلاثة أنواع : تماثيل
بشرية ، وتماثيل حيوانات ، ثم أقنعة
أما الاولى فقد تكون صورة مطابقة ،

وغالبا ما تكون للأسلاف حيث تكون قيمتها روحية ، وحتى تماثيل الحيوانات قد ترمز الى الاجداد ، أو الى الشر فتأخذ شكلا عدوانيا تميل فيه الى الاحساس بالحركة . أما ((الاقنعة)) فهي أكثر « النتاج الفني » الافريقى دلالة على « فنية » الفنان وابداعه ، وبخاصة اذا عرفنا انها تأخذ أشكالا مختلفة من ناحية الصياغة الفنية فهي قد تكون طبيعية كما قد تكون ذات أسلوب هندسى ، تكعيبى أحيانا ، وقد تأتى تعبيرية لتصوير انفعالات الخوف أو السرور أو خصائص حيوانية معينة وقد اهتم الافريقى بالقناع ، لانه كما قلنا يؤمن بأن الحكمة والروح تكمن فى الرأس ، ولذلك تتمثل الاقنعة غالبا فى شكل رأس ، وان كان بعضها يغطى الجسم كله ، وهى كآى تمثال لا تصور الروح ولكنها الروح نفسها ، ولذا يمثل النحات عليها تضخم الاثر الروحى ولذا يعتبر «كارل اينشتين» أن القناع تثبيت للانفعال فى لحظة معينة . كما اعتبر من وظائف القناع «السيكولوجية أنه هو الروح فى ذاتها يتقمصها الراقص ، ويخرج بها عن مألوف الحياة اليومية ويكسبها الحيوية ، بعكس تماثيل الاسلاف الثابتة الوقور . كما أنه يؤدى من خلالها طقوس الجمعيات السرية التى ينتمى اليها .

ويذكر الأستاذ « آدم » أن معظم الاقنعة تكون ملونة بألوان فاقعه مختلفة . وفى الكمرى ينحتون القناع الاسود ، أما فى نيجيريا وخاصة فى اليوروبا فيميلون الى اللون الاصفر أو الاحمر أو الابيض . والملاحظة الاخيرة

الجديرة بالذكر عن فن الاقنعة أنها أكثر الألوان تحقيقا لحرية الفنان عنها فى التصوير الطبيعى ، فالوجه القناعى قد لا يكون له أنف واحد ، بل أكثر كما قد لا يكون هناك أنف بالمرة ، وقد ينظر الوجه الى أكثر من اتجاه ، فهو يحقق فيه ما لا يستطيع أن تمليه طبيعة الواقع ، وهذه وظيفة الفن .

والآن لم يعد أمامنا الا أن نستعرض أبرز خصائص الوسائل الفنية أو ما يسمى « تكتيك » فن النحت على الصعيد الافريقى ، أو من خلال تماثيل المنطقة التى نتناولها بالدراسة .

وسنشير بادىء ذى بدء الى ما يغلف هذا الاسلوب الفنى ، وهو التقليد . فكثير من الكتاب لا يعتبرون للفنان الافريقى « أسلوبا » بالمعنى المتعارف عليه الآن وانما هو « نمط » يترسمه . وبالرغم من أننا ناقشنا هذه القضية تقريبا ، الا أننا نرى « سيجى » يقول عن ذلك فى معرض حديثه عن الاسلوب الفنى : ان الثبات فى المجتمع يعكس ثباتا فى التقاليد الفنية ، والخوف من التغيير انما هو خوف على العقائد ، وليس نقصا فى القدرة الابداعية . ويذكر من دلائل القدرة الفردية اختلاف الانتاج فى القبيلة الواحدة . وأول ما يطالعنا بعد فى أسلوب النحت أن التمثال يتخذ شكل البناء الهندسى ، ونعنى بذلك أن كتلة التمثال تعكس أثرا عموديا ذلك أن الافريقى ينحت تمثاله من كتلة واحدة من الخشب فيبدو التمثال وكأنه منبثق عن المادة ، وتتبع خطوط النحت الشكل الاسطوانى الذى يتناسق معه كل أجزاء التمثال .

التمثال لما يوحى بالهدوء الذى يرجع الى التناسق بين الاتجاهات الانفعالية والايديولوجية من جهة وبين المبادئ البنائية من جهة أخرى . ان من أشهر القبائل التى تستخدم الاسلوب الهندسى فى تماثيلها قبيلة « هابى » فى السودان الفرنسى ، فالفنان الافريقى هناك يفهم الشكل ذا الابعاد الثلاثة فهما حقيقيا ، بحيث لا يجد صعوبة فى التخلص من الشكل ذى البعدين باعطاء الجسم شكلا اسطوانيا .



ومن خصائص النحات الافريقى أيضا كمهندس : أنه يشكل المادة الخام الرئيسية دون اضافات ، وقلمنا نجد فنانا يضيف قطعة خارجية من الخشب الى تمثاله ليزينه مثلا ، وانما نجده اذا أراد احداث بروز يضغط على الخشب نفسه ليبرز ما يشاء ، وهو لا يلجأ الى الاضافة الا فى حالة « التطعيم » مثلا ، وهو أسلوب موجود عند الفنانين الافريقيين وهم يطعمون تماثيلهم بأنفسهم أحيانا ولكن كثيرا ما تذهب العناية الفنية بهم الى أن يذهبوا بالتمثال الى متخصص ، ولقد ذكر أحد المثاليين الافريقيين أنه اذا رزق ولدين فيسلم أحدهما ليتعلم النحت والآخر ليتعلم التطعيم حتى يتعاونوا .

واذا كانت هذه النقاط من خصائص العمل الفنى فان هناك خصائص أخرى . للنحات الفنى نفسه يجب أن نذكرها . فيذكر « اليسوفون » مثلا أن القدم فى معظم التماثيل مسطحة وهى تكون للتمثال بمثابة القاعدة ، أما الساق فهى فى الغالب منشئية كمن يريد ان يتحرك ، وخاصة فى تماثيل الآدميين .

ويقول « سيجى » معللا ما نراه من احتفاظ الفنان . بالخطوط الطبيعية الطولية فى الخشب بأنه اللاشعور الذى يحتفظ بالرمز الجنسى فى شكله (القضيبى) ، وهذا الخط الطولى من الخشب يعطى للتمثال محورا طوليا متصل به كل أعضاء التمثال الأخرى ، ولذا نجد أن التمثال الافريقى ينقسم الى نصفين متساويين يجعلانك تحس بالاستدارة . والافريقى فى تحقيق الشكل الطولى يجعل لكل جزء وظيفة فى وحدة التمثال ، وكل جانب فيه ينتهى الى الآخر فيعطى كل جانب معنى من معانى الاستمرار ، ويدفعنا النظر من الأمام الى أن تدور حوله .

أن التمثال الافريقى قلما يأخذ الأشكال ذات الزوايا ، وهو حين يستخدمها يحيطها بأشكال مستديرة . وان هذه الاستدارة والتكامل بين أجزاء

والجسد يبدو مستقيما نحو الاعلى او الاسفل والرأس ثابت (صفة العمودية التى ذكرناها) وقلما يبدو الرأس منحنيا . وغالبا ما يدهن التمثال بمواد سحرية .

ومن ناحية عدم تناسب اجزاء التمثال الافريقى يذكر البعض أن الرأس كثيرا ما يكون متضخما والجسد طويلا بالنسبة للساقين اللذين يحملانه ، كما أن القناع قد لا يتناسب مع الوجه الذى يحمله ، ويرجع البعض ذلك الى أسباب عقائدية فيقول ان التأكيد على الرأس للاعتقاد بأن الروح كامنة فيه. حتى انهم يقولون أنه بمقدار ما يختلف الاعتقاد فى مكان الروح بقدر ما يختلف التضخم ، أما الاستاذ آدم مثلا فيرجع ذلك الى طبيعة علاقة الفنان بالمادة فالفنان الذى يريد أن يحتفظ بوحدة الخط غير المكسور فى الجسم فى نفس الوقت الذى يستخدم فيه كتلة واحدة ، ولا يريد أن يضيف اليها شيئا من الخارج ، فانه يضطر ازاء ذلك للخضوع الى طبيعة الكتلة الخشبية مما ينجم عنه الافتقار الى التناسب . ومن الطبيعى ازاء ما فهمناه عن «تعبيرية» الفن الافريقى لا «طبيعته» أن نفس هذا الافتقار الى التناسب بأنه ميل الى « التجريد » الذى يميل الافريقى الى صب مفاهيمه الروحية فيه من خلاله ونحن هنا لا نحب أن نقيس مفاهيم الافريقى الاصيل بمفاهيم حضارات معاصرة فنضطر الى الافتراء أو القسوة عليه ، ولكننا نريد أن نفهمه من حيث هو .

ومما قد يسهل علينا هذا الامر أن ننظر فى الاثر الذى تركه هذا الفنان

الافريقى فى الفنان الاوروبى الحديث والمعاصر ، لنرى كيف يختلف « التأثير » نفسه بطبيعة المرحلة الحضارية التى يعيش فيها الفنان ، ولنرى من ناحية أخرى كيف أن الفن الافريقى فن يمكن أن نتذوقه كما نتذوق كبار فنانينا المحدثين على النحو الذى سنراه .

ففى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كانت الدوائر الاوروبية « الثقافية » وخاصة فى ألمانيا قد نما فيها الدافع الى « الموضوعات الخارجية » وبدأوا فى جمع كل ما هو غريب بلا تمييز ، ولم تكن اهتماماتهم اتنوجرافية ولاجمالية وانما كانت « رومانسية » ، وأنهم كانوا مدفوعين فى حقيقة الامر بدافع الهرب من الواقع ، وقد اتضح ذلك فى فن الرسم فى القرن التاسع عشر ، وكان ذلك جزءا من الثورة الجمالية العامة على الاكاديمية السابقة . ولذا رأينا أثر الفن اليابانى على الانطباعيين امثال « جوجان » الذى ذهب الى تاهيتى ، كما نحت « باولاخ » نسخا من التماثيل الافريقية . وقد استعمل كثير من الفنانين موضوعات خارجية ولكنهم استعملوها استعمالا «علميا» فلم تكشف أعمالهم فى تلك الفترة عن تمثل داخلى للفنون البدائية . وقد بدا هذا الاثر أكثر وضوحا عند فنان مثل « جيمس انسور » وهو فنان بلجيكي تأثر بأقنعة الكنگو .

وقد كتب سيزان - ولم يكن له شغف كبير بالفن الافريقى - الى ابنه يقول : « ان ما يريده هو أن يعالج الطبيعة فى صورة أشكال اسطوانية



أو أشكال كرية في شكل القمع ،
أى فى صورة تجعل كل جوانب
الموضوع متجهة نحو النقطة المركزية))
وفكرة سيزان هى أن يصب عناصر
الطبيعة فى صور بسيطة يخلق بها
هندسة تصويرية ، وأظن أننا شرحنا
هذه الخاصية فى الفن الأفريقى إذ أن
الفنان الأفريقى قد خلق من صور
الطبيعة البسيطة ، «هندسة نحتية»
كما يقول « سيجى » . وقد تمثلت
فكرة « سيزان » فى صور «الكانفاه»
التي رسمها وتطورت حتى وصلت
كاملة فى المدرسة التكعيبية .

لقد ظل الرسامون والنحاتون
الأوروبيون دائبى النظر فى أوائل هذا
القرن الى النماذج البدائية ، حتى أنهم
لم يعودوا يتفقون مع المفهوم الطبيعى
الذى ساد أوروبا مدى ألفى عام ..
وأصبح هؤلاء يجدون فى وجه من أوجه
الفن الزنجرى ما يمكن أن يبرز نظرياتهم .
فوجد الانطباعيون فى الفن الأفريقى
طريقة الاستعمال الانفعالى للون وتغيير
الشكل ، ووجد التكعيبيون « البناء »
الهندسى ، ووجد السرياليون الخيال
والغموض (وهى الروحية الواضحة فى
التمثال الأفريقى ، التى تصورها
الأوروبيون غموضاً) .

وقد بلغ تأثير بعض الفنانين
الأوروبيين بالفن الأفريقى الى حد أن
« بيكاسو » مثلاً قد غير سنة ١٩٠٧
رسم وجهين كانا على لوحة « كانا ثا »
هما « بنات أفينون » حتى يجعلهما
شبهتين بالأقنعة الأفريقية . كما أن
التشابه بين لوحة « بيكاسو » المسماة
« الراقص » وبين اللوحة المعدنية
الموجودة فى الكنغو الفرنسى عند

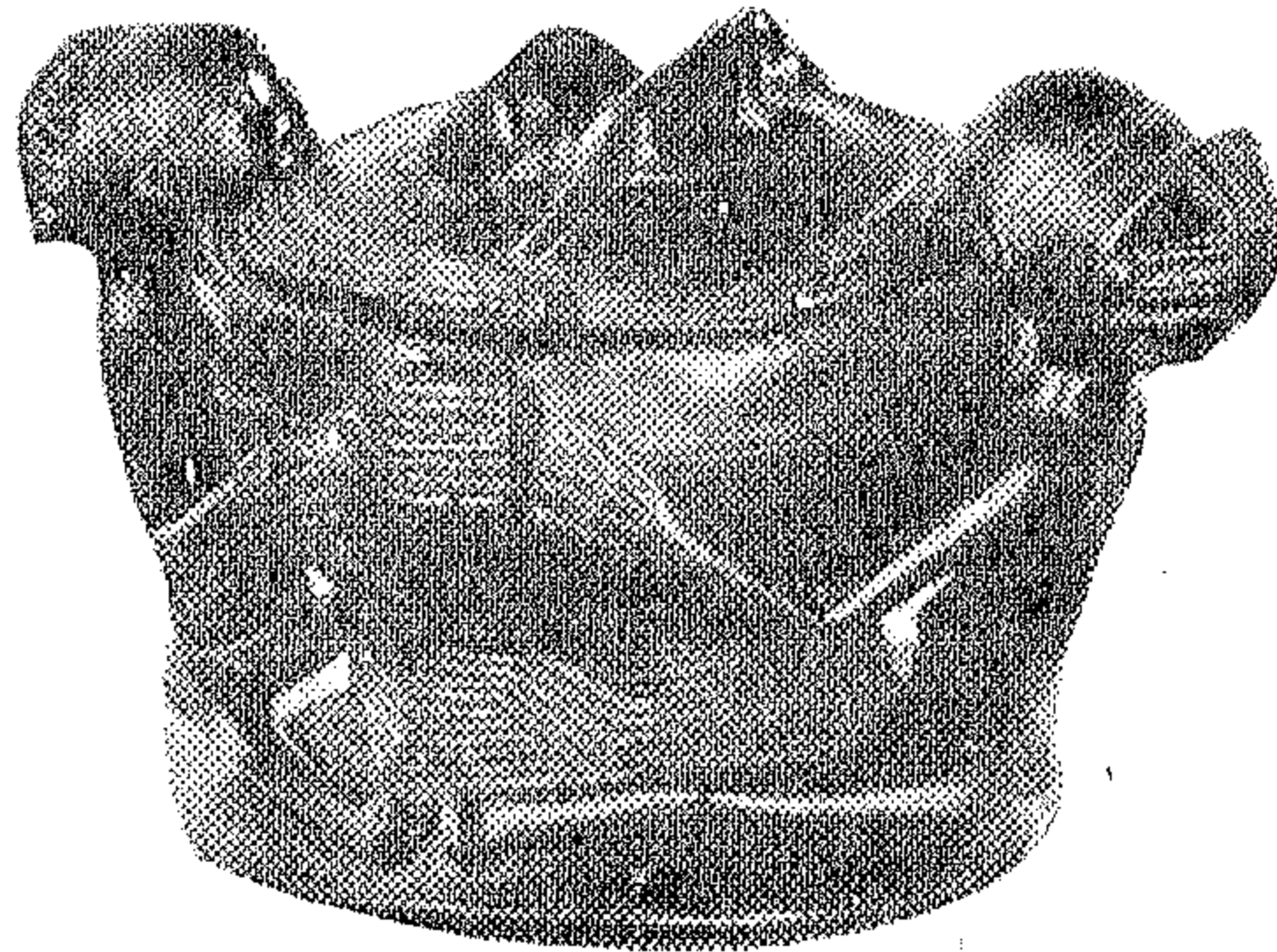
« الباكوتا » يوضح هذا التأثير ، وقد
كان هذا « الكانفاه » بداية الحركة
التكعيبية فى الرسم ، كما يرى
« سيجى » وهى إحدى الركائز الهامة
فى الفن الحديث حتى أن هناك
ما يعرف فى فن « بيكاسو »
بـ « التأثير الأفريقى » الواضح .

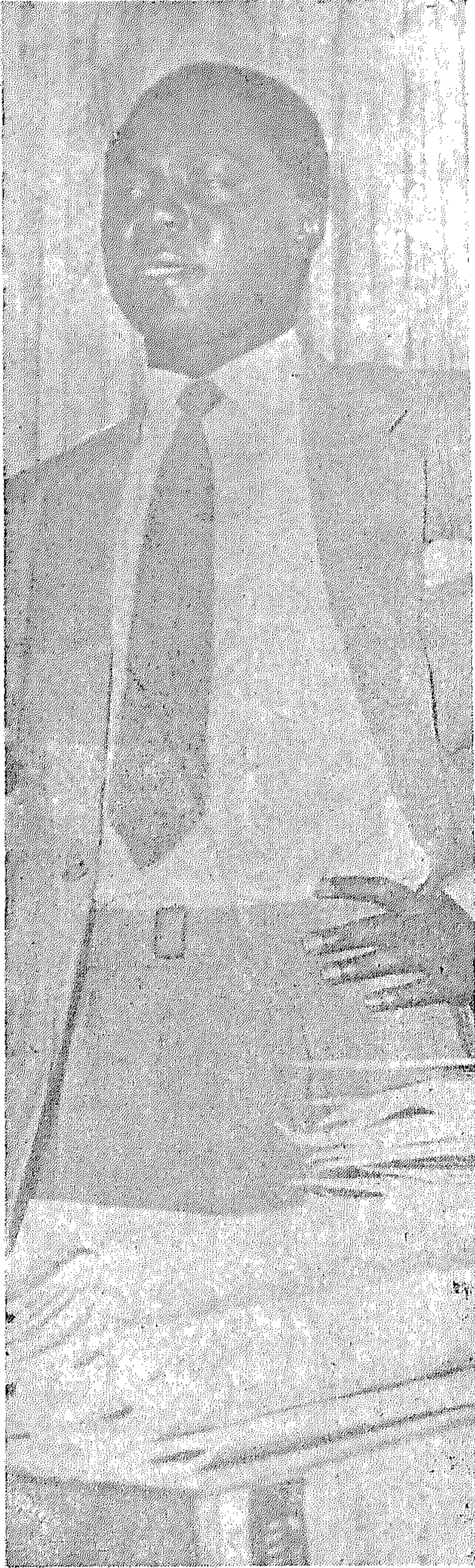
ويجمل « سيجى » بعض أوجه
التشابه بين الفن الأفريقى ، وبعض
اتجاهات الفن الحديث ، فيقول : ان
الفن الأفريقى والفن الحديث يحاولان
معاً « التعبير » عن الفكرة أو الانفعال
بدلاً من اكمال الوسط الذى يحدثان
فيه . وبذا يكون الموضوع وسيلة
للفكرة . وقد قال « سيزان » ان
الموضوع هو مرجع للتعبير عن
الاحساس أو الرؤية ، وكلا الفنانين

يعبر عن صورة ذهنية بدلا من الصورة المرئية . كما يشترك الفنانان في أنهما يعبران بفنهما مباشرة ، لا أن يشبه فنهما شيئا آخر ، فالفنان الحديث تجريدي ، والافريقي «روحي» وكلاهما يحقق فنا له وجوده بذاته ، حتى ليقول « بيكاسو » : « ان الصورة تكمل حين تعمل لتعيش بنفسها » .

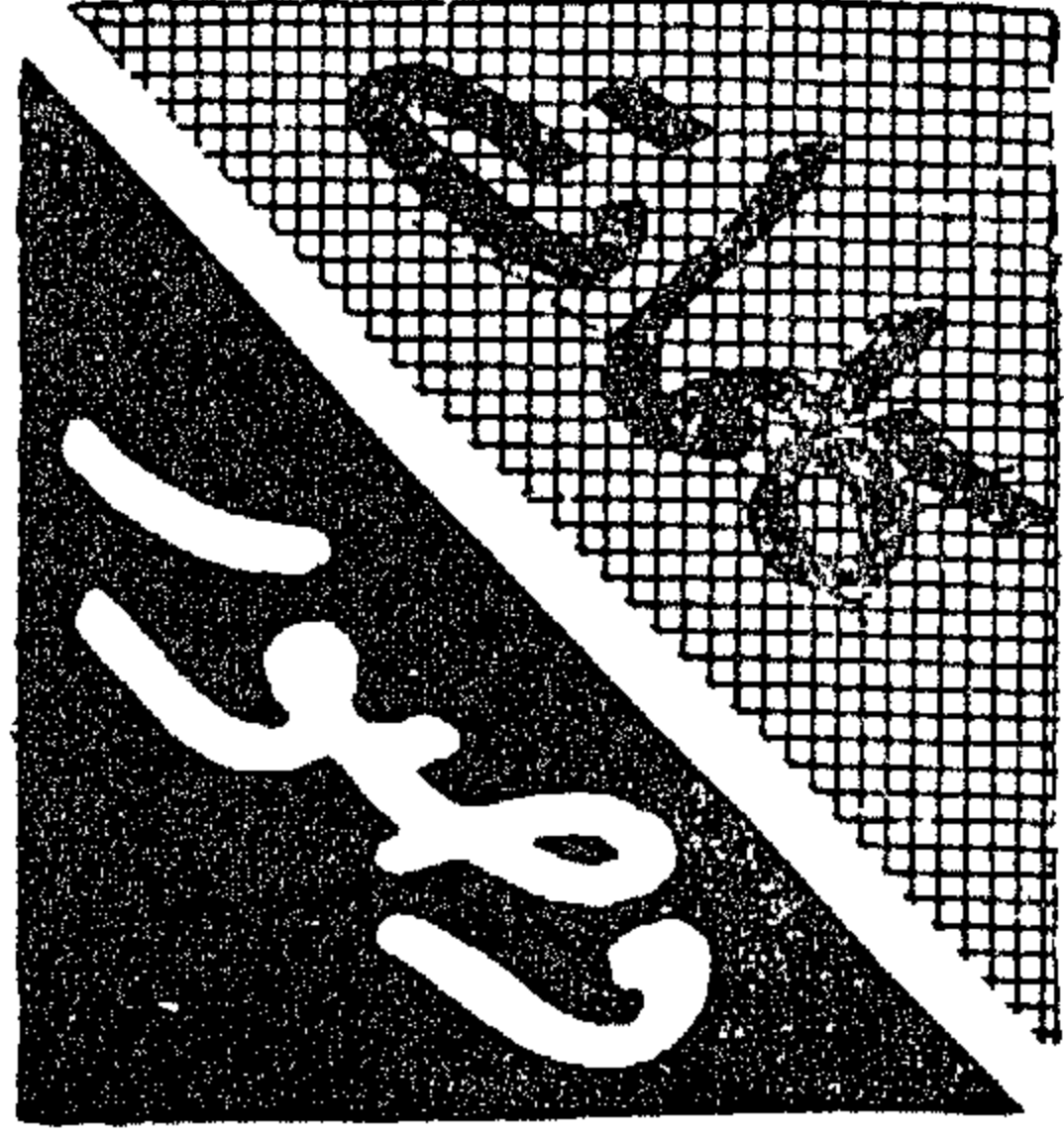
وفي بحث علمي مثل هذا لا يكفي أن نتعرض للتأثير الفردي بين الفن الافريقي والفن الحديث ، ولكن لابد من اشارة الى مدى اهتمام الأوروبيين بوجه عام بهذا الفن القديم . وقد كان متحف « جرينويل » هو أول من جرا على عرض الفن الافريقي بجوار الفن الحديث . كما عرض « متحف الفن الحديث » بنيويورك النحت الزنجي في معرض توضيح ألوان « الفن التكعبي والتجريدي » سنة ١٩٣٦ . وتبعه متحف الفن المعاصر في بوسطن سنة ١٩٣٩ ، فتعرض لمصادر الفن الحديث . ونظم معرض الفنون المعاصرة في لندن معرضا يتضمن مقارنة بين الفن التكعبي الحديث والفن الافريقي وهناك سؤال قد يثار في ذهن القارئ الآن ، وهو ما موقف الافريقيين المعاصرين أنفسهم من فنونهم التقليدية؟

والواقع أن ذلك الموضوع وحده جدير بالدراسة ، بل ان هدفى فى هذه المجلة أن أتعرض بعد ذلك لشخصيات فنية وأدبية افريقية معاصرة ، لأعرض من خلالها أثر التراث الافريقي والعالمي على المثقف الافريقي ، ولكن الذى يمكن أن نقوله الآن بوجه عام هو أن هناك موقفين أحدهما - كما يعرضه « وليم فاج » فيقول ان الاعجاب بالفن الافريقي انما هو محاولة للاحتفاظ بالافريقيين فى تخلفهم لبقاء سيادة الاوروبيين عليهم « وهى نظرة تشاؤمية من غير شك لا تعي تراثها . اذ أن هناك من يرون الاحتفاظ به احتفاظهم بتراثهم وحضارتهم ، ليطوروه على نحو ما يبذل العالم الحديث جهده فى جميع فنونه الشعبية وتراثه القومى لتطوير الشخصية الوطنية . وقد رأينا بعض الحكومات الافريقية - على ما لها من سلطة محدودة تحاول استرداد ما لها من تراث خارج افريقية ، ومتحف « جوس » بنيجيريا صورة لهذه العناية بالفنون الافريقية ، حتى لقد عرضت نيجيريا مبلغا كبيرا لاستعادة قناع « بنين » العاجى ، وهو تقليد افريقي قديم . ولكن متحف الفن البدائي طلب منها ٥٦٠٠٠ دولار ثمننا له !!





توم مبيويا



توم مبيويا

يعتبر الزعيم الكيني «توم مبيويا» الذي حمل أمانة الكفاح الوطني بعد اعتقال الزعيم الكبير « جومو كنياتا » من ألمع الشباب الافريقى الواعى الذى يؤمن بقضية القارة ككل ، والذي يدعو بين الحين والحين الى التضامن الافريقى ، والدعوة الى مقاومة الاستعمار بكل الطرق .

وهو فى الوقت نفسه من الزعماء الذين يدعون الى احترام المثل الانسانية ، والى التسامح ، ومعاملة الأجانب باللين ، والاخلاص لكل القضايا الوطنية فى كل العالم ، والعالم لا ينسى قوله رغم الصحيفة السوداء للأوروبيين فى بلاده «.. فى الوقت الذى تؤكد فيه باخلاص أن كل شىء فى هذه البلاد ينتمى الى الافريقيين . نؤكد كذلك أننا لا نسعى لكى نخرج الى الوجود عنصرية سوداء » .

فكينيا المستقبل لن تسمح لسيادة شىء فيها سوى الحقوق الديمقراطية، ومن هنا فسيعامل كل أبيض كما أعامل أنا وكما يعامل أولادى تماما .

نعم لن نعاملهم كما عاملونا ، لأن افريقية عادلة ! » .

وقد سافر في هذا الشهر الى « بروكسل » ليجتمع بزعماء الاتحاد الدولي لنقابات العمال الحر ، وقد بحث معهم الطرق التي يمكن بها تدعيم حركات النقابات العمالية في افريقية ، والطرق التي يضمن بها تأييد الاتحاد الدولي لأغراض المنظمات الاقليمية الافريقية ، وفي مقدمة هذه الأغراض ، الدعوات الاستقلالية ، وعدم الانحياز الى أحد المعسكرين الدوليين المتصارعين ، واعتناق كل ما من سبيله أن ينشر السلام ، والطمأنينة ، والرخاء في العالم .

ويعتبر « توم مبوبيا » من أول المهتمين في بلاده بحركات العمال . فهو يرى أن الدخل القومي لا يتبع في بلاده النمو الاقتصادي ، وأن عبء العمل في بلاده يقع على سواعد الافريقيين الذين يفرق بينهم وبين من يقوم بمثل عملهم من البيض . زيادة على عزلهم دائما في القطاعات التي لا تعتمد إلا على قوة السواعد ، وعدم تأمين الحياة بالنسبة لهم ، وتهديدهم دائما بسيل من المهاجرين .

ومن الملاحظ أنه حين تكلم في الاتحاد الدولي لنقابات العمال في بروكسل لم يقصر الكلام على بلاده ، وإنما تعرض للنقابات العمالية في كل افريقية ، ومن هنا فقد دعا الى أن يكون وكيل الاتحاد في افريقية . كما دعا الى تمثيل الافريقيين في سكرتارية المؤتمر ، فتحية الى الزعيم الشاب الذي تقع على كاهله الآن أخطر المسؤوليات في بلاده .. مسئولية الحرية!!.

الشعوب التي تتكلم العربية

جاء في كتاب « الاسلام والحضارة العربية » للأستاذ «محمد كرد علي» حديث ضاف عن الشعوب التي تتكلم بالعربية بما فيها افريقية .

« ويتكلم اليوم باللغة العربية أو بها وبلغة أخرى ، في جزيرة العرب ، والعراق ، والشام الى تخوم آسيا الصغرى ، وفي افريقية الشمالية (طرابلس وبرقة وتونس والجزائر والمغرب الأقصى) الى حدود الصحراء ومالطة ومصر الى أقصى الجنوب حيث الانهار التي تتألف منها منابع النيل الغربية ، وانتشرت في كردفان ، ودارفور ، وواداي ، وبورنو ، وفي النيجر والسنغال والصحراء الغربية الواقعة بين السنغال والمغرب الأقصى ، ولم يستعمر سكان بلاد المغرب الجنوبية جزيرة زنجبار فقط ، بل استعمروا الأرض الافريقية المناوحة (1) لها ، وبعثوا المستعمرين الى أرخبيل ماليزيا ، وقديما كانوا يتكلمون بالعربية ، وتكلموا العربية حتى القرن الثامن عشر في جزيرة قوصرة (بنتيلاريا) بين تونس وصقلية .

وفي كلام أهل الجزيرة ، وأهل جزائر الباليار كثير من المفردات العربية ، ويتكلم العربية بعض أهل مدغشقر ، ولا يعرف بالتحقيق ما اذا كانت العربية لسان شعب الموبال في

(1) المناوحة : المقابلة ، يقال تناوح الجبلان اذا تقابلا .

الجنوب الغربي من الهند أو لغة غيرهم ،
وقد نشر الحضارة من سكان اليمن
اللغة العربية حيث حلوا من ديار الهند
الانجليزية والمستعمرات الهولندية ،
وأصدروا بها جرائد ، وأنشأوا
لتعليمها مدارس .

ولا يقل عدد من يتكلمون العربية
اليوم في الأقطار العربية عن سبعين
مليوناً ، هذا عدا من يتكلمها ويكتبها
من المسلمين في الصين ، والهند ،
وجاوة ، وتركستان ، وإيران ،
وأفغانستان ، والسودان .

أفريقية والشعر

صدر الدكتور محمد محمود
الصيد كتابه الرائع « صور أفريقية »
بهذه الأبيات من الشعر :

ملأوا البطون وأنت محرومه
منهوبة الخيرات مهضومه
ان الذين طعمت جائعهم
تركوا شعوبك غير مطعمه
وبنوا بما نهبوا قواعدهم
وأرى القواعد فيك مهدومه
ويقول الاستعمار « مظلمة »
لو كان ينصف قال « مظلومة ! »

الرقص السوداني

توجد في السودان عدة رقصات
شعبية تختلف باختلاف الأقليم
والقبيلة فهناك رقصات خاصة بقبائل
الشلك ، والدنكا ، والنوير وغيرهم في
الجنوب ، وفي الغرب توجد رقصة
البقارة المشهورة . أما في الشمال فهناك
عدة رقصات خاصة بالنوبة
والشايقية ، وكذلك الحال في الشرق .
وتعتبر رقصة « الرقبة » - التي
يقال أنها مقتبسة من حركة رقبة

الناقة أو الحمامة - من أهم هذه
الرقصات ، وتتميز هذه الرقصة
بالاسترخاء ، والبطء ، والتتابع ، وقد
بذلت محاولات لتطويرها ، وخاصة بعد
أن رقصتها بعض السودانيات في
مهرجان الشباب الخامس بوارسو .

وتليها في الاهتمام رقصة البقارة
التي تنتفض فيها الراقصة انتفاضا
بأن تشرك في الرقص أكثر أعضاء
جسمها بعكس رقصة « الرقبة » التي
لا يميزها إلا الهزات الرتيبة للرقبة ،
كما توجد في السودان عدة رقصات
شعبية يشترك فيها الجنسان
وهكذا نرى هذا الفن الشعبي متعدد
الجوانب في السودان . كما نراه يعيش
في دماء الناس جميعا حتى أن العروس
لها رقصة خاصة تؤديها في اغراء ،
وأثوثة ، وفن ، وإعله يمكن اقتباس
رقصة مميزة من كل هذه العناصر
في هذا العصر الذي يهتم فيه كل
شعب بتراثه الفني ، ويجعل له
رقصة خاصة به تكون شعارا عليه في
المجالات الدولية .

كلمة :

من الكلمات الطيبة التي تعرضت
لقضية القارة تلك الكلمة المخلصة التي
كتبها الأستاذ أحمد بهاء الدين ، والتي
جاء فيها :

« عندما حانت ساعة التصويت ،
في الأمم المتحدة ، على القرار الخاص
بادانة حكومة اتحاد جنوب أفريقية
على سياستها في التفرقة العنصرية ..
وقفت الى جانب هذه الحكومة دولتان
آخرتان فقط هما : بريطانيا وفرنسا !
وصدر القرار باجماع الأصوات ،
ماعدا هذه الأصوات الثلاثة . بريطانيا

وفرنسا .. وحكومة اتحاد جنوب افريقية ! .

وبذلك تدمغ بريطانيا وفرنسا نفسيهما بأبشع تهمة في هذا العصر، تهمة التفريق العنصري ، وما أقدمت بريطانيا وفرنسا على ذلك الا لأن كلا منهما تمارس هذه السياسة في مستعمراتها الى الآن .

وعندما أعلن ماكميلان برنامج رحلته المقبلة الى افريقيا .. فوجيء الناس بأنه يضع فيها زيارته لحكومة اتحاد جنوب افريقية ! واجتمع عدد من نواب حزب العمال وكتبوا مذكرة احتجاج على هذا التأيد الأدبي العلني الذي يقدمه ماكميلان الى الدولة التي يستنكر سلوكها الجميع .. وقرروا المطالبة بلوم ماكميلان على هذا القرار.. ولكن أغلبية النواب البريطانيين طبعاً ما زالوا يجدون غضاضة في أن يكون هناك نوعان من البشر .. نوع أبيض ونوع أسود ! . ولذلك فلن يوجه البرلمان أى لوم الى ماكميلان .

لقد شبه أحد الكتاب السكان البيض في افريقيا السوداء ، بأنهم يشبهون « تراب الملح » على وجه القارة .. وانهم اذا لم يمتزجوا تماماً على الأرض .. ولم يختلطوا على قدم المساواة بالسكان السود . فسوف يجيء يوم ينفخ فيه السود هذا الملح الأبيض عن القارة كلها ! » .

الاسلام في افريقية :

كتب « مستر اجون كاسكيلين » في مجلة « كريستيان سانس »

مونيتور « بحثاً طويلاً تحت عنوان « الاسلام يتغلغل في افريقية » قال فيه :

« تسير الحركة الاسلامية في افريقية بسرعة عجيبة ، وسنسمع قريباً أن الاسلام قد شكل وجه القارة السوداء بطابعه الخاص ، ان عرب وبربر شمال افريقية مازالوا منذ قرون طويلة يقدسون القرآن ويمجدونه ، وبالرغم من أن منطقة جنوب الصحراء تحرص في كثير من الأحيان على أن تقاوم نفوذ المسلمين وتقف أمام حركة المد الاسلامي الا أن الاسلام ينتشر بصورة تلفت النظر بين الملايين من الافريقيين الذين يسكنون المنطقة الفسيحة من الحدود الصحيرية للصحراء حتى الغابات المعروفة بكثرة أمطارها ، والتي توجد في وادي الكونغو .

وقد أثبتت أحدث الاحصائيات أن تعداد المسلمين في افريقية اليوم قد وصل الى ضعف ما كان عليه منذ ثلاثين عاماً مضت . ففي عام ١٩٣١ كان عدد مسلمي افريقية قد وصل الى ٤.٠٠٠.٠٠٠ نسمة ، وكان التعداد العام للشعوب الافريقية يومئذ هو ١٨.٠٠٠.٠٠٠ نسمة، اما اليوم فقد أصبح عدد المسلمين حوالي ٨.٠٠٠.٠٠٠ أو ٨.٥٠٠.٠٠٠ .

كما توضح الاحصائيات الأخيرة التي تتميز بدقة تفصيلاتها أن حركة اعتناق الاسلام في المقاطعات التي تسيطر عليها فرنسا تزداد بصورة مطردة ، وقد جاء في هذه الاحصائيات ان مجموع سكان افريقية الفرنسيين

كانوا حوالى ٣٥٠٠٠٠٠ نسمة عام ١٩٥٢ من بينهم ٨٥٠٠٠٠ مسلم ، ولكن فى عام ١٩٥٦ ارتفع عدد المسلمين الى ١٠٠٠٠٠٠ نسمة تقريبا .

ان جاليات التبشير فى كل الملل والنحل تقول : « ان اندفاع الموجة الاسلامية داخل افريقية يقتلع جذور كفاح المبشرين المسيحيين التى وضعوها خلال قرون فى ارض الزنوج السود . » . وكثير من رجال الادارة والحكم من الاوروبيين البيض يؤكدون فى اصرار ان الدعوة للدين الاسلامى فى افريقية لم تعد مجرد حركة دينية بل انها قد اصبحت مرتبطة بالاهداف السياسية التى تطمع هذه الشعوب فى تحقيقها وخاصة فكرة القومية العربية .

وغدت القاهرة - أكثر من مكة فى هذا الصدد - مركزا للدعاية للاسلام .

ففى كل يوم يخصص « صوت افريقية » برنامجا موجهها لشعوب المناطق الافريقية التى تعيش فى ظل الاستعمار الأوروبى يدعوهم الى حرب الرجل الأبيض وكراهية حكمه وادارته ، وتدعو هذه الاذاعات فى صراحة الى اشعال حرب مقدسة ضد الاوروبيين ، وتسمع فى وضوح تام فى المنطقة التى تمتد من دكاكر الى غرب زنجبار وجزيرة مدغشقر فى الشرق ..

ويستطرد مستر اجون فيقول : أن الجيل الجديد من الشباب المستنير وهم غالبية الطلبة الذين تلقوا علومهم فى جامعات شمال افريقية ، يقفون اليوم فى تحد أمام النظام

التقليدى الذى تدين به العناصر المتزمتة والذى كان يسود المجتمع الافريقى المسلم .

خاصة وان الجامعات الكبيرة التى تقع فى شمال القارة . كالجامعة الأزهرية فى القاهرة والقروان فى مراكش والزيتونة فى تونس هذه الجامعات لم تعد اليوم معاهد يكتفى الطالب فيها باستيعاب علوم اللغة العربية والدين الاسلامى فحسب ، بل انها قد اصبحت من أهم مراكز امداد عقول الشباب المسلم بفكرة القومية العربية ، وقد تحول عدد كبير من خريجها الى قادة يعملون على نشر حركة الكراهية ضد العنصر الأوروبى فى افريقية .

وتقدم هذه الجامعات عددا من المنح الدراسية للطلبة الافريقيين الذين يتزايد عددهم من عام الى آخر . وقد كان فى الأزهر عام ١٩٥٢ حوالى ٣٠٠ طالب جاءوا من افريقية الفرنسية للدراسة فى الجامعة الأزهرية ووصل عددهم الى حوالى ٥٠٠ طالب عام ١٩٥٧ .

ومنذ حرب السويس والسلطات الفرنسية والبريطانية فى افريقية تعمل على الحيلولة دون الالتحاق بجامعات شمال القارة ، ولكى تنجح فى هذا المجال قامت بانشاء وتحسين كليات المسلمين ومدارسهم العليا داخل مقاطعاتهم ، حتى لا يفكروا فى الهجرة الى الخارج لدراسة اللغة العربية والدين الاسلامى .

وفى غانة توجد الآن اربع مدارس عالية لتعليم اللغة العربية وتبذل حكومة فرنسا من ناحيتها جهدا

ملحوظا لكي تجعل من المدرسة القرآنية العالية في « باماكو » غرب افريقية الفرنسية ومن المعهد الاسلامي في ونيلمين من اعمال موريتانيا معهدين كبيرين يجذبان اليهما الطلاب المسلمين من سكان المناطق المجاورة حتى تحول بينهم وبين جامعات شمال القارة .

ولعل السبب في انتشار الاسلام - وخاصة بين الشعوب الافريقية - بهذه السهولة والسرعة ، هو أن هذا الدين لا يتطلب ممن يعتنقونه سوى أداء بعض الشعائر البعيدة عن التعقيد، ويمكن للمسلم أن يعيش بنفس النظم الاجتماعية التي تعود أن يعيش عليها قبل اسلامه بما في ذلك نظام تعدد الزوجات .

وبين المسلمين في افريقية قلة تعتبر من أكثر المسلمين تمسكا بأهداب دينها ولهم طرق خاصة في أداء عباداتها ، ولكنها لا تختلف عن أصل الدين وجوهره .

وأشهر هذه الطوائف الاسلامية هي :

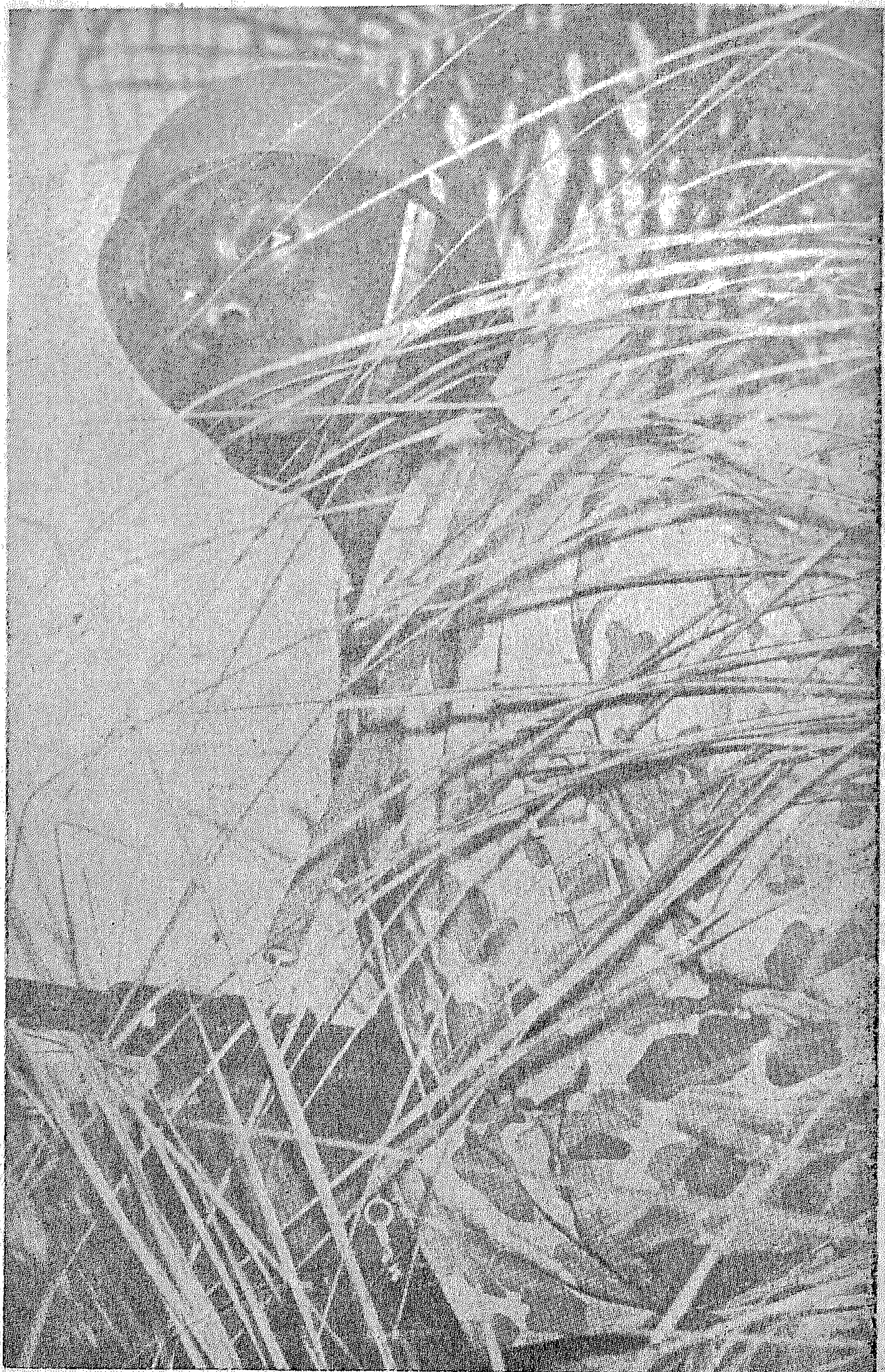
١ - القادرية وزعيمها الشيخ « سيد بان » ويعيش في موريتانيا .
٢ - التيجانية وأغلب أتباعها من أهالي نيجيريا وزعيم هذه الطائفة الشيخ ابراهيم نيامي السنغالي .

٣ - الطائفة العاملة (المريدين) وأتباعها كلهم تقريبا من المزارعين في بلاد السنغال . والدعوة الى الاسلام في القارة السوداء والدخول فيه ظاهرة واضحة في افريقية فكل المراقبين السياسيين في افريقية يؤكدون أن الاسلام يقف حصنا منيعا أمام تسرب غزو الأيديولوجيات الهدامة الى عقول الزنوج ، ويسيطر

المسلمون الآن على معظم الجمعيات الموجودة في مقاطعات افريقية الغربية الفرنسية وهي الجمعيات التي أقيمت حديثا في ظل القانون الجديد ، وتضم هذه المنظمات السياسية عددا من مختلف الأديان تصل نسبة المسلمين فيها الى ٢٧٠ عضوا مقابل ٢٠٥ من المسيحيين والمستشارين الوثنيين .
بينما نرى أن نسبة المسلمين الى غيرهم من الطوائف الأخرى في منطقة افريقية الاستوائية الفرنسية هي ٢٧ مقابل ١٧٣ من غير المسلمين ونعني بهذا العدد مجموع الشخصيات البارزة التي تشترك في الهيئات السياسية . وهذا دليل يوضح أن الاسلام قد توقف عند تخوم الغابات الاستوائية . .

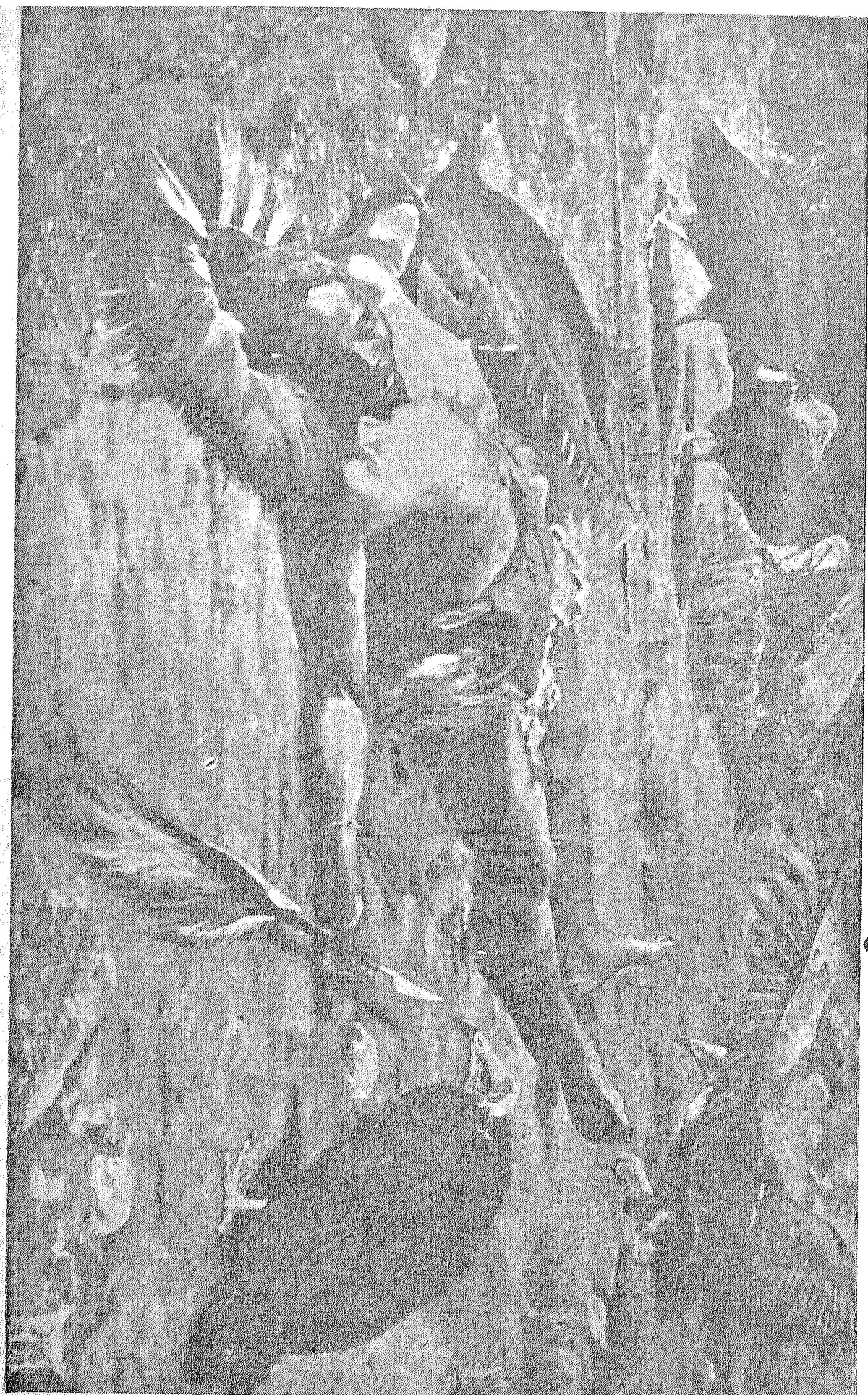
ويختم مستر أرجون حديثه بقوله : « أن قافلة الاسلام التي تتجه في سيرها الى قلب افريقية ، ترسم الطريق التجاري القديم الذي كانت تسلكه قوافل التجارة العربية في افريقية ، ولا يزال التجار المسلمون حتى اليوم ومنهم مصريون وسوريون وليبيون وعناصر أخرى من مسلمي العرب يتحكمون في جزء كبير من تجارة السواحل والمناطق الداخلية وهؤلاء التجار الرحل متحمسون جدا في نشاطهم للدعاية للاسلام ، وكثيرا ما يستعملون أساليب الضغط الاقتصادي للتأثير على عملائهم من الوثنيين فينجحون في تحويلهم الى الدين الاسلامي ، وقد ارتبط هؤلاء التجار بعدد كبير من زعماء القبائل الافريقية عن طريق المصاهرة .

ولا شك في أن مثل هذه الصلات العائلية تساعد كثيرا على نشر الدين الاسلامي .



افريقية المتوئبة

احد الشهداء في كينيا





حسن .. وعبد المعين

للأستاذ عباس خضر

يقطع الصمت الا صوت عبد المعين
بقول لصاحبه : انه لا يقدر على
مواصلة السير ، وانه يشعر بحمى
تسرى في أوصاله ، فأجلسه حسن في
مكان مريح ، وراح يعتنى به ويخفف
عنه آلامه ، ثم هبت الريح الباردة
وهطلت الأمطار ، فخلع حسن
ملابسه ، وجعل يدثر صديقه
المريض . وبقي هو عاريا ينتفض من
البرد والمطر . ولما هدا غضب الطبيعة
نام عبد المعين ، وظل حسن ساهرا
بجواره يرتعش من البرد ، حتى انجلى
الليل ، وبدأت تباشير الصباح تحمل
اليه من الشرق ، ثم تنتشر في أرجاء
الوادي ، واستيقظ عبد المعين ،
وسأله حسن عن حاله ، فأجابه بأنه
في حال لا بأس بها ، وأنه يستطيع أن
يعاود السير .

وقطع الصديقان مسافة من
الطريق استرد عبد المعين في أثنائها
قوته ونشاطه ، ولكن حسن أخذ
يشعر بالضعف فكان يتجالد ويجهد
نفسه ، وكان يشعر بالجوع لأن زاده
قد نفذ ، اذ كان يطعم منه صاحبه
الذي كان يدخر زاده ولا يمسه .
ولما انتصف النهار جلس الرفيقان
ليستريحا ، وجعل عبد المعين يأكل
مما معه دون أن يدعو صديقه أو
يعطيه شيئا .. فاضطر حسن أن

قالت الجدة في صوت كله حنان :
كان في قديم الزمان وسالف العصر
والأوان .. رجل اسمه حسن .. كان
مسافرا الى بلد بعيد ، يحمل معه
زاده من طعام وماء ، وكان يود أن
يجد رفيقا يصاحبه في السفر ،
يتعاونان على الخير والشر ، ويؤنس
أحدهما الآخر .

وبينما هو سائر اذ رأى رجلا
يسير أمامه على بعد في الطريق نفسه
فأسرع حتى لحق به ، وسلم عليه
وصافحه ، وتحدث معه وعرف أن
اسمه عبد المعين ، وأنه يقصد الجهة
التي يقصدها .

طفق الاثنان يسيران ويتجاذبان
أطراف الحديث ، فاذا تعبوا من السير
قصدا الى ظل شجرة ليستريحا
ويتناولوا بعض الطعام ، وكان حسن
يدعو عبد المعين دائما الى أن يأكل معه
استأنف الرفيقان سيرهما بعد
الراحة . وظلا سائرين الى أن زحفت
الشمس الى الغرب وتوارت وراء
الأفق ، وأقبل الليل فلفهما بالظلام ،
وساد الصمت حتى لم يعودا يسمعان
الا وقع خطواتهما على الرمال .. ولم

يسأله بعض الطعام . فأبى عبد المعين ..
واشتد الجوع والضعف بحسن ؛
فألح على صاحبه وتوسل اليه ..
وأخيرا رضى عبد المعين أن يعطيه من
زاده ومائه على شرط ..

كان الشرط الذى اشترطه
عبد المعين على صديقه قاسيا فظيعا ..
وهو أن يفقا احدى عينييه .. فرفض
حسن ، وعاود الاثنان السير . ولكن
جهد المسير وارهاق الجوع استبدا
بحسن بالاضافة الى ما عاناه فى الليلة
الماضية من السهر عاريا فى البرد
والمطر ، فخارت قواه ، وتحقق أنه
لا بد هالك ، فقال فى نفسه : ان العيش
بعين واحدة خير من الموت ..

قبل حسن الشرط ، وأصبح بعين
واحدة ، وكان ذلك عند ما ولى النهار،
وزحف جيش الظلام ، فاستسلم
للألم وصار يبكى حظه العائر وصديقه
الفادر ، وسهر الليل وهو يئن ويصعد
الزفرات ، على حين راح الصديق
الفادر فى سبات عميق ..

وفى الصباح عاودا المسير ، ولما
انتصف النهار وجلسا يستريحان
وطلب حسن من عبد المعين أن يمهده
بشيء من الطعام والماء ، فرفض .. ولما
أعاد عليه الطلب قال له انه لن يعطيه
شيئا الا اذا رضى بأن يفقا عينه
الأخرى ..

وأيقن حسن أن لا فائدة فى المعارضة
او الرفض ، فقبل ، وقال فى نفسه
للمرة الثانية : لأن أعيش أعمى خير
من أن أفقد الحياة .

وكان هدف عبد المعين أن يتخلص
من حسن بعد أن استنفذ زاده وماءه
وجرده من كل ما معه ، فلما صار
حسن أعمى لا يبصر شيئا تركه

عبد المعين تحت شجرة من الأشجار
وذهب ، ولم يشغل نفسه بأمره ،
ولم يهتم بما سيؤول اليه حاله ..

وجلس حسن تحت الشجرة
مستسلما للمقادير ، فلم يدع له
اليأس مجالا لأن يفكر فى أى شيء ..
وبينما هو كذلك اذا به يسمع صوتا
لم يسمع فى حياته أرق ولا أعذب
منه .. كان كموسيقى انبعثت من
ضمير الغيب تعزف له لحن النجاة ..
وأرهف سمعه حتى يتبين الصوت
واضحا .. كانت عصفورة فى أعلى
الشجرة تقول له :

« كل من ورق هذه الشجرة تعد
اليك نعمة البصر » .

وأكل حسن من ورق الشجرة .
ولم تمض توان حتى ارتد بصيرا
يرى كل ما حوله .. ونهض يمشى ، ثم
لاحت له على بعد معالم مدينة قصد
اليها ، وهو فى غاية السرور والنشاط.
دخل حسن المدينة وراح يجوب
شوارعها ويخترق طرقاتها ، ويتحدث
مع من يصادفه من أهلها ، حتى علم
أن للسلطان ابنة رائعة الجمال فى
ريعان الصبا ، قد اكتملت لها المحاسن
وكل شيء فيها جميل الا عينيها ..
فهى عمياء فاقدة البصر ، وأن السلطان
حزين من أجلها أشد الحزن .

لما علم حسن بذلك ذهب الى قصر
السلطان ، وأراد أن يدخل فمنعه
الحراس ، واستهزؤا به لما قال لهم :
انه يريد مقابلة السلطان ، واعتقدوا
انه مجنون . وظل واقفا بالباب يحاور
الحراس حتى استطاع الدخول ، ولما
متل بين يدي السلطان قال له السلطان :

— ماذا تريد أيها الرجل ؟

— أدام الله عزك يامولاي السلطان،

علمت أن الأميرة فاقدة البصر ..
- وما شأنك بهذا أيها الأفاق .. ؟
- جئت يامولاي لأرد لها نعمة
الابصار ..
- أنت .. ؟ ما هذه الترهات .. ؟
هل أنت طبيب ؟ وكيف يكون طبيب
بهذا المنظر الرث وهذه الثياب
البالية .. ؟
كيف اجترأت أيها الرجل على
الدخول الى .. ؟
- مهلا يامولاي السلطان .. اذا انا
لم أشف الأميرة وأرد لها بصرها
فاقتلني .. اقطع رأسي .
وفكر السلطان فيما قاله حسن ،
وتدبر موقفه .. هل يمكن أن يجازف
بحيائه لولا أنه واثق بنفسه متحقق
من قدرته على ما يقول ؟ ثم قال له :
- أعلم أيها الرجل أنك اذا لم تكن
صادقا في دعواك فستقتل شر قتلة .
- واذا كنت صادقا يامولاي ،
وأفلحت في إعادة النور الى عيني
الأميرة ؟
- أزوجها لك ..
وأتى حسن بورك من الشجرة
وأعطاه لابنة السلطان فأكلت منها ..
وعاد اليها بصرها ، فبر السلطان بوعد
وزوجها لحسن . وأقيمت الزينات في
القصر ، وعاشت المدينة ليالى ملاحا ،
وأياما كلها أفراح .
وابتهج السلطان بشفاء ابنته وفرح
بعرسها ، وأحاط حسن بعنايته .
ومرت الأيام .. وقذفت الأقدار الى
المدينة بعبد المعين .. سمع عبد المعين
بقصة حسن وما جرى منه وما صار
اليه من نعمة وسعادة ، فاغتم لذلك
وذهب الى السلطان ، وقال له ان هذا

الذي زوجه ابنته ما هو الا شحاذا
أفاق كان يأكل من فتات الطعام ،
وكان ملقى على قارعة الطريق كأنه
قمامة . وأنهى كلامه بقوله :
- كيف يحظى سليل الشحاذين
والمعوزين وحثالات الناس بسليلة
المجد ، وصاحبة الحسب والنسب
وذات الحسن والجمال ؟!
سمع السلطان هذا الكلام ، وتذكر
حالة حسن ومنظره عند ما أتى اليه
أول مرة ، فداخله الشعور بالندم على
اعطاء ابنته لهذا الفقير المنبوذ !!
ولما شعر عبد المعين بأن كلامه وقع
من نفس السلطان الموقع الذي اراده
انبرى يعرض عليه طريقة للتخلص من
حسن .. قال :
- لقد فكرت يامولاي السلطان في
حيلة تنقذ بها شرف أسرتكم الكريمة
من أن ينتسب اليها هذا الدمى
الزرى .. دون أن يدرك أحد أن أمرا
دبر له .
- هات ما عندك .
- تأمر يامولاي السلطان بحفر
حفرة واسعة عميقة ذات قرار بعيد ،
وتغطى بسطح هش ، على أن تكون في
وسط هذا السطح فجوة تبدو كأنها
حفرة صغيرة . وتحفر بجانب الحفرة
الكبيرة في عرض الطريق حفرة صغيرة
في حجم الفجوة .
- وبعد ذلك ؟
- وبعد ذلك تعلن يامولاي السلطان
أنك قررت اقامة حفلة سباق يركب
فيها حسن حصانا ، وأركب أنا حصانا
آخر ، ثم يدبر الأمر بحيث يقفز
حسن بحصانه فوق الحفرة الكبيرة
المغطاة ويقفز حصاني فوق الحفرة
الصغيرة .

- وكيف يدبر هذا الأمر ؟

- تكون الحفيرة الكبيرة على الشمال ، والحفيرة الصغيرة على اليمين . وأنا سأركض بحصاني في الجهة اليمنى فلا يكون هناك مجال لحسن إلا أن يجرى حصانه في الجهة اليسرى . فليكن ذلك .

وكان حسن يخرج وحده في بعض الليالي ويسير حتى يبلغ الشجرة المباركة التي تشفى أوراقها من العمى ، لأن قلبه قد تعلق بحبها وحب المكان الذي تقوم فيه ، ولم ينس أبدا فضل العصفورة ذات الصوت الموسيقى الجميل ، وكان يصفى عساده يسمعها ويستعيد الذكرى السعيدة يوم أشارت عليه بأن يأكل من ورق الشجرة لكي يستعيد البصر الذي ذهب به غدر عبد المعين .

ففي الليلة التي ستسفر عن اليوم الذي حدد للسباق بينه وبين عبد المعين أحس حسن بشوق شديد إلى تلك الشجرة ، ومنى نفسه بأن يسمع صوت العصفورة الملائكى الساحر .. فذهب إلى هناك ، وكانت ليلة مقمرة ساطعة الضياء ذكرته باللحظة التي شعر فيها بالنور يعود إلى عينيه ، وحمد الله على النعمة الكبرى التي يرى بها هذا الجمال

وبينما هو جالس تحت الشجرة يستعيد ذكرى تلك اللحظة السعيدة ، ويتأمل جمال المكان ينعكس عليه ضوء القمر الغامر اذا بالصوت المنغم الحلو .. صوت العصفورة .. يأتى إليه من أعلى الشجرة كأنه وحى من السماء .. يقول له :

((احذر الحفيرة التي على الشمال !))

ولم يزد الصوت على ذلك حرفا ، فجعل يسائل نفسه بعد أن أفاق من

نشوة الاستماع إلى الصوت : أية حفرة هذه وأين تكون ؟

ولكنه كان يشعر شعورا عميقا بالاطمئنان ، لأن هناك عناية خفية علوية ترعاه ، وتدفع عنه الشرور والمكائد ، فهو يحب الناس ويسعى لخيرهم ، ويعفو عن اساءاتهم ، لهذا أسلم حسن أمره لله ، وعول في الوقت نفسه على أن يكون حذرا مما عسى أن يدبره له أهل الشر والغدر .

وفي الوقت المحدد للسباق ركب كل من عبد المعين وحسن الحصان المعد له ، وابتدأ السباق وعبد المعين يجنح بحصانه إلى اليمين .. ولمح حسن الحفرتين في عرض الطريق ، فتذكر في الحال تحذير العصفورة فلكر الجواد في جنبه فأسرع وسبق عبد المعين ، وشد العنان جهة اليمين فكان أمام الحفيرة اليمنى وقفز فوقها وجرى في أمان . وكان من نتيجة هذه الحركة أن حاد حصان عبد المعين إلى اليسار فوقع به في الحفيرة الكبيرة ، وهوى إلى القرار السحيق ..

دهش السلطان مما حدث .. ونادى حسن وقال له :

أتعرف هذا الشخص ؟ قال نعم ، ثم قص عليه ما كان بينهما في الطريق . وأمر السلطان بإخراج عبد المعين من الحفيرة ، فأخرجوه منها وهو على وشك الموت ، وأتوا به إلى السلطان ، وكان حسن حاضرا ، فقال عبد المعين لحسن في صوت متحشرج :

((سامحنى يا حسن !)) .

ولم يستطع أن يزيد على ذلك ، فقد لفظ أنفاسه الأخيرة ، وعقدت الدهشة لسان السلطان وهو يسمع حسن الطيب القلب يقول لصاحبه :

سامحك الله يا عبد المعين ..

السياسة والحكم في إفريقيا

((للدكتور عبد الملك عوده))



بقلم الدكتور بطرس بطرس غالي

حينئذ أدخلت في قسم العلوم السياسية بجامعة القاهرة مادة جديدة سميت ((مشكلات إفريقية)) وأصبحنا في حاجة الى مرجع قيم يهتدى به الطالب في دراسته لهذه المادة ، ويسترشد به كل متتبع لتطورات السياسة الإفريقية فما لبث الدكتور ((عبد الملك عوده)) أن طالعنا بهذا الكتاب .

والدكتور عبد الملك عوده خير من يصلح للتأليف في هذا الموضوع ، وأقدر من يلم بأطرافه ، ويعرف حاجة قسم العلوم السياسية منه .

لأنه أول من نال درجة الدكتوراه من قسم العلوم السياسية . ولأنه أول من أسند اليه النهوض بعبء تدريس هذه المادة .

ولذلك لم يكن غريبا أن يكون أول من يصدر باللغة العربية كتابا جامعا شاملا في هذا الموضوع ، هو الذي سماه :

((السياسة والحكم في إفريقيا)) . قسم المؤلف كتابه الى ثمانية أبواب ، ففي الباب الأول تناول

الاهتمام بالشئون السياسية الإفريقية ظاهرة حديثة في العالم كله لم تتجاوز الا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية التي كانت سببا قويا في انضاح وعى الشعوب الإفريقية . وقد أسفر هذا الاهتمام عن ادخال مادة الشئون الإفريقية في الدراسة بالمعاهد والجامعات . ثم خصصت لذلك شعب وأقسام تؤهل المنضمين اليها للتخصص في المسائل الإفريقية .

ولسنا نعني انه لم تكن هناك معاهد خاصة بالشئون الإفريقية قبل الحرب . فالحق انه كانت توجد مدارس أوروبية خاصة تاحق بها قلة ضئيلة ممن تعدهم حكوماتهم للالتحاق بوزارة المستعمرات ، أو العمل في المستعمرات ، فكانت دراسة ذات طابع خاص يتلاءم مع وظيفة الاستعمار .

اما الجامعات العربية فلم يكن من المقرر أن تدرس فيها الشئون السياسية الإفريقية حتى صدر القرار الجمهوري رقم ٢١٦ لسنة ١٩٥٦ ومن

أهمية الدراسات الإفريقية للعالم عامة. وللأمة العربية خاصة إذ أن أكبر رقعة من الوطن العربي تقع فيها بنحو ٧٢٪ من هذا الوطن يقع في إفريقيا. وتلثا سكانه يقيمون بها ، والباقي في آسيا .

ثم يختتم هذا الباب ينقل تنبؤات وردت في ختام تقرير شامل نشرته مجلة أمريكية ، ومما اشتملت عليه هذه التنبؤات أن إفريقيا الغد ستكون اشتراكية وستتبع سياسة الحياد ، وسيسودها الإسلام ولا تستطيع الشيوعية أن تتغلغل فيها ، ويرجى المؤلف مناقشة هذه الآراء والتنبؤات الى ختام الكتاب .

وفي الباب الثاني قام المؤلف بتحليل العلاقات الدولية بين أوروبا وإفريقية وفي أسلوب تحليلي بارع ينقلنا من فترة الكشف الجغرافية التي كانت نقطة التقاء أوروبا وإفريقية لتتخذ من الإفريقيين رقيقا تتجر فيهم مع القارة الثالثة التي كانت في أمس الحاجة الى اليد العاملة ، ثم يبين كيف أن إلغاء تجارة الرقيق أتاحت للبحرية الإنجليزية فرصة التغلغل في سواحل القارة ثم الاندفاع منها الى الداخل، ثم يحدثنا عن تخاطف الدول الأوروبية لأفريقية ، وعن مؤتمر برلين الذي تولى تنظيم هذا التخاطف ، ثم عن نظام الانتداب ونظام الوصاية على أساس أنهما محاولتان لتلطيف حدة الاستعمار الذي نجم عن هذا التخاطف وتدويله .

وانتقل بنا في الباب الثالث عن العلاقات الدولية التي نظم الحكومات فحل الأنظمة الاستعمارية المختلفة

نحليلا علميا دقيقا ، فبدأ بنظام الحكم البريطاني وأنواعه المختلفة وأساليبه ومن ذلك نظام الحكم غير المباشر الذي عمدت إنجلترا في سبيل تحقيقه الى انشاء سلطات محلية ناجمة عن ربط بعض المجموعات في صورة اتحادات جعلت نقاد السياسة يقوون ان أسلوب الحكم الانجليزي في إفريقيا وآسيا تطور من قاعدة « فرق تسد » الى قاعدة « وحد تسد » .

ويلى ذلك تحليل نظام الحكم الفرنسي في هذه القارة وهو على نقيض الحكم البريطاني يستند على المركزية الجامدة والحكم المباشر بغية الوصول الى تحقيق اندماج كامل بين الإفريقي والفرنسي ، ويذكر التطورات الأخيرة التي مرت بها السياسة الاستعمارية الفرنسية في مؤتمر برازيل سنة ١٩٤٤ الى دستور سنة ١٩٤٦ والاتحاد الفرنسي ، ثم الى القانون الاطاري الصادر في يونيو سنة ١٩٥٦ وينتهي بدستور ديجول سنة ١٩٥٨ .

ثم ينتقل الى تحليل الحكم البلجيكي، والحكم البرتغالي اللذين يتميز أولهما « بالوصاية الأبوية » وثانيهما بدكتاتورية « سالازار » .

واذا كان الباب الثاني من كتاب الدكتور عوده يدخل في عداد « علم العلاقات الدولية » والباب الثالث يدخل في عداد « علم نظم الحكومات » فالباب الرابع منه أقرب الى « علم الاقتصاد والاجتماع » ذلك لأنه تناول فيه الأوضاع الاقتصادية الجديدة في إفريقيا ، ومشكلة الأقليات غير الإفريقية التي تضم الى جانب

للمؤتمرات الافريقية التي اشترك فيها الافريقيون مثل مؤتمر باندونج ، ومؤتمر اكرا . ومؤتمر مونروفييا الأخير . ثم يختم الكتاب بافريقية عام ١٩٦٠ . وهنا يناقش التوقعات التي تكهنت بها المجلة الأمريكية في بداية كتابه .

فالكتاب اذن كما يبدو من عرضنا السابق جمع بين مختلف العلوم التي يتكون منها علم السياسة ، فقد نظر في علم العلاقات الدولية والقانون الدولي ، ونظم الحكومات ، والنظرية السياسية ، والأحزاب السياسية وطبق كل هذا على منطقة جغرافية واحدة أصبحت مثار اهتمام العالم هي القارة الافريقية وذلك ليمد المكتبة العربية بأول كتاب من نوعه عن افريقية .

وشكرا للدكتور عوده على كتابه القيم الذي سيظل يذكرنا نحن أبناء الاقليم الجنوبي من الجمهورية العربية المتحدة بأننا افريقيون . وخير ما نختم به التصدير هو أن تقدم للقراء رأيين يدوران حول مكانة بلادنا من افريقية ، اما الرأي الأول فهو لعالم زنجي أمريكي أثبت في أحد كتبه أن الحضارة الانسانية مهدها الأول هو افريقية ، واما الرأي الثاني فهو لسياسي عربي افريقي ، تعنيه مصلحة بلاده ومستقبل ثورته .

اما العالم الأمريكي فهو «بورجخات ديبوا» الذي وصف في أسلوب أدبي رائع العلاقات الوثيقة التي تربط بلادنا بافريقية منذ أقدم العصور .

الأوروبيين بعض الهنود وبعض الباكستانيين ، ثم ينتقل الى مشكلة ملكية الأرض التي تدور في محاور واحد ، سواء أكان المستعمر فرنسيا في الجزائر ، أم انجليزيا في كينيا وأوغنده ، وذلك المحور هو قصر الأراضى الجيدة على أفرادهم وعلى شركاتهم الكبرى وحرمان المواطنين منها .

ثم يتحدث عن ظاهرة التبشير والتعليم ، وعن الطبقات الجديدة ، والنقابات وهو يحلل كل هذه المشكلات الافريقية ، تحليلا اقتصاديا واجتماعيا مصطبغا بتلك الصبغة السياسية التي تلازم الكتاب .

وفي الباب الخامس دراسة للمنظمات والأحزاب السياسية الافريقية في تحليل علمي رائع فيعرض فلسفة تلك الأحزاب والمنظمات ، ويوضح خصائصها ويتبع تطوراتها ، ويطبق ذلك على مختلف المناطق من أقصى الجنوب الى المغرب العربي .

وبذلك يبين مقدار الرابطة الوثيقة بين الحركات السياسية العربية . وللدكتور عوده فضل كبير في هذا الربط اذ أن الباحثين والمعلقين من غير الافريقيين ما زالوا يفصلون بينها .

وابتداء من الباب السادس ينتقل من الدراسة العامة للقارة الافريقية الى دراسة مشكلات بعينها فيخصص بابا لتصفية الاستعمار الايطالي في افريقية حيث كانت ايطاليا ذات سلطان على ليبيا واريتريا والصومال . ثم يخصص بابا للتفرقة العنصرية في افريقية الجنوبية ، ثم بابا آخر

في أعماق افريقية بين خمسة ملايين من البيض ومائتى مليون من الافريقيين، لا نستطيع لسبب هام وبدهى : هو أننا في افريقية .

ولسوف تظل شعوب القارة تتطلع إلينا ، نحن الذين نحرس الباب الشمالى للقارة ، والذين نعتبر صلتها بالعالم الخارجى كله .

ولن نستطيع بحال من الأحوال ان نتخلى عن مسئوليتنا فى المعاونة بكل ما نستطيع على نشر النور والحضارة حتى أعماق الغابة العذراء .

ويبقى بعد ذلك سبب هام - هو أن النيل شريان الحياة لوطننا يستمد ماءه من قلب القارة .

ويبقى أيضا أن السودان - الشقيق الحبيب - تمتد حدوده الى أعماق افريقية ويرتبط بصلات الجوار مع المناطق الحساسة فى وسطها .

والمؤكد أن افريقية مسرح لفوران عجيب مثير - وان الرجل الأبيض الذى يمثل عدة دول أوروبية يحاول الآن إعادة تقسيم خريطتها ، ولن نستطيع بحال من الأحوال أن نقف امام الذى يجرى فى افريقية ولا نتصور أنه لا يمسننا ولا يعنيننا .

« بزغت فى أثيوبيا تسمى الحضارة البترية . ومن هناك استفاض مشرقها الى ربوع وادى النيل ... ومن وراء حدود أثيوبيا . امتدت فى وسط افريقية وجنوبها كنوز الذهب فى «أوفير» وكذلك ازدهرت تجارة بونت الواسعة والتي ارتبط بها الى حد بعيد رخاء مصر وثراؤها ..

وقد جلبت مصر الرقيق من افريقية السوداء كما أتت بهم من آسيا وأوروبا . ولكنها جلبت أيضا - من افريقية السوداء - مواطنين وزعماء .. وعندما فتحت مصر أقطار آسيا استخدمت فى فتوحاتها جنودا سودا على أوسع نطاق ...

اما السياسى المعاصر فهو الرئيس جمال عبد الناصر الذى يقول فى فلسفة الثورة :

« أيمكن أن نتجاهل ان هناك قارة افريقية شاء لنا القدر أن نكون فيها - وشاء أيضا أن يكون فيها صراع مروع حول مستقبلها ، وهو صراع سوف تكون آثاره لنا أو علينا سواء أردنا أم لم نرد ؟ ..

اننا لن نستطيع بحال من الأحوال - حتى لو أردنا - أن نقف بمعزل عن الصراع الدامى المخيف الذى يدور



diately be released. But now events have begun to take a new shape at a tremendously marvelous speed here and there all over the continent; there is resurrection not for destruction but for a rebirth and reconstruction of the former glory of the African People.

Mr. Chairmann, Afro-Asian Fighters for Freedom. This is not a place for long speeches, and I do not intend to say more than this and that is we from Nigeria are here with open heart to join hands with our Kenya brothers in order to make our dreams a reality. We come to join in planning a new future, happy future not only for ourselves and our children but for the whole World. All African Nations of today and those that are to be, have not

the slightest thought of aggression, but the thought and desire of bringing about all those bounties of life and beauty of harmonious living, respect for the individual, dignity of man and an atmosphere of true democracy.

Africa is proud of having all the potentialities that make a great nation. The natural and human resources are there and our only duty today is to free ourselves from political domination in order to enable ourselves to harness these forces that God has given us to bring comfort to our people.

The Imperialists and Colonialists must quit Africa. Now Africa must be free. Africa for Africans. Africans must rule themselves. The white settlers must quit Africa Soil.

shamefully assassinated by the French Imperialistic criminal Forces.

Dear Compatriots: Today, the convocation of this meeting of 26th. of September is for the condemnation of Her Majesty's British Colonialist and White-settlerism evils and atrocious brutal massacres in Kenya and *declaration of a state of emergency against the BLACK NATIONALS IN KENYA*. Africa as a whole and all that it means, peoples of Africa fighting for Freedom and Justice. - the opportunity afford to Africans from all corners of Africa to meet together to discuss their peculiar problems in relation to World politics is very rare opportunity. We should not forget the unprovoked Colonialist and Imperialist oppression on the Africa soil. We should remember and sympathise with the gallant Nationalists of Kenya who are being killed in thousands and Heroic Algerian Nationalists who are being killed in thousands for resenting a political economic, and social philosophy quite inconsistent with the democracy and for what thousands of Africans shed their blood for the sake of SOVEREIGNTY AND INDEPENDENCE.

TY AND INDEPENDENCE. The plight of these heroes whose daring effort sacrifices and determination to rid themselves of these evils of democracy.

May I be allowed to say that all human beings are born free and equal in dignity and rights. They are endowed with reason and conscience and should act towards one another in spirit of brotherhood.

The Universal Declaration of human Rights is a common standard of achievement for all peoples and all nations. This Article is not taken into practice. It is unfortunate that the Western Powers had unanimously endorsed the Universal declaration of human rights for their own benefit and political selfish interests as Great Powers against small nations, who have been for long severed by colonialism.

This meeting proclaims its fullest support to the principle of selfdetermination of Nations and denounces the Policy of slavery and foreign domination of Colonialism in Africa. Our gallant leader Jomo Kenyatta, Dr. Bundar of central Africa and other African Nationalist Leaders must unconditionally and imme-

VOICE OF NIGERIA ON KENYA DAY

On behalf of the people of Nigeria and in the name of African patriotic Nationalists who have sacrificed their lives for the sake of FREEDOM, JUSTICE, AND INDEPENDENCE, We have the honour to present our heartfelt gratitude to THE LEADING COMMITTEE OF KENYA NATIONAL OFFICE IN CAIRO for giving us this opportunity to address to you our humble comprehensive speech on the momentous occasion of the celebration of JOMO KENYATTA DAY. This momentous occasion is mark of protesting against the British Colonialism and Whitesettlerism oppression in KENYA LAND OF CONFLICT for imprisoning of African gallant Nationalist Leader JOMO KENYATTA and other African Nationalists during the KENYA WAR OF LIBERATION. Of course; the Nationalist Kenya People have got to defend their rights-not only their rights alone, but also of

their Children and Children's children.

We the Nigerian People enthusiastically support the people of Kenya, Algeria, Uganda, Kameroons Central Africa Southern Rhodesia, South-Africa and also Afro-Asian Peoples who are struggling for their Freedom and Independence.

Fellow Afro-Asian Fighters for freedom. We have the honour to point out that on September 7th. we have gathered together at the Senate House (National Assembly Building) for the denunciation of the French Imperialistic planned Atomic Test in our Mother land Africa. On Sept. 12 on the African Association premises we vigorously condemned the oppression of the British Colonialist in Southern Rhodesia, Uganda and Central Africa. On September 13th the occasion of the celebration of the First Anniversary of the death of RUBEN UM NYOBE the Secretary General of U. P. C.

d'Aviation D.T.A.

14. Almeida Pires da Conceicao
Commerçant

15. Armando Ferreira
*Fonctionnaire au Consulat du
Portugal à Léopoldville (Con-
go-Belge)*

16. Teofilo Kinkela
Commerçant

17. Dr. Boavida
Avocat.

A ce propos, le Gouverneur Général de l'ANGOLA, de Sa Vianna Rebello a fait la déclaration suivante:

"La Nation Portugaise est une et indivisible. Et que dès lors on ne pourrait admettre une quelconque opinion tendant vers la secession ou l'Indépendance. Ce serait un crime de haute trahison que d'exprimer des idées en ce sens."

Ces quelques faits suffisent à prouver l'inconsistance de toutes les affirmations du Gouvernement SALAZAR selon lesquelles les Colonies sont partie intégrante de la Nation Portugaise et parlant de l'unité morale et politique de cette soi-disant nation qui ne peut exister que dans l'imagination de la politique Salazariste.

Entre la Nation portugaise et les peuples des Colonies, il n'y a aucune des caractéristiques fondamentales qui permettraient de les identifier comme une Nation commune. Pas de Communauté historique, pas de Communauté territoriale, pas de Communauté

d'intérêt économique, pas de Communauté de langue, pas de Communauté spirituelle et culturelle. Ce qui existe, ce sont des antagonismes aggravés jour après jour par la discrimination raciale, par l'inégalité des droits, même les plus élémentaires, par l'exploitation sans vergogne et l'oppression sans précédent dans les annales coloniales. Ce qui existe, c'est une révolte toujours grandissante des peuples coloniaux (révolte que les Colonialistes portugais s'efforcent d'étouffer) contre cette politique rétrograde d'exploitation forcenée, de pillage, d'oppression culturelle et économique couronnée de leurs richesses et leurs ressources naturelles, déportation de tortures, d'assassinats et de meurtres.

Par l'étendue et l'importance des territoires coloniaux sous son Administration, le Portugal est la quatrième puissance colonialiste du monde. Pourtant les Colonies portugaises se rangent parmi celles où l'organisation d'un mouvement de libération est la plus en retard. Tous ces faits placent les Etats Indépendants au développement de ce mouvement. Les peuples de ces Territoires ont le droit de l'attendre des Etats indépendants d'Afrique qui ont le devoir de répondre à leur appel, en leur donnant leur aide, y compris sous la forme de leur expérience de lutte contre l'ennemi commun le colonialisme et l'impérialisme.

pays pour la réhabilitation du colonialisme et de l'impérialisme.

* * *

A l'île de S. Tomé en 1953, le colonialisme portugais découvrit son vrai visage. Cette année-là, au mois de Février, devant une provocation du Gouverneur CARLOS GORGULHO qui augmenta les heures du régime des travaux forcés, les habitants élevèrent une protestation. Le Gouverneur déclencha alors une brutale et sanglante repression. Il y eut 3.080 tués. On procéda à des emprisonnements en masse; des centaines de gens sans défense furent torturés et assassinés; des villages entiers furent saccagés, incendiés et leurs populations massacrées ou déportées. Le sang coula à flots. On remplit les prisons. La grande majorité des fonctionnaires noirs furent arrêtés et envoyés aux brigades de Fernao-Dias où ils furent liés avec de lourdes chaînes de deux tours attachés au cou, à la ceinture, aux jambes. Ils furent ensuite contraints de charger de grosses cuves d'eau sur la tête, de pénétrer ainsi dans la mer et d'y rester en punition avec de l'eau jusqu'au cou. Les emprisonnés furent torturés jusqu'à la mort pour les amener à faire des aveux. Beaucoup d'entre eux furent soumis à des chocs électriques durant des heures.

Un véritable climat d'enfer, avec toute l'insouciance compa-

rable au Génie du Satan sévit sur l'ANGOLA et le Mozambique. On ne peut décrire ce qui s'y passe, depuis les sanglants événements du Congo-Belge et du Nyassaland. Des troubles ayant éclaté dans certaines localités de L'ANGOLA, plus de 200 éléments nationalistes, comptant parmi l'élite du pays et dont quelques noms suivent, ont été déportés. Les bruits les plus divers circulent quant au sort qui leur a été réservé.

1. Pedro Antonio Benge
Fonctionnaire à l'Administration
2. Ferando Pascoal
Commerçant
3. Figueiredo Alfredo
Fonctionnaire à l'Administration
4. Andre Rodrigues Mingas
Fonctionnaire à l'Administration
5. Tanclero
Fonctionnaire à l'Administration
6. Sebastiao Gaspar Domingos
Pasteur des Missions Protestantes
7. Gaspar d'Almeida
Directeur d'une Ecole Evangélique (Mission Protestante)
8. Nobre Pereira Dias
Directeur d'une Ecole Primaire
9. Agostinho Hendes de Carvalho
Fonctionnaire à l'Administration
10. Jose Vieira Dias Vandune
Fonctionnaire à l'Administration
11. Belarmina Vandune
Fonctionnaire à l'Administration
12. Correia
Fonctionnaire à l'Administration
13. Lucreia de Silva
Fonctionnaire de la Compagnie

situés à des milliers de miles du Portugal, séparés de ce dernier par d'autres pays, les Océans Atlantique et Méditerranée et appelés "Provinces Portugaises" servent depuis 5 siècles de greniers d'esclavage et de champs de travail forcé, où viennent s'enrichir tous les mendiants du Portugal.

Les Colonies Portugaises d'Afrique, particulièrement l'ANGOLA et le Mozambique disposent d'immenses ressources. On y trouve abondamment du pétrole, du charbon, du fer, du manganèse, de l'or, des diamants, du cuivre et d'autres métaux et matières premières nécessaires au développement d'une industrie puissante et moderne. Les terrains et climats sont favorables à l'essor d'une agriculture et d'un élevage des plus prospères. Leurs fleuves et leurs côtes sont propices à une industrie de la pêche des plus florissantes. Et cependant des générations et des générations d'Africains mènent une vie de misère, d'ignorance, soumis aux persécutions et à l'exploitation inhumaine de leur labeur. Les travailleurs agricoles meurent prématurément faute d'assistance médicale. La culture Africaine est méprisée, oubliée, détruite. Les langues sont déconsidérées et leur développement est freiné. La contribution de l'homme noir au développement de la culture humaine est réduite

à zéro.

Les institutions en place ne sont que le perfectionnement du lourd appareil répressif pour mieux noyer les revendications légitimes des noirs. Un travail de sabotage sur l'échelle nationale est entrepris avec les prévisions d'une domination portugaise éternelle.

Les institutions religieuses sont elles-mêmes dénaturées et épousent complètement la politique coloniale dont elles sont devenues de véritables auxiliaires tout dévoués.

Le Gouvernement SALAZAR craignant le développement d'un mouvement que les échos de la lutte libératrice des autres coloniaux viennent stimuler, en même temps qu'il renforce son appareil répressif policier militaire (LA FIDE, sorte de Gestapo) cherche à empêcher le contact des peuples qu'il domine avec le monde extérieur. De là leur position à l'O.N.U. qui nie que les Colonies soient des Colonies, de là aussi leur participation active à des Conférences et à des coalitions avec d'autres pays qui possèdent des Colonies en Afrique, afin de coordonner la défense commune de leurs positions colonialistes respectives et la répression des mouvements de libération, de là enfin, les efforts développés par les théoriciens Salazaristes dans le sens de la mobilisation idéologique de certains

10.510.000 habitants; de ce total 10.214.151 figurent comme "non évolués". Ce chiffre donne une idée exacte de ce que représente l'action soi-disant "Civilisatrice des Colonialistes Portugais durant 5 siècles de domination.

Depuis 5 siècles les Portugais sont maîtres en ANGOLA, au Mozambique, en Guinée, au Cap-Vert et au Saô Tome. Cette longue période suffit largement pour étudier la vie des peuples autochtones et de leur apporter des progrès considérables, mais cela n'a jamais figuré dans les plans des Colonialistes Portugais. Se retranchant derrière le fumiste argument, selon lequel, ils ne pratiquent pas de discrimination raciale, les maîtres-esclaves Portugais ont établi le plus violent système colonial d'exploitation. Les Statuts "d'indigenato" et "d'assimilacão" ne dissimulent rien d'autre qu'une version Portugaise de l'apartheid Sud-Africain.

La Conférence d'Accra a révélé que les peuples Africains sous domination portugaise vivent sous un régime colonial fasciste et sont privés des droits humains et démocratiques les plus élémentaires.

La pénétration accrue du capital monopoliste et des trusts impérialistes aux Colonies, a accentué encore la politique d'exploitation et de pillage dans les Territoires Africains sous domination portugaise. L'utilisation

des ressources hydro-électriques et les travaux d'hydraulique agricole en cours ou en perspective, le développement des ports et des Chemins de Fer n'ont pas d'autre but. Il en est de même de l'élargissement des exploitations et des recherches minières et pétrolifères en ANGOLA, et au Mozambique au profit de grands trusts portugais et de leurs complices.

Dans ces conditions, parallèlement à l'appauvrissement et à l'épuisement des travailleurs agricoles, on note une augmentation constante des profits des grands monopoles coloniaux, lesquels atteignent souvent des sommes fabuleuses. C'est le cas par exemple de la fameuse Compagnie des Diamants d'ANGOLA "LA DIAMANG" qui tient en esclavage et exploite le travail de 50.000 Angolais et dont les profits sont passés de 211.200 MILLIONS d'escudos en 1951 à 340.401 MILLIONS d'escudos en 1955. La Compagnie Charbonnière de Mozambique qui a à son service 2.000 travailleurs indigènes, a obtenu en 1956, 24.000 MILLIONS d'escudos de profits et sa production, de 16.000 tonnes en 1946, est passée à 170.000 tonnes en 1956. Plus de 700.000 noirs sont annuellement maintenus sous le régime des travaux forcés en ANGOLA.

Nul n'ignore d'ailleurs que le Mozambique et l'ANGOLA,

ANGOLA

Dans le procès de désagrégation du système colonial, de l'impérialisme et de formation de nouveaux Etats Indépendants Africains, quelle est la situation présente des Colonies Portugaises qui couvrent une superficie supérieure à 2 MILLIONS de kilomètres carrés, et ont une population de plus de 10 MILLIONS d'habitants ?

Quel est l'état d'évolution des peuples de ces Colonies, de développement d'un mouvement national et quelle est la position du Gouvernement Portugais sur ces problèmes ?

Ces questions sont souvent posées depuis l'Admission du Portugal à l'O.N.U. Et le Gouvernement SALAZAR se contente d'y répondre: "Le Portugal ne connaît aucun problème colonial, dans les Territoires Portugais d'Afrique, il n'y a aucune sorte de colonialisme, puisque, d'après la Constitution Portugaise, le Portugal n'a pas de Colonies".

Il est vrai que devant l'évolution générale du système colonial, le Gouvernement SALAZAR s'est empressé d'introduire en 1950 des changements dans la Constitution et de décréter purement et simplement que les Colonies Portugaises n'étaient plus des Colonies et devenaient des "Provinces d'Outre-Mer".

Mais cette Comédie n'apporte évidemment aucune solution. Les Colonies et les peuples coloniaux n'ont pas cessé de l'être parce qu'un décret a été publié.

Dans les Colonies Portugaises d'Afrique, aucun changement n'a été apporté au retard séculaire des peuples qui y vivent, pas plus qu'à l'oppression et à l'exploitation coloniale dont les habitants sont victimes, par le fait que ces Territoires sont à présent désignés comme "Provinces".

Les Colonies Portugaises sont parmi les plus anciennes du continent Africain. La présence portugaise date de la seconde moitié du XVème siècle, il y a donc 500 ans. Or, l'ANGOLA, dont la population indigène est d'un peu plus de 4.000.000 de personnes, ne compte parmi celles-ci, d'après les statistiques officielles que 290.000 personnes considérées comme évoluées, dont plus de 280.000 personnes sont de race blanche. Au Mozambique, la situation est encore plus impressionnante, puisque sur une population de 6.000.000 il n'y a que 4.349 Africains qui soient déclarés évolués. Enfin, en GUINEE sur 510.000 habitants, 1.500 seulement sont rangés parmi les évolués. L'ensemble de ces trois Colonies Africaines, selon les statistiques est peuplé par

LE SOUDAN A DEUX KEITA

Le premier *Modibo Keita*, est le plus connu. Président du Conseil du Soudan, vice-président de la Fédération du Mali - Soudan-Sénégal -, c'est ce géant à la parole douce que l'on a vu récemment à l'Elysée, en compagnie des autres chefs de la Communauté. C'est lui qui a formulé les inquiétudes les plus vives quant à l'explosion d'une bombe A française au Sahara ; c'est lui qui, avec le plus d'insistance, parle d'indépendance pour le Mali.

Le second se nomme *Madeira Keita*. Il est le cousin de Modibo et son ministre de l'Intérieur au sein du gouvernement du Soudan. A ce titre, et lui aussi en vue d'un referendum pour l'indépendance, *il a mis sur pied un encadrement rigoureux des masses populaires*. L'Union Soudanaise, le parti des deux Keita, a implanté une section dans chaque ville du Soudan, une cellule dans chaque village, un délégué dans chaque entreprise, dans chaque école. Ainsi, les Keita rallieraient-ils aisément 90% des voix.

Madeira a quarante-deux

ans. Ancien secrétaire général du R.D.A. de Guinée, il fut expulsé du territoire en 1951 pour activités anti-françaises. De son passage à Konakry, *il conserve des liens d'amitié très étroits avec Sékou Touré*. C'est lui qui représentait le Soudan au récent congrès du parti démocratique de Guinée, qui se déroula à Konakry en présence de très nombreuses délégations des démocraties populaires et de l'U.R.S.S.

Si Madeira pousse Modibo à réclamer l'indépendance pour 1960, il est lui-même *poussé par les étudiants de Bamako*, très sensibles aux influences de l'Est. Ces jeunes gens se consolent mal de n'avoir pas eu à prendre le maquis contre les Français. L'évolution pacifique de l'Afrique noire les contrarie. Ils rêvent d'une indépendance conquise dans le sang.

Madeira ne se laissera pas déborder par les extrémistes. Mais *déjà, à travers tout le Soudan la campagne pour un referendum à 90% de "oui" pour l'indépendance est engagée*.

NAHDATU IFRIQUIAH

The magazine aims at :

1. Promotion of African National consciousness.
2. Acquaintance among Africans in various regions and environments.
3. Publication of private and public treatises of interest to Africans whatever their pursuits

The subscribers have the right :

1. To receive regularly the magazine and the pamphlets which are occasionally issued at a reduced price.
2. To make use of the services rendered by the magazine Executive committee, as far as possible.

- Nahdatu Ifriquiah welcomes any proposals, ideas and criticism promising to do its best to carry them out.
- It is not necessary that the articles published should always represent the magazine's attitude.

Correspond with :

Chief editor of Nahdatu Ifriquiah magazine.

5, Ahmed Hishmat Street,
Zamalik, Cairo.

The Egyptian Region,
United Arab Republic.

Phone : 807658.

Subscriptions should be sent to :
Dar Akhbar El Youm for distribution.

7, Sharia El Sahafa, Cairo.
(30 piastres a year) :
for Egypt and Sudan.
3 piastres for every copy.

Nahdatu Ifriquiah
A monthly Magazine
for
African Culture

Editor in Chief
M. ABD EL AZIZ ISHAK



من النحت الافريقى

3rd. Year

Issue No. 25

December 1959



Nahdattu

AFRIQUIAH

IN THIS ISSUE

African African Conferences
African African Africa
African African Africa
African African Africa
African African Africa
African African Africa
African African Africa
African African Africa

10 Millimes

السنة الثالثة

يناير ١٩٦٠

(العدد ٢٦)



نهضة أفريقية

في هذا العدد

- تعاليم في افريقية
- المملكة المغربية
- كفاح الصومال
- اول رحلة حول افريقية
- نقد الكتب
- كتاب الشهر

العدد ٣ فروع



((احتفال دینی فی نیجیریا))

نهضة إفريقية

تهدف هذه المجلة الى :

- ١ - تنمية الوعي القومى الافريقى.
- ٢ - التعارف بين الافريقيين فى مختلف بيئاتهم وحياتهم الاقليمية .
- ٣ - نشر البحوث الخاصة والعامة التى تهتم كل افريقى فى مجاله الحيوى

وللمشتركين الحق فى :

- ١ - الحصول على المجلة بانتظام وكذلك المطبوعات التى تصدرها المجلة بين وقت وآخر بثمن مخفض.
- ٢ - الافادة من خدمة لجنة الاتصال بالمجلة بقدر الامكان .

● ترحب « مجلة نهضة افريقية » بالمقترحات ، والآراء ، والنقد ، وتعمل على تحقيقها .
● ليس من الضرورى أن تكون المقالات التى تنشر فى هذه المجلة معبرة عن رأيها . .

ترسل المراسلات باسم :

السيد رئيس تحرير مجلة نهضة افريقية
٥ شارع احمد حشمت - الزمالك
بالقاهرة

تليفون المجلة ٨٠٧٦٥٨

الاقليم المصرى

بالجمهورية العربية المتحدة

ترسل قيمة الاشتراك فى المجلة الى :

دار أخبار اليوم للتوزيع :

٧ شارع الصحافة بالقاهرة

الاشتراك سنويا :

لمصر والسودان ٣٠ قرشا

ثمن العدد ٣ قروش



نهضة إفريقية
مجلة شهرية
للتقافة الأفريقية

رئيس التحرير
محمد عبد العزيز اسحق

محتويات العدد

صفحة

٣	ثعالب في افريقية : للاستاذ محمد عبد العزيز اسحق :
٧	كفاح الصومال : للدكتور جلال يحيى المملكة المغربية :
١٨	للدكتور على ابراهيم عبده نقد الكتب :
٢٥	للاستاذ عبده بدوى أول رحلة بحرية في افريقية :
٣٤	للاستاذ مصطفى الشهابى المغرب فى صور : شخصية العدد :
٤٣	للاستاذ محمد فهمى كلمات وصور : رواندا - اوراندى :
٥٦	للاستاذ بهجت الدسوقي من القصص السودانى :
٦٠	للاستاذ عباس خضر الفدائيون :
٦٣	للاستاذ سمير سويلم بول روبنسون :
٦٥	كتاب الشهر
٦٧	للاستاذ محمد عبد الفتاح ابراهيم

فكرة ..

فى مطلع هذا العام تحقق أمل كبير من آمال افريقية . ففى أول يوم فيه تحقق استقلال ((الكمرون)) وأصبح شعلة مضيئة فى غرب القارة بعد أن ظلت المنطقة مظلمة أمدا طويلا . ذلك لأن النور الحقيقى الآن فى كل بلد هو نور الحرية !

وقد تقلب ((الكمرون)) بين عدة ألوان من السياسات ، والضغوط فبعد أن كان سعيدا فى ظلال الحرية يتنفسها فى الهواء ، وفى نفسه . أصبح بضربة عنيفة من ضربات العذر محمية ألمانية فى الفترة بين عامى ١٨٨٤ ، ١٩١٤ ثم نراه بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى منشطرا الى قسمين يحتل أولهما انجلترا ، ويحتل الثانى فرنسا . ثم نراه أخيرا تحت اشراف ((عصبة الأمم)) ثم كانت الحرب العالمية الثانية ، وكان الجنود الكمرونيون وقودها ، والرماد المحترق الذى يمر عليه الانتصار بعد ذلك . وكانت الثمرة المرة التى جناها الكمرون هى وضعه مرة ثانية تحت وصاية الأمم المتحدة .

والكمرون يعتبر من البلاد الغنية الخصبة التى يمكنها أن تلعب دورا هاما فى الاقتصاد الافريقى . ان شعبها ليس خمسة ملايين من البشر ، ولكنه خمسة ملايين أمل ، وشعلة على الطريق الأسود الكبير : طريق افريقية !

((عبده بدوى))

ثعالبة افريقية

بقلم الأستاذ محمد عبد العزيز اسحق

و « نيجيريا » ووعد « سيراليون »
و « أوغندا » بالحكم الذاتي تمهيدا
للاستقلال القريب ، والاقتناع بانشاء
حكومة يغلب عليها الطابع الافريقى
فى « تنجانيقا » والتمهيد للتراجع فى
« نياسالاند » .

ومنذ أسابيع طار السيد (ماكلويد)
وزير المستعمرات البريطانى ، وجال
فى أنحاء « الامبراطورية السابقة »
تمهيدا لجولة رئيس الحكومة البريطانية
الذى صرح قبل أن يقوم بجولته بأنه
ذاهب الى افريقية « لينصت الى مطالب
الشعوب » ، كأنما كانت « مطالب
الشعوب » غامضة ، وأصواتها خافتة
ولهيب كفاحها غير مبين ! ...

مهما يكن من شىء فقد جاء « مستر
ماكميلان » الى افريقية ، وهو لا يرتدى
« فروة الاسد » وانما جاء وفى يده
« غصن الزيتون » يلوح به للدكتور
« أنكروما » ويرجوه أن يترفق
ب « رمز الامبراطورية » و « رأس
الكومنولث » وأن لا يتعجل باعلان
الجمهورية فى غانا ، والاقتصار مع
بريطانيا ، على العلاقات الثقافية
والاقتصادية ...

وهو يأمل فى أن يوصى زعماء
نيجيريا خيرا بشركة « شل » وأخواتها
من ذوات الاحتكارات البريطانية التى
تركزت فى أيديها خيرات البلاد ،

خرج « الأسد البريطانى » منتصرا
فى الحرب العالمية الاخيرة ، ولكن
أنيسابه تهشمت فى « دنكرك »
و « الفلاندر » و « آرنهيم » وفى
« هونج كونج » و « سنغافورة » ..
وما كاد يقتسم هو وحلفاؤه مغانم
النصر حتى اشتبك فى صراع مرير مع
مستعمراته الآسيوية ، وكان أن خرج
من الصراع ، وقد تثلمت مخالفته
وأصابه الهزال . ومع ذلك فقد ظل
يختال و « يهز ذنبه ! » فى افريقية
الى أن دخل « مغامرة السويس ! » ..
وخرج من المغامرة ، وقد اعتصر ذنبه
والتوى ، ولم يعد يصلح حتى للزهو
والخيلاء ! ، وانتفضت المستعمرات
الافريقية ، الواحدة تلو الاخرى ،
فحاول الاسد أن يكابر ، ولكن العقلاء
من فوق نصحوا له بأن يهادن ويساوم
ويتنزل من تخيلات « الامبراطورية »
الى واقع « الكومنولث » ..

هذا هو التصوير التاريخى المبسط
لنشاط الاسد البريطانى فى السنوات
الاخيرة ، ذلك النشاط الذى بدأ
بالزئير فى وجه « أوغندا » و « ساحل
الذهب » و « نيجيريا » و « كينيا » ،
وبالتهديد والوعيد فى « سيراليون »
و « تنجانيقا » و « زنجبار »
« الروديسيات » ، ثم انجلى التهديد
والوعيد عن استقلال « ساحل الذهب »

واستيرادها وتصديرها ، كما يأمل فى أن يقنع زعماء « أوغندا » بأن يقبلوا ما قبلته جارتهم « تنجانيقا » من انشاء حكومة « متعددة الأعنصاف » يغلب عليها العنصر الافريقى الى أن يأتى الله بالفرج فى العالم القادم ، حينما تجرى انتخابات جديدة ..

ولئن كان « مستر ماكميلان » يحمل فى جعبته الكثير من أغصان الزيتون الا أنه من المؤكد أنه لا يدخر أحدها لاهالى « كينيا » و « الروديسيات » فان المتوطنين البيض الذين أعماهم التعصب يخوضون الآن ما يعتبرونه صراع موت أو حياة ، ولئن كان مستر ماكميلان على ثقة منذ الآن من نتيجة الصراع ، الا أنه لا ينتظر أن يتخذ موقفا يتفق والعدالة ازاء ذلك الصراع .

وفى الوقت الذى يتظاهر فيه « مستر ماكميلان » بالعطف على أمانى الشعوب الافريقية نراه يستثنى - بصراحة - شعب جنوب افريقية ، ويضرب صفحا عما تلاقىه كثرة الاهالى الساحقة من عسف الاقلية البيضاء ، ذلك العسف الذى اهتز له الضمير العالمى ، وأدانتته - مرارا هيئة الأمم المتحدة ، وتحرك ، لفظاعته ، قطاع كبير من الشعب البريطانى ..

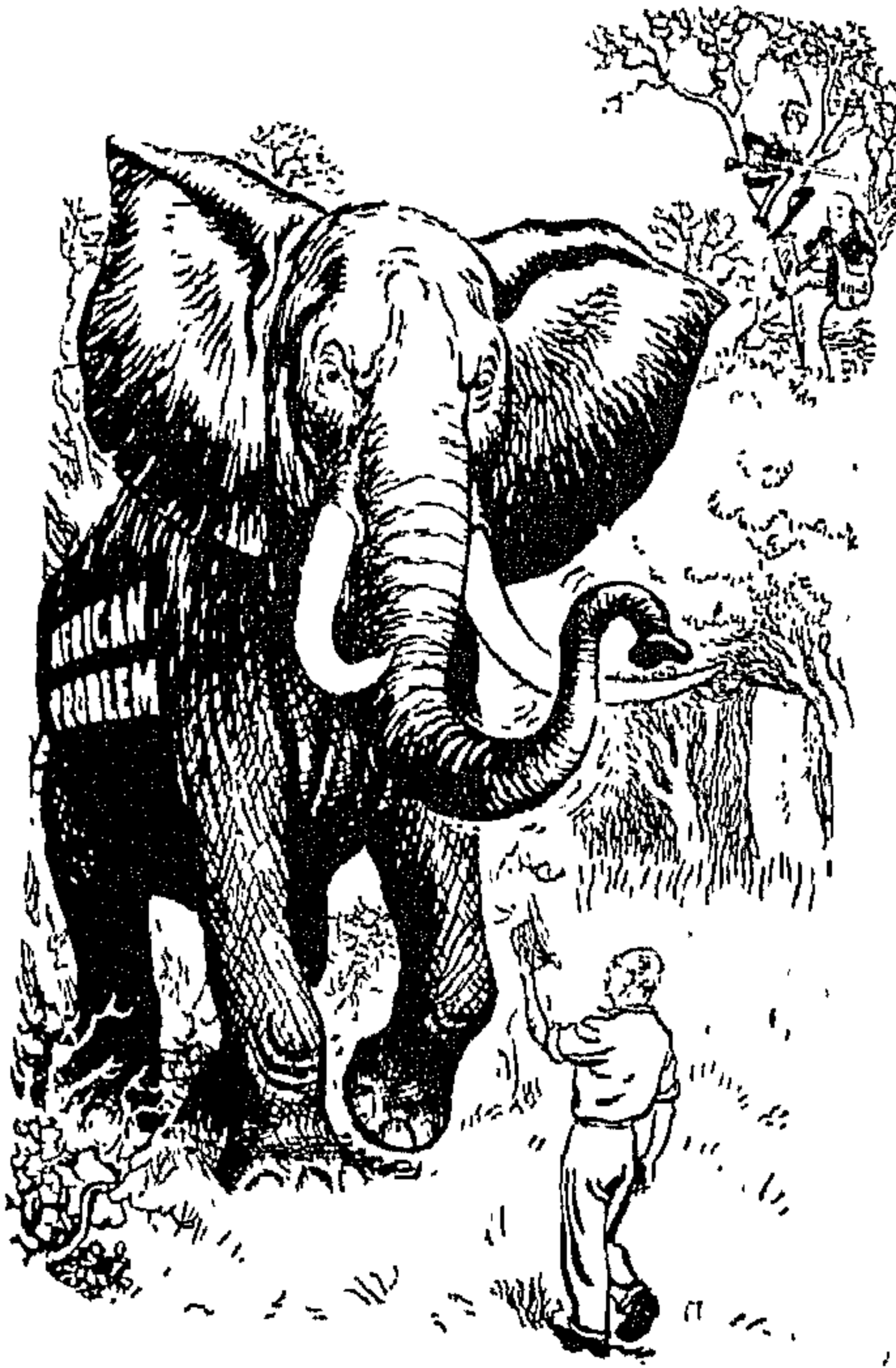
وللمستر « ماكميلان » فى ذلك حجة تقليدية ، تنلخص فى أنه يعتبر « اتحاد جنوب افريقية » بلادا مستقلة وعضوا مع بريطانيا ، على قدم المساواة ، فى الكومنولث ، وأنه لذلك لا يجد من اللباقة أن يتحدث مع مضيفيه فى شئونهم الداخلية .. !

.. وكان محنة الملايين من الافريقيين فى

ذلك « الاتحاد » اللعين لم تأت على يدى بريطانيسا التى وضعت أسس التفرقة العنصرية هناك ، والتى هيات لحكام « الاتحاد » أن يدوسوا بأقدامهم على رقاب السود ، ثم رحبت بهؤلاء الحكام « أعضاء على قدم المساواة فى الكومنولث البريطانى » ..

وليست هذه المراوغة غريبة عن الحكام والساساة البريطانيين ، فان لحكومة « المستر ماكميلان » مواقف لا تقل غرابة ازاء زعيم كينيا « جومو كينياتا » ، وازاء الدكتور « باندا » زعيم نياسالاند . ذلك أن « جومو كينياتا » قد حكمت عليه محكمة بريطانية بالسجن (عام ١٩٥٢) بتهمة تشجيعه وتحريضه لحركة « ماو ماو » . وقد بنت المحكمة حكمها على أساس شهادة أدلى بها أحد الاهالى من ذوى الصلة الحميمة بالمتوطنين البيض ، ولم تستمع المحكمة لتجريح الدفاع لذلك الشاهد ، وأرسلت الزعيم الوطنى الى السجن حيث قضى مدة العقوبة ، وهى سبع سنوات . ولما أفرج عنه (عام ١٩٥٩) رأى الحاكم البريطانى أن يفرض عليه عقوبة جديدة (لانهائية) هى عقوبة النفى ، وأرسل به فعلا الى معسكر اعتقال صحراوى

وفى الوقت الذى أصدر فيه الحاكم قراره تيقظ ضمير الشاهد فى القضية فأعلن أن شهادته كانت مغرضة ومزورة وأنه تقاضى عنها مبلغا من المال وحصل على بعثة دراسية الى بريطانيا . وحوكم الشاهد على « يقظة ضميره » واعترف مرة أخرى بأنه ظلم « جومو كينياتا » حينما قرر أنه يحرض الـ « ماو ماو »



ومن قبل هذه الجولة ((الثعلبانية))
التي يجولها « المستر ماكميلان » في
افريقية ، جاء ملك بلجيكا على أثر
حوادث الاضطرابات التي نتجت عن
قرار مقاطعة الانتخابات البلدية ، في
الكونغو البلجيكي .
وقد جاء الملك بنفسه « ليطمئن »
أهالي الكونغو على مستقبلهم ، وليؤكد
لهم أن حكومته سوف « تتدرج » بهم
الى الحكم الذاتي في خلال أربع سنوات
ولكن ... هل اقتنع الكونغويون
الوطنيون ((بحسن النية)) وروح
التودد التي جاء بها الزائر الملكي .. ؟
لقد كان جواب الكونغويين قاطعاً
وحاسماً فقد انعقد في « ليوبولدفيل »
مؤتمر عام للأحزاب الوطنية برئاسة
الزعيم « جوزيف كازافوبو » رئيس
حزب « أباكو » وقرر المؤتمر المطالبة
بالافراج فورا عن الزعيم « لوموبا »

وقضت المحكمة بحبس الشاهد ،
وأصبح من أوضح الامور ، للعالم أجمع
فضلاً عن « مستر ماكميلان » وحكومته
أن « جومو كينيا » - قد سجن ظلماً
وأنه الآن قد اعتقل ظلماً ، وكانت
أبسط مظاهر العدالة تقضى بأن يفرج
الحاكم البريطاني في كينيا عن الزعيم
الوطني ، وأن يعيد اليه اعتباره .

ولكن « مستر ماكميلان » - الذي
يزور افريقية ليتحرى الحقائق - ((لم
تعجبه هذه الحقيقة الدامغة)) ..

وهذا نفسه هو ما حدث في نياسا ..
لقد اتهم الحاكم البريطاني زعيم
نياسا « الدكتور باندا » بأنه حرّض
الاهالي على ارتكاب أعمال العنف ،
ولكنه لم يقدم للمحاكمة ، فان المحاكمة
قد تستدعي ايجاد شهود (ولو شهود
زور) بل أرسل به الى السجن رأساً ،
وثار شعب نياسا احتجاجاً ، وغضبت
معه شعوب افريقية ، وأثيرت مسأله
على نطاق دولي ، وتحركت « المعارضة »
في بريطانيا ، واضطرت حكومة
« المستر ماكميلان » الى أن ترسل
« لجنة تحقيق » الى « نياسا » لاستجلاء
الحقائق . ولم تجد اللجنة بدا من
الاقرار بالحقيقة ، وهي أن الزعيم السجين
لم يثبت أنه حرّض على العنف ، وهكذا
ثبت بشهادة مبعوثي « المستر ماكميلان »
أنفسهم أن الدكتور « باندا » برىء
وأن اعتقاله ظلم وطغيان ، فماذا يفعل
المستر ماكميلان ؟

هل يغضب الحق والعدل ؟ أو
يغضب المستوطنين البيض في
« نياسالاند » .. ؟

لقد كان الجواب هو استمرار بقاء
الدكتور « باندا » في معتقله حتى
الآن .. !

الذى اعتقل على أثر حوادث « ستانلي قيل » ، كما قرر التفاوض مع الحكومة البلجيكية على أساس واحد هو « تسليم السلطات فى الكونغو الى حكومة وطنية فدرالية » ، وجاء فى البيان الختامى الذى أصدره المؤتمر : « اننا نرفض كل المفاوضات العقيمة التى بشأن العلاقات بين الكونغو وبلجيكا ، قبل أن تتألف هذه الحكومة الوطنية » .

وهكذا أسفرت رحلة الملك البلجيكي « لاستجلاء الحقائق وتهدة الخواطر » عن وحدة الصف الوطنى الكونغوى ، واصراره على الاستقلال الناجز ...

اما الشريك الاستعمارى الثالث ، ونعنى به « الجنرال ديجول » فقد سبق زميله الى افريقيه ، وطاف بها من « موريتانيا » الى « جابون » ، وفى خلال رحلته « وافق » على استقلال « اتحاد مالى » وبارك رغبته « موريتانيا » فى الاستقلال ، ونظر بعين الرضا الى مشروع اتحاد مستقل يضم « ساحل العاج » و « النيجر » و « داهومى » و « قولتا العليا » وأعلن أنه لا يعترض على الحركات التحررية الوطنية الرامية الى « الاستقلال » ما دامت هذه الحركات لا ترمى الى « الانفصال التام » عن « الجماعة الفرنسية » .

وهكذا اضطر « ديجول » الى قبول « الموت البطيء » للامبراطورية الفرنسية ، والاعتراف الضمنى بأن فرنسا أضعف من أن تصمد للمد القومى الذى اجتاحت الاقاليم الافريقية الشاسعة من « داكار » الى « برازاڤيل » ..

ومن وراء هؤلاء السادة يحاول « الدولار » و « الكتاب الأمريكى » أن يمهّد الطريق لنفوذ « العم سام » و « شركاته الاحتكارية » و « قواعده

العسكرية » وما من شركة كبرى تبحث الآن عن البترول أو تنقب عن المعادن فى « الجزائر » أو « ليبيريا » أو « نيجيريا » أو « الكاميرون » أو « الكونغو » الا ورأس المال الأمريكى يقف من ورائها . وما من فرصة تسنح لعقد الاتفاقيات العسكرية الا وحكومه الولايات المتحدة تنتهزها (كما حدث مؤخرا فى ليبيريا) ، والغاية من ذلك فى منتهى الوضوح ، ألا وهى ربط الحركات الوطنية الافريقية - التى تقوم فى كثير من البلدان على أساس النشاط النقابى « بعجلة الغرب » واخضاعها لسياسة الدولار .

ولئن لقيت هذه المحاولات بعض النجاح واستطاعت أن تجتذب بعض القادة النقابيين الافريقيين ، الا أنه لن يمضى وقت طويل قبل أن ينكشف هؤلاء القادة ، ويسقطوا من أعين مواطنيهم ، وتنبأ منهم النقابات الافريقية الوطنية ..

وتد كان آخر المعاجات السنيه للاستعمار وثعابه ما أعنته وزير خارجية « كوبا » لدى زيارته للهاهره من الانجاه الى عقد مؤتمر اقتصادى « اسبوى - افريقى - لائينى » يضم دول آسيا وافريقية وأمريكا الجنوبية (اللاتينية) لى تنسق هذه الدول - التى اصطلح الاستعمار على تسميتها بالدول المتخلعة - جهودها ومواردها الاقتصادية ، بحيث تتعاون تعاوناً حراً على الاستفادة بتلك الموارد لرفع مستوى معيشتها ، وبناء اقتصادها ، على أسس سليمة خالصة من الاحتكار والاستغلال .

واذا علمنا أن عدد سكان هذه المنظمة الجديدة يزيد على ثلثى سكان العالم أدركنا مدى أهمية المؤتمر لمستقبل الشعوب الناهضة ، ونضالها فى سبيل التحرر والاستقلال .

كفاح الصومال

للدكتور جلال يحيى

حاولت الدول الغربية تحويل طريق التجارة العالمية التي كانت تمر في البحر الأحمر ومصر أو في الخليج الفارسي وبلاد ما بين النهرين الى رأس الرجاء الصالح والمحيط الأطلسي . ووقفت البرتغال تهدد الشرق العربي في مصالحه وأقواته . وأقامت قواعد لها حول القارة الافريقية ، تتخذها نقطا لتموين سفنها ، ولاصطياد أهالي افريقية لبيعهم في أسواق الرقيق . واضطرت الدولة العثمانية في ذلك الوقت الى الوقوف أمام أطماع البرتغاليين ، وعملت على تكتيل الشعوب العربية والافريقية والآسيوية ، والوقوف بها في جبهة متحدة أمام محاولات الغرب . وكان شعب الصومال من بين هذه الشعوب التي لبث النداء ، خصوصا بعد أن رأى الطريقة الشاذة التي يعامل بها البرتغاليون أبناء افريقية ، وأبناء الشرق في كل مكان . وصل البرتغاليون الى مياه المحيط الهندي في السنوات الأولى من القرن السادس عشر ، وفرضوا حكمهم وسيطرتهم على موزمبيق ، وأذاقوا أهلها الأمرين . ثم دمروا كثيرا من مدن الساحل الشرقي الافريقي ، العربي الاسلامي . ووصلت جرائمهم الى موانئ الصومال المطلة على المحيط الهندي . وأعطوا لهذه الحرب صورة

يمكننا أن نعتبر الصومال من أكثر الشعوب عشقا للحرية والاستقلال في العالم . ويمتلىء تاريخ هذا الشعب بصفحات مجيدة متتالية من الكفاح من أجل حريته ووحدته واستقلاله . ويستعد الصومال مرة جديدة الآن لخوض معركة حاسمة من أجل مبادئه التي اعتنقها وسرت في دمائه منذ أقدم العصور .

ان شعب الصومال يتكون من امتزاج الافريقيين في شرق القارة باخوانهم العرب في جنوب الجزيرة ، ولقد تم هذا الامتزاج على مراحل مختلفة في العصور القديمة ، وفي العصور الاسلامية ، وفي العصور الحديثة . ونشأ عنه ذلك الشعب الافريقي الأبي الذي يعتز الآن بافريقيته اعتزازه بأسلامه وبدمائه العربية .

ولقد اشترك شعب الصومال في بداية عصر النهضة في تلك المعركة التي قامت بين الشرق والغرب للسيطرة على طرق التجارة العالمية ، ومحاوله الغربيين انتزاعها من أيادي سكان الشرق الأدنى العربي مشاركة فعالة ، ووقف فيها الى جانب اخوانه المرتبطين به بروابط الدم والدين والمصلحة ، وقام بدوره على أتم وجه .

الحروب الصليبية المعلنه على المسلمين،
وأخفوا وراءها تلك الحرب
الاقتصادية التي كانوا يهدفون من
ورائها الى اخضاع الشرق لمصالح
الغرب ، واخضاعه لتحكم القوى
الاستعمارية الناشئة .

* * *

انضم أبناء الصومال الى هذه الحركة
الوطنية الاسلامية ، التي قامت للدفاع
عن حقوق أبناء البلاد ، والدفاع عن
حريتهم امام الغزاة الأجانب ، ولكنهم
فوجئوا بشعوب افريقية أخرى
مجاورة لهم تعمل كمخلب القطر في
أيدي البرتغاليين . ورأوا تحالفا بين
حكام الحبشة وأمراء البحر البرتغاليين،
ورأوا الحبشة تقبل العمل مع
الأجانب ضد مصلحة أبناء الاقليم
الواحد ، وكأن الحبشة لم تفهم في ذلك
الوقت خطر هذا الانقسام الاقليمي ،
ولا خطر ازدياد النفوذ البرتغالي
نفسه في بلادها .

اضطر أبناء الصومال اذن الى العمل
والكفاح ضد هذا الاتجاه الجديد ،
وأرسلوا جيوشهم لاعادة توحيد
المعسكر الاقليمي والدفاع عن المصالح
الافريقية الآسيوية أمام اعتداء الغرب .
واستمرت الحرب سنوات طويلة
وتمكن البرتغاليون من ارسال قواتهم
الى الحبشة ، ومن الافادة من هذا
الانشقاق في المعسكر الاقليمي ، الى
أن فطن الأحباش الى الأعياب البرتغاليين،
وفطنوا الى محاولة فرضهم المذهب
الكاثوليكي على الأحباش الأورثوذكس،
فقاموا بدورهم في التخلص من
البرتغاليين ، وان كان ذلك قد تم بعد
أن مكنوهم من اضعاف القوى الاقليمية
في شرق افريقية .

حافظ أبناء الصومال على حريتهم
واستقلالهم ، وتعاونوا مع القوة
العربية الناشئة في عمان ومسقط ،
لهزيمة البرتغاليين ، وابعادهم عن
المحيط الهندي . وشاركت أجزاء
كثيرة من بلادهم في تلك الحضارة
العربية الاسلامية التي واصلت
ازدهارها ، وساعدت على تبادل
التجارة والمنافع بين سكان السواحل
المطلية على المحيط الهندي .

ولكن أخطارا جديدة بدت في الأفق في
النصف الثاني من القرن التاسع عشر،
حين تأهبت الدول الاستعمارية ، لافتتاح
قناة السويس للملاحة ، وعودة
خطوط التجارة العالمية الى ذلك
الشریان الرئيسي : البحر الأحمر
وخليج عدن الذي يحف بسواحل
الصومال .

* * *

أخذ عملاء الدول الأجنبية ، من
انجليز وفرنسيين وإيطاليين ، في
دراسة سواحل الصومال . وشرعوا
في اعداد وثائق يقدمونها الى الشيوخ
المحليين ، ويشترون بها قطعاً من
الأرض تمكنهم من الاستناد اليها فيما
بعد وتسليمها الى حكوماتهم الأوروبية
لاتخاذها قواعد للملاحة ومحطات
للسفن ومراكز للاستعمار في شرق
القارة . رأى أبناء الصومال هذا النشاط
الاستعماري الأوروبي ، وشعروا
بخطورته على بلادهم . وكان هذا
سببا رئيسيا في ترحيبهم بقدوم
المصريين الى بلادهم ، وباتحادهم مع
تلك الامبراطورية الافريقية التي
أنشأتها مصر في النصف الثاني من
القرن التاسع عشر ، لتقف بها سدا

* * *

منيعا أمام اعتداء الأوروبيين على الحقوق الإقليمية ومصالح أبناء البلاد.

أثبتت هذه التجربة أن روابط مختلفة تربط ما بين الأفريقيين ، وأنه من السهل إقامة وحدة إقليمية تساعد على الأخذ بيد الضعيف وإعطائه حقوق أخيه القوي نفسه ، وتسوى بين الجميع في الالتزامات . ورأت بلاد الصومال في هذه الفترة مرحلة مجيدة من مراحل تاريخها القومي المرتبط بالوحدة وبآراء الاتحاد الأفريقي . وأصبحت موانئ زيلع وبربره تفخر بما أنشئ فيها من مشروعات عمرانية ، وتتباهى بنفسها على غيرها من المدن . ولكن القوى الاستعمارية تدخلت ، ومنعت انضمام بقية بلاد الصومال إلى هذه الوحدة ، وخصوصا المناطق الصومالية المطلة على المحيط الهندي ، فوجد أن إنجلترا تدعى خضوعها لسلطان زنجبار ، وتصرب بذلك على تقسيم المناطق الصومالية بين أكثر من سيادة . وكانت إنجلترا في حقيقة الأمر تخشى وصول المصريين إلى المحيط الهندي ، وتخشى قيام وحدة بالفعل بين شعوب وادي النيل وهضبة البحيرات والشعوب الصومالية .

لم يمض وقت طويل حتى تنكرت إنجلترا لهذه الامبراطورية الأفريقية ، وشعرت بضرورة سيطرتها على ساحل الصومال الشمالي المواجه لقاعدتها في عدن ، لضمان حصول هذه القاعدة على ما يازمها من مواد تموينية وخضر ولحوم ، فعمدت إلى الاستيلاء على هذا الإقليم ، بالرغم من معارضة

الأهالي لهذه السياسة الاستعمارية ، ورفضهم قبول الحماية البريطانية ، أو ترك الإنجليز ينزلون في البلاد .

ولكن إنجلترا تهيات للأمير واستعدت للعمل ، وتعاونت في ذلك قوات عدن البريطانية مع سلطات الاستعمار البريطاني في الهند . وفرضت الحماية البريطانية على هذه المنطقة تحت تهديد نيران مدفعية الأسطول . وساعد إنجلترا على ذلك عدم قدرة مصر على الحركة في هذا الوقت ، بعد أن احتلتها القوات البريطانية ، وأعادت سلطة الخديوى الرجعية للتحكم في أبناء البلاد .

احتفظت إنجلترا بالعلم المصرى مرفوعا على زيلع فترة من الوقت ، حتى لا تشير بذلك مشكلات مع تركيا أو مع ألمانيا ، خصوصا وأن هذه الدولة الأخيرة حاولت استخدام التوسع البريطاني في الصومال كنقطة للضغط على بريطانيا ، وللمساومة من أجل اعتراف لندن بالنفوذ الألماني في تنجانيقا . فلن تتمكن إنجلترا من رفع علمها على هذه المناطق إلا بعد أن تسوى مشكلاتها مع ألمانيا ومع فرنسا بخصوص المسائل الاستعمارية .

كان هذا هو أول جزء تفتطعه إحدى الدول الاستعمارية من جسد الصومال ، وترسل إليه بجنودها ، وتضعه في خدمة مصالحها الاستعمارية ، ومجالا لاستغلال موارد الصومال البشرية والاقتصادية ، وتسخيرها لخدمة الامبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس !

وجاءت فرنسا أيضا تحاول الحصول على بعض أراضي الصومال ، مساهمة

منها في تقسيم الأسلاب ، فاستندت في ذلك الى عقد كانت قد اشترت به في عام ١٨٦٢ قطعة من الارض أمام بوغاز باب المندب ، المدخل الجنوبي للبحر الأحمر . ادعت فرنسا أن الأراضي المحيطة بأبك تابعة لها ، وأخذت في الاتصال ببعض الشيوخ المحليين ، وأغرتهم على بضم بعض العقود ببصماتهم ، اتماما لعملية توسيعها الاقليمي . وادعت فرنسا ، أمام انجلترا ، أنها تقوم بنفس ما تقوم به هذه الدولة في أجزاء أخرى من بلاد الصومال . وحينما احتجت الدولة صاحبة السيادة على هذه الألاعيب المكشوفة ، ردت عليها فرنسا بضرورة توجيه اللوم أيضا الى انجلترا . وبالرغم من وجود تنافس واضح بين هاتين الدولتين الاستعمارييتين الغربيتين ، فان الدولة العثمانية لم تفد من ذلك ، وفشلت في الحصول على حليف جديد يمكنه أن يقف معها في وجه هاتين الدولتين الاستعمارييتين معا .

ولقد حاولت كل من فرنسا وانجلترا أن تصلا الى اقليم هرر الصومالي في الداخل . فحاولت فرنسا السيطرة عليه ، وثبتت أقدامها في هذه المنطقة الهامة من افريقية ، والوصول بالتالي الى مناطق الجالا ومنطقتي شوا الغنية بمواردها . ولكن انجلترا عملت على منع فرنسا من الوصول الى هذه المناطق ، وتركها تحت حكم الشيوخ المحليين ، الى أن قام منليك ملك شوا ، في جنوب الحبشة ، باحتلالها سنة ١٨٨٧ واخضاع أهلها لحكمه الاقطاعي .

أما بقية سواحل الصومال المطل على

المحيط الهندي ، فإنها قد ابتليت باحتلال ايطالي ، رثبت خطته أثناء إقامة الخصار البحري على سواحل زنجبار بين أساطيل كل من انجلترا والمانيا وايطاليا . وكانت انجلترا تخشى غضب ألمانيا عليها في شرق افريقية ، وفي الأجزاء الجنوبية من سلطنة زنجبار ، وكانت تعلم بصدقة ألمانيا لايطاليا . وجاءت هذه الدولة الأخيرة تعرض على انجلترا تحالفا مشتركا في البحر المتوسط ، فاقتربت هذه الدول الثلاث في مصالحها وخططها ، وتركت ايطاليا لكي تتوسع في موانئ الصومال المطل على المحيط الهندي والواقعة الى شمال قسمايو ، عند مصب نهر جوبا .

وهكذا اقتسمت الدول الأوروبية الاستعمارية سواحل بلاد الصومال فيما بينها ، وسيطرت كل من ايطاليا وانجلترا وفرنسا على أجزاء مختلفة منه ، كما سيطرت شوا على اقليم هرر الداخلي . حقيقة أن الدوافع التي دفعت كلا من هذه الدول الى اقتطاع أجزاء من بلاد الصومال كانت مختلفة عن الدوافع التي دفعت الأخرى . فكانت فرنسا تعمل على الوصول من «أبك» و «جيبوتي» الى موانئ داخل القارة . أما انجلترا فكانت تحاول ضمان حصولها على تموين قاعدتها الاستراتيجية في عدن . وأما ايطاليا فانها كانت تحلم بعودة الامبراطورية الرومانية القديمة ، وتحلم بارسال الايطاليين للاستيطان فيما وراء البحار في حماية العلم الايطالي . وأما منليك ملك شوا ، فإنه عمل على توسيع حدود دولته ، وعمل على إنشاء امبراطورية كبيرة له ، يسيطر عليها ، وتخدمه في الاستيلاء

على عرش الإمبراطورية من يوجنيا
الرابع ملك الأمهرا .

وعلى العموم ، فقد رأى أبناء
« الصومال » بلادهم مقسمة بين
الأجانب من كل اتجاه ، فأثار هذا في
نفوسهم الرغبة الكامنة في الكفاح
لتخليص بلادهم ، ولانتزاع حقوقهم ،
ولاستعادة حريتهم التي لا يرتضون بها
بذلا .

* * *

احتلت القوات الاستعمارية الأجنبية
أطراف البلاد الصومالية من كل جانب ،
فاحتلت القوات الفرنسية والإنجليزية
والإيطالية منطقة السواحل بينما
اقتطعت هرر من جسد الصومال . ولكن
سلطة البلاد الاستعمارية لم تكن ثابتة
إلا في المناطق التي تتمكن من البقاء
فيها تحت حماية مدفعية الأساطيل ،
وفي منطقة هرر الداخلية . وظلت
القبائل الصومالية محتفظة باستقلالها ،
دون أن يجرؤ أحد على التوغل في
الداخل ، أو يضعها تحت سلطته . وكان
من الضروري لهذه الدول الإستعمارية ،
طبقا لاتفاقية برلين سنة ١٨٨٥ ، أن
تخضع مستعمراتها لسلطانها الفعلية .
ولكن هذا الأمر لم يكن هينا بالنسبة
للصومال ، وإن كانت الدول
الاستعمارية قد عملت على تقسيمه
إلى مناطق نفوذ بينها ، انتظارا لليوم
الذي تتمكن فيه من بسط سلطانها
على المناطق التي اعترفت بها الدول
الأخرى داخل نطاق نفوذها . فاتفقت
فرنسا مع إنجلترا على خط للحدود ،
يسير من رأس جيبوتي حتى جلديسا
وهرر ، ويفصل ساحل الصومال
الفرنسي عن منطقة الصومال البريطانية ،
وكان هذا في عام ١٨٨٨ .

وفي العام التالي ، قامت إيطاليا بعقد
اتفاقات متعددة مع شيوخ الصومال
في المنطقة المطلة على المحيط الهندي ،
وعقدت معاهدة مع مثايك ، ملك شوا ،
في أو تشالي ، اعترفت فيها بالإمبراطور
على الحبشة واستندت إلى المادة
السابعة عشرة منها ، وادعت أن
إمبراطورية الحبشة ، بما فيها هرر
الصومالية ، قد أصبحت تحت
الحماية الإيطالية . واعترفت الحكومة
البريطانية في عام ١٨٩١ بكل مناطق
الارتريا والحبشة والصومال مناطق
نفوذ إيطالية ومحددة بخط يبدأ من
شمال الارتريا غربا صوب كسلا
في السودان ، ثم جنوبا بين الحبشة
والسودان إلى أن يتجه شرقا وينتهي
على المحيط الهندي عند مصب نهر
جوبا .

أصبحت كل هذه المنطقة اذن تابعة
لإيطاليا من الناحية الدولية ، دون أن
يكون لهذه الدولة فيها أية سلطة أو
أي نفوذ مباشر . ثم قامت المفاوضات
مرة جديدة بين إيطاليا وفرنسا من
ناحية ، وبين إيطاليا وإنجلترا من
ناحية أخرى لتحديد مناطق النفوذ
التابعة لكل من هذه الدول في بلاد
الصومال . ولقد فشلت المفاوضات
الإيطالية الفرنسية نتيجة لرفض
الفرنسيين قبول مبدأ تطويقهم من
الغرب بمنطقة نفوذ إيطالية ، وكانوا
يسعون إلى مد نفوذهم إلى داخل القارة ،
والى قطعها بين شرق وغرب مع
مستعمراتهم في غرب إفريقيا . أما
المفاوضات الإنجليزية الإيطالية ، فانها
قد تمت في عام ١٨٩٤ باتفاقية
حددت أراضي الصومال الخاضعة

لأنجلترا ، وتركت بقية الأقاليم الداخلية باعتبارها منطقة نفوذ ايطالية .

نشأت المشكلات بعد ذلك بين ايطاليا ومنليك الذى رفض الاعتراف بأية حماية ايطالية على بلاده . وبدأت المناوشات ، وتطور الأمر الى حرب انتهت بهزيمة الايطاليين فى «عدوة» ، وفقدتهم لمدفعيتهم ، والقضاء على قواتهم العسكرية التى أرادوا بها اخضاع شرق افريقية . وفى ذلك الوقت قبلت فرنسا أن تحدد ساحل الصومال الفرنسى بخط يسير على بعد خمسين ميلا من الساحل . أما إنجلترا ، فإنها أسرعت بإرسال قواتها لإعادة فتح السودان ، وأرسلت بعثة « سسل رود » الى الحبشة للمفاوضة مع منليك فى أمر وقف مساعدته للمهدين ، وفى أمر تحديد الحدود بين الصومال البريطانى وبين بقية الصومال الذى تركته للحبشة . واحتاجت إنجلترا الى وعد من الأحباش بعدم مساعدة المهديّة ، فاضطرت الى أن تكون « كريمة » معهم على حساب الصوماليين ، ونتج عن هذه الاتفاقية الجديدة ضم منطقة « الأوجادين » الى بلاد الحبشة . وهكذا تم تقسيم بلاد الصومال بين الدول الأجنبية ، المجاورة لها والبعيدة عنها ، وبدأت هذه الدول التأهب لاختلال مناطق نفوذها فى بلاد الصومال ، تمهيدا لاستغلالها واستنزاف ثرواتها ومواردها الاقتصادية والبشرية : وكان هذا عاملا فعالا على قيام الصوماليين بالكفاح من أجل حريتهم واستقلالهم . وبدأوا بهذا صفحة جديدة ومجيدة

فى تاريخ الكفاح القومى ، والكفاح الافريقى فى العصر الحديث .

اتحد أبناء الصومال ، ووقفوا صفًا واحدا بقيادة السيد محمد عبد الله حسن ، المجاهد الافريقى ، **مهدي الصومال** . وتمكن هذا الزعيم من القضاء على الخلافات المحلية ، وعلى المشكلات الداخلية بين القبائل . كما نجح فى تكتيل أبناء الصومال فى حركة وطنية تحررية مجيدة ، اتخذ لها الحرية شعارا والاسلام دينًا ، والكفاح والجهاد سبيلا . ودل ذلك على بعد نظر هذا الزعيم ، وعلى اختياره الأساس الصحيح الذى يمكن من تكتيل الشعب الصومالى وتعبئة موارده ، ورفع روحه المعنوى للقيام بحركته فى سبيل الله وفى سبيل الوطن .

أخذ مجاهدو الصومال فى مهاجمة مواقع القوات الاستعمارية قرب السواحل ، واستولوا منها على الأسلحة والذخائر اللازمة لمواصلة الحرب أمامهم . واعتمدوا على حركات الكر والفر السريع ، وعادوا بغنائمهم الى داخل البلاد ، دون أن تتمكن القوات الاستعمارية من تعقبهم أو السير فى أثرهم . وأهتزت وزارات المستعمرات فى كل من لندن وباريس وروما ، وصفق لهذه الحركة ولهذا النجاح مسلمو العالم فى الهند والقسطنطينية والقاهرة . وكانوا حيثئذ يعارضون جميعها فى دخول القوات الانجليزية السودانية ، ورأوا فى ثورة الصومالى تقوية للمعسكر الاسلامى المعادى للاستعمار .

اضطرت الحكومة البريطانية الى ارسال الحملة اثر الأخرى الى بلاد الصومال ، ولكن هذه الحملات كلفت الدولة أكثر مما حصلت عليه من نتائج. وفكرت انجلترا في عقد هدنة مع الصوماليين ، وخشيت ايطاليا ضياع منطقة حكمها في الصومال . وأخذت قوات المجاهدين تنتقل من الصومال الانجليزي الى الصومال الفرنسي ثم تعود لتهاجم المراكز القريبة من «هرر» وترد ذلك بهجوم خاطف على الصومال الايطالي . فبدأت ايطاليا بترتيب عقد هدنة مع مجاهدي الصومال ، ولكن ذلك لم يصرف هؤلاء الأحرار عن مواصلة الكفاح .

استمرت هذه الحرب وهذا الجهاد ما يزيد على عشرين عاما ، ذاق فيها المستعمرون الأمرين ، وأقسم فيها المجاهدون ألا يتركوا أقدام الأجانب تطأ البلاد الا فوق أجسادهم. وتكتلت القوات الاستعمارية لكل من انجلترا وفرنسا وايطاليا . وتعاونت هذه القوات مع جيوش الحبشة لوضع حد لهذه الثورة المجيدة والقضاء عليها . وجاءت الحرب العالمية الأولى، فأعلن السيد محمد بن عبد الله حسن تأييده لإعلان الجهاد ضد الدول الاستعمارية التي تحكم في مسلمي الهند ومسلمي شمال افريقية ومسلمي وسط آسيا . وخشيت انجلترا تعاون مجاهدي الصومال مع العرب في اليمن والألمان في تنجانيقا، فأ سرعت الى حصار منطقة الثورة ، وأرسلت الامدادات الجديدة لوقف امتدادها . ثم جاءت بطائراتها ، وتعاونت مع فرنسا وايطاليا اللتين أسرعنا بإرسال قوات

جديدة خبرت الحرب الأوروبية زودتها بأحدث الاسلحة الفتاكة . وبالرغم من ذلك ، واصل الصوماليون كفاحهم وجهادهم لمدة أربع سنوات بعد نهاية الحرب العالمية الأولى ، أمام قوات تفوقهم عددا وعدة وتدريباً . ولكن عامل الزمن تكاتف مع العوامل الاقتصادية على انهالك قوى المجاهدين الأحرار . وبدأت الغارات الجوية تحصد صفوفهم حصداً ، وهم لا يتسلحون الا بسيوفهم وحرابهم وإيمانهم بقضيتهم ودينهم . وتغلب الحديد والنار على صدور الأفريقيين وحماسهم . وتمكن الغرب الاستعماري من السيطرة على البلاد ، وبدأ استغلالها والسيطرة على مواردها ، وكأنه لا يعلم بأن الأبناء قد أقسموا على مواصلة كفاح الآباء ! .

اضطر الصوماليون الى الرضوخ انتظاراً ليوم التحرر من سيطرة الأجانب . وجاءت الحرب العالمية الثانية ، وانتهت بهزيمة ايطاليا . ومعها بصيص من النور يبشر باستقلال أحد أجزاء الصومال . ومرت القضية الصومالية بأطوار مختلفة في الأمم المتحدة وفي المؤتمرات الافريقية والآسيوية ، وبين رجال الحكومات الاستعمارية الغربية. وظهر العالم منقسماً بين معسكرين كبيرين - شرقي وغربي - يتهم كل منهما الآخر بمحاولة السيطرة على العالم ، ويتشدد هو نفسه بأنه لا يعمل الا على مساعدة الدول الضعيفة .

ازداد النفوذ الأمريكي في افريقية بعد الحرب العالمية الثانية وبعد تأزم علاقات هذه الدولة مع الكتلة الشرقية،

فأخذت الولايات المتحدة الأمريكية تبحث عن قواعد لها، تنشئها على شكل شبكة كبيرة تمكنها من حرية الحركة وسهولتها في جميع أنحاء العالم . وكان لمركز الصومال أهمية خاصة من الناحية الاستراتيجية لاكمال القواعد الموجودة في الحبشة وفي عدن وفي نيروبي .

واهتم العالم الغربي بالبتروول ، عصب الحرب الحديثة ، والمادة الأساسية لاستمرارها . كما اهتم بخطوط نقل البترول عبر المناطق العالمية المختلفة . وليس غريبا أن يكون في الصومال بترول . كما أن الصومال يشرف من ناحية أخرى على المحيط الهندي وعلى خليج عدن ، ويتحكم بالتالي في خطوط نقل البترول وفي خطوط الملاحة الدولية .

وكان ذلك سببا دعى الولايات المتحدة الأمريكية الى زيادة اهتمامها بالصومال ، وليس بغريب أن تسعى هذه الدولة الى زيادة نفوذها في هذه المناطق ، وأن تحاول ربطها بكل وسيلة بعجلة السياسة الأمريكية ، أو بمناطق النفوذ الأمريكية في العالم . ويعتبر هذا أول خطر يواجهه أبناء الصومال في كفاحهم من أجل قضيتهم ومن أجل حريتهم . ويشعر الصوماليون الآن بهذه المحاولات الأمريكية التي تهدف الى السيطرة على بلادهم ، فيرون أن الولايات المتحدة الأمريكية تعمل على بقاء الصومال محتاجا الى معونتها الاقتصادية والفنية ، حتى تتحكم فيه . كما أن أمريكا تحاول الاحتفاظ بامتيازات لاستغلال معادن الصومال ، بما فيها البترول ، وتدعى

أن نفقات البحث والتنقيب هي مصدر هام من مصادر رفاهية البلاد . ولا تشجع أمريكا فكرة استقلال الصومال ، مدعية أنه متخلف من الناحية الاقتصادية ، وتشير بعض صحفها من وقت الى آخر الى أن الحاقه باثيوبيا سيعمل على تقويته من الناحية الاقتصادية ، وواضح من ذلك أن أمريكا ترغب في ربط الصومال بها بطريق مباشر أو بطريق غير مباشر ، حسب الظروف . وليس اصرار أمريكا على اعانة الصومال اقتصاديا الا محاولة لابقاء هذا القطر خاضعا للنفوذ الغربي ، وابعاده عن بقية الدول الافريقية والآسيوية ، التي جعلت شعارها سياسة الحياد الايجابي والتحرر من التكتلات الاستعمارية . وهكذا نجد أن أمريكا تعمل على انشاء مكتب للاستعلامات والنشر ، وزودته بمكتبة كبيرة للقيام بالدعاية لها بين أبناء الصومال . كما أنها تنفذ النقطة الرابعة . وهي وسيلة للتأثير في الصوماليين ، وجعلهم يقبلون الاعانات التافهة بدلا من عملهم على الانتاج بسواعدهم ولأبنائهم . ويقوم مندوبو الشركات الأمريكية بالتجول في البلاد طولا وعرضا ، مدعين البحث عن البترول ، ولكن الصوماليين يعرفون مدى هذا النشاط ، وخطورة رسم خرائط تفصيلية لبلادهم تدرس في وزارة الحرب الأمريكية ، ويمكننا أن نضيف الى ذلك ازدياد نشاط بعثات التبشير الأمريكية في بلاد يتمسك أهلها بالاسلام وبالوحدة .

وكان أول خطر يواجهه « الصومال » ، وهو على أبواب

الاستقلال ذلك النشاط الأمريكي الذي يتعارض تعارضا تاما مع الخطة التي رسمها الوطنيون لأنفسهم .

أما الخطر الثاني فهو الخطر الانجليزى : ذلك أن بريطانيا قد بدأت تجربتها لتحويل عدد من مستعمراتها الى أعضاء فى الكومنولث . وبدأت هذه التجربة تعطى نتائج ايجابية ، اذ أن الأعباء بدأت تقل عن كاهل خزانة لندن ، ورضيت بعض حكومات المستعمرات بتمتعها بلفظ الاستقلال المحلى ، وبالمظاهر الشكلية لهذا الاستقلال : من تكوين قوات عسكرية، ورفع أعلام وطنية ، نظير ضمانها لانجلترا استمرار مصالحها الاقتصادية فى الاقليم . ورأت انجلترا أن فرصة استقلال صوماليا فرصة لا تعوض ، فلوحت بفكرة منح الصومال البريطانى استقلالاً محلياً ، نظير دخول صوماليا معه فى اتحاد ، أى أن بريطانيا تسعى الى ضم صوماليا الى الصومال الانجليزى وتركهما يديران شئونهما الداخلية بأنفسهما ، نظير ارتباطهما بعجلة الامبراطورية البريطانية .

ان انجلترا تخشى استقلال صوماليا ، لانه سيثبج العناصر الحرة فى مستعمراتها فى كل شرق فى افريقية : فى الصومال وفى كينيا وأوغندا وتنجانيقا ، ويجعلها تطالب أيضا بالاستقلال . كما أنه يعنى تصفية النفوذ الغربى فى شرق افريقية ولا تغيب عن بال انجلترا الاهمية الاستراتيجية للصومال بالنسبة لعدن وبالنسبة لنيروبي ، وبالنسبة

للملاحة فى البحر الاحمر ، خصوصاً بعد أن فقدت انجلترا قواعدها فى منطقة قناة السويس ، فيمكن لانجلترا أن تنشئ فيها قواعد جديدة ، وتعتمد عليها فى عملياتها الحربية فى كل من المحيط الهندى والبحر الاحمر . ولذلك فان انجلترا تسعى الى ضم الصومال الذى هو تحت الوصاية الى الصومال البريطانى ، والتمهيد بذلك لانشاء كتلة بريطانية فى شرق افريقية ، تمتد من جنوب عدن الى آخر تنجانيقا وتتصل غربا بكينيا وأوغندا مثل اتصالها ببقية المستعمرات الانجليزية فى وسط افريقية .

أخذت بريطانيا تزيد من بعثاتها ومن زيارات مندوبيها الى بلاد الصومال وزاد اهتمام وزارة الخارجية البريطانية والصحافة البريطانية بهذه البلاد ومستقبلها . كما أخذت انجلترا فى دراسة امكانيات الصومال الاقتصادية وفتحت مركزاً ثقافياً فى «هرجيسا» ، وزادت من نشاطها فى ميدان الدعاية تحت اسم الثقافة . ولكن انجلترا لم تحدد ميعاداً لنهاية حكمها فى الصومال البريطانى ، بل أعطت وعوداً ، وأشارت الى اتجاهات يمكن تحقيقها للصومال البريطانى اذا ما انضمت اليه صوماليا ، أى أنها ترغب فى ضمان انضمام صوماليا الى الصومال البريطانى ، قبل أن تعلن موافقتها على دخولهما فى نطاق الكومنولث .

وهذا الخطر الثانى الذى يواجهه الصوماليين اليوم وهم يستعدون لاستقلال بلادهم ، هو خطر الارتباط بالامبراطورية البريطانية ، دون حاجة الى ذلك ، مع تعارضه التام مع أمانى

الوطنيين في هذه البلاد ، ومع خط
كفاحهم من أجل حريتهم واستقلالهم .

وهناك أيضا إيطاليا التي ترغب في
العودة إلى الصومال الموضوع تحت
الوصاية بطريقة غير مباشرة ، وتريد
أن تحتفظ به سوقا لانتاجها ، وموردا
يمونها بالغللات الزراعية . وتحاول
الحكومة الإيطالية إبقاء النقد الصومالي
مرتبطا بالنقد الإيطالي ، تسهيلات
للمعاملات الاقتصادية ولعمليات
الاستغلال المنظمة . فتطلب من أمريكا
أن تدفع لها قيمة معونة النقطة الرابعة
الخاصة بالصومال ، وتقوم هي بالتالي
بإرسال منتجات بهذه القيمة إلى
«مقديشو» فتكون النتيجة وصول بعض
القمصان والملابس الرديئة المصنوعة في
إيطاليا بأثمان باهظة . كما تحاول
إيطاليا الاحتفاظ بخضروات الصومال
وفواكهه ، واحتكار استهلاكها في
إيطاليا أو توزيعها على دول وسط
أوروبا . وتتحكم إيطاليا بهذه الطريقة
في أسعار هذه المنتجات ، وتحتفظ
لنفسها بالربح .

وهذا خطر جديد من الاخطار التي
تواجه الصومال ، إذ أن من حقه أن
يشرف على اقتصادياته مادام مستقلا،
خصوصا وأن أبناء البلاد يحتاجون إلى
كل مجهود وإلى كل مورد للعمل على
بناء دولتهم .

أما فرنسا ، فانها تخشى انتشار
الآراء التحررية في الصومال ، وبالتالي
تخشى هذه الحركة الاتحادية التي
امتدت جذورها إلى ساحل الصومال
الفرنسي . وأخذ الصوماليون ينادون

في كل مكان بوحدة بلادهم وباستقلالها
وزاد تشبث فرنسا بمستعمراتها مع
ازدياد شعورها بالضعف والهزال .
فأعلنت الحكومة الفرنسية أنها تعارض
كل حركة سياسية تسعى إلى تغيير
الوضع القائم في البلاد ، وكان في
استطاعة فرنسا أو غيرها من الدول
أن تقف حائلا وعقبة أمام التطور
الطبيعي للشعوب . وازداد خوف
فرنسا من هذه الحركة الوطنية
الاسلامية ، وربطت بينها وبين الحركة
التحررية في شمال إفريقيا . ورائت
فرنسا أن العرب والمسلمين يعملون
على انتزاع حريتهم واستقلالهم ،
فاتخذتهم أعداء ، وتحالفت مع اليهود
عليهم . وكما ظهر هذا التحالف
الفرنسي الاسرائيلي في قضية الجزائر
وفي قضية قناة السويس ، فقد ظهر
أيضا في قضية كفاح الصوماليين
«المسلمين» لنيل حريتهم واستقلالهم .

أعلنت فرنسا عداها لكل زعماء
الصومال الذين يعتزون بشخصيتهم ،
ويجاهدون من أجل بلادهم ، وأصدرت
أحكامها على **محمود حربي** ، بعد أن
كانت قد أسندت إليه وزارة ساحل
الصومال الفرنسي . ثم وضعت فرنسا
ميناء جيبوتي تحت تصرف الشركات
الاسرائيلية ، وحاولت بذلك أن تفك
الحصار الاقتصادي الذي ضربه العرب
حول إسرائيل ، وأن تسهل استغلال
إسرائيل للمناطق الداخلية في القارة
وتضرب بها القوى الصومالية الناشئة .
ثم وجدت فرنسا أن إثيوبيا تعارض
مشروع اتحاد الصومال ، فاتفقت معها
على إقامة تعاون عسكري يسمح
لسلطات إثيوبيا بتعقب الصوماليين

داخل مناطق ساحل الصومال الفرنسى
فى أى وقت شاءت .

وهكذا يبدأ الصوماليون صفحة
جديدة من كفاحهم للحصول على حريتهم
واستقلالهم ، وتوحيد بلادهم ،
والعيش فى حرية وإخاء مع الجميع ،
ولكن أخطارا جسيمة تحيط بذلك
الشعب الافريقى من كل جانب ، وتأتى
هذه الاخطار من ازدياد النفوذ الغربى
بشكل عام ، ومن ازدياد الاطماع
الامريكية وظهور الالاعيب الانجليزية
وتكرار المحاولات الايطالية الفاشلة .
كما تتمثل فى ذلك الجمود الذى تقفه
فرنسا ، وذلك الموقف الذى تعلنه
اثيوبيا . وهذه هى الاخطار الخارجية
ويمكننا أن نضيف اليها أخطارا داخلية
تواجه هذا الشعب الناهض المكافح .

ولكن الصوماليين يعلمون جيدا هذه
الأخطار ، وقد وطدوا العزم على
مواجهتها والتغلب عليها . انهم يسعون
الى توحيد صفوفهم فى جميع الأقاليم
الصومالية واتخاذ خطة موحدة يسيرون

عليها ، ويهدفون بها الى تحقيق أمانيهم
الوطنية المشروعة ، من وحدة واستقلال .
يطالب الصوماليون الأمم المتحدة
باجراء استفتاء عام للتأكد من رغبة
الشعب الصومالى فى كل المناطق المحتلة
ويؤكدون أمام الجميع أنهم لن يقبلوا
الانضمام الى كتلة دولية معينة ضد
الكتلة الاخرى ، بل أنهم سينتهجون
سياسة الحياد الايجابى والتضامن مع
بقية الدول الافريقية والآسيوية ،
والابتعاد عن سياسة الاحلاف
العسكرية .

فليعلم العالم أن الصومال لا يسعى
الى الاعتداء على أحد ، ولكنه يجاهد من
أجل حصولة على حقوقه المشروعة .
وليعلم الجميع أن استقلال الصومال
ووحدة قوة جديدة تزيد من قوة
الكتلة الافريقية الآسيوية ، وتعمل
بالتالى على سيادة السلم وإبعاد أخطار
الحروب .

وان كفاح الشعب الصومالى الجدير
بتأييد شعوب العالم المتحررة ، وتأييد
كل اخوانه الافريقيين .



المملكة المغربية

للدكتور علي ابراهيم عبد

شمالا وبحوض نهر سبو جنوبا ، وأعلى جبل بها هو جبل (تادعين) الذي يبلغ ارتفاعه ٢٤٥٢ مترا . وتعتبر هاتان السلسلتان من الجبال أعظم مستودع طبيعي لخزن مياه الأمطار في فصل الشتاء ، وحفظ مياه الثلوج الذائبة في بقية فصول السنة ، وتنفجر فيهما ينابيع لا ينضب لها معين ، طوال فصول السنة . فتجري أنهارا متدفقة في السهول المغربية ، وجبال المغرب أشد برودة من جبال الجزائر وتونس . ولها أثر فعال في مناخ البلاد وحيوانه ومنتجاته ، فسلسلة جبال الريف تجعل شمال بلاد المغرب جيدة المناخ . صالحة للزراعات المختلفة ، بينما تضمن سلسلة جبال الأطلس للساحل المغربي ميزة المناخ المعتدل على الشاطئ والمناخ الجاف الصالح للفواكه والزراعات في الداخل . أما الجهة المقابلة من الجنوب فعلى عكس ذلك لأنها شبيهة بالصحراء ، إذ تحول جبال الأطلس دون وصول الأمطار إليها . وتبلغ مساحة السهول في المملكة المغربية نحو الثلثين من مجموع مساحتها الكلية ، وتنقسم الى ثلاثة أقسام :

(١) السهول المحاذية للمحيط الأطلسي : وهي عبارة عن منطقة واسعة

تقع المملكة المغربية في القسم الغربي من أفريقية الشمالية على مضيق جبل طارق ، ويحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط ، ومن الشرق القطر الجزائري ، ومن الغرب المحيط الأطلسي ، ومن الجنوب الصحراء المغربية الكبرى . وتزيد مساحتها على نصف مليون كيلومتر مربع . وسطها متنوع ، فمن جبال عالية الى سهول منخفضة ونجود وهضبات مرتفعة ثم صحراء واسعة . وبها سلسلتان عظيمتان من الجبال هما : سلسلة جبال الأطلس الممتدة في وسطها وجنوبها ، وسلسلة جبال الريف الممتدة في شمالها . وتنقسم جبال الأطلس الى ثلاث سلاسل : الأطلس الكبير ، ومن أشهر جباله جبل طبقال ، الذي هو أعلى قمة في جبال المغرب وبلغ ارتفاعه ٤١٦٥ مترا . والأطلس المتوسط ويتراوح ارتفاع جبالها ما بين ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠ متر ، وأشهر جباله جبل موسى وصالح الذي يبلغ ارتفاعه ٣٢٠٠ متر ، ويشاهد من مدينة فاس . والأطلس الصغير ، وأهم جباله جبل ساغزو الذي يبلغ ارتفاعه نحو ٣٠٠٠ متر . أما سلسلة جبال الريف فهي على شكل قوس ، وهي متصلة بالبحر الأبيض المتوسط

ممتدة من مدينة الرباط شمالا الى ضواحي مدينة الصويرة جنوبا . ويعتبر هذا الجزء من أغنى بقاع المغرب لاعتدال مناخه وخصوبة أرضه وسهولة مواصلاته . ويعتمد فيه السكان على الزراعة وتربية الماشية والصناعة والتجارة . ومن مدن هذا الجزء الكبير من المغرب : الرباط ، والدار البيضاء ، وسلا ، والمحمدية ، والجديدة ، واسفي ، وخريبكة ، ووادي زم ، ومراكش . والصويرة ، وأكدير .

(ب) سهول حوض نهر سبو : وهي غزيرة المياه ، يخترقها نهر سبو من الشرق الى الغرب ، ومحصولاتها الزراعية متنوعة من خضر وفاكهة وحبوب ، وتمتاز بتربية الماشية . كما تزدهر بها الصناعة والتجارة . وسهول حوض نهر سبو مزدحمة بالسكان ، ومن مدنها : تازة ، وفاس ، ومكناس ، وصفرو ، وزرهون ، وسيدى قاسم ، وسيدى سليمان ، والقنيطرة ، وسوق اربعاء الغرب ، والمهدية ، حيث يصب نهر سبو .

(ج) السهول الشرقية : وتقع شرق سلسلة جبال الأطلس الكبير ، وتشتهر بتربية الماشية وزراعة الحبوب والفواكه . وأشهر مدنها مدينة وجدة التى تبعد عن حدود الجزائر بنحو خمسة عشر كيلو مترا .

وتوجد في المملكة المغربية أنهار غزيرة المياه ، هادئة التيار ، طويلة المسافة ، غير أنها لا تصلح للملاحة وجود سدود زملية في مصابها ، وأهم هذه الأنهار هي :

١ - نهر سبو ، ينبع من الأطلس المتوسط ، ويصب في المحيط الأطلسي ، وطوله ستمائة كيلومترا ، ويتراوح عرضه ما بين ١٥٠ الى ٣٠٠ متر في أوسع الأماكن ، ويكون فيضانه في فصل الشتاء .

٢ - نهر أم الربيع . وينبع أيضا من الأطلس المتوسط ، ويصب في المحيط الأطلسي ، وطوله نحو ستمائة كيلومتر وله أهمية اقتصادية كبيرة لوفرة مياهه ، وانتظام جريانه . وقد بنيت عليه السدود لتوليد الكهرباء ، وري الأراضى الزراعية .

٣ - نهر ملوية ، ينبع من قمم الجبال بين الأطلسين الكبير والمتوسط ، ويصب في البحر الأبيض المتوسط . وطوله ٤٨٠ كيلومترا مربعا . وعلى ضفافه توجد مناطق زراعية هامة ، وقد اتجهت عناية الحكومة المغربية الى استغلال مياه هذا النهر بإنشاء بعض مشروعات الري .

* * *

والمملكة المغربية غنية بمواردها الطبيعية ومنتجاتها النباتية ، ومما يساعد على ذلك المياه الغنية المتدفقة ، والمناخ المعتدل الجميل . وتختلف ثروة المملكة المغربية باختلاف الأقاليم . ففي إقليم الساحل الشمالى على البحر الأبيض المتوسط تكثر البساتين والمروج وأشجار الفواكه ، كالجوز واللوز والرمان والبرتقال والعنب والتين . كما تكثر الخضر بأنواعها والمزارع والحقول في سهول حوض نهر ملوية ، وتنتشر غابات الزيتون والسنديان في هضاب هذا الاقليم وجباله وسهوله . أما إقليم ساحل المحيط الأطلسي فتعد

سنبهوله من أخصب أراضي المملكة المغربية ولذا تزدهم بالسكان ، ولغزارة أمطارها تكسوها غابات كثيفة تتنوع أشجارها وتشابك أغصانها ، أهمها غابة المعمورة الواقعة بين نهر أبي رقراق ووادي سبو ، وطول هذه الغابة ٦٠ كيلومترا ، وعرضها ٤٠ كيلومترا ، ومساحتها ١٣٥ ألف هكتار ، ومعظم أشجارها من البلوط . وفي إقليم ساحل المحيط الأطلسي توجد غابات الزيتون حول المدن الكبرى وسفوح جبال الأطلس . كما تكثر فيه أشجار الفواكه كالبرتقال والليمون والعنب والخوخ والمشمش والتوت ، وكذلك تزرع فيه الحبوب كالقمح والشعير ، وأيضا الخضر بأنواعها . وتلال هذا الإقليم وأوديته مناسبة جدا لتربية الماشية من غنم وأبقار وخيل وجمال وغيرها . وتكثر غابات الأرز والسنديان والصنوبر على جبال الأطلس المتوسط والصغير ، فتجعل مناظرها خلابة . كما تقع بين هذه الجبال هضاب عالية يزرع بعضها ، وترعى الماشية في بعضها الآخر . وتكثر المراعي في الإقليم الشرقي من المغرب . أما إقليم الصحراء الجنوبية فتوجد به عدة واحات تمتاز بنخيلها الذي يعطى المغرب أنواعا مختلفة من البلح ، كما يزرع في بعضها القمح والشعير والزيتون وقليل من الفواكه ، وأهم مورد يعتمد عليه السكان في هذه الواحات هو تربية الجمال وتجارة القوافل عبر الصحراء .

* * *

وبالمملكة المغربية ثروة معدنية هائلة ، فهي من أهم دول العالم المصدرة

لمعادن الفوسفات والمنجنيز والحديد والرصاص والنحاس وغيرها من المعادن الهامة . وفي سنة ١٩٥٧ بلغ ما أنتجه المغرب من معدن الفوسفات ستة ملايين من الأطنان ، أي نحو ٢٠٪ من مجموع إنتاج العالم من هذا المعدن ، وبلغت قيمة صادرات المغرب منه في السنة ٢٢ مليارا من الفرنكات المغربية ، أي نحو ستة عشر مليونا من الجنيهات المصرية . وتضم معامل الفوسفات بخريكة وكشكاط عشرات الآلاف من العمال المغاربة . والبحوث التي تجرى الآن في المغرب تبشر بأنه سيبلغ عهدا من الازدهار الاقتصادي ، وبأنه مقبل على ثروة معدنية هائلة ستجعله أحد الدول الصناعية في العالم . فقد عثر على آبار غزيرة بالبترول في صحراء المغرب ، ويتوقع الخبراء وجود معدن الأورانيوم في المغرب ، وخصوصا بعد أن عثر مختبرو البحوث المعدنية أخيرا على قطعة من الأورانيوم داخل معادن الرصاص بناحية أكادير ، وهو كما هو معروف أغلى المعادن على الإطلاق ، وأهمها ، لأنه العنصر الأول لإنتاج الطاقة الذرية والهيدروجينية . ويبلغ عدد سكان «المملكة المغربية» نحو عشرة ملايين ونصف مليون نسمة ، يعمل نحو ثمانية في المائة منهم في الزراعة ، لأن المغرب قطر زراعي ، فتبلغ مساحة الأراضي الزراعية فيه حوالي ٧٤٠٠٠٠ هكتار ، منها ١٤٠٠٠٠ هكتار من المزارع الحديثة الكبرى التي تزرع بالآلات العصرية . أما بقية هذه المساحة الكبيرة فتفاج بالطرق القديمة . ولكن الحكومة المغربية أخذت في الوقت الحاضر تعين

الفلاحين ، وتقدم لهم المساعدات المادية والفنية ، كالقروض الزراعية . والأسمدة اللازمة ، وآلات الحرث الحديثة . كما أخذت في تنظيم وسائل البرى على نطاق واسع وتنسيق نظام تربية الماشية في جميع أنحاء المغرب .

وتنتج الأرض المغربية القمح والشعير والذرة والعدس والبقول والحمض واللوبياء والأرز والقطن والخضر والفواكه . ويعتبر القمح من أهم المحصولات الزراعية التى ينتجها المغرب ، وتزرع منه سنويا نحو مليون ونصف مليون هكتار . ويغضى الشعير مساحات شاسعة وخصوصا فى نواحي الجنوب . أما الذرة فتزرع بكثرة فى المناطق الساحلية وفى الجنوب ، وخصوصا فى سفوح الجبال وعلى ضفاف الأنهار المنحدرة من جبال الأطلس . وتبلغ المساحة المزروعة بالقطن فى المغرب حوالى ثمانية آلاف هكتار ، وتزدهر زراعة الأرز فى نواحي فاس ومكناس وبسيدي سليمان . كما تزدهر زراعة الكتان بالمغرب . ويعمد المغرب من أغنى البلاد الإفريقية بنبات الحلفاء ، بل هو الدولة الثانية بعد إسبانيا فى إنتاجه . وتبلغ مساحة الأراضي التى تنبت الحلفاء ما يزيد على مليونين ونصف المليون من الهكتارات وتستعمل الحلفاء فى الصناعات المحلية كصنع الحبال والحصر والقفف والأطباق والأحذية الشعبية والمكائن والفرش . وكل هذه الصناعات المحلية لا يتجاوز استهلاكها سنويا ألف طن من الحلفاء ، أما الأسواق الخارجية فهى التى تستهلك معظم

الإنتاج ، وقد صدر فى عام ١٩٥٧ ما يبلغ ٩٦ ألف طن الى دول كثيرة ، حيث تستعمل الحلفاء فى صناعة عجينة الورق الممتاز ، وحبال السفن ، ونسج أكياس السكر وغير ذلك .

ويغمل عدد كبير من أهالى المملكة المغربية فى الصناعة ، وتنقسم الصناعة هناك الى صناعة حديثة وصناعة تقليدية قديمة . والصناعة الحديثة تقوم بها الشركات الكبرى فى ضواحي المدن الكبيرة ، كالدار البيضاء وفضالة ، ومكناس ، وأسفى ، واجادير ، والقنيطرة ، وفاس ، ومراكش ، وتطوان ، وغيرها ، حيث توجد أكبر المعامل لإنتاج المواد الغذائية ، والمطاحن الحديثة ، ومصانع السكر واللبن ، ومعامل تجفيف السمك ، وحفظ الفواكه والخضر ، ومعامل تكرير البترول ، وإنتاج المشروبات الغازية والعطور ، والصابون ، ومصانع الصباغة ، والزجاج ، ونسج الثياب الصوفية والقطنية ، ودبغ الجلود ، وصنع الأدوات المنزلية ، وآلات الراديو ، وأدوات البناء من حديد وأسمنت ورخام وأجر ، ومصانع للخشب والنجارة وغير ذلك . أما الصناعة التقليدية القديمة فى المغرب فتشير الإعجاب فى جميع أنحاء العالم ، اذ تجمع بين الروعة والدقة والالتقان والروح الفنية البديعة ، التى يحق للمغرب أن يفتخر بها فى مجال الصناعة الدولية .

وأهم الصناعات القديمة فى المغرب: النقش على الخشب والنحاس بأشكال هندسية رائعة ، والمصنوعات

الجلدية كالأكياس وحافظات النقود والوسائد والمقاعد الأنيقة والأحذية والسروج . وكذلك صناعة البسط والسجاد والأغطية الصوفية والأطباق وأواني الخزف ، وأنواع الحلى والمجوهرات ، والبنادق والسيوف والخناجر الموهبة بالذهب والفضة وغيرها .

* * *

ومدينة « الرباط » هي عاصمة المملكة المغربية ، وتقع على ساحل المحيط الأطلسي ، ويبلغ عدد سكانها نحو ١٦٠ ألف نسمة ، وتمتاز بقصورها الفخمة ، ومسالكها المعبدة ، وشوارعها النظيفة ، وحدائقها الفيحاء ، ورونق هندستها ، وطقسها المعتدل الجميل .

ومدينة فاس أول مدينة اسلامية أسست في المغرب ، أسسها المولى ادريس الثاني سنة ١٩٢ هـ عندما عظم شأن دولته ، وجعلها عاصمة ملكه . كما كانت عاصمة بنى مرين والسعديين والعلويين بعده ، وظلت فاس عدة قرون مركزا هاما للثقافة الاسلامية والحضارة العربية ، ومعقلا للعلوم والآداب والفنون ، وبها جامعة القرويين ، التي تحتوى مكتبتها على عدد كبير من الكتب المخطوطة في مختلف الموضوعات ، ويبلغ عدد سكان مدينة فاس نحو ١٨٠ ألف نسمة ، وتمتاز ببساتينها الخضراء ، وآثارها الخالدة ، وتوجد في ضواحيها المصايف الجميلة كسيدي أحرازم ، وصفرو ، وايموزار ، كنذر وغيرها .

والعاصمة التجارية للمملكة المغربية

هي مدينة الدار البيضاء ، وتقع على ساحل المحيط الأطلسي في جنوب الرباط بنحو ٩٢ كيلومترا ، ويبلغ عدد سكانها نحو مليون نسمة ، وهي تشبه كثيرا من المدن الأوروبية في جمالها ومناظرها ورونقها وشوارعها . وميادينها متسعة ، وأحيائها عظيمة ، وأسواقها عامرة ، ومساكنها عالية ، وحدائقها غناء ، ومتاجرها كبيرة ، ومينائها أكبر موانئ الشمال الافريقي . فأحواضه واسعة ، وتكثر السفن التي ترسو به .

ومن أهم مدن المغرب مدينة مراكش ، وهي عاصمة الجنوب ، وباسمها اشتهر المغرب في الشرق والغرب ، وتقع على سفوح الأطلس الكبير ، ويبلغ عدد سكانها نحو ربع مليون نسمة ، وقد أسسها العاهل العظيم يوسف بن تاشفين سنة ٤٥٤ هـ ، وبها الكثير من آثار الموحدين والسعديين مثل : جامع الكتبية الذي تعلوه مئذنة مشهورة ، ومدينة مراكش الآن كثيرة العمران شامخة البنيان . وتمتاز بنخيلها الممتد في ضواحيها عدة أميال ، وببساتينها وحدائقها التي يؤمها أهل المدينة طلبا للراحة من عناء الأعمال .

ومكناس من المدن الكبيرة في المغرب ، ويبلغ عدد سكانها نحو ١٥٠ ألف نسمة وتقع قرب جبال زرهون في موقع جميل ، تحيط بها السهول الخصبة والبساتين الفيحاء ، وغابات الزيتون . وقد اشتهرت بجودة المناخ وعدوبة المياه وجفاف الطقس . ويرجع تاريخها الى القرن الأول الهجري في مكان سمي تكرارت ، حيث أسسها

إبراهيم البربر ، وفي العصر العيلوي اتخذها المولى اسماعيل عاصمة لمملكته ، وتقع مدينة تطوان في الشمال على بعد عشرة كيلومترات من البحر الأبيض المتوسط ، أسسها يوسف المريني ٦٨٥ هـ ، واتسعت عمارتها خلال القرن التاسع الهجري ، حيث هاجر إليها الأندلسيون الذين جددوا بناءها ، وأصلحوا الكثير من مرافقها . ويتجاوز عدد سكانها الآن مائة ألف نسمة ، وتوجد بها عدة آثار تاريخية في أسوارها وأبراجها وأبوابها ودورها الكبرى ومساجدها الفسيحة وأضرحتها ومتاحفها .

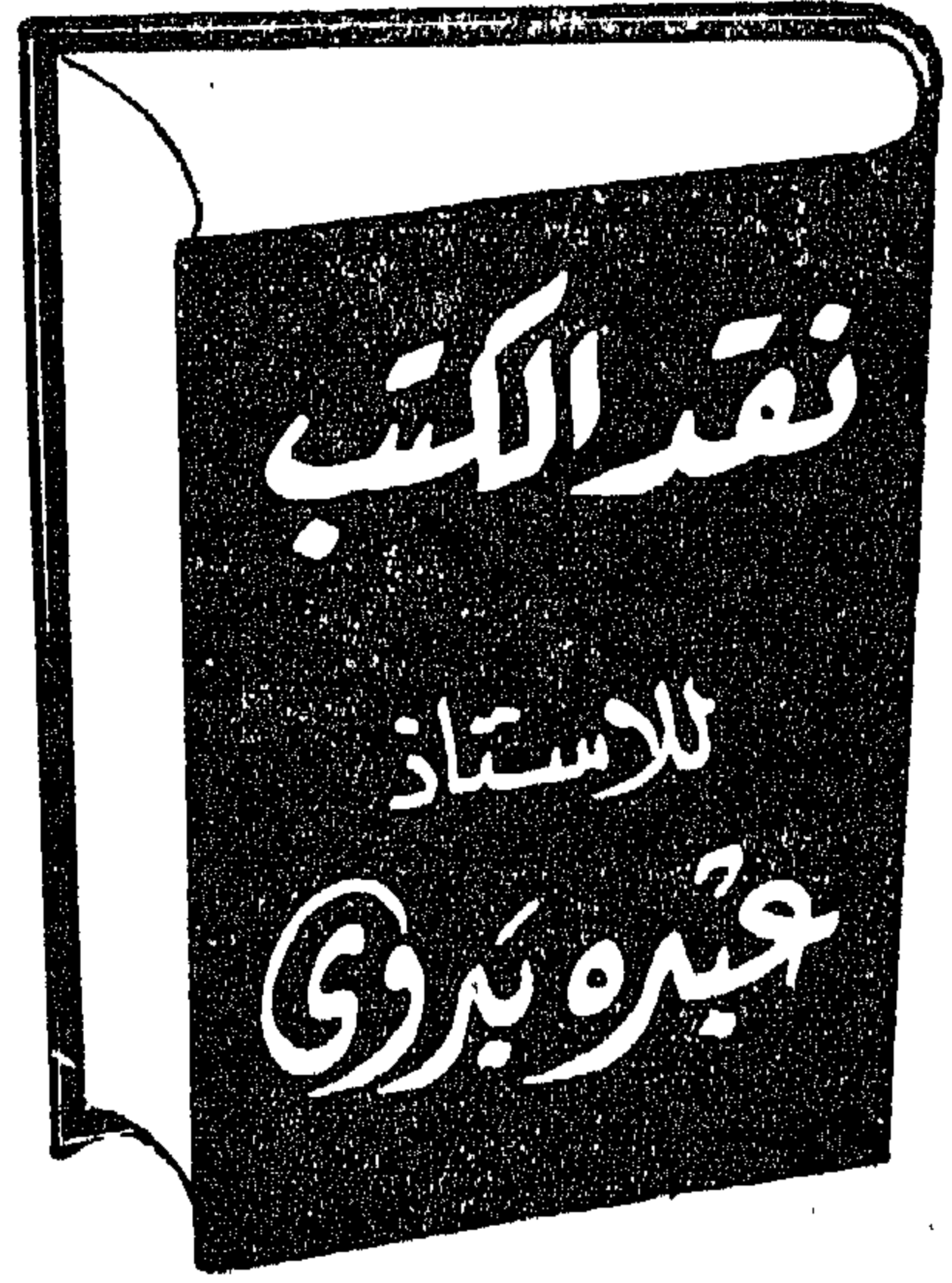
١٠ ومن أهم مدن المغرب مدينة طنجة ، وتقع في الضفة الجنوبية لبوغاز جبل طارق بين البحر المتوسط والمحيط الأطلسي ، أسسها الفينيقيون في القرن الثاني عشر قبل الميلاد ، ثم اتخذها الرومان عاصمة لمستعمراتهم بالشمال الأفريقي ، وكانت مركزا هاما للجيش العربي التي كانت توجه الى الأندلس لتثبيت قواعد الاسلام ، ثم تعرضت للغزو الأجنبي خلال القرون الوسطى . وكانت مقرا لقناصل الدول الأجنبية في أواخر القرن الماضي . ولذا كانت تسمى بعاصمة المغرب الدبلوماسية . وبعد اعلان الحماية على مراكش في سنة ١٩١٢ خضعت طنجة لنظام دولي ، ولكن حكومة المغرب استعادت سلطانها الشرعي على طنجة بعد أن نالت المملكة المغربية استقلالها في سنة ١٩٥٦ ، وعقد حينئذ ميثاق قضى بمد أجل الوضع الدولي لميناء طنجة ، ولكن حكومة المغرب أصدرت في أوائل شهر

نوفمبر سنة ١٩٥٩ مرسوما بالغاء الأوصاف الشاذة القائمة في ميناء طنجة ، وحددت مدة قديرها ستة أشهر لانتهاء الامتيازات التجارية والمالية في المدينة . وتوجد في طنجة آثار تاريخية قديمة : كضريح الرحالة المغربي ابن بطوطة ، وبعض القصور الملكية وغيرها . وطنجة من أجمل مصايف العالم ، وتبعد عن مدينة الرباط بنحو ٢٧٤ كيلومترا . ومنذ سقطت « مراكش » في يد الاستعمار سنة ١٩١٢ لم تكف عن المقاومة الوطنية للمستعمرين ، سواء الأسبان الذين أخذوا جزءا من شمال البلاد ، وسجل الأمير عبدالكريم معهم معارك لن تنسى في تاريخ حروب التحرير ، أو الفرنسيين الذين استولوا على منطقة مراكش . وعند نهاية الحرب العالمية الثانية قاد حزب الاستقلال ، الذي أعيد تكوينه قرب نهاية هذه الحرب ، معركة الحرية ، وسيطر على الحياة السياسية في البلاد ، وعبأ قوى الشعب وأعدّها للسيادة واستخلاص الحرية من المستعمرين . وقد ربط الملك محمد الخامس مصيره بمصير شعبه ، وأخذ يؤيد الحركة الوطنية ويقودها بنفسه بالحكمة والصبر والسياسة ، حتى أصبح الأب الروحي للجهاد والرمز الحي له . وأدرك زعماء الثورة الوطنية المراكشية منذ البداية أن نجاح ثورتهم يعتمد أولا على توحيد الكفاح بين أقطار المغرب العربية الثلاثة ، وهي تونس والجزائر ومراكش . ثم ربط هذا الكفاح

وأدرك الفرنسيون أن هذه الطريقة لن تجدي ، وأرادوا تجربة أسلوب آخر فقام رئيس وزراء فرنسا - وكان مندس فرانس في ذلك الوقت - بالدعاية إلى منح تونس ومراكش شكلا من أشكال الاستقلال ، وبذلك يمكن تهدئة الجزائر ، ويمكن عزل شمال أفريقية كلها عن مصر . وكان يرى أيضا أنه طالما بقي النفوذ الفرنسي في الجزائر قويا مدعما ، وطالما أمكن عزل الأقطار الثلاثة عن مصر فستظل الامبراطورية الفرنسية بخير . وقبالت تونس الاستقلال الذاتي الداخلي الذي عرضه مندس فرانس ، ورفضت مراكش رفضا باتا أي عرض أقل من الاستقلال التام وعودة الملك محمد الخامس . ولم يكن أمام فرنسا بعد صمود شعب مراكش إلا أن ترضخ ، وأعان استقلال المغرب ونهاية الحماية في سنة ١٩٥٦ ، وعاد الملك محمد الخامس عودة تاريخية ظافرة . وبعد الاستقلال أخذت المملكة المغربية تنهض بخطوات سريعة واسعة في جميع الميادين الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والعمرانية وغيرها .

بكفاح شعوب المشرق العربي : وبالفعل عقد مؤتمر للحركات الوطنية الثلاثة التونسية والجزائرية والمراكشية في القاهرة سنة ١٩٤٧ وقرر الكفاح الثوري حتى الاستقلال التام . وحينما قامت في مصر ثورة ٢٣ يولييه سنة ١٩٥٢ م ، وتبين للجميع أنها ثورة تؤمن بالقومية العربية كحقيقة وعقيدة ، وتؤمن بوحدة المعركة في العالم العربي ، أدرك الثوار في تونس والجزائر ومراكش أن ساعة النصر قد حانت ، واشتدت الثورة التي أشعلها التونسيون في أوائل سنة ١٩٥٢ ، وأعلنت الثورة في مراكش سنة ١٩٥٣ ، وانفجرت ثورة الجزائر في سنة ١٩٥٤ ، وأخذ الملك محمد الخامس يرعى الحركة الوطنية في بلاده ويشد أزرها وينفخ فيها من روحه ، مما أفقد الفرنسيين صوابهم وجعلهم يضمرون له الشر والعداء ، وبعثونهم المعهود صبوا كل ألوان الإرهاب على شعب مراكش ، وقاموا بعزل الملك محمد الخامس ونفيه ، وتعيين سلطان طيع لهم مكانه . وبدأت فترة من العسف والتنكيل ، قابلها شعب مراكش ببسالة وبطولة خارقة.





الاجتماعية المتطورة ، ووحدة الشعب وآماله ، والاحساس بشعور الافريقيين عامة . بالرغم مما يثيره المؤلفون الاوروبيون والامريكان ، من أنه لا توجد افريقية واحدة ، وانما توجد عدة افريقيات تصل أحيانا الى خمس ، وكل واحدة منها تختلف عن الأخرى ، ولا شك أن وراء هذه الافكار أغراضا سياسية ، تنبه اليها المؤرخون المنصفون وخاصة الافريقيين منهم الذين أكدوا حضارة الرجل الافريقي ، وتداخل السلالات فيه ، وأن ما يقسم افريقية هو التوطن الأوروبي بآثاره كافة ، وليست بالصحراء ، فقد حدثت أشياء كثيرة تقلل من أهمية هذا الحاجز الرملي الصامت ، كالاسلام الذي يشكل ثلث سكان القارة ، والأنهار ، والأحواض التي تعتبر طريقا للمواصلات تعبر عليه الثقافة ، والتمازج الجنسي ، ومن هذه العوامل أيضا : الامراض التقليدية التي تنتشر في القارة ، والحدود الوهمية التي فرضها الساسة وانتشار القبائل في جميع المناطق كما يقول « جون جنتر » ثم تغير الحياة والعلاقات الاجتماعية عنها في الماضي ، وقيام أنماط أخرى من الحياة لأسباب أهمها :

- ١ - التقسيم السياسي الذي لم يحترم الوحدة القبلية . أو اللغوية . أو الدموية ، أو الثقافية .
- ٢ - قيام المدن الحديثة التي تقوم على أسس اقتصادية ، واجتماعية لا تشبه في شيء الاسس الافريقية القديمة .
- ٣ - التقدم ، والانتشار الذي دعم المواصلات الحديثة .

من الكتب الحديثة التي أثرت بها المكتبة الافريقية كتاب « (البياسة والحكم في افريقية) » للدكتور « عبد الملك غودة » وقد تناول الباب الاول منه أهمية الدراسات الافريقية في العالم المعاصر . فذكر لنا أن جامعات العالم ، والمطبعة الحديثة ، والادارات الخاصة بالشئون الافريقية في وزارة الخارجية وأرباب رؤوس الاموال ، ومديري الشركات والعسكريين .. كل أولئك يبدون اهتماما خاصا بافريقية ، ولكن افريقية قد استيقظت ، ووضحت ثورتها في تيارين متعارضين :

أولهما - يظهر في خطط الدول الاستعمارية ، والمتوطنين البيض ،

وثانيهما : في حركة الملايين الذين يعملون على تصفية الاستعمار ، وقد ظهر هذا الصراع بعد الحرب العالمية الثانية ، وتحقق على أيدي زعماء من صميم الشعب ، تتمثل فيهم العلاقات

٤ - الافكار الجديدة التي دخلت رأس ارجل الافريقي بعد الحربين العالميتين الاولى والثانية .

وقد تنبه الاستعماريون الى هذه الحقائق ، فتضامنوا لوضع ما يشبه الخطة الجماعية للاستفادة الكاملة من القارة ، وكان من أهم ما فكروا فيه مشروع أوروبا افريقية Euroafrica الذي لا يؤكد مدى التعاون بين الدول الاستعمارية ، فحسب ، بل يربط القارة به اقتصاديا ، ويدفع الى توطين الاوروبيين ، ليضعوا أيديهم تماما على مقدرات القارة .

على أن الامر لم يقف عند الدول الأوروبية وحدها ، وانما تعداها الى أمريكا التي ترى أن لها في افريقية مصالح استراتيجية ، واقتصادية ، وسياسية . ومن هنا نراها تبارك فكرة « أوروبا افريقية » .

أما دور الاتحاد السوفييتي في افريقية ، فيدور حول تحطيم النفوذ الأوروبي والأمريكي في هذه البلاد من أجل مصالحها ، وخطتها التي تلتزمها في تحطيم الرأسمالية .

فاذا انتقلنا الى دور العروبة في افريقية وجدناه دورا لا يستوحي الا مصالح القارة ، ومتابعة تقدمها .

أما الباب الثاني فقد تحدث المؤلف فيه عن العلاقات الدولية بين أوروبا وافريقية فذكر أنه كان لافريقية تاريخ طويل قبل الكشف الجغرافية ، بالرغم مما يروجه الأوروبيون من أن تاريخ القارة الحضاري مرتبط بوصول الرجل الابيض اليها ، وبالرغم من أنه قامت علاقات تاريخية ، واتصال تجاري

بين أوروبا وافريقية ، الا أن الكشف الجغرافية تعتبر بداية التاريخ الحديث للعلاقات الدولية بين أوروبا وافريقية .

وقد بكرت « البرتغال » في اكتشاف افريقية ، وكان الامير هنري الملاح أول من تمكن عام ١٤١٥ من احتلال مدينة « سبته » في شمال افريقية ، ويعتبر هذا الاحتلال أول احتلال أوروبي لافريقية . ثم تابعت البرتغال امتدادها على الساحل ، وتوغلت في عبدة مناطق حيث اصطدمت بالقوى العربية في عدة أماكن ، وخاصة على الساحل الشرقي ولم يستطع تكتل العرب والهنود أن يوقف القوى البرتغالية التي كانت مجهزة بالأسلحة الحديثة . كما تغلبوا أيضا على تكتل العثمانيين ، والمماليك في جزيرة « ريو » ، وقد اتسم الاستعمار البرتغالي بوقوفه على السواحل وعدم تغلغله في القارة ، وتحطيم قوى التجار المسلمين ، والاشتغال بتجارة الرقيق ، واحتكار التجارة مع الافريقيين !

وقد أثار نجاح البرتغاليين الأوروبيين فأرسل الهولنديون سفنهم الى غرب افريقية ، ثم تبعها انجلترا في الدخول غرب افريقية ، وقام الهولنديون بعدة ضربات موفقة ضد النفوذ البرتغالي ، وفي الوقت نفسه استعادت القوى العربية مكانتها بمساعدة سلطان مسقط ، وعمان .

ثم تأكدت مسألة تخاطف افريقية Scramble Africa بمؤتمر برلين (١٨٨٤ - ١٨٨٥) والذي مثلت فيه كل أوروبا ما عدا سويسرا ، والذي وضع فيه مبدأ مشروعية هذا التخاطف

بحيث لم تمض خمس عشرة سنة على هذا المؤتمر ، حتى كانت افريقية مقسمة بين الدول الأوروبية ، وكانت الدول التي لها دور كبير في عملية التقسيم هذه هي بريطانيا ، وفرنسا ، وألمانيا ، وبلجيكا والبرتغال ، وإيطاليا ، وإسبانيا .

وقد حدثنا المؤلف عن نظام الحكم البريطاني في افريقية ، فذكر أنه نظام قام على القمع المسلح ، والقيام بمظاهرات عسكرية ، وحربية لضمان بقاء هذا النوع من التسلط ، وإن كان هذا النوع ليس هو الوجه الثاني لسياستهم المخاتلة التي كانت تلوح للأفريقيين دائما بالوصول بهم إلى الحكم الذاتي ، فقد كانوا لا يلجأون إليه إلا حينما تواجههم المتاعب ، والثورات وكان لسياستهم في مستعمراتهم عدة أشكال من الحكم ، فهناك ما يسمى « **بمستعمرة التاج ، والمحمية** »

والأولى : هي ما تم الاستيلاء عليه بالغزو ، أو بالشراء . أو بالاحتلال أو بالمعاهدات ، وهذا النوع من المستعمرات يتبع وزارة المستعمرات البريطانية .

وأما الثانية : وهي « **المحمية** » فهي ما بسط عليه ملك بريطانيا حمايته أما بأجراء منفرد ، وأما باتفاقيات مع الرؤساء ، والحكام المحليين . والفرق بينهما أيضا أن سكان « **مستعمرة التاج** » رعايا بريطانيون ، وسكان « **المحمية** » سكان محميون فقط ، وهذه المحميات قد تتبع وزارة المستعمرات وقد تتبع وزارة الخارجية وقد تتبع وزارة شؤون الكومنولث .

ويروى أحد المصادر « أن التعبيرات الفنية التي اخترعها البريطانيون لتحل محل كلمة استعمار بريطاني أو امبراطورية ، إنما هي تعبيرات ، وألفاظ شكلية تتغير في المظهر ، لا تمس الجوهر وهذا من وجهة نظر رجال الحكم ، وأصحاب النفوذ والسلطان في تسيير أمور هذه الأراضي الواسعة التابعة للتاج البريطاني » .

.. وهناك ما يسمى « **بنظام الحكم غير المباشر** » ويعتبر هذا النوع من الحكم أحد المظاهر المميزة للحكم البريطاني في غرب القارة ، ويتلخص في حكم الأفريقيين من خلال الرؤساء الأفريقيين الذين يوجهونهم كيفما شاءوا ويعتبرون كعملاء للإنجليز .

هذا ويرى البعض أن نتيجة سياسة بريطانيا في افريقية هي تطوير هذه الشعوب ، والوصول بها إلى مرحلة الحكم الذاتي في نطاق « **الكومنولث** » .

والاستعمار البريطاني يأخذ عدة مستويات ، فيبدأ بالديكتاتورية المطلقة ووضع كل السلطات في يد الحاكم البريطاني . ثم تأتي المرحلة الثانية وهي الفصل بين السلطتين التشريعية والتنفيذية ، وتمثيل الأفريقيين في الحكم ، ثم تأتي المرحلة الثالثة بزيادة القوى الافريقية في المجالس ، ومجلس الوزراء . أما المرحلة الرابعة فتبدأ بوضع كل القوى في يد الأفريقيين في المجالس ، ومجلس الوزراء . بحيث يصبح البريطانيون موظفين كبارا في الحكومة فحسب ، ويتولى رئاسة مجلس الوزراء رئيس الأغلبية في

المجالس التشريعية . وحينما تتم هذه الاشكال الاربعة يأتى الشكل الخامس والاخير وهو اعلان الاستقلال فى نطاق « الكومنولث » أو بعيدا عنه أما نظام الحكم الفرنسى فى افريقية ، فيدور حول « **الحكم المباشر** » ذلك لانها تنظر الى هذه البلاد ، على أساس أنها أراض ملحقة بأرض فرنسا الأم ، فهم يعملون على قطع صلة البلاد بماضيها ، ومعتقداتها ، لانهم لا يعترفون بها الا من خلال الاطار العام لفرنسا . كل هذا مع وضع اليد تماما على مقدرات البلاد ، والاحتفاظ بالقوى العسكرية لمساندة الوضع الجديد .

ومن هنا نراهم يعملون جاهدين على خلق نظام يوافق هذا الشكل من الحكم ، وهو « سياسة الاستيعاب » التى تفرض على الافريقين الثقافة ، واللغة ، والنظم ، والمفاهيم الفرنسية .

على أنهم لم يقفوا عند حدود هذه السياسة ، فقد أجبرتهم الظروف الاقتصادية ، والظروف الدولية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر فى أوروبا ، على تغيير هذا الشكل من السياسة الى شكل جديد يسمى « سياسة المشاركة » حتى لا تتجمد العلاقة بين فرنسا والمستعمرات فى أشكال ادارية تقوم على النظم الاقتصادية . وخاصة وأن هناك تباينا بين النظم ، والعادات ، والمجتمعات فى المستعمرات ، وهكذا وضعت سياسة تهدف الى التعاون بين الحكم الفرنسى ، والنخبة الافريقية الفرنسية فاكتفوا بفرنسة القادة بدلا من فرنسة

الشعب ، بحيث يكونوا جسرا بشريا بين الافريقين ، والفرنسيين .

فالفارق هنا بين نظام الحكم الفرنسى القائم على المشاركة ، والحكم الانجليزى غير المباشر ، هو : « أن الانجليز دعموا ، وقووا الهيئات ، والزعامات المحلية ، واقبلية لتصبح جزءا من تنظيم حكومى ادارى يشرف على المستعمرة ، بينما يهدف الفرنسيون الى اقامة هيكل ظاهرى لا يمتلك أية سلطة ، انما يأخذ دور المنفذ ، والخدام » .

أما الحكم البلجيكي فيقوم على نظام الوصايا الابوية Imperial Paternalism ومعنى هذه السياسة أن الكونغرين قاصرون . لا يحسنون التفكير الا بالبلجيكين ، ومن هنا لم يقم شكل من أشكال الحكم المعروفة كالانتخاب . أو المجالس التشريعية أو نظام الحكم المحلى . أو قيام الاحزاب فالنظام هناك يقوم على أساس من المركزية المطلقة التى تستمد نفوذها من « بروكسل » .

فاذا انتقلنا الى نظام الحكم البرتغالى فى افريقية وجدناه يقوم عدة أسس هى أن جميع الاراضى الافريقية لا تخرج عن كونها جزءا لا يتجزأ من اراضى البرتغال .

٢ - الادارة فى المستعمرات تقوم على أساس مركزى يتبع فى نظمه وزارة المستعمرات البرتغالية .

٣ - كل ثلاث سنوات يعقد مؤتمر يضم حكام المستعمرات فى لشبونة برئاسة وزير المستعمرات للنظر فى جميع شئون المستعمرات .

٤ - تسيطر البرتغال في المستعمرات على الشؤون السياسية كافة ، وقد ترتب على هذا تحريم الاشتغال بالسياسة ، وقيام الاحزاب والصحافة الموجهة .

٥ - تأخذ البرتغال بمبدأ سياسة « الاستيعاب الاندماجي » وأهم شروطه لعملية الاندماج هذه هي اعتناق الكاثوليكية ، ومعرفة اللغات البرتغالية وآدابها ، فمتى تم هذا بمقتضى طلب رسمي كان من حق الافريقي مباشرة حقوق المواطن البرتغالي ، ورفع القيد العنصري عنه .

٦ - تصدر الحكومة الخامة البشرية في داخل المستعمرات الاوروبية أو خارجها التي تحتاج الى الايدي العاملة تحت اسم « عمال العقود » على أن يخضع في اقامته لنظام البطاقات بحيث لا يتمكن من الخروج المحدد له الا باذن من رئيس البوليس .

ثم حدثنا المؤلف في الباب الرابع عن الاقتصاد الجديد ، وكيف أنه أصبح جزءا من حركة اقتصادية عالمية مركزها ومحورها الاشكال الاقتصادية في غرب أوروبا .

ثم حدثنا عن الاقليات غير الافريقية وعملية التوطن الأوروبي ، وأن عملية التوطن هذه تظهر في شرق القارة لا في غربها . بسبب أن الغرب تكثر فيه الامراض المتوطنة ، والحشرات ، وترتفع فيه الحرارة التي يصاحبها ارتفاع آخر شديد في درجة الرطوبة وقد ترتب على عدم الإقامة هذه نمو

الطبقة المتوسطة التي دفعت البلاد الى الحرية .

وقد كان هذا التوطن الأوروبي لعنة على الافريقيين في كينيا ، واتحادى وسط افريقية ، وجنوب افريقية ، وأوغندا . ذلك لأن الأوروبيين يضعون أيديهم على الارض ، والمنساجم ، والمؤسسات . أما الافريقيون فلا يمكنون الا من الاشتغال بالاعمال التي تستلزم جهودا عضلية .

أما الأقليات الآسيوية فلا تشكل خطرا على الافريقيين في الغرب ، وبالرغم من كثرتهم في شرق القارة الا أنهم لا يشكلون خطرا كذلك على الافريقيين فيه ، اللهم الا في المظهر الذي يظهر في استخدام الأوروبيين للهنود ضد التقدم في البلاد ، كما هي الحال في أوغندا .

ولعل من أشد مشكلات التوطن تعقيدا في افريقية هو هذا التوطن الفرنسي الذي يبلغ تعداداه ١٦٠٠٠٠٠٠ يعيش منهم ٣٥٠ ألف منهم في المغرب ، ويعيش ١٦٩ ألف في تونس ، أما الباقون فيعيشون في الجزائر .

فاذا انتقلنا الى ملكية الارض . وجدنا أن الارض غالبا لا يملكها الا افريقيون في غرب القارة . أما في أوغندا فقد وضع الانجليز أيديهم على الاراضي غير المستغلة في الزراعة ، وفي « كينيا » نرى الأوروبيين يمكنون من الاستيلاء على الارض المرتفعة الخصبة ، والتي تمتاز بصلاحية المناخ لهم ، أما الأراضي المنخفضة فهي في يد الافريقيين

وتمتاز بالجذب ، وحرارة الجو ، وكثرة الصحراء .

فاذا انتقلنا الى المغرب العربي وجدنا أن مظاهر السياسة الفرنسية هناك أنتزاع الاراضى الزراعية ، وظهور « الكولون Colon » والمقصود بهم « المستوطنون الفرنسيون » الذين تم توطيئهم على نظام عسكري . بمعنى أن الجنود المحاربين يقيمون فى مناطقهم العسكرية ، ويمكنون من الاستيلاء على الارض ، وزراعتها ، وقد يكون التوطين على نمط دينى . أو مدنى . فتقبل العائلات الفرنسية . أو الجماعات التبشيرية . وقد يكون أحيانا بتسهيل هجرة الطليان ، والاسبان ، وسكان الجزر الفرنسية فى البحر المتوسط مع منحهم الجنسية الفرنسية . كما يكون بالتخلص من رجال العصابات ، والمجرمين ، والمسجونين السياسيين ، وقد بلغ عدد رجال « الكولون » حوالى المليون فى عام ١٩٥٥ .

ثم حدثنا المؤلف عن قيام المدن الحديثة التى تعتبر مخازن للتصدير ، والاستيراد اذا كانت فى الداخل . فاذا كانت على الساحل فهى ميناء للتصدير والاستيراد .

وتحدث عن خطوات التبشير ، والتعليم ، والثقافة ، وكيف أنها لم ترض على البلاد بزعماء مبرزين بالرغم من قيام التعليم على أساليب استعمارية ثم كيف ظهرت طبقة اجتماعية جديدة هى الطبقة المتوسطة لأن نمو الاقتصاد الرأسمالى فى الزراعة ، والتجارة ، والتعدين ، وعلاقات الانتاج والتوزيع . كل هذا قد أتاح لهذه الطبقة

أن تتعامل بالبيع والشراء ، وأن تشرى من وراء هذا ، وخاصة أن نشاط هذه الطبقة قد اتسع حتى شمل المدن والقرى . ثم مكنها أخيرا من أن تسهم هى الاخرى فى عدة مجالات اقتصادية فى البلاد . وقد ظهرت هذه الطبقة فى وضوح فى غرب افريقية لكثرة الامراض ، وعدم ملائمة الجو والحياة للأوروبيين هناك . وقد ساعد هذا الشراء الطبقة المتوسطة على أن تتكلم الانجليزية ، وتأخذ نفسها ببعض ألوان الحياة الانجليزية هناك . كما استطاعت أن ترسل بأبنائها الى جامعات أوروبا ، وأمريكا للتعليم . فاذا أضفنا الى هذا أن الانجليز لم يحطموا القبلية والرياسات المحلية ، وأن مركزهم المالى كان قويا بما كان يربط لهم من اعانات ، ومرتببات ، وبما كان يحق لهم من فرض ضرائب ، وجباية ، واعانات على أبناء الشعب ، وبما كانوا يسهمون به فى شتى الحياة الاقتصادية اذا أضفنا هذا الى ما سبق رأينا أن هذه الطبقة كانت على شتى من الشراء جعلها تدفع بأبنائها الى التعليم فى الخارج ، وتعيش فى حياة اقتصادية موفورة .

وقد ساعد التعليم بالخارج على ظهور طبقة متوسطة . فقد امتهن المتعلمون عدة مهن ضرورية فى حياة الشعب كالمحاماة ، والطب ، والتدريس ، وأعمال البنوك ، وادارات الحكومة ، ودر عليهم كل هذا فائضا من الدخل جعلهم يعيشون حياة تختلف عن حياة آبائهم ، وجعلهم يفكرون بطريقة جديدة اكتسبوها من الخارج .

ولكن سرعان ما اصطدمت هذه القوى الجديدة النامية بالقوى المتجمدة الاخرى فى البلاد ، فبحكم ثقافتهم ، وأوضاعهم الاجتماعية لم يقرؤوا النظم القبلية ، ودور الزعماء ، والرؤساء ، والسلطين ، والامراء المتوارثة فى البلاد فقد رأوا من حقهم أن يديروا بلادهم بالفهم الجديد ، والخبرات الحية التى اكتسبوها داخل البلاد ، وخارجها . على أن هذا الاصطدام لم يقع فجأة لأن عملية التمهيد له كانت بطيئة ، وخاصة أن الامر كان يتعقد لأن الاستعمار كان يحاول دائما الاستفادة من هذا الشقاق بين القوى الحية الجديدة ، والأوضاع الموروثة فى البلاد . فقد « أصبح الرؤساء فى مركز شاذ فنتيجة لوظائفهم هم مسئولون يوميا عن تنفيذ سياسة الحكومة فى مناطقهم ، وفى مقابل هذا يتمتعون بالثقة الحكومية ، ومن وقت لآخر تستشيرهم الحكومة سرا فى موضوعات الساعة ، وتعينهم الحكومة فى المجالس التشريعية كأعضاء غير موظفين لتمثيل الافريقيين . فماذا يفعل هذا الرئيس اذا قدمت الحكومة مشروعا أو قانونا سبق أن وافق عليه سرا ؟ وماذا يفعل هو ان قام أحد الاعضاء غير الموظفين بانتقاد اجراء تم فى منطقة هذا الرئيس وسبق أن وافقت الادارة الحكومية عليه ؟ هل يستطيع أن يعارض أى قرار أو اتجاء سبق أن استشارته الحكومة سرا بشأنه ؟ انه اذا وافق عليه فى المجلس اتهمه الوطنيون بأنه خائن ، ورجل الحكومة ، وعدو الافريقيين ! ... واذا عارضه فقد ثقة الحكومة ، وسخطت عليه ! » .

ومن هنا كان لنمو الطبقة الجديدة التى تشمل المتعلمين ، والاداريين ، والكتبة ، والمدرسين ، والسياسيين ، والمحامين ، والمهنيين ، والتجار ، والصناع ، والخبراء ، وزعماء النقابات العمالية ، والجمعيات التعاونية ، والمقاولين ، الخ .. هذه الطوائف كان لنموها أثر كبير فى توجيه الحياة السياسية هناك . فهم الذين تحدوا سيطرة الاجانب ، وهم الذين رفعوا صيحات الحرية ، وعلى أيديهم تحقق الاستقلال بعيدا عن الزعامات التقليدية وكانوا مدفوعين الى الحرية بعوامل داخلية نفسية ، وبعوامل خارجية ، كتلك الآثار التى أحدثتها فيهم الحرب العالمية الثانية ، والاصداء العالمية التى تقرر للانسان نصيبه من الحياة .

ثم حدثنا المؤلف عن الحركة الوطنية ، والمنظمات السياسية . فوضح لنا أن « الحركات الوطنية » تختلف فى الحكم ، والكيف بين كل منطقة وأخرى ، وأنها تمثل فى أغلب حالاتها جبهة . أو تجمعاً وطنياً . أو مؤتمرات ، وتنضم تحت لوائها عدة طبقات اجتماعية تقرب بينها أزمة سياسية ، أو مقاومة اجراء حكومى ، أو مطلب دستورى ، وأنها تسعى جاهدة الى القضاء على الحكم الاجنبى واحلال حكم افريقى مكانه . والذى يظهر واضحا من كل هذا أن طبيعة الحركات الوطنية تختلف فى مكان عنها فى مكان آخر ، فالظروف السياسية ، والتراث التاريخى فى الشمال غيرها فى الجنوب ، والسياسة الفرنسية غير السياسة الانجليزية وهكذا ..

ثم وضع لنا المؤلف المنظمات السياسية في غرب افريقية ، فتعرض لتيجيريا ، وغانه ، وسيراليون . ثم تعرض للمنظمات السياسية في أوغندا وكينيا ، والشمال الافريقي ، و افريقية الفرنسية . كما وضع لنا دور تصفية الاستعمار الايطالي في افريقية .

وفي الباب السابع تعرض للفرقة العنصرية والسياسية ، فذكر لنا أن الاساس الفلسفي للفرقة العنصرية في اتحاد جنوب افريقية يظهر فيما ورد في مقدمة دستور جمهورية ترانسفال . فقد جاء فيها « (لن توجد مساواة مطلقا بين الأبيض والأسود ، سواء أكان في الكنيسة ، أم في جهاز الحكم !) » وتعتبر هذه الفكرة نتيجة لعدة عوامل ، وأسباب قديمة نشأت مع تدافع الأحداث ، واحتكاك الأجناس وتسلط المتوطنين البيض ، وإن كانت تتلاقى جميعها تحت العوامل التاريخية وأخرى سياسية ، ويمكن حق الأسباب والعوامل التاريخية الى ما يأتي : -

١ - آثار الرق : التي تخلفت عن الاوضاع الأرستقراطية ، التي عاشت تحت ظلها البوير ولم يعترفوا بحقوق الافريقيين حتى رسب في نفوسهم أنهم من طينة غير طينة الافريقيين .

٢ - الكنيسة : فقد ساعدت الكنيسة هناك على نمو هذا الموقف وتعقيده ، فقد فرقوا منذ البداية بين المسيحي والوثني ، وظلت كلمة الوثني عالقة بالافريقي ، حتى لو اعتنق المسيحية . وهذا هو السبب في تسمية الافريقيين هناك الى الآن « Kaffirs » .

٣ - العلاقات المتبادلة : فمنذ هبط الهولنديون رأس الرجاء الصالح وهم يتوسعون شمالا ، ولم يكن بد من كراهية الافريقيين لهم ، وقيام علاقات عدائية بين القوتين حتى لقد امتزجت عواطف الكره والخوف باللون ، ووصل العداء الى حد رهيب بين الطرفين .

٤ - عقدة البوير ضد الانجليز :

فقد رأى البوير في الانجليز قوة جديدة تعمل لمصالحها فقط ، وتعمل على تحطيم قوى البربر .

أما العوامل السياسية فترجع الى عدة أسباب أهمها :

١ - العوامل الاقتصادية : التي تتمثل في حيازة الأرض ، والتوسع في الصناعات .

٢ - العوامل الاجتماعية : التي تتمثل في آثار حياة المدنية الحديثة ، ونمو عدة مستويات من الطبقات العاملة ، والفكرية ، والاحتكاك الدائم بين الاجناس المختلفة . ثم أخيرا ظهور الاتجاهات الدولية الحديثة .

ثم يضع المؤلف الفرقة العنصرية في ميزان العلم ، ويورد ما أجمع عليه العلماء من أن البشر الأحياء يتبعون نوعا واحدا من الكائنات وهو النوع البشري ، وأنهم قد خرجوا جميعا من أصل واحد ، وأن بعض الاختلافات العضوية بين الجماعات البشرية يرجع الى خلافا في التركيب الوراثي ، وبعضها الآخر يرجع الى خلافا في البيئة ، وفي أغلب الاحيان يرجع الاختلاف الى العاملين معا . فالتركيب الوراثي للشعوب المنعزلة يتغير

القائلة بأن الاختلافات الوراثية هي سبب فعال في انتاج خلافاً بين الثقافات ، وأنه ليس هناك دليل على صحة وجود الجنس النقي .

وأخيراً تعرض المؤلف للمؤتمرات الدولية الافريقية ، وذكر أنها كانت خيراً على القارة ، وأن عام ١٩٦٠ يعتبر فجراً صادقاً للحرية ، والاستقلال ، والحكم الوطني .

والكتاب بهذه الصورة يعتبر موسوعة في بابه . كما يعتبر كسباً للمكتبة العربية التي تحتاج الى جهود كثيرة وصادقة ، كذلك المجهود العلمي الموفق الذي قام به المؤلف .

بالتدريج وبلاستمرار بفعل عامل الانتخاب الطبيعي ، وعوامل الطفرة . كما يمكن التغير العشوائي في داخل التعدد الجرثومي الوراثي بفعل عوامل الزواج والاختلاط الجنسي . وأنه ليس من الضروري أن تتوافق الجماعات القومية . أو الدينية . أو الجغرافية . أو اللغوية ، أو الثقافية مع السلالات الجنسية المتعددة ، وليس هناك ارتباط بين الصفات الثقافية لجماعة ما ، وبين صفاتها الجنسية ، كما أن معظم علماء الاجناس لا يضيفون الصفات العقلية عند تقسيم السلالات البشرية ، وهكذا نرى أن المادة العلمية لا تبرر النتائج



أون اعله بحرية همون أفريقية

للأستاذ مصطفى الشهابي

ولكن ذلك لم يشن عزيمة « نخاو » ، فوجه عنايته الى ارسال البعثات البحرية ترتاد البحار للكشف عن الطرق التجارية والبحث عن بلاد جديدة للتجار معها .

وقد شجع نخاو على ذلك أمران :

- ١ - نجاح البعثة البحرية التي تمت في عهد حتشبسوت ، وقيام أسن المصرية في السنوات التالية برحلات طويلة من البحر الأحمر نحو الجنوب .
- ٢ - أسطوله العظيم الذي كان يعمل في قيادته عدد كبير من الفينيقيين الذين كانوا وقتئذ أمهر الملاحين وأشجعهم ، وكان لهم على الملاحه فضل عظيم .

وكان البحر الأحمر يومئذ بحيرة فينيقية ، وفيه احتكر الفينيقيون التجارة مع الدول التي تطل على سواحله ، ولهذا كان اختيار نخاو لهم لقيادة سفنه فيه جانب كبير من بعد النظر حتى يضمن لأسطوله السلامة في البحار ، ولا يتعرض له الفينيقيون في الموانئ التي يتجرون معها .

وقد أصدر نخاو أمره الى أسطوله هذا بالسفر من قاعدته في البحر الأحمر للطواف حول أفريقية ، والعودة عن طريق بوغاز جبل طارق ، الذي كان القدماء يسمونه « أعمدة هرقل »

ازدهرت الزراعة والصناعة في عهود عدد كبير من ملوك الفراعنة ، وفاضت الغلات والمنتجات عن حاجة البلاد الى البحر الأحمر حفرت قناة ومخرت بها السفن في البحر ، متجهة الى البلاد المجاورة لتصريفها فيها .

ولتسهيل نقل المتاجر من داخل البلاد الى البحر الأحمر حفرت قناة سيزوستريس بين مدينة منف على النيل وذلك البحر ، وعندما حفرت قناة السويس بعد ذلك بألوف السنين اتبعت الطريق الذي كانت تسير فيه القناة القديمة من البحر الأحمر الى البحيرات المرة .

وفي عهد الملكة حتشبسوت - في النصف الثاني من القرن الخامس عشر قبل الميلاد - وصلت التجارة المصرية الى بلاد بونت (الصومال) . وبعد ذلك بثمانمئة عام (أى في القرن السابع قبل الميلاد) تولى حكم مصر الملك نخاو Necho وكان عظيم الاهتمام بنشر تجارة مصر في العالم الخارجى وكانت قناة « سيزوستريس » قد أهملت وطمرتها الرمال فشرع نخاو في إعادة حفرها ، ثم عدل عن ذلك بعد أن فقد في هذه المحاولة ١٢٠ ألفاً من الفلاحين المصريين ، وبعد أن أنذره الكهنة بأن الاجانب سيتخذون من هذه القناة وسيلة للاضرار بمصر ! .

وكان المصريون يعتقدون أن الأرض يحيط بها الماء من جميع الجهات (١) فأراد نخاو برحلته هذه أن يكشف ذلك الجزء الذى يحيط بالساحل الأفريقى ، ولعله كان يأمل أن يعثر له رجاله على أراض تدر عليه الخير العميم .

والمصدر الوحيد لهذه الرحلة هو هيرودوت - أبو التاريخ ، الذى طاف قبل الميلاد بأربعمئة سنة ، فى أرجاء أوروبا وأنحاء آسيا ، وزار مصر ، وتجول فى ربوعها حتى أسوان ، واستمع فيها لقصة تلك الرحلة المجيدة واليك تفصيل هذه الرحلة :

خرج الأسطول من إحدى الموانئ المصرية التى على البحر الأحمر - من السويس غالبا أو من القصير - وكانت سفنه من ذات الخمسين مجدافا ، وكان ملاحوها يعتقدون أنهم سيفرغون من رحلتهم فى بضعة أشهر ، ولهذا لم يعدوا أنفسهم لثلاث سنوات .

وكان الملاحون فى الأزمنة القديمة يجوبون البحار على مقربة من الشواطئ فكانت المسافة التى يقطعونها بين مكان وآخر أطول مما لو شقوا عباب البحر ، فضلا عن تعرضهم لخطر الارتطام بالصخور القريبة من الشواطئ ، كما أنهم كانوا يسيرون نهارا فقط ، فاذا ما أقبل الليل أرسوا

(١) كان هيرودوت يعتقد أن ليبيا (وهو الاسم القديم لقارة افريقية) يحيط بها الماء من جميع الجهات ماعدا الجزء الذى يصاها بآسيا فيما بين خليج السويس والبحر المتوسط ، وقد جاء بطليموس الجغرافى بعده بستمئة سنة فايده فى ذلك .

سفنهم فى ميناء أمين . أما الفينيقيون فقد شقوا عباب البحر نهارا وليلا ، وكانوا يهتدون فى سيرهم ليلا بالنجوم ولذا أطلق اليونانيون اسم «الفينيقى» على نجم القطب الشمالى الثابت دائما فى مكانه ، لأن الملاحين الفينيقين اتخذوه مرشدا لهم فى أسفارهم .

وسار الأسطول جنوبا - والشمس عن يساره - محاذيا ساحل افريقية الشرقى ، ولقى كثيرا من المتعاصب والمشاق بعد خروجه من البحر الأحمر عن طريق باب المنذب ، ومر ببلاد الصومال ، ثم انعطف الساحل نحو الغرب فوقع فى خلد الملاحين أنهم أوشكوا على الوصول الى ساحل موريتانيا ، ولكنهم كانوا ازاء ساحل كينيا ، وساروا ازاء ساحل ناتال الحالية ..

وذات يوم دهش الملاحون ، فقد كانت الشمس تشرق عن يسارهم ، وها هى تشرق عن يمينهم ..

ولم يدروا أنهم داروا حول الطرف الأقصى من جنوبى افريقية ، وهو الذى مر به بعد ألفى عام « بارثلمى دياز » وسماه « رأس العواصف » ثم سمى بعدئذ رأس الرجاء الصالح ، أو (رأس عشم الخير !) .

ومن الغريب أن « هيرودوت » وهو يروى نبأ هذه الرحلة ، يبدى شكه فى هذه الظاهرة بقوله : « وهذا أمر لا يمكن تصديقه .. وقد يقبله الآخرون أما أنا فلا يمكننى قبوله ! » .

وواصل الأسطول سبيل العودة ، متجها شمالا فى محاذاة ساحل افريقية

الغربي ، حتى وصل مضيق جبل طارق (أعمدة هرقل) .

وكانت منطقة جبل طارق يومئذ تعج بالسفن الفينيقية التي تتجر مع أسبانيا والبرتغال وبريطانيا التي أطلق عليها الفينيقيون يومئذ « بلاد الصفيح » لأنهم كانوا يستوردونه منها .

ورأت السفن الفينيقية ذلك الاسطول المصري ، وقد بدا على رجاله الضعف والهزال على أثر تلك الرحلة الطويلة الشاقة ، وهموا بأن يستولوا عليه غنيمة باردة لهم ، ولكن وجود اخوانهم الفينيقين على رأسه جعلهم يتركونه يمر بسلام .

ومن جبل طارق سارت سفن الاسطول حتى وصلت الى فرع رشيد للنيل ، وسارت فيه حتى وصلت الى مدينة سايس (صا الحجر) عاصمة مصر يومئذ .

وبذلك انتهت تلك الرحلة وسجل التاريخ لمصر القيام بأول رحلة حول أفريقيا .

وقد استغرقت هذه الرحلة الطويلة نحو ثلاث سنوات ، نفذت في خلالها مؤونة الملاحين أكثر من مرة ، فكانوا في كل مرة ينزلون الى الساحل الأفريقي فيحرثون الأرض ويبذرون الحب وينتظرون حتى يحصدوا المحصول ، ثم يقلعون ويواصلون سيرهم حتى تنفذ مؤونتهم مرة أخرى فيعيدون الكرة ، وعلى ذلك فلا بد أنهم حصدوا ثلاثة مرات في رحلتهم هذه . وفضلا عن زراعتهم القمح اللازم لخبزهم فقد اشتغلوا أيضا بصيد كثير من الاسماك

والحيوان ، وليس هناك ما يدل على حدوث قتال بينهم وبين أهالي تلك البلاد ، بل يحتمل أنهم صادقوهم ومنحوهم هدايا ، وذلك لما هو معروف عن الفينيقين من معاملتهم الشعوب الغربية عنهم بالكرم والحسنى .

ويذكر « هيرودوت » كيف كان الفينيقيون يتعاملون مع أهالي الساحل الغربي لأفريقية ، فيقول : أنهم كانوا عند وصولهم الى تلك البلاد ينزلون الى البر ويضعون بضاعتهم على الشاطئ ثم يوقدون نارا يتصاعد دخانها ، ويعودون الى سفنهم ، فعندما يرى الاهالي الدخان المتصاعد يسرعون نحو الشاطئ ويفحصون ما عليه من بضاعة ويضعون بجانبها ما تساويه في نظرهم من الذهب ، ويتراجعون الى مسافة بعيدة .

عندئذ ينزل الفينيقيون الى البر مرة أخرى ، فاذا راقهم ما تركه الاهالي من ذهب ورأوا أنه يكفي ثمن لبضاعتهم أخذوه ورحلوا ، أما اذا رغبوا ثمن أعلى رفضوا أخذه ، وعادوا الى سفنهم ثانية وانتظروا صابرين ، فيعود الوطنيون ويزيدون على الذهب ثم ينسحبون حتى يتأكدوا من رضا التجار .

ويقول « هيرودوت » ان الفريقين من الفينيقين والافريقين سلكوا مسلك الأمانة في معاملتهم ، فكان الملاحون لا يمسون الذهب حتى يساوي ثمن بضاعتهم ، وكان الاهالي لا يقربون البضائع حتى يؤخذ ثمنها .

سجل « هيرودوت » في كتابه تفصيلات هذه القصة مما سمعه من الكهنة المصريين ، خلال زيارته مصر

عام ٤٦٨ ق . م . وقد شك بعض المؤرخين في صحة هذه الرحلة ، ولكننا عهدنا هيرودوت مؤرخا صادقا لا يختلق ما يكتب ، بل يصف ما تراه عيناه ، ويقص ما تسمعه أذناه .

وأول من أبدى ارتيابه في هذا الموضوع هما المؤرخان اليونانيان « بوليبي » (٢٠٤ - ١٢٤ ق . م) ثم « بوزيدوثيس » .

غير أن كلا منهما لم يذكر الأسباب التي دفعته الى الشك .

وفى يناير سنة ١٩٠٧ نشر المؤرخ الانجليزى « وب » مقالا فى المجلة التاريخية الانجليزية أبدى فيه شكوكه فى تلك الرحلة ، ولكن المؤرخ الألمانى « مولر » تصدى للرد عليه ، بما ثبت صحتها :

وتتلخص أقوال « وب » فيما يأتى :

١ - لا يوجد مصدر آخر يؤيد رواية هيرودوت .

٢ - ان ما رواه هيرودوت تعوزه التفاصيل ، فهو لم يصف البلاد التى مر بها الاسطول المصرى ، ولم يتحدث عن الشعوب التى تعامل معها ، ولا ذكر ما لقيه من رياح وبحار وتيارات بحرية .

٣ - ان ثلاثة أعوام مدة غير كافية للطواف حول أفريقية من السويس حتى بوبسطة فى سفن تسير بالمجاديف .

٤ - ولماذا لم يقم المصريون برحلات أخرى مماثلة فى القرون التالية اذا كانوا حقيقة قد نجحوا فى هذه الرحلة ؟

وتتلخص ردود مولر عليه فيما يلى :

١ - من الجائز جدا أن الرحلة تمت فى الوقف الذى كان فيه حكم نخاو قد انقضى ، وأن الاسطون المصرى وصل الى عاصمة البلاد بعد أن رقد نخاو فى ناووسه ، وأن ابنه ايسماتيك الثانى كان عاقلا له فلم يشأ أن يسجل ماثر أبيه .

وقد ثبت أن بعض الفراعنة قد قاموا بأعمال مماثلة ، فالزائر للمتحف المصرى سيجد أن أول تمثال يقابله عند دخوله اليه ، على مقربة من الباب الرئيسى ، تمثال كبير يحمل رقم ٤ .

هذا التمثال صنع لرمسيس الثانى ولكن ابنه منمفتاح اغتصبه ونسبه لنفسه ، ولولا وجود الاسم على القاعدة لما تنبه أحد لذلك الادعاء ، بل ذلك العقوق .

٢ - اذا كان هيرودوت - على غير عادته - لم يتناول ذلك الموضوع بأسهاب ، فالسبب فى ذلك يرجع الى أنه يروى حادثا تاريخيا مضى عليه - يوم قدومه مصر - نحو مائة وخمسين عاما ، وربما كان الرواة الذين سمع منهم من الرجال الحذرين فتوخوا الايجاز فى ذكر الموضوع على رجل أجنبى .

وليست هذه هى الحالة الوحيدة التى رواها هيرودوت بايجاز ، فهناك مثلا موضوع التمثيل عند الفراعنة ، وهو موضوع اكتفى هيرودوت بالتلميح اليه تلميحا خفيفا جدا .

وقد كان موضع جدال لدى المؤرخين حتى ثبت أخيرا أن الفراعنة أقاموا

أول مسرح عرفه العالم ، وأن هيرودوت كان صادقا في روايته .

وهناك ناحية أخرى هامة ، هي أن البحارة الفينيقيين ربما أحجموا عن إعطاء أية تفاصيل مفيدة عن هذا الموضوع ، حرصا منهم على الاحتفاظ لانفسهم بأسرار الطرق التجارية ، حتى تظل التجارة دائما في أيديهم .

ومن المعروف أنهم كانوا - في سبيل المحافظة على تلك الأسرار - يؤثرون الموت دون افشائها ويروى أن إحدى سفنهم تعقبتها سفينة رومانية ، فما كان من السفينة الفينيقية الا أن جنحت الى أقرب شاطئ ولم تتم رحلتها ، حتى يثبت منها السفينة الرومانية وابتعدت عنها .

بل ان الفينيقيين هم الذين ابتكروا تلك القصص المخيفة عن الأهوال التي يلاقيها كل من يتجول في البحار ، من حيوانات ضخمة ومخلوقات مخيفة وكوارث لا ينجو منها أحد ، مما نراه في قصص السندباد وأمثاله . لقد ابتكروا تلك القصص ليدخلوا الرعب في قلب كل من تحدته نفسه بركوب البحار للتجارة حتى يحتكروا ذلك الميدان .

٣ - ان المسافة التي قطعها الاسطول المصري يبلغ طولها نحو ٢٦٠٠٠ كيلو مترا ، وثلاثة أعوام تكفى لقطعها اذا سارت السفن بسرعة عادية ، بل أقل من العادية ، فما بالك والذين

يقودونها هم أولئك الملاحون الفينيقيون المهرة الخيرون باتجاهات الرياح والتيارات البحرية في البحر الأحمر والبحر المتوسط .

واذن فلا مفر من التسليم بأن هذه الرحلة قد تمت فعلا ، وأنها كانت أول رحلة من نوعها .

٤ - أن الحالة السياسية تغيرت بعد وفاة نخاو ، ومثل تلك الرحلات تحتاج الى استعداد فني ، يتكلف تكاليف مالية باهظة لا يجازف بها الا الاقوياء من الملوك .

وقد منيت مصر بعد نحو نصف قرن من عهد نخاو بغزوة فارسية قام بها قمبيز ، وليس من المعقول أن يفكر أى ملك مصرى في القيام برحلة مماثلة في تلك الظروف .

يضاف الى ذلك أن تلك الرحلة - بالرغم من نجاحها - لم تشجع الفينيقيين على القيام برحلة أخرى ، وذلك لأن الوصول الى موريتانيا عن طريق البحر المتوسط أقصر زمنا وأقل تكلفة ، وأنه من الخطر الجسيم التعرض لرحلات طويلة ، ونتائجها الاقتصادية لا تعادل ما يبذل فيها من جهد ووقت ومال .

فلنذكر دائما كلما طالعنا شيئا من قصص الرحلات أن العرب والفينيقيين والمصريين تعاونوا جميعا على القيام بأول رحلة حول افريقية ، بل حول العالم الذي كان معروفا في أيامهم .

المغرب في صور



ملك المغرب

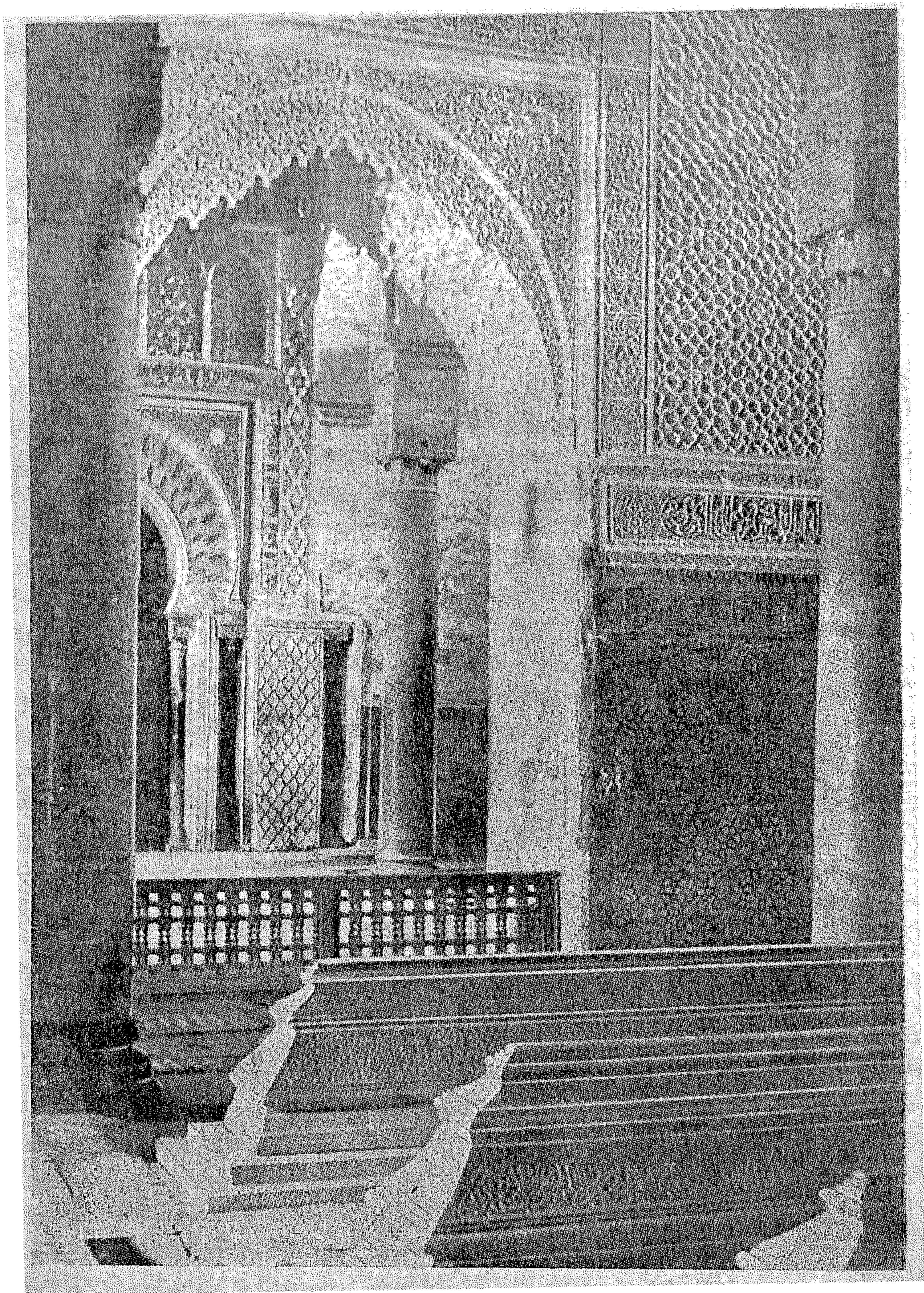
يسعد الاقليم الجنوبي من
الجمهورية العربية المتحدة الآن بزيارة
الملك ((محمد الخامس)) ملك المغرب.
الذي يعتبر أحد الارتكازات العربية
القوية في المغرب الأقصى ، والذي
استطاع بجهاده ، وكفاحه أن يحرر
بلاده من الخوف ، والاستغلال ،
والعبودية بفضل ما وهب من حب
الشعب له ، ومساندته لكل الخطوات
العملية التي سارت بشعب المغرب على
طريق الحرية ، والاستقلال .

وقصة الملك العربي ترتبط
بالسياسة من صغره ، فقد اختير من
دون اخوته ، الذين يكبرونه ، ليتولى
الحكم ، ولتكون هناك فرصة تستطيع
فيها فرنسا أن تحكم قبضتها على
البلاد ، ولكن الملك العربي خيب آمال
فرنسا ، ووجه لها ضربات قاصمة.
فكان وراء الخطط التحررية التي بدأت
بصورة فعالة في عام ١٩٣٦ ، كما
ساند ((حزب الاستقلال)) الذي تكون
عام ١٩٤٤ ، وقدم وثيقة تاريخية
يطالب فيها بالتحرر من السيطرة
الفرنسية .

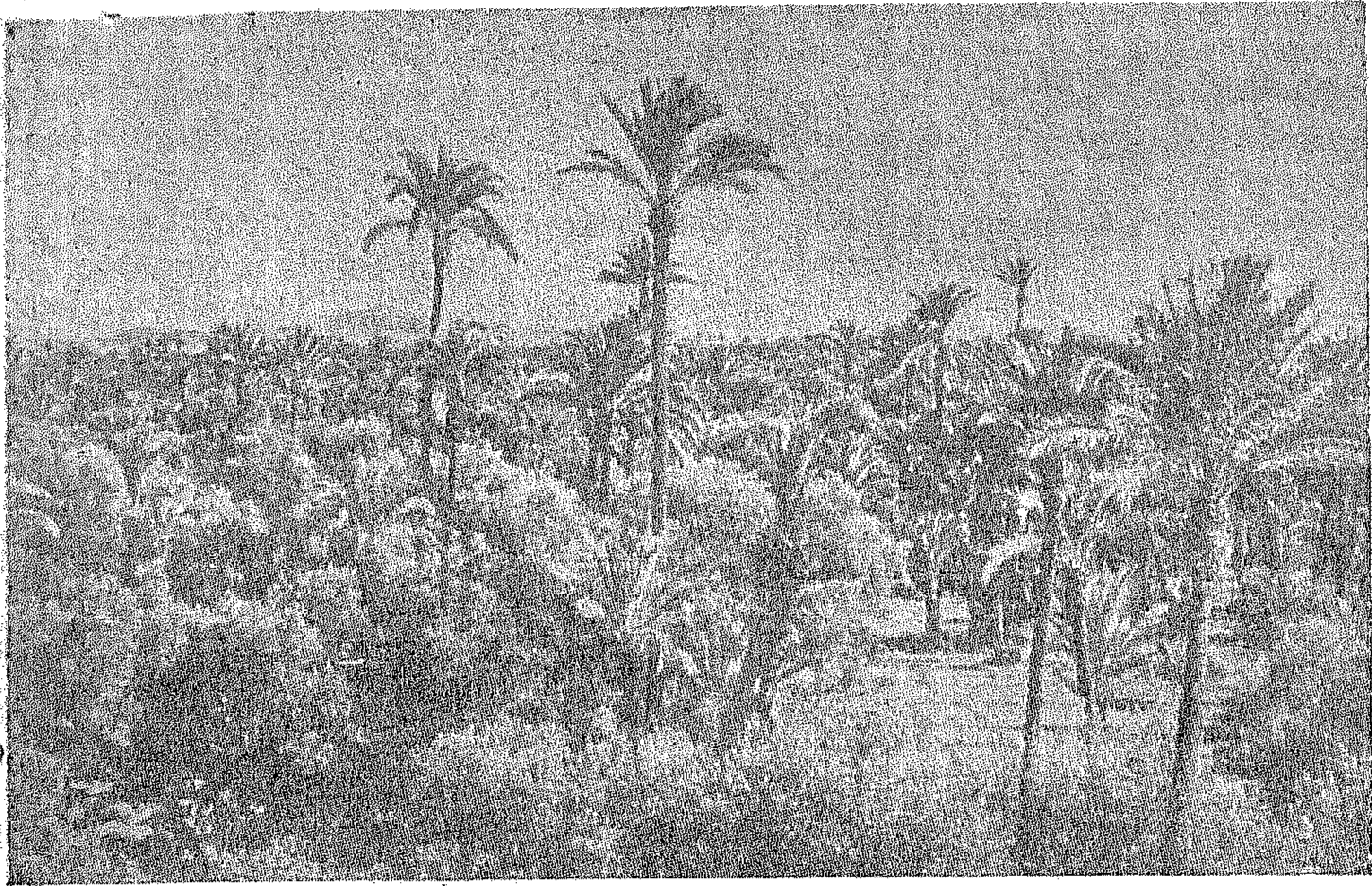
وكان يتلقى كل آمال الشعب ،
ويطورها ، ويعتبر نفسه أول المسؤولين
عنها ، وفي سبيل هذا الاخلاص لشعبه
أبعد عن بلاده في ٢٠ من أغسطس عام
١٩٥٣ ، ولكن الشعب الذي ضحى من
أجله لم يهدأ يوماً واحداً ، وبفعاليته
وحبه لم يكن أمكنه أن يعيده الى عرشه
.. والى شعبه .



أحد قصور الملك محمد الخامس



من الفن العربى فى المغرب



التطبيعة في المغرب



قافلة المثلثين

شخصية العدد

عقبة بن نافع

للأستاذ محمد فهمي

الضخمة في بيت المقدس ابتهاجا بهذا النصر حتى أدركه السيل ..

هرقل يحشد مئات الآلاف من جيوشه .. ثم يقيم سدا من الدروع والحديد والكمأة والفرسان ..

خالد بن الوليد في اليرموك على رأس جيوش الايمان يسحقه بضربة خالدية .. السد يتناثر بددا ، وابتلعه اليم يم الايمان المتدفق .. سقط بيت المقدس وسوريا وفلسطين . عمرو ابن العاص يدك في مصر حصن بابليون . وها هي أسوار الاسكندرية تتداعى تحت مطارقه . لاشيء يستطيع الثبات أمام سيل الايمان المتدفق ، لا شيء أبدا من جيوش أو قوة أو حديد ..

في هذا المعمان الزاخر بمعجزات البطولة والاستشهاد كان الفتى «عقبة بن نافع» يقوم بواجبه في الجهاد ، وتحطيم قوى المتكبرين ، بطلا معلما في الميادين ، ميزته جراته الفائقة وتصرفه المحكم في المواقف الحرجة وكان جده لأمه «عمرو بن العاص» القائد الأعلى لجيوش الفتوح في مصر مغتبطا في نفسه متفائلا ، واثقا بمستقبل الشاب البطل .. كما كسب الشاب ثقة الخليفة (معاوية) فأمره على عشرة آلاف من المجاهدين لذلك

أرجاء العالم كله ترجها الأنباء رج الزلازل . فالأمبراطوريات العتيقة التي رست قواعدها منذ مئات السنين حتى ظنها الناس راسخة رسوخ الجبال ، مستقرة استقرار الكواكب في مداراتها ، تهوى متصدعة تحت مطارق حملة الرسالة المحمدية ! .

جيوش كسرى في الأهواز تسحقها ضربة عربية يؤسر على أثرها قائدها الهرمزان .. سواد العراق تحت سنابك خيول الاسلام ..

كسرى يبني سدا ضخما من جيوشه بالآلاف المؤلفة على رأسها أبرع قواده (رستم) ليصد التيار الجارف ..

سعد بن أبي وقاص يقابله في القادسية على رأس المجاهدين . لقد عض المجاهدون على سيوفهم بالنواجذ ، وصمموا على النصر أو الموت .. التيار يسير مندفعاً محطماً كل ما في طريقه .. رستم يصرع بعد قتال تشيب لهوله الولدان ، لقد تحطم السد وتناثرت أشلاؤه فابتلعه اليم .. يم الايمان المتدفق !! .

هرقل في الشام ماكاد يهنأ بانتصاره على ملك الفرس ، ويقيم الاحتفالات

قوى الطغيان في افريقية الشمالية ونشر الرسالة الحميدية .. واندفع القائد الشاب كالاعصار لا يبقى على شيء .. تجاه برقة فاكسحها اكتساحا، بالافها المؤلفة لصدده ، ولكن عقبة القائد الفذ حطم في سبيله كل الجموع التي تصدت له ، مخترقا طريقه نحو تونس والجزائر ، يدك الحصون والقلاع ، ويسحق الجيوش ببراعة قيادته ، واستماتة جنده من المؤمنين الصابرين الصادق العزم . حتى بلغ موضع القيروان ، وتلفت وراءه فرأى الشقة قد بعدت بينه وبين قاعدته في مصر . ولكن عقبة وهو الذي لم يذهب الى كلية حزبية ، وانما تلقى العلم على اساتذة كخالد بن الوليد وأبي عبيدة عامر بن الجراح وعمرو بن العاص يكتبون دروسهم بالدم .. أدرك بفطنته أن لابد من انشاء قاعدة جديدة للتموين والامداد لكي يواصل الفتح ، وفي مكان القيروان الحالى كانت تنبت الأعشاب والحشائش ، وتتكدس فيها اكوام الحجارة ، فسوى عقبة أرضها وشيد مكانها مدينة كبيرة في ثلاثة آلاف وستمئة ذراع هي مدينة القيروان وجعلها عاصمته الافريقية .

ومن هناك توالى عليه الامدادات، وأخذ يعد العدة لاتمام اكتساحه ، غير عابىء بمقاومة البربر الأشداء الذين كانوا أقوى أعداء العرب بأسا ، وأشدهم مراسا ، لبساطة الحياة عندهم ، وبعدهم عن ترف المدينة الذى أصيب به الروم والفرس .

ولكن انى لهم الوقوف أمام قوة مستمدة من رسالة عاوية شاء لها الله أن تظهر وأن تسود ؟ .

مضى على عقبة في جهاده الموفق عشر سنوات توفي بعدها عمرو بن العاص ، وتولى أمر مصر مسلمة بن مخلد ، فعزل (عقبة) عن القيادة في افريقية ، وولى مكانه أبا المهاجر قائدا على المجاهدين .

دهش « عقبة » وحز في نفسه هذا العزل المفاجىء لا حبا في الرياسة ولا طمعا في الفخر ، بل لأن العزل حال بينه وبين تنفيذ ما أحكم من خطة ، وما وضعه من تصميم « لاكتساح شمال افريقية حتى الأطلسى » فعاد الى دمشق يدفعه هذا الشعور الممض ، وعاتب الخليفة معاوية في أمر العزل ، ولما لمس الخليفة ما يكنه من حماس وثقة ، وما يضطرم في روحه الوثاب من مشاعر البطولة وعده باعادته الى القيادة . ولكن الخليفة معاوية مات قبل أن يتم وعده لعقبة ، وجاء ابنه يزيد فطالبه عقبة بتحقيق وعد أبيه ، فأعاده الى امرة الجيوش في افريقية مع أن أبا المجاهد كان قد التحم مع الروم والبربر في عدة معارك وكتب فيها النصر .

وتقدم عقبة في فتوحه حتى بلغ (بجاية) وهناك انتصر على الروم انتصارا باهرا ، ثم حاصرهم في مدينتهم ، ولما رأى الحصار سيؤخره عن الاندفاع نحو هدفه ساحل البحر، سار متجها الى بلاد الزاب الواسعة ذات المدن الكثيرة ، وعند العاصمة (اربه) هزم جموع الروم هزيمة منكرة ثم اتجه بعدها الى (تاهرت) فجمع له البربر فيها جموعا عظيمة وأرادوا خضد شوكة هذا القائد الذى لا يقف في سبيله شيء ، والذى يفل

يجنده جيوش الروم أساتذة الحروب،
كما يفل جموع البربر أسود الجبال ،
فكأنما هذا القائد قد حاز سر النصر في
قبضة حسامة ، وبالرغم من محاولات
أعدائه الأشداء المتكررة في مقابلته في
الموقعة تلو الموقعة ، والصمود أمامه
في الموقف اثر الموقف ، فقد كان يبدى
من اليأس ما يفوق بأسهم ، ومن
المهارة ما يفل مهارتهم . فاذا صمدوا
له صمد لهم حتى تخور عزائمهم ، وإذا
صبروا صبر حتى ينفد صبرهم ،
وإذا ختلوا أو مكروا كان أدهى منهم
مكرا وختلا .. حتى وصل الى طنجة .
ومن « طنجة » نزلت جيوش
الفتح جنوبا الى بلاد السوس الأدنى ،
وعلى رأسها القائد المظفر ، فإقبته جموع
البربر من أهل البلاد ، ونشب قتال
عنيف انهزموا على أثره ، وانتصر
قائدنا شأنه في كل المعارك . وكانت
الهزيمة ساحقة للعدو ، فدانت له كل
بلاد السوس الأدنى ومن بعدها هبط
الى بلاد السوس الأقصى ، فاجتمع له
جموع البربر فكرع عليهم كرة أخرى
فهزمهم هزيمة منكرة ، واتجه غربا
يفتح البلاد ويدك القلاع ، وأصبح خبر
مسيره يلقى الرعب في قلوب أعدائه ،
فيفر من طريقه كل من الروم والبربر ،
وقد يئسوا من نضال هذا القائد
الذي كأنما عقد مع النصر محالفة
لا تنفصم عراها أبدا .. وما النصر الا
من عند الله .. وان تنصروا الله ينصركم
ويثبت أقدامكم .

فمن أولى بالنصر من جيوش الاسلام
وقائدها الباسل عقبة بن نافع ؟ ونظر
عقبة أمامه فاذا الأرض قد انطوت تحت
سنايك خيله ، واذا المحيط يعترضه
باتساعه الذي لا يتناهى .. اذن لم يبق

أمام عقبة ما يفتحه من بلاد .. وغازه
أن يقف المحيط الشاسع أخرس
لا يبين عن أرض وراءه يذهب اليها
فاتحنا العظيم . وشعر بتحدى
المحيط له فاثار هذا حنقه ودفع
حصانه في الماء حتى كاد يغمره ،
وصاح متحديا المحيط قائلا كلمته
المشهورة :

(والله لو أعلم أن وراءك أرضا
انذهبت اليها غازيا في سبيل الله) ..

عاد الفاتح أدراجه الى قاعدته
القيروان ، وقد أتم رسالته ، وحقق
أمله ولكن اشتجرت في نفسه وهو عائد
مشاعر وأحاسيس حزينة ..
ويحك يا عقبة . هذا أنت تخوض
المعامع والمعارك غازيا في سبيل الله ،
طالباً النصر أو الشهادة ، وان حرصك
على النصر ، وهذا أنت تحرم أغلى
الأمليين ، وفي هذه اللحظة رنت في أذنه
كلمة سيد الأبطال وسيف الله المسلول
خالد بن الوليد حينما حضرته الوفاة ،
فكانت حسرتة بالفسة لأنه لم يرزق
الشهادة في ميدان القتال ، ولم تفض
روحه على شفار السيوف وأسنة
الرماح ، فقال قولته المشهورة : « لقد
شهدت مائة زحف أو زهاءها ، وما في
جسدي شبر الا وفيه ضربة أو طعنة ،
وما أنذا أموت على فرشى كما يموت
البعير ! فلا نامت أعين الجبناء ! » .

وازدادت نفس عقبة انقباضا ،
وارتجفت من هذه الخاتمة المؤلمة التي
تنتظره ، وهى الموت على فراشه ، كما
يموت البعير لا الموت في الميدان كما
يموت البطل .. وسار في طريق عودته
تورقه هذه الأشجان ، وتفويض بأمنية
رأها أمنية الأمانى . وكأنما شاءت العناية

الله أن تستجيب لرغبة هذا المجاهد العظيم ، وتحقق له أمله بل أعز آماله .. فقد أرسل القائد جيوشه تسبقه في العودة إلى مدينة القيروان ، وأبقى معه ثلاثمائة من فرسانه عطف بهم على قلعة الروم كانت مستعصية ، وكان الزعيم المخاتل كسيلة قد فر قبل ذلك من الأسر ، وجعل يتربص لعقبة في الطريق فلما علم أن القائد الفاتح قد بقى في ثلة صغيرة من الرجال ، وأنه قد اتجه بهم إلى محاصرة إحدى القلاع ، راسل الروم وجيشوا جيشا يبلغ عدة آلاف ، وتصدوا للبطل .

وهنا تهالت نفس عقبة واستبشر، فها هو أمله الذي ظنه بعيدا قد أوشك أن يتحقق ، وها هو ربه المتعالى لم يشأ أن يخيب رجاء مجاهد من كبار المجاهدين ، فنزل عن ظهر حصانه ، وأمسك بعمد سيفه وكسره على ركبته — إشارة إلى أنه القتال حتى الموت ، وبسرعة البرق نزل رجاله الثلاثمائة عن ظهور خيولهم ، وكسروا أغصان السيوف متضامنين مع قائدهم على القتال حتى الموت .

صف عقبة أصحابه الثلاثمائة ، ووقف يستعرضهم وهو يخطر بجواده مزهوا فخورا ، وكلما نظر إلى فضاء السهل والجبل من حوله ، وهو يموج بجيوش الأعداء علت ثغره ابتسامة خفيفة حجب الحياء والوقار بقيتها ، وأشرق وجهه بنور .. ذلك هو نور الرضا ، وفرحة تلاقى المشتاق الواله لحبيبه النائي . وافرحته .. وافرحته!! اننى لن أموت أذن على فراشى كما يموت البعير ، ولن أنفق كما نفق الحيوان ، وإن الله قد من على وأكرمنى بالموت على شفار السيوف وأسنة

الرماح . انها الشهادة .. التى مات عليها معظم صحابة الرسول وأبطال دعوة الاسلام ، فشكرا شكرا ، وحمدا حمدا لك يا رب . !! هكذا ناجى عقبة نفسه أو ناجته نفسه فى لحظة هى أسعد لحظات حياته ، انها تشبه الى حد كبير ساعة دخول الزوج على عروسه الفاتنة المحبوبة ..

وانتظر أصحابه الثلاثمائة الإشارة على الاستشهاد أكثر من حرص قائدهم للهجوم وتطلعوا بأعناق مشرّبة وقلوب تكاد تقفز فرحا بين الضلوع للقاء الأعداء ، كى يشحنوا فيهم ضربا وطعنا وتقتيلا ثم لا يبالون بعد ذلك، على أى جنب كان فى الله مصرعهم .

التحم الجيشان وكان مشهدا رهيبا اذ انقض عقبة وأصحابه على الجموع التى تملأ السهل والجبل من جيوش الأعداء ، كما تنقض الصواعق على الجبال فتدكها دكا ، وكان عقبة يبدو أحيانا كاليراعة تضيء وهو يخترق ظلام الحديد وغبار المعركة ، وأحيانا كأنه باشق ينقض من عل يختطف رؤوس الأعداء ، أو قنة تهوى من رأس الجبل تسحق فى طريقها كل شىء ، وأصحابه يفعلون فعلاه ، بل انهم قد صاروا وكأنهم جماعة من الجن تعصف بالبشر عصفاء ، لا ثلاثمائة مقاتل فقط من بنى الانسان .. وكان عدد الأعداء وآلافهم المؤلفة أكثر من أن تأكلها نار الثلاثمائة أصحاب عقبة .

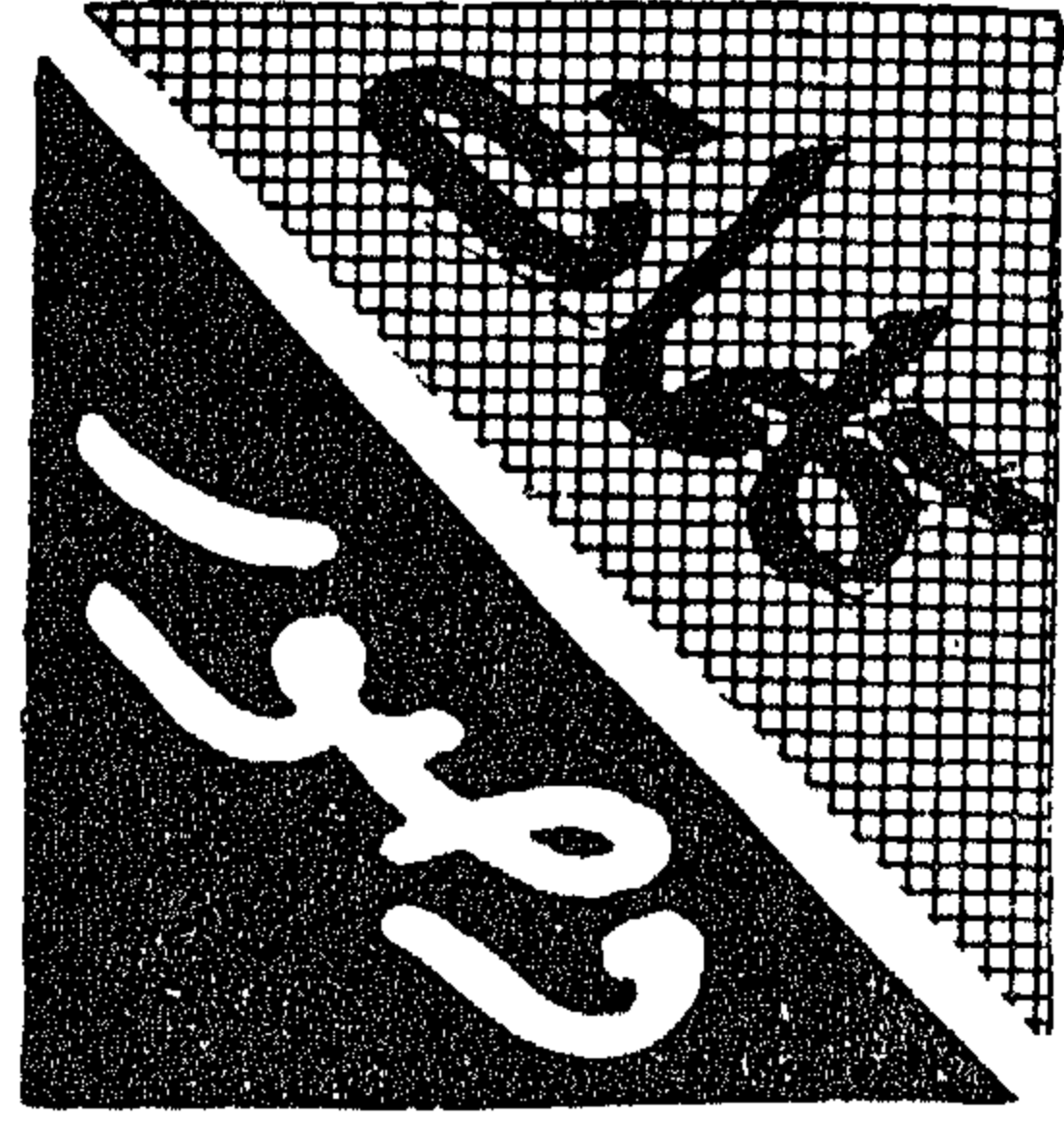
وانجلت المعركة عن « عقبة » وأصحابه مجندلين بين آلاف من صرعى الأعداء الذين التهمت نار البطولة، وأفناهم عشاق الشهادة ، أصحاب عقبة ! .

وعلى هذه الصورة حقق البطل وأصحابه أمنية هى أعذب آمانيهم ..

ومن أين للرحمة أن تلتبس الى
قلبيهما سبيلا ، وهما يعرفان أن هذه
الرحمة لو أدركت واحدا منهما لكان
مصيره الموت . فأين يوجد العدل
اذن ؟ وكل من العدل والظلم يعتصر
حياته من حياة الآخر ! .

غير أن هذه الأفكار ما لبثت أن
تطايرت من الرؤوس حين علا صوت
آخر يطالب بالطعام ، وليس يعاو على
هذا الصوت صوت آخر ، خاصة وأن
بعض الأسماك الصغيرة كانت تتلوى
حول نفسها في اعياء . بينما كانت
قشورها الفضية تفقد شيئا فشيئا
بريقها الزاهي . اللامع . ولكن كيف
النجاة من هذين العدوين ، وأحدهما
سمكة وحشية عريضة . ذات عيني
براقتين تخدر بهما الضحية قبل أن
تموت ؟ أما الأخرى فكانت سمكة
يكاد الناظر اليها يؤكد أن طولها ليس
له نهاية لأنها كانت تمتد أيضا الى
ما لا نهاية ! وكانت كل من السمكتين
تحتل مكانا « استراتيجيا » من
الجدول فاحداهما الى يمينه ، والثانية
على يساره ، وليس للسمك من كليهما
مفر اذا ذهب الى اليمين . أو ذهب
الى اليسار ، وما كان السمك أن يظل
قابعا في جدول ، وهو يكثر ، وتتضاءل
المثونة من حوله ، ثم أخيرا وهو يحس
أن يكتشف الحياة من حوله !

وتحت هذه الظروف فقد الكثير
من السمك ، ولكنه في هذه الليلة
بالذات فقد عدد كبير منه ، وشمل
الحزن كل من في الجدول ، وأشاع
جو من المرارة ، والرغبة بينهم . وكان
لابد لهم من أن يواجهوا المحنة التي
تقابلهم في شجاعة ، وصراحة . فكان
أن صاحبت سمكة عجوز :



● أسطورة افريقية :

برقت عيون الأسماك في أحد
الأيام ونظر بعضها الى بعض
في حزن وأسى ، فقد كانت كل
أسرة سمكية تنتظر بعض أفرادها
بدون أمل بعد أن أقبل المساء ، وبرد
الماء ، وشاعت في الجو رائحة ضمت
ثقل . لقد كانت بعض الأسماك تفقد
بين اليوم والآخر ، ولكن العدد
المفقود اليوم كان كثيرا ، ومن كافة
الأنواع ، واقد كان الدعر على أشد
ما يكون في عيون الأسماك الصغيرة
التي لم تتعود السهر . ولم تألف هذا
الجو الجامد . الحزين ، وبين الحين
والآخر كانت ترتفع بعض الرؤوس
اللامعة متسائلة وقد عضها الجوع
« أليس من شيء نأكله ؟ » وحين تنكس
الرؤوس الكبيرة أكثر فأكثر داخل
الماء . كان السمك الصغير ينحنى على
نفسه ، ويصمت . فقد كان يدرك أنه
لا أمل ، ولكنه لم يكن يعرف لهذه
المجاعة التي انتشرت في الجدول معنى !
أما السمك الكبير فقد كان يعرف
سر المأساة . كان يعرف أنه وقع بين
عدوين لا يعرف كل منهما الرحمة ،

« ما لكم صامتين هكذا ؟ أليس هناك من حل لهذه المأساة التى نعيش فى ظلها ! » فانتفض الجميع ، وحدثوا بعيونهم الزجاجية بعضهم فى بعض . وقطع الجرى (القرموط) نظرتة ثم حولها الى صغار السمك وهو يصيح فيهم « أظن أنه من المستحسن أن تنصرفوا عنا الآن حتى نتدبر أمورنا » ولكن سمكة صغيرة ذات لون ماسى رفعت رأسها ثم قالت « أعتقد أن القضية ليست قضية الكبار فقط ، وإنما هى قضية الحياة فى هذا الجدول ، ولا أحسب أن الحياة تهكم أكثر مما تهمنى . بل انى أراها لنا ألزم ، وإزاء هذا فسنبقى ، وسنتعرض للمشكلة باسم الحياة لا باسم الشيوخ والشباب ! »

وما كان للكبار أن يحيدوا عن هذا الرأى . وخاصة أن السمك الصغير كان يظهر من عيونه أنه مصمم على البقاء ، وأنه لن يغلب على رأيه ، وما كادوا يوافقون على بقائهم حتى تراحموا ، وسدوا المساحات المائية الخالية بأجسامهم ، ثم صمت الجميع حين قامت السمكة العجوز تقول : « اننا هنا محاصرون ، فعن يميننا العدو ، وعن شمالنا العدو ، ولا أرى لنا مفرًا من البقاء فى هذا الجدول . فهو الذى يحميننا من الهلاك وأطرق شيوخ السمك رءوسهم ، بينما ارتفع صوت سمكة صغيرة يتلون بالغیظ ويقول : « لقد تكلمتم عن الموت يمينا وشمالا ، ولكنكم لم تتكلموا عن الموت داخل الجدول . كأننا قضية البقاء لا تتحمل الرأى الثالث » .

فكان أن ردت السمكة العجوز : « أنها تفضل الموت حيث هى على أن تسعى اليه بنفسها » ولكن السمكة الصغيرة عادت تقول « مهما يكن رأيك فكثير من السمك هنا يفضل الموت وهو يقارع ، ويتلوى ، وينفعل عن الموت الهادىء الراكد ، الذى يشل الجسم شيئا فشيئا ! » .

وتصارعت الآراء حول قضية البقاء فى الجدول ، و « الحنكليس » صامت ، وإن كان يتلون جلده بثتى الانفعالات التى تزخر بها روحه ، وكان لابد أن تتجه اليه النظرات فهو معروف بانسياب جسمه ، ومهارة حركته ، ودقة تفكيره ، وحملته النظرات التى تعلقت به على أن يتكلم وإن لم يستغربوا عليه عدم مسارعته الى الرأى كما هى عادته . لأنه كان يعانى فى قلبه جرحا داميا . كان يعانى فقد زوجته ، وأولاده .

ولم يمنعه الحزن من أن يخرج صوته رائقا ، هادئا ، فقد قال « ابى أشارك السمك الشباب فى كل ما ذهب اليه ، فالسمكتان الكبيرتان لا تأكلان منا فقط ، ولكنهما تنفصان حياتنا كذلك شيئا فشيئا . فهما تبتلعان غذاءنا فى قسوة ، وتصادران كل ما يمكن أن يمدنا بالحياة فلا مناص حينئذ من أن تنشب بيننا معركة فاصلة بيننا وبينهما .. فصاح أحد شباب السمك : « الرأى عندى أن نجتمع جميعا فى الفجر ، ثم نمضى فى هجرة انتحارية الى الجانب الشمالى حيث تقيم السمكة الطويلة التى تحدثتم عنها . فهما لا شك فيه أن فمها سيكمن أقلا ضيقا من السمكة

المتوحشة العريضة » وما كاد ينتهى من رأيه هذا حتى هلك السمك الصغير له ، والتف حول نفسه ، وأحدث أصواتا ممثلة بالحماس .

ولكن الحنكليس رفع صوته الذى كان يظهر فى بعضه حكمة الشيوخ ، وفى بعضه الآخر حماس الشباب ، ثم قال : « ان عندى رأيا آخر لو تم لسارت هجرتنا فى سلام الى حيث الحياة » فهذا حماس الشباب ، وأطل الشيوخ بوجوه بليدة ، بينما استرسل قائلا « ان فكرتى تقوم على أنه يجب أن تتصادم السمكتان الوحشيتان لتخلو لنا الحياة . ففى الوقت الذى نقرر فيه مصيرنا ، يجب أن نقرر مصيرهما كذلك فننهي ما بينهما من حرب باردة . ثم يكون البقاء بعد ذلك للمواطن السمكى البسيط الذى لم يتعقد بالشراء والخشونة » . فنحن لا نحرص على الحياة بقدر ما نحرص على أن تتلاحم قوى الشر ، وتتقابل وجهها لوجه » .

وهنا سر الشيوخ . كما سر الشباب بينما كان الجميع يرددون صوتا واحدا وكيف نجتمع هاتين القوتين وجهها لوجه . وهنا رفع الحنكليس صوته . ثم قال « الفكرة عندى أن نذهب جميعا الى السمكة العريضة الآن ، وما كاد ينطق بهذا حتى أدار كثير من السمك رأسه الى الجهة الأخرى التى تسكنها السمكة الطويلة ولكنه استطرد » ان فكرتى مرهونة بسيركم جميعا ورائى الى حيث تسكن السمكة العريضة بدون معارضة » ولكن السمك الكبير بدأ

يعترض قائلا « اننا نؤيدك ونسير وراءك ، ولكن سير من يعرف لا سير من يجهل فليس كالمعرفة طريق » .

وهنا قال لهم « ان خطتى تقوم على أن نجتمع بين السمكتين وجهها لوجه . لابد أن يتلاقيا فى صراع حتى نضمن الحياة . مادام لا أمل فى أن يجتمع كلاهما على خير ، ومن هنا سنذهب الى كل منهما ثم نواجههما بما يقوله عنه الخصم الآخر » .

وكان أن وافق الجميع على هذه الفكرة ، وقبل الفجر بقليل ذهبوا الى اليمين حيث تقيم السمكة الطويلة المتوحشة . ثم تقدم « الحنكليس » منها وهو يجاهد فى رفع صوته قائلا « اننى أحمل اليك رسالة من السمكة الطويلة التى تتوعدك ، وتقسم على هلاكك ، وتأمرك بأن تهاجرى فى الفجر تماما . وإلا فستحضر لتدمرك » وهنا صاحت السمكة العريضة ، ودمدمت ، وأقسم على هلاك السمكة الطويلة فى الموعد المحدد ، وما كاد السمك يسمع هذا حتى كر راجعا الى حيث تقيم السمكة الطويلة ، وهناك حدثها بما حدث به غريمتها فاستشاطت غضبا .

وهبت نسمة رطبية . ثم زقزق عصفور ، وما كادت تتساقط أولى قطرات النور . حتى سمع صوت مدو من كلا الجانبين انشقق له الجدول ، وتتطاير الماء ، وما هى الا لحظة حتى أحدث التقاؤهما دويا مروعا ، كان سببه أن السمكة العريضة فتحت فمها العريض بينما توغلت السمكة الطويلة داخلها وبعد

مدة صغيرة انجأت المعركة عن موت كلتا السمكتين فقد اختنقت السمكة العريضة بالسمكة الطويلة في داخلها بينما كانت الأخيرة تنزف دماءها القرمزية في غزارة .

وعلى الدماء الحمراء تم عبور السمك للحرية ، وقد جزع السمك في مبدأ أمره حينما وجد قشوره أصبحت حمراء ، وحينما وجد أثر الدماء في كل شيء من حوله .

ولكن حينما توغل في السير ، وواجه مياهها جديدة وجد أن قشوره البيضاء قد عاد إليها نقاؤها وزهوها ! .

● الصهيونية في افريقية :

جاءت الأنباء أن « جولدا ماير » وزيرة خارجية اسرائيل ستقوم برحلة الى افريقية ، حيث تزور عدة دول بها محاولة توثيق العلاقات بينها وبين بلادها ، وقد وضعت الصهيونية في ذهنها منذ فترة كبيرة خطة تسعى جاهدة الى تحقيقها وهي محاولة التغفل في افريقية حيث تعتبرها مستهلكة لبعض منتجاتها ، وأرضا تدر المكاسب الوفيرة غير المشروعة لكل من يدخل برأس المال لها ، واسرائيل تشم دائما رائحة الصفقات غير المشروعة في العالم ، ثم تضرب ضربتها ، وقد وجدت في افريقية - على يد الانجليز والفرنسيين وبتشجيعها - أرضا خصبة لاتمام هذه الصفقات الظالمة .

فنحن نراها في « جنوب افريقية » تعمل بشراة في جمع المال بعد أن مهد

لها « الجنرال سمطس » الطريق الى هذه البلاد . وكذلك نرى هذه الحال في « روديسيا » و « ليبيريا » و « السنغال » و « الكمرون » و « تشاد » ، و « أثيوبيا » و « الكونغو الأوسط » وأهم الشركات التي يسيطر عليها الصهيونيون في افريقية هي شركة « فايرستون » في ليبيريا التي كانت أحد عوامل الضغط القوية على الحكومة في الاعتراف باسرائيل ، ومن هذه الشركات أيضا شركة « ساديك » في « فورت لامي » ، و « انكودا » في أثيوبيا ، وهذه الشركات تتدخل دائما في كل ما يدمر قوى الشعب ، ويملا يدها بالمال فهي تتاجر في الأرض ، والسكر ، والبن ، والكافور ، والفواكه ، واللحوم ، ودبابة الجلد !

ومع أن زيارة « جولدا ماير » الى افريقية ليست الأولى الا أن الحقائق تؤكد أن نشاطا سياسيا ، واقتصاديا صهيونيا كان يرفع رأسه كلما عادت ! .

● الزواج في السودان :

يبدأ الزواج عند السودانيين باعلان الخطبة ، وهكذا تبدأ كل من العائلتين بالتأهب لأيام الفرح . فبعد فترة من اعلان الخطوبة يدفع المهر ويعترف « بسداد المال » ويتكون عادة من النقود ، والملابس ، وبعض الأعيان ذات الرائحة كالصندل ، والشاف ، والكليت ، والطلح ، ويتفق في يوم « سداد المال » على « يوم العقد » وفيما بين هاتين الفترتين يبدأ في تعليم العروسة الرقص ، ويؤخذ في

الاستعداد لتمشيط العروس ، و «دق الشلوفة» وهو عبارة عن تلوين الشفة السفلى للمرأة بلون يستخلص من كبد التمساح ، ويميل الى الخضرة ، ويبقى معها ما بقيت حية .

وبعد العقد تأتي أيام جميلة في حياة الأسرتين هي : -

١ - يوم الحنة :

وفيه تأتي عمات العريس وخالاته، وهن يحملن « الحناء » في اناء كبير ، ويقمن بتخضيب يديه ، ويدي وزيره، وهو الصديق الذي يرافقه هذه الأيام، ويكون الاحتفال على أشده عند العروس حيث تجلس على « عنجريب » (١) وتحضر لها « الفركة » ثم يحضر العريس فجأة ، ويقترب من عروسه فتدلل ، ويجذب يدها من « الفركة » فتتمنع حتى يتمكن أخيراً من امساك يدها ، فيضع فيها قطعة من « الحناء » والى جانبها بعض النقود وتسمى « نقطة الحنة » ثم يعود العريس الى مكانه بين الرجال ، وتتردد أغنية معروفة هي ليلة « العديل والزين » .

٢ - يوم السيرة :

يخرج أهل « الحلة » في هذا اليوم لمشاهدة العريس، ووزيره . وكل منهما يركب جملاً حيث يخرجان الى مكان خلوى به خضرة وماء ، وفي هذا المكان الخلوى يجتمعون حيث تبدأ لعبة « السوط » فيأخذ العريس في ضرب كل الشبان الذين يتجلدون أمام البنات ، ثم يطلبون منهن أن

(١) العنجريب : يشبه السرير .

يقمن بالرقص فيرقصن . ثم يطلب العريس فتقبل واحدة بعد عناء بعد أن يجذبها جذبا . فاذا قامت تقدم شاب ليقدم رقصة « العرضة » ، ولما يخرج الشاب من الحلبة تعطيه الفتاة « شبالا » والشبال هو أن ترفع الفتاة رأسها في حركة بحيث يستطيع شعرها أن يلامس وجه الشاب . ثم يرجع الجميع وفي أيديهم جريد النخل، وفروع الليمون ، لتناول العشاء في بيت العريس .

٣ - يوم قطع الرحط :

تحتفل العروس بهذا اليوم ، وفي عصره تأتي الوزيرة وهي اما عمتها . أو خالتها حيث تحتضن « العروس » وترشدتها الى مكانها الذي ستجلس عليه من السجادة . ثم تجلس معطاة « بالفركة » (١) ويبدأ الضرب « بالدلوكة » (٢) . وأخيراً يقبل « العريس » نحوها ، ويمسك بالحجاب ، وتأخذ هي في الرقص في حركات دائرية رشيقة محاولة أن تفلت منه بانسقوط على الأرض . فاذا ما أفلتت ضحك الحاضرون على « العريس » ، ولا يزالان في هذا الصراع حتى يتمكن العريس من « قطع الرحط » ، والرحط عبارة عن حزام به سيور جلدية تتمنطق به الفتاة .

٤ - ليلة الدخلة :

وفيهما يستعد الأهل لتدليك العريس ببعض الزيوت العطرية ، وقليل من

(١) ملاء ملونة وضافية من الحرير .

(٢) نوع من الطبول .

● فروس البحر :

حينما وصل الرحالة العربى « ابن بطوطة » فى رحلته بافريقية الى نهر « النيجر » وقف حتى أتى الليل لأنه لا يمكنه أن يعبره بالنهار لكثرة البعوض ، وحينما أقبل على الركوب لعبوره راعه منظر ست عشرة دابة كبيرة تقف على الشاطئ فحسبها فيلة ، ولكنها رآها تخوض فى الماء فسأل رفيقه فقال له انها أفراس البحر وقد وصفها بقوله « وهى أغلظ من الخيل ، ولها أعراف ، وأذنان ، ورعوسها كرعوس الخيل ، وأرجلها كأرجل الفيلة » كما قص علينا قصة صيدها ، وتتلخص فى ضربها برماح مثقوبة ذات أشرطة قوية تجذب بواسطتها حيث تدبح ، وتؤكل .

* * *

● الكمرون :

من الدوافع التى أسرعت باستقلال « الكمرون » ذلك التنظيم النقابى المنظم الذى بدأ عام ١٩٤٤ . فمن هذا التاريخ والعمال دور هام فى معركة بلدهم مع الاستعمار ، وقد ارتبط اتحاد النقابات بالفرنسيين فى أول الأمر حتى كان عام ١٩٥٦ فانفصل الاتحاد وانضم الى الاتحاد العلمى للنقابات ، وكانت أولى معارك الاتحاد مع المستعمرين ، معركة إلغاء السخرة التى كانت عملا مشروعا ، ولكنه ألغى عام ١٩٤٦ ، ثم كانت المعركة الثانية من معاركه الحصول على لأئحة تنظيم عمل الموظفين ، وقيام خمس محاكم للفصل فى قضايا العمال ، وأصحاب

المحارب ، وكذلك الحال بالنسبة للعروس ثم يتم اللقاء .

٥ - الرحيل :

بعد انتهاء أيام العرس يطلب العريس من صهره أن يأذن له فى أن يصحب زوجته الى منزله الخاص ، وغالبا ما يكون هذا المنزل قد جهز قبل الزواج حيث يظهر شباب « الحلة » مدى حبهم للعريس بالاسهام فى عملية البناء .

٦ - النقطة :

وفيهما يظهر مدى التعاون بين أهل « الحلة » حيث يستطيع « العريس » أن يشتري بها ما ينقصه .

والأغاني الشعبية الجميلة تلعب دورا جميلا فى هذه الأفراح ، ومن أجمل الأغاني التى تردد دائما فى هذا المجال أغنية تقول :

« الاول الاول

العروس بنت السرور العظيمة

الاول الاول

فى ثانى دور بنت العظيمة »

ومن هذه الأغاني أيضا أغنية تقول :

« يا شباب كوريا

عروسنا عروس الزينه

يا شباب كوريا

عروسنا عروسه متينه

عروسنا جت تنثنى

زى فروع الحنه !

يا عريس اتهنى

وشم نسايك الجنه ! »

.. هذا لون من الألوان الزاهية للقطاعات الشعبية فى السودان .

* * *

العمل ، وفي عام ١٩٥٦ استطاع اتحاد الشعوب الكمرونية ، والحركة النقابية ، أن يضموا صفوفهم ، ويتحدوا جميعا في المطالبة بالاستقلال ، وطرد المستعمرين .

وبالرغم من قيام انتخابات ، ومجلس تشريعي ، وحكومة كمرونية محلية . فقد وقف العمل دائما حول قضية بلدهم حتى انتهوا أخيرا الى النصر بفضل الايمان بقضية الكمرون . وهكذا انتهت فترة الحيرة والضياع ، التي عبر عنها الشاعر الكمروني « فامباني » بقوله :

« انا عبد

والعبد لا عمر له

لانه يظل يتعذب حتى يموت

وشباب عصرى لم يشعلوا حربا

ولكن الجراح تفتى أجسامهم

في كل أرجاء البلاد

أريد أن أصبح شابا

في عصرى الحقيقى

شبابا يعيش في العصر الحديث

شبابا من شباب الكمرون »

● الشعر الشعبى :

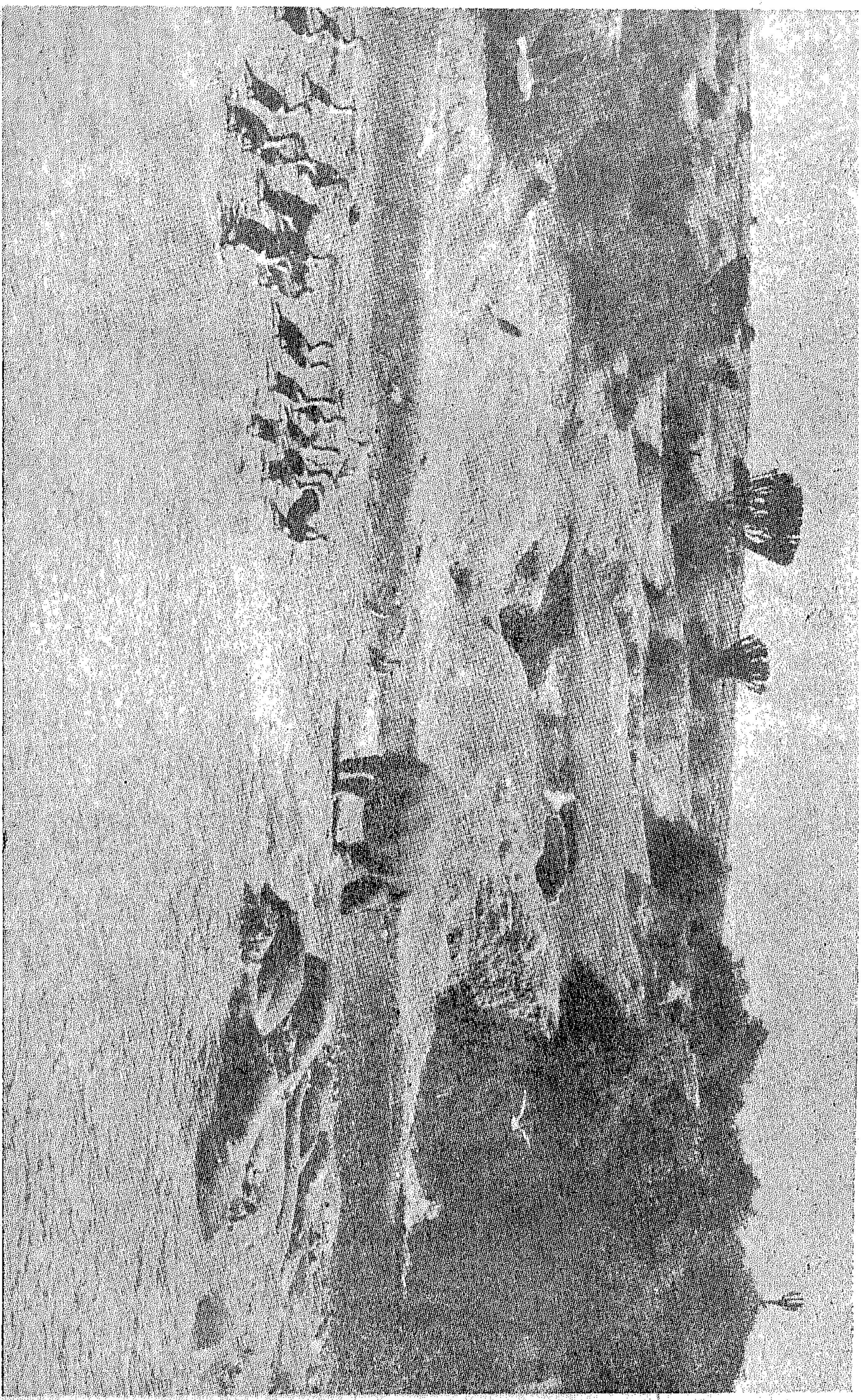
من معانى شعر الغزل الشعبى فى السودان « لون حبيبتي كلون الذهب

الصافى ، وهى تزين مكانها ، وتجمل حليها ، خصرها دقيق ، وردفها كبير لا تستطيع بسببه المشى . قوامها مرتفع فى لين وطراوة ، ورقبتها طويلة عليها حوز تغنيها عن الحلى ، ولون الفل مستعار من لونها . وكم لها من حاسدين » .

● رحلة الملك :

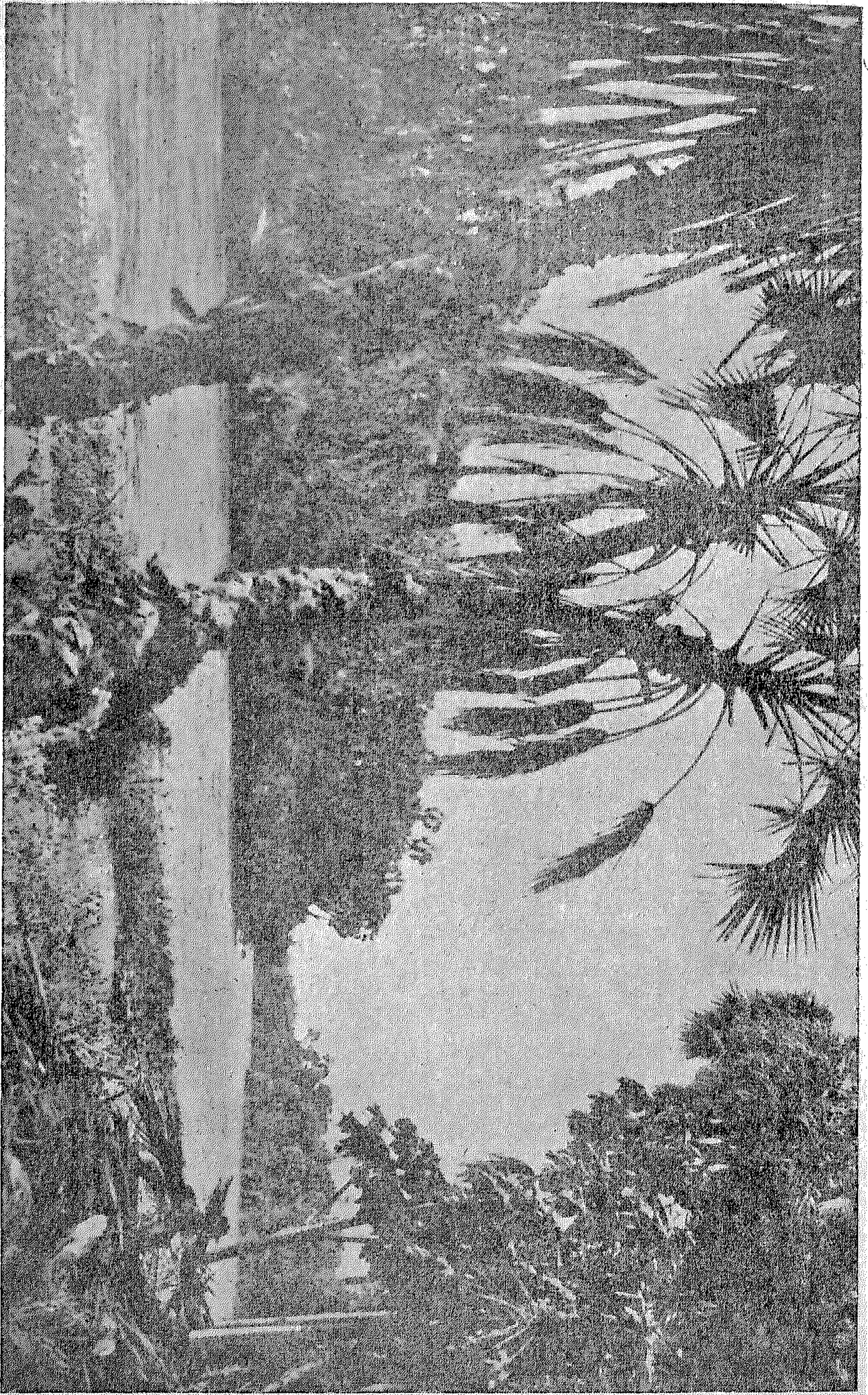
حينما ذهب الملك بودوان ملك بلجيكا الى الكونغو كان يحسب أنه سيسمع هتافا باسمه ، وكم كان انزعاجه حينما لم يسمع الا دعوة النفوذ البلجيكي الى الرحيل ، فقد سمع هذه الكلمة توجه اليه من كل مكان ، فقد كان الملك الحقيقى الذى ينال الهتاف هناك هو « الحرية » ، وبالرغم من أن الجهات الرسمية حاولت اعطاء صورة غير حقيقية للملك فشددت الاوامر بالبقاء فى العمل ، وحذرت من المظاهرات ، ومن الهتاف باسم الزعيم السجين « كازافوبو » زعيم حزب « أباكو » .. بالرغم من كل هذا فقد سمع الملك الأمر من الشعب عاليا مدويا برحيل النفوذ البلجيكي .





فرس البحر في أفريقيا

نهر جوبا بالصومال



لواندى

الأستاذ بهجت الدسوقي

والعاصمة هى تدس أوزمبورا .
ويتكون شعب رواندا - أوراندى
من حيث التكوين الطبيعى الى قسمين -
أحدهما يبلغ طوله ما بين أربعة أقدام
أو خمسة ، ويبلغ طول الآخر ما بين
سنة أقدام وسبعة أقدام . ويتكون
شعب رواندا - أوراندى من أربعة
أجناس .

أولا : الباهوتى :

ويكونون حوالى ٩٠٪ من السكان،
وهم ليسوا بالأقزام ولا بالعمالقة بل
وسط بين هذين النوعين . وهم يكونون
الشعب الكادح فيتولون الزراعة ،
ويمثلون غالبية الشعب ، ويقال انهم
نتاج تزاوج العمالقة بالأقزام .

ثانيا : الباقوتى :

ويكونون ٨٪ من السكان وأصلهم
من الحبشة وهم عمالقة . وهؤلاء
يعيشون فى بطن وادى الأخدود
الافريقى . وأكثر الباقوتى يعيشون فى
رواندا . ويمثلون الطبقة الأرستقراطية
صاحبة القطعان والجاه والسلطان .
ويتميزون بطول القامة ونحافة القوام .
ويشتهرون بالجرأة والشجاعة .
ويندعون أنهم من سلالة الأنبياء . ولذلك
فهم يصطنعون العظمة والكبرياء فى
معاملتهم لمن هم دونهم من القبائل ،
وخاصة قبائل الباهوتى التى تدين
لهم بالسيادة ، بل تصل هذه العظمة

فى قمة افريقية وفى وسطها تقع
بلاد هى بحق فردوس القارة ، بلاد
يعجبك فيها هذا الموقع الجذاب وجوها
الساحر البديع . يقطنها شعب عريق
منذ وجوده . شعب يجاهد جهاد
الأبطال من أجل البقاء والاحتفاظ
بمقومات وجوده ، شعب تكالب عليه
الاستعمار وأخذ ينهش فى كيانه ،
شعب مرت عليه محن قاسية وعاصر
ألوانا من الاستعمار ، وأخيرا وضعت
هذه البلاد تحت الوصاية الدولية .
انه شعب رواندا - أوراندى .

تقع رواندا - أوراندى فى افريقية
الوسطى فوق سفح القارة ، يحدها من
الشمال أوغندا ومن الشرق والجنوب
تنجانيقا ومن الغرب الكنفو البلجيكى،
وتبلغ مساحة رواندا - أوراندى
حوالى ٥٤٢٠٠ كيلو متر مربع ،
وتعتبر هذه البلاد أعلى البلاد الافريقية
فوق سطح البحر ، ولذلك كانت بحق
جنة افريقية .

تعداد السكان :

ويبلغ تعداد سكان شعب رواندا -
أوراندى حتى آخر ديسمبر سنة
١٩٥٣ - ٤٢١٧٨٤ نسمة ، يبلغ
عدد الوطنيين ٤١٤٠٠٠ نسمة ،
وأما عدد الأجانب فيبلغ ٧٨٤٧ نسمة
من أوروبيين وآسيويين وغيرهم .

التقسيم الإداري :

من الناحية الإدارية نجد هذه البلاد تنقسم إلى قسمين :

أولا : رواندا :

وتعتبر المنطقة المتقدمة بالنسبة للبلاد ، لأن أغلب الباقوتى بها . ولها مدير عام بلجيكي له مساعد يعاونه في شئون إدارتها ، وهذا القسم وهو رواندا يتكون من ثمانية أقاليم ، على رأس كل إقليم مدير ومساعد ووكيل للأقاليم ، وكلهم من البلجيكيين . وعاصمتها **كيغالي** ولرواندا ملك خاص هو « ردوا هيجوا موتارا الثالث » .

ثانيا : أوراندي :

وهي أقل تقدما بالنسبة لرواندا وتكثر فيها الغابات ، ويسكنها الزنوج وعاصمتها كيتيجا ، وأوراندي تتكون من تسعة أقاليم . كل إقليم له مدير مساعد ، وله وكيل للأقاليم .

وملك أوراندي هو موامبوتا . وللبلاد مجلس أعلى في أوزمبورا ، يلتقى فيه الملكان لتصريف أمور البلاد شكليا . وتتبع رواندا - أوراندي في إدارتها الحاكم العام في ليوبولد فيل بالكنغو . وذلك طبقا للقانون البلجيكي الصادر في ٢١ أغسطس سنة ١٩٢١ . ويخضع الحاكم العام لتوجيهات بروكسل في إدارة الكونغو ورواندا - أوراندي .

والتشريعات المتعلقة برواندا - أوراندي هي من شأن البرلمان البلجيكي والمجلس الاستعماري الذي يرأسه وزير المستعمرات ، وللملك حق إصدار بعض اللوائح بناء على اقتراح وزير المستعمرات والملك هو الذي يعين الحاكم العام

واللغات المستعملة في التفاهم هي :

إلى معاملتهم للبيض أيضا . ويدل مظهرهم على الجمال لرشاقتهم وخفة روحهم . وبشرة بعض الباقوتى سوداء . ولكنهم ليسوا زنوجا ، فهم من سلالة الحاميين ، أو التلوتيين الذين انحدروا من الحبشة من زمن بعيد أي ما يقرب من ٤٠٠٠ أو ٥٠٠٠ سنة مضت . وباعتبارهم من أصحاب القطعان فقد تغلبوا على المزارعين المحليين من الباهوتو . وسيطروا عليهم . والباقوتى هم سادة رواندا .

ومن عاداتهم التي تدل على العظمة أنه إذا ركب أحدهم دراجة فانه يعتقد أنه ليس من اللياقة أن يستخدم رجله في تسييرها . لأن هذا يعتبر امتهانا له ومشقة عليه ما دام هناك من هو أقل منه ، ويستطيع أن يؤدي المهمة بدلا من استخدام رجله . ولذلك فانه يأمر أحد أتباعه بدفع الدراجة تباعا إلى الأمام . ومع أن الباقوتى أقلية إلا أنهم مسيطرون على دفعة الأمور بالبلاد ، وذلك يرجع إلى كونهم يملكون القطعان والأراضي التي ترعى فيها هذه القطعان .

ثالثا : الباتوا :

وهم الأقزام البدائيون ويبلغ طول القزم حوالي أربعة أقدام وسبع بوصات ، وهم يعيشون في الغابات وهم محدودو العدد ، ولذلك فهم يكونون مجتمعات أسرية ، وهم بمجدون الشمس ويكرهون المطر ، كما يخافون الرعد ، ويلاقونه بالتعاويد والسحر .

رابعا : السواحيلي :

وهؤلاء عددهم قليل ، وأصلهم نازحون من المناطق الساحلية .

الكينيسا رواندا وذلك في رواندا -
والكمرويندي في أوراندي ، كذلك توجد
السواحيلي والفرنسية وبعض لهجات
محلية .

والجالة الاجتماعية برواندا -
أوراندي من السوء بحيث يرثى لها ،
فالفقير المدقع منتشر بين عامة الشعب
مع ازدحام السكان ، واستيلاء السلطات
الاستعمارية على ثروات البلاد .
وزيادة تعدد الزوجات بين قبائل الباتوا
هي التي أوجدت حالة الزيادة في عدد
السكان ، ولقد كانت حالات التعدد
تصل إلى سبع زوجات وثمان وخاصة
في قبائل الباتوا والياهووتو . ثم ألغيت
هذه العادة وأصبح لا يجوز الزواج
بأكثر من واحدة . والزوجة شأن عظيم
عند قبيلة الياقوتى حيث تستشار
في المسائل الهامة .

ومن الأوصاف السيئة في رواندا -
أوراندي انحطاط التعليم وعدم وجود
مدارس كافية لتعليم الشعب الذي
قارب عدده خمسة ملايين نسمة مع
أن البلاد ليس بها غير مدرستين
ثانويتين .

الحالة الاقتصادية :

جميع أراضي رواندا - أوراندي
صالحة للزراعة ، ومع هذا تقدر
مساحة الأراضي المنزرعة بحوالي
٥١ مليون هكتار . والحاصلات التي
تزرع في البلاد هي البن والقطن ،
والبطاطس والبقول . أما المعادن
فيستخرج منها : الجرانيت والقصدير
والذهب والملح والحديد . والبلاد
غنية بالثروة الحيوانية فتربى فيها
الماشية بكثرة . ويبلغ طول الطريق
البحري بالبلاد ٨٠٠٠ كيلومتر .

ويحاول ملك رواندا - المساهمة في
إيجاد النشيط الاجتماعي
ورفع مستوى الحالة المعيشية في البلاد ،
والتعاون بين المواطنين ، بإنشاء جمعية
تعاونية للأطيان ، ولقد قدرت ميزانية
رواندا - أوراندي لعام ١٩٥٣ بمبلغ
٦١٩٧١٨٠٠٠ فرنك لليرادات ،
و٦٣٠١٤٦٠٠٠ فرنك للمصروفات .

ذلك جانب من جوانب الحياة
في رواندا - أوراندي ، أما الشعب
الذي عاش كبقية الشعوب الأفريقية
هادئا مسالما ، يحظى ثمار كده ، ويضرب
في الحياة كغيره من الشعوب ، حتى
ابتلى باستعمار الرجل الأبيض الذي
تنكر للمبادئ الانسانية ، وأبسط
قواعد العدالة ، فدخل هذا الاقليم في
شكل شركات تجارية . ما لبثت أن
سيطرت على البلاد ، وتحكمت في
مواردها وثرواتها .

ولقد استطاعت « شركة أفريقية
الشرقية الألمانية » السيطرة على هذه
البلاد وظلت مهيمنة على هذه
المنطقة حتى قيام الحرب العالمية الأولى
سنة ١٩١٤ ، وكان الحلفاء يقومون
بدعايات قوية من أجل حق تقرير
المصير والدفاع عن الديمقراطية
والحريات ، ولكن في الوقت نفسه
كانت هناك اتفاقات ومعاهدات سرية
لتقسيم الممتلكات الألمانية ، اذا تحقق
النصر للحلفاء . ففي معاهدة لندن السرية
في ٢٦ ابريل سنة ١٩١٥ وعدت فرنسا
وانجلترا بتعويض إيطاليا بمناطق
تضمها لمستعمراتها في أفريقية ، نظير
توسع إنجلترا وفرنسا بعد الحرب .
وفي سنة ١٩١٦ تبودلت مذكرات بين
فرنسا وانجلترا بخصوص ضم

المستعمرات الألمانية الإفريقية لممتلكاتها بعد الحرب . وتقدمت بلجيكا بقواتها العسكرية في الكونغو نحو إقليم رواندا أوراندي الذي طردت الألمان منه ، وساعدت الحلفاء على طرد فلول الألمان من المناطق الأخرى . وظلت بلجيكا محتلة لإقليم رواندا - أوراندي حتى انتهاء الحرب العالمية الأولى ، وفي معاهدة فرساي اتفقت الدول الاستعمارية على إدارة الممتلكات الألمانية التي تنازلات عنها ألمانيا في معاهدة فرساي . ولقد اتفق الحلفاء على تقسيم المناطق الخاضعة لنظام الانتداب إلى ثلاث فئات أ ، ب ، ج . وقد حدثت مناقشات طويلة في عصبة الأمم انتهت باقرار رأي الدول الاستعمارية والموافقة على انتدابات الفئة (ج) في ديسمبر سنة ١٩٢٠ وانتدابات الفئة (ب) في سنة ١٩٢٢ وبموجب الموافقة الأخيرة أصبحت توجولاند والكاميرون وتنجانيقا ورواندا - أوراندي مناطق من فئة (ب) وتقاسمتها فرنسا وانجلترا وبلجيكا ، وكان قد صدر تكليف من عصبة الأمم لبلجيكا بإدارة رواندا - أوراندي . وذلك في ٢١ أغسطس سنة ١٩١٩ حين تحديد وضعها . وذلك باخضاعها لنظام الانتداب . . ولقد صدر قانون في ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٢٤ يجيز هذا الانتداب ، وظلت رواندا أوراندي تدار بطريق الانتداب ، حتى تغير الوضع بعد الحرب العالمية الثانية . وذلك لأن ميثاق الأمم المتحدة نص على إنشاء نظام للوصاية الدولية تخضع بمقتضاه بعض المناطق والأقاليم التي

لا تتمتع بالحكم الذاتي . ونص في المادة ٧٢ من ميثاق هيئة الأمم المتحدة على فئات الأقاليم والمناطق التي يمكن وضعها تحت الوصاية الدولية ، ومنها الأقاليم المشمولة بالانتداب ، وبذلك أصبحت رواندا - أوراندي تخضع لنظام الوصاية الدولية . ولقد قررت الجمعية العامة للأمم المتحدة في جلستها الثانية المنعقدة بتاريخ ١٧ ديسمبر سنة ١٩٤٦ وضع رواندا - أوراندي تحت الوصاية البلجيكية .

والمتبع لسير الحوادث من يوم الاحتلال فالانتداب فالوصاية إلى الآن ، يجد أن السلطات الحاكمة لم تقم بالواجب المفروض عليها حيال شعب رواندا - أوراندي ، فما زال هذا الشعب يعاني الضيق والفقر والتأخر ، ولم تبد عليه أية ظاهرة من ظواهر التقدم . وهذا يخالف نصوص نظام الوصاية الذي يلزم الدول المنوط بها تطبيق نظام الوصاية من أن تعمل جدياً في سبيل تقدم الشعب المشمول بالوصاية ، ليتمكن من القيام بأعباء إدارة نفسه وتولي زمام أموره ، وهذا ما قصده اليه البلجيكيون من عدم إتاحة الفرص أمام هذا الشعب ليحكم نفسه ، ويتولى إدارة شؤنه ليظنل لهم الإشراف والسيطرة والتحكم في ثروات هذا الشعب ، ولكن الحركات التحررية التي تزدحف سريعا نحو أهدافها ، والتي تخطم في طريقها كل العراقيل التي يضعها المستعمرون - ستنتصر ، وستحقق الحرية والاستقلال لشعب رواندا - أوراندي ، وأن غدا لناظرة قريب .



قصة لا نهاية لها !

بقلم الاستاذ عباس خضر

كثير من الشباب والرجال ، وكان كل منهم يتمنى أن يظفر بالزواج بها ، ولكن لم يستطع أحد منهم أن يتقدم لخطبتها خوفا من أبيها الملك .

وفكر الملك فى زواج ابنته ، واختيار زوج كفاء لها ، على أن يكون ذا فطنة وذكاء .

ثم استقر رأيه على طريقة يعرف بها ذكاء من يتقدم لخطبة ابنته ، وسعة معرفته ، فأعلن بين الناس أن من يأتى إليه ويقص عليه قصة لا نهاية لها فإنه يزوجه بابنته الوحيدة ، ويعطيه نصف أملاكه ، وأن كل من يأتيه ويصدق رأسه بقصص لها نهايات ، فإنه سيأمر بقطع رأسه وانهاء حياته .

وذاع النبأ بين الناس فى المدينة وفى غيرها من البلاد ، وراح كل من يتطلع الى الخطوة ببنت الملك يبحث ويكد ذهنه ، عساه يهتدى الى قصة لا نهاية لها ، وتقدم كثيرون بقصص زعموا أنها لا تنتهى ، ولكن كل من تقدم منهم كان لقصته نهاية بالرغم من زعمه وادعائه ومحاولة خداع الملك ، وكان مصيرهم جميعا القتل .

وفى يوم من الأيام وصل الى المدينة أمير من أمراء البلاد البعيدة ، مشهور

تكورت الجدة العجوز على « عنجريبها » - سريرها - الذى نسج سبطه من حبال الليف ، والتف حولها أحفادها ينتظرون صامتين فى شوق ما تحكيه لهم من الأحاجى (الجواديت) ..

بدأت الجدة بجملتها التقليدية التى تعلن بها أنها ستقص « حجرة » أى حدوتة ..

« حجتكم ما بجيتكم .

— خيرا جانا وجاك .

قالت الجدة فى صوت كله حنان وعطف :

فى مملكة من ممالك الدنيا ، وأرض الله الواسعة ، كان ملك قاسى القلب ، لم تعرف الرحمة الى قلبه سبيلا ، يعمل كل ما تصوره له خيالاته ، وما تمليه عليه نزواته ، حتى ضج الناس من ظلمه واستبداده .

ولكنه مع خصاله السيئة الدميمة كانت فيه خصلة واحدة حميدة .. هى أنه يرتبط بما يقول ، وفى بما يعد . وكانت له بنت ذات حسن وجمال مشوقة القوام ، فاتنة الالفاظ . قد كبرت ونضجت أنوثتها ، وفتن بها

ستفوز برضاك ، لانها تنطبق على الشرط تماما .

— اذن فهات ما عندك .
وأخذ ((الأمير الله جابو)) يقصر على الملك قصته ، قال :

فى احدى القرى البعيدة يعيش رجل اسمه « عثمان البخيل » وقد أطلق عليه هذا اللقب لشدة بخله وحرصه على المال ، وقد تجرد من كل عاطفة خير ، وصار لا يحب الا المال .. بل صار يعبد عبادته .. فهو لا يتصدق على الفقراء ، ولا يعطف على المساكين ، وكل اهتمامه موجه الى المحافظة على ماله الكثير ، فقد جنى من مزارعه الواسعة غلالا كثيرة ، وبنى لها مخازن كبيرة لتسعها ، وأقام حول المخازن سورا هائلا ليس له باب من أية جهة من الجهات ، فلا يكون الدخول الى المخازن والخروج منها الا بواسطة سلم كبير يحتفظ به فى منزله ، ويأتى به كلما دعت الحاجة :

ولا تساع تلك المخازن وطول ذلك السور أطلق عليها مدينة « عثمان البخيل » .

وكان عثمان البخيل يعيش فى عزلة عن أهل القرية ، حتى لا يطمع أحد منهم فى ماله . وفى سنة من السنين أصابت القرية مجاعة شديدة فقد امتنع المطر ، وجف الزرع ، وهلكت الماشية ، ولم يجد الناس ما يأكلونه ، فاضطروا الى أكل الكلاب والحمير ، ومات كثير منهم من الجوع . وفكر أهل القرية فى حالهم ، وبحثوا عن طريقة تحفظهم من الموت جوعا ، فقال واحد منهم :

فى البلاد المختلفة بالجود والعدل والوفاء والفطنة . وعرف أهل المدينة أن الأمير أتى كى يتقدم الى الملك ، ويقص عليه قصة لا نهاية لها ليظفر بابنته الجميلة ، فدخل الناس الخوف والاشفاق عليه ، لأنهم كانوا يحبونه لحسن سيرته ، وكانوا يتناقلون أخباره المشهورة ، ولهذا خشوا أن يكون مصيره كمصير من سبقوه . وانتهت حياتهم كما انتهت قصصهم ، ودعوا الله من أجله راجين له التوفيق ، وقال أحدهم : ان الأمير المحبوب لابد أن تكون قصته لا نهاية لها مثل أعماله الخيرة وأفضاله الكثيرة ، وأن الله الذى لا يتخلى عن أمثاله الطيبين الخيرين لابد أن ينصره ويوفقه .

دخل الأمير ((الله جابو)) — وهذا هو اسمه — على الملك ، وأخبره بما أتى من أجله ، فقال له الملك :

— هل تعلم ما اشترطناه ؟

— نعم يا مولاي الملك .. قصة لا تنتهى حوادثها .

— وهل تعلم جزاء من يخفق ؟

— نعم يا مولاي .. قطع رأسه .

— وهل تعلم بما وقع لمن جاءوا قبلك ؟

— أعلم يا مولاي .. لقوا حتفهم جميعا لأن قصصهم انتهت حوادثها . أما أنا فانى واثق مما أقول .

— انك يا بنى شاب جميل المحيا ، تظهر عليك علامات النبيل ، فلا تغامر بحياتك ، فانى لن أرحمك .

— ما كنت يا مولاي لأقدم على هذا الأمر ، وأنا أعلم عاقبة الاخفاق فيه ، لولا أننى واثق كل الثقة بأنى قصتى

أرى أن نلجأ الى عثمان البخيل ،
لعله يمدنا بشيء من الحبوب المقدسة
فى خزائنه .

وقال آخر :

— ان عثمان البخيل .. بخيل ، وقلبه
أقسى من الحجر ، ولن يرق لنا
ولو اهلكنا جميعا .

وقال ثالث :

— ولماذا لا نجرب ؟ اننا لن نخسر
شيئا ، فانه ان أعطانا .. أعطانا ، وإذا
رفض فقد عملنا ما علينا ، والله
سبحانه وتعالى لن ينسانا على كل حال
وسيجعل بعد العسر يسرا ، وبعد
الشدة فرجا .

واختاروا من بينهم وفدا قصد الى
عثمان البخيل ، وحينما وصل اليه
حدثه فى الأمر ووصف له حال القرية
وما صار اليه الناس فيها ، فقال لهم :
اننى لم أتعب فى جمع مالى ، وخزن
هذه الحبوب لكى تأكلوها .. انها من
عرق جبينى ، وليس لأحد حق فى أن
يطالبنى بشيء منها .

ورجع الوفد حزينا خائبا ، وأبلغ
الناس ما قاله له عثمان البخيل ،
فاستسلموا للقضاء والقدر ، حتى
كادوا يهلكون .

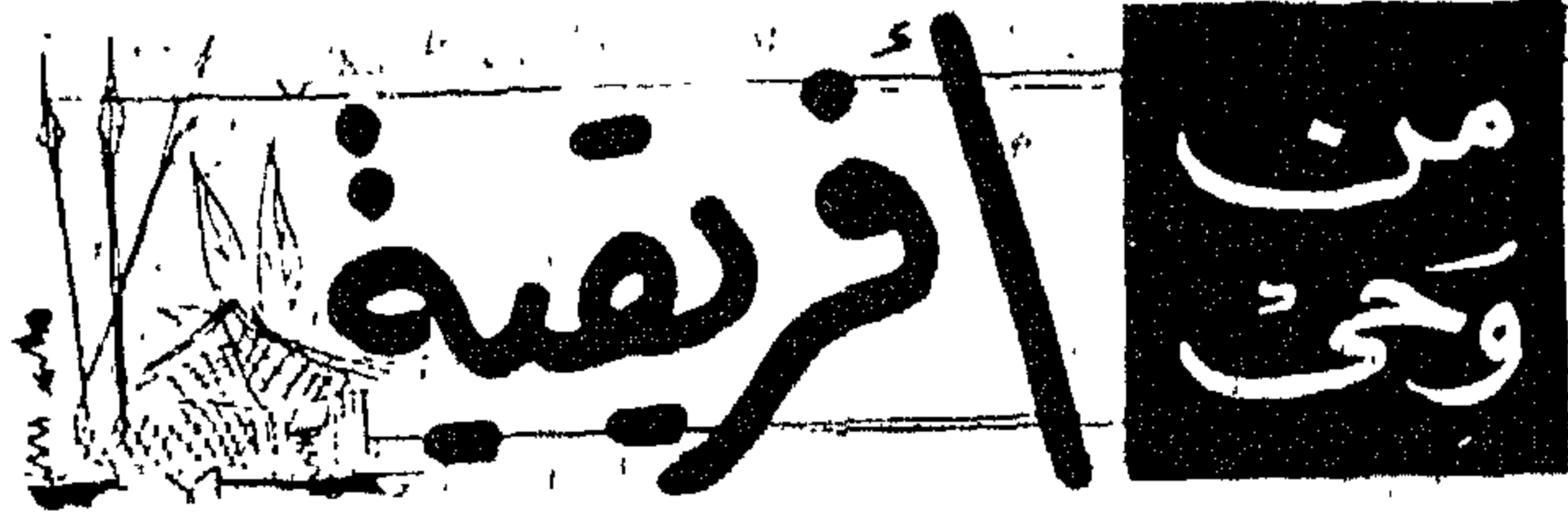
ولكن رحمة الله الواسعة أرادت أن
تنجى أهل القرية من ذلك الكرب
العظيم ، فسلط الله جيشا كبيرا من
جماعات النمل التى لا يحصى عددها
على مخازن عثمان البخيل ، فوجدت فيها
ثغرة صغيرة جدا لا تسع الا نملة
واحدة فى سنور المخازن ، فاضطر
النمل الى أن يدخل واحدة فواحدة ..
ودخلت النملة الاولى وأخذت حبة

وخرجت متوجهة الى أهل القرية . ثم
عادت لتأخذ حبة أخرى .. ودخلت
النملة الثانية وأخذت حبة ، وخرجت
الى أهل القرية ..

واستمر الأمير « الله جابو » يحكى
للملك قصة كل نملة من النمل الذى
لا ينتهى عدده .. وكيف دخلت كل
واحدة وخرجت بحبة ، وذهبت بها
الى القرية .. واستمر يحكى ذلك أياما
وشهورا .. وكلما سأله الملك عما حدث
بعد ذلك ، أجابه بأن النمل لا يزال
يدخل ويخرج بالحب ، لأن الحبوب
فى المخازن كثيرة جدا ، والنمل لا حصر
له .. حتى ان الملك ، ولكنه لم يسعه
الا أن يعجب بذكاء الأمير « الله جابو »
ويعترف بأن القصة التى أتى بها
لا نهاية لها طبقا للشروط المشروط .

ووفى الملك بوعده ، فزوج ابنته
الجميلة للأمير « الله جابو » وكان
كثير من الوزراء وحاشية الملك وغيرهم
يطمعون فى أن يتزوجوا بها ، ولم يكن
يمنعهم من التقدم لخطبتها الا خوفهم
من بطش الملك ، فلما رأوا هذا الأمير
الذكى قد حظى بها حقدوا عليه
وراحوا يكيدون له فى الخفاء ، وفطن
بذكائه الى أساليبهم ودسائسهم ،
ولكنه أبى أن يقابل أعمالهم السيئة
بمثلها ، بل جعل يحسن الى من يسئ
اليه ، مع الحذر من مكائدهم
زما يدبرون له .

ثم مات الملك ، فأصبح الأمير « الله
جابو » ملكا من بعده فحكم حكما عادلا
نزيها ، فأحبه جميع الناس حتى
الذين كانوا يناصبونه العدا ، وانتشر
العدل وعم الأمن والرخاء والسلام .



الفدائيون

قصيدة من الكامرون

للشاعر الافريقى : كامارا باسى

في كل الأيام التي تمر بنا ..
ينغصون الحياة .. على المحتل ..
والعدو المتفهم .. مذعور .. حائق ..
يتخبط .. ويضرب .. ولكن عمله
يذهب سدى ..

أيها الفدائي الافريقى ..
أنت فخر لنا ..
وبالرغم من أنه تنقصك .. أشياء
كثيرة ..
فانك تقاوم .. ولا تبالي ..
لا تبالي أبدا .. بالأمك .. بجوعك ..
بظمك ..

لا تبالي ، وانما تهاجم .. وتهاجم ..
وتحارب .. لتجلب الخير .. لبلدك ..
من أجل الاستقلال .. والوحدة ..
وكرامة أفريقية
أفريقية التي تدفع حياتك .. ثمنا
لحريتها ..
انك لا تحارب .. من أجل شهوة
الحرب ..

انهم يتقدمون ..
في الغابة الواسعة .. وكل شيء
هادئ .. صامت .. من حولهم ..
ومضى وقت طويل ..
وهم يتقدمون .. بلا توقف
بلا توقف ..

انهم عظماء .. أشداء .. رجال ..
أولئك الفدائيون الشبان ..
الذين يضحون من أجل تحرير
أفريقية .. أفريقية ..

انهم غير معروفين ..
ولكن هذا لن يهم ..
انهم موجودون .. بالنسبة لكل
أفريقى ..

وشجاعتهم .. تنير أمامنا الطريق ..
وتسقى الأمل .. في قلوبنا ..
انهم فخر لنا .. لكل أفريقية ..

في اليوم المشرق .. وفي اليوم
الكفهر ..

وفى غمرة النصر .. تبدو .. متواضعة
بسيطا ..

فلتواصل الزحف .
الزحف الى الامام .. من أجل النصر ..
الزحف فى الطريق الذى فرضه
علينا كرهنا للاستعمار ..

وشعبك العظيم من خلفك يسمعك ..
ويقدرك ..

فوجودك يحفز الناس .. على الكفاح ..
ومن أجل كفاحك .. سيسير كل
الناس .. من ورائك ..

من أجل تحرير أفريقيا .

ترجمها عن الفرنسية : سمير سويلم

انما تحارب .. من أجل الكرامة
الموفورة .. لشعبك ..

شعبك الذى .. ينبغى أن يأخذ
مكانه .. فى الموكب المتحرر ..

من أجل هذه الغاية المقدسة ..
تحارب ..

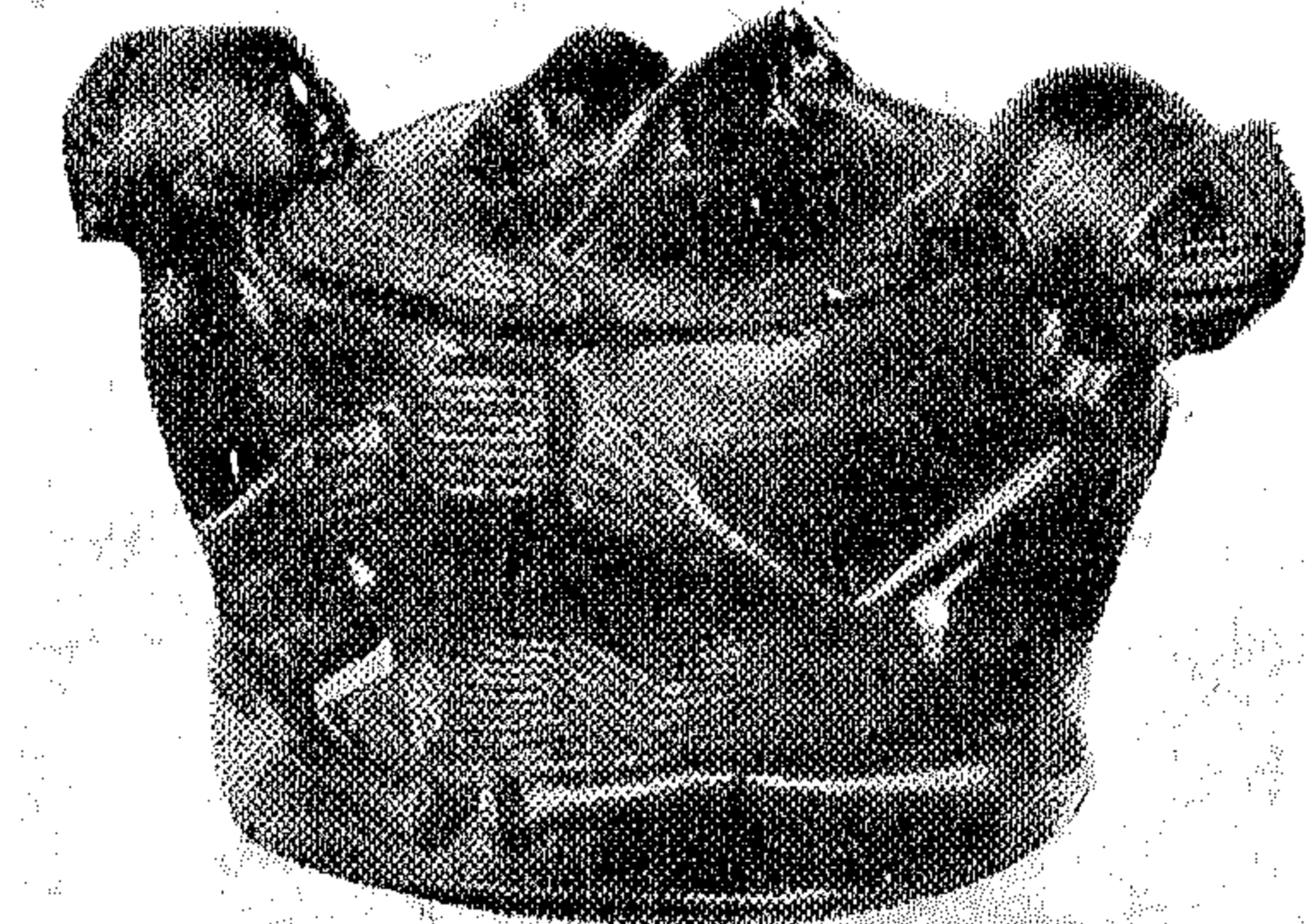
وستنتصر .. ولا بد أن تنتصر ..
فكل قوة .. تعترض طريقك ..

ستسحق بلا شفقة ..
من أجل أفريقية ..

* * *

أيها الفدائي .. الانسان ..

انت لا تركبك كبرياء المنتصرين



بول روبسون

أعماقه شعور من يأسى لها ، ويحنو عليها ، ويقود الماشية فى رفق ورحمة وقد يرفه عليها بالغناء الساذج الحزين الذى يحكى الحياة من حوله ، ومن هنا تلوّن صوته بالطبيعة الامريكية الزاهية . ثم كان أن تلوّن صوته مرة ثانية بالاشفاق ، حين ترك العمل فى الزراعة الى العمل فى حمل الاحجار . فقد كان يغنى للعمال المجتهدين من حوله ، ويهون عذابهم بغناء واهن .. رتيب ، كأنه صدى خطوات العمال المجتهدة ، وسط الاحجار القاسية الغليظة !

ثم نمت أخيرا فى صوته طبقة لحنية جميلة .. طبقة تنبض بالسلام ، والحرية .. وحق الانسان فى أن يحب ، ويفرح ، وينتج ، وقد ساعد على ترسيب هذه الطبقة فى صوته اشتغاله خادما فى أحد المنازل .. فقد تشربت روحه السكنية التى تحف بالأجواء العائلية ، وهذا المرح الجميل من الاطفال الذين كانوا يتسلقونه ثم يطلبون منه أن يغنى ! وهكذا يعتبر النماء ، والاشفاق ، والسلام ، بعض المميزات التى يتميز بها صوته الانسانى !

وهكذا نراه يعجب بالحياة من حوله بالرغم مما يلاقه من عزلة

بين خمسة عشر مليونا من السود فى أمريكا ، عاش « بول روبسون » حياته المليئة بالكفاح والجهد والعرق .. كفاح وجهد وعرق . عمر كل واحد منها واحد وستون عاما .

فقد ولد لأبوين فقيرين ، يستخلصان حياتهما يوما بيوم فى مجتمع قاس يدين بالتفرقة العنصرية ، ويعمل دائما على اذلال السود ، واشعارهم دائما بأنه يجب عليهم أن يعودوا الى افريقية ، وبأنهم دخلاء على أمريكا ، بل دخلاء على الحياة نفسها ! وفى اطار هذه الحياة الحزينة نما الطفل نموا مضطربا مليئا بالقلق ، مشوبا بالأحداث ، والذكريات القاسية التى تحكى مأساة السود مع « المتوحشين البيض » .

وقد كان من الطبيعى جدا أن يطوى نفسه على الحقد ، والبغض اللذين ذاقهما من المجتمع . ولكنّه حمل قلبا كبيرا يسمع البيض ، والسود معا ! بل يسمع كل ما هو انسان !

وقد عرف « بول روبسون » حياة المواطن الكادح البسيط فى الحدود التى يسمح بها المجتمع الأمريكى لنمو الشخصية السوداء ، ومن هنا نراه قد اشتغل عاملا زراعيا باخلاص ، فنحن نراه يحمل أعواد السنابل وكأنه يعانقها ، ويضرب الأشجار فى الغابة وفى

اجتماعية فى المحيط الذى يباشر فيه حياته ، ولكن المجتمع الأمريكى يضغط الحياة من حول جسمه ، حتى تصبح منحصرة فى المجتمع الاسود هناك . حتى لنراه يحارب بصوته عن هذا المجتمع المنكمش فى الحياة الأمريكية ، فنراه يرفع أعلامه فى عام ١٩٣٦ فى تلك الأغنية التى يقول فيها :

« الرجل الأبيض لا يستطيع أن

يصبح حرا

ما دام أخوه الاسود عبدا

بلادنا قوية

بلادنا شابة

ولكن أعظم أغانيها لم تزل فى

الكتمان ! »

ثم تنداح الحياة فى نفسه ، فنراه يتألم للمظلومين فى كل مكان . بيضا وسودا . حتى لقد وجدت رسالته الصوتية صدى فى أكثر من مكان بالعالم . فكان الاسبان يرددون أغانيه ورصاص الفاشية يخترق صدورهم ! وكان الصينيون يعتصرونها فى شفاهم وهم ينتزعون اليابانيين من وطنهم ! وما زال العمال يرددون أغانيه فى كل مكان وهم يرفعون حجرا . أو يحصدون غلة . أو يقدمون للبشرية شيئا جديدا ومن بين كل هذه الاغانى كان وجهه الوديع الاسود يرفرف أمام عيونهم ، فيغمرونه بالحنان ، والطيبة ، والحب . وقد أرادت « المكارثية الأمريكية » أن تصادر كل هذه الانسانية المتدفقة فى صوته . فحرمت عليه الخروج من أمريكا وبخاصة بعد أن انضم الى حركة السلام العالمية عام ١٩٥٠ ، ولكنه فى الوقت الذى حرم عليه الخروج فيه كان

صوته مع الناس فى كل مكان ! كان صوته يغنى للانسان فى عمق ، وحرارة ، ودفع ، حتى لقد أصبح صوته تراثا انسانيا ضخما ، يعتز به القرن العشرون ! وقد عمت هذه المشاعر الانسانية فى صوته ذلك الميراث الضخم الذى ورثه من افريقية ، وهذا الحنين الدائم الذى كان يدور فى قلبه اليها . ثم أخيرا هذا اللقاء الخالد الذى كان بينه وبين الزعيم الكينى « جوموكينيا » الذى اكتسبت منه الكثير ، ومن هذا الكثير هذه الاغانى الافريقية التى ردها فى فيلم « مواكب النهر » ، والتى كان يسمعها من « جوموكينيا » وعيناه مخضلتان بالدموع ، حتى لتحس بين حناياها هذا الصدى الدامع الذى كان ثمرة طبيعية لهذا اللقاء بين القلبين الكبيرين !

وقد خرج « بول روبسون » أخيرا الى العالم الذى أحبه ، فوجد بعض الدول تحتفل بعيد ميلاده ، ووجد جمعيات تعقد باسمه . ووجد صوته وانسانيته صدى فى عالمنا العربى ، فوجدنا الشاعر « كاظم السماوى » يقول فيه بعد أن سمع أغنيته « نشيد الفولجا » :

شق المدى الارحب .. شق المدى

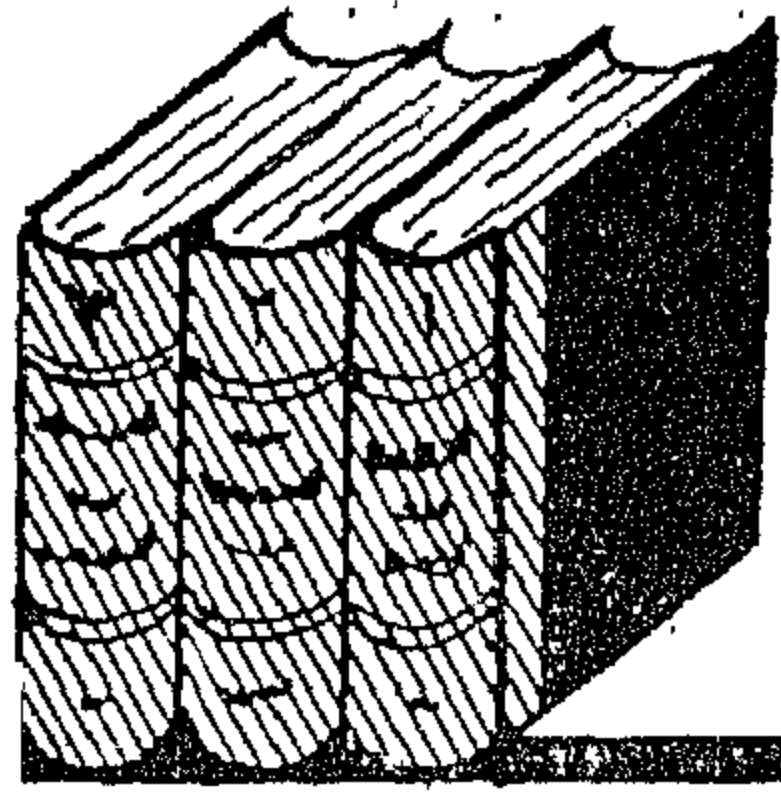
يا ملها فى اللحن دفء الصدى

« أنشودة الفولجا » وكم رددا

غنيتهما اليوم .. تناجى الغدا

هدارة تستبق الموعدا

ان لها فى غدنا مولدا !



كتاب الشهر

أفريقية في خرائط وإحصائيات

عرض وتقديم العميد (أ . ح) الأستاذ عبد الفتاح إبراهيم

— Enlargement of the Exchange Economy in Tropical Africa New York 1954

وكان الكتاب الأول المتن الذي قدم المادة الأصلية التي أبرزت الجداول المنقولة من الكتب الأخرى لدراسة القارة بامكانياتها ومشكلاتها في العصر الحديث ، وكانت هي التي كست عظام التاريخ لحما وجعلت له كيانا .. وهكذا كان من الضروري أن تنظر الى هذه الإحصائيات في صحبة المصورات والرسوم التي تقدم لنا قصة القارة التي نعيش فيها منذ أيام الرومان حتى العصر الحديث .

أطلس التاريخ الأفريقي : ولكي نستطيع أن نتعرف على كتاب الدكتور فاج يجب أن نعترف أن الأطلس التاريخية تجيء في نوعين اثنين .

أولهما : يقصد الى التعريف بالبلاد و « مستوطنات » الإقامة في عصور قديمة مختارة أهمها عصور الانجيل بعهديه القديم والجديد ، وهذا النوع من الأطلس قد حاول مؤلفوه اثبات أو مناقشة القصص الذي جاءت به الكتب المقدسة عن تطور الانسان

هذا الكتاب : أذكر فيما أذكر مما تلقينته من أصول في علم التربية وأنا أطلب العلم في مدرسة المعلمين العليا قبل ثلاثين سنة ، أنهم كانوا يقولون لنا : ان جداول الأرقام الإحصائية والخرائط والرسوم البيانية أصلح للطلاب من قراءة صفحات متتالية من كتاب ، لأن التحديق في الخرائط والرسوم البيانية ومراجعة الأرقام أسرع للثبوت في الذاكرة من الكلمات والسطور ..

أذكر هذا بمناسبة عدة مؤلفات حديثة عن أفريقية تستهدف هذا الطابع الصحيح في أصول العلم ، وكانت هذه المؤلفات هي التي وجهتني لأخرج منها بهذا الحديث لكتاب الشهر . وهذه المؤلفات هي :

— An Atlas of African History

رسم وعرض الاستاذ الدكتور ج . د . فاج ، طبع لندن سنة ١٩٥٨ .

— Report of the Export-Import Bank 1957

— The International Flow of Private Capital 1955 - 52 New York 1954

— Scope & Structure of Money Economics in Tropical Africa New York 55

وعن بعث الرسل والأنبياء ، ويقصر هذا في الغالبية على تقديم الشرق الأدنى والبلاد التي اتصلت به . هذا نوع .

والنوع الثاني : يجيء في طابع تخطيطي « دايجرامى » ليعرض سير حلقات التاريخ ، وتطورات الزمن في مرحلة تطول أو تقصر ، ولكنها تنتهى عادة بالعصر الحديث ، وتستهدف تقديم المادة للدراسة المقارنة .

وكتاب العلامة الدكتور فاج يقدم طابعا حديثا من النوع الثانى . .

ويقول الدكتور فاج في تقديمه لأطلسه ان المصورات التخطيطية الخالية من الألوان والظلال ، المصحوبة بجداول وأرقام هى الأسلوب الصحيح للدراسة ، ذلك لأنها تعاون على إبراز الحقائق وتقديم صورة ملفتة للنظر مقبولة !! .

* * *

وببدأ هذا الأطلس بخرائط « لأفريقية الرومانية » ، أفريقية البحر المتوسط ، ويستمر في عرض سلسلة متتابعة من الرسوم على وثبات تصل بنا في النهاية الى العصر الحديث ، ولكن الجزء الأكبر من الكتاب فى الحقيقة يعالج تطور أفريقية الزنجية ويقدم الدول والامبراطوريات حتى اشتد اختراق الأوروبيين الى قلب أفريقية السوداء ، وفي تصوير الدول الأفريقية القديمة استند المؤلف الى ما جاء في أحاديث علماء الآثار وعلماء الأنثروبولوجى ، وعلماء اللغات عندما كان التسجيل التاريخى العادى غير موجود .

والشئ الذى يجب أن نلاحظه هو أن المؤلف قد تعقب في خرائطه الامبراطوريات السودانية من بدء القرن الحادى عشر الميلادى ، وصحب امبراطوريات وسط أفريقية من القرن الخامس عشر ، ولكنه في بعض الأحوال لم يقدم في خرائطه شيئاً عن الشعوب التى لم يكن لها في الماضى كما ليس لها اليوم أية سيادة ، ولما كانت أساطير الناس مثل « النوير » و « التالينسى » و « التيف » لا تقدم أقل الأدلة على أن مجتمعاتهم قد كونت دولاً لها نظمها وأسسها في الثلاثة أو الأربعة القرون الأخيرة فقد اكتفى بإبراز اتجاهات هجراتهم .

ومن الخرائط الجميلة ، فى هذا الضرب من الحديث ، الخرائط التى تقدم اتجاهات هجرات شعوب البانتو الجنوبية فى القرن التاسع عشر ، وهى محاولة لايضاح باقى الهجرات فى كل مكان آخر من أفريقية .

* * *

وينتقل المؤلف الى مرحلة أخرى من مراحل الكشف والاستعمار فيقدم عدة خرائط توضح خطوط سير المكتشفين الأولين فى جنوب القارة وشرقيها وغربيها ، ثم يقدم الخطوط التى سار فيها رجال الإدارة الذين تبعوا المكتشفين وجاءوا بعدهم ، وفى مجموعة تالية يقدم عدة خرائط تصور الطرق عبر الصحراء ، وفى المحيطات حول القارة الكبيرة ، ولكن فى الواقع لا تصور هذه الخرائط الملاحى الذى أثرت اليه هذه الطرق البحرية والبرية فى الجزء الداخلى من القارة .

ثبعا لحركة التجارة التي سارت على هذه الطرق البرية في قوافل أو التي نقلتها السفن الى الموانئ التي ازدهرت فيما بعد .

وقدم هنا بعض الرسوم في الطابع الذي نظر به المكتشفون الى القارة التي داروا من حولها ، والخرائط هنا في الواقع تستحق النظر والمراجعة ، فقد جاءت بعضها تخطيطية في أسلوب بدائي على مثال ما يصوره الأطفال ، فلا اهتمام بالأبعاد والمسافات ولا عناية بمواقع البلدان ومجاري المياه ، بل تستهدف المصورات إبراز شيء ما على مثال ما تلقى من إبراز مجرى النيل في خريطة افريقية من مجموعة خرائط الرحالة في قنيسيا لسنة ١٥٠٧ ، على حين نجد البعض الآخر دقيقا الى حد بعيد ، على مثال ما جاء في الخرائط التي رسمها البرتغاليون اثر رحلات فاسكو دي جاما (١٤٩٧ - ١٤٩٩) وكابرال (١٥٠٠ - ١٥٠١) راجع الصفحتين التاليتين شكل ١ و ٢ .

وفي هذه المجموعة يقدم المؤلف مختلف ألوان الحكم الأجنبي الدخيل بين سنة ١٨٣٠ - ١٩٥٧ في ثماني لوحات من ٤٥ - ٥٢ ، ثم ينفلت ليقدّم ناحية أخرى من "تواحي الحكم والاستعمار غير المباشر" ، يقدم مدى اختراق البعثات التبشيرية الى قلب القارة ، ولكن الاشارات والرموز التي وضعها في هذه الخريطة (رقم ٥٥) تتضارب ولا معنى لها ، وكان من الممكن أن ينتفع المؤلف بالتنظيم الذي ابتدعه ناشرو أطلس إكسبورد الاقتصادي على سبيل المثال ليدرك

الأسلوب الصحيح لعرض الخريطة المصحوبة بجداول وفقرات مفسرة ، كي يستخدم هذا في الطبقات الجديدة من كتابه ليكون اكمل واجمّل .

وكان هذا نصيبه أيضا في الخرائط الثلاث (٥٤ - ٥٦) التي حاول فيها أن يصور سقوط المطر ونسبه على طول القارة ، وكذلك انتشار الذباب التي تسمى ، وكذلك ايضا المستوطنات الأوروبية والوطنية ، أي مناطق الحشد والتجمع الواضح لكل من الجانبين ، وقد استعمل المؤلف الظلال الخطية ، ومن هنا كان التمييز عسيرا لأن القرب والبعد بين الظلال لا يعتبر وسيلة للتمييز على مثال ما لو استخدم الخطوط والنقاط والعلامات الرمزية .

على أن كتاب الدكتور فاج يتسم بطابع الابتكار ، وأن لم يكن هو الذي خرج بأسلوب الدراسة بالمصورات ، كما أن هناك أكثر من كتاب في دراسة التاريخ القديم على أساس تقديم مجموعات متتالية من الخرائط والرسوم ، على مثال أطلس أفيليبس الذي يقدم دراسة وصفية للمناطق الجغرافية ، من العالم القديم ، التي جاء ذكرها في الانجيل .

ولكن طابع الابتكار هنا ان الحدائق يدورن افريقية قبله بهذا الاستلوب البنائي الجديد ، ثم ان لهذا الجهد جهد جماعة لا جهد فرد ، ولا يمكن أن نتوقع من رجل واحد أن يكون مخيرا بأمور كل أجزاء افريقية ، بل أن يكون خيرا في كل ميادين البحث .

أوجه النقد:

ولكن الكتاب مع هذا الجهد المشكور لا يخلو من أوجه للنقد ، وأبرز ما نلاحظه على المؤلف تفاهة المصادر الثانوية التي استند إليها ، مما يندر أن يستند إليه مؤلف في إصدار كتاب حديث اليوم ، وعلى سبيل المثال لا الحصر نراه قد استند في تصويره لتاريخ نيجيريا إلى كتاب « تاريخ موجز لنيجيريا » تأليف « نيقين » وهو كتاب قد يكون - مع التجاوز - كتابا جيدا لإصدار طلاب المدارس ، ولكن من المدهش أن يستند إليه مؤلف لمرجع قيم مثل « أطلس التاريخ الإفريقي » .

وفي الكتاب كذلك بعض هينات هينات ، نرجو أن تقدم بعضا منها على سبيل المثال لا الحصر ، فهو في الخريطة (رقم ٢٩) وضع قلعة لاندولف على النهر « فورسيادوس » مع أنها كانت على نهر « بنين » ، وفي الخريطة (رقم ٣٩) أخطأ في وضع مدينة « اجبا » Egba ، فقد وضعها إلى الشرق من مكانها الصحيح بمسافة خمسين ميلا ، وكذلك وضع مدينة ايكيتي Ekiti خطأ بمسافة سبعين ميلا في اتجاه البحر ، وفي الخريطة (رقم ٥٦) نقل أماكن المستوطنات الأوروبية في شرق إفريقيا من تقرير اللجنة الملكية لسنة ١٩٥٣ - ٥٥ ، ولكنه نقلها بصورة رديئة ، وهناك غير هذا مما قد يمكن التجاوز عنه ، وذلك بسبب أن الموضوع الذي تعرض له الدكتور فاج مجهد كما قدمته .

ماذا تقول لنا الدراسات الإحصائية ؟

على أننا قبل أن نتقل من الحديث عن إفريقية في خرائط للتحدث عنها في جداول وإحصائيات يجب أن نقف متمهلين بإزاء السعة الكبيرة للقارة التي نقف فيها ، فهي تشغل مساحة ١٠.١٥٠.٠٠٠ ميل مربع ، وبهذا من الأنهار والبحيرات ، وقن الجبال ما يعد في مقدمة هذه الظواهر الجغرافية البارزة في العالم كله .

ففيها جزيرة مدغشقر (٢٢٨٦٤٢ ميل مربع) رابعة جزر العالم بعد جزر جرينلاند ، وغينيا الجديدة وأورنيو .

وفيها بحيرة فيكتوريا ثالثة بحيرات العالم (٢٦٦٤٠ ميل مربع) بعد بحر قزوين ، وبحيرة سيويرايور في أمريكا الشمالية ، كما أن بحيرات تنجانيقا ونياسا تحتلان على التوالي المركز السابع ، والحادي عشر بين بحيرات العالم الكبرى .

وفيها أنهار النيل الأعظم (٤١٤٥ ميلا) والكونغو (٢٧١٨ ميلا) والنيجر (٢٦٠٠ ميل) وتحتل على التوالي المركز الثاني والخامس والثامن بين أنهار العالم الكبرى .

وفيها عدد كبير من مساقط المياه ، ولا يزيد عليها في هذا المضمار عدا أمريكا الشمالية وأوروبا ، ومع هذا ففي الناطل بجنوب القارة أعلى مساقط المياه في العالم في (توجيتا) حيث تهبط المياه من ارتفاع ٣١١٠ أقدام مع أن أعلى ارتفاع في شلالات نياجارا ٢٥٠٠ قدم .

وفي إفريقيا أكبر وثبات الانتقال في العالم بين مختلف مظاهر الانتاج الزراعي .

ومع أن افريقية خزانة الجنس
الزنجي إلا أن المجموعة البشرية التي
تعيش فيها بالاقامة أو بالتوطن تجمع
بين كل السمات وبين كل الألوان ، حتى
ليمكن القول بأن أجناس العالم كلها
تعيش في قارة افريقية .

وقد يكون من الضروري أن ندرك
أن افريقية تقدم لنا المادة الصالحة
لعشرات الجداول الاحصائية ، ولكن
قد لا يكون هنا محل في هذه الدراسة
للكثير من الجداول الخاصة بتوزيع
السكان أو تقسيم الغلات أو بيان
مختلف ألوان الانتاج ، فنحن في هذه
الدراسة بالرغم من العناية بالاحصائيات
ذات الطابع المؤثر في اقتصاديات البلاد
يجب أن نعنى بالاحصائيات التي
تكشف عن الاستغلال الأوروبي
الاستعماري ، والتي ترسم لنا
الطريق الصحيح للاتجاه الذي يجب
أن تتبعه الحركة التحريرية الاقتصادية
التي تجيء في أعقاب الحركة التحررية
السياسية

وأول ما نقف أمامه في الاحصائيات
الافريقية : الصورة التي تقدم لنا
التصوير للمقارنة مختلف الطوائع
السياسية في القارة وصلتها بالمساحة
والسكان .. ونجد في هذا :

أ - فالمناطق المستقلة التي يحكمها
الافريقيون تصل مساحتها الى
٢٨٠٠٠٠ ميل مربع وتعداد
سكانها ٧٠ مليوناً .

ب - المناطق التي تمر بمرحلة
الانتقال للاستقلال ، ويحكمها افريقيون
(نيجيريا والصومال والكمرون
وتوجولاند ، وكلها ستستقل في سنة
١٩٦٠) تصل مساحتها ٦٠٠٠٠
ميل مربع وتعداد سكانها ٥١ مليوناً .

ج - المناطق المستقلة أو شبه
المستقلة ، ويحكمها أوروبيون كاتحاد
جنوب افريقية وروديسيا الجنوبية
والشمالية ونياسالاند ، تصل
افريقية الوسطى ١٩٥٣) تصل
مساحتها الى ٥٠٠٠٠٠ ميل
مربع وتعداد سكانها ٢٧ مليوناً .

د - مستعمرات تحكم مباشرة
بدول أوروبية تصل مساحتها الى
٨٠٠٠٠٠ ميل مربع ، وتعداد
سكانها ٣١ مليوناً .

هـ - مستعمرات يحكمها
الافريقيون في المسئولية السياسية
للحكم تصل مساحتها الى ٨٠٠٠٠٠
ميل مربع وتعداد سكانها ٤٧ مليوناً .

فاذا نظرنا الى نسبة الأراضي
الزراعية التي يملكها الافريقيون مع
ايضاح نسبة ما يملكه الافريقي من الأرض
الزراعية الى نسبة ما يملكه الفرد
الأوروبي وضحت لنا حقائق تستحق
الدراسة .

• ففي الجزائر يملك المواطنون
الذين يكونون ٨٧٪ من جملة السكان
٦٣٪ من جملة الأراضي ونسبة ما يملكه
الفرد الجزائري ١٠١ من الفدان على
حين أن متوسط ما يملكه الفرد
الأوروبي ٢٠٤ أفدنة .

• وفي مراکش يكون المواطنون
٩٥٪ من جملة السكان ويملكون ٨٠٪
من مساحة الأراضي الزراعية ، يخص
الفرد ١٣ من الفدان على حين أن
المتوسط بالنسبة للأوروبي ٤١٧
فداناً .

• وفي تونس يكون المواطنون ٩٣٪
من جملة السكان يملكون ٧٨٪ من
مساحة الأراضي الزراعية ويخص

الفرد ٢١٠٠ على حين يصل المتوسط للأوروبي ٣٣٢ فدان .

وفي كينيا يصل الأفريقيون إلى ٩٩٩٪ من السكان يملكون ٧٦٪ من الأراضي الزراعية وتصل نسبة المتوسط للفرد ٨٠٥ من الفدان ، على حين أن المتوسط بالنسبة للأوروبيين يصل إلى ٣٤٠٠ فدان .

وفي روديسيا الجنوبية يكون الأفريقيون ٩٣٪ من السكان يملكون ٤٤٪ من مساحة الأراضي الزراعية يخص الفرد منهم ١٧ فداناً ، على حين يصل المتوسط بالنسبة للأوروبي إلى ٨٢٠٠ فدان .

وفي اتحاد جنوب افريقية يملك الأفريقيون الذين يكونون ٧٥٪ من السكان ١٢٪ من مساحة الأراضي الزراعية ، ويصل متوسط الفرد إلى ٣٨ من الأفدنة على حين يصل المتوسط للأوروبيين إلى ٢٢٠٠ فدان .

فاذا انتقلنا إلى الجداول الخاصة بلاهور وجدنا بعض الأرقام الحرية بالدراسة .

وأول ما يسترعى الانتباه الفروق الهائلة بين الدخل للعمال الأفريقيين والأوروبيين في مناجم الذهب بجنوب افريقية ، بل قد يكون من الطريف أن ننظر إلى تطور الدخل في تسلسل زمني ، (على أساس اعتبار أن الجنيه الاسترليني يقابل ٢٨٠ من الدولارات) .

وفي سنة ١٩١١ كان متوسط الدخل السنوي للعامل الأفريقي ٩٧

دولارا ، على حين أن متوسط الدخل للعامل الأوروبي ٩٤١ دولارا .

وفي سنة ١٩٢١ كان متوسط الدخل للعامل الأفريقي ١١٠ دولارات على حين أن المتوسط للعامل الأوروبي ارتفع إلى ١٥٢٩ دولارا .

وفي سنة ١٩٣١ هبط متوسط دخل العامل الأفريقي إلى ٩٢ دولارا كما هبط متوسط دخل العامل الأوروبي إلى ١١٦٢ دولارا .

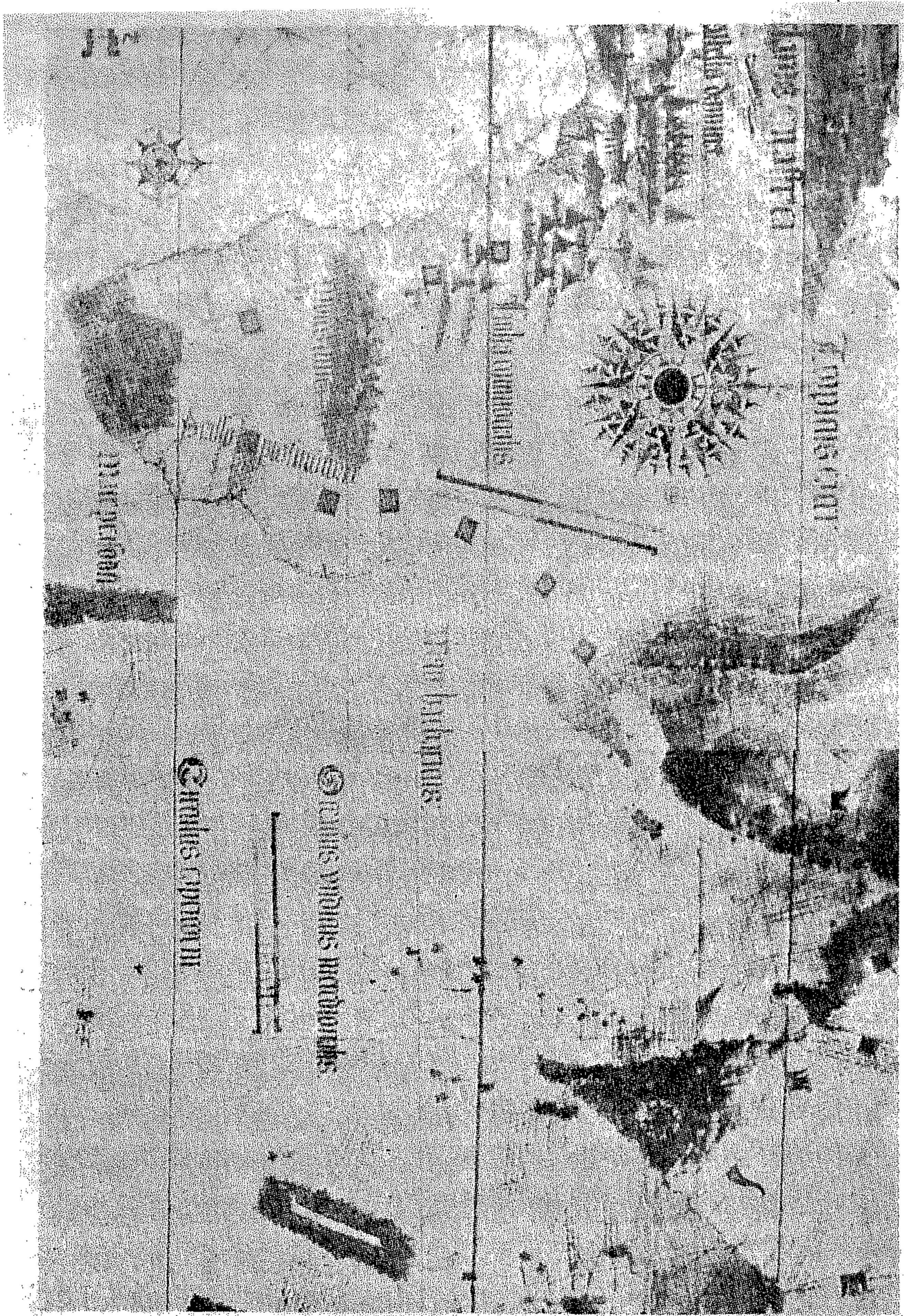
وفي سنة ١٩٤١ ارتفع متوسط دخل العامل الأفريقي إلى ١١١ دولارا ولكن متوسط دخل العامل الأوروبي وصل إلى ١٤٧٢ دولارا .

وفي سنة ١٩٤٥ وصل متوسط دخل العامل الأفريقي ١٢٤ دولارا ، وارتفع متوسط دخل العامل الأوروبي ١٨٠٣ من الدولارات .

وفي سنة ١٩٥٠ زاد دخل العامل الأفريقي بمعدل السدس فوصل إلى ١٤٧ دولارا على حين وصل متوسط دخل العامل الأوروبي إلى ٢٣٦٩ دولارا أي أن الزيادة كانت بنسبة تقرب من ٣٠٪ .

وفي سنة ١٩٥٣ زاد دخل العامل الأفريقي بمعدل السدس مرة أخرى فوصل إلى ١٧١ دولارا على حين زاد متوسط دخل العامل الأوروبي بنسبة ٢٥٪ فوصل إلى ٢٩١٠ دولار في السنة .

وقد يكون من الطريف أن نناقش قيمة الأجور في مواجهة قيمة الإنتاج ونسبة الأرباح في سنوات متتالية :
• ففي سنة ١٩٥٣ كانت قيمة جملة الإنتاج من الذهب ٤١١٦٠٠٠ ر.د. وكان متوسط الأرباح ٩٦٥٠٠٠ ر.د. دولار .



خريطة افريقية والمحيط الهندي كما عرفها البرتغاليون بعد رحلات
 فاسكوي جاما (١٤٩٧-١٤٩٩) وكابرال (١٥٠٠-١٥٠١)

دولار أى بنسبة ٣١٪ من قيمة الانتاج .

وقد نحاول أن نبحت في جداول الاحصائيات عما تربحه الشركات الأجنبية المستثمرة لغلات الأرض وحصيلة الحكومات التى تمتلك الأرض ونلقى بيانا طريفا يناقش أرباح شركة فيرستون الأمريكية للمطاط وحصيلة حكومة ليبيريا من هذا المطاط نقلا عن التقارير الرسمية لحكومة ليبيريا ومصالح التجارة الأمريكية وشركة فيرستون نفسها .

(أ) فى سنة ١٩٣٧ كان صافى دخل شركة فيرستون ٩٣٠٠٠٠٠ دولار وجملة حصيلة جمهورية ليبيريا من كل الموارد مليون دولار .

(ب) وفى سنة ١٩٤٥ كان صافى دخل شركة فيرستون ١٦٤٠٠٠٠٠ دولار وجملة حصيلة ليبيريا من كل الموارد ١٩٠٠٠٠٠ دولار .

(ج) وفى سنة ١٩٥٥ وصلت حصيلة ليبيريا من كل الموارد ٣٩٠٠٠٠٠ دولار على حين كان صافى دخل شركة فيرستون ٢٦٨٠٠٠٠٠ دولار .

(د) أما فى سنة ١٩٥٥ فكان صافى دخل شركة فيرستون ٣١٥٠٠٠٠٠ دولار ، على حين كانت حصيلة جمهورية ليبيريا من كل الموارد ١٥٠٠٠٠٠ دولار أى أقل من نصف دخل شركة فيرستون الأمريكية .

والحديث عن مقارنة دخل شركة أمريكية واحدة وحصيلة جمهورية من جمهوريات افريقية المستقلة يوجهنا الى مناقشة رؤوس الأموال الأمريكية

• وفى سنة ١٩٥٤ وصلت قيمة جملة الانتاج الى ٤٦٢٠٠٠٠٠٠ دولار وكانت جملة الأرباح ١٠٨٠٠٠٠٠٠ دولار .

• وفى سنة ١٩٥٥ وصلت قيمة الانتاج الى ٥١٠٨٠٠٠٠٠٠ دولار وكانت جملة الأرباح ١٢٤٠٠٠٠٠٠٠ دولار .

• وفى سنة ١٩٥٦ وصلت قيمة الانتاج الى ٥٥٥٨٠٠٠٠٠٠ دولار وكانت جملة الأرباح ١٣٥٨٠٠٠٠٠٠٠ دولار .

ومعنى هذا أن قيمة الانتاج زادت بنسبة ٣٥٪ على حين زادت الأرباح بنسبة ٤١٪ .

وهذا الحديث عن الأجور يوجهنا ناحية أخرى من الدراسة التفصيلية لامكانيات افريقية ، ونجد في مراجع احصائيات روديسيا الشمالية عن المدة بين ١ من يوليو سنة ١٩٤٩ وبين ٣٠ من يونيو سنة ١٩٥٦ أن أرباح مناجم الكوبالت بملايين الدولارات كانت :

(أ) فى سنة ٤٩/٥٠ صافى الأرباح ١٧٩٠٠٠٠٠٠ دولار ، أى بنسبة ١٧٪ من قيمة الانتاج .

(ب) وفى سنة ٥٢/٥٣ كان صافى الأرباح ٧١٠٠٠٠٠٠٠ دولار أى بنسبة ٣١٪ من قيمة الانتاج

(ج) وفى سنة ٥٥ - ٥٦ بلغ صافى الأرباح ١٣٩٦٠٠٠٠٠٠ دولار أى بنسبة ٤٠٪ من قيمة الانتاج .

أى أن جملة الأرباح بين سنة ١٩٤٩ وبين ١٩٥٦ كانت ٤٩٢٧٠٠٠٠٠٠

المستثمرة في افريقية وارباحها بين سنة ١٩٥٠ وبين سنة ١٩٥٤ .

١ - ففي سنة ١٩٥٠ كانت جملة رؤوس الأموال الأمريكية المستثمرة في افريقية ٣٥٢ مليون دولار وبلغت الأرباح ٥٨ مليوناً .

٢ - وفي سنة ١٩٥١ كانت جملة رؤوس الأموال ٤١٠ مليون دولار وبلغت الأرباح ١٠٢ مليون .

٣ - وفي سنة ١٩٥٣ كانت جملة رؤوس الأموال ٥٠٤ مليون دولار وبلغت الأرباح ١١٨ مليوناً .

٤ - وفي سنة ١٩٥٤ كانت جملة رؤوس الأموال المستثمرة ٦٦٢ مليون دولار وبلغت الأرباح ١١٤ مليوناً .

والحرى بالذكر أن رؤوس الأموال الأمريكية المستثمرة في افريقية كانت في سنة ١٩٤٨ (٧٧٤) مليون دولار وبلغت الأرباح ١٢٩ مليون دولار أي أن صافي الربح كان بنسبة ١٦٪ ، ولكن مع انخفاض رؤوس الأموال فإن الربح حتى في أقل السنين زاد على هذه الـ ١٦٪ لسنة ١٩٤٨ .

كما يجب أن نلاحظ أن الاستثمار الأمريكي في افريقية وصل الى ذروة أرباحه في سنة ١٩٥١ إذ بلغ ٢٥٪ من رأس المال مع أن نسبة أرباح رؤوس الأموال الأمريكية في نفس السنة لم تتجاوز ١٧٪ في باقي بلاد العالم .

وفي سنة ١٩٥٥ كانت نسبة أرباح رؤوس الأموال الأمريكية في افريقية ١٦٫٧٪ من رأس المال مع أن نسبتها في باقي بلاد العالم لم تتجاوز ١٤٫٣٪ ، ويوضح لنا هذا مدى نجاح الاستثمار في افريقية .

ومن الطبيعي أن الكثير من الاستثمارات كان يستند الى القروض المعاونة على تمويل المشروعات

للتنمية الاقتصادية . وقد يكون من الطريق أن نلاحظ الآتي :

١ - كانت جملة قروض بنك الاستيراد والتصدير في المدة بين سنة ١٩٤٦ وسنة ١٩٥٥ :

• في جنوب افريقية ١٤٩٧٠٠٠٠٠٠ دولار .

• في روديسيا الشمالية والجنوبية ٢٢٤٠٠٠٠٠٠ دولار .

• في الكونغو البلجيكي ١٥٥٠٠٠٠٠٠ دولار .

• في انجولا وموزامبيق ١٧٣٠٠٠٠٠٠ دولار .

٢ - وكانت قروض البنك الدولي حتى ٣٠ من يونيو سنة ١٩٥٦ :

• في اتحاد جنوب افريقية ٢٨٠٠٠٠٠٠٠ دولار .

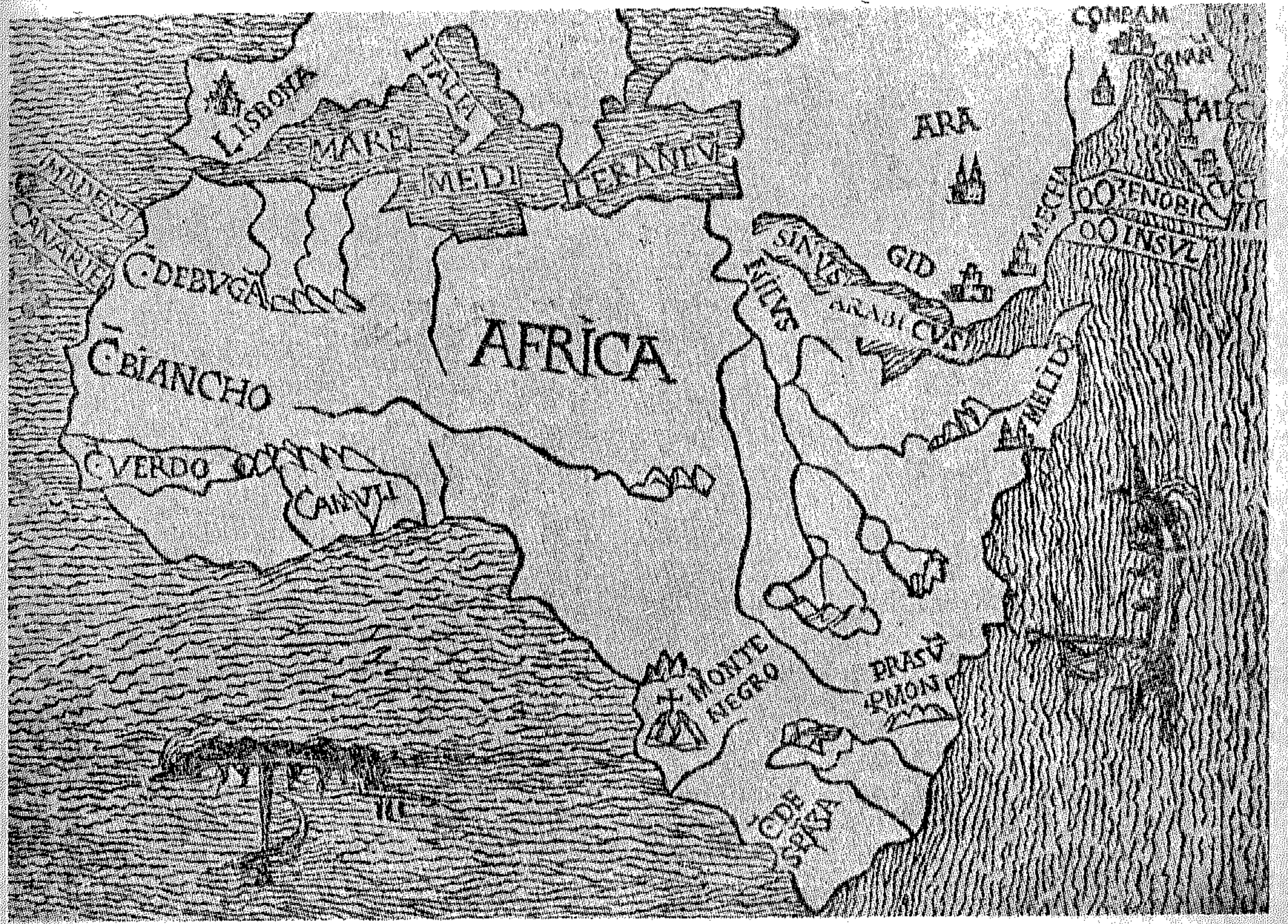
• في روديسيا الشمالية والجنوبية ١٢٢٠٠٠٠٠٠ دولار .

• وفي الكونغو البلجيكي ٧٠٠٠٠٠٠٠ دولار .

• وفي شرق افريقية ٢٤٠٠٠٠٠٠٠ دولار .

ويعد هذا قليلا من كثير مما تحدثنا به الاحصائيات الافريقية وهي احصائيات لو انصرفت الى عرضها على القارئ لاحتجت الى أكثر من ثلاثة أضعاف صفحات مجلتنا الحبيبة (نهضة افريقية) كي أروى ظمأه وأشبع رغبته .

وافريقية الحديثة افريقية التي اجتمعت في القاهرة وأكرا ومونرويا لترفع صوتهما عاليا في مشكلاتها الخاصة ، بل مشكلات العالم أجمع ، أخرى بسكانها الوطنيين أن يتدبروا أمرهم وأن يجمعوا صفوفهم لتحقيق استقلالهم الاقتصادي مع تحقيق استقلالهم السياسي .
وانهم لفاعلون . . .

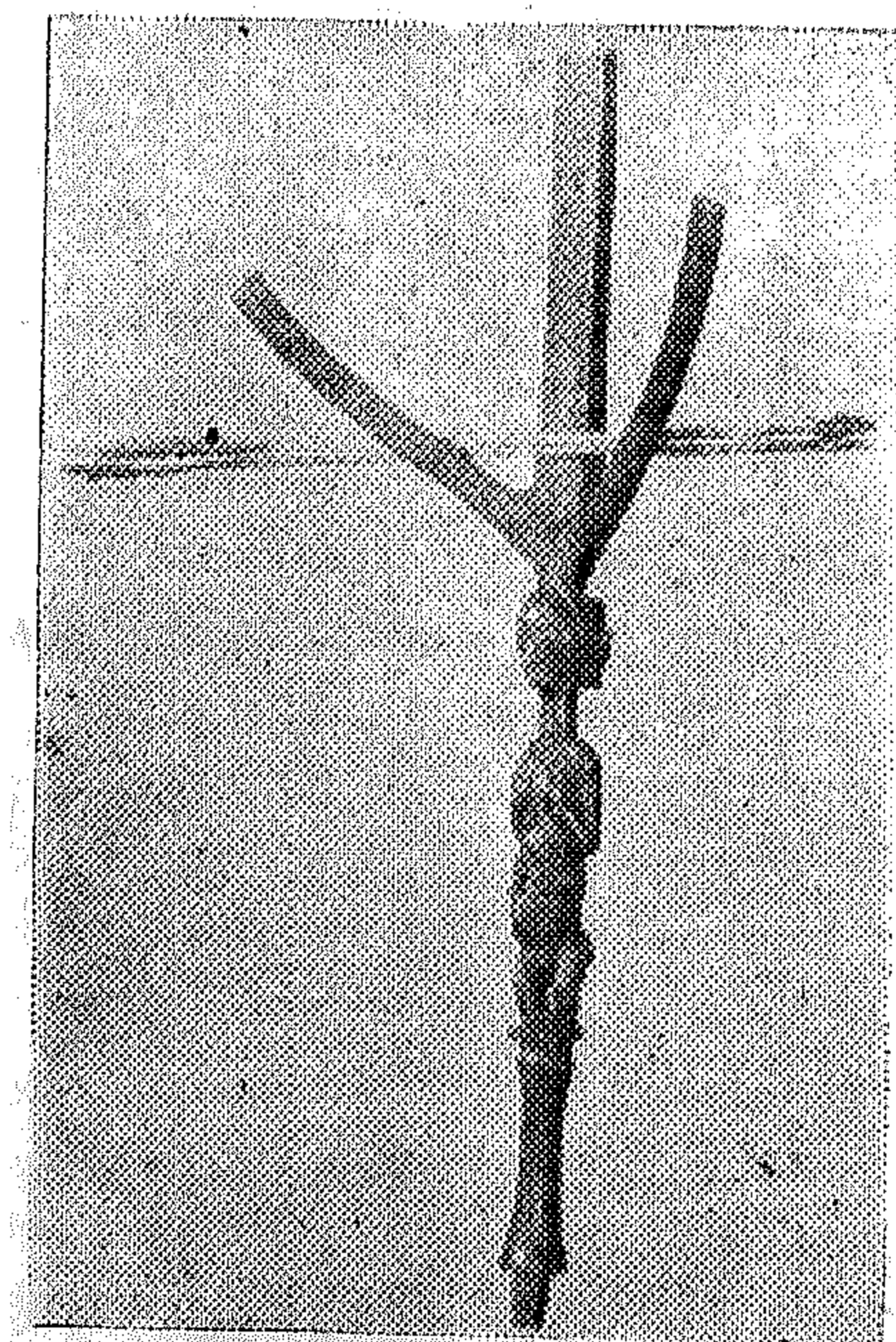


أول خريطة مفصلة لأفريقية وجدت محفورة على الخشب وطبعت
ضمن مجموعة خرائط الرحالة في فينيسيا سنة ١٥٠٧

out of Asia, have found in Africa 'sources of profit which could give them time to catch their breath''. Therefore the imperialists must be thrown out. Hence: no overt Communism; but aggravation of all disorders, and support of the most extreme "African nationalism".

6. The boiling African development is wholly fluid, and thus in large measure unpredictable. It is by no means impossible that the West can adjust to it, prevent Africa from being taken over by the enemy, and even

guide Africa into becoming a great new frontier—in a new sense—of Western enterprise. Granted the immense problems, Britain, France and Belgium, after some rough lessons, have lately been showing intelligence, courage and flexibility in their African policy. Though my opinion on things African is strictly amateur, I think that our government will do best to go along with them politically, while encouraging U.S. business to participate boldly in the building of the African economy.



no Europeans in government office. Even where white men will remain exclusively or predominantly in political control—as in the Union of South Africa, and for a while at least in the Central African Federation and Kenya—they will themselves be Africans (*colons*, as the French call them). Most of the new nations are to be run by Arabs in the north and black men in the center and south, with whites functioning, if at all, only as advisers and technicians. In Nigeria even today, a year before independence, the administration is as all-black as Ghana. The ten Autonomous Republics of the French Union already have all-native governments.

3. In many African areas the rate of economic development is also rapid—though of course it starts from a low base. In Kenya, for example, in spite of the Mau Mau civil war, petroleum consumption between 1950-57 rose 500 per cent ; electric power, 1'600 per cent; output of light industry, 165 per cent; cement, 58 per cent. In the Rhodesian Federation, in the two years 1955-1957, electricity production rose 300 per cent and personal consumption, 16 per cent. The figures for the Belgian Congo are even more spectacular. One of the world's major oil fields has just been unlocked in the Sahara. Skyscrapers, fancy hotels, boule-

wards and even traffic problems sprout along with tin shacks in the swelling African cities: Leopoldville, Salisbury, Brazzaville, Dakar, Accra, Nairobi, as well as the cities of the Arab north and Afrikans south. Even primitive Nigeria has three cities with more than 300,000 population. And the urban immigrants are entering for the first time into a money economy and national politics.

4. In most of these new nations a genuine democracy in the Western sense is out of the question. The social premises simply do not exist. Moreover, the rivalries among the native Africans are too deep for a democratic system, once the focus of unity is lost with the retirement of the whites.

5. Except in French or formerly French North Africa, where the Communist cadres were really extensions of the metropolitan party, Communist influence in Africa does not yet seem to be a major quantitative factor. It was not until four or five years ago that the Communists made Africa below the Mediterranean littoral an object of significant strategic attention. They have now penetrated to some degree, chiefly through intellectuals and trade union leaders. Their doctrine runs (according to a 1957 declaration at a Leipzig Congress): "The imperialists, chased

THE EXPLOSION OF AFRICA

Few of us in this country have as yet comprehended the pace of events in Africa. Even in our dizzying epoch of wars, revolutions and supersonic travel, there has never been anything quite like it, within a twenty-year period, along which we are now at midway, the political, economic and social structure of the earth's second largest continent will have been transformed. I have been trying to lighten somewhat the darkness of my ignorance concerning the Dark Continent, and I here note a few of the tentative generalizations toward which the data I have encountered seem to lead.

1. The platitude that "the era of colonialism has ended" is indeed true. The principal colonial powers—Britain and France, and Belgium also, though with a slower planned tempo—accept this as an axiom. They seek to retain an interest and influence in Africa not by preserving the colonial ties but by converting them into the new political forms of Commonwealth (British) or Union (France) and by maintaining close economic links. "All that the British government can do," comments the *London Times*, "is to try to ensure that transfer of power is not merely a negative

act, like evacuation of an occupied territory, but also a positive act in the sense that a potentially viable society is left behind."

2. The political development is very rapid. Since World War II, seven former African colonies or protectorates have become sovereign African states: Libya, Egypt, Tunisia, Morocco, Sudan, Ghana, Guinea. Before the end of next year, at least four more will reach independence: Nigeria—which, with its 40 million inhabitants, will join the Commonwealth—and the UN Trust Territories, French Cameroons, French Togoland and Italian Somaliland.

The Central African Federation (the Rhodesias plus Nyasaland) is already semi-autonomous, and Kenya and Uganda are moving quickly. By the terms of the new French Constitution, all the African parts of the French Union, except for Algeria, which has formal status as an integral part of France proper, have the right to follow Guinea in declaring independence. Short of that their path toward autonomy within a federal union is set.

In most of these emerging African nations there are to be

NAHDAT IFRIQUIAH

The magazine aims at :

1. Promotion of African National consciousness.

2. Acquaintance among Africans in various regions and environments.

3. Publication of private and public treatises of interest to Africans whatever their pursuits

The subscribers have the right :

i. To receive regularly the magazine and the pamphlets which are occasionally issued at a reduced price.

2. To make use of the services rendered by the magazine Executive committee, as far as possible.

- Nahdatu Ifriquiah welcomes any proposals, ideas and criticism promising to do its best to carry them out.

- It is not necessary that the articles published should always represent the magazine's attitude.

Correspond with :

Chief editor of Nahdatu Ifriquiah magazine.

5, Ahmed Hishmat Street,
Zamalik, Cairo.

The Egyptian Region,
United Arab Republic.

Phone : 807658.

Subscriptions should be sent to :
Dar Akhbar El Youm for distribution.

7, Sharia El Sahafa, Cairo.
(30 piastres a year) :

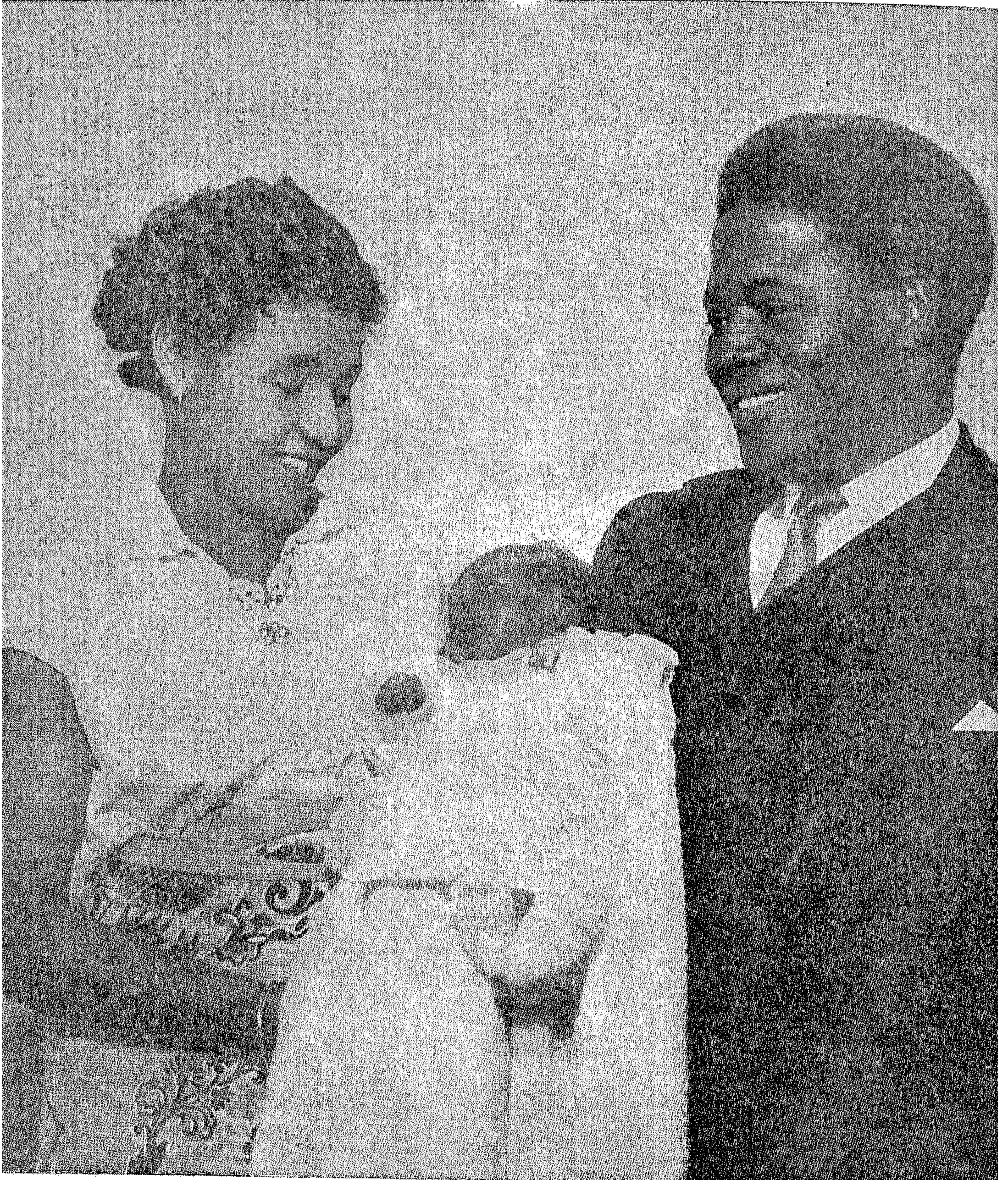
for Egypt and Sudan.

3 piastres for every copy.



Nahdatu Ifriquiah
A monthly Magazine
for
African Culture.

Editor in Chief
M. ABD EL AZIZ ISHAK



((أسرة أفريقية))

3rd. Year

Issue No. 26

January 1960



Nahdatu

AFRIQUIAH

30 Milliemes.

IN THIS ISSUE

- FOXES OF DIPLOMACY IN AFRICA.
- THE MOROCCAN KINGDOM.
- SOMALILAND'S STRUGGLE.
- THE FIRST TRIP ROUND AFRICA.
- BOOK REVIEW.
- BOOK OF THE MONTH.



Bibliotheca Alexandrina



0551926